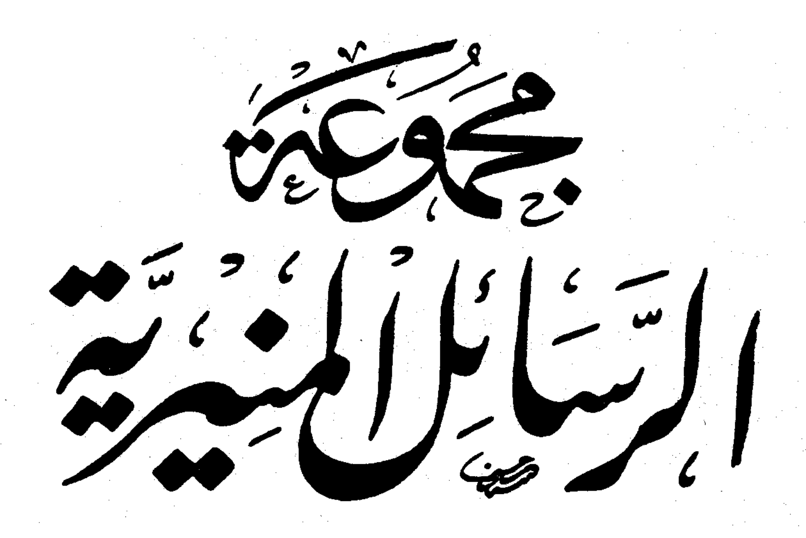


عنيت بنشرها وتصحيحها والتعليق عليها للمرة الاولى سنة ١٣٤٣هـ

إدارة الطباعة المنيرية

لصاحبها ومديرها محمد منير عبده أغا الدمشقي

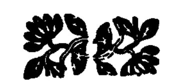
فهـــرست

المجلد الاول من المجموعة المنيرية

صفحة

﴿ فهرست الجزء الثاني ﴾

﴿ من مجموعة الرسائل المنيرية ﴾



فهرست الجزء الثالث من مجموعه الرسائل المنيريه

تم الجزء الثالث

﴿ فهرست الكتاب ﴾

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

دليل كتاب مفتاح الجنة فى الاحتجاج بالسنة

فهرست

فتاوى ابن الصلاح

فهرست

(التحفة العراقية)

فهرست التحفة العراقية

تم الفهرس



الجزء الاول

يشتمل على ١٣ رسالة

(١) ارشاد النقاد الى تيسير الاجتهاد للصنعاني (٢) رفع الريبة للامام الشوكاني
(٣) شرح الصدور للشوكاني (٤) مسائل الاصول لابن حزم (٥) منظومة
في القدر لابن تيمية (٦) عقيدة السلف واصحاب الحديث للامام الصابونى
(٧) تحذير اهل الايمان للاسعردي (٨) فى الاستواء والفوقية والحرف والصوت
للامام ابي عبدالله الجويني والد امام الحرمين (٩) نور اللمعة في خصائص الجمعة للسيوطي
(١٠) تفسير سورة الكوثر لابن تيمية (١١) في علم الظاهر والباطن لابن تيمية
(١٢) في رفع اليدين للامام تقي الدين السبكي (١٣) الخصال المكفرة للحافظ ابن حجر

عنيت بنشرها وتصحيحها والتعليق عليها للمرة الاولى سنة ١٣٤٣ هـ

ادارة الطباعة المنيرية

لصاحبها ومديرها محمد منير عبده اغا الدمشقي

مكتبة طيبة الرياض

ارشاد النقاد

الى تيسير الاجتهاد

للسيد العلامة بدر الاسلام والمسلمين

محمد بن اسماعيل الامير الصنعانى صاحب سبل السلام شرح بلوغ المرام

المتوفى سنة ١١٨٢ هـ



الحمد لله الذي ذلل صعاب علوم الاجتهاد لعلماء الامة * وحفظها بأساطين الحفاظ وجهابذة الائمة * فتتبعوها من الافواه والصدور * وخلدوها للمتأخرين من الامة فى الاوراق والسطور * واستنبطوا من القواعد ما لايزول بمرور الدهور * وأطلعوا من أنوار علم الكتاب والسنة على أنوار البصائر نوراً على نور

وأشهد أن لا إله إلا الله المتكفل بحفظ علوم الدين * وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى يحمل علمه من كل خلف عدو له ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين * صلى الله عليه وعلى آله قرناء القرآن * صلاة وسلاماً يدومان مادارت الافلاك واختلف الملوان [1]

وبعد فان السيد قاسم بن محمد الكبسى رحمه الله سأل عن المسائل العلمية والابحاث العملية * نزلت علينا نزول الغيث على الرياض * بل العافية على

١ - الملوان : الليل والنهار

الاجسام المراض * وخلاصة ماشتمل عليه انه هل يكون العمل من المتأخرين بتصحيح الائمة من أهل الحديث للحديث أوتحسينه أوتضعيفه تقليداً لاولئك الحفاظ من الائمة والاعيان من الامة فيا وصفوا به الحديث من تلك الصفات ويكون القائل لذلك والعامل به مقلداً أو يكون فيا قبله من كلامهم في ذلك وعمل به مجتهداً

فانه قال السيد الامام محمد بن ابراهيم في الروض الباسم ان قول الثقة العارف الذي ليس له قاعدة في التصحيح معلومة الفساد ان الحديث صحيح يجب قبول قوله بالادلة العقلية والسمعية الدالة على قبول خبر الواحد وليس ذلك بتقليد بل هو عمل بما أوجبه الله تعالى من قبول خبر الثقات هذا كلامه ولكنه خالف كلام القاضي العلامة الحسين بن محمد المغربي في شرح بلوغ المرام فانه قال من لم يكن أهلا للنقد والتصحيح فله أن يقلد فى ذلك من صحح أو حسن ممن هو أهله فان لم يكن أحد من الائمة تكلم بذلك على الحديث وليس هو بأهل للنقد لم يجز له الاحتجاج بالحديث إذ لايأمن من أن يحتج بما لايحل الاحتجاج به قال ولهذا أحال جماعة من المتأخرين الاجتهاد المطلق لتعسر التصحيح * والتقليد في التصحيح يخرجه عن القصد وهو الاجتهاد قال ولم يتيسر في الاعصار المتأخرة الا ترجيح بعض المذاهب على بعض بالنظر الى قوة الدلالة أو الى كثرة من صحح أو جلالته والواجب الرجوع الى الظن القوى بحسب الامكان رأيت السائل دامت افادته جنح الى ترجيح كلام القاضى قائلا انه قد يفرق بين التصحيح والتضعيف وبين الرواية فان تصحيح الحديث وتضعيفه مسئلة اجتهادية ونظرية قد يختلف الامامان العظيمان في الحديث الواحد فأحدهما يذهب الى صحته أو حسنه والآخر الى ضعفه أو وضعه باعتبار ماحصل لهما من البحث والنظر وليس حال الرواية كذلك فان مدارها على الضبط والعدالة * ومدار التصحيح والتحسين ونحوهما على قوة اليد فى معرفة الرجال والعلل المتعلقة بالاسانيد والمتون ومعرفة الشواهد والمتابعات والقاضي قد جزم بان قول الحافظ

في التصحيح تقليد واذا نظرتم الى تصرف العلامة الحسن بن احمد الجلال في ضوء النهار لم يجد الانسان في يده غير ما أشار اليه القاضي من الترجيح بقوة الدلالة أو كثرة من صحح أو جلالته ولم يكن ممن يعرف الاسانيد والعلل مثل المنذري وابن حجر والنووي ومن في طبقتهما من المتأخرين دع عنك الائمة الكبار مثل الحاكم والدارقطني مع تصريحه في غير موضع من كتبه بالاجتهاد المطلق وكذا العلامة المقبلي سلك هذا المسلك ولم يزل هذا السؤال يخطر بالبال فافضلوا بالجواب انتهى ماحرره السائل لازال مفيداً ولابرح في أنظاره العلمية سديداً * وأقول : الجواب يظهر ان شاء الله تعالى بذكر فصول تشتمل على ايضاح المسئلة بمشيئة الله تعالى وهدايته .

فصل

رسم الحافظ ابن حجر رحمه الله في كتابه نخبة الفكر الحديث الصحيح بانه مانقله عدل تام الضبط متصل السند غير معلل ولاشاذ وقال وهو الصحيح لذاته وقريب منه رسم ابن الصلاح وزين الدين بانه ما اتصل اسناده بنقل عدل ضابط عن مثله من غير شذوذ ولاعلة قادحة اذا عرفت هذا فهذه خمسة قيود ثلاثة وجودية واثنان عدميان وكلها أخبار : كأنه قال الثقة حين قال حديث صحيح هذا الحديث رواته عدول مأمون الضبط متصل اسنادهم لم يخالف فيه الثقة مارواه الناس وليس فيه أسباب خفية طرأت عليه تقدح في صحته وحينئذ فقول الثقة صحيح يتضمن الاخبار بهذه الجمل الخمس وقد تقرر بالبرهان الصحيح ان الواجب أو الراجح العمل بخبر العدل والقبول له وتقرر ان قبوله ليس من التقليد لقيام الدليل على قبول خبره فالتصحيح مثلا والرواية للخبر قد اتفقا أنهما اخبار إما بالدلالة المطابقية أو التضمنية او الالتزامية * أما قبول خبره الدال بالمطابقة فلا كلام فيه كقوله زيد قائم وأما قبول خبره الدال بالتضمن أو الالتزام فيدل على قبوله انهم جعلوا من طرق التعديل حكم مشترط العدالة

بالشهادة وعمل العالم المشترط لها رواية من لايروى الا عن عدل فانهم صرحوا في الاصول وعلوم الحديث ان هذه طرق التعديل ومعلوم ان دلالة هذه الصور على عدالة الراوى والشاهد التزامية فقول الثقة حديث صحيح يتضمن الاخبار بالقيود الخمسة والرواية لها ولايقال ان اخباره بانه صحيح اخبار على ظنه بحصول شرائط الصحة عند ظنه كما يدل له انه صرح زين الدين وغيره بان قول المحدثين هذا حديث صحيح اى فيما يظهر لنا عملا بظاهر الاسناد لا انه مقطوع بصحته في نفس الامر لانا نقول اخبار الثقة بان زيداً عدل اخبار عن ظنه بانه آت بالواجبات مجتنب للمقبحات بحسب مارآه من ذلك وأخبر مع جواز انه في نفس الامر غير مسلم لكن هذه التجويزات لايخاطب بها المكلف

فان قلت من شروط الصحيح السلامة من الشذوذ والعلة وليس مدرك هذين الامرين الاخبار بل تتبع الطرق والاسانيد والمتون كما أشار اليه السائل *

قلت أما اولا فالشذوذ والاعلال نادران والحكم للغالب لاللنادر ألا ترى ان الراجح العمل بالنص وان جوز انه منسوخ عملا بالاغلب وهو عدم النسخ وبرهان ندورهما يعرف من تتبع كلام أئمة الحديث على طرق الاحاديث من مثل البدر المنير وتلخيصه فانهم يتكلمون على ما قيل في الحديث فتجد القدح بالشذوذ والاعلال نادراً جداً بل قال السيد محمد بن ابراهيم في التنقيح ظاهر الحديث المعل السلامة من العلة حتى تثبت العلة بطريق مقبولة وأما ثانياً فقول الثقة هذا صحيح أى غير شاذ ولا معلل إخبار بأنه لم يقع في رواته راو ثقة خالف الناس فيه ولا وجدت فيه علة تقدح في صحته وهذا اخبار عن حال الراوى بصفة زائدة على مجرد عدالته وحفظه أو حال المتن بأن ألفاظه مصونة عن ذلك وليس هذا خبراً عن اجتهاد بل عن صفات الرواة والمتون فانه اخبار بانه تتبع أحوال الرواة حتى علم من أحوالهم صفات زائدة على مجرد العدالة وفي التحقيق هى عائدة الى تمام الضبط وتتبع مروياتهم حتى أحاط بالفاظها فالكل عائد الى الاخبار عن الغير لاعن الاجتهاد الحاصل عن دليل ينقدح له منه رأى : وأنت

اذا نظرت الى الائمة النقاد من الحفاظ كالحاكم أبي عبدالله وأبي الحسن الدارقطني وابن خزيمة ونحوهم كالمنذرى ونصحيحهم لاحاديث وتضعيفهم لاحاديث واحتجاجهم على الامرين مستنداً الى كلام من تقدمهم كيحيى بن معين واحمد بن حنبل وأبي عبدالله البخارى ومسلم وغيرهم من أئمة هذا الشان وانه ثبت له عنهم أو عن أحدهم انه قال فلان حجة أو ثبت أو عدل أو نحوها من عبارات التعديل وانهم قالوا في غيره انه ضعيف أو كذاب أو لاشيء أو نحوها ثم فرعوا على هذه الروايات صحة الحديث أو ضعفه باعتبار ماقاله من قبلهم فانه تجنب ابن اسحاق من تجنبه من أهل الصحاح بقول مالك فيه مع ان ابن اسحاق أمام أهل المغازى وقدحوا أيضاً في الحارث الاعور بكلام الشعبي فيه ولم يلقوا ابن اسحاق ولاالحارث بل قبلوا كلام من تقدم فيهم من الائمة واذا حققت علمت ان تصحيح البخارى ومسلم وغيرهما مبنى على ذلك وكذلك تضعيفهما فانهما لم يلقيا إلا شيوخهما من الرواة وبينهم وبين الصحابة وسائط كثيرون اعتمدوا فى ثقتهم وعدمها على الرواة من الائمة قبلهم فلم يعرفوا عدالتهم وضبطهم الا من أخبار أولئك الائمة فاذا كان الواقع من مثل البخارى في التصحيح تقليداً لانه بناه على اخبار غيره عن أحوال من صحح أحاديثهم كان كل قابل لخبر من تقدمه من الثقات مقلداً وان كان الواقع من البخارى من التصحيح اجتهاداً مع ابتنائه على خبر الثقات فليكن قولنا بالصحة لخبر البخارى المتفرع عن اخبار الثقات اجتهاداً فانه لافرق بين الاخبار بان هؤلاء الرواة ثقات حفاظ وبين الاخبار بان الحديث صحيح الا بالاجمال والتفصيل وكأنهم عدلوا عن التفصيل الى الاجمال اختصاراً وتقريباً لانهم لو أعقبوا كل حديث بقولهم رواته عدول حافظون رووه متصلا ولاشذوذ فيه ولاعلة لطالت مسافة الكلام وضاق نطاق الكتاب الذي يؤلفونه عن استيفاء أحاديث الاحكام فضلا عما سواها من الاخبار على ان هذا التفصيل لايخلو عن الاجمال إذ لم يذكر فيه كل راو على انفراده بصفاته بل في التحقيق ان قولهم عدل

معدول به عن آت بالواجبات مجتنب للمقبحات محافظ على خصال المروءة متباعد عن أفعال الخسة فعدلوا عن هذه الاطالة الى قولهم عدل فقولهم عدل خبر انطوت تحته عدة أخبار كما انطوت تحت قولهم صحيح * اذا عرفت هذا تبين لك صحة قول صاحب الروض الباسم وانه الصواب فيما نقله السائل عنه ومثله قوله في التنقيح انه ان نص على صحة الحديث أحد الحفاظ المرضيين المأمونين فيتبل منهم ذلك للاجماع وغيره من الادلة الدالة على قبول خبر الآحاد ذلك مبين في موضعه ولايجوز ترك ذلك متى تعلق الحديث بحكم شرعي

فصل

اذا عرفت ماقررناه فاعلم انه لامانع لمن وجد فى هذه الاعصار حديثاً لم يسبق عليه كلام امام من الائمة بتصحيح ولاغيره فتتبع كلام أئمة الرجال في أحوال رواته حتى حصل له من كلامهم ثقة روايته أو عدمها فجزم بايهما على الحديث كما جزم من قبله من أئمة التصحيح والتضعيف من مثل البخارى وغيره ومستنده في ذلك مستند من قبله كما أوضحناه * غاية الفرق انه كثر الوسائط في حقه لتأخر عصره فكانوا أكثر من الوسائط في حق من تقدمه لقرب عصرهم وهذا موجب لمشقة البحث عليه لكثرة الرواة الذين يبحث عن أحوالهم ولكن ربما كان ثوابهم أكثر لزيادة مشقة البحث هذا إن كانت طريق المتأخر هى الرواية وأراد معرفة أحوال شيوخه وتحقيقها حتى يبلغ الى مؤلف الكتاب الذى قرأه وأما اذا كانت طريقه الاجازة أو الوجادة فانه لاكثرة للوسائط أصلا بل هو كالقدماء فى ذلك وحينئذ فيكون مجتهداً فيما حكم بصحته مثلا فانه كما انه لامحيص عن القول بان تصحيح الائمة الاولين اجتهاد فانه أنما بنوه على مابلغ اليهم من أحوال الرواة ففرعوا عليه التصحيح وجعلوه عبارة عن ثقة الرواة وضبطهم كذلك لامحيص عن القول بان ماصححه من بعدهم الى يومنا هذا أو ضعفوه أو حسنوه حكمه حكم ماقاله الاولون من الائمة اذ الاصل فى

الكل واحد وهو قبول اخبار من سلف عن احوال الرواة وصفاتهم والا كان القول بخلاف هذا تحكما لا يقول به عالم واذا عرفت هذا عرفت ضعف ما قاله ابن الصلاح بل بطلانه من انه ليس لنا الجزم بالتصحيح في هذه الاعصار وقد خالفه النووي ورجح زين الدين كلام النووى وهو الحق ولعل القاضي شرف الدين اغتر بكلام ابن الصلاح في هذا الطرف: واما قول القاضى ان القول بتصحيح الائمة الماضين والعمل عليه تقليد لهم فلا اعلم فيه سلفا بل الحق ما قررناه لك من قول الامام صاحب العواصم رحمه الله :

فصل

واما قول القاضي رحمه الله انه احال جماعة من المتأخرين الاجتهاد المطلق لتعسر التصحيح والاهلية لذلك فكلام لا يليق صدوره عن مثله فانه علل الاحالة بالتعسر وغير خاف على ناظر انه لو سلم التعسر لبعض طرق لا يصير محالا غايته انه يصير متعسرا لا محالا ولكن قد اطبقت عامة اهل المذاهب الاربعة في هذه الاعصار وما قبلها على ماقاله القاضى شرف الدين واشتد منهم النكير على مدعى الاجتهاد من علمائهم قائلين انه قد تعذر ذلك من بعد الائمة الاربعة وضاق مجال الاجتهادولم يبق فيه لمن بعدهم سعة واطالوا ذلك بما لا طائل تحته فانه غير خاف على من له نباهة ان هذا منهم تهويل ليس عليه تعويل ومجرد استبعاد لا تهول قعاقعة الاذكياء النقاد وكأن اولئك المستبعدين لما رأوا كثرة اتباع الائمة المتقدمين وعظمتهم لما وهب الله لهم من العلم والدين في صدور الاعيان من المتأخرين ظنوا انهم غير مخلوقين من سلالة من طين ولو نظروا بعين الانصاف وتتبعوا احوال الاسلاف والاخلاف لعلموا يقينا ان في المتأخرين عن اولئك الائمة من هو اطول منهم في المعارف باعا واكثر فى علوم الاجتهاد اتساعا قد قيضهم الله لحفظ علوم الاجتهاد من كل ذى همة صادقة ونية صالحة

من العباد قد قربوا للمتأخرين منها كل بعيـد ومهدوها لهم كل تمهيد فمنهم من قيضه الله لتتبع علم اللغة من افواه الرجال ومن السنة النساء والصبيان فى بطون الاودية ورؤوس الجبـال فرحل الى بواديهم ونزل معهم في موارد مياههم ومراعي مواشيهم وتتبعهم في البوادى والقفار وواصلهم تحت الاشجار والاحجار ولازمهم في الليـل والنهار وصـاحبهم في الاوطان ورافقهم في الاسفار وقام باقامتهم في المضـارب والخيام وبيوت الشعر والتلول والاكام يعرف ذلك من نظر في رحلة الاصمعي والازهرى وغيرهما من كل ذى همة سري حتى جمعوا فنونها واناطوا معانيها واجروا عيونها واظهروا مخزونها حتى اصـبحت بحارا ذاخرة ورياضـا ناضرة وانواعا متكاثرة ومؤلفات فاخرة قد فاق من عرفها من لاقى قس بن ساعدة وسحبان وصار دونه من اختلط بالعرب العرباء في كل مكان وعلم اللغة بانواعه هو عمدة علوم الاجتهاد وبالتبحر فيه وعدمه تتفاوت النقاد والقى الله في قلوب اقوام محبة السنة النبوية والاثار السلفية ورزقهم هما تناطح السماك وتطاول الاطلس من الافلاك فارتحـلوا لطلبها من الاقطار وفارقوا الاوطان والاوطار وطووا في حبها الفيافى والقفار وقنعوا من الدنيا بالكفاف وتركوا لغيرهم اللذات والاتراف واتخذوا الزهد شعارا والقناعة دثارا فسهر الاجفان الذ اليهم واطيب من المنام والجوع اشهى من الامتلاء من نفيس الطعام يرتحلون لسماع الحديث الواحد من الاقطار الشاسعة ويطلبون من الاقاليم المتباعدة الواسعة ففي مثلهم يقال

طوراً تراهم في الصعيد ... وتارة في أرض آمـد

فيبتغون من العلوم ... بكل أرض كل شارد

يدعون أصحاب الحديث ... بهم تجملت المشاهد

فهذا ابو عبد الله البخارى رحل بعد احاطته بحديث شيوخ بلدته الى الشام والـكوفة والبصرة وبلخ وعسقلان وحمص ودمشق وكتب عن الف شيخ وثمانين شيخا وجمع للمسلمين هذه الاحاديث التى تتبعها من الآفاق وصحب في تطلبها

الرفاق بعد الرفاق في كتابه الجامع الصحيح بقراءة المحدث قراءة تحقيق واتقان في أشهر شهرة الزمان (١) وغيره من أئمة هذا الشأن لهم أكمل منة على أهل الايمان فانهم تعبوا في جمع الاحاديث للمتأخرين وورعوا أوقاتهم في تحصيل ما فيه نفع المسلمين حتى لم يبق لهم وقت لغير نسخ الحديث أو السماع ففي النبلاء في ترجمة الامام الحافظ عبد الرحمن بن أبي حاتم صاحب التفسير والجرح والتعديل والمسند الذي الفه فى الف جزء قال كنا في مصر سبعة أشهر لم نأكل فيها مرقة كل نهارنا نقيم بمجالس الشيوخ وباليل النسخ والمقابلة قال فاتينا يوما أنا ورفيق لى شيخا فقالوا انه عليل فرأينا فى طريقنا سمكة اعجبتنا فاشتريناها فلما وصلنا الى البيت حضر وقت المجلس فلم يمكنا اصلاحه ومضينا الى المجلس ولم نزل حتى مضى عليه ثلاثة أيام وكاد ان يتغير فاكلناه نيا لم يكن لنا فراغ ان نعطيه من يشويه ثم قال لا يستطاع العلم براحة الجسم وفى مثلهم يقال :

ان علم الحديث علم رجال   تركوا الابتداع للاتباع

فاذا جن ليلهم كتبوه   واذا اصبحوا غدوا للسماع

فأئمة الحديث جعل الله غذاءهم ولذتهم قراءة الحديث وكتابته ودراسته وروايته ورزقهم حفظا يبهر العقول ويكاد ان لا يصدقه من يسمع ما حكى عنهم في ذلك من المنقول حفظ الله تعالى بهم السنة. وبهم يتم على عباده كل منة قد حفظوا الفاظ الاحاديث كحفظ القرآن واحرزوا كل لفظ منه بتحقيق واتقان والفوا فيها الجوامع النافعة والمسانيد الواسعة ثم تعبوا في احوال الرواة وصفاتهم ورحلتهم ومواليدهم وبلدانهم ووفاتهم حتى صار من عرف تراجمهم واحوالهم كأنه شاهدهم وزاحمهم بل صار أعرف باحوالهم من المشاهد لهم والمعاصر لانه قد يخفى على من عاصرهم بعض احوال من عارضه وشاهده وأما من طالع تراجمهم وتلقى عن الثقات اخبارهم فانه يراهم قد جمعوا من احوالهم وصنفوا من

---

(١) قوله بقراءة المحدث الخ هكذا الاصل ولعل صواب العبارة هكذا بقرأه المحدث قراءة تحقيق واتقان في أشهر من الزمان والله أعلم

تعيين آثارهم ورحلهم ويقظتهم ومنامهم وتتبعوا احوالهم من كل عارف موافق ومخالف حتى اجتمع لمن قرأ أخبارهم ما لم يجتمع لمن شاهدهم من الاوصاف وهذا أمر لا ينكره الا من حرم الانصاف

الا ترى ان من عرف تراجم الائمة الستة أهل الامهات من كتب أئمة التاريخ عرف احوالهم واوصافهم كانه لاقاهم ورآهم لقاء خبرة ورؤية مخالة وحصل له من الاطمئنان باقوالهم ويقر في قلبه من امامتهم في الدين وعظم نصحهم للمسلمين ما لا يحوم حوله قدح قادح ولا جرح جارح حتى لو جاءه من ينازعه في حفظ البخاري وتقواه لما لفت ذلك في عضد يقينه بحفظه وهداه وكذلك غيره من الائمة ومثلهم الرواة فان الله يسر أقواماً جعل هممهم العالية وافكارهم الصافية مصروفة الى تتبع احوال رجال الحديث ورواته في القديم والحديث ثم الفوا في الرجال ما يطلع الناظر على كل ما يقال من جرح وتعديل . قال وقيل فذللوا للمتأخرين ما كان صعباً وصيروا بهمتهم ما كان ضيقاً واسعاً رحباً جمعوا ما كان متفرقاً ولفقوا ما كان ممزقاً قد قربوا العلوم الحديثية أتم تقريب باكمال وتقريب وتهذيب فاجتمع للمتاخرين من احوال المتقدمين اجتماعاً لم يتم للاولين فانها اجتمعت لهم معارف العارفين واقوال المتخالفين وكل من الائمة ما زال حريصاً على تقريب المعارف للمسلمين حتى الفوا الكتب على حروف المعجم في الرجال والمتون واتوا بما لم يأت به الاولون فلم يبق للمتأخرين الا الاقتطاف لثمرات المعارف والارتشاف بكؤوس قد اترعها لهم كل امام عارف ابقاء لحجة الله على العباد وحفظا لعلوم الدين الى يوم المعاد

فصل

اذا عرفت هذا فكيف بحال في حق المتاخرين الاجتهاد المطلق لتعسر بعد هذه الاشياء التى ساقها الله الى ائمة الاجتهاد على ايدى اهل الحفظ والورع والانتقاد الا ترى انك لو وجدت حديثا في مسند ابن ابي شيبه أو عبد الرزاق أو غيرهما

ولم تجد فيه كلاما لاحد ائمة الحديث باحدى الصفات الثلاث ورأيت من رواية الحجاج بن ارطاة مثلا فانك تحكم بضعفه لكلام الائمة في الحجاج كما يحكم بذلك الدار قطني والمنذري مثلا وما لاقاه الدار قطنى ولارآه بل وقف على ما وقفت عليه من كلام ائمة الجرح * غاية الفرق انها قد تكون طريق الدار قطنى في ذلك السماع وطريقك الوجادة وهذا لا يخرجك عن جواز التكلم بما تكلم به أو وجدت حديثا كذلك ثم نظرت كلام ائمة التعديل في رجاله فوجدتهم موثقين فاى مانع لك عن تصحيحه مثلا كما يفعله الحافظ المنذرى وابن حجر فانهما يتكلمان على عدة من الاحاديث تصحيحا وتحسينا وتضعيفا وطريقهما في ذلك تتبع اقوال ائمة الجرح والتعديل في رجاله كما انها طريقة الناظر فى هذه الاعصار وهما لم يلقيا الا شيوخهما كما انك لم تلق الا من رويت عنه أو قرأت عليه ان كانت طريقك القراءة لا الوجادة او الاجازة

فصل

قد علمت مما سقناه ان الله وله الحمد والمنة قد قيض للمتأخرين أئمة من المتقدمين جمعوا لهم العلوم اللغوية والحديثية من الافواه والصدور وحفظوها لهم في الاوراق والسطور وذللوا لهم صعاب المعارف وقادوها الى كل ذكى عارف ودونوا الاصول واللغة بأنواعها مع انتشارها واتساعها وادخلوا علوم الاجتهاد لاهلها من كل باب تارة بايجاز وتارة باسهاب واطناب وهذا شيء لا شك فيه ولا ارتياب ولا يجهله الا من ليس من اولى الالباب الذين نحوهم يساق هذا الخطاب

وبعد هذا فالحق الذى ليس عليه غبار الحكم بسهولة الاجتهاد في هذه الاعصار وانه اسهل منه في الاعصار الخالية لمن له في الدين همة عالية ورزقه الله

فهما صافيا وفكرا صحيحا ونباهة في علمي السنة والكتاب فان الاحاديث في الاعصار الخالية كانت متفرقة في صدور الرجال وعلوم اللغة في افواه سكان البوادى ورؤوس الجبال حتى جمعت متفرقاتها ونفقت ممزقاتها حتى لا يحتاج طالب العلم في هذه الاعصار الى الخروج من الوطن والى شد الرحل والظعن فياعجباه حين تفضل الله بجمعها من الاغوار والانجاد وسهل سياقها للعباد حتى اينعت رياضها واترعت حياضها واجريت عيونها وتهدلت بثمراتها غصونها وفاض فى ساحات تحقيقها معينها واشتد عضدها وجل ساعدها وكثر معينها تقول تعذر الاجتهاد ما هذا والله الا من كفران النعمة وجحودها والاخلاد الى ضعف الهمة وركودها الا انه لابد مع ذلك اولا من غسل فكرته عن ادران العصبية وقطع مادة الوساوس المذهبية وسؤال للفتح من الفتاح العليم وتعرض لفضل الله فان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

فالعجب كل العجب ممن يقول بتعذر الاجتهاد فى هذه الاعصار وانه محال ما هذا الا منع لما بسطه الله من فضله لفحول الرجال واستبعاد لما خرج من يديه واستصعاب لما لم يكن لديه وكم للائمة المتاخرين من استنباطات رائقة واستدلالات صادقة ما حام حولها الاولون ولا عرفها منهم الناظرون ولا دارت في بصائر المستبصرين ولا جالت في افكار المفكرين

فصل

ومن هذا نعرف انه لا فرق بين اجتهاد من ذكره السائل من العلامة الجلال والمقبلى واجتهاد من تقدمهما من الائمة الاربعة الذين اتفقت الامة على اجتهادهم وان مرجعهما في تصحيح الاحاديث ليس بتقليد لائمة التصحيح بل قبول رواية وهذا الشافعى رضي الله عنه اتفقت الامة على اجتهاده ومرجعه في صحة الاحاديث وعدمها الى ائمة الحديث فانه يقول فى مواضع اذا لم يعمل بالحديث انه لم يرتض

رواية هذا الحديث ونحو هذه العبارة في محلات من تلخيص ابن حجر وتيسير البيان وغيرهما من الكتب المجموعة لسرد الادلة والتفتيش عن احوال رجالها كقوله فى حديث بهز بن حكيم في الزكاة وهذا الحديث لا يثبته اهل العلم بالحديث وهذا هو بعينه ما يقوله الجلال والمقبلى وكل من تقدمهما وقدمنا لك ان البخارى نفسه انما يعتمد ويضرع في التصحيح وغيره على أقوال من تقدمه من الرجال وانه لم يلق الا شيوخه والذين رواه عنهم وصحح لهم اضعاف أضعاف شيوخه وحينئذ يعرف الناظر أنه لا فرق بين المتقدمين والمتأخرين الا بكثرة الوسائط وقلتها وسيلان الاذهان وجمودها وحركات الهمم وركودها والفضل بيد الله لا مانع لما اعطى ولا معطى لما منع

وأما قول القاضى رحمه الله انه لم يتيسر في الاعصار المتأخرة الا ترجيح بعض المذاهب على بعض باعتبار قوة الدلالة أو كثرة من صحح أو جلالته فجوابه ان هذا الذى سماه ترجيحا هو الاجتهاد المطلق انما ذنب المتأخر انه تأخر زمنه عن زمان من قال بالقول الراجح والمرجوح فنظر كنظر من قبله من المجتهدين وجزم باحد القولين نظرا الى الدليل فسميتموه ترجيحا لقول غيره وليس كذلك فافرضوا انه لم يتقدمه أحد فانه لو كان زمانه سابقا ورأيتم ما ادعاه وما اقامه من البراهين على دعواه لقلتم أنه مجتهد مطلق ولا يخفى ان تقدم الزمان وتأخره لا اثر له في جميع الادلة والاستنباط منها قطعا بل قد أوضحنا لك ان الله قد جمع شمل الادلة للمتأخرين ولكنكم نظرتم الى تأخر زمانه وانه قد قال بما جنح اليه قائل قبله فقلتم ان هذا المجتهد الآخر رجح ما قاله من قبله بقوة الدلالة أو نحوها قلنا هو عين الاجتهاد ولا يضرنا تسميتكم له ترجيحا

فصل

وأما ما أشار اليه السائل دامت افادته من انه قد يختلف كلام امامين من أئمة الحديث فيضعف هذا حديثا وهذا يصححه ويرمي هذا رجلا من الرواة

بالجرح وآخر يعدله فهذا مما يشعر بان التصحيح ونحوه من مسائل الاجتهاد الذي اختلفت فيه الآراء، فجوابه ان الامر كذلك أي انه قد تختلف أقوالهم فانه قال مالك في ابن اسحاق انه دجال من الدجاجلة وقال فيه شعبة انه أمير المؤمنين في الحديث وشعبة أمام لا كلام في ذلك وامامة مالك في الدين معلومة لا تحتاج برهانا فهذان امامان كبيران اختلفا في رجل واحد من رواة الاحاديث.
ويتفرع على هذا الاختلاف في صحة حديث من رواية ابن اسحاق وفي ضعفه فانه قد يجد العالم المتأخر عن زمان هذين الامامين كلام شعبة وتوثيقه لابن اسحاق فيصحح حديثا يكون من رواية ابن اسحاق قائلا قد ثبتت الرواية عن امام من أئمة الدين وهو شعبة بان ابن اسحاق حجة في روايته وهذا خبر من شعبة يجب قبوله وقد يجد العالم الآخر كلام مالك وقدحه في ابن اسحاق القدح الذي ليس وراءه وراء ويرى حديثا من رواية ابن اسحاق فيضعف الحديث لذلك قائلا قد روى لي امام وهو مالك بان ابن اسحاق غير مرضي الرواية ولا يساوي فلسا فيجب رد خبر فيه ابن اسحاق فبسبب هذا الاختلاف حصل اختلاف الائمة في التصحيح والتضعيف المتفرعين عن اختلاف ما بلغهم من حال بعض الرواة وكل ذلك راجع الى الرواية لا الى الدراية فهو ناشيء عن اختلاف الاخبار فمن صحح أو ضعف فليس عن رأي ولا استنباط كما لا يخفى بل عمل بالرواية وكل من المصحح والمضعف مجتهد عامل برواية عدل فعرفت ان الاختلاف في ذلك ليس مداره على الرأي ولا هو من ادلة ان مسألة التصحيح وضده اجتهاد نعم وقد يأتي من له فحولة ونقادة ودراية بحقائق الامور وحسن ذو وسعة اطلاع على كلام الائمة فانه يرجع الى الترجيح بين التعديل والتجريح فينظر في مثل هذه المسألة الى كلام الجارح ومخرجه فيجده كلاماً خرج مخرج الغضب الذي لا يخلو عنه البشر ولا يحفظ لسانه حال حصوله الا من عصمه الله فانه لما قال ابن اسحاق اعرضوا على علم مالك فانا بيطاره فبلغ مالكا فقال تلك

الكلمة الجافية التي لولا جلالة من قالها وما نرجوه من عفو الله من فلتات اللسان عند الغضب لكان القدح بها فيمن قالها أقرب الى القدح فيمن قيلت فيه فلما وجدناه خرج مخرج الغضب لم نره قادحا فى ابن اسحاق فانه خرج مخرج جزاء السيئة بالسيئة على ان ابن اسحاق لم يقدح في مالك ولا فى علمه غاية ما أفاد كلامه انه أعلم من مالك وانه بيطار علومه وليس فى ذلك قدح على مالك :
ونظرنا كلام شعبة في ابن اسحاق فقدمنا قوله لانه خرج مخرج النصح للمسلمين ليس له حامل عليه الا ذلك وأما الجامد فى ذهنه الابله في نظره فانه يقول قد تعارض هنا الجرح والتعديل فيقدم الجرح لان الجارح أولى وان كثر المعدل وهذه القاعدة لو أخذت كلية لم يبق لنا عدل الا الرسل فانه ما سلم فاضل من طاعن من ذلك لا من الخلفاء الراشدين ولا أحد من أئمة الدين كما قيل

فما سلم صديق من رافض ولا نجا من ناصبي علي
وما سلم الله من بريته ولا رسول الله فكيف انا

القاعدة ظاهرية يعمل بها فيما تعارض فيه الجرح والتعديل من المجاهيل على ان لك ان تقول كلام مالك ليس بقادح في ابن اسحق لما علمت انه خرج مخرج الغضب لا مخرج النصح للمسلمين فلم يعارض فى ابن اسحق جرح

وأعلم ان ذكرنا لابن اسحق والكلام فيه مثال وطريق يسلك منه الى نظائره واذا عرفت هذا فهو الترجيح لا يخرج ماذكرناه عن كونه من باب قبول اخبار العدول بل هو منه انما لما تعارض الخبران عندنا فى حال هذا الراوي تتبعنا حقائق الخبرين ومحل صدورهما والباعث على التكلم بهما فظهر الاعتماد على احدهما دون الآخر فهو من باب قبول الاخبار فهكذا يلزم الناظر البحث عن حقائق الاحوال وعن الباعث عن صدورها من افواه الرجال فانه يكون كلامه بعد ذلك اقوم قيلا واحسن دليلا واوفق نظراً واجل قدرا فمن عمل برواية التعديل والتزكية ومن يعمل برواية القدح والتجريح وان كان الكل قابلين لاخبار العدول عاملين بما يجب عليهم من قبول خبر المنقول فالكل مجتهدون

ولكن تخالفت الآثار وتفاوتت الانظار ومن هنا ونحوه وقع اختلاف المجتهدين في عدة مسائل من امهات الدين والكل مأجورون بالنص الثابت منهم من له اجر ومنهم من له اجران

ومن هنا علمت ان اختلاف الائمة في تصحيح خبر من امام وتضعيفه من امام آخر ناشىء عما تلقوه من اخبار العدول عن الرواة فهذا لامام لم يبلغه عن الرواة هذا الخبر الذى حكم بصحته الا العدالة والضبط فصحح اخبارهم ولهذا تجد من يتعقب بعض الاحاديث التى صححها أمام بقوله كيف تصحيحه وفيه فلان كذاب ونحو هذا ومعلوم ان من صحح هذا الحديث لم يبلغه ان في رجاله كذابا وهذا لامام بلغه من احوال رواة ذلك الخبر أو بعضهم عدم العدالة وسوء الحفظ أو انقطاع الخبر أو شذوذه حكم عليه بعدم الصحة وهذا معروف من جبلة العباد وطبائعهم فمن الناس من يغلب عليه حسن الظن في الناس وتلقي اقوالهم بالصدق ومن الناس من له نباهة وفطنة وطول خبرة لاحوال الناس فلا يكتفى بالظاهر بل يفتش عن الحقائق فيقع على الحق والصواب ولذا اطبق النقاد أن ماصححه الشيخان مقدم على ما صححه غيرهما فى غير ما انتقد عليهما كما يأتى عند التعارض ثم ما انفرد البخارى بتصحيحه مقدم على ما انفرد به مسلم ماذاك الا لحذاقة البخارى ونقادته ومعرفته باحوال الرواة وغيره ممن صحح يقبلون تصحيحه ويجعلونه في رتبة اعلى من رتبة ما صححه البخارى (١) فهذا التفاضل نشأ من زيادة الاتقان لاحوال المخبرين الا ترى ان الشافعى رضي الله عنه مع امامته يروي عن ابن ابى يحيى ويعبر عنه بالثقة وغيره يقدحون فيه ويتجنبونه في الصحاح وذلك من الاختلاف فى اخبار المخبرين عنه فالشافعى رضى الله عنه ثبت له عدالته وضبطه ويأتى فيه ما اسلفناه من انه لو عمل برواية احد الراويين لترجيح قوي عنده عضد ما يعرفه من حال الراوي جاز

(١) هكذا الاصل ولعل صوابه هكذا : وغيره أى البخاري ممن صحح يقبلون تصحيحه ويجعلون ما صححه البخاري في رتبة اعلا من رتبته فهذا الخ

ذلك فوثقه وغيره ثبت له غير ذلك فتجنبوه والكل عائد الى اختلاف المخبرين

فصل

واذا تقرر لك ماحققناه من ان المصححين والمحسنين والمضعفين رواة أحوال رجال الاسناد يعبرون عن ثقتهم وضبطهم واتصال ماروه وسلامته من الشذوذ والعلة بقولهم صحيح ويعبرون عن خلافه بضعيف : وعما بين الامرين بحسن كما عرف ذلك من علم أصول الحديث فهم رواة مخبرون عن أحوال الرواة للحديث فلابد حينئذ من معرفة أحوالهم كمعرفة أحوال رجال المتن وقداختلفوا فى مايروونه كاختلاف رواة المتون فمنهم من يصحح الحديث فيأتي من يتبع رجال ذلك الحديث فيجد في رجاله من ليس بصفة رواة الصحيح ولذا ترى النقاد من أئمة هذا الشان يقولون في الاعتراض على بعض المصححين كيف يجزم بصحته وفي رواته فلان كذاب وكذا وكذا من التى لايصح معها تصحيح روايته* وهذا كثير جداً فيما يصححه الحاكم ويوجد قليلا فيما يصححه الترمذى وحينئذ فلابد من التفطن لاحوال المخبرين بالصحة ونحوها وانه لابد فيهم من النباهة وعدم التغفيل وصدق الديانة والنصيحة للمسلمين فان كان المخبر بالصحة مثل أبى عبدالله البخارى ومسلم ومن في طبقتهما ومن خرج على كتابيهما فخبره بالصحة مقبول قد تتبع أئمة هذا الشان وفرسان هذا الميدان ماصححه الشيخان فوجدوه مبنياً على أساس صحيح وخبرة بالرواة ومعرفة واتقان وان وجد الشيء اليسير في رجالهما مما انتقده الحفاظ من بعدهما كانتقاد الحافظ أبى الحسن الدارقطنى على الشيخين فان مجموع ماانتقده عليهما من الاحاديث مائة حديث وعشرة انفرد البخارى منها بثلاثة وسبعين حديثاً واشترك هو ومسلم فى اثنين وثلاثين حديثاً وقد أجاب عنه غيره من الحفاظ بأجوبة فيها الغث والسمين وجملة من قدح فيه من رجال البخارى ثلثمائة وثمانية وتسعون وقد دفع الحافظ ابن حجر ماقدح به فيهم بعضه فيه تكلف وبعضه واضح لكن اذاعرفت عدة

ما اشتمل عليه الكتابان من الاحاديث الصحيحة والرجال الموثقين علمت ان صحة مافيها الاغلب هي فالحكم له فيعمل بما فيها مالم يظن أو يعلم انه من المغلوب وذلك لان العمل بالظن والظن يحصل باخبار من غالب اخباره الصدق ولا ينفت فيه تجويز انه غير صادق فيما اخبر بهمن الصحة مثلا وقد صرح ائمة اصول الحديث بانه لايترك الامن كثر خطاؤه ومعلوم ان خطأ صاحبي الصحيحين فى الاخبار بالصحة قليل جداً محصور كما ذكرناه فاما أهل اصول الفقه فانهم قائلون انه لايترك الا من كان خطاؤه اكثر من صوابه كما عرف

وبهذا التحقيق علمت مزية الصحيحين لابما ادعاه ابن الصلاح من تلقي الامة لهما بالقبول فانه قول غير مقبول قد حققنا فى ثمرات النظر في علم الاثر بطلانه بمالا مزيد فيه ومثله في البطلان قول العلامة الجلال في ديباجة ضوء النهار انه يجب العمل بما حسنوه او صححوه كما يجب العمل بالقرآن فانه كلام باطل قد بينا وجه بطلانه فى منحة الغفار حاشية ضوء النهار مع ان دعواه اعم من دعوى ابن الصلاح نعم وان كان المخبر بالصحة مثل ابى عبد الله الحاكم فقد تكلم الناس فيما اخبر به من الصحة واختلفوا فيه اختلافاً كثيراً ولهم في الاحاديث التى صححها فيمستدركه ثلاثة اقوال افراط وتفريط وتوسط فافرط ابو سعيد المالينى وقال ليس فيه حديث على شرط الصحيح وفرط الحافظ السيوطي فجعله مثل الصحيح و ضمه اليهما فى كتاب الجامع الكبير وجعل العزو اليه معلما بالصحة كالعزو الى الصحيحين وتوسط الحافظ ابو عبد الله الذهبي فقال فيه نحو الثلث صحيح ونحو الربع حسن وبقية ما فيه مناكير وعجائب

واذا عرفت هذا عرفت ان الاحوط الوقف في قبول خبر الحاكم بالصحة لانه صار كتابه غير غالبة عليه الصحة بل الصحيح فيه مغلوب وان كان المخبر بالصحة مثل ابي عيسى الترمذي فقد اثنى عليه الائمة وقالوا في كتابه ربع مقطوع(١) وربع على شرط ابى داود والنسائى وفيه غيرهما قد بين علته في كتابه

(١) لعله مقطوع به

وهذا ذكرناه لك معياراً ومقياساً وتمثيلا لاحوال رواة الصحة وانهم كرواة المتون فيهم الحجة الامام وفيهم من فيه لين و مسارعة الى الاخبار بالضعف والوضع كابن الجوزى فانه يسارع الى الحكم بالوضع في احاديث عالية الرتبة عن صفة الوضع وانتقده الائمة فابن الجوزي والحاكم أبو عبد الله في طرفي نقيض هذا يسارع الى الاخبار بالصحة وهذا يسارع الى الاخبار بالوضع فمن هنا يتعين على الناظر ذى الهمة الدينية البحث عن احوال الائمة كالبحث عن احوال رواة المتون ويطيل مراجعة التاريخ فانه بذلك يطلع على حقائق احوال ائمة هذا الشان ويرى مايوجب التوقف تارة والمضى أخرى والرد حيناً ما :

فصل

قد يصعب على من يريد درك الحقائق وتجنب المهاوى والمزالق معرفة الحق من اقوال ائمة الجرح والتعديل بعد ابتداع هذه المذاهب التى طال فيها القال والقيل وفرقت كلمة المسلمين وأنشأت بينهم العداوة والبغضاء الى يوم الدين وقدح بعضهم فى بعض وانتهى الامر الى الطامة الكبرى العظمى من التفسيق والتكفير وشب على ذلك من اهل المذاهب الصغير و شاب عليه الكبير كل هذا من آثار هذه الاعتقادات المبتدعة فى الاسلام والمجانبة لما جاء به سيد الانام عليه وعلى آله افضل الصلاة والسلام فترى اماما من العلماء العالمين يقدح في راو من حفاظ علوم الدين بانه كان يقول بخلق القرآن وتجد اماما آخر يقدح فى راو آخر بانه كان يقول بقدم القرآن وكذلك يقدحون بامور ليست عمدة فى الدين ولا يخرج المتصف بها عن زمرة المتقين ويقدحون بالقول بالقدر والارجاء والنصب والتشيع ثم تراهم يصححون احاديث جماعة من الرواة قد رموهم بتلك القوادح الا ترى ان البخارى أخرج لجماعة رموهم بالقدر كهشام بن عبدالله الدستوائى أخرج له البخاري وقد قال فيه محمد بن سعيد كان حجة الا أنه كان يرى القدر واخرج مالك لجماعة يرون القدر كما قاله ابن عبد البر في أنه سئل

مالك كيف رويت عن داودبن الحصين وثور بن يزيد وذكر له جماعة كيف رويت لهم ولقد كانوا يرون القدر قال كانوا لان يخروا من السماء على الارض اسهل من أن يكذبوا وكم في الصحيحين من جماعة صححوا احاديثهم وهم قدرية وخوارج ومرجئة .

اذا عرفت هذا فهو من صنيع أئمة الدين قد يعده الواقف عليه تناقضاً ويراه لما قرروه معارضاً ويفت عنده في عضد عظمة أئمـة هذا الشان ويظن التصحيح صادراً عن مجازفة من غير اتقان وليس الامر كذلك فانه اذا حقق صنيع القوم وتتبع طرائقهم وقواعدهم نفى عنهم اللوم وعلم أنهم أجل من ذلك قدراً وأدق نظراً وأنصـح لاهل الدين من جماعة الثغور المجـاهدين وأنهم لايعتمدون بعد ايمان الراوى الا على صدق لهجته وضبط روايته وقدأقمنابرهان هذه الدعوى في رسالة ثمرات النظر في علم الاثر برهاناً لايدفعه الا من ليس من الاذكياء ذوي النباهة والخطر

فصل

اذا عرفت هذا فاعلم ان هذه القوادح المذهبية والابتداعات الاعتقادية ينبغي للناظر أن لايلتفت اليها ولايعرج في القدح عليها فان القول بقـدم القرآن مثلا بدعة كما ان القول بخلقه بدعة وقد اختار الحافظ ابن حجر رحمه الله لنفسه وحكاه عن الجماهير غيره أن الابتداع بفسق لايقدح به في الراوي الاأن يكون داعية وهذه مسألة قبول فساق التأويل وكفار التأويل وقد نقـل في العواصم اجماع الصحابة على قبول فساق التأويل من عشر طرق ومثله في كفار التأويل من أربع طرق واذا عرفت ورأيت أئمة الجرح والتعديل يقولون فلان ثقـة حجة الا انه قدرى أو يرى الارجاء أو يقول بخلق القرآن أو نحو ذلك أخذت بقولهم ثقة وعملت به واطرحت قولهم قدري ولايقدح به في الرواية غاية ذلك انه مبتدع ولايضر الثقة بدعته من قبول روايته لما عرفت من كلام ابن حجر

ومن كلام مالك فان قولهم ثقة قد أفاد الاخبار بانه صدوق . وقولهم يقول بخلق القرآن مثلا اخبار بأنه مبتدع ولا تضرنا بدعته في قبول خبره

ومن هنا يتضح لك اختلال رسم العدالة الذي اتفق عليه الاصوليون والفروعيون وأئمة الحديث بأنها ملكة تحمل على ملازمة التقوى والمروءة وفسروا التقوى باجتناب الاعمال السيئة من شرك أو فسق أو بدعة وقد أوضحنا اختلاله فى ثمرات النظر وفى المسائل المهمة وفي منحة الغفار بما يعرف به انه رسم دارس وقول لا يعول عليه من هو لدقائق العلوم ممارس وان أطبق عليه الاكابر فكم ترك الاول والآخر وقد ناقضوه مناقضة ظاهرة بقبول فساق التأويل وكفاره والخوارج وغيرهم من أهل البدع المتكاثرة وبعد هذا فقد تقرر لك بما سقناه واتضح لك بما حققناه ان للناظر في هذه الاعصار أن يصحح ويضعف ويحسن كما فعله من قبله من الائمة الكبار فان عطاء ربك لم يكن محظوراً وافضاله الممدود ليس على السابق مقصوراً وان علوم الاجتهاد في هذه الاعصار أقرب تناولا منها فيما سلف من أزمنة الائمة النظار الا انه لا يخفى ان الاجتهاد موهبة من الله يهبه لمن يشاء من العباد فما كل من أحرز الفنون أجرى من قواعدها العيون ولا كل من عرف القواعد استحضرها عند ورود الحادثة التي يفتقر الى تطبيقها على الادلة والشواهد

وما كل من قاد الجياد يسوسها ولا كل من أجرى يقال له مجري

لكن على العبد طلب المعارف والتماسها من كل عارف وسهر الجفون في احراز دقائق الفنون واخلاص النية وطلب الفتح من بارى البرية فالخير كله بيده ولا يلتمس الا من عنده وكم قد رأينا وسمعنا من زكى عارف أمام يضيق عطن بحثه عند ورود حادثة من الاحكام فيتبع أقوال الرجال تقليداً ويعود عندها مقلداً مبلداً كأنه ماغرف من بحار الفنون ولا عرف شيئاً من تلك الشئون نسأل الله أن يعلمنا ماجهلناه ويذكرنا مانسيناه ويرزقنا العمل بما علمنا ويلهمنا الى العلم بما جهلنا انه ولي كل خير واليه تعالى بالعلم والعمل القصد والسير وهو

المقصود في النهاية والابتدا وان الى ربك المنتهى * ومنه نستمد الهداية والتوفيق في كل بداية ونهاية وقد طال المقال وخرج عن مطابقة مقتضى السؤال وان لم نخرج عن مطابقة مقتضى الحال فالمقام جدير بالاطالة والاسهاب حقيق بالزيادة على هذا الاطناب اذ الكلام في قواعد دينية ومباحث حديثية وخوض فيما هو من أساس الدين وعليه دوران فلك اجتهاد المجتهدين وكما قال

وقد أطال ثنائي طول لابنه ان البناء على التنبال تنبال

اذا عرفت ماقررناه فاعلم ان الذى سهل الاجتهاد والآن منه الصعاب الشداد هو ماقدمنا لك من سعي أئمة الدين في جميع علوم الاولين وجمعها بعد الشتات في نفائس المصنفات فلنكثر لهم الدعاء ولنحسن عليهم الثناء ولانكن من كفار النعم وأشباه النعم: وانما يعرف الفضل لاولى الفضل من هو منهم واليه أشار من قال:

اذا أفادك انسان بفائدة من العلوم فأكثر شكره أبدا

وقل فلان جزاه الله صالحة أفادنيها وخل اللؤم والحسدا

وبهذا يبطل تشنيع الجهال بأن من خالف الاوائل في بعض المسائل قد ادعى الترفع عليهم وقال انه أعلم منهم وهذا خيال باطل وسوء ظن حاصل وإلا لزم ان التابعين قد ادعوا الفضل على السابقين الاولين من الانصار والمهاجرين وان الائمة المتأخرين قد ادعوا ان لهم الفضل على المتقدمين وهيهات مازال الفضل للمتقدم معروفاً ومابرح السابق بالتفضيل موصوفاً:

ولو قبل مبكاها بكيت صبابة بسعدى شفيت النفس بعد التندم

ولكن بكت قبلي فهيج لى البكا بكاها فقلت الفضل للمتقدم

ثم اعلم ان هنا زيادة افادة لطالب الرشاد الحقناها بارشاد النقاد وهو انه قد ظهر لك بما قررناه سهولة الاجتهاد وتيسره لاهل الهمة الامجاد فلنذكر شرائطه وكيفية تحصيله لاهل الذكاء من العباد فنقول قال الامام الكبير محمد بن إبراهيم الوزير صاحب كتاب العواصم والقواصم في الذب عن سنة ابي القاسم

في كتاب القواعد ما لفظه اعلم انه قد كثر استعظام الناس في هذا الزمان الاجتهاد واستبعادهم له حتى صار كالمستحيل فيما بينهم وما كان السلف يشددون هذا التشديد العظيم وليس هو بالهين ولكنه قريب مع الاجتهاد أي في تحصيله وصحة الذوق والسلامة من آفة البلادة ثم ذكر خمسة شروط بعد ان ابطل شرطية معرفته علم الكلام وانه علم مبتدع لم يعهد فى عصر النبوة ولا عهد الصحابة ثم عد خمسة ولم يرتبها كما نسوقه

الاول معرفة علم العربية قال ويكفى فيه قراءة كتاب مثل مقدمة الشيخ ابن الحاجب قراءة فهم واتقان وهذا على الاحتياط لا على الايجاب وذلك لان في العربية مالا بد من معرفته وفيها ما لا يحتاج الى معرفته مثال مالا يحتاج الى معرفته كلامهم فى عامل المستثنى ما هو ولم ارتفع الفاعل وانتصب المفعول ونحو ذلك مما لم يعرفه العرب بل قد نقل عن ابي الحسين البصرى انه قال ليس الشرط بعد معرفة الكتاب والسنه الا اصول الفقه وان اهل اصول الفقه قد نقلوا عن العربية والمعانى والبيان ما يحتاج اليه المجتهد انتهى كلام ابي الحسين

الشرط الثاني معرفة اصول الفقه وهو رأسها وعمودها بل اصلها واساسها بل سمعت عن ابى الحسين البصرى صاحب كتاب المعتمد في اصول الفقه انه لا يشترط سواه بعد معرفة الكتاب والسنة

الشرط الثالث معرفة علم المعانى والبيان وقد اختلف فيه هل هو شرط أم لا قال السيد محمد والحق ان فيه ما هو شرط في بعض المسائل كالعربية وفيه ما ليس بشرط البتة وقد نقل أهل الاصول اكثر ما يحتاج اليه وقد تختلف عبارتهم والمعنى واحد

الشرط الرابع معرفة الآيات القرآنية الشرعية وقد قيل أنها خمسمائة آية وما صح ذلك وانما هى مائتا آية أو قريب من ذلك ولا اعرف احداً من العلماء أوجب حفظها غيباً بل شرطوا ان يعرف مواضعها حتى يتمكن عند الحاجة من الرجوع اليها فمن نقلها الى كراسته وافردها كفاه ذلك

الخامس معرفه جملة من الاخبار النبوية ويكفى فيها معرفة كتاب جامع مثل الترمذى وسنن ابى داود والبخارى ومسلم وفيها ما لا يجب معرفته على مجتهد لانها جامعة لاخبار النبي صلى الله عليه وسلم ومغازيه وبعوثه ولماورد من تفسير القرآن الكريم من كلامه ولذكر الرقائق والجنة والنار واحوال القيامة والفتن والاداب والفضائل وقصص الانبياء المتقدمين وغير ذلك مما لا يحتاج اليه المجتهد: والذي يدل على ان جملة من الاخبار تكفيه ولا يجب الاحاطة بها ان الصحابة قد صح اجتهادهم في احكامهم ولم يحيطوا بها علما وكذلك التابعون وائمة الاسلام ولم يعلم ان احدا احاط بها ولذا قال الشافعى رضى الله عنه علمان لا يحيط بهما احد الحديث واللغة وهذا صحيح وهو قول الجماهير والخلاف فيه شاذ قال والاولى من مريد الاجتهاد ان يعرف كتاباً من كتب الاحكام التى اقتصر اهلها على ذكر احاديث التحليل والتحريم وجمعوا جميع ما فى الكتب الصحاح من ذلك وبينوا الصحيح من السقيم وعد كتباً من ذلك ثم قال وانفعها كتاب تلخيص المختصر للحافظ ابن حجر فلا شك في كفايته للمجتهد وزيادة الكفاية انتهي كلامه رحمه الله : ويأتيك قريبا من اقوال الائمة الاربعة وغيرهم ما ينادى على انهم لم يحيطوا بالاحاديث النبوية وانهم صرحوا بان قولهم اذا خالف الحديث رددنا قولهم وعملنا بالحديث قلت وقد منع ائمة الدين معارضة سنة سيد المرسلين باقوال غيره من الائمة المجتهدين اولهم خير الامة وبحر علم الكتاب والسنة عبد الله بن عباس رضى الله عنه فانه روى الاعمش عن فضل ابن عمرو عن سعيد بن جبير قال تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عروة نهى ابو بكر وعمر عن المتعة قال ابن عباس اراكم سيهلكون : اقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون قال ابو بكر وعمر رضي الله عنهما : وقال عبد الرزاق حدثنا معمر عن ايوب قال عروة لابن عباس رضى الله عنهما الا تتقى الله ترخص فى المتعة فقال ابن عباس سل أمك يا عروة فقال عروة أما ابو بكر وعمر فلم يفعلا قال ابن عباس رضى الله عنه ما والله لراكم منتهين حتى

يعذبكم الله احدثكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحدثونا عن ابى بكر وعمر: وفى صحيح مسلم عن ابن ابى مليكه ان عروة بن الزبير قال لرجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يأمر الناس بالعمرة فى هؤلاء الاشهر وليس فيها عمرة فقال الا تسأل امك عن ذلك فقال عروة ان ابا بكر وعمر لم يفعلا ذلك قال الرجل من ههنا هلكتم ما ارى الله الا يعذبكم احدثكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتخبرونى بابي بكر وعمر : ومراد ابن عباس ان عروة بن الزبير يسأل امه اسماء بنت ابى بكر فانها شهدت حجة الوداع وولدت في سفرها محل الاستدلال قول ابن عباس لا تقدم على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم كلام أحد من الناس كائنا من كان وناهيك بالشيخين رضى الله عنهما فانه لو جاز تقدم كلام أحد على سنته صلى الله عليه وسلم لكان احق الناس بذلك كلام صاحبيه رضى الله عنهما وليس كلامنا في المتعة اثباتا ولا نفيا فالكلام على ذلك في غير هذا الموضع انما مرادنا ماذكرنا واخرج الترمذى عن ابن عمر رضى الله عنهما انه سأله سائل عن متعة الحج هى حلال فقال له الرجل ان اباك قد نهى عنها فقال أرايت ان كان ابى نهى عنها وصنعها رسول الله صلى الله عليه وسلم آأمر ابى اتبع ام امر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقد صنعها رسول الله صلى الله عليه وسلم: وفي صحيح مسلم ان ابن عمر لما حدث انه صلى الله عليه وسلم امرنا بالاذن للنساء فى الخروج الى المساجد قال بعض اولاده والله لا نأذن لهن وعلل كلامه بما يخشى من النساء اذا خرجن فاقسم ابن عمر ان لا يكلمه: ولما روى ابو هريرة حديث انه لا يدخل احدكم يده في الاناء اذا استيقظ حتى يغسلها ثلاثا قال له قائل فكيف تصنع بالمهراس فقال لا تضربوا بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الامثال: واخرج الترمذى انه قال ابو السائب كنا عند وكيع فقال رجل قدرى وعن ابراهيم النخعى ان الاشعار مثلة قال فرأيت وكيعا غضب غضبا شديداً وقال اقول لك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقول قال ابراهيم ما احقك بان تحبس ثم لا تخرج حتى تنزع عن قولك: هذا ولو تتبعنا اقوال الصحابة والتابعين

لطال المقال واتسع نطاق الاقوال على انه معلوم من آرائهم أنهم لايقدمون على سنته صلى الله عليه وسلم قول احد من الرجال كيف وهذا عمر رضى الله عنه لما اراد ابو بكر رضى الله عنه قتال مانعي الزكاة لم يساعده اولا على ذلك واستدل بقوله صلى الله عليه وسلم أمرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاستدل عليه ابوبكر بقوله صلى الله عليه وسلم الا بحقها يريد والزكاة من حقها فانشرح صدر عمر لما أمر به ابوبكر من قتال مانعى الزكاة فلم يقبل عمر قول ابي بكر حتى أقام الدليل من السنة

وأما الائمة الاربعة فان كلا منهم مصرح بأنه لايقدم قوله على قول رسول الله صلى الله عليه وسلم * أما أبو حنيفة رحمه الله فانه قال الشيخ العلامة محمد حياة السندي نزيل طيبة رحمه الله في رسالته المسماة تحفـــة الانام فى العمل بحديث النبي عليه الصلاة والسلام ما لفظه في روضة العلماء في فضل الصحابة : سئل أبوحنيفة اذا قلت قولا وكتـاب الله يخالفه قال اتركوا قولي لخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له اذا كان قول الصحابة يخالفه قال اتركوا قولى لقول الصحابة رضى الله عنهم وقال انه روى له البيهقى في المدخل باسناد صحيح الى عبد الله بن المبارك قال سمعت أباحنيفة يقول اذا جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم فعلى العين والرأس واذا جاء عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نختار من قولهم واذا جاء عن التابعين زاحمناهم انتهى

وأما الشافعى رحمه الله فقال الشيخ محمد بن حياة روى البيهقى في السنن عند الكلام على القراءة بسنده قال الشافعى اذا قلت قولا وكان عن النبي صلى الله عليه وسلم خلافه فما يصح من حديث رسول الله صلى الله عليـه وسلم أولى فلا تقلدونى ونقل امام الحرمين في نهايته عن الشافعى اذا صح خبر يخالف مذهبى فاتبعوه واعلموا انه مذهبي وقال مثل الذي يطلب العلم بلا حجة كمثـل حاطب ليل يحمل حزمة حطب وفيه افعى تلدغه وهو لايدري ذكره البيهقي أيضاً

وأما احمد بن حنبل رحمه الله فقال ابوداود قلت لاحمد الاوزاعي هو أتبع أم مالك كأنه يريد ا كثر اتباعاً من مالك فقال لاتقلد في دينك أحداً من هؤلاء ماجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فخذ به ثم التابعين بعد الرجل فيه مخير وقال احمد أيضا لا تقلدني ولاتقلدمالكاولاالثوري ولاالاوزاعي وخذ من حيث اخذوا وقال من قلة فقه الرجل ان يقلد دينه الرجال (١) * وقال الشافعي أجمع الناس على ان من استبانت له سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له أن يدعها لقول أحد وقال اذا صح الحديث على خلاف قولى فاضربوا قولى بالحائط واعملوا بحديث الضابط نقل هذا الشيخ محمد بن حياة فى رسالته التى تقدم ذكرها وعند ما صح لنا هذا عن هؤلاء الائمة جزاهم الله أفضل الجزاء عن الائمة قلنا في أبيات

علام جعلتم ايها الناس ديننا لاربعة لا شك في فضلهم عندي

هم علماء الدين شرقاً ومغرباً ونورعيون الفضل والحق والزهد

ولكنهم كالناس ليس كلامهم دليلا ولا تقليدهم في غد يجدى

ولازعموا حاشاهم أن قولهم دليل فيستهدى به كل من يهدى

بلى صرحوا انا نقابل قولهم اذاخالف المنصوص بالقدح والرد

وهذه نصوصهم رضى الله عنهم كما سمعته وأقوال ائمة العلم فيهذه كثيرة جدا على انه معلوم من صفات العالم انه لا يرتضي ان يقدم على قول رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صحته أو حسنه قول نفسه ولا قول غيره والا لم يكن عالما متبعاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم قلت واذا عرفت تصريح الائمة بانه اذا صح الحديث بخلاف ما قاله فانه لا يقلدهم أحد فى قولهم المخالف للحديث عرفت ان الآخذ بقولهم مع مخالفة الحديث غير مقلدهم لان التقليد حقيقته هو الاخذ بقول الغير من غير حجة وهذا القول الذى خالف الحديث ليس قولا

(١) قال ابن القيم ولاجل هذا لم يؤلف الامام احمد كتاباً في الفقه وانما دون اصحابه مذهبه من اقواله وافعاله وأجوبته وغير ذلك

لهم لانهم صرحوا بانهم لا يتبعون فيما خالف الحديث وان قولهم هو الحديث ولقد كثرت جنايات المقلدين على ائمتهم في تعصبهم لهم فمن تبين له شيء من ذلك أى من الاحاديث النبوية فلا يعذر فى التقليد فان ابا حنيفة وابا يوسف قالا لا يحل لاحد من أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم من أين أخذناه وان كان الرجل متبعاً لاحد الائمة الاربعة ورأى في بعض المسائل أن قول غيره أقوى منه فاتبعه كان قد احسن في ذلك ولا يقدح ذلك في عدالته ولا دينه بلا نزاع وهذا اولى بالحق واحب الى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فمن تعصب لواحد معين غير الرسول صلى الله عليه وسلم ويرى ان قوله هو الصواب الذي يجب اتباعه دون الائمة الآخرين فهو ضال جاهل بل قد يكون كافرا يستتاب فان تاب والا قتل فانه متى اعتقد انه يجب على الناس اتباع واحد معين من هؤلاء الائمة رضى الله عنهم دون الاخرين فقد جعله بمنزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك كفر انتهي نقله الشيخ محمد حياة رحمه الله قلت وقوله من هؤلاء الاربعة بيان للواقع اذ هم فى نظره المتبعون والا قال بالاطلاق من غير تقييد بالاربعة ثم من هنا يعرف بطلان قولهم وبعد الالتزام يحرم الانتقال الا الى ترجيح نفسه فانا نقول بل يحرم الالتزام اذ معناه تقليد معين من العلماء وعدم الرجوع الى تقليد غيره فانا نقول هذا الالتزام للمعين هل كان ايثار التزام المقلد لمذهب من بين مذاهب العلماء عن نظر واجتهاد قضى له ارجحية مذهبه على غيره التزاماً أو كان عن غير نظر بل تقليدا في تعين التزام مذهبه ان كان لاول فدل على انه مجتهد عارف بالنظر في الادلة راجحها ومرجوحها وهذا لا يحل له التقليد فضلا عن الالتزام وان كان الثاني وان تبعه سهوا وخطأ فلا اعتبار بالتزامه فان شهوته ليس بدليل وما احسن قول ابن الجوزي في تلبيس ابليس اعلم ان المقلد على غير ثقة فيما قلد وفي التقليد ابطال منفعة العقل لانه خلق للتأمل والتدبر وقبيح بمن اعطى شمعة ان يطفئها ويمشى فى الظلمة انتهى

فان قلت القائلون بجواز التقليد طائفة من العلماء ولهم ادلة على جوازه قلت القائلون بتحريمه طائفة أيضاً من الامة ولهم ادلة على ذلك ولا يهولنك القائلون وكثرتهم من الفريقين بل ارجع الى الادلة فهي معيار الحق من الباطل وبها تبين الحالى جيده من العاطل واقدم لك مقدمة نافعة قبل سرد الادلة من الجانبين وهو ان لا شك ان لنا اصلا متفقا عليه وهو انه لا يثبت حكم من الاحكام الا بدليل يثمر علماً أو امارة تثمر ظنا وهذا امر متفق عليه بين العلماء قاطبة بل بين كافة العقلاء من أهل الايمان ومن أهل سائر الملل والاديان وان هذا عام لاحكام الدنيا والدين شامل للموحدين والملحدين فانه مغروز في العقول انه لا يقدم أحد على فعل من الافعال أو ترك من التروك الا بعد اعتقاده عن علم أو ظن ان هذا الفعل ترك أو فعل لما يترتب عليه فائدة دينية أو دنيوية من جلب نفع أو دفع ضرر وهذا الاعتقاد ملزوم بعلم أو ظن عن دليل وامارة: وقال ملا علي قاري رحمه الله تعالى وان اشتهر بين الحنفية ان الحنفي اذا انتقل الى مذهب الشافعي يعزر واذا كان بالعكس فانه يخلع عليه فهو قول مبتدع ومخترع وقال ملا علي قارى في رسالته في اشارة المسبحة وقد اغرب الكيدانى حيث قال والعاشر من المحرمات الاشارة بالسبابة كأهل الحديث أى مثل جماعة يجمعهم العلم بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا منه خطأ عظيم وجرم جسيم منشؤه الجهل بقواعد الاصول ومراتب الفروع من المنقول ولولا حسن الظن به وتأويل كلامه حينئذ لكان كفره صريحاً وارتداده صحيحاً فهل لمؤمن أن يحرم ماثبت فعله عنه صلى الله عليه وسلم مما كاد نقله أن يكون متواتراً ويمنع ماعليه عامة العلماء كابرا عن كابر مكابراً [1] فكل عاقل لايقدم على فعل أو

(١) الى هنا هو من كلام ملا علي القاري وتمامه كما هو في غير موضع : والحال ان الامام الاعظم والهمام قال لايحل لاحد أن يأخذ بقولنا مالم يعلم مأخذه من الكتاب والسنة واجماع الامة والقياس الجلى فى المسألة فاذا عرفت هذا فاعلم انه لو لم يكن نص للامام على المرام لكان من المتعين على أتباعه من العلماء الكرام فضلا عن العوام أن يعملوا بما صح عنه عليه وعلى آله الصلاة والسلام وكذا لو صح عن الامام فرضاً نفي الاشارة وصح اثباتها عن

يحجم عنه الا لاعتقاده نفعاً أو دفعاً والاعتقاد لايكون الا عن علم أوظن والعلم لايكون الا عن دليل والظن لايكون الا عن أمارة ثم ان العقول مجبولة على أن لاتقبل قولا من الاقوال الا لظن صدقه أو العلم به ولا ترده الا لظن كذبه أو العلم بكذبه وظنها صدق القول أو كذبه أو علمها بهما يتوقفان على الدليل والامارة واذا تقرر هذا فالعقلاء قاطبة وأهل الملل والنحل المختلفة متفقون على انه لايجب تصديق أحد واتباع قوله حتى يأتي ببرهان على ماقاله من دعواه أو اخباره عن أي أمر * ألا ترى ان موسى عليه السلام لماقال لفرعون (اني رسول من رب العالمين) الى قوله (قد جاءتكم بينة)[1] الى قول فرعون (فأت بها ان كنت من الصادقين)[1] وفي سياق قصصه في القرآن كلها نحو هذا وقال صالح (قد جئتكم ببينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية)[2] بعد قولهم (فأت بآية إن كنت من الصادقين)[3] وسائر قصص الانبياء كذلك * وأما قوم هود (ماجئتنا ببينة ومانحن بتاركي آلهتنا عن قولك)[4] فمن تعنتهم في كفرهم وجعلهم البينة غير بينة

واذا عرفت هذا عرفت ان كل عاقل لايقبل قول قائل مدعياً ومخبراً ولا يصدقه حتى يقيم البينة على ماقاله فان هذا فرعون مع غلوه في كفره وكبريائه طلب من موسى البينة على دعواه انه رسول من رب العالمين ولم يقابله بالرد لدعواه بصد واعراض عن ماقاله وادعاه ولم يقل له صدقت ولا كذبت بل طلب

١ ـ الاعراف ١٠٤ ـ ١٠٦
٢ ـ الاعراف ٧٣
٣ ـ الشعراء ١٥٤
٤ ـ هود ٥٣

صاحب البشارة فلاشك في ترجيح المثبت المسند اليه صلى الله عليه وآله وسلم وكيف وقد وجد نقله الصريح بما ثبت بالاسناد الصحيح فمن أنصف ولم يتعسف عرف ان هذا سبيل اهل التدين من السلف والخلف ومن عدل عن ذلك فهو هالك يوصف بالجاهل المعاند المكابر ولو كان عند الناس من الاكابر : اه أقول وردت الاشارة بالسبابة في الصلاة من حديث وائل بن حجر عند أبي داود والنسائي والامام احمد بن حنبل وابن خزيمة والبيهقي : قال اصحاب الشافعي تكون الاشارة بالاصبع عند قوله الا الله من الشهادة : قال النووي والسنة أن لايجاوز بصره اشارته : وفيه حديث صحيح في سنن أبي داود « ويشير بها موجهة الى القبلة » وينوي بالاشارة التوحيد والاخلاص : قال ابن رسلان والحكمة في الاشارة بها الى ان المعبود سبحانه وتعالى واحد ليجمع في توحيده بين القول والفعل والاعتقاد : وروي عن ابن عباس في الاشارة انه قال هي الاخلاص : وقال مجاهد مقمعة للشيطان : والله أعلم .

منه البرهان كقوم صالح وكل أهل ملة من الملل الكفرية تطالب رسولها بالبينة على دعواه النبوة والرسل جميعاً لاتنكر عليهم طلبها بل منهم من يعرف دعواه بأن عنده البرهان عليها قبل أن يطالبوه به * ألا ترى ان موسى عليه السلام قال لفرعون في بعض محاورته (حقيق أن لاأقول على الله الا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم)[١] الاية واذا أقام النبي عليه السلام البينة على دعوى النبوة فمن قومه من يصدقه وينقاد له كما كان من سحرة فرعون فانهم لما شاهدوا تلقف عصاه لما أتوا به من سحر عظيم كما وصفه الله (وألقى السحرة سجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون)[٢] وعادى فرعون ومن تبعه على كفرهم وتكذيبهم بعد علمه وعلم من بقي معه على كفره بصدق موسى كما قال تعالى فيهم (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً)[٣] فأخبر الصادق فى اخباره المطلع على إضمار القلب وأسراره بأنهم جحدوا بآياته المبصرة وأنفسهم بها متيقنة وقال موسى عليه السلام لفرعون (لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والارض)[٤] واعلم ان سر هذه الاخبار منه تعالى بأنهم جحدوا بها عن يقين ان الله تعالى كما جبل العقول على أن لاتقبل دعوى ولا تصدق خبراً الا عن بينة تقام عليهما كذلك جبلها على قبولها وانقيادها واذعانها لقبول القول اذا أقيمت البينة عليه والبرهان وتصديقها الدعوى والخبر في أى شأن كما جعل الشبع عند الاكل فان لم يقبل بعد اقامته فليس الا مكابرة وظلماً وعلواً وعدواناً ولو بسطنا الاستدلال لطال المقال الا ان المسئلة معلومة بالضرورة عند العقلاء مبسوطة في دواوين الاسلام فلا حاجة الى الاطالة ويدل لذلك (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا)[٥] وقوله (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل)[٦] وقوله (أن تقولوا ماجاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير)[٧] ومعلوم انه تعالى لم يبعث الرسل الا لتقوم الحجة على العباد ولاتقوم الا ببرهان ينقاد اليه عقول من أرسل اليهم والا لم يكن ذلك برهاناً في حقهم والمفروض انه برهان فمن أنكره وجحد به فلا يجحد به الا عناداً وجهلا ومكابرة ولذلك انه تعالى بعد ارساله رسله وانبائهم

١ ـ الاعراف ١٠٥
٢ ـ الأعراف ١٢٠ ـ ١٢٢
٣ ـ النمل ١٤
٤ ـ الاسراء ١٠٢
٥ ـ الاسراء ١٥
٦ ـ النساء ١٦٥
٧ ـ المائدة ١٩

للامم بالبراهين على صدقهم وهي المعجزات يهلك من لم يتبعهم ويرسل عليهم المصائب السماوية والارضية كما قال تعالى(فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون)[1] فصرح بانه تعالى لم يظلمهم باهلا كهم بانواع العقوبات لانه قد أقام عليهم براهين خفية رسله وعلموا صدقهم ولكنهم عاندوا وجحدوا بآياته ورسله وقد كانت قريش تعلم صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أتى به من البينات ولكنهم جحدوا بآياته وتعنتوا في طلب معجزات اقترحوها باهوائهم (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعاً أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكه قبيلا أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرأه)[2] فهذا تعنت وتشدد في الكفر مع ان لو جاءهم بكتاب من السماء لزادوا طغيانا كما قال تعالى (ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين)[3] فاقترحوا ما تراه من أهوائهم وعنادهم وجهلهم ولا يجب على الرسل الا الاتيان بالبرهان الدال على صدقهم من المعجزات التي يعجز عنها قدرهم وقواهم لا انه يجب عليهم ان يأتوا بمعجزة يقترحونها بتعنتهم ولو اتوا بها لتعنتوا ثانية وثالثة بل لو ادخلوا النار وردوا لعادوا لما نهوا عنه ولذا قال تعالى (ولو اتبع الحق اهوائكم لفسدت السموات والارض ومن فيهن)[4] بل حكى الله عن عنادهم فقال (ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون)[5] فليس على رسول الله بعد دعواهم الرسالة الا اقامة البرهان على صدقهم كما حكي الله تعالى في كتابه عن كل نبي مع امة ورسوله مع قومه ولو تأمل الناظرون والمناظرون تأديبات القرآن وكيفية اقامة البرهان الذي هو في غاية البيان لاستغنوا به عن تاليف اليونان وتعلم اداب البحث لفلان ولفلان والمقصود ان من اتبع الرسول صلى الله عليه وسلم بعد اقامة

١ ـ العنكبوت ٤٠ .
٢ ـ الاسراء ٩٠ ـ ٩٣
٣ ـ الأنعام ٧
٤ ـ المؤمنون ٧١
٥ ـ الحجر ١٤ ـ ١٥

البرهان زادهم هدى وآتاهم تقواهم ومن عانده وكابره وجحد ما أتى الله به عاقبه الله بتقليب فؤاده وبصره كما قال تعالى (ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة)[1] وكما قال تعالى (وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين لا يؤمنون به وقد خلت سنة الاولين)[2] أي سلكنا الذكر ادخلناه في قلوب المجرمين الذين قد اجرموا بتكذيب ما علموه حقا من النبوة والكتاب أى ادخلناه مكذبا به مستهزئا به: وقوله «لا يؤمنون به» بيان لذلك أو حال وهو اخبار انه عاقبهم بتكذيبهم الذكر فجعلهم مجرمين لأنها قامت عليهم حجة الله ورسوله فكذبوها بغيا وحسداً وعدواناً فعاقبهم الله بان لايهتدوا للايمان بعد ذلك ولا تزيدهم آياته الا طغياناً كبيراً — كما قال تعالى في القرآن (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لايؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمي)[3] ومراده بالذين لايؤمنون هم من أنكر وجحد وكابر الرسول صلى الله عليه فيما أتى به فى اول دعواه من البرهان * فالمعنى والذين لايصدقون بما يجب عليهم تصديقه * وكما قال تعالى (و ننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ولايزيد الظالمين الا خساراً)[4] فالظالمون هم الذين ردوا آيات الرسل بعد علمهم بصدقها فعوقبوا بأن لايهتدوا بكلام الله الذي هو شفاء ورحمة ولايزدادون الا خساراً بخلاف من قبل ماجاءت به الرسل أول مرة زادهم الله هدى (واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا)[5] فهؤلاء لما قابلوا براهين الرسل بالقبول والتصديق لهم والاذعان زادتهم آياته ايمانا وأولئك لما قابلوها بالجحود والتكذيب والمكابرة والعصيان زادتهم آيات الله خساراً :هذا ومقصودنا انما هو بيان ان الاصل الاصيل والاساس الذى يبنى عليه التأصيل انه لايقبل كلام أحد من دعوى يدعيها . أو قصة يرويها إلا بافاضة الدليل على دعواه والبرهان على صدق مارواه فاذا قام البرهان وبينه بما تقبله العقول والاذهان وجب قبول قوله وتصديق منقوله

واذا عرفت هذا الاصل الجليل عرفت ان المقلد قبل قول من قلده من غير

١ ـ الأنعام ١١٠

٢ ـ الحجر ١١ ـ ١٣

٣ ـ فصلت ٤٤

٤ ـ الاسراء ٨٢

٥ ـ الأنفال ٢

امارة ولادليل فان حقيقة التقليد قبول قول الغير من دون حجة: مثالهأن يقول لك العالم مثلا المني طاهر ويقول لك عالم آخر بل هو نجس فان قبلت قوله فهذا قول صدر من العالم ولم يأت لك بدليل عليه * وماقبولك لقول من قال انه نجس بأولى من قبولك لمن قال انه طاهر لان القائلين عالمان وكلاهما قال لك قولا لازما مالم يتبين لك دليله وكون القائل بأنه طاهر من ديار الشافعية وعلمائهم لايصير احد القولين أرجح من الآخر عقـــلا وشرعاً فان الديار والانتساب والاعتزاء الى أي عالم من علماء الامة لايصـير به أحد القائلين محقاً والآخر مبطلا : ضرورة عقلية وشرعية ان الاوطان لا اثر لها في ترجيح الاديان وان الانتساب والاعتزاء الى أي عالم من علماء الامة لايصير كلام من انتسب اليه حقاً وكلام من لم ينسب اليه باطلا

فان قلت العالم انما روي له معنى الاحاديث النبوية فالقائل انه نجس روى لنا معنى الاحاديث الواردة بغسله والقائل بأنه طاهر روى لي معنى الاحاديث الدالة على الاكتفاء بفركه * وقبول رواية الاخبار النبوية قد قام الدليل عليـه واتفق الناس عليـه وان اختلفوا في قدر نصاب مايجب قبوله من الواحد أو الاثنين أو الاربعة

قلت نعم نحن قائلون بقيام الدليل على قبول خبر الآحاد بشروطه وانه تجوز الرواية بالمعنى ولكنك واهم في جعل قول العالم رواية لك بالمعنى فان القائل لك انه نجس انما أخبرك بالذي رجح عنده والقائل انه طاهر انما أخبرك بالذي رجح عنده اذ كل من العالمين قد عرف تعارض الادلة في المسألة ورجح عنده نظره احد الحكمين والآخر رجح عنده خلافه فهمامخبران لك عن رأيهما اذ الترجيح رأي محض يحصل لكل واحد من تعارض الادلة وكل منهما يجب عليه اتباع مارجح له ولايجب على غيره أن يتبعه في رأيه لا المجتهد ولا المقلد *أما الاول فبالاجماع وأما الثاني فمحل النزاع فانا الآن في البحث في جواز التقليد للعالم في قوله من غير ذكره لدليله

فان قلت قد قام الدليل على جواز التقليد قلت لمن قام هل للمقلد فالفرض انه مقلد لايعرف الادلة ولا كيفية تطبيقها على المدعى ولاشرائط الاستنباط اذ لو كان كذلك لما كان مقلداً وهو خلاف المفروض أو قام دليل جواز التقليد للمجتهد فلاينفع المقلد قيامه لغيره

فان قلت قام للمجتهد وقلده فيه المقلد قلت يمنع ذلك اتفاقهم ان مسئلة جواز التقليد من مسائل الاصول ولايجوز التقليد فيها وذلك لان المطلوب فيها العلم ولايحصل الا بالدليل ولايعرف الدليل الا المجتهد

فان قلت لانسلم انه لا بد في مسائل الاصول من أن يكون عن علم ولايجوز أن يكون عن ظن قلت ان سلم هذا فالظن بالحكم الشرعي لايكون الا عن أمارة شرعية ولايعرفها الا المجتهد

فان قلت اذا أمليت أدلة جواز الاجتهاد على المقلد فهم المراد منها وعرفه واستند اليها وكان من املاها راوياً له قلت فانك اذا أمليت عليه قوله تعالى (فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون)[1] فهم ان هذا أمر منه تعالى بسؤال أهل العلم عما لايعلمه واخذ هذا الحكم من الآية فان هذا القدر يفهمه منها كل من له أهلية الفهم ولايحتاج الى نحو ولا أصول ولامعاني ولا بيان ولاغيرها وصار مجتهداً فى وجوب سؤال أهل العلم عمالايعلم لان المفهوم عرفاً من الاوامر هو الوجوب * ومعلوم عقلا ان الله تعالى اذا أمر بسؤالهم انه قد أذن بقبول قولهم والا لم يكن للامر بسؤالهم فائدة قلت اذا قلتم تكلفه هذا في الاجتهاد فما أحسن هذا المراد وهذا هو ما اراده من يقول بوجوب الاجتهاد على جميع الافراد مما له أهليــة في فهم مايراد وأحد الوجوه فى الآية ان المراد فاستروهم الآيات والاحاديث ان كنتم لاتعلمون فالآية أمر بسؤالهم عن الآيات والاحاديث والآية الى هذا المعنى اقرب لانه تعالى علق عدم علمهم بالبينات والزبر فالاظهر اسألوهم عن البينات والزبر التى لاتعلمونها لاتسألوهم عن آرائهم ومارجح لهم حتى تكون الآية دليلا على جواز التقليد * واذا فهم المقلد من

١ ـ النحل ٤٣
الأنبياء ٧

هذه الآية هذا المعنى فأى مانع ان يفهم من غيرها مايعمل به فى غيرها من الاحكام ويجتهد

واعلم انه ليس مع المانعين لذلك الا مجرد الاستبعاد واستعظام من وارثه اللحود من العلماء الامجاد وانه لايكون الا لهم الاجتهاد وليس للمتأخرين الا جعل أقوال القدماء لاذهانهم كالاصفاد لايخرجون عنها وان ناطحت علومهم الافلاك وجاوزت معارفهم أهل الكمال والادراك وما أرى هذا والله الا من كفران النعمة وجحود المنة فان الله سبحانه كمل عقول العباد ورزقهم فهم كلامه وما اراد * وفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظ تعالى كتابه وسنة رسوله الى يوم التناد بأن كثيراً من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية لايحتاج في معناها الى علم النحو والى علم الاصول بل فى الافهام والطباع والعقول ماسارع به الى معرفة المراد منها عند قرعها الاسماع من دون نظر الى شيء من تلك القواعد الاصولية والاصول النحوية فان من قرع سمعه قوله تعالى (وماتقدموا لانفسكم من خير تجدوه عندالله)[1] يفهم معناه من دون أن يعرف ان ما كلمة شرط وتقدموا مجزوم بها لأنه شرطها وتجدوه مجزوم بها لانه جزاؤه ومثلها (يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضراً وماعملت من سوء تود لو ان بينها وبينه أمداً بعيداً)[2] ومثلها (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي)[3] يفهم من الكل ما أريد منها من غير أن يعرف أسرار العلوم العربية ودقائق القواعد الاصولية ولذا ترى العامة يستفتون العالم ويفهمون كلامه وجوابه وهو كلام غير معرب في الاغلب بل تراهم يسمعون القرآن فيفهمون معناه ويبكون لقوارعه وماحواه ولايعرفون اعرابا ولا غيره مما سقناه بل ربما كان موقع مايسمعون في قلوبهم أعظم من موقعه في قلوب من حقق قواعد الاجتهاد وبلغ غاية الذكاء والانتقاد وهؤلاء العامة يحضرون الخطب في الجمع والاعياد ويذوقون الوعظ ويفهمونه ويفتت منهم الاكباد وتدمع منهم العيون ويدركون من ذلك مالايدركه العلماء المحققون ويسمعون احاديث

١ - البقرة ١١٠
المزمل ٢٠
٢ - آل عمران ٣٠
٣ - النحل ٩٠

الترغيب والترهيب فيكثر منهم البكاء والنحيب وأنت تراهم يقرؤون كتباً مؤلفة من الفروع الفقهية كالازهار للهدوية والمنهاج للشافعية والكبير للحنفية ومختصر خليل للمالكية ويفهمون مافيها ويعرفون معانيها ويعتمدون عليها ويرجعون في الفتوى والخصومات اليها فليت شعرى ماالذي خص الكتاب والسنة بالمنع عن معرفة معانيها وفهم تراكيبها ومبانيها والاعراض عن استخراج مافيها حتى جعلت معانيها كالمقصورات فى الخيام قد ضربت دونها السجوف ولم يبق لنا اليها الا ترديد الفاظها والحروف وان استنباط معانيها قد صار حجراً محجوراً وحرماً محرماً محصوراً

وقال بعض العلماء المتأخرين في شرح بلوغ المرام في شرح حديث « ان الحاكم اذا اجتهد فأصاب فله أجران واذا اجتهد فأخطأ فله أجر » مالفظه : انه اشتغل بالحديث عن اشتراط أن يكون الحاكم مجتهداً قال وهو المتمكن من أخذ الاحكام من الادلة الشرعية قال ولكنه يعز وجوده بل كاد يعدم بالكلية ومع تعذره فمن شرطه أى الحاكم أن يكون مقلداً مجتهداً فى مذهب إمامه ومن شرطه أن يحقق أصول إمامه وأدلته وينزل أحكامه عليها فيما لايجده منصوصاً في مذهب إمامه انتهى

وقد نقلناه في شرحنا سبل السلام وتعقبناه بقولنا : قلت ولايخفى مافي هذا الكلام من البطلان وان تتابع عليه الاعيان وما أرى هذه الدعوى التى تطابق عليها الانظار الا من كفران نعمة الله عليهم فانهم أعنى المدعين لهذه الدعوى وهى دعوى عزة وجود المجتهدين في الاحكام بالكلية: أو كيدودة عدمه مجتهدون يعرف أحدهم من القواعد التى يمكنه بها الاستنباط واستخراج الاحكام الشرعية من الادلة النبوية مالم يكن قد عرفه عتاب بن أسيد قاضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على مكة ولاابوموسى الاشعرى قاضي رسول الله صلى الله عليه وسلم في اليمن ولامعاذ بن جبل قاضيه فيها وعامله عليها ولا شريح قاضى عمر وعلى رضي الله عنهم في الكوفة شيئاً من هذه الشرائط التى أفادها قول ذلك الشارح

رحمه الله ان من شرط الحاكم أن يكون مجتهداً فى مذهب إمامه وانه يتحقق أصوله وأدلته الى آخره هى شرائط المجتهد في الكتاب والسنة فان هذا هو الاجتهاد الذى قال بعزة وجوده أو كيدودة عدمه بالكلية * هلا جعل هذا المقلد المجتهد في كلام امام امامه كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم عوضاً عن كلام امامه وتتبع نصوص الكتاب والسنة عوضاً عن تتبع نصوص امامه والعبارات كلها ألفاظ دالة على معانيها فهلا استبدل بألفاظ امامه ومعانيها ألفاظ الشارع ومعانيها ونزل الاحكام عليها اذا لم يجد نصا شرعياً عوضاً عن تنزيلها على مذهب إمامه فيما لم يجده منصوصاً تالله لقد استبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير من معرفة السنة والكتاب الى معرفة كلام الشيوخ والاصحاب وتفهم مرامهم والتفتيش عن كلامهم

ومن المعلوم يقيناً ان كلام الله وكلام رسوله أقرب الى الافهام وأدنى الى اصابة بلوغ المرام فانه أبلغ الكلام بالاجماع وأعذبه فى الافواه والاسماع وأقربه الى الفهم والانتفاع ولاينكر هذا الا جلمود الطباع ومن لاحظ له في النفع والانتفاع * والافهام التى فهم بها الصحابة الكلام الالهي والخطاب النبوى هي كافهامنا واحلامهم كاحلامنا اذ لو كانت الافهام متفاوتة تفاوتاً يسقط معه فهم العبارات الالهية والاحاديث النبوية لما كنا مكلفين ولا مأمورين ولا منتهين لا اجتهاداً ولاتقليداً * أما الاول فلاحالته * وأما الثانى فلأنا لانقلد حتى نفهم جوازه وأدلته ولايفهم ذلك الا من ادلة الكتاب والسنة وقد تعذر ذلك كما قلتم وقد سبق بسط هذا * على انا لانشرط في هذا ماسلف من الشرائط في المجتهد التى ذكرناها عن مؤلف العواصم والقواصم انما نقول انه يستروى عن العالم الآية والحديث فى الحكم الذى يتعلق به في الحالة الراهنة ثم يعمل به بعد فهمه انما يشترط ان تؤخذ الرواية عن من يوثق بصدقه ودينه وورعه وشهرته بالعلم النافع من الكتاب والسنة وألا يسأله عن مذهب فلان ولا فلان * كيف وفي كتب الاصول نقل الاجماع على تحريم تقليد الاموات ولقدعظمت جنايات

المقلدين على أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أئمة مذاهبهم الذين تبرؤا عن إثبات مقال لهم يخالف نصاً نبويا فانها اذا وردت بخلاف ماقرره من قلدوه حرفوها عن مواضعها وحملوها على غيرما اراده صلى الله عليه وسلم كما قال بعض المعتزلة في حديث «شفاعتى لاهل الكبائر من أمتى» وقد اعتقد ذلك المعتزلى انه لا شفاعة للعصاة فقال مراده صلى الله عليه وسلم بأهل الكبائر المؤمنون أهل الصلاة لان الصلاة كبيرة قال الله (وانها لكبيرة الا على الخاشعين) فانظر أى تحريف أعجب من هذا الذى قاده اليه مذهبه واعتقاده ان لا شفاعة لاهل الكبائر وكونه تحريفا لا يحتاج الى دليل: ومثل قول بعض من اعتقد ندب صوم يوم الشك لانه مذهب امامه في حديث عمار بن ياسر رضى الله عنه «من صام يوم الشك فقد عصى أبا القاسم صلى الله عليه وسلم» انه مراده بابي القاسم عمار نفسه قال قد عصانى وانما وضع الظاهر موضع المضمر ولا يخفى مافي هذا الحمل من تحريف مع اتفاق الناس على كنية عمار أبو اليقظان: ومثله قول ابن القيم في الهــدي النبوى أن مراد عمار بيوم الشك آخر يوم من شعبان ولفظه والمنقول عن عمر وعلى وعمار النهى عن صوم آخر يوم من شعبان تطوعا وهذا هو الذي قال فيه «عمار من صام اليوم الذى شك فيه فقد عصى أبا القاسم صلى الله عليه وسلم»

قلت وهذا من التحريف رعاية للمذهب لان احمد بن حنبل قائل بصوم يوم الشك فحمله رعاية المذهب على حمل حديث عمار على آخر يوم من شعبان تطوعا وهذا اليوم لاشك فيه قطعا بل هو يوم يقين من شعبان: وكقدح بعض الحنفية فى أبى هريرة رضى الله عنه كما ذكره الحافظ فى فتح البارى لما روى حديث المصراة على خلاف ما يعتقدونه مذهبا

والحاصل ان من اعتقد مذهبا من المذاهب فانه يؤدى ذلك الى المحاماة عليه والى اخراج الآيات والاحاديث عن معانيها التي أرادها الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فان من قال بتحريم أكل طعام أهل الذمة وتحريم ذبائحهم حمل

قوله تعالى (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم)[١] على حل أخذ الحبوب منهم كالحنطة والشعير فليحذر المؤمن المؤثر للحق على الخلق عن هذه الاعتقادات ورد الاحاديث والآيات الى مثل تأويل الفرقة الباطنية وكل هذا من قبائح الاعتقادات المذهبية وانى لاخاف ممن حرف الآيات والاحاديث ليوافق اعتقاده أن يقلب فؤاده وقلبه فلا يوفق لمعرفة الحق عقوبة كما فعله الله فيمن رد براهين النبوة وكذب بها كما أسلفناه في قوله تعالى (ونقلب أفئدتهم)[٢] الآية ولو تتبعت ما وقع لأهل التقليد من التحريف لجاء منه مجلد وسيع لكن مرادنا النصيحة لا التشنيع وهى تحصل بأقل مما سقناه وأيسر مما رقمناه

فان قلت قد ذكر العلماء أدلة لجواز التقليد واسعة وطرائق نافعة قلت نعم وقد ردها أئمة الاعتقاد وأوضحوا ما فيها من الفساد ولنذكر خلاصة كلام الفريقين فالدليل الاول قوله تعالى (فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون)[٣] قالوا فأمر سبحانه من لا يعلم أن يسأل من هو أعلم منه فالجواب انا نقول أولا ان التزام مذهب امام معين فى جميع أقواله بحيث أن لا يحل الخروج عنه بحال بدعة وكل بدعة ضلالة فما معنى الاستدلال على البدعة

أما كونه بدعة فلانكم يا أسراء التقليد وغيركم لا يمكنكم أن تدعوا أنه كان فى عصر الصحابة رجل واحد اتخذ رجلا من الصحابة يقلده في كل أقواله ولم يترك منها شيئا وأسقط أقوال غيره البتة فلم يأخذ منها شيئاً ويتأول ما ورد من الآيات والاحاديث ليوافق مذهب من قلده هذا معلوم بالضرورة انه لم يكن فى الصحابة ولا في تابعيهم ولا تابع التابعين وهذه هي القرون الثلاثة التى خيرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله « خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يفشو الكذب » الحديث وما حدثت بدعة التقليد الا في القرن الرابع الذي ذمه رسول الله صلى الله عليه وسلم

١ ـ المائدة ٥
٢ ـ الأنعام ١١٠
٣ ـ النحل ٤٣ الأنبياء ٧

وأما الآية التي ذكرتم فان الله تعالى أمر فيها من لا يعلم أن يسأل أهل الذكر والذكر هو القرآن والسنة كما ذكره الله في قوله مخاطبا لنساء رسول الله صلى الله عليه وسلم « واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة »[1] وآياته القرآن والحكمة السنة وكما قال تعالى (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته) الى قوله (والحكمة)[2] فالامر في الآية للجاهل أن يسأل أهل القرآن والحديث عنهما ليخبروه فاذا أخبروه وجب عليه اتباع ما أخبروه به وهذا على أظهر الوجوه في تفسير الآية لمن له أدنى المام بالتفسير فكيف يستدل على أعظم قواعد الاصول بوجه مجروح : ويؤيد هذا الوجه الراجح معنا أن هذا كان شأن أهل العلم في الصحابة والتابعين يسأل الجاهل العالم أي عالم عن الآيات والسنة وليس لهم مقلد معين يتبعونه في أقواله فكان ابن عباس رضي الله عنه يسأل الصحابة عن ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم أو فعله لا يسأله عن غير ذلك وكذلك الصحابة كانوا يسألون نساءه صلى الله عليه وسلم عن ما يخفى عليهم من سننه سيما عائشة رضى الله عنها : وكذلك التابعون كانوا يسألون الصحابة عن أقوال رسول الله صلى عليه وسلم وأفعاله وسننه وكذلك أئمة الفقه قال الشافعي رضى الله عنه لأحمد بن حنبل يا أبا عبد الله أنت أعلم بالحديث مني فاذا صح الحديث فأعلمني حتى أذهب اليه شاميًا كان أو كوفيا أو بصريًا ولم يكن أحد قط من أهل العلم يسأل الرجل عن رأى رجل بعينه فيأخذ به ويطرح ما سواه

الثاني من أدلة جواز التقليد أنه صلى الله عليه وسلم قال في قصة صاحب الشجة « الا تسألوا اذا لم تعلموا انما شفاء العي السؤال » فارشدهم الى السؤال والجواب انه صلى الله عليه وسلم انما أرشد المفتين لصاحب الشجة الى السؤال عن حكمه صلى الله عليه وسلم وسنته فقال قتلوه قتلهم الله يدعو عليهم لما أفتوا بغير علم وفي هذا تحريم الافتاء بالتقليد فان الافتاء به ليس علما باتفاق الامة وما دعا رسول

١ ـ الأحزاب ٣٤
٢ ـ الجمعة ٢

الله صلى الله عليه وسلم على فاعله فانه حرام وهو أحد أدلة التحريم فالحديث حجة على تحريم التقليد لا على جوازه

الثالث من أدلتهم قالوا قال أبو العسيف الذى زنى بامرأة مستأجره « وانى سألت أهل العلم فأخبرونى أنما على ابنى جلد مائة وتغريب عام وان على امرأة هذا الرجم» أخرجه البخاري قالوا فلم ينكر صلى الله عليه وسلم تقليد من هو أعلم منه والجواب أن هذا سأل أهل العلم فأفتوه بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنها سأل فهو يصلح عاضداً للآية وان المراد سؤال أهل الذكر عن الكتاب والسنة لا عن رأيهم

الرابع من أدلتهم قوله تعالى (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه)[1] ومقلدهم تابع لهم فهوممن رضى الله عنه : والجواب صدق المقدمة الاولى وكذب الثانية فان الاولى ضرورية الصدق وأما كذب الثانية فان تفسير اتباعهم بالتقليد من تحريف الكلم عن مواضعه كيف وهذا التقليد الذي يريدونه بدعة حادثة لا يفسر بها كلام الله: واتباعهم انما هو سلوك طريقهم ومناهجهم وقد نهوا عن التقليد فلم يكن في السابقين الاولين من المهاجرين والانصار مقلد بالاتفاق فكيف يقال من اتباعهم تقليدهم بل التابعون لهم باحسان هم أهل العلم أئمة الكتاب والسنة الذين لا يقدمون على كتاب الله رأيا ولا قياسا ولا يجعلون كلام أحد عياراً على القرآن والسنن فالذي اتبعهم هو من تبع الحجة وانقاد بالدليل ولم يتخذ رجلا بعينه اماما يقتدى باقواله وسننه سوى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء)[2] فامر تعالى باتباع المنزل خاصة والمنزل هو الكتاب والسنة قال الله (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)[3] فالتقليد لا يكون اتباعا فان الاتباع سلوك طريقة المتبع والآيتان

١ ـ التوبة ١٠٠
٢ ـ الأعراف ٣
٣ ـ الحشر ٧

بمثل ما أتى به : وقد عقد أبو عمر بن عبد البر باباً في الفرق بين الاتباع والتقليد وقال قال عبد الله بن خويز منداد البصرى المالكي التقليد معناه في الشرع الرجوع الى قول لا حجة لقائله عليه وذلك ممنوع عنه في الشريعة والاتباع ما ثبت عليه حجة

والخامس من ادلة المقلدين الحديث المشهور « أصحابي كالنجوم فبأيهم اقتديتم» والجواب ان الحديث قد روى عن عمر من طرق لا يصح منها شيء قال البزار واما ما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم « اصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » فهذا الكلام لا يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم وان صح فالاقتداء غير التقليد فان الاقتداء فعلك مثل فعل الغير على الوجه الذى فعله بالدليل الذى فعله فلذلك قلنا من ابيات

وشتان ما بين المقلد في الهدى ومن يقتدي فالضد يعرف بالضد
فمن قلد النعمان اصبح شاربا نبيذاً وفيه القول للبعض بالحد
ومن يقتدى اضحى امام معارف وكان اويسا في العبادة والزهد
فمقتدياً في الحق كن لا مقلدا وخل اخا التقليد في الاسر بالقد

فالمقلد لابى حنيفة وهو المراد بالنعمان يجوز عنده شرب النبيذ وابو حنيفة لن يشربه فالاقتداء به ان لا يشربه بل المقتدى به يكون اماما في العلم والزهد كابى حنيفة ومثله قول الامام الكبير محمد بن ابراهيم الوزير مؤلف العواصم والقواصم في الذب عن ابى القاسم من ابيات :

هم قلدوهم فاقتديت بهم وكم بين المقلد في الهدى والمقتدي
من قلد النعمان أصبح شاربا لمثلث رجس خبيث مزبد
ولو اقتدى بابي حنيفة لم يكن الا اماما راكعا في المسجد

وقال الله تعالى مخاطبا لرسوله صلى الله عليه وسلم بعد ان عد من الانبياء

عليهم السلام نحوا من بضعة عشر نبيا(فبهداهم اقتده) قال في الكشاف المراد بهداهم طريقتهم في الايمان بالله وتوحيده واصول الدين انتهى . ومعلوم يقينا ان الله تعالى لم يأمر رسوله صلى الله عليه وسلم بتقليد رسله في اديانهم فعرفت أن الاقتداء والاتباع ليسا من التقليد في ورود ولا صدر

السادس من ادلة المقلدين قالوا حديث عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي ابو بكر وعمر واهتدوا بهدي عمار وتمسكوا بعهد ابن ام عبد: والجواب ان الاهتداء بهم اتباع السنة والكتاب والقبول لما فيهما والدعاء اليهما وتحريم التقليد اذ لم يؤثر عنهم وقد صح عن ابن مسعود وهو ابن ام عبد النهي عن التقليد وقال لا يكون الرجل امعة لا بصيرة له ثم من المعلوم ان احدا منهما لم يكن يدع السنة بقول اي قائل ثم ان سنة الخلفاء الراشدين وطريقتهم اتباع السنة والكتاب فالأخذ بسنتهما اتباع السنة النبوية والقرآن ثم يقال لكم أيها المقلدون انكم لا تقلدون ابا بكر وعمر ولا تجعلون قولهما حجة بل قلدتم أئمة من اتباعا لائمة وحرمتم تقليد غيرهم فأين انتم من العمل بهذا الحديث لو كان مسوقاً للتقليد فانتم اول تارك له

السابع من ادلة التقليد ان في كتاب عمر رضى الله عنه الى شريح أنه يقضي بما قضى به الصالحون ان لم يجد في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ما يقضى به: والجواب ان كتاب عمر رضي الله فيه دليل على عدم التقليد بل امره باتباع الكتاب والسنة والمقلدون لا يقولون بذلك بل لا ينظرون في كتاب الله ولا سنة انما ينظرون في كتب شيوخهم واقوالهم ثم انه قال اذا لم يجد فيها قضاء بما قضى به الصالحون فاباح له عند تعذر وجدان الدليل من الامرين الرجوع الى ما قضى به الصالحون الذين لا يقضون الا عن دليل من كتاب او سنة او قياس جلي فاجاز له هنا الاخذ في القضاء برأى الصالحين في الحالة الراهنة لا انه يجعل رأيهم مقدما على الكتاب والسنة كما جعل المقلدون ثم هذا كلام عمر رضى الله عنه وليس بحجة

الثامن قالوا كان الصحابة يفتون في عصره صلى الله عليه وسلم باطلاعه وهذا تقليد للمفتين * والجواب ان فتواهم كان تبليغاً عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وسلم ولم يكن افتاءاً بآرائهم ولذلك لما أفتوا صاحب الشجة بخلاف سنته قال قتلهم الله كما عرفت

التاسع من أدلتهم قالوا قال الله تعالى (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم)[1] فأوجب قبول انذارهم وذلك تقليد لهم * والجواب ان هذا جهل للفظ الانذار انما يقوم بالحجة فمن لم تقم عليه الحجة لم يكن قد أنذر كما ان النذير من أقام الحجة فمن لم يأت بالحجة لم يكن نذيراً وحينئذ فالمراد لينذروا قومهم باخبارهم إياهم بالحجج والبراهين على مايفقهونهم به من الاحكام ألاترى ان خزنة النار من الملائكة يقولون لمن فيها (ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا مانزل الله من شيء)[2] الى قوله (لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير)[3] قال الله تعالى (فاعترفوا بذنوبهم) فانهم أقروا انه أتاهم النذير ولا يكون الا لحجة فكذبوا ضلالا وعناداً وقالوا متأسفين (لو كنا نسمع) أي نعمل بماسمعناه (أونعقل) أى نعمل بما عقلناه والا فمن المعلوم انهم سمعوا وعقلوا لكن ماعملوا فكأنهم لاسمع لهم ولاعقل فهم الذين يقولون سمعنا وعصينا ولو انهم قالوا سمعنا وأطعنا لكان خيراً لهم وأقوم فعرفت انه لادليل فى الآية للمقلدين

العاشر من أدلتهم قالوا قد أمر الله بقبول شهادة الشاهد وذلك تقليد له * والجواب ان هذا من أبطل الادلة فانا ماقبلنا قولهم الا بنص ربنا وقول نبينا واجماع أمة فلم يقبل قول الشاهد بمجرد كونه شهد به بل قبلناه لان الله أمرنا بقبول شهادته كما أمرنا باتباع رسوله صلى الله عليه وسلم فان سميتم ذلك تقليداً فلا يضرنا وأما أنتم فقبلتم قول من قلدتموه وتركتم قول من عداه ولو كان آية من الله وحديثاً نبوياً لتأولتموها وأرجعتموها ناكصين على أعقابكم الى قول امامكم وكذلك قبولنا اقرار من أقر على نفسه بشيء وحكمنا به عليه لا يسمى تقليداً

١ ـ التوبة ١٢٢
٢ ـ الملك ٨ ـ ٩
٣ ـ الملك ١٠

بل اتباعاً لقول الله تعالى (بل الانسان على نفسه بصيرة) واجماع الامة وعمله صلى الله عليه وسلم في قبول اقرار ماعز والغامدية ورجمهما باقرارهما ولا يقول أحد انه صلى الله عليه وسلم قلدهما

الحادي عشر من أدلتهم قالوا قد جعل الله في فطر العباد تقليد المتعلمين للعالمين والاستاذين في العلوم والصنائع ولاتقوم مصالح الخلق الا بهذا وذلك عام في كل علم وصناعة وقد فاوت الله بين الاذهان كما فاوت بين القوى في الابدان فلايحسن في حكمته وعدله ورحمته ان يفرض على جميع خلقه معرفة الحق بدليله * والجواب ان هذا حق لاينكر ولاينكر أخذ العلم عن العلماء وينكر أخذه من الصحف والقراطيس بغير تعلم ولكنا نقتدى بالعالم ونهتدي بتعليمه ونستعين بفهمه ونستضيء بانوار علومه وفرق بين تقليد العالم في جميع ما قاله وبين الاستعانة بفهمه فان الاول يأخذ بقوله من غير نظر في دليل من كتاب ولا سنة والاستعانة بفهمه وهو الثانى بمنزلة الدليل في الطريق والخريت الماهر لابن السبيل فهو دليل الى دليل فاذا وصل اليه استغنى بدلالته عن الاستدلال بغيره ونظيره من استدل بالنجم على القبلة فاذا شاهد القبلة لم يبق لاستدلاله بالنجم معنى وأما قوله تعالى انه فاوت بين الاذهان فهذا مسلم وكلامنا فيمن له أهلية الخطاب وفهم ادلة ما يحتاجه من أدلة السنة والكتاب وهو بحمد الله الواحد الوهاب أمر ليس بالخفى ولا بالالغاز الذى لا يعرفه الا الذكى بل قدمنالك ان الفاظهما أقرب تناولا وأسهل أخذا وأوضح معنى ولا بد للمكلف من تفهم معانى ما كلف به اما من كلام شيوخه أو من كلام ربه ورسوله صلى الله عليه وسلم ضرورة انه لا يتم له التكليف الا بالفهم والا كان معذورا غير مخاطب بشيء من الشرعيات فالفهم الذى يصرفه فى حل عبارات شيوخه وبيان معانيها يصرفه فى تفهم كلام ربه ورسوله صلى الله عليه وسلم والقدر الذى كلف

الله به عباده وقد سهله وما جعل في الدين من حرج لا في فهم المراد ولا في الافعال التي خاطب العباد : وقد قدمنا ان الواجب على كل عبد ما يخصه من الاحكام وما يدعوه اليه حاجة وهو أمر سهل يسير فان أكثر العلوم فضول كما قال أمير المؤمنين على رضى الله عنه العلم نقطة كثرها الجهال

فهذه زبدة أدلة مجوزى التقليد وأجوبتها ومن له فهم أو القى السمع وهو شهيد لا يخفاه بعد ذلك اذا كان له مطلبا واياه يريد وقد ذكروا أدلة سماعها شغل الاسماع بغير فائدة تعود على سامعها ولا انتفاع تركناها لا نشغل بها الاوقات ويستغنى بها عن ماهو أولى بالنظر بالاتفاق والله يقول الحق وهو يهدى السبيل وعليه تعالى في كل فعل التعويل ومنه نستمد الهداية في البكرة والاصيل الى ما يقربنا الى جانبه وينزلنا فى ظل رحمته الظليل وصلى الله على سيدنا محمد وآله خير آل وصحابته خير صحاب وقبيل

تمت الرسالة والحمد لله رب العالمين

المطبعة العربية بمصر لصاحبها خير الدين الزركلي

رفع الريبة

عما يجوز وما لا يجوز من الغيبة

تأليف

« شيخ الاسلام قاضى القضاة الامام العلامة »

« محمد الشوكانى اليمانى »

« المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ »

بسم الله الرحمن الرحيم

وبعد حمد الله والصلاة و السلام على رسوله وآله فانه قد اتفق أهل العلم جمع على تحريم الغيبة للمسلم وذلك لنص الكتاب العزيز والسنة المطهرة أما الكتاب فقوله تعالى (ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب احدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه) فهذا نهى قرآنى عن الغيبة مع ايراد مثل بذلك يزيده شدة وتغليظا ويوقع في النفوس من الكراهة له والاستقذار لما فيه ما لا يقدر قدره فان أكل لحم الانسان من أعظم ما يستقذره بنو آدم جبلة وطبعا ولو كان كافراً أو عدواً مكالحاً فكيف اذا كان أخاً في النسب أو في الدين فان الكراهة تتضاعف بذلك ويزداد الاستقذار فكيف اذا كان ميتاً فان لحم ما يستطاب ويحل أكله يصير مستقذراً بالموت لا يشتهيه الطبع ولا تقبله النفس: وبهذا يعرف ما في هذه الآية من المبالغة فى تحريم الغيبة بعد النهى الصريح عن ذلك

وأما السنة فأحاديث النهى عن الغيبة وهي ثابتة في الصحيحين وفى غيرهما من دواوين الاسلام وما يلحق بها مع اشتمالها على بيان ماهية الغيبة وايضاح

فانه لما سأله صلى الله عليه وسلم سائل عن الغيبة فقال «الغيبة ذكرك أخاك بما يكره قيل أرأيت اذا كان في أخي ما أقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فقد بهته » وهذا ثابت في الصحيح فعرفت تحريم الغيبة كتاباً وسنة واجماعا ولكنه قد وقع في كلام جماعة من العلماء الاستثناء لصور صرحوا بأنه يجوز فيها الغيبة وكلماتهم فى ذلك متفاوتة وما ذكروه من الاعداد المستثناة مختلف فلنقتصر ها هنا على ذكر ما أورده النووي فى شرح مسلم له ثم نذكر بعد ذلك تصحيح ما هو صحيح من كلامه ونتعقب ما هو محل التعقيب ونستدل على ما لم يذكر الدليل عليه حتى يكون هذا البحث تاماً شاملا كاملا فانه من المهمات الدينية لعظم خطر الوقوع فيه مع تساهل كثير من الناس في شأنه ووقوعهم فى خطره الا من عصمه الله من عباده

قال النووي في شرح مسلم عند ذكر ما ورد في تحريم الغيبة ما لفظه تباح الغيبة لغرض شرعى وذلك لستة أسباب : أحدها التظلم فيجوز للمظلوم أن يتظلم الى السلطان والقاضى وغيرهما ممن له ولاية وقدرة على انصافه من ظالمه ويقول ظلمنى فلان أو فعل بي فلان كذا : الثانى الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي الى الصواب فيقول لمن يرجو قدرته فلان يعمل كذا فازجره أونحو ذلك : الثالث الاستفتاء بان يقول للمفتى ظلمنى فلان أو أبى أو أخى أو زوجي بكذا فهل له ذلك وما طريقى في الخلاص منه ورفع ظلمه عنى ونحو ذلك فهذا جائز للحاجة والاحوط أن يقول ما تقول فى رجل أو زوج أو ولد أو والد كان من أمره كذا ولا يعين ذلك والتعيين جائز لحديث هند وقولها ان أبا سفيان رجل شحيح : الرابع تحذير المسلمين من الشر وذلك من وجوه منها جرح المجروحين من الرواة والشهود والمصنفين وذلك جائز بالاجماع بل واجب صونا للشريعة : ومنها الاخبار بغيبة عند المشاورة في مواصلة : ومنها اذا رأيت من يشترى شيئاً معيباً أو عبداً سارقاً أو شارباً أو زانياً أو نحو ذلك تذكر للمشترى اذا لم يعلمه نصيحة لا لقصد الايذاء أو الافساد : ومنها اذا رأيت

متفقها يتردد الى فاسق أو مبتدع يأخذ عنه علما وخفت عليه ضرره فعليك نصيحته ببيان حاله قاصداً النصيحة : ومنها ان يكون له ولاية ليستبدل به أو يعرف حاله ولا يغتر به أو يلزمه الاستقامة : الخامس أن يكون مجاهرا بفسقه أو بدعته كالخمر والمصادرة للناس وجباية المكوس وتولى الامور الباطلة فيجوز ذكره بما يجاهر به ولا يجوز بغيره الا بسبب آخر : السادس التعريف فان كان معروفا بلقب كالأعمش والاعرج والازرق والقصير والاعمى والاقطع ونحوها جاز تعريفه ويحرم ذكره بها منتقصا ولو أمكن التعريف بغيره كان أولى انتهى كلامه بحروفه

وأقول مستعينا بالله ومتوكلا عليه قبل التكلم على هذه الصور اعلم انا قد قدمنا أن تحريم الغيبة ثابت بالكتاب والسنة والاجماع والصيغة الواردة فى الكتاب والثابتة في السنة عامة عموما شموليا يقتضى تحريم الغيبة من كل فرد من أفراد المسلمين لكل فرد من أفرادهم فلا يجوز القول بتحليل ذلك في موضع من المواضع لفرد أو أفراد الا بدليل يخصص هذا العموم فان قام الدليل على ذلك فبها ونعمت وان لم يقم فهو من التقول على الله بما لم يقل ومن تحليل ما حرم الله بغير برهان من الله عز وجل: اذا عرفت هذا فاعلم أن الصورة الاولى من الصور التى ذكرها وهى جواز اغتياب المظلوم لظالمه قد دل على جوازها قول الله عز وجل (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم)[1] فهذا الاستثناء قد أفاد جواز ذكر المظلوم للظالم بما يبين للناس وقوع الظلم له من ذلك الظالم ورفع صوته بذلك والجهر به في المواطن التى يجتمع الناس بها أما اذا كان يرجو منهم نصرته ودفع ظلامته ورفع ما نزل به من ذلك الظالم كمن له منهم قدرة على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من الولاة والقضاة وغيرهم فالامر ظاهر وأما اذا كان لا يرجو منهم ذلك وانما أراد كشف مظلمته واشتهارها في الناس فظاهر الآيه الكريمة يدل على جوازه لانه لم يقيدها بقيد يدل على أنه لا يجوز الجهر بالسوء من القول الا لمن يرجو منه النصرة ودفع المظلمة وان كان ما قدمنا

[1] ١ ـ النساء ١٤٨

من كلام النووى يفيد قصر الجواز على من يقدر على دفع الظالم لكن الآية لا تدل على ذلك ولا تمنع مما عداه

وهاهنا بحثان الاول لا يخفاك ان الادلة الدالة على تحريم الغيبة تشمل المظلوم وغيره والآية الدالة على جواز الجهر بالسوء لمن ظلم تفيد جواز ذلك في وجه الظالم وفى غيبته فأدلة تحريم الغيبة أعم من وجه وهو شمولها لغير المظلوم وأخص من وجه وهو عدم تناولها لما يقال فى وجه من يراد ذكره بشىء من قبيح فعله وآية جواز ذكر المظلوم للظالم اعم من وجه وهو جواز ذكر ذلك في وجه الظالم وفى غيبته واخص من وجه وهو عدم تناولها لغير المظلوم وظالمه ولاتعارض فى مادتين وهما دلالة ادلة تحريم الغيبة على عدم جوازها لغائب غير ظالم ودلالة آية جواز الجهر بالسوء على انه يجوز للمظلوم في وجه الظالم وانما التعارض في مادة واحدة وهو ذكر المظلوم الظالم بظلمه له في غيبته فأدلة تحريم الغيبة قاضية بالمنع من ذلك والآية قاضية بالجواز للمظلوم ولا يخفاك ان أدلة تحريم الغيبة أقوى لصراحة دلالة الآية على تحريمها مع اعتضادها بالادلة من السنة واشتداد عضدها بوقوع الاجماع عليها :وآية ذكر المظلوم للظالم وان كانت قطعية المتن فهى ظنية الدلالة وقد عارضها ما هو مثلها من الكتاب العزيز فى قطعية متنه وظنية دلالته وانضم الى ذلك المعارض ماشد عضده وشال بصيغة من السنة والاجماع فتصير دلالة آية جواز ذكر المظلوم للظالم على ذكره بالسوء الذي فعله من الظلم الذى اوقعه على المظلوم في وجهه ولا يجوز له ذكره في غيبته ترجيحا للدليل القوى ومشيا على الطريق السوى فلا تكون هذه الصورة التي جعلها النووي عنوانا للصورة المستثناة صحيحة لعدم قيام مخصص صحيح صالح للتخصيص يخرجها من ذلك العموم

البحث الثانى هل جهر المظلوم بالسوء الذي اصابه من ظالمه جائز فقط أم له رتبة أرفع من رتبة الجواز لان الاستثناء من قوله (لايحب الله الجهر بالسوء)[١] يدل على ان جهر المظلوم بالسوء الذى وقع عليه محبوب لله تعالى واذا كان محبوبا لله تعالى كان فعله من فاعله يزيد تحريه زائدة على الجواز ورتبة ارفع منه وهنا على تقدير ان الاستثناء متصل حتى

١ ـ النساء ١٤٨

يثبت للمستثنى ما نفى عن المستثنى منه أما اذا كان منقطعا فلا دلالة في الآية على انه مما يحبه الله بل لا يدل على سوى جوازه لكن على تقدير الاتصال ههنا مانع من ان يكون لذكر المظلوم لظالمه بالسوء رتبة زائدة على رتبة الجواز وهو ان الله سبحانه قد رغب عباده بالعفو وندبهم الى ترك الانتصاف والتجاوز عن المسيء حتى ورد الارشاد للمظلوم الى ترك الدعاء على ظالمه وانه اذا فعل ذلك انحط عليه من اجر ظلامته ما هو مذكور في الاحاديث : وقد صرح الكتاب في غير موضع بالامر بالعفو والترغيب فيه وعظم اجر العافين عن الناس وهكذا وقع من السنة المطهرة ماهو الكثير الطيب من ذلك: ومجموع هذا يفيد ان الانتصاف وترك العفو غايته ان يكون جائزا وهكذا ما في الآية من جواز ذكر المظلوم للظالم بالسوء الذى ناله منه للقطع بان الله يحب العفو عن الناس وذلك معلوم بالكتاب والسنة والاجماع والادلة عليه من كليات الشريعة وجزئياتها تحتاج الى طول وبسط

وأما الصورة الثانية التي ذكرها النووي فيما قدمنا وهي الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصى الى الصواب فاعلم ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر هما من اعظم عمد الدين لان بهما حصول مصالح الاولى والاخرى فان كانا قائمين قام بقيامهما سائر الاعمدة الدينية والمصالح الدنيوية وان كانا غير قائمين لم يكثر الانتفاع بقيام غيرهما من الامور الدينية والدنيوية: وبيان ذلك ان اهل الاسلام اذا كان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فيهم ثابت الاساس والقيام به هو شأن الكل أو الا كثر من الناس والمعروف بينهم معروف وهم يد واحدة على اقامة من زاغ عنه ورد غواية من فارقه والمنكر لديهم منكر و جماعتهم متعاضدة عليه متداعية اليه متناصرة على الاخذ بيد فاعله وارجاعه الى الحق والحيلولة بينه وبين ما فارقه من الامر المنكر فعند ذلك لا يبقى احد من العباد في ظاهر الامر تاركا لما هو معروف ولا فاعلا لما هو منكر لا فى عبادة ولا في معاملة فتظهر أنوار الشرع وتستطلع شموس العدل وتهب رياح الدين وتستعلن كلمة الله فى

عباده وترتفع أوامره ونواهيه وتقوم دواعى الحق وتسقط دواعى الباطل وتكون كلمة الله هي العليا ودينه هو المرجوع اليه المعول عليه وكتابه الكريم وسنة رسوله المصطفى صلى الله عليه واله وسلم هما المعيار الذى توزن به اعمال العباد وترجع اليهما في دقيق الامور وجليلها وبذلك تنجلى ظلمات البدع وتنقصم ظهور أهل الظلم وتنكسر نفوس اهل معاصى الله وتخفق رايات الشرع في اقطار الارض ويضمحل جولان الباطل في جميع بلاد الله عز وجل

واما اذا كان هذان الركنان العظيمان غير قائمين اوكانا قائمين قياما صوريا لا حقيقيا فيالك من بدع تظهر ومن منكرات تستبين ومن معروفات تستخفى ومن جولان العصاة واهل البدع تقوى وترتفع ومن ظلمات بعضها فوق بعض تظهر في الناس ومن هرج تمرج في العباد ويبرز للعيان وتقر بهعين الشيطان وعند ذلك يكون المؤمن كالشاة العائرة والعاصي كالذئب المفترس وهذا بلا شك ولا ريب بمحو رسوم هذا الدين وذهاب نور الهدى وانطماس معالم الحق وعلى تقدير وجود افراد من العباد يقومون بفرائض الله ويدعون مناهيه ولا يقدرون على امر بمعروف ولا نهى عن منكر فما أقل النفع بهم واحقر الفائدة العائدة على الدين منهم فانهم وان كانوا ناجين باعمالهم فائزين بتمسكهم بعروة الحق الوثقى لكنهم في زمان غربة الدين وانطماس معالمه وظهور المنكر وذهاب المعروف بين أهل السواد الاعظم وفيما يتظاهر به الناس وحينئذ يصير المعروف منكرا والمنكر معروفاً ويعود الدين غريباً كما بدا

واذا تقرر لك هذا وعرفت ما في قيام الامر بالمعروف والنهى عن المنكر في الناس من مصالح المعاش والمعاد وفوائد الدنيا والدين فاعلم ان هذا الذى رأى منكراً ان كان قادراً على تغييره بنفسه او بالاستنصار بمن يمكن الاستنصار به بان يقول لجماعة من المسلمين في المكان الفلانى من يرتكب المنكر فهلموا الى وقوموا معى حتى ننكره ونغيره فليس به الا الغيبة التى هي جهد من لا له جهد حاجة الآن وان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اذا كان موجوداً في عباد

الله فلا يحتاجون الى تعيين فاعل المنكر وبيان انه فلان ابن فلان وان لم يكن فيهم ذلك الوازع الديني والغيرة الاسلامية فهم لا ينشطون الى اجابته بمجرد التسمية والتعيين اذ لا فرق فى مثل هذا بين الاجمال اللهم الا ان يكون سيف الامر بالمعروف والنهى عن المنكر كليلا وعضده ضعيفاً عليلا ضئيلا فانهم قد ينظرون مع التسمية والتعيين في فاعل المنكر فان كان قويا جليلا يتركونه وان كان ضعيفاً حقيراً قاموا اليه وغيروا ما هو عليه وهذا هو غربة الدين العظيمة ولكن في الشر خيار وبعضه أهون من بعض فاذا كانوا بمنزلة من ضعف العزيمة بحيث لا يقدرون الا على الانكار على المستضعفين المستذلين فذلك فرضهم وليس عليهم سوء وحينئذ لا بأس بالتغيير والغيبة التى هى غاية ما يقدر عليه المستضعفون ونهاية ما يتمكن منه العاجزون والله ناصر دينه ولو بعد حين : وجواز الغيبة في مثل هذا المقام هو بادلة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الثابتة بالضرورة الدينية التى لا يقوم بجنبها دليل لا صحيح ولا عليل

فان قلت ههنا دليـــلان بينهما عموم وخصوص من وجه هما أدلة الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وأدلة تحريم الغيبة فكيف لم تعمل ههنا كما عملت في الصورة الاولى ◦ قلت قد عملت ههنا كما عملت فى الصـورة الاولى فرجحت العمل بالراجح كما رجحت في الصورة الاولى العمل بالراجح وان اختلف موضعا الترجيح ففى الصورة الاولى رجحت أدلة الغيبــة لما تقرر من ان العمومين الواردين على هذه الصورة ان رجـح أحدهما على الآخر باعتبار ذاته وجب المصير اليه وان لم يرجح باعتبار ذلك وأمكن الترجيح باعتبار أمر خارج وجب الرجوع اليه وقد وجد المرجح هنالك باعتبـار الامر الخارجي وهو أدلة السنة والاجماع فانها أوجبت ترجيح أدله تحريم الغيبة في تلك الصورة التى وقع فيهـا التعارض على أدلة جواز الجهر بالسوء للمظلوم على طريقة الاعتبار وههنا كان الترجيح في صورة التعارض بكون أحد الدليلين ثابتاً بالضرورة الدينيــة دون الآخر ولهذا قدمنــا لك ماقدمنا في فوائد الامر بالمعروف والنهى عن المنكر

وعرفناك انه لاشيء من الامور الدينية يقوم مقامهما ولايغني غناهما

وأما الصورة الثالثة وهي جواز الغيبة للمستفتي فأقول لايخفاك ان أدلة تحريم الغيبة ثابتة بالكتاب والسنة والاجماع كما قدمنا فصار تحريمها من هذه الحيثية من قطعيات الشريعة وليس في تسويغهما للمستفتي الا سكوته صلى الله عليه وسلم عن الانكار على هند لما قالت له ان أباسفيان رجل شحيح وهذا السكوت منه صلى الله عليه وآله وسلم عند سماع الغيبة من امرأة حديثة عهد بجاهلية لرجل حديث عهد بجاهلية مع كونه في تلك الحال لم يكن قد ظهر منه مايدل على خلوص اسلامه واستقامة طريقه وانما ظهر منه ذلك بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم فهذا التقرير بالسكوت الكائن على هذه الصفة في مثل هذه الحالة بعد ثبوت تحريم الغيبة في القرآن الكريم وفى السنة المطهرة وعلم الصحابة واجماعهم عليه لاينبغي التمسك بمثله ولايحل القول بصلاحيته للتخصيص لان السامعين من المسلمين في تلك الحالة قد علموا تحريم الغيبة وتقرر عندهم حكمها فلو لم يكن السكوت الا لكون حكم الغيبة قد صار معلوماً واضحاً مشهوراً عندهم لكان ذلك بمجرده قادحاً في الاستدلال به وتخصيص الادلة القطعية بمثله وهذا على تقدير أن أباسفيان لم يكن حاضراً في ذلك الموقف فان كان حاضراً كما قيل اندفع التعلق بسكوته صلى الله عليه وآله وسلم من الاصل ومع هذا فلاضرورة ملجئة للمستفتي الى التعيين حتى يقال انه لايتم مطلوبه من الاستفتاء الا بالتعيين فانه يحصل مطلوبه بالاجمال لان المقصود استفتاؤه الحكم الشرعي وهي حاصلة بمعرفة مايقوله المفتي مع الاجمال كما يحصل معرفته بما يقول مع التفصيل والتعيين وهذا مما لاشك فيه ولاشبهة : وبهذا تعرف ان هذه الصورة ليست من صور تخصيص تحريم الغيبة لعدم انتهاض دليلها يعرف ذلك كل عارف بكيفية الاستدلال

وأما الصورة الرابعة قد جعلها النووي رحمه الله في كلامه السابق على أقسام خمسة : القسم الاول الجرح والتعديل للرواة والمصنفين والشهود واستدل على جواز ذلك بل على وجوبه بالاجماع وكلامه صحيح واستدلاله بالاجماع

واضح فانه مازال سلف هذه الامة وخلفها يجرحون من يستحق الجرح من رواة الشريعة ومن الشهود على دماء العباد وأموالهم وأعراضهم ويعدلون من يستحق التعديل ولولا هذا التلاعب بالسنة المطهرة لكثر الكذابون واختلط المعروف بالمنكر ولم يتبين ماهو صحيح مما هو باطل وماهو ثابت مما هو موضوع وماهو قوى مما هو ضعيف للقطع بأنه مازال الكذابون يكذبون على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حذر من ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال « انه سيكذب عليّ فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » وثبت عنه في الصحيح أيضاً انه قال « ان كذباً عليّ ليس ككذب على احدكم » الحديث: وثبت عنه في الصحيح انه قال « خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يفشو الكذب » ففيه دليل على ان الكذب قد كان قبل انقراض القرن الثالث ولكن من غير فشو ثم فشا بعده وبهذا يعرف ان النبي صلى الله عليه وسلم قد اخبر بانه سيكذب عليه خصوصاً ويفشو الكذب عموماً ثم وقع فى الخارج ما اخبر به الصادق المصدوق فانه لم يزل في كل قرن من القرون كذابون يكذبون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويضعون الاكاذيب المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحدثون بها فلولا تعرض جماعة من حملة الحجة لجرح المجروحين وتعديل العدول وذبهم عن السنة المطهرة وتنبيههم لكذب الكذابين لبقيت تلك الاحاديث المكذوبة من جملة الشريعة وعمت بها البلوى فكان قيام الائمة بهذه العهدة من اعظم ما أوجبه الله على العباد ومن أهم واجبات الدين ومن الحماية للسنة المطهرة فجزاهم الله خيراً وضاعف لهم المثوبة فلقد قاموا قياماً مرضياً وخلصوا عباد الله من التكاليف بالكذب وصفوا الشريعة المطهرة وأماطوا عنها الكدر والقذر وأخرسوا الكذابين وقطعوا ألسنتهم وغلغلوا رقابهم والحمد لله على ذلك * وهكذا جرح الشهود وتعديلهم فانه لو لم يقع ذلك لاريقت الدماء وهتكت الحرم واستبيحت الاموال بشهادات الزور التى جعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم من أكبر الكبائر وحذر عنها *

والحاصل ان كليات الشريعة وجزئياتها وقواعدها واجماع أهلها تدل أوضح دلالة على ان هذا القسم لاشك ولاريب في جوازه بل في وجوب بعض صوره صونًا للشريعة وذبًا عنها ودفعًا لما ليس منهــا وحفظًا لاموال العباد ودمائهم واعراضهم وهذا كله داخل فى الضروريات الخمس المذكورة في علم الاصول * ومما يدل على ذلك دلالة بينة ماورد في النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم وخاصتهم فان بيان كذب الكذابين من اعظم النصيحة الواجبة لله ولرسوله ولجميع المسلمين وأدلة وجوب النصيحة متواترة وكذلك جرح من شهد في مال أو دم أو عرض بشهادة زور فانها من النصيحة التي أوجبها الله على عباده واخذهم بتأديتها وأوجب عليهم القيام بها

القسم الثاني الاخبار بالغيبة عند المشاورة ثم مشروعية المناصحة الثابتــة بالتواتر وهو من جملة حقوق المسلم على المسلم كما ثبت فى الصحيح وفيه « واذا استنصحك فانصحه » ولــكن ليس في هذا القسم من الضرورة الملجئــة الى التعيين مافي القسم الاول فانه يمكن القيام بواجب النصيحة بأن يقول الناصح لاأشير عليك بهذا أو لاتفعل كذا أو نحو ذلك وليس عليه من النصيحة زيادة على هذا فالتعيين والدخول فيما هو من الغيبة فضول من الناصح لم يوجبه الله عليه ولاتعبده به ولاضرورة تلجئــه اليه كما في القسم الاول فليس هذا القسم من الاقسام المستثناة من أدلة تحريم الغيبة وبهذا تستريح عن الكلام في تعارض الدليلين الذين بينهما عموم وخصوص من وجه

القسم الثالث قوله ومنها اذا رأيت من يشترى شيئًا معيبًا أو عبداً سارقًا الخ * أقول هذا القسم أيضًا كالقسم الذي قبله لايصح جعله من الصور المستثناة من تحريم الغيبة لان القيام بواجب النصيحة يحصل بمجرد قوله لاأشير عليك بشراء هذا أو نحو هذه العبارة فله عن الدخول في خطر الغيبــة منه وجه وعن الوقوع في مضيقها سعة

القسم الرابع قوله ومنها اذا رأيت متفقها يتردد الى فاسق الخ * أقول وهذا

القسم أيضا كالذى قبله لايصح جعله من الصور المستثناة من تحريم الغيبة لان القيام بواجب النصيحة يحصل بالاجمال ولم يتعبد الله بالتفصيل وذكر المعائب والمثالب بل يكفيه أن يقول لااشير عليك بمواصلة هذا أو لاأرى لك الاخذ عنه أو نحو هذه العبارة فالتصريح بما هو غيبة فضول لم يوجبه الله عليه ولاطلبه منه

القسم الخامس قوله ومنها أن يكون له ولاية الخ * وهذا القسم أيضا كالاقسام التى قبله لايصح جعله من الصور المستثناة من تحريم الغيبة لانه اذا قال له لاتستعمل هذا أو لاأرى لك الركوب عليه فقد فعل ما أوجبه الله عليه من النصيحة والزيادة على هذا المقدار فضول ليس لله فيه حاجة ولا للمنصوح ولا للناصح

وأما الصورة الخامسة وهي ذكر المجاهر بالفسق بما جاهر به * فأقول ان كان المقصود بجواز ذكره بما جاهر به هو التحذير للناس فقد دخل ذلك في الصورة الرابعة وقد اوضحنا مافيها فلانعيده ومع هذا لحصول المطلوب من التحذير يمكن من دون ذكر ماجاهر به بان يقول لمن ينصحه لاتعاشر فلاناً أو لاتداخله أو لاتذهب اليه فان هذا الناصح المشير يقوم بواجب النصيحة بهذا المقدار من دون أن يذكر نفس المعصية التى صار العاصى يجاهر بها وما أقل فائدة التعرض بذلك وأحصره فانه لم يأت دليل يدل على جواز ذكره بما جاهر به بل ذلك غيبة محضة وأما مايروى من حديث « اذكروا الفاسق بما فيه كيما يحذره الناس » فلم يصح ذلك بوجه من الوجوه على انه انما يسمى مجاهراً بمجاهرته بتلك المعصية والاستظهار بها بين الناس وايقاعها علانية وعند ذلك يعلم الناس منه ذلك ويعرفونه بمشاهدته فلايبقى لذكره به كثير فائدة وان كان المقصود بجواز ذكره بما جاهر به استغاثة الذاكر على الانكار عليه لمن يذكر له ذلك الذنب : فهذه الصورة داخلة فى الصورة الثانية التى قدم النووي ذكرها وقدمنا الكلام عليها فلا فائدة لجعلها صورة مستقلة فان استدل المستدل على

جواز مثل هذا بما وقع منه صلى الله عليه وسلم من قوله « بئس أخو العشيرة » فيقال له أولا ان هذا القول الواقع منه صلى الله عليه وسلم لايجوز لنا الاقتداء به فيه لان الله سبحانه قد حرم علينا الغيبة في كتابه العزيز وحرمها رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا بما تقدم ذكره من قوله الصحيح وباجماع المسلمين فعلى تقدير ان هذا القول مما يصدق عليه اسم الغيبة يكون وقوعه منه صلى الله عليه وسلم فى حكم المخصص له من ذلك العموم لكن على هذه الصورة الاجمالية وبهذه الصفة الصادرة منه صلى الله عليه وسلم وأيضا فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم يعلم مالم نعلم ويأتيه الوحي بما لم يأتنا ويبين الله له مالم يبين لنا فلايجوز لنا أن نقتدى به في قول صدر منه على هذه الصفة لجهلنا بالحقائق وعدم اطلاعنا على مافى باطن الامر ولهذا رد صلى الله عليه وسلم على من وصف رجلا في مقامه بأنه مؤمن فقال أو مسلم هو ورد على آخرين بما وصفوا رجلا بالنفاق فقال أشهد أن لااله إلا الله وهذا كله ثابت فى الصحيح وأيضاً فذلك الرجل الذى قال فيه صلى الله عليه وسلم بئس أخو العشيرة لم يكن اذ ذاك قد صلح اسلامه بل هو من جملة من كان يتبع الاسلام ظاهراً مع اضطراب حاله وبقى أثر الجاهلية عليه وقد كان صلى الله عليه وسلم يتألف أمثال هذا ويعاملهم معاملة المسلمين الخالصين الاسلام مع علمه وعلم أصحابه بما هم عليه وكان يقول لمن يأتيه منهم هذا سيد بنى فلان هذا سيد قومه وهذا سيد الوبر ونحو ذلك بل كان يتألفهم بالكثير من المال والنصيب الوافر من المغانم ويكل خلص المؤمنين من المهاجرين والانصار الى ايمانهم ويقينهم: هذا معلوم لايشك فيه عارف ولايخالف فيه مخالف ولايحل لاحدنا أن يعمد الى مايعلم انه خالف (١) الاسلام صحيح النية فيه مؤمن بالله ورسوله وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فيغتابه بمعصية فعلها أو خطيئة جاهر بها مستدلا على ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم « بئس أخو العشيرة » لما أوضحنا لك وليس الخطر ههنا بيسير ولاالخطب بقليل فان الاقدام على الغيبة

---

(١) كذا في الاصل

المحرمة بالكتاب والسنة والاجماع اذا لم يكن فيه برهان من الله سبحانه كان الوقوع فيه وقوعا فيما حرمه الله ونهى عنه والقول بجوازه بدون برهان من التقول على الله بما لم يقل وهو أشد من ذلك وأعظم وأخطر والهداية بيد الله عز وجل

وأما الصورة السادسة وهي التعريف بالالقاب فأقول قد نهى عن ذلك القرآن الكريم قال الله عز وجل (ولا تنابذوا بالالقاب) هذا النهي يدل على تحريم التلقيب ولا يجوز شيء منه الا بدليل يخصص هذا العموم فقد اجتمع على المنع عن هذا دليلان قويان احدهما أدلة تحريم الغيبة والثاني دليل تحريم التلقيب فان كان ذكر ذى اللقب بلقبه في غيبته كان الذاكر جامعاً بين تحريم الغيبة وتحريم التلقيب وان كان ذكر ذى اللقب في وجهه كان الذاكر واقعاً في التلقيب المحرم * فان قلت اذا علمنا ان المذكور بلقبه لا يكره ذكره به قلت اذا علمنا ذلك لم يكن غيبة محرمة لان الغيبة هو ذكرك أخاك بما يكره ولكن الذاكر له بذلك اللقب واقع في مخالفة النهي القرآني المصرح بالنهي عن التنابذ بالالقاب كما لا يخفى فان قلت ان ذكره باللقب أقرب الى تعريفه لمن يشتهر بالاعرج والاعمش والاعور ونحو ذلك قلت هذه الاقربية لا تحلل ما حرم الله فينبغي ذكره بالاوصاف التى لا تلقيب فيها وان طالت المسافة وبعدت وانظر ما في مثل هذا من الخطر العظيم وهذا الوقوع في النهي القرآنى ومما يزيدك على هذا وأمثاله بعد قوله صلى الله عليه وآله وسلم لمن سمعها فذكرت امرأة اخرى أنها قصيرة فقال « لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته » والحديث صحيح فان قلت هذه دواوين الاسلام ومسانيدها ومعاجمها وسائر المصنفات فى السنة مشحونة بذكر الالقاب كالاعمش والاعرج والاعور ونحوها قلت لا يصح ايراد مثل هذا في مقابلة النهي القرآني المصرح بتحريم التنابذ بالالقاب وانما يقتدى الناس باهل العلم فى الخير فاذا جاؤا بما يخالف الكتاب والسنة فالقدوة الكتاب والسنة مع احسان الظن بهم وحملهم على محامل حسنة مقبولة فان قلت فان كان صاحب اللقب لا يعرف إلا به ولا يعرف بغيره اصلا قلت

اذا بلغ الامر الى هذه النهاية ووصل البحث الى هذه الغاية لم يكن ذلك اللقب لقبا بل هو الاسم الذى يعرف به صاحبه اذ لا يعرف باسم سواه فقط والتسمية للانسان باسم يعرف به لا سيما من كان من رواة العلم الحاملين له المبلغين ما عندهم منه الى الناس أمر تدعو اليه الحاجة وألا بطل ما يرويه من العلم خصوصاً ما كان قد تفرد به ولم يشاركه فيه غيره وعلى هذا يحمل ما وقع في المصنفات من ذكر الالقاب فان أهلها وان كانت لهم اسماء ولآبائهم ولاجدادهم فغيرهم يشاركهم فيها فقد يتفق اسم الرجل واسم ابيه مع أبيه واسم جده مع جده فلا يمتاز أحدهما عن الآخر في كثير من الحالات الا بذكر الالقاب ونحوها وحينئذ لم يبق لتلك الاسماء فائدة لان المقصود منها ان يتميز بها صاحبها عن غيره ولم يحصل هذا الذى هو المقصود بها بل انما حصل من اللقب فكان هو الاسم المميز في الحقيقة فلم يكن ذلك من التنابذ بالالقاب فاعرف هذا وتدبره فانه نفيس وبه يندفع ما تقدم من ايراد ما جرى عليه عمل ائمة الرواية وهكذا يرتفع الاشكال عن القاريء لتلك الكتب فلا يقال له انه يروي بالألقاب ويغتاب أهلها بقراءتها في كتب السنة وفي هذا المقدار كفاية والله ولي التوفيق والحمد لله على ذلك

تمت الرسالة والحمد لله

المطبعة العثمانية بمصر لصاحبها خير الدين الزركلي

شرح الصدور

في تحريم رفع القبور

تأليف

« شيخ الاسلام قاضى القضاة الامام العلامة »

« محمد الشوكانى اليمانى »

« المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ »

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وآله الطاهرين وصحبه المكرمين : وبعد فاعلم اذا وقع الخلاف بين المسلمين في ان هذا الشيء بدعة او غير بدعة او مكروه أو غير مكروه أو محرم أو غير محرم أو غير ذلك فقد اتفق المسلمون سلفهم وخلفهم من عصر الصحابة الى عصرنا هذا وهو القرن الثالث عشر منذ البعثة المحمدية ان الواجب عند الاختلاف في أى أمر من أمور الدين بين الائمة المجتهدين هو الرد الى كتاب الله سبحانه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم الناطق بذلك الكتاب العزيز (فإن تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول)[1] ومعنى الرد الى الله سبحانه وتعالى الى كتابه ومعنى الرد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الرد الى سنته بعد وفاته وهذا في الاختلاف بين جميع المسلمين

فاذا قال مجتهد من المجتهدين هذا حلال وقال الآخر هذا حرام فليس احدهما أولى بالحق من الآخر ان كان اكثر منه علما أو اكبر منه سنا أو أقدم منه

١ ـ النساء ٥٩

عصرا لان كل واحد منها فرد من أفراد عباد الله متعبد بما في الشريعة الطاهرة وفي كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ومطلوب منه ما طلب الله من غيره من العباد وكثرة علمه وبلوغه درجة الاجتهاد او مجاوزته لها لا يسقط عنه شيئا من الشرائع التى شرعها لعباده ولا يخرجه من جملة المكلفين من العباد بل العالم كلما ازداد علما كان تكليفه زائداً على تكاليف غيره ولو لم يكن من ذلك الا ما اوجبه الله عليه في البيان للناس كما كلفه به من الصدع وايضاح ما شرعه الله لعباده (واذ أخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه)[١] (ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) فلو لم يكن لمن رزقه الله طرفاً من العلم الا كونه مكلفا بالبيان للناس لكان كافيا فيما ذكرناه من كون العلماء لا يخرجون عن دائرة التكليف بل يزيدون بما علموه تكليفا واذا اذنبوا كان ذنبهم اشد من ذنب الجاهل واكثر عقاباً كما حكاه الله سبحانه عن من عمل سوءاً بجهالة ومن عمله بعلم وكما حكاه في كثير من الآيات عن علماء اليهود حيث أقدموا على مخالفة ما شرعه الله لهم مع كونهم يعلمون الكتاب ويدرسونه ونعى ذلك عليهم في مواضع متعددة وبكتهم أشد تبكيت وكما ورد فى الحديث الصحيح « ان أول ما تسعر به جهنم العالم الذى يأمر الناس ولا يأتمر وينهاهم ولا ينتهى » وبالجملة فهذا أمر معلوم ان العلم وكثرته وبلوغ حاله الى أعلى درجات العرفان لا يسقط عنه شيئا من التكاليف الشرعية بل يزيدها عليه شدة ويخاطب بأمور لا يخاطب بها الجاهل ويكلف بتكاليف غير تكاليف الجاهل ويكون ذنبه أشد وعقوبته أعظم وهذا لا ينكره أحد ممن له أدنى تمييز بعلم الشريعة والآيات : والاحاديث الواردة في هذا المعنى لو جمعت لكانت مؤلفا مستقيا ومصنفا حافلا وليس ذلك من غرضنا فى هذا البحث بل غاية الغرض من هذا ونهاية القصد هو بيان أن العالم كالجاهل في التكاليف الشرعية والتعبد بما في الكتاب والسنة مع ما أوضحناه لك من التفاوت بين الرتبتين رتبة العالم ورتبة الجاهل في كثير من التكاليف

١ ـ آل عمران ١٨٧
البقرة ١٥٩

واختصاص العالم منهما مالا يجب على الجاهل وبهذا يتقرر لك ان ليس لاحد من العلماء المختلفين أو من التابعين لهم والمقتدين بهم أن يقول الحق ما قاله فلان دون فلان أو فلان أولى بالحق من فلان بل الواجب عليه ان كان ممن له فهم وعلم وتمييز أن يرد ما اختلفوا فيه الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فمن كان دليل الكتاب والسنة معه فهو الحق وهو الاولى بالحق ومن كان دليل الكتاب والسنة عليه لا له كان هو المخطىء ولا ذنب عليه فى هذا الخطأ ان كان قد وفي الاجتهاد حقه بل هو معذور بل مأجور كما ثبت في الحديث الصحيح انه « اذا اجتهد فأصاب فله أجران وان اجتهد فاخطأ فله أجر » فناهيك بخطأ يؤجر عليه فاعله ولكن هذا انما هو المجتهد نفسه اذا أخطأ ولا يجوز لغيره أن يتبعه فى خطئه ولا يعذر كعذره ولا يؤجر كاجره بل واجب على من عداه من المكلفين أن يترك الاقتداء به في الخطأ ويرجع الى الحق الذى دل عليه الكتاب والسنة

واذا وقع الرد لما اختلف فيه أهل العلم الى الكتاب والسنة كان من معه دليل الكتاب والسنة هو الذى أصاب الحق ووافقه وان كان واحدا والذى لم يكن معه دليل الكتاب والسنة هو الذى لم يصب الحق بل أخطأه وان كان عدداً كثيراً فليس لعالم ولا لمتعلم ولا لمن يفهم وان كان مقصراً أن يقول ان الحق بيد من يقتدى به من العلماء ان كان دليل الكتاب والسنة بيد غيره فان ذلك جهل عظيم وتعصب شديد وخروج من دائرة الانصاف بالمرة لان الحق لا يعرف بالرجال بل الرجال يعرفون بالحق وليس أحد من العلماء المجتهدين والائمة المحققين بمعصوم ومن لم يكن معصوما فهو يجوز عليه الخطأ كما يجوز عليه الصواب فيصيب تارة ويخطىء أخرى ولا يتبين صوابه من خطئه الا بالرجوع الى دليل الكتاب والسنة فان وافقهما فهو مصيب وان خالفهما فهو مخطىء ولا خلاف في هذه الجملة بين جميع المسلمين أولهم وآخرهم سابقهم ولاحقهم كبيرهم وصغيرهم

وهذا يعرفه كل من له أدنى حظ من العلم وأحقر نصيب من العرفان ومن لم يفهم هذا ويعترف به فليتهم نفسه ويعلم أنه قد جنى على نفسه بالخوض فيما ليس من شأنه والدخول فيما لا تبلغ اليه قدرته ولا ينفذ فيه فهمه وعليه أن يمسك قلمه ولسانه ويشتغل بطلب العلم ويفرغ نفسه لطلب علوم الاجتهاد التى يتوصل بها الى معرفة الكتاب والسنة وفهم معانيهما والتمييز بين دلائلهما ويجتهد عن البحث في السنة وعلومها حتى يتميز عنده صحيحها من سقيمها ومقبولها من مردودها وينظر في كلام الائمة الكبار من سلف هذه الامة وخلفها حتى يهتدى بكلامهم الى الوصول الى مطلوبه فانه ان فعل هذا وتقدم الاشتغال بما قدمنا ندم على ما فرط منه قبل أن يتعلم هذه العلوم غاية الندم وتمنى أنه أمسك عن التكلم بما لا يعنيه وسكت عن الخوض فيما لا يدريه

وما أحسن ما أدبنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما صح عنه في قوله « رحم الله امرءاً قال خيراً أو صمت »(١) وهذا في الذي تكلم في العلم قبل أن يفتح الله عليه بما لا بد منه وشغل نفسه بالتعصب للعلماء وتصدر للتصويب والتخطئة فى شيء لم يعلمه ولا فهمه حق فهمه ولم يقل خيراً ولا صمت فلم يتأدب بالأدب الذي أرشد اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم: واذ قد تقرر لك من مجموع ما ذكرناه وجوب الرد الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم بنص الكتاب العزيز واجماع المسلمين أجمعين عرفت أن من زعم من الناس انه يمكن معرفة المخطىء من العلماء من غير هذه الطريق عند اختلافهم في مسأله من المسائل فهو مخالف لما في كتاب الله ومخالف لاجماع المسلمين أجمعين فانظر أرشدك الله الى أى جناية جنى على نفسه بهذا الزعم الباطل وأى مصيبة وقع فيها بهذا الخطأ الفاحش وأى بلية جلبها عليه القصور وأي محنة شديدة ساقها اليه التكلم فيما ليس من شانه

---

(١) الذي في الجامع الصغير رحم الله امرأ تكلم فغنم أوسكت فسلم اه عن أنس وعن الحسن مرسلا

وها أنا أوضح لك مثال ما ذكرناه من الاختلاف بين أهل العلم ومن كيفية الرد الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ليتبين المصيب من المخطىء ومن بيده الحق ومن بيده غيره حتى يعرف لك حق معرفته ويتضح لك غاية الاتضاح فان الشيء اذا ضربت له الأمثلة وصورت له الصور بلغ من الوضوح والجلاء الى غاية لا تخفى على من له فهم صحيح وعقل رجيح فضلا عن من لم يكن له في العلم نصيب وفي العرفان حظ ولنجعل هذه المسأله التي جعلناها مثالا لما ذكرناه وأيضاحاً لما أمليناه هي المسئلة التي لهج بالكلام فيها أهل عصرنا ومصرنا خصوصا في هذه الايام لاسباب لا تخفى وهي مسئلة رفع القبور والبناء عليها كما يفعله الناس من بناء المساجد والقباب على القبور فنقول

اعلم أن قد اتفق الناس سابقهم ولاحقهم وأولهم وآخرهم من لدن الصحابة رضي الله عنهم الى هذا الوقت ان رفع القبور والبناء عليها بدعة من البدع التي ثبت النهي عنها واشتد وعيد رسول الله صلى الله عليه وسلم لفاعلها كما يأتي بيانه ولم يخالف في ذلك أحد من المسلمين أجمعين لكنه وقع للامام يحيى بن حمزة مقالة تدل على أنه لا بأس بالقباب والمشاهد على قبور الفضلاء ولم يقل بذلك غيره ولا روى عن أحد سواه: ومن ذكر من المؤلفين في كتب الفقه من الزيدية فهو جرى على قوله واقتدوا به ولم نجد القول بذلك لا حد ممن عاصره أو تقدم عصره عليه لا من أهل البيت ولا من غيرهم وهكذا اقتصر صاحب البحر الذي هو مدرس كبار الزيدية ومرجع مذاهبهم ومكان البيان لخلافهم في ذات بينهم وللخلاف بينهم وبين غيرهم بل اشتمل على غالب أقوال المجتهدين وخلافاتهم في المسائل الفقهية وصار هو المرجوع اليه في هذه الاعصار وهذه الديار لمن أراد معرفة الخلاف في المسائل وأقوال القائلين باثباتها أو نفيها من المجتهدين فان صاحب هذا الكتاب الجليل ما نسب هذه المقالة أعني جواز رفع القباب والمشاهد على قبور الفضلاء الا الى الامام يحيى وحده فقال مانصه: مسئلة قال الامام يحيى ولا بأس بالقباب والمشاهد على قبور الفضلاء والملك

لاستعمال المسلمين ولم ينكر انتهى : فقد عرفت من هذا انه لم يقل بذلك الا الامام يحيى وعرفت دليله الذى استدل به وهو استعمال المسلمين مع عدم النكير ثم ذكر صاحب البحر هذا الدليل الذى استدل به الامام يحيى في الغيث واقتصر عليه ولم يأت بغيره: فاذا عرفت هذا تقرر ان هذا خلاف واقع بين الامام يحيى وبين سائر العلماء من الصحابة والتابعين ومن المتقدمين من أهل البيت والمتأخرين ومن أهل المذاهب الأربعة وغيرها ومن جميع المجتهدين أولهم وآخرهم ولا يعترض هذا بحكاية من حكى قول الامام يحيى في مؤلفه ممن جاء بعده من المؤلفين فان كان مجرد حكاية القول لا يدل على أن الحاكى يختاره ويذهب اليه فان وجدت قائلا من بعده من أهل العلم يقول بقوله هذا ويرجحه فان كان مجتهداً كان قائلا بما قاله الامام يحيى ذاهباً الى ما ذهب اليه بذلك الدليل الذى استدل به وان كان غير مجتهد فلا اعتبار بموافقته لانها انما تعتبر أقوال المجتهدين لا أقوال المقلدين فاذا أردت أن تعرف هل الحق ما قاله الامام يحيى أو ما قاله غيره من أهل العلم فالواجب عليك رد هذا الاختلاف الى ما أمرنا الله بالرد اليه وهو كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم

فان قلت بين لى العمل في هذا الرد حتى تتم الفائدة ويتضح الحق من غيره والمصيب من المخطىء فى هذه المسئلة * قلت افتح لما لك وله سمعاً واتخذ له فهماً وأرهف له ذهناً وها انا اوضح لك الكيفية المطلوبة وابين لك ما لا يبقى عندك بعده ريب ولا يصاحب ذهنك وفهمك عنده لبس فأقول

قال الله سبحانه (ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)[١] فهذه الآية فيها الايجاب على العباد بالائتمار بما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم والاخذ به والانتهاء عما نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركه * وقال الله سبحانه وتعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله)[٢] ففى هذه الآية تعليق محبة الله الواجبة على كل عبد من عباده باتباع رسوله صلى

١ ـ الحشر ٧
٢ ـ آل عمران ٣١

الله عليه وآله وسلم وان كان ذلك هو المعيار الذى يعرف به محبة العبد لربه على الوجه المعتبر: وانا أبنا السبب الذى يستحق به العبد أن يحبه الله: وقال الله سبحانه (من يطع الرسول فقد أطاع الله)[1] ففى هذه الآية ان طاعة الرسول طاعة لله * وقال (ومن يطع الله والرسول فاؤلئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا)[2] فاوجب هذه السعادة لمن أطاع الله ورسوله وهي ان يكون مع هؤلاء الذين هم أرفع العباد درجة وأعلاهم منزلة * وقال (ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين)[3] * وقال سبحانه (ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاؤلئك هم الفائزون)[4] وقال سبحانه (اطيعوا الله واطيعوا الرسول)[5] وانزل الله على رسوله ان يقول (فاتقوا الله واطيعون)[6]: والآيات الدالة على هذا المعنى فى الجملة أكثر من ثلاثين آية

ومستفاد من جميع ما ذكرناه ان ما أمر الله به رسوله صلى الله عليه وسلم ونهى عنه كان الأخذ به واتباعه واجبا بأمر الله سبحانه وكان الطاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك طاعة لله وكان الامر من رسول الله صلى الله عليه وسلم أمراً من الله وسنوضح لك ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غير حديث من النهى عن رفع القبور والبناء عليها ووجوب تسويتها وهدم ما ارتفع منها ولكنا هنا نبتدىء بذكر اشياء فى حكم التوطئة والتمهيد لذلك ثم ننتهى الى ذكر ما هو المطلوب حتى يعلم من اطلع على هذا البحث انه اذا وقع الرد على ما قاله الامام يحيى وما قاله غيره في القباب والمشاهد الى ما أمر الله بالرد اليه وهو كتاب الله سبحانه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم كان فى ذلك ما يشفي ويكفي ويقنع ويغني ذكر بعضه فضلا عن ذكر جميعه وعند ذلك نبين لكل من له فهم ما في رفع القبور من الفتنة العظيمة لهذه الأمة ومن المكيدة البالغة التي كادهم الشيطان بها وقد كاد بها من كان قبلهم من الأمم السالفة كما حكى الله سبحانه

١ ـ النساء ٨٠
٢ ـ النساء ٦٩
٣ ـ النساء ١٣ ـ ١٤
٤ ـ النور ٥٢
٥ ـ المائدة ٩٢
٦ ـ آل عمران ٥٠ الشعراء ١٠٨

وتعالى ذلك في كتابه العزيز وكان أول ذلك من قوم نوح قال الله سبحانه (قال نوح رب انهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده الاخسارا ومكروا مكرا كبارا وقالوا لاتذرن آلهتكم ولاتذرن ودا ولاسواعا ولايغوث ويعوق ونسرا) كانوا قوماً صالحين من بني آدم وكان لهم اتباع يقتدون بهم فلما ماتوا قال اصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم لو صورناهم كان اشوق لنا الى العبادة اذا ذكرناهم فصوروهم فلما ماتوا وجاء آخرون دب اليهم ابليس فقال انما كانوا يعبدونهم وهم يسقون المطر فعبدوهم ثم عبدتهم العرب بعد ذلك: وقد حكى معنى هذا في صحيح البخارى عن ابن عباس رضى الله عنه : وقال قوم من السلف ان هؤلاء كانوا قوما صالحين من قوم نوح فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم و يؤيد هذا ما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها ان ام سلمة رضي الله عنها ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسة رأتها بارض الحبشة وذكرت له ما رأت فيها من الصور فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اولئك قوم اذا مات فيهم العبد الصالح او الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور اولئك شرار الخلق عند الله » وأخرج ابن جرير فى تفسير قوله تعالى « افرأيتم اللات والعزى » قال كان يلت لهم السويق فعكفوا على قبره : وفي صحيح مسلم عن جندب بن عبدالله البجلى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت يقول « ألا وان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ألا فلاتتخذوا القبور مساجد فانما أنهاكم عن ذلك » وفى الصحيحين من حديث عائشة رضى الله عنها قالت لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصة على وجهه فاذا اغتم كشفها فقال وهو كذلك « لعنة الله على اليهود والنصارى فقد اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يحذر ماصنعوا . وفي الصحيحين مثله أيضا من حديث ابن عباس رضي الله عنه . وفيهما أيضا من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « قاتل الله اليهود

والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » . وفي الصحيحين من حديث عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذى لم يقم منه « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » ولولا ذلك لابرز قبره غير انه خشى أن يكون مسجداً . وأخرج الامام احمد في مسنده باسناد جيد من حديث عبدالله بن مسعود رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد » وأخرج احمد وأهل السنن من حديث زيد بن ثابت رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال « لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » وفي صحيح مسلم وغيره عن أبي الهياج الأسدى قال قال لي علي بن أبي طالب رضى الله عنه ألا أبعثك على مابعثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لاتدع تمثالا الا طمسته ولاقبراً مشرفاً الاسويته : وفي صحيح مسلم أيضاً عن ثمامة بن شفي نحو ذلك : وفي هذا أعظم دلالة على ان تسوية كل قبر مشرف بحيث يرتفع زيادة عن القدر المشروع واجبة متحتمة فمن إشراف القبور أن يرفع سمكها أو يجعل عليها القباب أو المساجد فان ذلك من المنهى عنه بلا شك ولاشبهة . ولهذا ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث لهدمها أمير المؤمنين رضى الله عنه ثم ان أمير المؤمنين بعث لهدمها أبا الهياج الأسدى في أيام خلافته . وأخرج احمد ومسلم وابوداود والترمذى وصححه النسائى وابن حبان من حديث جابر قال « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجصص القبر وأن يبنى عليه وأن يوطأ » وزاد هؤلاء المخرجون لهذا الحديث عن مسلم « أن يكتب عليه » قال الحاكم النهى عن الكتابة على شرط مسلم وهى صحيحة غريبة وفي هذا التصريح بالنهى عن البناء على القبور وهو يصدق على من بنى على جوانب حفرة القبر كما يفعله كثير من الناس من رفع قبور الموتى ذراعاً فما فوقه لانه لايمكن أن يجعل نفس القبر مسجداً فذلك مما يدل على ان المراد بعض مايقربه مما يتصل به . ويصدق على من بنى قريباً من جوانب القبر كذلك كما في القباب والمساجد والمشاهد

الكبيرة على وجه يكون القبر في وسطها أو في جانب منها فان هذا بناء على القبر لايخفى ذلك على من له أدنى فهم كما يقال بنى السلطان على مدينة كذا أو قرية كذا سوراً وكما يقال بنى فلان في المكان الفلانى مسجدا مع ان سمك البناء لم يباشر الا جوانب المدينة أو القرية أو المكان ولافرق بين أن تكون تلك الجوانب التى وقع وضع البناء عليها قريبة من الوسط كما في المدينة الصغيرة والقرية الصغيرة والمكان الضيق أو بعيدة من الوسط كما في المدينة الكبيرة والقرية الكبيرة والمكان الواسع ومن زعم ان في لغة العرب مايمنع من هذا الاطلاق فهو لايعرف لغة العرب ولايفهم لسانها ولايدري بما استعمله في كلامها

وأذا تقرر لك هذا علمت ان رفع القبور ووضع القباب والمساجد والمشاهد مثلها قد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعله تارة كما تقدم وتارة قال « اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » فدعا عليهم بأن يشتد غضب الله عليهم بما فعلوه من هذه المعصية وذلك ثابت في الصحيح وتارة نهى عن ذلك وتارة بعث من يهدمه وتارة جعله من فعل اليهود والنصارى وتارة قال « لاتتخذوا قبري وثناً » وتارة قال « لاتتخذوا قبري عيداً » أى موسما يجتمعون فيه كما صار يفعله كثير من عباد القبور يجعلون لمن يعتقدونه من الأموات أوقاتاً معلومة يجتمعون عند قبورهم ويعكفون عليها كما يعرف ذلك كل أحد من الناس من أفعال هؤلاء المخذولين الذين تركوا عبادة الله الذي خلقهم ورزقهم ثم يميتهم ويحييهم وعبدوا عبداً من عباد الله صار تحت أطباق الثرى لايقدر على أن يجلب لنفسه نفعاً ولايدفع عنها ضراً كما أمر رسول الله صلى عليه وسلم فيما أمره الله أن يقول (قل لاأملك لنفسى ضراً ولانفعاً)[1] فانظر كيف قال سيد البشر وصفوة الله من خلقه فى انه لايملك لنفسه ضراً ولا نفعاً وكذلك قال فيما صح عنه « يافاطمة بنت محمد لاأغني عنك من الله شيئاً » فاذا كان هذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفسه وفي أخص قرابته به وأحبهم اليه فما ظنك بسائر الاموات الذين لم يكونوا أنبياء معصومين ولارسلا مرسلين

١ ـ يونس ٤٩

بل غاية ماعند أحدهم انه فرد من أفراد هذه الأمة المحمدية وواحد من أهل هذه الملة الاسلامية فهو أعجز وأعجز أن ينفع أو يدفع عنها ضراراً وكيف لايعجز عن شيء قد عجز عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبر أمته كما أخبر الله عنه وأمره بأن يقول للناس بأنه لايملك لنفسه شيئاً من ضر ولانفع وانه لايغنى عن أخص قرابته من الله شيئاً فياعجباً كيف يطمع من له أدنى نصيب من علم أو أقل حظ من عرفان أن ينفعه أو يضره فرد من أفراد أمة هذا النبي الذى يقول عن نفسه هذه المقالة والحال انه فرد من التابعين له المقتدين بشرعه فهل سمعت أذناك أرشدك الله بضلال عقل اكبر من هذا الضلال الذي وقع فى أهل القبور انا لله وانا اليه راجعون: وقد أوضحنا هذا أبلغ ايضاح فى رسالتنا التى سميناها الدر النضيد فى اخلاص التوحيد وهى موجودة بأيدى الناس فلاشك ولا ريب ان السبب الأعظم الذي نشأ معه هذا الاعتقاد في الاموات هو مازينه الشيطان للناس من رفع القبور ووضع الستور عليها وتجصيصها وتزيينها بأبلغ زينة وتحسينها بأكمل تحسين فان الجاهل اذا وقعت عينه على قبر من القبور قد بنيت عليه قبة فدخلها ونظر على القبور الستور الرائعة والسرج المتلألئة وقد ضدعت حوله مجامير الطيب فلاشك ولاريب انه يمتلىء قلبه تعظيماً لذلك القبر ويضيق ذهنه عن تصور مالهذا الميت من المنزلة ويدخله من الروعة والمهابة مايزرع في قلبه من العقائد الشيطانيـة التى هى من أعظم مكائد الشيطان للمسلمين وأشد وسائله الى اضلال العباد ومايزلزله عن الاسلام قليلاقليلا حتى يطلب من صاحب ذلك القبر مالايقدر عليه الا الله سبحانه فيصير في عداد المشركين وقد يحصل له هذا الشرك بأول رؤية لذلك القبر الذي صار على تلك الصـفة وعند أول زورة له لان يخطر بباله ان هذه الغاية البالغة من الاحياء بمثل هذا الميت لايكون الا لفائدة يرجوها منه إما دنيوية أو أخروية ويستصغر نفسه بالنسبة الى من يراه زائراً لذلك القبر وعاكفاً عليه ومتمسحاً بأركانه وقد يجعل الشيطان طائفة من اخوانه من بنى آدم يقفون على ذلك القبر يخادعون من يأتى اليه من الزائرين

يهولون عليهم الامر ويصنعون أموراً من أنفسهم وينسبونها الى الميت على وجه لايفطن له من كان من المغفلين وقد يصنعون أكاذيب مشتملة على أشياء يسمونها كرامات لذلك الميت ويبثونها فى الناس ويكررون ذكرها فى مجالسهم وعند اجتماعهم بالناس فتشيع وتستفيض ويتلقاها من يحسن الظن بالأموات ويقبل عقله مايروىَ عنهم من الا كاذيب فيرويها كما سمعها ويتحدث بها في مجالسه فيقع الجهال فى بلية عظيمة من الاعتقاد وينذرون على ذلك الميت بكرائم أموالهم ويحبسون على قبره من أملاكهم ماهو أحبها الى قلوبهم لاعتقادهم انهم ينالون بذلك بجاه ذلك الميت خيراً عظيماً وأجراً بليغاً ويعتقدون ان ذلك قربة عظيمة وطاعة نافعة وحسنة متقبلة فيحصل بذلك مقصود أولئك الذين جعلهم الشيطان من اخوانه من بنى آدم على ذلك القبر فانهم انما فعلوا تلك الافاعيل وهولوا على الناس بتلك التهاويل وكذبوا بتلك الاكاذيب لينالوا جانباً من الحطام من أموال الطغام الاغتام : وبهذه الذريعة الملعونة والوسيلة الابليسية تكاثرت الاوقاف على القبور وبلغت مبلغا عظيما حتى بلغت غلات ما يوقف على المشهورين منهم ما لو اجتمعت أوقافه ما يقتاته أهل قرية كبيرة من قرى المسلمين ولو بيعت تلك الحبائس الباطلة أغنى الله بها طائفة عظيمة من الفقراء وكلها من النذر في معصية الله : وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال « لانذر في معصية الله » وهى أيضا من النذر الذي لايبتغي به وجه الله بل كلها من النذور التى يستحق بها فاعلها غضب الله وسخطه لأنها تفضى بصاحبها فى الغالب الى ما يفضى به الاعتقاد في الاموات من تزلزل قدم الدين اذ لا يسمح بأحب أمواله والصقها بقلبه الا وقد زرع الشيطان فى قلبه من محبة ذلك القبر وصاحبه والمغالاة فى الاعتقاد فيه ما لا يعود به الى الاسلام سالما نعوذ بالله من الخذلان

ولا شك ان غالب هؤلاء المغرورين المخدوعين لو طلب منهم طالب ان ينذر بذلك الذى نذر به لقبر ميت على ما هو طاعة من الطاعات وقربة من

القربات لم يفعل ولا كاد فانظر الى اين بلغ تلاعب الشيطان بهؤلاء فكيف رمى بهم في هوة بعيدة القعر مظلمة الجوانب فهذه مفسدة من مفاسد رفع القبور وتشييدها وزخرفتها وتجصيصها

ومن المفاسد البالغة الى حد يرقى بصاحبه الى وراء حائط الاسلام ويلقيه على ام رأسه من اعلى مكان من الدين انه يأتي كثير منهم باحسن ما يملكه من الأنعام ويحوزه من المواشي فينحره عند ذلك القبر متقربا به اليه راجيا ما يضمر حصوله له منه فيهل به لغير الله ويتعبد به لوثن من الأوثان بانه لا فرق بين نحر النحائر لحجر منصوبة يسمونها وثناً وبين قبر لميت يسمونه قبراً ومجرد الاختلاف في التسمية لا يغني من الحق شيئا ولا يؤثر تحليلا وتحريما فان من اطلق على الخمر غير اسمها وشربها كان حكمه حكم من شربها وهو يسميها باسمها بلا خلاف بين المسلمين اجمعين ولا شك ان النحر نوع من أنواع العبادة التي تعبد الله العباد بها كالهدايا والفدايا والضحايا المتقرب بها الى القبر والناحر لها عنده لم يكن له غرض بذلك إلا تعظيمه وكرامته واستجلاب الخير منه والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: « لا عقر في الاسلام » قال عبد الرزاق كانوا يعقرون عند القبر يعني بقرة أو شياها رواه ابو داود باسناد صحيح عن انس بن مالك ومستدفع الشر به وهذه عبادة و كفاك من شر سماعه ولاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وانا لله وانا اليه راجعون :وبعد هذا كله تعلم ان ما سقناه من الدلالة وما هو كالتوطيد لها وما هو كالخاتمة نختم بها البحث يقضي ابلغ قضاء وينادي ارفع نداء ويدل اوضح دلالة ويفيد اجلى مفاد ان ماروا ه صاحب البحر عن الامام يحيى غلط من اغاليط العلماء وخطأ من جنس ما يقع للمجتهدين وهذا شأن البشر والمعصوم من عصمه الله وكل عالم يؤخذ من قوله ويترك مع كونه رحمه الله من أعظم الائمة انصافاً وأكثرهم تحريا للحق وارشاداً وتأثيراً ولكنا لما رأيناه قد خالف من عداه بما قاله من جواز بناء القباب على القبور رددنا هذا الاختلاف الى ما اوجب الله الرد اليه وهو كتاب الله وسنة رسوله

صلى الله عليه وسلم فوجدنا في ذلك ما قدمنا ذكره من الادلة الدالة أبلغ دلالة والمنادية بأعلى صوت بالمنع من ذلك والنهي عنه واللعن لفاعله والدعاء عليه واشتداد غضب الله عليه مع ما في ذلك من كونه ذريعة الى الشرك ووسيلة الى الخروج عن الملة كما أوضحناه فلو كان القائل بما قاله الامام يحيي بعض الائمة أو أكثرها لكان قولهم رداً عليهم كما قدمناه في أول هذا البحث فكيف والقائل به فرد من أفرادهم وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « كل أمر ليس عليه أمرنا فهو رد » ورفع القبور وبناء القباب عليها ليس عليه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم كما عرفناك بذلك فهو رد على قائله أي مردود عليه والذي شرع للناس هذه الشريعة الاسلامية هو الرب سبحانه بما أنزله في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فليس لعالم وان بلغ من العلم الى أرفع رتبة وأعلى منزلة أن يكون بحيث يقتدى به فيما خالف الكتاب والسنة أو أحدهما بل ما وقع منه الخطأ بعد توفية الاجتهاد حقه يستحق به أجراً ولا يجوز لغيره أن يتابعه وقد أوضحنا هذا في أول البحث بما لا يأتي التكرار له بمزيد

(فائدة) وأما ما استدل به الامام يحيى حيث قال لاستعمال المسلمين ومدارسهم ومجالس حفاظهم يرد بها الآخر عن الاول والصغير عن الكبير والمتعلم عن العالم من لدن أيام الصحابة الى هذه الغاية أوردها المحدثون في كتبهم المشهورة من الامهات والمسندات والمصنفات وأوردها المفسرون في تفسيرهم وأهل الفقه في كتبهم الفقهية وأهل الاخبار والسير في كتب الاخبار والسير فكيف يقال ان المسلمين لم ينكروا على من فعل ذلك وهم يروون أدلة النهي عنه واللعن لفاعله خلفا عن سلف في كل عصر ومع هذا فلم يزل علماء الاسلام منكرين لذلك مبالغين في النهي عنه وقد حكى ابن القيم عن شيخه تقي الدين وهو الامام المحيط بمذاهب سلف هذه الامة وخلفها أنه قد صرح عامة الطوائف بالنهي عن بناء المساجد على القبور ثم قال وصرح أصحاب احمد ومالك والشافعي بتحريم ذلك وطائفة أطلقت الكراهة لكن ينبغي أن يحمل على كراهة التحريم

احسانا للظن بهم وأن لا يظن بهم أن يجوزوا ما تواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من لعن فاعله والنهي عنه انتهى

فانظر كيف حكى التصريح عن عامة الطوائف وذلك يدل على انه اجماع من أهل العلم على اختلاف طوائفهم ثم بعد ذلك جعل أهل ثلاثة مذاهب مصرحين بالتحريم وجعل طائفة مصرحة بالكراهة وحملها على كراهة التحريم فكيف يقال أن بناء القباب والمشاهد لم ينكره أحد ثم انظر كيف يصح استثناء أهل الفضل برفع القباب على قبورهم وقد صح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما قدمنا أنه قال « أولئك قوم اذا مات فيهم العبد الصالح أو الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً ثم لعنهم بهذا السبب فكيف يسوغ من مستثنى (١) أهل الفضل بفعل هذا المحرم الشديد على قبورهم مع أن أهل الكتاب الذين لعنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحذر الناس ما صنعوا لم يعمروا المساجد الا على قبور صلحائهم ثم هذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيد البشر وخير الخليقة وخاتم الرسل وصفوة الله من خلقه ينهى أمته أن يجعلوا قبره مسجداً أو وثنا أو عيداً وهو القدوة لأمته: ولأهل الفضل من القدوة به والتأسي بأفعاله وأقواله الحظ الأوفر وهم أحق الامة بذلك وأولاهم به وكيف يكون فعل بعض الامة وصلاحه مسوغاً لفعل هذا المنكر على قبره وأصل الفضل ومرجعه هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأي فضل ينسب الى فضله أدنى نسبة أو يكون له بجنبه أقل اعتبار فان كان هذا محرماً منهياً عنه ملعوناً فاعله في قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فما ظنك بقبر غيره من أمته وكيف يستقيم أن يكون للفضل مدخل في تحليل المحرمات وفعل المنكرات اللهم اغفر *

« تمت والحمد لله »

---

(١) كذا الاصل وهو غير ظاهر المعنى ولعل العبارة هكذا فكيف يسوغ من هذا استثناء أهل الفضل الخ

مسائل من الاصول (١)

« للامام العلامة الاصولى المحدث الفقيه »

« ابي محمد على بن حزم الاندلسي رحمه الله »

« المتوفى سنة ٤٥٦ هـ »



مسألة

دين الاسلام اللازم لكل أحد لا يؤخذ الا من القرآن أو مما يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اما برواية جميع علماء الامة عنه عليه الصلاة والسلام وهو الاجماع واما بنقل جماعة عنه عليه الصلاة والسلام وهو نقل الكافة : واما برواية الثقات واحداً عن واحد حتى يبلغ اليه عليه السلام ولا مزيد : قال تعالى (وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى) [١] وقال تعالى (اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء) [٢] وقال تعالى (اليوم اكملت لكم دينكم) [٣] فان تعارض فيما يرى المرء آيتان أو حديثان صحيحان أو حديث صحيح وآية فالواجب استعمالهما جميعاً لان طاعتهما سواء في الوجوب

١ ـ النجم ٣ ـ ٤

٢ ـ الأعراف ٣

٣ ـ المائدة ٣

(١) ذكرها المؤلف في مقدمة كتابه المحلى بالآثار في شرح المحلى بالاختصار بعد ان ذكر مسائل التوحيد وقد رغب بعض الاصدقاء في نشرها ضمن مجموعة الرسائل المنيرية فاجيب طلبه ولما كان للسيد الامير الصنعاني تعليق عليها احببنا نشره اتماما للفائدة مع بعض تعليقات للادارة المنيرية مع التصريح بذلك باسمها لئلا يلتبس على القارىء بالتعليق الآخر

فلا يحل ترك أحدهما للآخر ما دمنا نقدر على ذلك وليس هذا الا بان يستثنى الاقل معانى من الأكثر فان لم نقدر على ذلك وجب الأخذ بالزائد حكما لانه متيقن وجوبه ولا يحل ترك اليقين بالظنون ، ولا اشكال فى الدين قد بين الله تعالى دينه قال تعالى (اليوم اكملت لكم دينكم)[١] وقال تعالى (تبيانا لكل شيء)[٢]

مسألة

الموقوف والمرسل لا تقوم بهما حجة ، وكذلك ما لم يروه الا من لا يوثق بدينه وبحفظه ، ولا يحل ترك ما جاء في القرآن وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول صاحب أو غيره سواء كان هو راوى ذلك الحديث أولم يكن ، والمرسل هو ما كان بين احد رواته أو بين الراوي وبين النبي صلى الله عليه واله وسلم من لا يعرف ، والموقوف هو ما يبلغ به الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم :

ـ برهان بطلان الموقوف ـ قول الله عز وجل (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل)[٣] ولا حجة في أحد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لانه ظن وقد قال تعالى (ان الظن لا يغنى من الحق شيئا)[٤] وقال تعالى (ولا تقف ما ليس لك به علم)[٥] :

واما المرسل (١) ومن فيرواته من لا يوثقبدينه وحفظه فلقول الله تعالى (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم) فاوجب الله عز وجل قبول نذارة الناس للتفقه فى الدين وقال تعالى « يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين »[٦] وليس في العالم الا عدل أو فاسق فحرم الله

١ ـ المائدة ٣
٢ ـ النحل ٨٩
٣ ـ النساء ١٦٥
٤ ـ يونس ٣٦
٥ ـ الاسراء ٣٦
٦ ـ الحجرات ٦

(١) أى وأما بطلان الاستدلال بحديث المرسل الخ أي والحديث الضعيف : الادارة

تعالى علينا قبول خبر الفاسق فلم يبق الا العدل فصح انه هو المأمور بقبول نذارته

وأما المجهول ـ فلسنا على ثقة من انه على الصفة التى أمر الله تعالى معها بقبول نذارته وهي التفقه في الدين فلا يحل لنا قبول نذارته حتى يصح عندنا فقهه في الدين وحفظه لما ضبط من ذلك وبراءته من الفسق ؛ وبالله تعالى التوفيق

ولم يختلف أحد من الأمم في ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعث الى الملوك رسولا ـ رسولا واحداً الى كل مملكة يدعوهم الى الاسلام ـ واحدا واحداً الى كل مدينة والى كل قبيلة كصنعاء الجند وحضرموت وتيماء ونجران والبحرين وعمان وغيرها يعلمهم أحكام الدين كلها : وافترض على اهل كل جهة قبول رواية أميرهم ومعلمهم فصح قبول خبر الواحد الثقة عن مثله مبلغا الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

ومن ترك القرآن او ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقول صاحب أو غيره سواء كان راوى ذلك الخبر أو غيره فقد ترك ما أمره الله تعالى باتباعه لقول من لم يأمره الله تعالى قط بطاعته ولا باتباعه وهذا خلاف لامر الله تعالى ،

وليس فضل الصاحب عند الله بموجب تقليد قوله وتأويله لانه تعالى لم يأمر بذلك لكن موجب تعظيمه ومحبته وقبول روايته فقط لان هذا هو الذي اوجب الله تعالى

مسألة

والقرآن ينسخ القرآن والسنة : والسنة تنسخ السنة والقرآن (١)

---

(١) ما ذهب اليه من نسخ القرآن بالسنة حكي قولا للشافعي وحكى كثيرون عنه انه لا ينسخ الكتاب بالسنة جزما كما في المحلي على جمع الجوامع وقال ابن تيمية : يتوجه الاحتجاج بآية « ماننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها » على انه لاينسخ القرآن

قال الله تعالى عز وجل « ما ننسخ من آية او ننسها نأت بخير منها أو مثلها »[١] وقال تعالى « لتبين للناس ما نزل اليهم »[٢] وقال تعالى « وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى »[٣] وأمره تعالى ان يقول (ان اتبع الا ما يوحى الي)[٤] وقال تعالى (ولو تقول علينا بعض الاقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين)[٥] فصح ان كل ما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فعن الله تعالى قاله ، والنسخ بعض من أبعاض البيان وكل ذلك من عند الله تعالى

مسألة

ولا يحل لاحد ان يقول في آية او في خبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثابت هذا منسوخ وهذا مخصوص في بعض ما يقتضيه ظاهر لفظه ولا ان لهذا النص تأويلا غير مقتضى ظاهر لفظه ولا ان هذا الحكم غير واجب من حين وروده الا بنص آخر وارد بان هذا النص كما ذكر او باجماع متيقن بانه كما ذكر بضرورة حس موجبة انه كما ذكر والا فهو كاذب :

برهان ذلك قول الله تعالى (وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله)[٦] وقوله تعالى (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم)[٧] وقال تعالى (بلسان عربي مبين)[٨] وقال تعالى (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه)[٩] وقال تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم)[١٠] فقوله تعالى (وما أرسلنا من رسول الا ليطاع) موجب طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في كل ما أمر به : وقوله تعالى

١ ـ البقرة ١٠٦
٢ ـ النحل ٤٤
٣ ـ النجم ٣ ـ ٤
٤ ـ الأنعام ٥٠
٥ ـ الحاقة ٤٤ ـ ٤٧
٦ ـ النساء ٦٤
٧ ـ ابراهيم ٤
٨ ـ الشعراء ١٩٥
٩ ـ البقرة ٧٥
١٠ ـ النور ٦٣

الا قرآن كما هو مذهب الشافعي وهو اشهر الروايتين عن الامام احمد وعليها عامة اصحابه اه ودليله جلي وهو ان الظني الدلالة لايساوي قطعيها فلا يقوي على نسخه وقد نقل الرازي وغيره عن ابي مسلم الاصفهاني ان النسخ غير واقع في التنزيل ورد كل آية قيل بنسخها الى انها محكمة كما تراه مبسوطاً في مواضع من تفسيره والمسألة مبسوطة في مواضع اخر

(أطيعوا الله) موجب طاعة القرآن ، ومن ادعى في آية أو خبر نسخا فقد أسقط وجوب طاعتها وهو مخالف لامر الله تعالى في ذلك ، وقوله تعالى (وما ارسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم)[1] موجب أخذ كل نص فى القرآن والاخبار على ظاهره ومقتضاه في اللغة العربية : فمن ادعى في شيء من ذلك ان المراد به غير مايقتضيه لفظه في اللغة العربية فقد خالف قول الله تعالى وحكمه وقال عليه عز وجل الباطل وخلاف قوله عز وجل ، ومن ادعى ان المراد بالنص بعض مايقتضيه في اللغة العربية لا كل مايقتضيه فقد أسقط بيان النص وأسقط وجوب الطاعة له بدعواه الكاذبة وهذا قول على الله تعالى بالباطل ، وليس بعض مايقتضيه النص بأولى بالاقتصار عليه من سائر مايقتضيه ، وقوله تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن أمره)[2] موجب للوعيد على من قال : لاتجب علي موافقة أمره وموجب حمل جميع النصوص على الوجوب ، ومن ادعى تأخير الوجوب مدة ما فقد أسقط وجوب طاعة الله ووجوب ما أوجب عز وجل من طاعة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم في تلك المدة وهذا خلاف لامر الله عز وجل ، فاذا شهد لدعوى من ادعى بعض ماذكرنا قرآن أو سنة ثابتة إما باجماع أو نقل صحيح فقد صح قوله ووجب طاعة الله تعالى فى ذلك . وكذلك من شهدت له ضرورة الحس لانها فعل الله تعالى فى النفوس والا فهى أقوال مؤدية الى ابطال الاسلام وابطال جميع العلوم وابطال جميع اللغات كلها وكفى بهذا فساداً وبالله تعالى التوفيق

مسألة

والاجماع هو ماتيقن ان جميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عرفوا به وقالوا به ولم يختلف منهم أحد كتيقننا انهم كلهم رضى الله عنهم صلوا معه عليه السلام الصلوات الخمس كما هى فيعدد ركوعها وسجودها أو علموا أنه صلاها مع الناس كذلك وانهم كلهم صاموا معه أو علموا انه صام مع الناس

[1] ابراهيم ٤
[2] النور ٦٣

رمضان في الحضر وكذلك سائر الشرائع التى تيقنت مثل هذا اليقين والتى من لم يقر بها لم يكن من المؤمنين

وهذا مالايختلف أحد في انه اجماع وهم كانوا حينئذجميع المؤمنين لامؤمن في الارض غيرهم ومن ادعى ان غير هذا هو اجماع كلف البرهان على مايدعي ولاسبيل له اليه

مسألة

وماصح فيه خلاف من واحد منهم رضى الله عنهم أو لم يتيقن ان كل واحد منهم رضى الله عنهم عرفه ودان به فليس اجماعاً لان من ادعى الاجماع ههنا فقد كذب وقفا مالاعلم له به والله تعالى يقول (ولاتقف ماليس لك به علم)[1]

مسألة

ولو جاز أن يتيقن اجماع أهل عصر بعدهم أولهم عن آخرهم على حكم نص لايقطع فيه باجماع الصحابة رضي الله عنهم لوجب القطع بأنه حق وحجة وليس كان يكون اجماعاً :

أما القطع بأنه حق وحجة فلما ذكرناه قبل باسناده من قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « لن تزال طائفة من أمتى ظاهرة على الحق لايضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله » فصح من هذا انه لايجوز ألبتة أن يجمع أهل عصر ولو طرفة عين على خطاء ولابد من قائل بالحق فيهم : وأما انه ليس اجماعا فلأن أهل كل عصر بعد عصر الصحابة رضى الله عنهم ليس جميع المؤمنين وانما هم بعض المؤمنين والاجماع انما هو اجماع جميع المؤمنين لا إجماع بعضهم ولو جاز أن يسمى اجماعاً ماخرج عن الجملة واحد لايعرف أيوافق سائرهم أم يخالفهم لجاز أن يسمى اجماعاً ماخرج عنهم فيه اثنان وثلاثة واربعة وهكذا أبداً الى أن يرجع الامر الى أن يسمى اجماعاً ماقاله واحد وهذا باطل ولكن لاسبيل الى

[1] ١ ـ الاسراء ٣٦

تيقن اجماع جميع أهل عصر بعد الصحابة رضى الله عنهم لكثرة أعداد الناس بعدهم ولانهم طبقوا مابين المغرب والمشرق ولم تكن الصحابة رضى الله عنهم كذلك بلى كانوا عدداً ممكناً حصره وضبطه وضبط أقوالهم فى المسئلة وبالله تعالى التوفيق . وقد قال بعض الناس يعلم ذلك من حيث يعلم رضا اصحاب مالك وأصحاب ابى حنيفة وأصحاب الشافعى بأقوال هؤلاء « قال على » (١) وهذا خطأ لانه لاسبيل الى أن يكون مسألة قال بها أحد من هؤلاء الفقهاء إلا وفي أصحابه من يمكن أن يخالفه فيها وان وافقه في سائر أقواله

مسألة

والواجب اذا اختلف الناس أو نازع واحد فيمسألة ما أن يرجع الىالقرآن وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لاالى شيء غيرهما ولايجوز الرجوع الى عمل اهل المدينة ولاغيرهم * برهان ذلك قول الله عزوجل (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر)[١] فصح انه لايحل الرد عند التنازع الى شيء غير كلام الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وفي هذا تحريم الرجوع الى قول أحد دون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لان من رجع الى قول انسان دونه عليه السلام فقد خالف أمر الله تعالى بالرد اليه والى رسولهلاسيا مع تعليقه تعالى ذلك بقوله (إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) ولم يأمر الله تعالى قط بالرجوع الى قول بعض المؤمنين دون جيعهم ، وقد كان الخلفاء رضى الله عنهم كابي بكر وعمر وعثمان بالمدينة وعمالهم باليمن ومكة وسائر البلاد وعمال عمر وعثمان بالبصرة والكوفة ومصر والشام

ومن الباطل المتيقن الممتنع الذى لايمكن أن يكونوا رضى الله عنهم طووا

١ ـ النساء ٥٩

(١) وقوله قال علي يعني به المصنف نفسه لان اسمه ابومحمد على بن احمد بن سعيد بن حزم الاندلسي : أه ادارة الطباعة المنيرية

علم الواجب والحلال والحرام عن سائر الامصار واختصوا به أهل المدينة فهذه صفة سوء قد أعاذهم الله تعالى منها وقد عمل ملوك بنى أمية باسقاط بعض التكبير من الصلاة وبتقديم الخطبة على الصلاة في العيدين حتى فشا ذلك في الارض فصح انه لاحجة في عمل أحد دون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

مسألة

ولايحل القول بالقياس في الدين ولا بالرأى (١) لان أمر الله تعالى عند التنازع بالرد الى كتابه والى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم قد صح فمن رد الى قياس والى تعليل يدعيه أو الى رأي فقد خالف أمر الله تعالى المعلق بالايمان ورد الى غير من أمر الله تعالى بالرد اليه وفي هذا مافيه (قال على) وقول الله تعالى (مافرطنا في الكتاب من شيء)[١]: وقوله تعالى (تبيانا لكل شيء)[٢]: (لتبين للناس مانزل اليهم)[٣] وقوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم)[٤] إبطال للقياس وللرأى لانه لايختلف أهل القياس والرأى في انه لايجوز استعمالها مادام يوجد نص: وقد شهد الله تعالى بأن النص لم يفرط فيه شيئا وان رسوله عليه الصلاة والسلام قد بين للناس كل مانزل اليهم وان الدين قد كمل فصح ان النص قد استوفى جميع الدين فاذا كان ذلك كذلك فلاحاجة بأحد الى قياس (٢) ولا الى غيره:

ونسأل من قال بالقياس هل كل قياس قاسه قائس حق أم منه حق ومنه باطل فان قال كل قياس حق أحال (٣) لان المقاييس تتعارض ويبطل بعضها بعضا ومن المحال أن يكون الشيء وضده من التحريم والتحليل حقا معا وليس

١ ـ الأنعام ٣٨
٢ ـ النحل ٨٩
٣ ـ النحل ٤٤
٤ ـ المائدة ٣

(١) قال السيد فسر المصنف الرأي في بعض رسائله بأنه الحكم في الدين بغير نص بل بما يراه المفتي أحوط وأعدل في التحليل والتحريم والايجاب (قال) ومن وقف على هذا الحد وعرف ماممنى الرأي اكتفى في ايجاب المنع منه بغير برهان اذ هو قول بلا برهان أهـ وكان حدوث الرأي في القرن الاول قرن الصحابة والقياس في القرن الثاني أهـ

(٢) في بعض النسخ ولاالى رأي وهو غيرظاهر ولعل الاصل هكذا: ولاالى رأي تسه اه

(٣) أي أتى بالمحال الذي لايقع

هذا مكان نسخ ولا تخصيص كالأخبار المتعارضة التي ينسخ بعضها بعضاً ، وإن قال منها حق ومنها باطل قيل له فعرفنا بماذا نعرف القياس الصحيح من الفاسد ولا سبيل لهم الى وجود ذلك أبداً واذا لم يوجد دليل على تصحيح الصحيح من القياس من الباطل منه فقد بطل كله وصار دعوى بلا برهان، فان ادعوا ان القياس قد أمر الله تعالى به سئلوا أين وجدوا ذلك فان قالوا قال الله عزوجل (فاعتبروا يا أولي الابصار)[1] قيل لهم ان الاعتبار ليس هو فى كلام العرب الذى نزل به القرآن إلا التعجب قال الله تعالى عز وجل (وإن لكم في الانعام لعبرة)[2] أي لعجباً وقال تعالى (لقد كان فى قصصهم عبرة لاولي الالباب)[3] أي عجب : ومن العجب أن يكون معنى الاعتبار القياس ويقول الله تعالى لنا فاعتبروا قيسوا ثم لايبين لنا ماذا نقيس ولا كيف نقيس ولا على ماذا نقيس هذا ما لا سبيل اليه لانه ليس في وسع أحد أن يعلم شيئاً من الدين إلا بتعليم الله تعالى له إياه على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد قال تعالى (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها)[4] فان ذكروا أحاديث وآيات فيها تشبيه شيء بشيء وان الله تعالى قضى وحكم بأمر كذا من أجل أمر كذا قلنا لهم كل ماقاله الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم من ذلك فهو حق لايحل لاحد خلافه وهو نص به نقول وكل ماتريدون أن تشبهوه في الدين وأن تعللوه مما لم ينص عليه الله تعالى ولا رسوله عليه الصلاة والسلام فهو باطل وإفك وشرع لم يأذن الله تعالى به وهذا يبطل عليهم تهويلهم بذكر آية جزاء الصيد وارأيت لومضمضت : و (من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل)[5] وكل آية وحديث موهوا بايراده وهو مع ذلك حجة عليهم على ماقد بيناه في كتاب الاحكام لاصول الاحكام : وفي ; كتاب النكت : وفى كتاب الدرة : وفى كتاب النبذة

(قال علي) وقد عارضناهم فى كل قياس قاسوه بقياس مثله او صح منه على اصولهم ليريهم فساد القياس جملة فموه منهم مموهون بأن قالوا انتم إذاً تبطلون القياس بالقياس وهذا منكم رجوع الى القياس واحتجاج به وانتم في

١ ـ الحشر٢
٢ ـ النحل ٦٦
٣ ـ يوسف ١١١
٤ ـ البقرة ٢٨٦
٥ ـ المائدة ٣٢

ذلك بمنزلة المحتج على غيره بحجة العقل ليبطل حجة العقل وبدليل من النظر ليبطل به النظر (قال علي) فقلنا هذا شغب يسهل افساده ولله الحمد ونحن لم نحتج بالقياس في ابطال القياس ومعاذ الله من هذا لكن اريناكم ان اصلكم الذي اثبتموه من تصحيح القياس يشهد بفساد جميع قياساتكم ولا أظهر باطلا من قول أكذب نفسه وقد نص تعالى على هذا فقال تعالى (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم)[1] فليس هذا تصحيحاً لقولهم انهم ابناء الله وأحباؤه ولكن الزاماً لهم ما يفسد به قولهم ولسنا في ذلك كمن ذكرتم ممن يحتج في ابطال حجة العقل بحجة العقل لكن فاعل ذلك مصحح لقضيته العقلية التى يحتج بها فظهر تناقضه من قريب ولاحجة له غيرها فقدظهر بطلان قوله ، واما نحن فلم نحتج قط في ابطال القياس بقياس نصححه لكن نبطل القياس بالنصوص وببراهين العقل ثم نزيد بياناً في فساده منه نفسه بان نروى تناقضه جملة فقط والقياس الذي يعارض به قياسكم نقر بفساده وفساد قياسكم الذي هو مثله او اضعف منه كما نحتج على اهل كل مقالة من معتزلة ورافضة ومرجئة وخوارج ويهود ونصارى ودهرية من اقوالهم التى يشهدون بصحتها فنريهم تفاسدها وتناقضها وانتم تحتجون عليهم معنا كذلك ولسنا نحن ولا انتم ممن يقر بتلك الاقوال التى تحتج عليهم بها بل هى عندنا في غاية البطلان والفساد وكاحتجاجنا على اليهود والنصارى من كتبهم التى بأيديهم ونحن لا نصححها بل نقول انها محرفة مبدلة لكن لنريهم تناقض أقوالهم وفروعهم لا سيما وجميع أصحاب القياس مختلفون في قياساتهم لا تكاد توجد مسألة الا وكل طائفة منهم تأتى بقياس تدعى صحته تعارض به قياس الأخرى وهم كلهم مقرون مجمعون على انه ليس كل قياس صحيحا ولا كل رأى حقاً فقلنا لهم فهاتوا حد القياس الصحيح والرأى الصحيح الذى نميز به من القياس الفاسد والرأى الفاسد وهاتوا حد العلة الصحيحة التى تقيسون عليها من

١ ـ المائدة ١٨

العلة الفاسدة فلجلجوا (١)

قال علي — وهذا مكان أدرم عليهم فيه ظهر فساد قولهم جملة ولم يكن لهم الى جواب يفهم سبيل أبداً وبالله تعالى التوفيق، فان أتوا في ذلك بنص قلنا النص، والذي تريدون انتم إضافته الى النص بآرائكم باطل وفي هذا خولفتم وهكذا أبداً، فان أدعوا ان الصحابة رضي الله عنهم أجمعوا على القول بالقياس قيل لهم كذبتم بل الحق انهم كلهم أجمعوا على إبطاله.

برهان كذبهم انه لا سبيل لهم الى وجود حديث عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم انه أطلق الامر بالقول بالقياس إلا في الرسالة المكذوبة الموضوعة على عمر رضي الله عنه فان فيها: فاعرف الاشباه والأمثال وقس الأمور، وهذه رسالة لم يروها إلا عبدالملك بن الوليد بن معدان عن أبيه وهو ساقط بلا خلاف (٢) وأبوه أسقط منه ومن هو مثله في السقوط فكيف وفي هذه الرسالة نفسها أشياء خالفوا فيها عمر رضي الله عنه منها قوله فيها: والمسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلوداً في حد أو ظنيناً في ولاء أو نسب، وهم لا يقولون بهذا يعني جميع الحاضرين من أصحاب القياس حنفيهم ومالكيهم وشافعيهم وإن كان قول عمر لو صح في تلك الرسالة في القياس حجة فقوله في ان المسلمين عدول كلهم إلا مجلوداً في حد حجة وإن لم يكن قوله في ذلك حجة فليس قوله في القياس حجة لو صح فكيف ولم يصح

(١) قال الامير الصنعاني العلة الصحيحة مادل عليها التعليل للحكم بها في نص الكتاب أو السنة بأي حروف التعليل المعروفة باللغة أو بتعليق الحكم على الوصف المناسب للتعليل. والعلة الفاسدة مالم يأت تعليل الحكم بها في كتاب ولا سنة كالشبه والدوران ونحوهما من مسالكها الباطلة اه وقوله ادرم عليهم اي خفي واشتبه

(٢) في الميزان عبد الملك بن الوليد بن معدان عن عاصم بن ابي النجود قال يحيى بن معين صالح وقال ابو حاتم ضعيف وقال ابن حبان يقلب الاسانيد لا يحل الاحتجاج به وقال البخاري فيه نظر اه من حاشية الاصل وكتب فيها أيضاً: تأمل القول بأن كتاب عمر الى ابي موسى كتاب مكذوب وقد شرحه ابن القيم في كتابه اعلام الموقعين اه ولا يلزم من شرحه صحته فان المدار في الصحة على الرجال لا على الشروح

وأما برهان صحة قولنا في إجماع الصحابة رضى الله عنهم على إبطال القياس فانه لايختلف اثنـان في ان جميع الصحابة مصدقون في القرآن وفيه (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى)[1] وفيه (فان تنازعتم في شىء فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر)[2] فمن الباطل المحال أن يكون الصحابة رضى الله عنهم يعلمون هذا ويؤمنون به ثم يردون عند التنازع الى قياس أو رأى (١) هذا مالايظنه بهم ذوعقل فكيف وقد ثبت عن الصديق رضى الله عنه انه قال : أي أرض تقلنى أو أى سماء تظلني إن قلت في آية من كتاب الله برأى أو بما لاأعلم (٢) وصح عن الفاروق رضى الله عنه انه قال : اتهموا الرأى على الدين وان الرأي منا هو الظن والتكلف . وعن عثمان رضى الله عنه في فتيا أفتى بها إنمـا كان رأياً فمن شاء أخذ ومن شـاء تركه ، وعن علىّ رضي الله عنه : لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه (٣)

وعن سهل بن حنيف رضى الله عنه : أيها الناس اتهموا رأيكم على دينكم

١ ـ المائدة ٣

٢ ـ النساء ٥٩

(١) قال السيد يقال عليهم هم اذا ردوه الى قياس له علة منصوصة فى كتاب أو سنة فقد ردوه الى الله تعالى والرسول صلى الله عليه وآله وسلم وقد ذكر العلامة ابن القيم رحمه الله ان عمل الصحابة بالقيـاس والرأي متواتر تواترا معنوياً في عدة قضايا ذكر منها شطراً واسعاً اه

(٢) هذا أمر خاص بتفسير القرآن والنزاع في الاحكام أخرج ابو عبيد في فضائله وعبد ابن حميد ابراهيم التيمي قال سئل ابوبكر عن الاب ماهو فقال أي سماء تظلنى واي ارض تقلنى اذا قلت في كتاب الله مالم اعلم : فكلامه في تفسير لفظة لغوية جهل معناها فليس من محل النزاع في الحاق فرع بأصل فى حكمه لمشاركته في علة منصوصة لافى تفسير لفظة لغوية وقد اتفق لعمر كما اتفق لابي بكر في الاية فأخرج عبدبن حميد وابن الانباري في المصاحف عن أنس قال قرأ عمر (وفاكهة وأباً) قال هذه الفاكهة قد عرفناها فما الاب قال : قد نهينا عن التكلف اهعن الامير الصنعاني : اقول والقصة اتى بها الشاطبي في كتابه الاعتصام راجعه

(٣) تمامه ولكني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح على أعلاه فكأنه قال : لولا النص لمسحنا برأينا اسفل الخف ففيه اثبات للرأي لولا النص اه امير

وعن ابن عباس رضى الله عنهما من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من جهنم وعن ابن مسعود رضي الله عنه : سأقول فيها بجهد رأيي فان كان صوابا فمن الله وحده وإن كان خطأ فمني ومن الشيطان والله ورسوله بريء، وعن معاذ بن جبل في حديث : فليدع كلاماً ليس من كتاب الله عز وجل ولا من سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاياكم وإياه فانه بدعة وضلالة : وعلى هذا النحو كل رأي روى عن بعض الصحابة رضى الله عنهم لا على انه إلزام ولا انه حق لكنه إشارة بعفو أو صلح أونوع (١) فقط لا على سبيل الايجاب (٢) وحديث معاذ الذى فيه أجتهد رأيي ولا آلو لا يصح لانه لم يروه أحد إلا الحرث بن عمر وهو مجهول لاندري من هو عن رجال من أهل مصر (٣) لم يسمهم عن معاذ، وقد تقصينا أسانيد هذه الاحاديث كلها في كتابنا المذكور ولله تعالى الحمد،

حدثنا احمد بن قاسم حدثنا ابي قاسم بن محمد حدثنا جدى قاسم بن اصبغ اخبرنا محمد بن اسمعيل الترمذى حدثنا نعيم بن حماد اخبرنا عبدالله بن المبارك اخبرنا عيسى بن يونس بن أبى اسحق السبيعى عن جرير بن عثمان عن عبد الرحمن بن جبير عن نفير عن ابيه عن عوف بن مالك الاشجعى قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « تفترق امتى على بضع وسبعين فرقة أعظمها فتنة على امتى قوم يقيسون الامور بآرائهم (٤) فيحلون الحرام ويحرمون الحلال » (قال على) والشريعة كلها اما فرض يعصى من تركه واما حرام يعصى من فعله واما مباح لا يعصى من فعله ولا من تركه وهذا المباح ينقسم الى ثلاثة

(١) كذا في الاصل

(٢) يقال قد وقع للصحابة الخلاف في ميراث الجد والحكم بالرأي لانهم لم يجدوا فيه نصاً وغير ذلك من الآراء التي حكموا بها اه أمير (٣) في نسخة : حمص

(٤) هذا في قوم يخالفون صرائح النصوص بقياساتهم فان قولهم فيحلون الحرام ويحرمون الحلال دال على انهم يفعلون ذلك فيما ثبت النص فيهما على خلاف ماقالوه لانه كان حلالا وحراما ولا يتصف بذلك الا عن نص وكون الاصل الحل هو عن نص وهو ماذكره المصنف عن قوله تعالى « خلق لكم مافي الارض جميعاً » اه وقد حكم المصنف في الفصل بوضع هذا الحديث

أقسام اما مندوب اليه يؤجر من فعله ولا يعصى من تركه واما مكروه يؤجر من تركه ولا يعصى من فعله واما مطلق لا يؤجر من فعله ولا من تركه ولا يعصى من فعله ولا من تركه وقال عز وجل (خلق لكم ما في الارض جميعاً)[١] وقد قال تعالى (وقد فصل لكم ما حرم عليكم)[٢] فصح ان كل شيء حلال الا ما فصل تحريمه في القرآن والسنة

حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا احمد بن فتح حدثنا عبد الوهاب بن عيسى حدثنا احمد بن محمد حدثنا احمد بن على حدثنا مسلم بن الحجاج اخبرنى زهير بن حرب حدثنا يزيد بن هرون حدثنا الربيع بن مسلم القرشي عن محمد بن زياد عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب فقال « يا أيها الناس ان الله قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل أكل عام يارسول الله . فسكت حتى أعادها ثلاثاً فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم ذرونى ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فدعوه »

(قال على) فجمع هذا الحديث جميع أحكام الدين اولها عن آخرها ففيه ان ما سكت عنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلم يأمر به ولا نهى عنه فهو مباح وليس حراماً ولا فرضاً وان ما أمر به فهو فرض وما نهى عنه فهو حرام وان ما أمرنا به فانما يلزمنا منه ما نستطيع فقط وان نفعل مرة واحدة تؤدى ما لزمنا وما يلزمنا تكراره فاى حاجة بأحد الى قياس أو رأي مع هذا البيان الواضح(١)

١ ـ البقرة ٢٩
٢ ـ الأنعام ١١٩

(١) قال السيد الامير قلت اما مع النص على الحكم فلا قائل بالقياس ولكنه من المعلوم يقيناً انه لم يأت في كل حادثة نص يحكمها فانه من المعلوم يقيناً انها اتفقت قضايا اختلف فيها الصحابة لعدم النص وهم اعرف الناس بالنصوص فانهم اختلفوا في مسائل من المواريث كميرات الجد ومسائل العول ومسألة بيع امهات الاولاد وعدة مسائل لا تنحصر في البيوع والطلاق والعدد وحكموا فيها تحليلا وتحريماً بالآراء وقد صرح المصنف رحمه الله انه وقع الرأي في القرن الاول وهو قرن الصحابة فكيف يقول فأى حاجة بأحد الى القياس على انا حققنا لك ان القياس على العلة المنصوصة هو من النص فالرجوع اليه عند التنازع رجوع الى الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وليس هذا القياس من ضرب الامثال في الدين بل هو من الدين اه

ونحمد الله تعالى على عظم نعمه

فان قال قائل منهم لا يجوز ابطال القول بالقياس حتى توجدونا تحريم القول به نصاً في القرآن قلنا لهم قد اوجدناكم البرهان نصاً بذلك وبأن لا يرد التنازع الا الى القرآن والسنة فقط وقال تعالى (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء)[1] وقال تعالى (فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم وانتم لا تعلمون)[2] والقياس ضرب امثال في الدين لله تعالى . ثم يقال لهم ان عارضكم الروافض بمثل هذا فقالوا لكم لا يجوز القول بابطال الالهام ولا بابطال اتباع الامام الا حتى توجدونا تحريم ذلك ايضا أو قال لكم ذلك أهل كل مقالة في تقليد كل انسان بعينه بماذا تنفصلون بل الحق انه لا يحل ان يقال على الله تعالى انه حرم أو حلل او اوجب الا بنص فقط وبالله تعالى التوفيق

مسألة

وافعال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليس فرضا الا ما كان منها بيانا لأمر فهو حينئذ امر لكن الا يتساء به عليه الصلاة والسلام فيها حسن

برهان ذلك هذا الخبر الذي ذكرته آنفاً من انه لا يلزمنا شيء الا ما امرنا به او نهانا عنه وان ماسكت عنه فعفو ساقط عنا وقال عز وجل « لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة »[3]

مسألة

ولا يحل لنا اتباع شريعة نبي قبل نبينا صلى الله عليه وسلم قال عز وجل (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً)[4]

حدثنا احمد بن محمد حدثنا الحسور حدثنا وهب بن ميسرة حدثنا محمد بن وضاح حدثنا ابو بكر ابن ابي شيبة حدثنا هشيم اخبرنا يسار عن يزيد الفقير

١ ـ الأعراف ٣
٢ ـ النحل ٧٤
٣ ـ الأحزاب ٢١
٤ ـ المائدة ٤٨

اخبرنا جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال « اعطيت خمساً لم يعطهن احد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجداً وطهوراً فايما رجل من أمتى ادركته الصلاة فليصل واحلت لى الغنائم ولا تحل لأحد قبلي واعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث الى قومه خاصة» فاذا صح ان الانبياء عليهم السلام كلهم لم يبعث أحد منهم الا الى قومه خاصة فقد صح ان شرائعهم لم تلزم الا من بعثوا اليه فقط واذا لم يبعثوا الينا فلم يخاطبونا قط بشيء ولا أمرونا ولا نهونا ولو خاطبونا لما كان لنبينا صلى الله عليه وآله وسلم فضيلة عليهم فى هذا الباب ومن قال بهذا فقد كذب هذا الحديث وابطل هذه الفضيلة التى خصه الله تعالى بها فاذا صح انهم عليهم السلام لم يخاطبونا بشيء فقد صح يقينا ان شرائعهم لا تلزمنا أصلا وبالله تعالى التوفيق

مسألة

ولا يحل لاحد ان يقلد احداً لا حيا ولا ميتا وعلى كل احد من الاجتهاد حسب طاقته فمن يسأل عن دينه فانما يريد معرفة ما الزمه الله عز وجل في هذا الدين ففرض عليه ان كان اجهل البرية ان يسأل عن اعلم اهل موضعه بالدين الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاذا دل عليه سأله فاذا افتاه قال له هكذا قال الله عز وجل ورسوله فان قال نعم اخذ بذلك وعمل به ابداً فان قال له هذا رأى أو هذا قياس أو هذا قول فلان وذكر له صاحباً أو تابعاً أو فقيهاً قديماً أو حديثاً أو سكت او انتهره أو قال له لا أدري فلا يحل له ان يأخذ بقوله ولكن يسأل غيره

برهان ذلك قول الله عز وجل (اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) فلم يأمرنا عز وجل قط بطاعة بعض اولى الامر فمن قلد عالماً أو جماعة علماء فلم يطع الله تعالى ولا رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ولا اولى الامر واذا لم يرد الى ما ذكرنا فقد خالف أمر الله عز وجل ولم يأمر الله عز وجل قط بطاعة بعض

اولي الامر دون بعض (آ)

فان قيل فان الله عز وجل قال (فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) (ب)[١] وقال تعالى (ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم)[٢] قلنا نعم ولم يأمر الله عز وجل ان يقبل من النافر للتفقه في الدين رأيه ولا ان يطاع أهل الذكر في رأيهم ولا في دين يشرعونه لم يأذن به الله عز وجل وانما أمر تعالى بان يسأل أهل الذكر عما يعلمونه في الذكر الوارد من عند الله تعالى فقط لا عن من قاله من لا سمع له ولا طاعة : وانما أمر الله تعالى بقبول نذارة النافر للتفقه فى الدين فيما تفقه فيه من دين الله تعالى الذى اتى به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا في دين لم يشرعه الله عز وجل ، ومن ادعى وجوب تقليد العامي للمفتى فقد ادعى الباطل وقال قولا لم يأت به قط نص قرآن ولا سنة ولا اجماع ولا قياس وما كان هكذا فهو باطل لانه قول بلا دليل بل البرهان قد جاء بابطاله ذاما لقوم (انا أطعنا سادتنا وكبرائنا فاضلونا السبيلا)[٣] والاجتهاد انما معناه بلوغ الجهد فى طلب دين الله عز وجل الذى اوجبه على عباده وبالضرورة يدرى كل ذى حس سليم ان

١ ـ النحل ٤٣
٢ ـ التوبة ١٢٢
٣ ـ الأحزاب ٦٧

(آ) قال السيد محمد الامير كلام المصنف رحمه الله مبني على ان المراد باولى الامر العلماء وهو احد اقوال السلف في تفسير الآية ولكنه اخرج ابن ابي شيبة والبخارى ومسلم وابن جرير وابن ابي حاتم عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من اطاعنى فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن عصى امري فقد عصاني » وفي الآية احاديث مرفوعة بنحوه وآثار عن السلف مختلفة منهم من فسرهم بالعلماء ثم على كلام المنصف المراد استرووا العلماء عن احكام الكتاب والسنة وان الفتيا معناها رواية الكتاب والسنة وقبول رواية العالم ليس تقليداً له بل من العمل بخبر الاحاد الذي تعبد الله بالعمل به العباد وهو العمل بالظن المستفاد من اخبار الاحاد : وفي قوله لم يأمر الله بطاعة بعض اولى الامر دون بعض ايهام أنه لا يقبل فتوى العالم الواحد حتى تكون اجماعا وهو خلاف ماقرره كما لا يخفى اه

(ب) قال بعض المحققين والمختار ان المراد بسؤال اهل الذكر السؤال عن الرسل هل كانوا بشراً أم لا لان ذلك هو المذكور فى أول الاية والعرف العربي يقضي بان ذلك هو المراد والقرائن تسوق الفهم اليه بانه تعالى لما قال (وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسألوا اهل الذكر) فان السابق الى الافهام فاسألوهم عن كوننا ما ارسلنا الا رجالا : كما لو قال قائل واجهت اليوم الخليفة واسأل وزراءه كان المفهوم واسألهم عن كوني واجهته : وبهذا تعرف ان هذه الاية لا تصلح للاستدلال على جواز التقليد كما ذهب اليه الاكثر من محبى التقليد اه الادارة

المسلم لا يكون مسلماً الا حتى يقر بان الله تعالى الهه لا اله غيره وان محمداً هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بهذا الدين اليه والى غيره فاذ لا شك في هذا فكل سائل في الارض عن نازلة في دينه فانما يسأل عما حكم الله تعالى به في هذه النازلة فاذا لا شك ففرض عليه ان يسأل اذا سمع فتيا أهذا حكم الله وحكم رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وهذا لا يعجز عنه من يدرى ما الاسلام ولو انه قد جلب من قوقو(١) وبالله تعالى التوفيق

مسألة

واذا قيل له اذا سأل عن أعلم اهل بلده بالدين هذا صاحب حديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهذا صاحب رأى وقياس فليسأل صاحب الحديث ولا يحل له ان يسأل صاحب الرأى أصلا:

برهان ذلك قول الله عز وجل (اليوم اكملت لكم دينكم) وقوله تعالى (لتبين للناس ما نزل اليهم) فهذا هو الدين لا دين سوى ذلك والرأى والقياس ظن والظن باطل

حدثنا احمد بن محمد بن الحسور حدثنا احمد بن سعيد حدثنا ابن وضاح حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا مالك عن أبى الزناد عن الاعرج عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال «ايا كم والظن فان الظن اكذب الحديث» (حدثنا) يونس بن عبد الله حدثنا يحيى بن مالك بن عائذ اخبرنا ابو عبد الله ابن ابي حنيفة اخبرنا ابو جعفر بن محمد بن سلامة الطحاوي حدثنا يوسف بن يزيد القراطيسى اخبرنا سعيد بن منصور اخبرنا جرير بن عبد الحميد عن المغيرة بن مقسم عن الشعبي قال: السنة لم توضع بالمقاييس (حدثنا) محمد بن سعيد بن بيان اخبرنا اسمعيل بن اسحق البصرى اخبرنا احمد بن سعيد بن حزم اخبرنا محمد بن ابراهيم بن حيون الحجازى أخبرنا عبد الله بن احمد بن

(١) هكذا في الاصل تدبر الادارة

حنبل قال سمعت ابي يقول : الحديث الضعيف أحب الينا من الرأى (حدثنا) حمام بن احمداخبرناعباس بن اصبغ حدثنا محمدبن عبد الملك بن ايمن حدثناعبدالله ابن احمد بن حنبل قال سألت أبى عن الرجل يكون ببلد لا يجد فيه الا صاحب حديث لا يعرف صحيحه من سقيمه وأصحاب رأي فتنزل به النازلة من يسأل فقال ابى يسأل صاحب الحديث ولا يسأل صاحب الرأي : ضعيف الحديث أقوم من رأى فلان

مسألة

ولا حكم للخطأ ولا للنسيان الا حيث جاء في القرآن أو السنة لهما حكم قال تعالى (ليس عليكم جناح فيما اخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم)[١] وقال تعالى (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا)

مسألة

وكل فرض كلفه الله تعالى الانسان فان قدر عليه لزمه وان عجزعن جميعه سقط عنه وان قوى على بعضه وعجز عن بعضه سقط عنه ما عجز عنه ولزمه ما قدر عليه منه سواء أقله او أكثره :

برهان ذلك قول الله عز وجل (لا يكلف الله نفسا الا وسعها)[٢] : وقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « اذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » وقد ذكرناه قبل باسناده وبالله تعالى التوفيق

مسألة

ولايجوز أن يعمل أحد شيئاً من الدين موقتاً بوقت قبل وقته فان كان الاول من وقته والآخر من وقته لم يجز أن يعمل قبل وقته ولابعد وقته لقول الله تعالى (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه)[٣] وقال تعالى (تلك حدود الله

١ ـ الأحزاب ٥
٢ ـ البقرة ٢٨٦
٣ ـ الطلاق ١

فلا تعتدوها)[١] والاوقات حدود فمن تعدى بالعمل وقته الذي حده الله تعالى له فقد تعدى حدود الله .

حدثنا عبدالله بن يوسف ثنا احمد بن فتح ثنا عبد الوهاب بن عيسى حدثنا احمد بن محمد أخبرنا احمد بن علي أخبرنا مسلم بن الحجاج أخبرنا اسحق ابن ابراهيم هو ابن راهويه عن أبي عامر العقدى حدثنـا عبدالله بن جعفر الزهرى عن سعيد بن ابراهيم عن عبدالرحمن بن عوف قال : سألت القاسم ابن محمد بن أبي بكر الصديق قال أخبرتنى عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » — قال على ومن أمره تعالى أن يعمل عملا في وقت سماه له فعمله في غير ذلك الوقت إما قبل الوقت وإما بعد الوقت فقد عمل عملا ليس عليه أمر الله تعـالى ولا أمر رسـوله صلى الله عليـه وآله وسلم فهو مردود باطل غير مقبول وهو غير العمل الذى أمر به فان جاء نص بأنه يجزىء في وقت آخر فهو وقته أيضاً حينئذ وانما الذى لايكون وقتاً للعمل فهو مالانص فيه وبالله تعالى التوفيق

مسألة

والمجتهد المخطىء أفضل عند الله تعالى من المقلد المصيب هذا في أهل الاسلام خاصة وأما غير أهل الاسلام فلاعذر للمجتهد المستدل ولا للمقلد وكلاهما هالك برهان هذا ماذكرناه آنفاً باسناده عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « اذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر » وذم الله تعالى التقليد جملة فالمقلد عاص والمجتهد مأجور وليس من اتبع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مقلداً لانه فعل ما أمره الله تعالى به وإنما المقلد من اتبع دون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لانه فعل مالم يأمره الله تعالى به ، وأما غير الاسلام فان الله تعـالى يقول (ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)[٢] :

١ ـ البقرة ٢٢٩
٢ ـ آل عمران ٨٥

مسألة

والحق من الاقوال في واحد منها وسائرها خطأ وبالله تعالى التوفيق: قال الله تعالى (فماذا بعد الحق إلا الضلال)[١] وقال تعالى (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً)[٢] وذم الله تعالى الاختلاف فقال (ولاتكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا)[٣] وقال تعالى (ولاتنازعوا فتفشلوا)[٤] وقال تعالى (تبياناً لكل شيء)[٥] فصح ان الحق من الاقوال هو ماحكم الله تعالى به فيه وهو واحد لايختلف وان الخطأ مالم يكن من عند الله عز وجل ، ومن ادعى ان الاقوال كلها حق وان كل مجتهد مصيب فقد قال قولا لم يأت به قرآن ولا سنة ولا إجماع ولامعقول وما كان هكذا فهو باطل ، ويبطله أيضاً قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « اذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر » فنص عليه الصلاة والسلام ان المجتهد قد يخطيء ، ومن قال ان الناس لم يكلفوا إلا اجتهادهم فقد أخطأ بل ما كلفوا إلا إصابة ما أمر الله به قال عز وجل (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولاتتبعوا من دونه أولياء)[٦] فافترض عز وجل اتباع ماأنزل الينا وأن لانتبع غيره وأن لاتتعدى حدوده وانما أجر المجتهد المخطيء أجراً واحداً على نيته في طلب الحق فقط ولم يأثم اذا حرم الاصابة ، فلو أصاب الحق أجر أجراً آخر ثانياً (حدثنا) عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد أخبرنا ابراهيم بن احمد الفربري حدثنا البخاري حدثنا عبدالله بن زيد المقرى حدثنا صبوة بن شريح حدثنا يزيد بن عبدالله بن الهادى عن محمد بن ابراهيم بن الحرث عن بشر بن سعيد عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص عن عمرو بن العاص انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران واذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر »

١ ـ يونس ٣٢
٢ ـ النسا ٨٢
٣ ـ آل عمران ١٠٥
٤ ـ الأنفال ٤٦
٥ ـ النحل ٨٩
٦ ـ الأعراف ٣

ولا يحل الحكم بالظن أصلا (١) لقول الله تعالى (إن يتبعون إلا الظن

(١) قال السيد محمد الامير أقول هذا النفي في انه لايحل الحكم بالظن مشكل غاية الاشكال وقد آن ان نحقق البحث للناظر بن دفعاً للاغترار بكلام هذا المحقق رحمه الله فنقول الظن لفظ مشترك بين معان يطلق على الشك كما صرح أئمة اللغة ففي القاموس : الظن التردد والراجح بين طرفي الاعتقاد الغير الجازم انتهى فهذان اطلاقان . ويطلق على اليقين « الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون »[١] مع قوله في صفة المؤمنين « وهم بالآخرة هم يوقنون »[٢] لانه لابد من اليقين في الايمان بالآخرة ويطلق على التهمة كما في قوله تعالى « وماهو على الغيب بظنين »[٣] فيمن قرأ بالظاء المشالة أي بمتهم كما قال أئمة التفسير واذا عرفت هذا عرفت ان المذموم من الظن هو ما كان بمعنى الشك وهو المتردد بين طرفي الامر فطرفاه مستويان لاراجح فيهما فهذا يحرم العمل به اتفاقاً وهو الذي هو اكذب الحديث وهو الذي لايغني من الحق شيئا وهو بعض الاثم الذي أراد تعالى « ان بعض الظن اثم »[٤] وذلك لما تقرر في الفطرة وقررته الشريعة ان لاعمل الا براجح مستفاد من علم أو ظن . وأما الظن الذى بمعنى الطرف الراجح فهو متعبد به قطعا بل اكثر الاحكام الشرعية دائرة عليه فهو البعض الذي ليس فيه اثم المفهوم من قوله تعالى (ان بعض الظن اثم) — فان خبر الآحاد معمول به في الاحكام وهو لايفيد بنفسه الا الظن . والمصنف (ابن حزم) تقدم له ان الجاهل يسأل العالم عن الحكم فيما يعرض له فاذا أفتاه وقال هذا حكم الله ورسوله عمل به أبداً ومعلوم ان هذه رواية آحادية من العالم بالمعنى ولاتفيد الا الظن وقد أوجب قبولها وكذلك أمر الله باشهاد ذوي عدل فان شهدا وجب على الحاكم الحكم بما شهدا به وشهادتهما لاتفيد الا الظن بل كونهما ذوى عدل لايكون الا بالظن بل قال صلى الله عليه وآله وسلم : انكم تختصمون إلى الى قوله فانما أقطع له قطعة من نار : وهذا صريح انه صلى الله عليه وآله وسلم حكم بالظن الحاصل عن البينة اذ لوكان بالعلم لما كان المحكوم به قطعة من نار لانه يجوز ان البينة التي حكم بها باطلة في نفس الامر وفي حديث ابن مسعود في سجود السهو اذا كنت في صلاة فشككت في ثلاث أو أربع وأكثر ظنك

١ ـ البقرة ٤٦
٢ ـ لقمان ٤
٣ ـ التكوير ٢٤
٤ ـ الحجرات ١٢

وإن الظن لايغني من الحق شيئاً)[١] ولقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « إياكم والظن فان الظن أكذب الحديث » وبالله تعالى التوفيق

هذا آخر مسائل الاصول للامام ابن حزم رحمه الله تعالى

على أربع الحديث فاعتبر الظن في أشرف العبادات وحديث الطبراني والحاكم : قال الله انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ماشاء : وحديث : لايموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله رواه احمد ومسلم وأبوداود وابن ماجه فهذا كله عمل بالظن الراجح الصادر عن أمارة صحيحة ، وأما ماصدر لاعن أمارة صحيحة نحو ظن الكفار انه لن ينقلب الرسول والمؤمنون الآية وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بوراً . فهذا ظن باطل مستند الى أن الله تعالى لاينصر رسوله صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين ومثل ظننتم ان الله لايعلم كثيراً مما تعملون الذى حكاه الله تعالى عنهم بقوله (ولكن ظننتم أن الله لايعلم كثيراً مما تعملون وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم فأصبحتم من الخاسرين)[٢] فظنهم هذا مستند الى الجهل بعلم الله واحاطته ، ومنه في قصة الاحزاب في ظن المنافقين (واذزاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا)[٣] فانهم ظنوا غلبة الاحزاب للرسول صلى الله عليه وسلم ولذا قالوا (ماوعدنا الله ورسوله الا غروراً)[٤] وعكسهم أهل الايمان فانهم قالوا (هذا ماوعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله ومازادهم إلا إيمانا وتسليما)[٥] فهذا البحث بحمد الله تعالى لاتجده في كتاب ، وانما هو من فتح الكريم الوهاب وبه يزول الاشكال والاضطراب ، وتعلم ان المصنف أوجز في محل الاطناب ، فاخل بما يذكره هو في هذا الكتاب ، فانه لايزال يستدل فيه بأخبار الآحاد وبعموم ألفاظها وألفاظ القرآن والكل لايخرج عن الادلة الظنية ، فاعرف قدر هذه الفائدة السنية اه

١ ـ النجم ٢٨
٢ ـ فصلت ٢٢ ـ ٢٣
٣ ـ الأحزاب ١٠
٤ ـ الأحزاب ١٢
٥ ـ الأحزاب ٢٢

﴿ تم الكتاب ﴾

مسألة القدر

سؤال أورده أحد علماء الذميين والجواب عليه

« للامام ابن تيمية »

(سأل أحد علماء الذميين عن مسألة القدر قائلا :)

أيا علماء الدين ذمي دينكم تحير دلوه بأوضح حجة
اذا ماقضى ربى بكفرى بزعمكم ولم يرضه مني فما وجه حيلتى
دعانى وسد الباب عنى فهل الى دخولى سبيل بينوا لي قضيتى
قضى بضلالى ثم قال ارض بالقضا فها أنا راض بالذى فيه شقوتي
فان كنت بالمقضى يا قوم راضياً فربى لا يرضى بشؤم بليتى
فهل لى رضا ماليس يرضاه سيدي فقدحرت دلوني على كشف حيرتي
اذا شاء ربى الكفر منى مشيئة فهل أنا عاص باتباع المشيئة
وهل لى اختيار أن أخالف حكمه فبالله فاشفوا بالبراهين غلتي

﴿ فأجاب الشيخ الامام العالم العلامة شيخ الاسلام ﴾

﴿ تقي الدين بن تيمية رحمه الله تعالى مرتجلا ﴾

سؤالك يا هذا سؤال معاند مخاصم رب الخلق بارى البرية
وهذا سؤال خاصم الملأ العلا قديما به ابليس أصل البلية
ومن يك خصما للمهيمن يرجعن على أم رأس هاويا في الحفيرة
وتدعى خصوم الله يوم معادهم الى النار طرا فرقة القدرية
سواء نفوه أو سعوا ليخاصموا به الله أو ماروا به للشريعة
وأصل ضلال الخلق من كل فرقة هو الخوض في فعل الاله بعلة
فان جميع الكون أوجب فعله مشيئة رب الخلق باري الخليقة

وذات الهآ الخلق واجبة بما لها من صفات واجبات قديمة
مشيئته مع علمه ثم قدرة لوازم ذات الله قاضى القضية
فقولك لم قد شاء مثل سؤال من يقول فلم قد كان في الازلية
وذاك سؤال يبطل العقل وجهه وتحريمه قد كان في كل شرعة
وفى الكون تخصيص كثير يدل من له نوع عقل انه بارادة
واصداره عن واحد بعد واحد أو القول بالتجويز رمية حيرة
ولافي تعلق لكل مسبب بما قبله من علة كل خيبة
بل الشان في الاسباب اسباب ماترى ومصدرها عن حكم محض المشيئة
وقولك لم شاء الاله هو الذي أزل عقول الخلق في قعر حفرة
فان المجوس القائلين بخالق لنفع ورب مبدع للمضرة
سؤالهم عن علة الشر أوقعت رؤوسهم في شبهة الثنوية
وان ملاحيد الفلاسفة الاولى يقولون بالفعل القديم لعلة
بغوا علة للكون بعد انعدامه فلم يجدوا ذا كم فضلوا بضلة
وان مبادى الشر في كل أمة دوى من رضوخ لاتباع لشبهة
بخوضهم في ذا كم صار شركهم وجاء دروس البينات بفترة
ويكفيك نقضاً ان ما قد سألته من العذر مردود لدى كل فطرة
فأنت تعيب الطاعنين جيعهم عليك وترميهم بكل مذمة
وتنحل من والاك صفو مودة وتبغض من عاداك من كل فرقة
وحالهم فى كل قول وفعلة كحالك ياهذا بأرجح حجة
وهبك كففت اللوم عن كل كافر وكل غوى خارج عن محجة
فيلزمك الاعراض عن كل ظالم على الناس من نفس ومال وحرمة
فلا تغضبن يوماً على سافك دماً ولا سارق مالا لصاحب فاقة
ولا شاتم عرضاً مصوناً وان علا ولا ناكح فرجا على وجه غية
ولا قاطع للناس نهج سبيلهم ولا مفسد فى الارض من كل وجهة

ولا شاهد بالزور افكا وفرية ولا قاذف للمحصنات بزنية
ولا مهلك للحرث والنسل عامداً ولا حاكم للعالمين برشوة
وكف لسان اللوم عن كل مفسد ولا تأخذن ذا خربة بعقوبة
وسهل سبيل الكاذبين تعمداً على ربهم من كل جاء بفرية
وإن قصدوا إضلال من يستجيبهم يروم فساد النوع ثم الرياسة
وجادل عن الملعون فرعون إذ طغى فأهلك في اليم انتقاماً بغضبة
وكل كفور مشرك بإلهه وآخر طاغ كافر بالنبوة
كعاد ونمرود وقوم لصالح وقوم لنوح ثم أصحاب ليكة
وخاصم لموسى ثم سائر من أتى من الانبياء محيياً للشريعة
على كونهم قد جاهدوا الناس إذ بغوا ونالوا من العاصي بليغ العقوبة
وإلا فكل الخلق في لفظة ولحـ ظ عين وتحريك لشعرة
وبطشة كف أو تخطي قديمة وكل حراك بل وكل سكينة
هم تحت أقدار الإله وحكمه كما أنت فيما قد أتيت بحجة
وهبك رفعت اللوم عن كل فاعل فعال ردى طراً لهذي المقيسة
فهل يمكنن رفع الملام جميعه عن الناس طراً عند كل قبيحة
وترك عقوبات الذين قد اعتدوا وترك الورى الانصاف بين الرعية
فلا يضمنن نفس ومال بمثله ولا يعقبن عاد بمثل الجريمة
وهل في عقول الناس أو في طباعهم قبول لقول النذل ماوجه حيلتي
ويكفيك نقضا مابجسم ابن آدم صبي ومجنون وكل بهيمة
من الألم المقضي من غير حيلة وفي مايشاء الله أكمل حكمة
اذا كان في هذا له حكمة فما يظن بخلق الفعل ثم العقوبة
وكيف ومن هذا عذاب مولد من الفعل فعل العبد عند الطبيعة
كأ كل لسم أوجب الموت أكله وكل بتقدير لرب المنية
فكفرك ياهذا كسم أكلته وتعذيب نار مثل جرعة غصة

ألست ترى في هذه الدار من جنى … يعاقب إما بالقضا أو بشرعة

ولا عذر للجاني بتقدير خالق … كذلك فى الاخرى بلا مثنوية

وما كان من جنس المتاب لرفعه … عواقب أفعال العباد الخبيثة

كخير به تمحى الذنوب ودعوة … تجاب من الجاني ورب شفاعة

وتقديره للفعل يجلب نقمة … كتقديره الآثار طراً بعلة

وقول حليف الشر اني مقدر … عليّ كقول الذيب هذى طبيعتى

فهل ينفعن عذر الملوم لانه … كذا طبعه أم هل يقال لعتوة

أم اللم والتعذيب أوكد للذى … طبيعته فعل الشرور الشنيعة

فان كنت ترجو أن تجاب بعاصى … ينجيك من نار الاله العظيمة

فدونك رب الخلق فاقصده ضارعا … مريداً بأن يهديك نحو الحقيقة

وما بان من حق فلا تتركنه … وعج عن سبيل الامة الغضبية

وذلل قياد النفس للحق واسمعن … ولا تعرضن عن فكرة مستقيمة

ومن ضل عن حق فلا تقفونه … وزن ماعليه الناس بالمعدلية

هنالك تبدو طالعات من الهدي … بتبشير من قد جاءنا بالحنيفة

بملة ابراهيم ذاك إمامنا … ودين رسول الله خير البرية

فلا يقبل الرحمن دينا سوى الذى … به جاءت الرسل الكرام السجية

فقد جاء هذا الخاتم الحاشر الذى … حوى كل خير فى عموم الرسالة

وأخبر عن رب العباد بأن من … غدا عنه فى الاخرى بأقبح خيبة

فهذى دلالات العباد لحائر … واما هداه فهو فضل الربوبة

وفقد الهدى عند الورى لا يفيد من … عدا عنه بل يجري بلا وجه حجة

وحجة محتج بتقدير ربه … تزيد عذابا كاحتجاج مريضة

وأما رضانا بالقضاء فانما … أمرنا بأن نرضى بمثل المصيبة

كسقم وذل ثم فقر وغربة … وما كان من مؤذ بدون جريمة

فأما الافاعيل التى كرهت لنا … فلا نص يأتى في رضاها بطاعة

وقدقال قوم من أولي العلم لارضى بفعل المعاصي والذنوب الكبيرة
فان إله الخلق لم يرضها لنا فلا نرتضي مسخوطة بمشيئة
وقال فريق نرتضي بقضائه اليه ومافينا فيلقى بسخطة
كما أنها للرب خلق وأنها لمخلوقه كسب كفعل الغريزة
فنرضى من الوجه الذي هوخلقه ونسخط من وجه اكتساب الخطيئة
ومعصية العبد المكلف تركه لما أمر المولى وإن بمشيئة
فان إله الخلق حق مقاله بأن العباد في نعيم وجنة
كما انهم في هذه الدار هكذا بل البهم في الآلام أيضاً ونعمة
وحكمته العليا اقتضت ماقضت من الـ فروق بعلم ثم أيد ورحمة
يسوق أولي التعذيب بالسبب الذي يقدره نحو العذاب بعزة
ويهدى أولي التنعيم نحو نعيمهم بأعمال صدق في خشوع وخشية
وأمر إله الخلق تبيين مابه يسوق أولي التنعيم نحو السعادة
فمن كان من أهل السعادة أثرت أوامره فيه بتدبير صنعة
ومن كان من أهل الشقاوة لم ينل بأمر ولا نهي بتقدير شقوة
ولامخرج للعبد عما به قضى ولكنه مختار حسن وسوأة
فليس بمجبور عديم إرادة ولكنه شاء بخلق الارادة
ومن عجب الاشياء خلق مشيئة بها صار مختار الهدى والضلالة
وقولك هل أختار تركا لحكمه كقولك هل أختار ترك المشيئة
وأختار أن لا اختار فعل ضلالة ولو نلت هذا الترك فزت بتوبة
وذا ممكن لكنه متوقف على مايشاء الله من ذي المشيئة
فدونك فافهم مابه قد أجبت من معان اذا انحلت بفهم غريزة
أشارت الى أصل يشير الى الهدى ولله رب الخلق أدمل مدحتي

﴿ تمت قصيدة الامام ابن تيمية ﴾

عقيدة السلف واصحاب الحديث

« للامام المحدث المفسر شيخ »

« الاسلام ابى عثمان »

« اسماعيل الصابوني المتوفى سنة ٤٤٩ هـ »

بسم الله الرحمن الرحيم

أخبرنا قاضي القضاة بدمشق نظام الدين عمر بن ابراهيم بن محمد بن مفلح الصالحي الحنبلي اجازة مشافهة أخبرنا الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن احمد بن المحب المقدسي اجازة ان لم يكن سماعا أخبرنا الشيخان جمال الدين عبد الرحمن ابن احمد بن عمر بن شكر وأبو عبد الله محمد بن المحب عبد الله بن أحمد بن محمد المقدسيين : قال الاول أخبرنا اسماعيل بن أحمد بن الحسين بن محمد العراقي سماعاً أخبرنا أبو الفتح عبد الله بن أحمد الخرقي إجازة وقال الثاني أخبرنا أحمد بن عبدالدائم رحمه الله وأخبرنا المحدث تاج الدين محمد بن الحافظ عماد الدين اسماعيل بن محمد بن بردس البعلي فى كتابه أخبرنا ابوعبد الله محمد ابن اسماعيل بن الخباز شفاها أخبرنا أحمد بن عبد الدائم اجازة ان لم يكن سماعاً أخبرنا الحافظ عبد الغنى بن عبد الواحد بن على بن سرور المقدسي أخبرنا الخرقى سماعا أخبرنا ابو بكر عبد الرحمن بن اسماعيل الصابونى حدثنا والدى شيخ الاسلام ابو عثمان اسماعيل بن عبد الرحمن فذكره (وأخبرنا) قاضى القضاة عز الدين عبد الرحيم بن محمد بن الفرات الحنفى اجازة مشافهة أخبرنا محمود

ابن خليفة بن محمد بن خلف المنبجى اجازة اخبرنا الجمال عبد الرحمن بن احمد ابن عمر بن شكر بنصه قال

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين وصلى الله عليه وعلى آله واصحابه الكرام (أما بعد) فانى لما وردت آمد طبرستان وبلاد جيلان متوجهاً الى بيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الكرام سألنى اخوانى في الدين أن أجمع لهم فصولا في أصول الدين التى استمسك بها الذين مضوا من أئمة الدين وعلماء المسلمين والسلف الصالحين وهدوا ودعوا الناس اليها في كل حين ونهوا عما يضادها وينافيها جملة المؤمنين المصدقين المتقين ووالوا في اتباعها وعادوا فيها وبدعوا وكفروا من اعتقد غيرها وأحرزوا لانفسهم ولمن دعوهم اليها بركتها وخيرها وافضوا الى ما قدموه من ثواب اعتقادهم لها واستمساكهم بها وإرشاد العباد اليها وحملهم اياهم عليها فاستخرت الله تعالى وأثبت في هذا الجزء ما تيسر منها على سبيل الاختصار رجاء ان ينتفع به اولو الالباب والابصار والله سبحانه يحقق الظن ويجزل علينا المن بالتوفيق والاستقامة على سبيل الرشد والحق بمنه وفضله: قلت وبالله التوفيق

أصحاب الحديث حفظ الله أحياءهم ورحم أمواتهم يشهدون لله تعالى بالوحدانية وللرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالرسالة والنبوة ويعرفون ربهم عز وجل بصفاته التى نطق بها وحيه وتنزيله أو شهد له بها رسوله صلى الله عليه وسلم على ما وردت الاخبار الصحاح به ونقلته العدول الثقات عنه ويثبتون له جل جلاله ما أثبت لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ولا يعتقدون تشبيها لصفاته بصفات خلقه فيقولون انه خلق آدم بيده كما نص سبحانه عليه في قوله عز من قائل قال (يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى) ولا يحرفون الكلام عن مواضعه بحمل اليدين على النعمتين او القوتين تحريف المعتزلة الجهمية أهلكهم الله ولا يكيفونهما بكيف أو تشبيههما بايدي المخلوقين تشبيه المشبهة خذلهم الله وقد اعاذ الله تعالى أهل السنة من التحريف والتكييف ومن عليهم

بالتعريف والتفهيم حتى سلكوا سبل التوحيد والتنزيه وتركوا القول بالتعليل والتشبيه واتبعوا قول الله عز وجل(ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)[١]

وكذلك يقولون في جميع الصفات التى نزل بذكرها القرآن ووردت بها الاخبار الصحاح من السمع والبصر والعين والوجه والعلم والقوة والقدرة والعزة والعظمة والارادة والمشيئة والقول والكلام والرضا والسخط والحياة واليقظة والفرح والضحك وغيرها من غير تشبيه لشيء من ذلك بصفات المربوبين المخلوقين بل ينتهون فيها الى ما قاله الله تعالى وقاله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم من غير زيادة عليه ولا اضافة اليه ولا تكييف له ولا تشبيه ولا تحريف ولا تبديل ولا تغيير ولا ازالة للفظ الخبر عما تعرفه العرب وتضعه عليه بتأويل منكر ويجرونه على الظاهر ويكلون علمه الى الله تعالى ويقرون بان تأويله لا يعلمه الا الله كما اخبر الله عن الراسخين فى العلم انهم يقولونه في قوله تعالى(والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولو الالباب)[٢]

ويشهد اصحاب الحديث ويعتقدون ان القرآن كلام الله وكتابه ووحيه وتنزيله غير مخلوق ومن قال بخلقه واعتقده فهو كافر عندهم والقرآن الذى هو كلام الله ووحيه هو الذى ينزل به جبريل على الرسول صلى الله عليه وسلم قرآنا عربياً لقوم يعلمون بشيراً ونذيرا كما قال عز من قائل (وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين)[٣] وهو الذى بلغه الرسول صلى الله عليه وسلم امته كما أمر به في قوله تعالى (يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك)[٤] فكان الذى بلغهم بامر الله تعالى كلامه عز وجل وفيه قال صلى الله عليه وسلم أتمنعوننى ان ابلغ كلام ربى وهو الذى تحفظه الصدور وتتلوه الالسنة ويكتب في المصاحف كيف ما تصرف بقراءة قارىء ولفظ لافظ وحفظ حافظ وحيث تلى وفي أى موضع قرىء وكتب فى مصاحف أهل الاسلام ألواح صبيانهم وغيرها كله كلام الله جل جلاله غير مخلوق فمن زعم انه مخلوق فهو كافر بالله العظيم . سمعت

١- الشورى ١١
٢- آل عمران ٧
٣- الشعراء ١٩٢-١٩٥
٤- المائدة ٦٧

الحاكم ابا عبد الله الحافظ يقول سمعت ابا الوليد حسان بن محمد يقول سمعت الامام ابا بكر محمد بن اسحق بن خزيمة يقول القرآن كلام الله غير مخلوق فمن قال ان القرآن مخلوق فهو كافر بالله العظيم لا تقبل شهادته ولا يعاد ان مرض ولا يصلى عليه ان مات ولا يدفن في مقابر المسلمين ويستتاب فان تاب والا ضربت عنقه . فاما اللفظ بالقرآن فان الشيخ ابا بكر الاسماعيلي الجرجانى ذكر فى رسالته التى صنفها لاهل جيلان أن من زعم ان لفظه بالقرآن مخلوق يريد به القرآن فقد قال بخلق القرآن وذكر ابن مهدى الطبرى في كتابه الاعتقاد الذى صنفه لاهل هذه البلاد أن مذهب أهل السنة والجماعة القول بان القرآن كلام الله سبحانه ووحيه وتنزيله وأمره ونهيه غير مخلوق ومن قال مخلوق فهو كافر بالله العظيم وأن القرآن في صدورنا محفوظ وبالسنتنا مقروء وفي مصاحفنا مكتوب وهو الكلام الذي تكلم الله عز وجل به ومن قال ان القرآن بلفظي مخلوق أو لفظي به مخلوق فهو جاهل ضال كافر بالله العظيم . وانما ذكرت هذا الفصل بعينه من كتاب ابن مهدى لاستحسانى ذلك منه فانه اتبع السلف أصحاب الحديث فيما ذكره مع تبحره في الكلام وتصانيفه الكثيرة فيه وتقدمه وتبرزه عند أهله اه

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال قرأت بخط أبي عمرو المستملى سمعت أبا عثمان سعيد بن اشكاب يقول سألت اسحاق بن ابراهيم عن اللفظ بالقرآن فقال لا ينبغى ان يناظر في هذا القرآن كلام الله غير مخلوق . وذكر محمد بن جرير الطبرى رحمه الله فى كتابه الاعتقاد الذى صنفه في هذه وقال: أما القول في الفاظ العباد بالقرآن فلا اثر فيه نعلمه عن صحابى ولا تابعي الا عمن في قوله الغنى والشفاء وفي اتباعه الرشد والهدى ومن يقوم قوله مقام الائمة الاولى ابي عبد الله احمد بن حنبل رحمه الله فان ابا اسماعيل الترمذى حدثنى قال سمعت ابا عبد الله احمد بن حنبل رحمه الله يقول اللفظية جهمية قال الله تعالى (فأجره حتى يسمع كلام الله)[١] ممن يسمع . قال سمعت جماعة من أصحابنا لا أحفظ أسماءهم

١ - التوبة ٦

يذكرون عنه رضى الله عنه انه كان يقول من قال لفظى بالقرآن مخلوق فهو جهمي ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع: قال محمد بن جرير ولا قول في ذلك عندنا يجوز ان نقوله غير قوله اذ لم يكن لنا فيه امام نأتم به سواه وفيه الكفاية والمقنع وهو الامام المتبع رحمة الله عليه ورضوانه . هذه الفاظ محمد بن جرير التى نقلتها نفسها الى ما هاهنا من كتاب الاعتقاد الذي صنفه . قلت وهو أعنى محمد بن جرير قد نفى عن نفسه بهذا الفصل الذى ذكره في كتابه كل ما نسب اليه وقذف به من عدول عن سبيل السنة أو ميل الى شىء من البدعة والذى حكاه عن احمد رضى الله عنه وارضاه ان اللفظية جهمية فصحيح عنه وانما قال ذلك لان جهماً وأصحابه صرحوا بخلق القرآن والذين قالوا باللفظ تدرجوا به الى القول بخلق القرآن وخافوا أهل السنة فى ذلك الزمان من التصريح بخلق القرآن فذكروا هذا اللفظ وأرادوا به ان القرآن بلفظنا مخلوق فلذلك سماهم احمد رحمه الله جهمية . وحكي عنه أيضاً انه قال اللفظية شر من الجهمية

وأما ما حكاه محمد بن جرير عن احمد رحمه الله ان من قال لفظى بالقرآن غير مخلوق فهو مبتدع فانما أراد ان السلف من اهل السنة لم يتكلموا في باب اللفظ ولم يحوجهم الحال اليه وانما حدث الكلام في اللفظ من أهل التعمق وذوى الحمق الذين أتوا بالمحدثات وبحثوا عما نهوا عنه من الضلالات وذميم المقالات وخاضوا فيما لم يخض فيه السلف من علماء الاسلام فقال الامام احمد هذا القول فى نفسه بدعة ومن حق المتدين ان يدعه ولا يتفوه به ولا بمثله من البدع المبتدعة ويقتصر على ما قاله السلف من الائمة المتبعة ان القرآن كلام الله غير مخلوق ولا يزيد عليه الا تكفير من يقول بخلقه . اخبرنا الحاكم ابو عبد الله الحافظ حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الله الخراجى بمرو حدثنا يحيى بن ساكوه عن ابيه عبد الكريم السندى قال قال وهب بن زمعة اخبرنى الباسانى قال سمعت عبد الله ابن المبارك يقول من كفر بحرف من القرآن فقد كفر بالقرآن ومن قال لا أومن بهذا الكلام فقد كفر . ويعتقد أهل الحديث ويشهدون ان الله سبحانه وتعالى

فوق سبع سموات على عرشه كما نطق به كتابه فى قوله عز وجل في سورة الاعراف (ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد إذنه)[١] وقوله فى سورة الرعد (الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش)[٢] وقوله في سورة الفرقان (ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيرا)[٣] وقوله في سورة السجدة (ثم استوى على العرش)[٤] وقوله فى سورة طه (الرحمن على العرش استوى)[٥]. يثبتون له من ذلك ما أثبته الله تعالى ويؤمنون به ويصدقون الرب جل جلاله في خبره ويطلقون ما أطلقه سبحانه وتعالى من استوائه على العرش ويمرون على ظاهره ويكلون علمه الى الله ويقولون (آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولوا الالباب)[٦] كما أخبر الله تعالى عن الراسخين في العلم انهم يقولون ذلك ورضيه منهم فاثنى عليهم به.

اخبرنا ابو الحسين عبد الرحمن بن ابراهيم بن محمد بن يحيي المعلى حدثنى محمد بن داود بن سليمان الزاهد اخبرنى على بن محمد بن عبيد ابو الحسن الحافظ من أصله العتيق حدثنا ابو يحيى بن بشر الوراق حدثنا محمد بن الاشرس الوراق ابو كنانة حدثنا ابو المغيرة الحنفى حدثنا قرة بن خالد عن الحسن عن ابيه عن ام سلمة في قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) قالت الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والاقرار به ايمان والجحود به كفر. وحدثنا ابو الحسن بن اسحق المدنى حدثنا احمد بن الخضر بو الحسن الشافعي حدثنا شاذان حدثنا ابن مخلد بن يزيد القهستاني حدثنا جعفر بن ميمون قال سئل مالك بن انس عن قوله (الرحمن على العرش استوى) كيف استوى قال الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما اراك الا ضالا وأمر به ان يخرج من مجلسه. اخبرنا ابو محمد المجلدي العدل حدثنا ابو بكر عبد الله بن محمد بن مسلم الاسفرايينى حدثنا أبو الحسين على بن الحسن حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا مهدي بن جعفر بن ميمون الرملى عن جعفر بن

١ ـ يونس ٣
٢ ـ الرعد ٢
٣ ـ الفرقان ٥٩
٤ ـ السجدة ٤
٥ ـ طه ٥
٦ ـ آل عمران ٧

عبـدالله قال جاء رجل الى مالك بن أنس يعني يسأله عن قوله (الرحمن على العرش استوى) قال فما رأيته وجد من شيء كوجده من مقالته وعلاه الرحضاء وأطرق القوم فجعلوا ينتظرون الامر به فيه ثم سرى عن مالك فقال الـكيف غير معلوم والاستواء غير مجهول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة وانى لاخاف أن تكون ضالا ثم أمر به فأخرج * أخبرنا به جدى أبو حامد احمد بن اسماعيل عن جد والدي الشهيد وأبوعبدالله محمد بن عدي بن حمدويه الصابوني حدثنا محمد بن احمد بن أبي عون النسوي حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا مهدي بن جعفر الرملى حدثنا جعفر بن عبدالله قال جاء رجل لمالك بن أنس فقال يا أبا عبد الله (الرحمن على العرش استوى) كيف استوى قال فما رأيت مالكا وجد من شيء كوجده من مقالته وذكر بنحوه * وسئل ابو على الحسين بن الفضل البجلى عن الاستواء وقيل له كيف استوى على عرشه فقال أنا لا أعرف من أنباء الغيب إلا مقدار ما كشف لنا وقد أعلمنا جل ذكره انه استوى على عرشه ولم يخبرنا كيف استوى * أخبرنا أبوعبدالله الحافظ أخبرنا ابو بكر محمد بن داود الزاهد أخبرنا محمد ابن عبدالرحمن السامي حدثنى عبدالله بن احمد بن شبويه المروزى سمعت على بن الحسين بن شقيق يقول سمعت عبدالله بن المبارك يقول نعرف ربنا فوق سبع سموات على العرش استوى بائناً منه خلقه ولا نقول كما قالت الجهمية انه هاهنا وأشار الى الارض . وسمعت الحاكم أبا عبدالله فى كتابه التاريخ الذى جمعه لاهل نيسابور وفي كتابه معرفة الحـديث اللذين جمعهما ولم يسبق الى مثلهما يقول سمعت أباجعفر محمد بن صالح بن هاني يقول سمعت أبابكر محمد بن اسحق ابن خزيمة يقول من لم يقل بأن الله عز وجل على عرشه فوق سبع سمواته فهو كافر بربه حلال الدم يستتاب فان تاب وإلا ضربت عنقه والقي على بعض المزابل حتى لا يتأذى المسلمون ولا المعاهدون بنتن رائحة جيفته وكان ماله فيئاً لا يرثه احد من المسلمين إذ المسلم لا يرث الكافر كما قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم » ويثبت أصحاب الحديث نزول الرب سبحانه وتعالى

كل ليلة الى السماء الدنيا من غير تشبيه له بنزول المخلوقين ولا تمثيل ولا تكييف بل يثبتون ما أثبته رسول الله صلى الله عليه وسلم وينتهون فيه اليه ويمرون الخبر الصحيح الوارد بذكره على ظاهره ويكلون علمه الى الله وكذلك يثبتون ماأنزله الله عز اسمه في كتابه من ذكر المجيء والاتيان المذكورين في قوله عز وجل (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة)[١] وقوله عز اسمه (وجاء ربك والملك صفاً صفاً)[٢] وقرأت في رسالة الشيخ أبي بكر الاسماعيلي الى أهل جيلان ان الله سبحانه ينزل الى السماء الدنيا على ماصح به الخبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم : وقد قال الله عز وجل (هل ينظرون إلاأن يأتيهم الله في ظلل من الغمام)[١] وقال (وجاء ربك والملك صفاً صفاً)[٢] ونؤمن بذلك كله على ماجاء بلا كيف فلو شاء سبحانه أن يبين لنا كيفية ذلك فعل فانتهينا الى ماأحكمه وكففنا عن الذى يتشابه إذ كنا قد أمرنا به فى قوله عز وجل (هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ومايعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ومايذكر إلا أولو الالباب)[٣]

أخبرنا ابوبكر بن زكريا الشيبانى سمعت أباحامد بن الشرقى يقول سمعت احمد السلمي وأبادود الخفاجى يقولان سمعنا اسحق بن ابراهيم الحنظلى يقول قال لي الامير عبدالله بن طاهر ياأبا يعقوب هذا الحديث الذى ترويه عن رسول الله صل الله عليه وسلم ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا كيف ينزل قال قلت أعز الله الامير لايقال لامر الرب كيف انما ينزل بلا كيف * حدثنا أبو يعقوب اسحق بن ابراهيم العدل حدثنا محبوب بن عبد الرحمن القاضى حدثنى أبو بكر بن احمد بن محبوب حدثنا احمد بن حمويه حدثنا ابو عبدالرحمن العباسى حدثنا محمد بن سلام سألت عبدالله بن المبارك عن نزول ليلة النصف من شعبان فقال عبدالله ياضعيف ليلة النصف ينزل في كل ليلة فقال الرجل يا أبا عبد الله كيف

١ ـ البقرة ٢١٠
٢ ـ الفجر ٢٢
٣ ـ آل عمران ٧

ينزل أليس يخلو ذلك المكان منه فقال عبد الله ينزل كيف شاء وفى رواية أخرى لهذه الحكاية أن عبد الله بن المبارك قال للرجل اذا جاءك الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصغ له . سمعت الحاكم أبا عبد الله يقول سمعت أبا زكريا يحيى بن محمد العنبرى يقول سمعت ابراهيم بن ابي طالب يقول سمعت احمد بن سعيد بن ابراهيم بن عبد الله الرباطى يقول حضرت مجلس الامير عبد الله بن طاهر ذات يوم وحضر اسحق بن ابراهيم يعنى ابن راهويه فسئل عن حديث النزول أصحيح هو قال نعم فقال له بعض قواد عبد الله يا أبا يعقوب أتزعم ان الله ينزل كل ليلة قال نعم قال كيف ينزل فقال له اسحق أثبته فوق حتى أصف لك النزول فقال الرجل أثبته فوق فقال اسحق قال الله عز وجل (وجاء ربك والملك صفاً صفا) فقال الامير عبد الله يا أبا يعقوب هذا يوم القيامة فقال اسحق أعز الله الامير ومن يجيء يوم القيامة من يمنعه اليوم .

وخبر نزول الرب كل ليلة الى سماء الدنيا خبر متفق على صحته مخرج في الصحيحين من طريق مالك بن أنس عن الزهري عن الاغر وأبى سلمة عن أبي هريرة . أخبرنا ابو على زاهر بن احمد حدثنا أبو اسحق ابراهيم بن عبد الصمد حدثنا ابو مصعب حدثنا مالك . وحدثنا ابو بكر بن زكريا حدثنا ابو حاتم على بن عبيدان حدثنا محمد بن يحيى قال ومما قرأت على ابن نافع وحدثني مطرف عن مالك رحمه الله وحدثنا ابو بكر بن زكريا أخبرنا ابو القاسم عبد الله بن ابراهيم ابن باكويه حدثنا يحيي بن محمد حدثنا يحيى بن يحيى قال قرأت على مالك عن ابن شهاب الزهرى عن أبى عبد الله الاغر وأبى سلمة عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ينزل ربنا تبارك وتعالى في كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول من يدعونى فاستجيب له ومن يسألنى فاعطيه ومن يستغفرني فاغفر له »

ولهذا الحديث طرق الى أبي هريرة رواه الاوزاعى عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة عن أبي هريرة رحمه الله ورواه يزيد بن هرون وغيره من الأئمة

عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة ومالك عن الزهرى عن الاعرج عن أبى هريرة ومالك عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة وعبيدالله ابن عمر عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى عن أبى هريرة وعبد الاعلى بن أبي المساور وبشير بن أبي سلمان عن أبى حازم عن أبى هريرة . ورواه نافع بن جبير ابن مطعم عن أبيه وموسى بن عقبة عن اسحق بن يحيى عن عبادة بن الصامت وعبد الرحمن بن كعب بن مالك عن جابر بن عبد الله وعبيد الله بن أبى رافع عن على بن أبي طالب وشريك عن أبي اسحق عن أبي الاحوص عن عبد الله ابن مسعود ومحمد بن كعب بن فضالة بن عبيد عن ابى الدرداء وابو الزبير عن جابر وسعيد بن جبير عن ابن عباس وعن أم المؤمنين عائشة وأم سلمة رضى الله عنهم.

وهذه الطرق كلها مخرجة بأسانيدها في كتابنا الكبير المعروف بالانتصار وفي رواية الاوزاعي عن يحيى بن كثير عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا مضى نصف الليل أو ثلثاه ينزل الله الى السماء الدنيا فيقول هل من سائل فيعطى هل من داع فيستجاب له هل من مستغفر فيغفر له حتى ينفجر الصبح » . وفي رواية سعيد بن مرجانة عن أبى هريرة زيادة فى آخره وهي « ثم يبسط يديه فيقول من يقرض غير معدوم ولا ظلوم » . وفي رواية أبى حازم عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله ينزل الى سماء الدنيا في ثلث الليل الاخير فينادى هل من سائل فأعطيه هل من مستغفر فأغفر له فلا يبقى شيء فيه الروح الا علم به الا الثقلان الجن والانس » قال وذلك حين تصيح الديكة وتنهق الحمير وتنبح الكلاب . وروى هشام الدستوائي عن يحيى بن أبى كثير عن هلال بن ميمون عن عطاء بن يسار عن رفاعة الجهنى حدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اذا مضى ثلث الليل أو شطر الليل أو ثلثاه ينزل الله الى السماء الدنيا فيقول لاأسأل من عبادى غير من يستغفرنى فأغفر له من يدعونى فأستجيب له من يسألنى أعطيه حتى ينفجر الصبح » * أخبرنا ابو محمد المجلدى أخبرنا أبو العباس السراج حدثنا محمد

بن يحيى حدثنا عبيدالله بن موسى عن اسرائيل عن أبي اسحق عن أبى مسلم الاغر قال أشهد على أبى سعيد وأبى هريرة أنهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أشهد عليهما انهما سمعا النبي صلى الله عليه وسلم يقول «إن الله يمهل حتى اذا ذهب ثلث الليل الاول هبط الى السماء الدنيا فيقول هل من مذنب هل من مستغفر هل من سائل هل من داع حتى تطلع الشمس» * أخبرنا أبو محمد المجلدى حدثنا ابوالعباس الثقفي حدثنا الحسن بن الصباح حدثنا شبابة بن ثوار عن يونس بن أبى اسحق عن أبى مسلم الأغر قال أشهد على أبى سعيد وأبى هريرة أنهما قالا قال رسول الله صلي الله عليه وسلم «ان الله يمهل حتى اذا كان ثلث الليل هبط الى هذه السماء ثم أمر بأبواب السماء ففتحت فقال هل من سائل فأعطيه هل من داع فأجيبه هل من مستغفر فأغفر له هل من مضطر أكشف عنه ضره هل من مستغيث أغيثه فلايزال ذلك مكانه حتى يطلع الفجر في كل ليلة من الدنيا» * أخبرنا أبو محمد المجلدى أنبأنا أبوالعباس يعنى الثقفي حدثنا مجاهد بن موسى والفضل بن سهل قالا حدثنا يزيد بن هرون حدثنا سهل عن أبى اسحق عن الاغر انه شهد على أبى هريرة وأبي سعيد انهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «اذا كان ثلث الليل نزل تبارك وتعالى الى السماء الدنيا فقال ألا هل من مستغفر يغفر له هل من سائل يعطى سؤله ألا هل من تائب يتاب عليه» * حدثنا الاستاذ أبو منصور بن حماد حدثنا ابو اسماعيل بن ابى الظما ببغداد حدثنا أبومنصور الرمادي حدثنا عبدالرزاق أخبرنا معمر عن سهل عن ابى صالح عن ابيه عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ينزل الله تعالى في كل ليلة الى السماء الدنيا فيقول انا الملك انا الملك ثلاثا من يسألنى فأعطيه من يدعونى فاستجيب له من يستغفرنى فأغفر له فلا يزال كذلك حتى يطلع الفجر» سمعت الاستاذ أبامنصور على أثر هذا الحديث الذي أملاه علينا يقول سئل أبوحنيفة عنه فقال ينزل بلا كيف وقال بعضهم ينزل نزولا يليق بالربوبية بلا كيف من غير أن يكون نزوله مثل نزول الخلق بل بالتجلي

والتملي لانه جل جلاله منزه أن تكون صفاته مثل صفات الخلق كما كان منزهاً أن تكون ذاته مثل ذوات الخلق فمجيئه واتيانه ونزوله علي حسب مايليق بصفاته من غير تشبيه وكيف * وقال الامام أبوبكر محمد بن اسحق بن خزيمة في كتاب التوحيد الذى صنفه وسمعت من حامده ابى طاهر رحمه الله تعالى

باب

ذكر أخبار ثابتة السند رواها علماء الحجاز والعراق فى نزول الرب الى السماء الدنيا كل ليلة من غير صفة كيفية النزول مع اثبات النزول نشهد شهادة مقر بلسانه مصدق بقلبه متيقن بما في هذه الاخبار من ذكر النزول من غير أن نصف الكيفية لان نبينا صلى الله عليه وسلم لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا الى السماء الدنيا وأعلمنا انه ينزل والله عز وجل ولى نبيه صلى الله عليه وسلم بيان مابالمسلمين اليه الحاجة من أمر دينهم فنحن قائلون مصدقون بما في هذه الاخبار من ذلك النزول غير متكلفين للنزول بصفه الكيفية إذ النبي صلى الله عليه وسلم لم يصف كيفية النزول * أخبرنا الحاكم ابوعبدالله الحافظ حدثنا ابو محمد الصيدلاني حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد حدثنا احمد بن صالح المصري حدثنا ابن وهب أنبأنا مخرمة بن بكير عن ابيه رحمه الله وأخبرنا الحاكم حدثنا محمد بن يعقوب الاصم واللفظ له حدثنا ابراهيم بن حنيفة حدثنا ابن وهب عن مخرمة ابن بكير عن أبيه قال سمعت محمد بن المنكدر يزعم انه سمع أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم تقول « نعم اليوم يوم ينزل الله تعالى فيه الى السماء الدنيا قالوا وأى يوم قالت يوم عرفة » * وروت عائشة رضى الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قالت « ينزل الله تعالى في النصف من شعبان الى السماء الدنيا ليلا الى آخر النهار من الغد فيعتق من النار بعدد شعر معز بنى كلب ويكتب الحاج وينزل ارزاق السنة ولايترك أحداً إلا غفر له إلا مشركا او قاطع رحم او عاقا او مشاحناً » * اخبرنا ابوطاهر بن خزيمة حدثنا جدي الامام حدثنا

الحسن بن محمد الزعفراني حدثنا اسماعيل بن علية عن هشام الدستوائي (ح) قال الامام وحدثنا الزعفراني عبدالله بن بكر السهمي حدثنا هشام الدستوائي (ح) وحدثنا الزعفراني حدثنا يزيد يعني ابن هرون الدستوائي (ح) وحدثنا محمد بن عبدالله بن ميمون بالاسكندرية حدثنا الوليد عن الاوزاعي جميعهم عن يحيى بن أبي كثير عن عطاء بن يسار حدثني رفاعة بن عرابة الجهني (ح) قال الامام وحدثنا ابوهشام بن زياد بن ايوب حدثنا مبشر بن اسماعيل الحلبي عن الاوزاعي حدثنا يحيى بن أبي كثير حدثني هلال بن أبي ميمونة عن عطاء بن يسار حدثني رفاعة بن عرابة الجهني قال صدرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة فجعلوا يستأذنون النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يأذن لهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم « مابال شق الشجرة الذي يلي النبي صلى الله عليه وسلم ابغض إليكم من الآخر فلا يرى من القوم إلا باكيًا قال يقول ابو بكر الصديق ان الذي يستأذنك بعدها لسفيه فقام النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله واثنى عليه وكان اذا حلف قال والذي نفسي بيده أشهد عند الله مامنكم من أحد يؤمن بالله واليوم الآخر ثم يسدد الا سلك به في الجنة ولقد وعدني ربي أن يدخل من أمتي الجنة سبعين ألفًا بغير حساب ولاعذاب واني لأرجو أن لايدخلوها حتى يؤمنوا ومن صلح من ازواجهم وذرياتهم يساكنكم في الجنة ثم قال صلى الله عليه وسلم اذا مضى شطر الليل أو قال ثلثاه ينزل الله الى السماء الدنيا ثم يقول لاأسأل عن عبادي غيري من ذا الذي يسألني فأعطيه من ذا الذي يدعوني فأجيبه من ذا الذي يستغفرني فأغفر له حتى ينفجر الصبح » هذا لفظ حديث الوليد.

قال شيخ الاسلام قلت فلما صح خبر النزول عن الرسول صلى الله عليه وسلم أقر به أهل السنة وقبلوا الخبر وأثبتوا النزول على ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعتقدوا تشبيهًا له بنزول خلقه وعلموا وتحققوا واعتقدوا أن صفات الله سبحانه لا تشبه صفات الخلق كما أن ذاته لا تشبه ذوات الخلق تعالى الله عما يقول المشبهة والمعطلة علوا كبيراً ولعنهم لعنا كثيراً. وقرأت لابي عبد الله

ابن ابى حفص البخاري وكان شيخ بخارى في عصره بلا مدافعة وابو حفص كان من كبار اصحاب محمد بن الحسن الشيباني قال ابو عبدالله أعنى ابن أبى حفص هذا عبد الله بن عثمان وهو عبدان شيخ مرو يقول سمعت محمد بن الحسن الشيبانى يقول قال حماد بن ابى حنيفة قلنا لهؤلاء أرأيتم قول الله عز وجل (وجاء ربك والملك صفاً صفا) قالوا أما الملائكة فيجيئون صفاً صفا وأما الرب تعالى فانا لا ندري ماعنى بذلك ولا ندرى كيفية مجيئه فقلت لهم انا لم نكلفكم أن تعلموا كيف جيئته ولكنا نكلفكم أن تؤمنوا بمجيئه أرأيتم من أنكر أن الملك لا يجيء صفاً صفا ماهو عندكم قالوا كافر مكذب قلت فكذلك ان أنكر أن الله سبحانه لا يجيء فهو كافر مكذب * قال ابو عبدالله ابن أبى حفص البخاري أيضا فى كتابه ذكر ابراهيم عن الاشعث قال سمعت الفضيل بن عياض يقول اذا قال لك الجهمي انا لا نؤمن برب ينزل عن مكانه فقل أنت أنا أؤمن برب يفعل مايشاء * وروى يزيد بن هرون في مجلسه حديث اسماعيل بن ابي خالد عن قيس بن أبى حازم عن جرير بن عبد الله في الرؤية وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم «انكم تنظرون الى ربكم كما تنظرون الى القمر ليلة البدر» فقال له رجل فى مجلسه يا أبا خالد ما معنى هذا الحديث فغضب وحرد وقال ما أشبهك بصبيغ وأحوجك الى مثل ما فعل به ويلك ومن يدرى كيف هذا ومن يجوز له أن يجاوز هذا القول الذى جاء به الحديث أو يتكلم فيه بشيء من تلقاء نفسه الا من سفه نفسه واستخف بدينه اذا سمعتم الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتبعوه ولا تبتدعوا فيه فانكم ان اتبعتموه ولم تماروا فيه سلمتم وان لم تفعلوا هلكتم: وقصة صبيغ الذي قال يزيد بن هرون للسائل ما اشبهك بصبيغ وأحوجك الى مثل ما فعل به هى ما رواه يحيي بن سعيد عن سعيد بن المسيب ان صبيغا التميمي أتى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال يا أمير المؤمنين أخبرني عن (الذاريات ذروا)[1] قال هي الرياح ولولا أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله ما قلته قال فاخبرني عن (الحاملات وقرا)[2] قال هي السحاب ولولا اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله ماقلته قال فاخبرنى

١ ـ الذاريات ١
٢ ـ الذاريات ٢

عن (المقسمات أمراً)[١] قال الملائكة ولولا أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله ما قلته قال فاخبرني عن (الجاريات يسرا)[٢] قال هي السفن ولولا أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله ما قلته قال ثم أمر به فضرب مائة سوط ثم جعله في بيت حتى اذا برأ دعا به ثم ضربه مائة سوط أخرى ثم حمله على قتب وكتب الى ابي موسى الاشعري أن حرم عليه مجالسة الناس فلم يزل كذلك حتى أتى أباموسى الأشعري فحلف بالايمان المغلظة ما يجد في نفسه مما كان يجده شيئاً فكتب عمر اليه ما أخاله الا قد صدق خل بينه وبين مجالسة الناس * وروى حماد بن زيد عن قطن بن كعب سمعت رجلا من بني عجل يقال له فلان خلته ابن زرعة يحدث عن أبيه قال رأيت صبيغ بن عسل بالبصرة كأنه بعير أجرب يجيء الى الحلق فكلما جلس إلى قوم لا يعرفونه ناداهم أهل الحلقة الاخرى عزمة أمير المؤمنين * وروى حماد ابن زيد أيضا عن يزيد بن أبي حازم عن سليمان بن يسار أن رجلا من بني تميم يقال له صبيغ قدم المدينة فكانت عنده كتب فجعل يسأل عن متشابه القرآن فبلغ ذلك عمر فبعث اليه وقد أعد له عراجين النخل فلما دخل عليه جلس فقال من أنت قال أنا عبد الله صبيغ قال وأنا عبد الله عمر ثم أهوى اليه فجعل يضربه بتلك العراجين فما زال يضربه حتى شجه فجعل الدم يسيل على وجهه فقال حسبك يا أمير المؤمنين فقد والله ذهب ما كنت أجد في رأسي * أخبرنا ابو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى السلمي أخبرنا محمد بن محمود الفقيه المروزي بها حدثنا محمد بن عمير الرازي حدثنا ابو زكريا يحيي بن ايوب العلاف التجيبي بمصر حدثنا يونس بن عبد الاعلى حدثنا أشهب بن عبد العزيز سمعت مالك ابن انس يقول إياكم والبدع قيل يا أبا عبد الله وما البدع قال أهل البدع الذين يتكلمون في اسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته لا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون * أخبرنا أبو الحسين احمد بن محمد بن عمر الزاهد الخفاف أخبرنا أبو نعيم عبد الملك بن محمد بن عدي الفقيه حدثنا الربيع بن سليمان سمعت الشافعي رحمه الله يقول لان القاه بكل ذنب ما خلا الشرك أحب الي من أن القاه

١ ـ الذاريات ٤
٢ ـ الذاريات ٣

بشيء من الأهواء *أخبرني أبو طاهر محمد بن الفضل حدثنا ابو عمرو الحيرى حدثنا ابو الازهر حدثنا قبيعة حدثنا سفيان عن ابن جعفر برقان قال سأل رجل عمر بن عبد العزيز عن شيء من الاهواء فقال الزم دين الصبي في الكتاب[٢] والاعرابي واله عما سوى ذلك *أخبرنا ابو عبد الله الحافظ حدثنا محمد بن يزيد سمعت أبا يحيي القزاز يقول سمعت العباس بن حمزة يقول سمعت احمد بن أبي الحواري يقول سمعت سفيان بن عيينـة يقول كل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عنـه . أخبرنا أبو الحسين الخفاف حدثنا ابو العباس محمد بن اسحاق السراج حدثنا اسماعيل بن ابي الحرث حدثنا الهيثم بن خارجة سمعت الوليد بن مسلم قال سألت الاوزاعي وسفيان ومالك بن أنس عن هذه الاحاديث في الصفات والرؤية قال اروها كما جاءت بلا كيف * قال الامام الزهري امام الائمة في عصره وعين علماء الامة في وقتـه على الله البيان وعلى الرسول البلاغ وعلينا التسليم * وعن بعض السلف قدم الاسلام لا يثبت الا على قنطرة التسليم * أخبرنا أبو طاهر بن خزيمة حدثنا جدي الامام احمد بن نصر حدثنا أبو يعقوب الحسن حدثنا كثير بن عبد الله المزني عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان هذا الدين بدأ غريباً وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء قيل يا رسول الله ومن الغرباء قال الذين يحيون سنتي من بعدي ويعلمونها عباد الله » *أخبرنا عبد الله الحافظ سمعت أبا الحسن المكارى يقول سمعت علي بن عبد العزيز يقول سمعت أبا القاسم بن سلام يقول المتبع للسنة كالقابض على الجمر وهو اليوم عندي أفضل من ضرب السيف في سبيل الله * وروى عن الاعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال دخلنا على عبد الله بن مسعود فقال يا أيها الناس من علم شيئا فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله أعلم فان من العلم أن يقول لما لا يعلم الله أعلم قال عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم (قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين)[١] * أخبرنا عبد الله الحافظ حدثنا أبو العباس المعقلي حدثنا احمد بن عبد الجبار العطاردي حدثني أبي وعبد الرحمن الضبي عن القاسم بن عروة عن محمد بن كعب القرظي

١ ـ ص ٨٦

قال دخلت على عمر بن العزيز فجعلت أنظر اليه نظراً شديداً فقال انك لتنظر الى نظراً ما كنت تنظره الى" وأنا بالمدينةفقال لتعجبي فقال ومم" تعجب قال قلت وما حال من لونك ونحل من جسمك ونقي من شعرك قال كيف ولو رأيتني بعد ثلاثة في قبري وقد سالت حدقتاي على وجنتي وسال منخراي في فمي صديداً كنت لي أشد نكرة ، حدثني حديثا كنت حدثتنيه عن عبد الله بن عباس قال قلت حدثني عبد الله بن عباس يرفع الحديث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لكل شيء شرف وأشرف المجالس ما استقبل به القبلة لا تصلوا خلف نائم ولا محدث واقتلوا الحية والعقرب وان كنتم في صلاتكم ولا تستروا الجدر بالثياب ومن نظر فى كتاب أخيه بغير اذنه فانما ينظر في النار ألا أنبئكم بشراركم قالوا بلى يارسول الله قال الذي يجلد عبده ويمنع رفده وينزل وحده أفلا أنبئكم بشر من ذلكم الذى يبغض الناس ويبغضونه أفلا أنبئكم بشر من ذلكم الذي لا يقيل عثرة ولا يقبل معذرة ولا يغفر ذنباً أفلا أنبئكم بشر من ذلكم الذى لا يرجى خيره ولا يؤمن شره من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله ومن أحب أن يكون أغني الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يد غيره ومن أحب أن يكون أكرم الناس فليتق الله ان عيسى عليه السلام قام في قومه فقال يابنى اسرائيل لا تكلموا بالحكمة عند الجهال فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم ولا تظلموا ولا تكافئوا ظالما بظلمه فيبطل فضلكم عند ربكم الأمور ثلاثة أمر بين رشده فاتبعوه وأمر بين غيه فاجتنبوه وأمر اختلفتم فيه فكلوه لله عز وجل »

ويؤمن أهل الدين والسنة بالبعث بعد الموت يوم القيامة وبكل ما أخبر الله سبحانه من أهوال ذلك اليوم الحق واختلاف أحوال العباد فيه والخلق فيما يرونه ويلقونه هنالك في ذلك اليوم الهائل من أخذ الكتب بالايمان والشمائل والاجابة عن المسائل الى سائر الزلازل والبلابل الموعودة في ذلك اليوم العظيم والمقام الهائل من الصراط والميزان ونشر الصحف التى فيها مثاقيل الذر من الخير والشر وغيرها ٭ ويؤمن أهل الدين والسنة بشفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم لمذنبي أهل التوحيد

ومرتكبي الكبائر كما ورد به الخبر الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرنا ابوسعيد بن حمدون انبأنا ابو حامد بن الشرقي حدثنا احمد بن يوسف السلمي حدثنا عبد الرازق أنبأنا معمر عن ثابت عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « شفاعتى لاهل الكبائر من أمتى » وأخبرنا أبو علي زاهر بن أحمد اخبرنا محمد ابن المسيب الاغيانى حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا عبد السلام بن حرب الملائى عن زياد بن خيثمة عن نعمان بن قراد عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل شطر أمتى الجنة فاخترت الشفاعة لانها أعم وأكفى أترونها للمؤمنين المتقين لا ولكنها للمذنبين المتلوثين الخطائين » * أخبرنا أبو محمد المجلدى أخبرنا ابوالعباس السراج حدثنا قتيبة ابن سعيد حدثنا عبد العزيز بن محمد الدراوردى عن عمرو بن أبى عمرو (ح) وأخبرنا ابو طاهر بن خزيمة أخبرنا جدى الامام محمد بن اسحق بن خزيمة حدثنا على بن حجر بن اسماعيل بن جعفر عن عمرو بن أبي عمرو عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة فقال « لقد ظننت أن لا يسألنى عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث ان أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال لا اله الا الله خالصا من قبل نفسه »

ويؤمنون بالحوض والكوثر وادخال فريق من الموحدين الجنة بغير حساب ومحاسبة فريق منهم حسابا يسيرا وادخالهم الجنة بغير سوء يمسهم وعذاب يلحقهم وادخال فريق من مذنبيهم النار ثم اعتاقهم أو إخراجهم منها والحاقهم باخوانهم الذين سبقوهم اليها ولا يخلدون في النار فاما الكفار فانهم يخلدون فيها ولا يخرجون منها أبداً ولا يترك الله فيها من عصاة أهل الايمان احداً *

ويشهد اهل السنة ان المؤمنين يرون ربهم تبارك وتعالى بابصارهم وينظرون اليه على ماورد به الخبر الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله « انكم ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر » والتشبيه وقع للرؤية بالرؤية لا للمرئى

والاخبار الواردة فى الرؤية مخرجة في كتاب الانتصار بطرقها

ويشهد اهل السنة ان الجنة والنار مخلوقتان وانهما باقيتان لا يفنيان ابداً وان اهل الجنة لا يخرجون منها ابداً وكذلك اهل النار الذين هم اهلها خلقوا لها لا يخرجون ابداً وان المنادي ينادي يومئذ يااهل الجنة خلود ولاموت ويااهل النار خلود ولاموت على ما ورد به الخبر الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم *

ومن مذهب أهل الحديث ان الايمان قول وعمل ومعرفة يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية قال محمد بن على بن الحسن بن شقيق سألت أبا عبد الله احمد ابن حنبل رحمه الله عن الايمان في معنى الزيادة والنقصان فقال حدثنا الحسن بن موسى الاشيب حدثنا حماد بن سلمة عن أبى جعفر عن أبيه عن جده عن عمر بن حبيب قال الايمان يزيد وينقص فقيل وما زيادته وما نقصانه قال اذا ذكرنا الله فحمدناه وسبحانه فتلك زيادته واذا غفلنا وضيعنا ونسينا فذلك نقصانه: أخبرنا ابو الحسن بن أبى اسحق المزكى حدثنا أبى حدثنا أبو عمرو الحيري حدثنا محمد بن يحيي الذهلى ومحمد بن إدريس المكى واحمد بن شداد الترمذي قالوا حدثنا الحميدي حدثنا يحيى بن سليم سألت عشرة من الفقهاء عن الايمان فقالوا قول وعمل * وسألت هشام بن حسان فقال قول وعمل * وسألت ابن جريج فقال قول وعمل * وسألت سفيان الثورى فقال قول وعمل * وسألت المثنى بن الصباح فقال قول وعمل * وسألت محمد بن مسلم الطائفي فقال قول وعمل * وسألت فضيل فقال قول وعمل * وسألت نافع بن عمر الجمحي فقال قول وعمل * وسألت سفيان بن عيينة فقال قول وعمل * وأخبرنا ابو عمرو الحيرى حدثنا محمد بن يحيى ومحمد بن ادريس سمعت الحميدى يقول سمعت سفيان بن عيينة يقول الايمان قول وعمل يزيد وينقص فقال له أخوه ابراهيم بن عيينة يا أبامحمد تقول ينقص فقال اسكت يا صبي بل ينقص حتى لا يبقى منه شيء * وقال الوليد بن مسلم سمعت الاوزاعي ومالكا وسعيد بن عبد العزيز ينكرون على من يقول

إقرار بلا عمل ويقولون لا ايمان إلا بعمل قلت فمن كانت طاعاته وحسناته أكثر فانه أكمل إيمانا ومن كان قليل الطاعة كثير المعصية والغفلة والاضاعة فايمانه ناقص * (وسمعت الحاكم أبا عبد الله الحافظ) يقول سمعت أبا بكر محمد ابن احمد بن باكويه الجلاب يقول سمعت أبا بكر محمد بن اسحق بن خزيمة يقول سمعت احمد بن سعيد الرباطي يقول قال لي عبد الله بن طاهر ياأحمد أنكم تبغضون هؤلاء القوم جهلا وأنا أبغضهم عن معرفة اولا انهم لا يرون للسلطان طاعة والثاني انه ليس للايمان عندهم قدر والله لا أستجيز أن أقول إيماني كايمان يحيى بن يحيى ولا كايمان احمد بن حنبل وهم يقولون إيماننا كايمان جبرائيل وميكائيل *وسمعت أباجعفر محمد بن صالح بن هانىء يقول سمعت أبا بكر محمد بن شعيب يقول سمعت اسحق بن ابراهيم الحنظلي يقول قدم ابن المبارك الرى فقام اليه رجل من العباد الظن انه يذهب مذهب الخوارج فقال له ياأبا عبد الرحمن ما تقول فيمن يزني ويسرق ويشرب الخمر قال لا أخرجه من الايمان فقال ياأبا عبد الرحمن على كبر السن صرت مرجئا فقال لا تقبلني المرجئة المرجئة تقول حسناتنا مقبولة وسيئاتنا مغفورة ولو علمت انى قبلت منى حسنة لشهدت اني في الجنة ثم ذكر عن أبي شوذب عن سلمة بن كهيل عن هذيل بن شرحبيل قال قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لو وزن إيمان أبى بكر بايمان أهل الارض لرجح * (سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله) بن محمد بن زكريا الشيباني يقول سمعت يحيى بن منصور القاضي يقول سمعت محمد بن اسحق ابن خزيمة يقول سمعت الحسين بن حرب أخا احمد بن حرب الزاهد يقول أشهد أن دين احمد بن حرب الذى يدين الله به ان الايمان قول وعمل يزيد وينقص *

ويعتقد أهل السنة أن المؤمن وان اذنب ذنوبا كثيرة صغائر وكبائر فانه لا يكفر بها وإن خرج من الدنيا غير تائب منها ومات على التوحيد والاخلاص فان أمره الى الله عز وجل ان شاء عفا عنه وأدخله الجنة يوم القيامة سالما غانما

غير مبتلى بالنار ولا معاقب على ما ارتكبه واكتسبه ثم استصحبه الى يوم القيامة من الآثام والاوزار وان شاء عفا عنه وعذبه مدة بعذاب النار واذا عذبه لم يخلده فيها بل أعتقه وأخرجه منها الى نعيم دار القرار

وكان شيخنا سهل بن محمد رحمه الله يقول المؤمن المذنب وإن عذب بالنار فانه لايلقى فيها القاء الكفار ولايبقى فيها بقاء الكفار ولايشقى فيها شقاء الكفار . ومعنى ذلك ان الكافر يسحب على وجهه الى النار ويلقى فيها منكوساً في السلاسل والاغلال والانكال الثقال والمؤمن المذنب اذا ابتلى بالنار فانه يدخل النار كما يدخل المجرم في الدنيا السجن على الرجل من غير القاء وتنكيس . ومعنى قوله لايلقى في النار القاء الكفار ان الكافر يحرق بدنه كله كلما نضج جلده بدل جلداً غيره ليذوق العذاب كما بينه الله فى كتابه في قوله تعالى (ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب)[1] : وأما المؤمنون فلاتلفح وجوههم النار ولاتحرق أعضاء السجود منهم إذ حرم الله على النار أعضاء سجوده . ومعنى قوله لايبقى في النار بقاء الكفار ان الكافر يخلد فيها ولايخرج منها أبداً ولايخلد الله من مذنبي المؤمنين فى النار أحداً . ومعنى قوله لايشقى بالنار شقاء الكفار ان الكفار ييأسون فيها من رحمة الله ولايرجون راحة بحال وأما المؤمنون فلاينقطع طمعهم من رحمة الله فى كل حال وعاقبة المؤمنين كلهم الجنة لأنهم خلقوا لها وخلقت لهم فضلا من الله ومنة

واختلف أهل الحديث في ترك المسلم صلاة الفرض متعمدا فكفره بذلك احمد بن حنبل وجماعة من علماء السلف وأخرجوه به من الاسلام للخبر الصحيح « بين العبد والشرك ترك الصلاة فمن ترك الصلاة فقد كفر » وذهب الشافعي وأصحابه وجماعة من علماء السلف رحمة الله عليهم أجمعين الى انه لايكفر مادام معتقداً لوجوبها وانما يستوجب القتل كما يستوجب المرتد عن الاسلام وتأولوا الخبر من ترك الصلاة جاحداً كما أخبر سبحانه عن يوسف عليه السلام انه قال

١ ـ النساء ٥٦

(اني تركت ملة قوم لايؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون)[١] ولم يك تلبس بكفر فارقه ولـكن تركه جاحداً له *

ومن قول أهل السنة والجماعة في اكساب العباد انها مخلوقة لله تعالى لايمترون فيه ولايعدون من أهل الهدى ودين الحق من ينكر هذا القول وينفيه ويشهدون ان الله تعالى يهدى من يشاء ويضل من يشاء عنه لاحجة لمن أضله الله عليه ولاعذر له لديه : قال الله عز وجل (قل فلله الحجة البالغة فلوشاء لهداكم أجمعين)[٢] وقال (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولـكن حق القول منى)[٣] الآية وقال (ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس)[٤] الآية : سبحانه وتعالى خلق الخلق بلاحاجة اليهم فجعلهم فرقتين فريقاً للنعيم فضلا وفريقاً للجحيم عدلا وجعل منهم غوياً ورشيداً وشقياً وسعيداً وقريباً من رحمته وبعيداً لايسئل عما يفعل وهم يسئلون * أخبرنا أبو محمد المجلدى أخبرنا أبو محمد العباس السراج حدثنا يوسف عن موسى أخبـرنا جرير عن الاعمش عن زيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق « ان خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله اليه ملكا بأربع كلمات رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد فوالذي نفسي بيده ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى مايكون بينه وبينها إلا ذراع ثم يدركه ماسبق له في الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها »

ويشهد أهل السنة ويعتقدون ان الخير والشر والنفع والضر بقضاء الله وقدره لامرد لها ولامحيص ولامحيد عنهما ولايصيب المرء إلا ما كتبه له ربه ولو جهد الخلق أن ينفعوا المرء بما لم يكتبه الله له لم يقدروا عليه ولوجهدوا أن يضروه بما لم يقضه الله لم يقدروا . على ماورد به الخبر عن عبدالله بن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم : وقال الله عز وجل (وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلاراد لفضله)[٥] الآية

١ ـ يوسف ٣٧
٢ ـ الأنعام ١٤٩
٣ ـ السجدة ١٣
٤ ـ الأعراف ١٧٩
٥ ـ يونس ١٠٧

ومن مذهب أهل السنة وطريقتهم مع قولهم بأن الخير والشر من الله وبقضائه لايضاف الى الله تعالى مايتوهم منه نقص على الانفراد فلايقال ياخالق القردة والخنازير والخنافس والجعلان وان كان لامخلوق الا والرب خالقه وفي ذلك ورد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعاء الاستفتاح «تباركت وتعاليت والخير في يديك والشر ليس اليك» ومعناه والله أعلم والشر ليس مما يضاف اليك إفراداً وقصداً حتى يقال لك في المناداة ياخالق الشر او يامقدر الشر وان كان هو الخالق والمقدر لهما جميعاً لذلك أضاف الخضر عليه السلام ارادة العيب الى نفسه فقال فيما أخبر الله عنه في قوله (أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها)[1] ولما ذكر الخير والبر والرحمة أضاف ارادتها الى الله عز وجل فقال (فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك)[2] ولذلك قال مخبراً عن ابراهيم عليه السلام انه قال (واذا مرضت فهو يشفين)[3] فأضاف المرض الى نفسه والشفاء الى ربه وان كان الجميع منه *

ومن مذهب أهل السنة والجماعة ان الله عز وجل مريد لجميع أعمال العباد خيرها وشرها لم يؤمن أحد الا بمشيئته ولم يكفر أحد إلا بمشيئته ولو شاء لجعل الناس أمة واحدة ولو شاء أن لايعصى ماخلق ابليس : فكفر الكافرين وايمان المؤمنين بقضائه سبحانه وتعالى وقدره وارادته ومشيئته أراد كل ذلك وشاءه وقضاه ويرضى الايمان والطاعة ويسخط الكفر والمعصية قال الله عز وجل (ان تكفروا فان الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم)[4] *

ويعتقد ويشهد أصحاب الحديث ان عواقب العباد مبهمة لايدرى أحد بم يختم له ولايحكمون لواحد بعينه انه من أهل الجنة ولايحكمون على أحد بعينه انه من أهل النار لان ذلك مغيب عنهم لايعرفون على ما يموت عليه الانسان ولذلك يقولون انا مؤمنون ان شاء الله * ويشهدون لمن مات على الاسلام ان عاقبته الجنة فان الذين سبق القضاء عليهم من الله انهم يعذبون بالنار مدة لذنوبهم

١ ـ الكهف ٧٩
٢ ـ الكهف ٨٢
٣ ـ الشعراء ٨٠
٤ ـ الزمر ٧

التي ا كتسبوها ولم يتوبوا منها فانهم يردون أخيراً الى الجنة ولا يبقى أحد في النار من المسلمين فضلا من الله ومنة ومن مات والعياذ بالله على الكفر فرده الى النار لا ينجو منها ولا يكون لمقامه فيها منتهى . فأما الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه بأعيانهم بأنهم من اهل الجنة فان أصحاب الحديث يشهدون لهم بذلك تصديقاً للرسول صلى الله عليه وسلم فيما ذكره ووعده لهم فانه صلى الله عليه وسلم لم يشهد لهم بها إلا بعد أن عرف ذلك والله تعالى أطلع رسوله صلى الله عليه وسلم على ماشاء من غيبه وبيان ذلك في قوله عز وجل (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً الا من ارتضى من رسول)[١] وقد بشر صلى الله عليه وسلم عشرة من أصحابه بالجنة وهم ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وعبدالرحمن بن عوف وسعد وسعيد وأبو عبيدة بن الجراح وكذلك قال لثابت بن قيس بن شماس أنت من أهل الجنة قال أنس بن مالك فلقد كان يمشي بين أظهرنا ونحن نقول انه من أهل الجنة •

ويشهدون ويعتقدون ان افضل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي وانهم الخلفاء الراشدون الذين ذكر صلى الله عليه وسلم خلافتهم بقوله فيما رواه سعيد بن نبهان عن سفينة « الخلافة بعدي ثلاثون سنة » وبعد انقضاء أيامهم عاد الامر الى الملك العضوض على ما أخبر عنه الرسول صلى الله عليه وسلم • ويثبت أصحاب الحديث خلافة أبي بكر رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم باختيار الصحابة واتفاقهم عليه وقولهم قاطبة رضيه رسول الله صلى الله عليه لديننا فرضيناه لدنيانا وقولهم قدمك رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن يؤخرك وأرادوا أنه صلى الله عليه وسلم قدمك في الصلاة بنا أيام مرضه فصلينا وراءك بأمره فمن ذا الذي يؤخرك بعد تقديمه إياك . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتكلم في شأن أبي بكر في حال حياته بما يبين للصحابة انه أحق الناس بالخلافة بعده فلذلك اتفقوا عليه واجتمعوا فانتفعوا بمكانه والله وارتفعوا به وارتقوا حتى قال ابو هريرة رضي الله عنه والله

[١] ـ الجن ٢٦

الذي لا إله الا هو لولا ان أبابكر استخلف لما عبد الله: ولما قيل له مه يا أباهريرة قام بحجة صحة قوله فصدقوه فيه وأقروا به * ثم خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه باستخلاف ابي بكر رضي الله عنه اياه واتفاق الصحابة عليه بعده وانجاز الله سبحانه بمكانه في اعلاء الاسلام واعظام شأنه وعده * ثم خلافة عثمان رضى الله عنه باجماع اهل الشورى واجماع الاصحاب كافة ورضاهم به حتى جعل الامر اليه * ثم خلافة على رضى الله عنه ببيعة الصحابة اياه عرفه ورآه كل منهم رضى الله عنه أحق الخلق وأولاهم فى ذلك الوقت بالخلافة ولم يستجيزوا عصيانه وخلافه فكان هؤلاء الاربعة الخلفاء الراشدين الذين نصر الله بهم الدين وقهر وقسر بمكانهم الملحدين وقوى بمكانهم الاسلام ورفع في أيامهم للحق الأعلام ونور بضيائهم ونورهم وبهائهم الظلام وحقق بخلافتهم وعده السابق في قوله عز وجل (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم)[1] الآية وفي قوله (أشداء على الكفار)[2] فمن أحبهم وتولاهم ودعا لهم ورعى حقهم وعرف فضلهم فاز في الفائزين ومن أبغضهم وسبهم ونسبهم الى ماتنسبهم الروافض والخوارج لعنهم الله فقد هلك في الهالكين. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاتسبوا أصحابي فمن سبهم فعليه لعنة الله » وقال « من احبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضى ابغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن سبهم فعليه لعنة الله »

ويرى أصحاب الحديث الجمعة والعيدين وغيرهما من الصلوات خلف كل امام مسلم براً كان أو فاجراً : ويرون جهاد الكفرة معهم وان كانوا جورة فجرة ويرون الدعاء لهم بالاصلاح والتوفيق والصلاح ولايرون الخروج عليهم وان رأوا منهم العدول عن العدل الى الجور والحيف . ويرون قتال الفئة الباغية حتى ترجع الى طاعة الامام العدل ويرون الكف عما شجر بين اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتطهير الالسنة عن ذكر مايتضمن عيباً لهم ونقصاً فيهم . ويرون الترحم على جميعهم والموالاة لكافتهم . وكذلك يرون تعظيم قدر

١ ـ النور ٥٥
٢ ـ الفتح ١٩

أزواجه رضى الله عنهن والدعاء لهن ومعرفة فضلهن والاقرار بأنهن أمهات المؤمنين * ويعتقدون ويشهدون ان أحداً لاتجب له الجنة وان كان عمله حسناً وطريقه مرتضى الا أن يتفضل الله عليه فيوجبها له بمنه وفضله اذ عمل الخير الذى عمله لم يتيسر له الا بتيسير الله عز اسمه فلو لم ييسره له لم يهد له أبداً قال الله عز وجل (ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكى منكم من أحد أبداً ولكن الله يزكي من يشاء)[1] في آيات سواها *

ويعتقدون ويشهدون ان الله عز وجل أجل لكل مخلوق أجلا وان نفساً لن تموت الا باذن الله كتاباً مؤجلا واذا انقضى أجل المرء فليس الا الموت وليس له عنه فوت قال الله عز وجل (ولكل أمة أجل فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون)[2] وقال (وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله كتاباً مؤجلا)[3] *

ويشهدون ان من مات أو قتل فقد انقضى أجله قال الله عز وجل (قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم)[4] * ويتيقنون ان الله سبحانه خلق الشياطين يوسوسون للآدميين ويعتقدون استزلالهم ويترصدون لهم قال الله عز وجل (وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم وان اطعتموهم انكم لمشركون)[5] . وان الله يسلطهم على من يشاء ويعصم من كيدهم ومكرهم من يشاء قال الله عز وجل (واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد وعدهم ومايعدهم الشيطان الا غروراً ان عبادى ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا)[6] وقال (انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه)[7] الآية

ويشهدون ان في الدنيا سحراً وسحرة الا انهم لايضرون أحداً الا باذن الله قال الله عز وجل (وماهم بضارين به من أحد الا باذن الله)[8] ومن سحر منهم واستعمل السحر واعتقد انه يضر او ينفع بغير اذن الله تعالى فقد كفر . واذا وصف مايكفر به استتيب فان تاب والا ضربت عنقه وان وصف ماليس بكفر

١ ـ النور ٢١
٢ ـ الأعراف ٣٤
٣ ـ آل عمران ١٤٥
٤ ـ آل عمران ١٥٤
٥ ـ الأنعام ١٢١
٦ ـ الاسراء ٦٤ ـ ٦٥
٧ ـ النحل ٩٩ـ١٠٠
٨ ـ المجادلة ١٠

او تكلم بما لايفهم نهي عنه فان عاد عزر . وان قال السحر ليس بحرام وانا اعتقد اباحته وجب قتله لانه استباح ماأجمع المسلمون على تحريمه .

ويحرم اصحاب الحديث المسكر من الاشربة المتخذة من العنب اوالزبيب او التمر او العسل أو الذرة او غيرذلك مما يسكر يحرمون قليله وكثيره ويجتنبونه ويوجبون به الحد * ويرون المسارعة الى اداء الصلوات واقامتها في اوائل الاوقات افضل من تأخيرها الى آخر الاوقات . ويوجبون قراءة فاتحةالكتاب خلف الامام ويأمرون باتمام الركوع والسجود حتما واجباً ويعدون اتمام الركوع والسجود بالطمأنينة فيهما والارتفاع من الركوع والانتصاب منه والطمأنينة فيه وكذلك الارتفاع من السجود والجلوس بين السجدتين مطمئنين فيه من اركان الصلاة التى لاتصح الا بها . ويتواصون بقيام الليل للصلاة بعد المنام وبصلة الارحام وافشاء السلام واطعام الطعام والرحمة على الفقراء والمساكين والايتام والاهتمام بأمور المسلمين والتعفف في المأكل والمشرب والملبس والمنكح والمصرف والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والبدار الى فعل الخيرات اجمع * ويتحابون فى الدين ويتباغضون فيه ويتقون الجدال في الله والخصومات فيه ويتجانبون اهل البدع والضلالات ويعادون اصحاب الاهواء والجهالات . ويقتدون بالسلف الصالحين من ائمة الدين وعلماء المسلمين ويتمسكون بما كانوا به متمسكين من الدين المتين والحق المبين . ويبغضون اهل البدع الذين احدثوا في الدين ماليس منه ولا يحبونهم ولا يصحبونهم ولا يسمعون كلامهم ولايجالسونهم ولايجادلونهم فى الدين ولايناظرونهم ويرون صون آذانهم عن سماع اباطيلهم التى اذا مرت بالآذان وقرت في القلوب ضرت وجرت اليها الوساوس والخطرات الفاسدة . وفيه انزل الله عز وجل قوله (واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره)[١] وعلامات البدع على اهلها بادية ظاهرة واظهر اياتهم وعلاماتهم شدة معاداتهم لحملة اخبار النبي صلى الله عليه وسلم واحتقارهم لهم وتسميتهم اياهم حشوية وجهلة وظاهرية ومشبهة اعتقاداً منهم

١ ـ الأنعام ٦٨

فى اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم انها بمعزل عن العلم وان العلم مايلقيه الشيطان اليهم من نتائج عقولهم الفاسدة ووساوس صدورهم المظلمة وهواجس قلوبهم الخالية من الخير وحججهم العاطلة بل شبههم الداحضة الباطلة . أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم واعمى ابصارهم . ومن يهن الله فما له من مكرم ان الله يفعل مايشاء * سمعت الحاكم اباعبد الله الحافظ يقول سمعت أباعلى الحسين ابن على الحافظ يقول سمعت جعفر بن احمد بن مناف الواسطي يقول سمعت احمد بن سنان القطاف يقول ليس في الدنيا مبتدع الا وهو يبغض اهل الحديث فاذا ابتدع الرجل نزعت حلاوة الحديث من قلبه * وسمعت الحاكم يقول سمعت ابا الحسن محمد بن احمد الحنظلى ببغداد يقول سمعت محمد بن اسماعيل الترمذي يقول كنت انا واحمد بن الحسن الترمذى عند امام الدين ابى عبدالله احمد بن حنبل فقال له احمد بن الحسن يا اباعبدالله ذكروا لابن ابى قتيلة بمكة اصحاب الحديث فقال اصحاب الحديث قوم سوء فقام احمد بن حنبل وهو ينفض ثوبه ويقول زنديق زنديق زنديق حتى دخل البيت * وسمعت الحاكم أباعبدالله يقول سمعت ابانصر احمد بن سهل الفقيه ببخارى يقول سمعت ابانصر ابن سلام الفقيه يقول ليس شيء اثقل على اهل الالحاد ولاابغض اليهم من سماع الحديث وروايته باسناده وسمعت الحاكم يقول سمعت الشيخ ابا بكر احمد بن اسحق بن ايوب الفقيه وهو يناظر رجلا فقال الشيخ ابو بكر حدثنا فلان فقال له الرجل دعنا من حدثنا الى متى حدثنا فقال الشيخ له قم يا كافر فلايحل لك ان تدخل داري بعد هذا ابداً ثم التفت الينا وقال ماقلت لاحد ماتدخل داري الا هذا * سمعت ابامنصور محمدبن عبدالله بن حماد العالم الزاهد يقول سمعت أبا القاسم جعفر بن احمد المقري الرازى يقول قرأ على عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازى وانا اسمع سمعت ابى يقول عنى به الامام في بلده اباه اباحاتم محمد بن ادريس الحنظلى الرازى يقول علامة أهل البدع الوقعة في اهل الاثر وعلامة الزنادقة تسميتهم اهل الاثر حشوية يريدون بذلك إبطال الاثر وعلامة القدرية تسميتهم اهل السنة مجبرة

وعلامة الجهمية تسميتهم اهل السنة مشبهة وعلامة الرافضة تسميتهم اهل الاثر نابتة وناصبة قلت وكل ذلك عصبية ولا يلحق اهل السنة الا اسم واحد وهو اصحاب الحديث . قلت انا رأيت اهل البدع في هذه الاسماء التى لقبوا بها اهل السنة سلكوا معهم مسلك المشركين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم اقتسموا القول فيه فسماه بعضهم ساحراً وبعضهم كاهناً وبعضهم شاعراً وبعضهم مجنوناً وبعضهم مفتوناً وبعضهم مفتريا مختلقاً كذاباً وكان النبي صلى الله عليه وسلم من تلك المعائب بعيداً بريئاً ولم يكن الا رسولا مصطفى نبياً قال الله عز وجل (انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا)[١] كذلك المبتدعة خذلهم الله اقتسموا القول في حملة اخباره ونقلة آثاره ورواة أحاديثه المقتدين به المهتدين بسنته فسماهم بعضهم حشوية وبعضهم مشبهة وبعضهم نابتة وبعضهم ناصبة وبعضهم جبرية وأصحاب الحديث عصامة من هذه المعايب بريئة زكية نقية وليسوا الا اهل السنة المضية والسيرة المرضية والسبل السوية والحجج البالغة القوية قد وفقهم الله جل جلاله لاتباع كتابه ووحيه وخطابه والاقتداء برسوله صلى الله عليه وسلم في أخباره التى أمر فيها أمته بالمعروف من القول والعمل وزجرهم فيها عن المنكر منهما وأعانهم على التمسك بسيرته والاهتداء بملازمة سنته وشرح صدورهم لمحبته ومحبة أئمة شريعته وعلماء امته ومن احب قوماً فهو معهم يوم القيامة بحكم رسول الله صلي الله عليه وسلم « المرء مع من احب » واحدى علامات اهل السنة حبهم لائمة السنة وعلمائها وانصارها واوليائها وبغضهم لائمة البدع الذين يدعون الى النار ويدلون اصحابهم على دار البوار وقد زين الله سبحانه قلوب اهل السنة ونورها بحب علماء السنة فضلا منه جل جلاله * أخبرنا الحاكم ابو عبدالله الحافظ اسكنه الله وايانا الجنة حدثنا محمد بن ابراهيم بن الفضل المزكي حدثنا احمد بن سلمة قرأ علينا أبو رجاء قتيبة بن سعد كتاب الايمان له فكان في آخره فاذا رأيت الرجل يحب سفيان الثوري ومالك بن أنس والاوزاعي وشعبة وابن المبارك وأبا الاحوص وشريكا ووكيعاً ويحيى بن سعيد وعبدالرحمن بن مهدى

[١] الاسراء ٤٨

فاعلم انه صاحب سنة قال احمد بن سلمة رحمه الله فألحقت بخطي تحته ويحيى واحمد بن حنبل واسحق بن راهويه فلما انتهينا الى هذا الموضع نظر الينا اهل نيسابور وقال هؤلاء القوم يبغضون يحيى بن يحيى فقلنا له يا أبارجاء مايحيى بن يحيى قال رجل صالح امام المسلمين واسحق بن ابراهيم امام واحمد بن حنبل اكبر من سميتهم كلهم وانا ألحقت بهؤلاء الذين ذكر قتيبة رحمه الله ان من أحبهم فهو صاحب سنة من أئمة اهل الحديث الذين بهم يقتدون وبهديهم يهتدون ومن جملتهم وشيعتهم أنفسهم يعدون وفي اتباعهم آثارهم يجدون جماعة آخرين منهم محمد بن ادريس الشافعي وسعيد بن جبير والزهري والشعبي والتيمي ومن بعدهم كالليث بن سعد والاوزاعي والثوري وسفيان بن عيينة الهلالي وحماد بن سلمة وحماد بن زيد ويونس بن عبيد وأيوب وابن عوف ونظرائهم : ومن بعدهم مثل يزيد بن هرون وعبد الرازق وجرير بن عبد الحميد ومن بعدهم محمد بن يحيى الذهلي ومحمد بن اسماعيل البخاري ومسلم بن الحجاج القشيري وأبي داود السجستاني وابي زرعة الرازي وابي حاتم وابنه ومحمد بن مسلم ابن واره ومحمد بن أسلم الطوسي وعثمان بن سعيد الدارمي ومحمد بن اسحق بن خزيمة الذي كان يدعى إمام الائمة والمقرى كان امام الائمة في عصره ووقته وأبي يعقوب اسحق بن اسماعيل البستي وجدي من قبل أبي أبوسعيد يحيى بن منصور الزاهد الهروي وعدي بن حمدويه الصابوني وولديه سيفي السنة أبي عبدالله الصابوني وأبي عبدالرحمن الصابوني وغيرهم من أئمة السنة المتمسكين بها ناصرين لها داعين اليها والين عليها وهذه الجمل الذي أثبتها في هذا الجزء كانت معتقد جميعهم لم يخالف فيها بعضهم بعضاً بل أجمعوا عليها كلها واتفقوا مع ذلك على القول بقهر أهل البدع واذلالهم واخزائهم وابعادهم واقصائهم والتباعد منهم ومن مصاحبتهم ومعاشرتهم والتقرب الى الله عز وجل بمجانبتهم ومهاجرتهم قال الاستاذ الامام رحمه الله وأنا بفضل الله عزوجل متبع لآثارهم مستضيء بأنوارهم ناصح لاخواني وأصحابي أن لايزلقوا عن منارهم ولايتبعوا غير أقوالهم ولايشتغلوا بهذه المحدثات من البدع التي اشتهرت فيما بين المسلمين

وظهرت وانتشرت ولو جرت واحدة منها على لسان واحد في عصر أولئك الائمة لهجروه وبدعوه ولكذبوه وأصابوه بكل سوء ومكروه ولا يغرن اخوانى حفظهم الله كثرة أهل البدع ووفور عددهم فان ذلك من أمارات اقتراب الساعة اذ الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم قال « ان من علامات الساعة واقترابها أن يقل العلم ويكثر الجهل » والعلم هو السنّة والجهل هو البدعة ومن تمسك بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمل بها واستقام عليها ودعا اليها كان أجره أوفر وأكثر من أجر من جرى على هذه الجملة في أوائل الاسلام والملة اذ الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم قال له «أجر خمسين فقيل خمسين منهم قال بل منكم» انما قال صلى الله عليه وسلم ذلك لمن يعمل بسنته عند فساد أمته. وحدث في كتاب الشيخ الامام جدي أبي عبد الله محمد بن عدى بن حمدويه الصابونى رحمه الله أخبرنا ابو العباس الحسن بن سفيان الثورى ان العباس بن صبيح حدثهم حدثنا عبد الجبار بن طاهر حدثني معمر بن راشد سمعت ابن شهاب الزهرى يقول تعليم سنة أفضل من عبادة مائتى سنة. أخبرنا ابو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن زكريا الشيبانى أخبرنا ابو العباس محمد بن عبد الرحمن الدغولى سمعت محمد بن حاتم المظفرى يقول كان أبو معاوية الطرير يحدث هرون الرشيد فحدثه بحديث أبي هريرة «احتج آدم وموسى» فقال عيسى بن جعفر كيف هذا وبين آدم وموسى ما بينهما قال فوثب به هرون وقال يحدثك عن الرسول صلى الله عليه وسلم وتعارضه بكيف قال فما زال يقول حتى سكت عنه هكذا ينبغي للمرء ان يعظم أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقابلها بالقبول والتسليم والتصديق وينكر أشد الانكار على من يسلك فيها غير هذا الطريق الذى سلكه هرون الرشيد رحمه الله مع من اعترض على الخبر الصحيح الذى سمعه بكيف على طريق الانكار له والابتعاد عنه ولم يتلقه بالقبول كما يجب أن يتلقى جميع ما يرد من الرسول صلى الله عليه وسلم. جعلنا الله سبحانه من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ويتمسكون في دنياهم مدة حياتهم بالكتاب والسنة وجنبنا الاهواء المضلة والآراء المضمحلة والاسواء المذلة فضلا منه ومنة. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. (تمت الرسالة)

تحذير اهل الايمان
عن الحكم بغير ما انزل الرحمن

تأليف

الشيخ أبي هبة الله اسماعيل بن ابراهيم الخطيب الحسني
الاسعردي الأزهري السلفي



(وبه أستعين)

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق المبين * والحبل المديد المتين * الذى من اعتصم به فقد تمسك بالعروة الوثقى. وكان من الناجين * ومن أعرض عنه ولم يرفع له رأساً فقد خاب وخسر ذلك الأبعد الاشقى. وكان من النادمين الندامة الكبرى . الداعين على أنفسهم بالويل والثبور حيث لا ينفع ندم ولا أنين * والصلاة والسلام علي سيدنا محمد الذى جاءنا من ربه بتلك الشريعة الوافية . الكافية الشافية . الناجعة النافعة . الجامعة المانعة . المغنية الغنى التام عن جميع الشرائع والقوانين * وعلى آله وأصحابه. وأحبابه وأحزابه . الذين جاهدوا والذين يجاهدون في نصر دين الله. وإعلاء كلمة الله . جميع المعارضين والمضادين * من المشركين والمارقين المنافقين المعاندين المعادين * المحادين المشاقين * لله ولرسوله الصادق المصدوق الامين *

بيان أعظم أسباب التأخر والتقهقر

﴿ أما بعد ﴾ فانى ارى ان الجهل قد عم الحاضر والبادى . وخيم بأطنابه على القاصى والدانى . وعلم الكتاب والسنة . الذى هو من كل شر جنة . مع أنه المنار الذى يهتدى به المجدون ويسترشد به المسترشدون. ومن لا نصيب له وافر منه فهو راكب متن عمياء . وخابط خبط عشواء . وهو الى الضلال أقرب منه الى الهدى . والى الردى أدنى منه الى السلامة والنجا .قد خبت ناره . وولت الادبار أنصاره . ورأوا شيئاً هيناً أو فريا . واتخذوه وراءهم ظهريا . قد أهملوه وضيعوه وهجروه هجر القلى وقطعوه . وأولعوا بعلوم لا تسمن ولا تغنى من جوع ولا تنقع للظمآن لهاه . وأكبوا عليها إكباب المقامر على ملهاه . ووقفوا أعمارهم العزيزة على نحو كتب الفلاسفة وكتب القيل والقال . وفضول العلوم التى لا تأتى بطائل ونوال . لا في دين ولا في دنيا أصلا وقطعاً . وهم مع هذا يحسبون أنهم يحسنون صنعا . فهم ولاشك من الاخسرين أعمالا. الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا فلذلك أظلمت منهم القلوب والبصائر . وعميت منهم السرائر . فلا يتنبهون للخطوب التى تحل بهم . وإن تنبهوا فقلما تجد فيهم من يفدى نفسه في سبيل دفع ذلك الملم المدلهم . فكل يقول أنا مالي . حسبي مراقبة حالي . والدين له رب يحميه . يحوطه ويعليه . وهذه كلمة حق أريد بها باطل أفما قرأ عمره القرآن هذا القائل . فيرى أمر ربه بالدفاع عن دينه وشرعته . وبذل الجهد المستطاع في إعلاء كلمته . نعم قال عبد المطلب البيت له رب يحميه . لما لم يجد عنده من الاسباب الظاهرية ما يقاوم به أبرهة الفيل ويكفيه . فالتجأ في المعنى الى ربه . وأظهر له عجزه عن ذبه . حتى كان ما كان . أما والانسان يتمكن من نصر الحق أدنى تمكن ولو بالبيان . بالقلم او اللسان . فلا يسوغ له التأخر عن ذلك كيف ما كان * لماذا اذا اهتضم في شيء من حقوقه يسعى

أقصى جهده ويبذل غاية وسعه في الحصول على مطلوبه . ويدأب الليل والنهار ويتوسل بكل الوسائل حتى البعيدة المتوهمة للوصول الى مرغوبه . ماذاك الا لنقص وضعف في الايمان . وانحطاط فى الهداية والعرفان . فلا يتألم أدنى تألم إذا أصيب بأكبر شيء فى دين الله . ويتألم أشد التألم إذا اصيب بأحقر شيء في دنياه . فهؤلاء هم كما قال القائل لابنه كما انشده في المدخل *

أبنيَّ إن من الرجال بهيمةً * فى صورة الرجل السميع المبصر
فَطِنٌ بكل مصيبةٍ في ماله * فاذا أصيبَ بدينهِ لم يشعرِ

هذا حال أغلب خواصنا الا القليل الذي وفقه الله وقليل ماهم. فما بالك بعوامنا فهم كما قال القائل*

لم يبق من جل هذا الناس باقية * ينالها الوهم إلا هذه الصور

وكما قال الثانى *

واعلم بأن عصبة الجهال * بهائم في صور الرجال

وكما قال الثالث

لا تخدعنك اللحى ولا الصور * تسعة أعشار من ترى بقر
تراهم كالسحاب منتشراً * وليس فيه لطالب مطر
في شجر السرو منهم شبه * له رواء وما له ثمر

وكما قال الرابع :

لابأس بالقوم من طول ومن غلظ * جسم البغال وأحلام العصافير

وأحسن من هذا كله قوله تعالى (وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم) فلذلك ترى غالب الناس اليوم الى اوضاع القوانين البشرية الشيطانية أميل وأطوع منهم إلى اوضاع القانون الالهى . والوحى السماوى . وترى للتشدقين المتحذلقين الذين يزعمون أنهم يريدون ترقية الامة ولم شعثها . وضم شملها . بأفكارهم الفاسدة . وآرائهم الكاسدة . وسياساتهم المخالفة المنابذة

لسياسات الشريعة الحقة الصادقة . لا يقومون مقاما ولا يجلسون مجلسا الاحثوا فيه الناس اتباع كل صادق و ناعق الذين يميلون مع كل ريح ولم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا إلى ركن وثيق على ما يتمكنون به من مقتضيات أهوائهم النفسانية . ومشتهيات أطباعهم البهيمية الشيطانية . من قوانين أهل الكفر والصليب والتشبه بهم في الافعال والاقوال . فترى لذلك قلوب الناس من قريب و بعيد و حاضر و باد إلا من عصمه الله من الافراد متمائلة على قبولها غير مكترثين بالقانون الذى نزل من عند الله . و بينه لنا رسول الله المعصوم الصادق المصدوق الذى ما ينطق عن هوى . ان هو إلا وحي يوحى صلى الله عليه وآله وسلم حتى جعلوا التحاكم اليها . والتعويل فى الاحكام عليها . وجعلوا لهم محاكم سموها بأسماء ليست من حقيقتها فى شيء بل هي معها على طرفي نقيض . فسموا شرعية وعدلية وحقوقية وغير ذلك من الاسماء . التى لا حقيقة لها بل هي الغول أو العنقاء . فالشرعية فى الحقيقة هي الخدعية . والعدلية هي العدلية لكن عن نهج الشريعة المحمدية . والحقوقية هى الحقوقية لكن بمعنى كونها محل ضياع الحقوق الخالقية والمخلوقية . قد نسوا القرآن واطرحوه خلف ظهورهم بالكلية . واعتاضوا عنه بقوانين الكفار وآراء ابتدعوها تقولا على الشريعة الغراء الاحمدية . ولم يرضوا بحكم الله ورسوله فيهم ورضوا باحكام الكفار وآرائهم . فتعسا لها من عقول . لا تشترى ولا بالبقول . وهم مع هذا يزعمون أنهم من العقل على جانب عظيم . لا يلحقهم فيه الحديث ولا القديم . وليت شعرى أى عقل يكون لمن لا يرضى بحكم أحكم الحاكمين . واعلم العالمين . وأعدل العادلين . ويرضى بحكم أجهل الجاهلين وأظلم الظالمين *

وما أرى مثل هؤلاء القوم من ذوى الابصار المطموسة . والبصائر المنكوسة . الا مثل الجعل يتأذى من رائحة المسك والورد الفواح . ويحيا بالعذرة والغائط في المستراح . فسحقا لامثال هذه العقول سحقا . ومحقا لمن الهم محقا . فلما تمادى بنا ذلك الحال . ومرت به علينا سنون وأحوال . حتى فتح الله تعالى لعباده

باب حرية المقال . بعد ما قد كانوا ألجمهم الاستبداد المفرط بلجوم السكوت على مر الاحوال . والقمهم حجر الصمت على ماهو أعيا من الداء العضال . غير أنه وقع الناس في اضطراب وارتباك وجدال . وتفرق الناس فرقا مختلفة المسالك والمذاهب . وتحزبوا أحزابا غير مؤتلفة المشارب . وكان من تلك الفرق جمعية الاتحاد المحمدي . المتجمعة لطلب العمل بالشرع الاحمدي . قوى الله عضدها . وأيد ساعدها . وأخذ بأياديها . وبدد شمل أعاديها . ألهمني الله تعالى ان اكتب نبذة شافية صدور الذين اوتوا العلم والذين يريدون أنهم بهدى ربهم يهتدون على شريطة الاختصار في المقال حذرا من السآمة والملال . وأبين اضطرار الناس الى الشريعة جداً وأجمع بعض الآيات الدالة على اغناء القرآن بالسنة النبوية المبينة له عن جميع الشرائع السابقة . والقوانين البشرية الشيطانية اللاحقة . ليكونوا على بصيرة من أمرهم . ويحذروا من كيد عدوهم ومكرهم

﴿ فأقول ﴾ وانا ابرأ الى الله من القوة والحول وأستغفره من زلل العقل والقول . معلوم لكل من عنده أدنى مسكة من عقل ان الله سبحانه وتعالى لم يخلق هذا الخلق عبثا كما قال تعالى (أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لاترجعون)[١] وكما قال (أيحسب الانسان أن يترك سدى)[٢] أي مهملا هملا لا يؤمر ولا ينهى كما قال الشافعي — أو لا يثاب ولا يعاقب كما قال غيره والقولان واحد لان الثواب والعقاب غاية الامر والنهي فهو سبحانه خلقهم للامر والنهي في الدنيا والثواب والعقاب في الآخرة — وكما قال تعالى (وما خلقت الانس والجن إلا ليعبدون)[٣] ولا فرق بين إبقاء العبادة على ظاهر معناها أو تفسيرها بالمعرفة كما يروى عن ابن عباس رضى الله عنهما فانهما متلازمان فالمعرفة لا تكون بدون عبادة والعبادة لاتكون بدون معرفة * وأما مايستدل به بعض من لا إلمام له بعلم الحديث مما يروى عن الله تبارك وتعالى أنه قال « كنت كنزاً لا أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت خلقاً فعرّفتهم بي فعرفوني » فقد قال حفاظ الحديث ونقاده إنه لا يعرف له سند صحيح ولا ضعيف * إذا تمهد هذا فنقول ليعلم أن حاجة الناس

١ - المؤمنون ١١٥
٢ - القيامة ٣٦
١ - الذاريات ٥٦

إلى الشريعة ضرورية جداً فوق حاجتهم إلى كل شيء ولا نسبة لحاجتهم إلى علم الطب اليها . — ألا ترى أن أكثر العالم يعيشون بغير طبيب ولا يكون الطبيب في بعض المدن الجامعة وأما أهل البدو كلهم وأهل الكفور كلهم وعامة بنى آدم فلا يحتاجون الى طبيب وهم أصح أبداناً وأقوى طبيعة ممن هو متقيد بالطبيب ولعل أعمارهم متقاربة وقد فطر الله بنى آدم على تناول ما ينفعهم واجتناب ما يضرهم وجعل لكل قوم عادة وعرفا في استخراج ما يهجم عليهم من الادواء حتى ان كثيراً من أصول الطب انما أخذت من عوائد الناس وعرفهم وتجاربهم *

وأما الشريعة فمبناها على تعريف مواقع رضى الله وسخطه في حركات العباد الاختيارية . فمبناها على الوحي المحض . بخلاف الطب فمبناه على تعريف المنافع والمضار التى للبدن وعليه . مما قد لا تمس الحاجة اليه . وغاية ما يقدر فى عدمه موت البدن وتعطل الروح عنه ـ وأما ما يقدر عند عدم الشريعة ففساد الروح والقلب جملة وهلاك الابد * وشتان بين هذا وهلاك البدن بالموت فليس الناس قط الى شيء أحوج منهم الى معرفة ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم والقيام به والدعوة اليه والصبر عليه وجهاد من خرج عنه حتى يرجع اليه وليس للعالم صلاح بدون ذلك البتة ولا سبيل إلى الوصول إلى السعادة والفوز الأكبر إلا بالعبور إلى هذا الجسر * ثم لفظ الشريعة يتكلم به كثير من الناس ولا يفرق بين الشرع المنزل من عند الله تعالى وهو الكتاب والسنة الذي بعث الله به رسوله فان هذا الشرع ليس لاحد من الخلق كائناً من كان الخروج عنه ولا يخرج عنه إلا كافر وبين الشرع الذى هو اقوال أئمة الفقه وآراؤهم التى أدى اليها اجتهادهم ووصلت اليها أفهامهم كأبى حنيفة ومالك بن أنس والشافعي واحمد بن حنبل وغيرهم من الائمة المجتهدين رضى الله عنهم أجمعين فهؤلاء أقوالهم تعرض على الكتاب والسنة ويحتج لها بهما لما هو معلوم من حديث الحاكم والثابت من طرق في الصحيح أن المجتهد يصيب ويخطىء فان أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر على اجتهاده

والله يغفر له خطأه لكنه لايتابع عليه . فما وافقهما أو كان أشبه بهما فهو الصواب وما خالفهما فهو خطأ لا يجوز لمن تبينه واطلع عليه متابعة من ذهب اليه . وإذا قلد المقلد أحدهم حيث يجوز له التقليد كان جائزاً وليس اتباع أحدهم بعينه واجبا على جميع الامة كاتباع الرسول صلي الله عليه وسلم . ولايحرم تقليدأحدهم كما يحرم اتباع من يتكلم بغير علم * وأما ان اضاف أحد الى الشريعة ماليس منها من أحاديث مفتراة أو تأويل النصوص بخلاف مراد الله ونحو ذلك فهذا من نوع التبديل فيجب الفرق بين الشرع المنزل والشرع المؤول والشرع المبدل *

ولانحفك هنا بقاعدة عظيمة . وفائدة جسيمة . تتعرف فيها حال كل قول يرد عليك ينسب الى الشرع وهى انه اما ان يكون هذا القول موافقا لقول الرسول أولا يكون ـــ والثاني إما أن يكون موافقا لشرع من قبله وإما ان لا يكون . وهذا الثالث إن كان لا عن شبهة دليل بل عن محض اتباع الهوى فهو المبدل كالاديان التى شرعها الشياطين على ألسنة أوليائهم قال تعالى (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله)[١] وقال تعالى (وان الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وان أطعتموهم انكم لمشركون)[٢] وقال تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون)[٣] ـ وإن كان عن شبهة دليل فهو المؤول وفى هذا كان الصحابة رضى الله اذا قال أحدهم برأيه شيئا مما لم يجد فيه نص كتاب أو سنة عن النبي واضطر لمعرفة الحكم الذى يرضاه الله ورسوله يقول ان كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمنى ومن الشيطان والله ورسوله برىء منه كما قال ذلك ابن مسعود وروى عن أبى بكر وعمر * وما كان شرعا لغيره وهو لا يوافق شرعه فقد نسخ كالسبت وتحريم كل ذى ظفر وشحم الثرب (١) والكليتين فان اتخاذ السبت عيداً وتحريم هذه الطيبات

١ ـ الشورى ٢١
٢ ـ الأنعام ١٢١
٣ ـ الأنعام ١١٢

(١) الثرب وزان فلس شحم رقيق على الكرش والامعاء اه مصباح

قد كان شرعا ثم نسخ . فالاقسام ثلاثة اجمالا وأربعة تفصيلا فاحتفظ كل الاحتفاظ على هذه القاعدة تنفعك *

ثم دين الانبياء كلهم الاسلام كما قدأخبر الله بذلك عنهم فى غير موضع من القرآن ـ وكما فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال «انا معشر الانبياء ديننا واحد» . وهو الاستسلام لله وحده وذلك انما يكون بطاعته فيما أمر به في ذلك الوقت فطاعة كل نبي هى من دين الاسلام اذ ذاك فاستقبال صخرة بيت المقدس مثلا كان من دين الاسلام قبل النسخ ثم لما أمر باستقبال الكعبة صار استقبالها من دين الاسلام ولم يبق استقبال الصخرة من دين الاسلام ولهذا خرج اليهود والنصارى عن دين الاسلام فانهم تركوا طاعة الله وتصديق رسوله واعتاضوا عن ذلك بمبدل أو منسوخ *

وبالجملة فدين الاسلام هو دين الاولين والآخرين من النبيين والمرسلين . وقوله تعالى (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين)[1] عام في كل زمان ومكان *فنوح وابراهيم ويعقوب والاسباط وموسى وعيسى والحواريون كلهم دينهم الاسلام وهو عبادة الله وحده لا شريك له والاستسلام له ظاهراً وباطنا وعدم الاستسلام لغيره كما قد بين ذلك عنهم القرآن فدينهم كلهم واحد وان تنوعت شرائعهم كما قال الله تعالى (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا)[2] وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم (ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وان الظالمين بعضهم اولياء بعض والله ولي المتقين)[3]

والله تبارك وتعالى قد بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بشرائع الاسلام الظاهرة وحقائق الايمان الباطنة * ففي مسند احمد عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «الاسلام علانية والايمان في القلب » وفي البخاري ان جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن الايمان والاسلام والاحسان فمن لم يقم بشرائع الاسلام الظاهرة امتنع ان يحصل له حقائق الايمان الباطنة ـ ومن حصلت

١ ـ آل عمران ٨٥
٢ ـ المائدة ٤٨
٣ ـ الجاثية ١٨-١٩

له حقائق الايمان الباطنة فلابد ان يحصل له حقائق شرائع الاسلام الظاهرة فان القلب ملك والاعضاء جنوده فمتى استقام الملك وصلح استقامت جنوده وصلحت .كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « ألا ان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح لها سائر الجسد واذا فسدت فسد لها سائر الجسد الا وهى القلب » فاذا كان في القلب حقائق الايمان الباطنة فقد صلح فلا بد أن يكون سائر جسده صالحاً فان لم يكن جسده صالحا امتنع ان يكون فى باطنه حقائق الايمان كاخلاص الدين لله وحبه وخشيته والتوكل عليه والانابة اليه *

وأصل الايمان والتقوى الايمان برسل الله .وجماع ذلك الايمان بخاتم الرسل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فالايمان به يتضمن الايمان بجميع كتب الله ورسله *

وأصل الكفر والنفاق هو الكفر بالرسل وبما جاءوا به فان هذا هو الكفر الذي يستحق صاحبه العذاب الاكبر في الآخرة فان الله تعالى أخبر فى كتابه انه لا يعذب أحدا الا بعد بلوغ الرسالة قال الله تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا)[1] وقال تعالى (وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا)[2] وقال تعالى (انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا داود زبورا ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل)[3] وقال تعالى (وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون أن تقول نفس ياحسرتا على ما فرطت في جنب الله وان كنت لمن الساخرين أو تقول لو أن الله هدانى لكنت من المتقين أو تقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة فأكون من المحسنين بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين)[4]

١ ـ الاسراء ١ٵ
٢ ـ القصص ٥٩
٣ ـ النساء ١٦٣ـ١٦٥
٤ ـ الزمر ٥٤ـ٥٩

وقال تعالى في أهل النار (وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين)[١] وقال تعالى فيهم (كلما القى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قدجاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا في ضلال كبير)[٢] فاخبر انه كلما القى في النار فوج وسئلوا عن النذير اقروا بأنه جاءهم فكذبوه فدل ذلك على انه لا يلقى فيها الا من كذب النذير وقال تعالى في خطابه لابليس (لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين)[٣] فاخبر انه يملؤها بابليس ومن تبعه فاذا ملئت بهم لم يدخلها غيرهم فعلم انه لايدخل النار الا من تبع الشيطان وهذا يدل على انه لايدخلها من لاذنب له فان من لايتبع الشيطان لايكون مذنباً وماتقدم يدل على انه لايدخلهإلا من قامت عليه الحجة بالرسل * وهذا المعنى في القرآن كثير *

واذا أحطت علماً بهذه المقدمات التى مهدناها لك علمت علم اليقين أن الاعتياض عن القانون السماوي الذى جاء به الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه وآله بالقانون الارضى الانسانى الشيطانى الذى لايخلو مهما توافقت عليه الآراء . وتطابقت عليه الأملاء . من غلط وخطاء . لاسيما اذا كان ممن لاعلم عندهم بمعانى كتاب الله . وسنة نبيه الداعي على بصيرة الى الله . بل غاية احدهم أن يكون قد تعلم بعض العلوم الآلية . وفضول العلوم التى قد لايحتاج اليها في الدين بالكلية . هو من أعظم أسباب المقت والحرمان . واكبر موجبات العقوبة والخذلان . كيف لا وهو اتخاذ لدين الله هزواً ولهواً ولعباً وتبديل لنعمة الله بالنقمة والشكران بالكفران وشرع دين لم يأذن به الله واتباع لغير سبيل المؤمنين ومشاقة ومحادة ومحاربة وخيانة لله ولرسوله . وعشو عن ذكر الرحمن وإعراض عنه — الى غير ذلك من المفاسد والمحاذير التى لاتدخل تحت الحساب . ولاتضبطها أقلام الكتاب * قال الله تعالى (وذر الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً وغرتهم الحياة الدنيا)[٤] وقال تعالى (ألم تر الى الذين بدلوا نعمةالله كفراً وأحلوا قومهم دارالبوار . جهنم يصلونها وبئس القرار)[٥]

١ - الزخرف ٧٦
٢ - الملك ٨-٩
٣ - ص ٨٥
٤ - الأنعام ٧٠
٥ - ابراهيم ٢٨-٢٩

وقال تعالى (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله)[١] وقال تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا)[٢] وقال تعالى (ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب)[٣] وقال تعالى (ان الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الاذلين)[٤] وقال تعالى (ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فان له نار جهنم خالداً فيها ذلك الخزي العظيم)[٥] وقال تعالى (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم)[٦] فاذا كان هذا حكم الباغين المحاربين الخارجين عن طاعة الامام الذين شقوا عصا الجماعة فما بالك بمن دعا الناس كافة عرباً وعجماً مؤمنهم وكافرهم الى قانون اخترعه هو أوغيره من جنس الخيالات الباطلة فخرج هو وأخرج به عن طاعة الله وطاعة رسوله وحاربهما وحادهما وشاقهما بمخالفة أمرهما أليس هو أولى بذلك . بلى وربك فانه رأس الفساد وأم الشرور والخبائث وما يعقله الا العالمون . وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون)[٧] وقال تعالى (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون)[٨] فأخبر سبحانه أن من ابتلاه بقرينه من الشياطين وأضله به انما كان بسبب اعراضه وعشوه عن ذلك الذي أنزله على رسوله فكان عقوبة هذا الاعراض أن قيض له شيطانا يقارنه فيصده عن سبيل ربه وطريق فلاحه وهو يحسب أنه مهتد حتى اذا وافى ربه يوم القيامة مع قرينه وعاين هلاكه وافلاسه قال (ياليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين)[٩] وكل من أعرض عن الاهتداء بالوحي الذي هو ذكر الله فلابد أن يقول هذا يوم القيامة *

(فان قيل) فهل لهذا عذر في ضلاله اذا كان يحسب أنه على هدى كما قال تعالى (ويحسبون أنهم مهتدون)[١٠] - (قيل) لاعذر لهذا وأمثاله من الضلال الذين منشأ ضلالهم الاعراض عن الوحي الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ولو ظن

١ - الشورى ٢١
٢ - النساء ١١٥
٣ - الأنفال ١٣
٤ - المجادلة ٢٠
٥ - التوبة ٦٣
٦ - المائدة ٣٣
٧ - الأنفال ٢٧
٨ - الزخرف ٣٦-٣٧
٩ - الزخرف ٣٨
١٠ - الأعراف ٣٠

انه مهتدفانه مفرط باعراضه عن اتباع داعي الهدى فاذا ضل أتي من تفريطه واعراضه وهذا بخلاف من كان ضلاله لعدم بلوغ الرسالة وعجزه عن الوصول اليها فذاك له حكم آخر والوعيد في القرآن انما يتناول الاول المعرض. وأما الثاني فان الله لا يعذب أحداً الا بعد قيام الحجة عليه كما قدمنا *

وقال تعالى (وقد آتيناك من لدنا ذكرا من أعرض عنه فانه يحمل يوم القيامة وزراً خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملا)[1] وقال تعالى (وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا)[2] وقال تعالى (ومن أعرض عن ذكري) أي لم يتبع الذكر الذي أنزلته وهو القرآن وليس المعنى ومن أعرض عن أن يذكرني بل هذا لازم المعنى فالذكر هنا مضاف اضافة الاسماء لا اضافة المصادر الى معمولاتها (فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامه أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى)[3] فأخبر سبحانه أن من أعرض عن ذكره وهو الهدى الذي من اتبعه لا يضل ولا يشقى فان له معيشة ضنكا عكس من حفظ عهده فانه قد تكفل له أن يحييه حياة طيبة ويجزيه أجره في الآخرة بقوله تعالى (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون)[4] *

وقال تعالى (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه)[5] وقال تعالى (ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون)[6] وقال تعالى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)[7] وقال تعالى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون)[8] وقال تعالى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون)[9] وقال تعالى (ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيداً واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا)[10]

١ ـ طه ٩٩ـ١٠١
٢ ـ الجن ١٦ـ١٧
٣ ـ طه ١٢٤ـ١٢٦
٤ ـ النحل ٩٧
٥ ـ الطلاق ١
٦ ـ البقرة ٢٢٩
٧ ـ المائدة ٤٤
٨ ـ المائدة ٤٥
٩ ـ المائدة ٤٧
١٠ ـ النساء ٦٠ـ٦١

قال أهل التحقيق من أهل التفسير الطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أومتبوع أو مطاع . فطاغوت كل قوم من يتحاكمون اليه غير الله ورسوله أو يعبدونه من دون الله أو يتبعونه على غير بصيرة من الله أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله *

قال المحقق ابن القيم في كتابه اعلام الموقعين عن رب العالمين بعد هذه العبارة فهذه طواغيت العالم اذا تأملتها وتأملت أحوال الناس معها رأيت أكثرهم من عبادة الله الى عبادة الطاغوت وعن طاعته ومتابعة رسوله الى طاعة الطاغوت ومتابعته وهؤلاء لم يسلكوا طريق الناجين الفائزين من هذه الامة وهم الصحابة ومن تبعهم ولاقصدوا قصدهم بل خالفوهم في الطريق والقصد معاً اه ولقد صدق والله فيما نطق هذا حال جلنا ان لم يكن كلنا فلاحول ولا قوة الا بالله والى الله المشتكى من فساد قلوبنا ونياتنا وأحوالنا وأخلاقنا فقد بلغ الفساد بنا مبلغا لا يمكن ان ينهض بنا ناهض لشيء من معالي الامور الا من ساعدته يد التوفيق وما أقلهم بل ما أعزهم من الكبريت الاحمر *

ثم لو لم يكن في القرآن المجيد في الزجر عن اتباع القوانين البشرية غير هذه الآية الكريمة لكفت العاقل اللبيب الذي أوتي رشده واهمه صلاح قلبه عن تطلب غيرها فكيف والقرآن كله يدعو الى تحكيم ما أنزل الله . وعدم تحكيم ما عداه . اما تصريحا وأما تلويحا وله جاهد من جاهد ويجاهد من يجاهد من عباد الله المتقين من لدن بعث سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم الى يوم تقوم الساعة . وقد صح عنه صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا خلاف من خالفهم حتى يأتي أمر الله » ـــ وانه قال : « لا تجتمع أمتي على ضلالة » . فعلمنا بذلك ان من الممتنع بالسمع ان يتمالأ العالم كلهم شرقا وغربا من أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم على اتباع القوانين البشرية وعدم المبالاة بالقانون الالهي بل لا بد ان يكون فيهم ولو واحد ينكر على هؤلاء الكل إما بلسانه ان أمكنه ذلك ولم يفتكوا

به وإما بقلبه ان لم يمكنه وظن الفتك به كما قد كان أيام الاستبداد *

والغرض بيان أن طائفة الحق لا تزال تقاتل وتجاهد على تحكيم ما أنزل الله باللسان والبيان . والبدن والسنان . والمال وكل ممكن لنوع الانسان وان به يتم نظام العدل والملك والدين والدنيا وبه يستقيم أمر المعاش والمعاد وتكمل لهم الراحة والأمن والحرية التامة . والسياسة العامة لجميع الملل والرعايا المختلفة الاصناف والالسنة والامزجة . ومن شك في هذا فلينظر الفرق بين حال الاسلام في هذه القرون المتأخرة التي عطلت فيها حدود الشريعة وأحكامها وحاله في القرون المتقدمة التي ما كانت على شيء أحفظ منها على أحكام الشريعة وارعى لها يجد الفرق كما بين الثرى والثريا وكما بين الارض والسماء وكما قال الشاعر :

نزلوا بمكة في قبائل هاشم * ونزلت بالبيداء أبعد منزل

ألا ترى ان الصحابة رضي الله عنهم بعد وفاة نبيهم صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فتحوا ما فتحوا من الاقاليم والبلدان . ونشروا الاسلام والايمان والقرآن . في مدة نحو مائة سنة مع قلة عدد المسلمين وعددهم . وضيق ذات يدهم . ونحن مع كثرة عددنا . ووفرة عددنا . وهائل ثروتنا . وطائل قوتنا . لا نزداد الا ضعفاً وتقهقراً الى وراء . وذلا وحقارة في عيون الاعداء . وذلك لان من لا ينصر دين الله لا ينصره قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم)[1] فرتب نصره على نصره باقامة طاعته وطاعة رسوله فأفهم أنه لا ينصر من لا ينصره وهو كذلك كما جرت به عادته وسنته في عباده. والمفهوم المخالف وان كان في حجيته خلاف مبين في أصول الفقه ليس هذا موضع بسطه فهذا المفهوم لا خلاف في صحته واعتماده لاعتضاده بدلائل أخرى وشهادة الواقع له * وهذا كما قال تعالى (ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز)[2] فاخبر تعالى بانه ينصر من ينصر دينه ـ ثم بين تعالى الذين ينصرون دينه بقوله (الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر)[3] فمن لم يكن موصوفا بهذه الصفات الأربع ممن مكنه الله تعالى

١ ـ محمد ٧
٢ ـ الحج ٤٠
٣ ـ الحج ٤١

في الارض فلا حظ له فى نصرة الله تعالى — وقال تعالى لأهل بدر (بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين)[١] فعلق امداده لهم على شيئين هما عمادا النصر . الصبر وتقوى الله عزوجل ـ وقال تعالى (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد)[٢] فوعد ووعده حق بنصره الرسل والمؤمنين في الدنيا والآخرة بالحجة والظفر والغلبة على مخالفيهم وأعاديهم.ـ وهذا كقوله الآخر (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون)[٣] فوعد بعلوهم على عدوهم فى مقاوم الحجاج وملاحم القتال في الدنيا وعلوهم عليهم في الآخرة كما قال (والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة)[٤]— وقال تعالى (كتب الله لاغلبن أنا ورسلي ان الله قوى عزيز) فأخبر سبحانه عن نفسه أنه كتب وجعل الغلبة له ولرسله وأتباعهم ـ وقال تعالى (ان الله يدافع عن الذين آمنوا ان الله لا يحب كل خوان كفور)[٦] فخص المؤمنين بدفاعه عنهم ونصره لهم وجعل العلة في ذلك أنه لا يحب أضدادهم . فاذا كان قد كتبها له ولرسله وأتباعهم وأوليائهم وخصهم بالدفاع عنهم وعلل ذلك بأنه لا يحب الخوان والكفراء كان من المحال ان تكون الغلبة لاعدائه واعداء رسله وهم الخونة الذين يخونون الله والرسول ويخونون اماناتهم ويكفرون نعم الله عليهم ويغمطونها *

ولا ينافي ذلك انهزامهم فى بعض المشاهد وما جرى عليهم من القتل في بعض المغازى فان الغلبة كانت لهم ولمن بعدهم فى العاقبة وكفى بمشاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين مثلا يحتذى عليها وعبرا يعتبر بها* وعن الحسن رضي الله عنه ما غلب نبي فى حرب ولا قتل فيها ولان قاعدة أمرهم واساسهم والغالب منه هو الظفر والنصرة وان وقع في تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والمحنة لرفع درجاتهم . وزيادة اجورهم ومثوباتهم والحكم للغالب *

وبالجملة فقد ضمن الله تبارك وتعالى لكل من نصر دينه المبين . وأطاع رسوله الامين . ان ينصره في الدنيا والآخرة . فمن خذل دينه وخالف رسوله

١ ـ آل عمران ١٢٥
٢ ـ غافر ٥١
٣ ـ الصافات ١٧١ـ١٧٣
٤ ـ البقرة ٢١٢
٥ ـ المجادلة ٢١
٦ ـ الحج ٣٨

استحق أكبر العذاب وأشد النكال في الدارين ولم يغن عنه لا مال ولا أحد من الله فتيلا . ـ ألا ترى أن أهل أحد لما أمرهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يثبتوا فى مكانهم عند الجبل ولا يزايلوه سواء كانت الدولة للمسلمين أو عليهم فلما أقبل المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم يقتلونهم قتلا ذريعاً فلما فشلوا وتنازعوا فقال بعضهم قد انهزم المشركون فما موقفنا ههنا وقال بعضهم لا نخالف أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فثبت مكانه عبد الله بن جبير أمير الرماة فى نفر دون العشرة ونفر ينهبون أعقابهم كر عند ذلك المشركون على الرماة وقتلوا عبد الله بن جبير رضى الله عنه وأقبلوا على المسلمين وحالت الريح دبورا وكانت صباً حتى هزموا وقتل من قتل . وذلك كله بشؤم مخالفة بعضهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعصيانهم له . وذلك معنى قوله تعالى (ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم فى الامر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم)[1] ـ وألا ترى ان أهل المدينة كانوا في خلافة ابي بكر وعمر وعثمان وعلي أفضل أهل الدنيا والآخرة لتمسكهم بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم تغيروا بعض التغير فقتل عثمان . وخرجت الخلافة خلافة النبوة من عندهم وصاروا رعية لغيرهم ـ ثم تغيروا بعض التغير فجرى عليهم عام الحرة من النهب والقتل وغير ذلك من المصايب ما لم يجر عليهم قبل ذلك *

والذى فعل بهم ذلك وان كان ظالما متعدياً فليس هو أظلم ممن فعل بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه ما فعل وقد قال الله تعالى (أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم)[2] وكذلك الشام كان أهله في أول الاسلام في سعادة الدنيا والدين ثم جرت فتن وخرج الملك من أيديهم ثم سلط عليهم المنافقون الملاحدة والنصارى بذنوبهم واستولوا على بيت المقدس وقبر الخليل وفتحوا البناء الذى كان عليه وجعلوه كنيسة ثم صلح دينهم فأعزهم

١ ـ آل عمران ١٥٢
٢ ـ آل عمران ١٥٦

الله ونصرهم على عدوهم لما أطاعوا الله ورسوله واتبعوا ما أنزل اليهم من ربهم -
وكذلك أهل الاندلس كانوا رقودا فى ظلال الأمن وخفض العيش والدعة
فغمطوا النعمة وقابلوها بالاشر والبطر فاشتغلوا بمعاصى الله تعالى وا كبوا على
لهوهم ولم يتقوا مواقع سخط ربهم ومقته ففعل الله بهم مالا يحصره قلم كاتب .
ولا يحصيه حساب حاسب. بتسليط عدوهم عليهم حتى مزقهم الله كل ممزق وفرقهم
أيادى سبأ وارتد بعضهم على عقبه ركونا الى الدنيا الفانية والحظوظ العاجلة .

ومن قرأ تاريخهم علم ما كان القوم عليه . وما صاروا اليه . وفى التاريخ
أكبر عبرة لمن اعتبر * دعك من هذا ولا أطول عليك المسافة ففى كتاب ربنا
ما فيه غنية عن كل شىء يهم لمن تدبره وعقله وصرف فيه شطراً من عمره كما صرف
في تلك العلوم التى لا طائل تحتها ولا محصل لها ولا تقوم على ساق * وسيرد
عليك ان شاء الله . في هذا المعنى الذى نحن حوله جملة آيات متعددة فانتظر قليلا *

والغرض المقصود لنا الآن هنا بيان أن الصلاح والنجاح والفوز والفلاح
وسعادة الدين والدنيا معاً منوط ومربوط بنصرة دين الله لا سبيل له غير ذلك أبداً
ولذلك قال سيدنا مالك بن انس امام دار الهجرة رضى الله عنه لن يصلح آخر
هذه الامة الا بما صلح به أولها أو كما قال . والامر والله كما قال . وشاهد العيان .
يغنى من له عينان . عن البيان (هذا) *

ثم لنذكر بعض الآيات الصريحة لمن له نظر . وفهم وتدبر . فى التحذير
عن اتباع غير ما أنزل الله فنقول قال تعالى (ألم تر الى الذين أوتوا نصيباً من
الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل)[١] فجعل ما خالف حكم
الكتاب ضلالة - وقال تعالى: (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى
كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون)[٢] - وقال تعالى (ألم تر الى
الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت)[٣] - وقال تعالى (أفغير
الله ابتغى حكما وهو الذي أنزل اليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب
يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين)[٤] - وقال تعالى (أفمن

١ - النساء ٥١
٢ - آل عمران ٢٣
٣ - النساء ٥١
٤ - الأنعام ١١٤

يعلم انما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى انما يتذكر أولو الالباب)[١] ـ وقال تعالى(ويرى الذين اوتوا العلم الذي أنزل اليك من ربك هو الحق ويهدى الى صراط العزيز الحميد)[٢] فجعل الله تعالى في الآيتين المنزل هو الحق واذا كان هو الحق لاغير كان ما عداه هو الباطل بلا مرية ـ وقال تعالى(فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لايهدي القوم الظالمين)[٣] فقسم الله تعالى الامر الى شيئين لاثالث لهما. إما الاستجابة لله والرسول وماجاء به وإما اتباع الهوى. فكل مالم يأت به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فهو من الهوى ـ وقال تعالى(ياداود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله. ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب)[٤] فقسم سبحانه طريق الحكم بين الناس الى الحق وهو الوحي الذى أنزله على رسوله والى الهوى وهو ماخالفه ـ وقال تعالى (وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولاتتبع أهواءهم عما جاءك من الحق)[٥] قال الشافعي فى الام : وأهواءهم يحتمل سبيلهم في أحكامهم ويحتمل مايهوون. وأيهما كان فقد نهى عنه وأمر أن يحكم بينهم بما أنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم اه ثم قال سبحانه (وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك فان تولوا فاعلم انما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيراً من الناس لفاسقون · أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون)[٦] فأمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بالحكم بين أهل الكتاب بما أنزله الله عليه ـ ونهاه عن اتباع أهوائهم لما فيه من مخالفة المنزل اليه ـ وحذره أن يفتنوه فيحولوا بينه وبين بعض ما أنزله اليه وأعلمه أنهم ان تولوا عن الحكم الذى أنزله الله اليه فانما يريد أن يصيبهم ويبتليهم بسبب بعض ذنوبهم. فعلم منه أن التولى عن حكم الله وحكم رسوله الى حكم الاهواء سبب لاصابة الله بالمصايب . ـ وهذا كقوله تعالى (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون)[٧] ـ وقوله تعالى (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم)[٨] وقوله

١ ـ الرعد ٩
٢ ـ سبأ ٦
٣ ـ القصص ٥٠
٤ ـ صٓ ٢٦
٥ ـ المائدة ٤٨
٦ ـ المائدة ٤٩ـ٥٠
٧ ـ الروم ٤١
٨ ـ الشورى ٣٠

تعالى (فأصابهم سيآت ما كسبوا . والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيآت ما كسبوا)[١] وقوله تعالى (وبدا لهم سيئات ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون)[٢] وقوله تعالى (فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا. ومنهم من أخذته الصيحة. ومنهم من خسفنا به الارض. ومنهم من اغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون)[٣] وقوله تعالى (كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين)[٤] وقوله تعالى (فأخذتهم الصاعقة بظلمهم)[٥] وقوله تعالى (مما خطيآتهم أغرقوا فأدخلوا نارا)[٦] وقوله تعالى (وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولاً يتلوا عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى الا وأهلها ظالمون)[٧] وقوله تعالى(وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون)[٨]

وأخرج الامام احمد عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه قال لما فتحت قبرس فرق بين أهلها فبكى بعضهم الى بعض فرأيت أبا الدرداء جالسا وحده يبكي فقلت يا أبا الدرداء ما يبكيك في يوم أعز الله فيه الاسلام وأهله فقال ويحك يا جبير ما أهون الخلق على الله عز وجل اذا أضاعوا أمره بينما هي أمة قاهرة ظاهرة لهم الملك تركوا أمر الله فصاروا الى ماترى * وأخرج عن عطاء ابن أبي رباح عن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اذا ضن الناس بالدينار والدرهم وتبايعوا بالعينة (١) واتبعوا أذناب البقر وتركوا الجهاد في سبيل الله أنزل الله بهم بلاء فلا يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم » : ورواه أبو داود باسناد حسن ـ وفي سنن ابن ماجه في باب العقوبات من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب قال أقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجهه فقال « يا معشر

١ ـ الزمر ٥١
٢ ـ الزمر ٤٨
٣ ـ العنكبوت ٤
٤ ـ الأنفال ٥٤
٥ ـ النساء ١٥٣
٦ ـ نوح ٢٥
٧ ـ القصص ٥٨-٥٩
٨ ـ النحل ١١٢-١١٣

(١) هي ان يبيع من رجل سلعة بثمن معلوم الى أجل مسمى ثم يشتريها منه نقداً باقل من الثمن الذي باعها به اهـ

المهاجرين خمس اذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن . لم تظهر الفاحشة في قوم حتى يعلنوا بها الا فشا فيهم الطاعون والاوجاع التي لم تكن مضت فى أسلافهم الذين مضوا . ولم ينقصوا المكيال والميزان الا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان عليهم . ولم يمنعوا زكاة أموالهم الا منعوا القطر من السماء فلولا البهائم لم يمطروا . ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله الاسلط الله عليهم عدواً من غيرهم فأخذوا بعض مافي أيديهم . ومالم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله الا جعل الله بأسهم بينهم » ـ وفي شرح الموطأ عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم « قال خمس بخمس ما نقض قوم العهد الا سلط عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما أنزل الله الا فشا فيهم الفقر .ولا ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت .ولا طففوا المكيال الا منعوا النبات واخذوا بالسنين.ولا منعوا الزكاة الا حبس عنهم القطر » (قال) رواه ابن ماجه والطبرانى وله شاهد(١) عن ابن عمر مرفوعا نحوه عند ابن اسحق اه

وفى نهج البلاغة من كلام سيدنا على كرم الله وجهه لا يترك الناس شيئاً من أمر دينهم لاستصلاح دنياهم الافتح الله عليهم ما هو أضر منه ـ ومن كلام بعض السلف الصالح كلما أحدثتم ذنباً أحدث الله لكم من سلطانه عقوبة ـ وفي المشهور على الالسنة الجاري مجرى المثل السائر قولهم لو استقمنا ما انتقمنا وقال القائل

بذا قضى الله بين الخلق مذ خلقوا إن المخاوف والاجرام في قرن

ولهذا المعنى الذى ألممنا الآن بساحل بحره العميق شواهد من القرآن والسنة وكلام السلف الصالح لا تحصى لو ذهبنا الى تتبعها واستقصائها لطال بنا الكلام *

والقصد هنا بيان أن التولى عن حكم الله وحكم رسوله من أكبر الذنوب وانه سبب لانصباب المصايب . وتتابع النوائب فان الجزاء يكون من جنس العمل فمن تولى عن حكم الله وحكم رسوله تولى الله ورسوله عنه.ومن تولى الله ورسوله

(١) أقول لعله الذي نقلناه عن سنن ابن ماجه قبل اه مؤلفه

عنه فهيهات ان يفلح ويعز بل يتركه الله أذل وأحقر ما يكون قال تعالى (ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده)[1] وقال تعالى (ان الذين يحادون الله ورسوله أولئك فى الاذلين)[2] وفى مسند احمد من حديث ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يوشك ان تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الآكلة على قصعتها قلنا يارسول الله أمن قلة بنا يومئذ قال أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل تنزع المهابة من قلوب عدوكم ويجعل في قلوبكم الوهن قالوا وما الوهن قال حب الحياة وكراهة الموت » فأخبر صلى الله عليه وآله وسلم أنه يوشك ان يتداعى عليكم من فرق الكفر وأمم الضلالة بعضهم بعضا ليقاتلوكم ويكسرون شوكتكم ويغلبوا على ماملكتموه من الديار والاموال كما تتداعى الفئة الآكلة بعضهم بعضا على قصعتهم التى يتناولونها من غير بأس ولامانع فيأكلونها عفوا صفوا فيستفرغون مافي صحفتكم من غير تعب ينالهم او ضرر يلحقهم أو بأس يمنعهم - ثم لما سألوه عن سبب ذلك هل هو من قلة عددهم أخبر بأنهم كثير ولكنهم غثاء كغثاء السيل الذي هو ما يجيء فوق السيل مما يحتمله من البزورات والاوساخ لقلة نفعهم وغنائهم ودناءة أقدارهم. وخفة أحلامهم - ثم أخبر بان الله ينزع المهابة من قلوب عدوهم ويجعل في قلوبهم الوهن وبين لهم سببه بانه حبهم البقاء في الدنيا وكراهتهم الموت - يدعوهم ذلك الى اعطاء الدنية فى الدين واحتمال الذل عن العدو نسأل الله العافية فقد ابتلينا به وكنا نحن المعنيين بذلك *

﴿ حكاية لطيفة ﴾ ساقها الامام محمد بن قتيبة الدينورى في كتابه تأويل مختلف الحديث قال وحدثنى رجل من اصحاب الاخبار ان المنصور سمر ذات ليلة فذكر خلفاء بنى أمية وسيرتهم وأنهم لم يزالوا على استقامة حتى أفضى أمرهم الى أبنائهم المترفين فكان همهم من عظيم شأن الملك وجلالة قدره قصد الشهوات وايثار اللذات والدخول في معاصى الله عز وجل ومساخطه جهلا منهم باستدراج الله تعالى وأمنا من مكره تعالى فسلبهم الله تعالى الملك والعز ونقل عنهم النعمة

١ - آل عمران ١٦٠
٢ - المجادلة ٢٠

فقال له صالح بن علي يا أمير المؤمنين ان عبيد الله بن مروان لما دخل أرض النوبة هاربا فيمن اتبعه سأل ملك النوبة عنهم فأخبر فركب الى عبيد الله فكلمه بكلام عجيب في هذا النحو لا أحفظه وأزعجه عن بلده فان رأى أمير المؤمنين أن يدعو به من الحبس بحضرتنا فى هذه الليلة ويسأله عن ذلك فأمر المنصور باحضاره وسأله عن القصة فقال يا أمير المؤمنين قدمت أرض النوبة بأثاث سلم لى فافترشته بها وأقمت ثلاثا فأتانى ملك النوبة وقد خبر أمرنا فدخل على رجل طوال أقنى حسن الوجه فقعد على الارض ولم يقرب الثياب فقلت ما يمنعك ان تقعد على ثيابنا فقال انى ملك وحق على كل ملك ان يتواضع لعظمة الله عز وجل اذ رفعه الله ثم أقبل علي فقال لى لم تشربون الخمور وهى محرمة عليكم في كتابكم . فقلت اجترأ على ذلك عبيدنا وسفهاؤنا . قال فلم تطؤون الزرع وبدوابكم . والفساد محرم عليكم فى كتابكم قلت يفعل ذلك جهالنا . قال فلم تلبسون الديباج والحرير وتستعملون الذهب والفضة وهو محرم عليكم فقلت زال عنا الملك وقل أنصارنا فانتصرنا بقوم من العجم دخلوا في ديننا فلبسوا ذلك على الكره منا . فأطرق مليا وجعل يقلب يده وينكت في الارض ثم قال ليس ذلك كما ذكرت بل أنتم قوم استحللتم ما حرم عليكم وركبتم ما عنه نهيتم وظلمتم فيما ملكتم فسلبكم الله تعالى العز والبسكم الذل بذنوبكم ولله تعالى فيكم نقمة لم تبلغ نهايتها وأخاف أن يحل بكم العذاب وأنتم ببلدى فيصيبنى معكم وانما الضيافة ثلاث فتزودوا ما احتجتم اليه وارتحلوا عن بلدي ففعلت ذلك اه وفي هذه الحكاية مقنع وكفاية لمن رزقه الله الهداية وجنبه طريق الغواية . وفيما رأيتم وسمعتم به مما جرى باولئك الظالمين المستبدين . الخاسرين الابعدين . أكبر عبرة لمن اعتبر . وتبصرة لمن تبصر قال الشاعر :

ما مر يوم على حي ولا ابتكرا (١) * الا رأى عبرة فيه إن اعتبرا

---

(١) في القاموس بكر عليه واليه وفيه بكورا و بكر وابتكر وأبكر وباكره أتاه بكرة اه

ولنرجع الآن لذكر بقية الآيات التى نحن بصددها فنقول : وقال تعالى (ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وان الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولى المتقين)[١] فقسم سبحانه الامر بين الشريعة التي جعله هو سبحانه عليها وأوحى اليه العمل بها وأمر الامة بها . وبين اتباع أهواء الذين لا يعلمون فأمر بالاول ونهى عن الثانى . وقال تعالى(المص كتاب أنزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين . اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون)[٢]فأمر باتباع المنزل منه خاصة ونهى عن اتباع أولياء من دونه فدل على أن من اتبع غيره فقد اتبع من دونه أولياء . وقال تعالى (يا ايها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأويلا)[٣]فأمر تعالى بطاعته وطاعة رسوله وأعاد الفعل إعلاما بان طاعة الرسول تجب استقلالا من غير حاجة الى عرض ما أمر به على الكتاب بل اذا امر وجبت طاعته مطلقا سواء كان ما أمر به في الكتاب أو لم يكن فيه فانه أوتي الكتاب ومثله معه * وقد قال تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)[٤]وقال تعالى (من يطع الرسول فقد أطاع الله)[٥]وصح عنه صلى الله عليه وآله وسلم من حديث أبى رافع انه قال « لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الامر من أمرى مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا أدرى ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه » — بخلاف أولى الامر فانهم اياً كانوا العلماء والامراء . أو العلماء فقط . أو الامراء فقط لا تجب طاعتهم الا تبعا لطاعة الرسول فمن أمر منهم بطاعة الرسول وجبت طاعته — ومن أمر بخلاف ما جاء به الرسول فلا سمع له ولا طاعة كما صح عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق — وقال انما الطاعة فى المعروف . وهو ما وافق ما جاء به الرسول ولهذا لم يأمر بطاعة أولى الامر استقلالا

١ - الجاثية ١٨-١٩
٢ - الأعراف ١-٣
٣ - النساء ٥٩
٤ - الحشر ٧
٥ - النساء ٨٠

بل حذف الفعل وجعل طاعتهم في ضمن طاعة الرسول ايذانا بأنهم انما يطاعون تبعا لطاعة الرسول . وقال تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم)[1] فأفاد ان آية محبة الله اتباعه صلى الله عليه وآله وسلم فيما جاء به فمن لم تتحقق فيه هذه العلامة فهو ليس بمحب الله وهو كذلك فان دعوى المحبة مع المخالفة من الحماقات الظاهرة والاكاذيب التى لا تخفى على أحد . ولذلك يقول القائل وقد أجاد فيما أفاد *

تعصى الاله وأنت تزعم حبه * هذا لعمرى في القياس شنيع
لو كان حبك صادقاً لاطعته * ان المحب لمن يحب مطيع

وصح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال « لايؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » ولايزيغ عنه * وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وآله وسلم « لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من نفسه وولده وأهله والناس اجمعين » * وفيهما « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما وأن يحب المرء لايحبه الا لله وان يكره أن يرجع الى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى فى النار » . وقال تعالى (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لايهدي القوم الفاسقين)[2] فالواجب على كل أحد آمن بالله واليوم الآخر محبة الله ورسوله المحبة الصحيحة الصادقة التى تقتضى المتابعة والموافقة في حب المحبوبات وبغض المكروهات

قال ابو يعقوب النهرجوري كل من ادعى محبته تعالى ولم يوافق الله في أمره فدعواه باطلة . وقال يحيى بن معاذ الرازى ليس بصادق من ادعى محبة الله ولم يحفظ حدود الله . فمن ادعى انه يحب الله ورسوله فيفترض عليه أن يبذل وسعه ويسعى جهده في إقامة حدود الله ونصرة دينه بالقول والفعل والمال وكل ممكن فان علامة المحب الصادق أن يسعى في حصول محبوبات محبوبه ويبذل

١ ـ آل عمران ٣١
٢ ـ التوبة ٢٤

جهده وطاقته فيهاوالا فلو رأى محارم الله تنتهك وهو ساكت لايغار ولايغضب كما لو تعدى على أدنى حقوقه فهو حينئذ كذاب لانصيب له من المحبة إلا مجرد الدعوى . وقال تعالى (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر)[١] أفادت الآية بطريق عكس النقيض الموافق المعلوم عند أرباب فن المنطق أن من لاأسوة له حسنة في رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فهو ليس ممن يرجو الله واليوم الآخر . وكفى بهذا التهديد العظيم في التحذير للعاقل

وقال تعالى (لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذاً فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم)[٢] ولافرق في الاستدلال بهذه الآية الكريمة على مانحن بصدده بين رجوع الضمير الى الله والى الرسول . وقال تعالى (قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ماحمّل وعليكم ماحمّلتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين)[٣] . وقال تعالى (فلاوربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً)[٤] فأقسم سبحانه بنفسه على نفي الايمان عن العباد حتى يحكموا رسوله في كل ماشجر بينهم من الدقيق والجليل . ولم يكتف في إيمانهم بهذا التحكيم بمجرده حتى ينتفي عن صدورهم الحرج والضيق عن قضائه وحكمه . ولم يكتف منهم أيضاً بذلك حتى يسلموا تسليماً وينقادوا انقياداً لحكمه فمابالك بمن حكم بغير ماأنزل الله فانه أولى بسلب الايمان عنه . وقال تعالى (وما كان لمؤمن ولامؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا)[٥] فأخبر سبحانه انه ليس لمؤمن أن يختار بعد قضائه وقضاء رسوله حيا او ميتا ومن تخير فقد عصى الله ورسوله . ومن عصاهما فقد ضل ضلالا مبينا

وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميع عليم)[٦] روي عن ابن عباس رضى الله عنهما فى تفسيرها لاتقولوا

١ ـ الأحزاب ٢١
٢ ـ النور ٦٣
٣ ـ النور ٥٤
٤ ـ النساء ٦٥
٥ ـ الأحزاب ٣٦
٦ ـ الحجرات ١

خلاف الكتاب والسنة . وقال مجاهد لاتقدموا لاتفتاتوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يقضي الله على لسانه . وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولاتجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لاتشعرون)[١]

فلينظر فانه اذا كان رفع أصواتهم فوق صوته سببا لحبوط أعمالهم فكيف تقديم آرائهم وعقولهم وأذواقهم وسياساتهم ومعارفهم وقوانينهم وأوضاعهم عامدين عالمين على ماجاء به ورفعها عليه أليس هذا أولى أن يكون محبطا لاعمالهم بلى وربك . فالله عز وجل لولا انه علم ان نظام العالم فى الدين والدنيا معاً لايقوم إلا بهذه الشريعة الجامعة المانعة العادلة تمام العدل لبعث رسولا ينسخ منها مالايوافق هذا الزمان بزعم المارقين كما قد كان يفعل قبل فلما جعل نبينا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم خاتم النبيين فلم يرسل بعده من رسول كان ذلك دليلا أي دليل على ان هذه الشريعة وافية كافية . كاملة شافية . كافلة بجميع المصالح ديناً ودنيا لانحتاج معها الى شيء من آراء الرجال وسياساتهم إلا فيما يكون استيضاحاً للحق الذي يرضاه الله ورسوله بعد معرفة مقاصد الشارع تمام المعرفة

ولذلك كان تقديم آراء الغير وعقولهم وأذواقهم ووجداناتهم وسياساتهم المخالفة المنابذة لسياسات الشريعة الحقة الصحيحة محبطاً للعمل ألبتة وربما كان ردة ومروقاً عن الامة الاسلامية والملة الحنيفية أعاذنا الله تعالى .. قال تعالى (ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم)[٢] وقال تعالى (ذلك بأنهم اتبعوا ماأسخط الله و كرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم)[٣] فليحذر السياسيون أن يسوسوا الناس بغير ما أنزل الله فانهم مع انه لايتم لهم أمر ولايستقيم لهم حال يخشى عليهم من الردة والمروق من الدين فيكونون ممن خسر الدنيا والآخرة .. وقال تعالى (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه)[٤] فجعل من لوازم الايمان أن لايذهبوا مذهباً اذا كانوا

١ - الحجرات ٢
٢ - محمد ٩
٣ - محمد ٢٨
٤ - النور ٦٢

معه الا باستئذانه فما بالك بالذهاب في دين الله والحكم بين الناس فانه أولى أن يكون من لوازم الايمان ان لا يذهبوا ذلك المذهب إلا بعد استئذانه بدلالة ماجاء به صلى الله عليه وآله وسلم على انه أذن فيه .. وقال تعالى (ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين وإذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون)[١] ثم قال تعالى (انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون)[٢] فبين ان المؤمنين ليس لهم إلا السمع والطاعة لحكم الله ورسوله وانه ليس لهم الى المخالفة سبيل أبداً ..

وقال تعالى (وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون)[٣]. أخرج ابن ماجه في سننه عن الشعبي عن جابر بن عبدالله قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فخط خطاً وخط خطين عن يمينه وخط خطين عن يساره ثم وضع يده في الخط الاوسط فقال هذا سبيل الله ثم تلا هذه الآية * وقال تعالى (واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لاتشعرون)[٤]. فاذا كان قد أمرهم باتباع أحسن ما أنزل اليهم فيما يعترضهم فيه الأمران الوجوب والندب أو الندب والاباحة على ماقيل في التفسير وأنذرهم مفاجأتهم العذاب إن لم يفعلوا ذلك فما الشأن فيما سبيله القطع فيه بالافتراض والتحتيم قولا واحداً كالحكم بين الناس بما أنزل الله. وقال تعالى (وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون)[٥]. وقال تعالى (وهذا كتاب مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون)[٦]. وقال تعالى (قل أطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لايحب الكافرين)[٧] فنبه على ان التولي عن حكم الله وحكم رسوله الى غيره كفر. وقال تعالى (من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً)[٨]. وقال تعالى (ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين)[٩] وقال تعالى (ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها

١ - النور ٤٧-٤٨
٢ - النور ٥١
٣ - الأنعام ١٥٣
٤ - الزمر ٥٥
٥ - الأنعام ٥٠
٦ - الأنبياء ١٥٥
٧ - آل عمران ٣٢
٨ - النساء ٨٠
٩ - النساء ١٤

الانهار ومن يتول يعذبه عذاباً أليما)[١] وقال تعالى (وأطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين)[٢] وقال تعالى (وقد آتيناك من لدنا ذكراً من أعرض عنه فانه يحمل يوم القيامة وزراً خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملا)[٣] وقال تعالى(ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسى ماقدمت يداه)[٤] وقال تعالى(فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها)[٥] أي صد الناس وصرفهم عنها (سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون)[٦] وقال تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب)[٧] فأمر بالائتمار والانتهاء ثم حذر عن المخالفة

(هذا) وكم من أمثال هذه الآيات الجليلة المحذرة عن مخالفة الكتاب والسنة وكفى بواحدة منها لمن أوتي رشده . ومن لا فلاتغنيه قراءة جميع الكتب الالهية عليه * ثم ليس العجب من قوم يدعون الاسلام يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون . غلب عليهم هواهم . فأصمهم وأعماهم . حتى رفضوا العمل بقانون ربهم الذى انزله على نبيه وعملوا بقوانين اهل الكفر والصليب إقامة لرياساتهم وقضاء لشهواتهم . غفلة منهم عن اليوم الموعود الذى تجد فيه كل نفس ماعملت من خير أوشر محضراً بين يديها . وانما العجب العجاب ممن يتزيون بزى أهل القرآن . ويتسمون بأسماء اهل الايمان . يختلقون الافك والفشار . ولايخشون المسبة والعار . بلغوا من الجهل مبلغاً دونه جهل اليهود والنصارى فيزعمون ان الشريعة المحمدية مانعة لهم من ترقيهم . او معوقة عن مرامهم ومراميهم . فلاتصلح لاهل هذا الزمان . وانقطع حكمها ووقع في حيز خبر كان . فنسخوها بآرائهم الكاسدة . وأهوائهم الفاسدة . ومشتهيات اطباعهم الخبيثة العاطلة . ومقتضيات أميالهم الخسيسة الباطلة . مسخهم الله تعالى ظاهراً كما قد مسخهم باطناً ليكونوا عبرة للغابرين ومثلة في الحاضرين . فهؤلاء المردة المارقون لادواء أنجع فيهم من تمكين الصوارم البواتر من رقابهم وقطع دابرهم حتى لايقوى حزبهم . ولايكثر جمعهم أبادهم الله ودمرهم وشتت شملهم ومزقهم كل ممزق *

١ ـ الفتح ١٧
٢ ـ التغابن ١٢
٣ ـ طه ٩٩ـ١٠١
٤ ـ الكهف ٥٧
٥ ـ الأنعام ١٥٧
٦ ـ الأنعام ١٥٧
٧ ـ الحشر ٧

وهؤلاء الاوغاد لم يقدروا الشريعة حق قدرها ولم يعلموا ان مبناها على الحكم ومصالح العباد . في المعاش والمعاد . وانها عدل الله بين عباده ورحمته بين خلقه . وظله في ارضه وهي نوره الذى به أبصر المبصرون . وهداه الذى به اهتدى المهتدون . وشفاؤه التام الذي به دواء كل عليل . وطريقه المستقيم الذي من استقام عليه فقد استقام على سواء السبيل . فهى قرة العيون وحياة القلوب ولذة الارواح . فيها الحياة والغذاء والدواء والنور والشفاء والعصمة وكل خير في الوجود فانما هو مستفاد منها وحاصل بها . وكل نقص في الوجود فسببه من اضاعتها . ولولا رسوم قد بقيت لخربت الدنيا وطوى العالم وهي العصمة للناس وقوام العالم وبها يمسك الله السموات والارض أن تزولا . فاذا أراد الله تبارك وتعالى خراب الدنيا وطي العالم رفع اليه مابقي من رسومها . فهى عمود العالم وقطب الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة .

والعجب ايضا من قوم لايرون تمام الترقي إلا في التشبه بالكفار وعبدة الاصنام . لزعمهم انهم بلغوا من التمدن والترقي مبلغا لم يبلغه غيرهم من الانام فان هؤلاء أيضا قوم لاخلاق لهم قد قصروا نظرهم على النعيم الفاني العاجل . ونسوا النعيم المقيم الآجل . فهم أشبه بالانعام . بل هم أضل وان لبسوا ثياب الانام . دينهم وديدنهم تقليد أولئك والتزيى بزيهم والاحتذاء بهم فى أقوالهم وأفعالهم ومطاعمهم ومشاربهم وملابسهم فلهم في اولئك الاسوة التامة لافى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . فهم ليسوا ممن يرجو الله واليوم الآخر . وهذا مصداق قوله صلى الله عليه وسلم الثابت من طرق في الصحيح « لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا اليهود والنصارى قال فمن » فانا لله وانا اليه راجعون

فاياكم إياكم عباد الله ومخالفة الشريعة التى جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم من عند ربه قيد شبر فان المخالفة والله الذى لاإله غيره عين الهلاك والعمي والخسران المبين * واياكم اياكم أن تظنوا ان الكتاب والسنة اللذين هما الشريعة

لم يفيا بجميع أحكام الحوادث فان هذا خطأ جسيم وبهتان عظيم فقد قال تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا)[١] وقال تعالى (ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون)[٢] وقال تعالى (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين)[٣] وقال تعالى (أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون)[٤] وقال تعالى (مافرطنا فى الكتاب من شيء)[٥] وقال تعالى (وكذلك أوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ماالكتاب ولاالايمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي الى صراط مستقيم صراط الله الذي له مافي السموات ومافي الارض)[٦] وقال تعالى (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم)[٧] وقال تعالى (ان هذا القرآن يهدي للتى هي أقوم)[٨] أى للحالة أوللملة أو للطريقة التى هى أقوم الحالات أو الملل أوالطرق وقال تعالى (وهو الذى أنزل اليكم الكتاب مفصلا)[٩] وقال تعالى (ولقد جئناكم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون)[١٠]

اذا تأمل المتأمل قوله (فصلناه على علم) وعرف عظم موقعه وبلاغته وعلم ان علوم العالمين أجمعين كلها تتلاشى وتضمحل في جنب علم الله تعالى بما ينفع ويصلح ومايضر ويفسد لم يشك ان القرآن قد تكفل ببيان مافيه صلاح المعاش والمعاد ونظام الدين والدنيا معا على اكمل وجه وأبلغه حيث تولى تفصيله العليم الخبير الذى لايعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولافى الارض مما كان أو يكون وقال تعالى (قد أنزل الله اليكم ذكرا رسولا يتلو عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور)[١١] وقال تعالى (ياأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما)[١٢] وقال

١ - المائدة ٣
٢ - يوسف ١١١
٣ - النحل ٨٩
٤ - العنكبوت ٥١
٥ - الأنعام ٣٨
٦ - الشورى ٥٢-٥٣
٧ - المائدة ١٥-١٦
٨ - الاسراء ٩
٩ - الأنعام ١١٤
١٠ - الأعراف ٥٢
١١ - الطلاق ١٠-١١
١٢ - النساء ١٧٤-١٧٥

تعالى (كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه)[١] وقال تعالى (وماأنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون)[٢] وقال تعالى (ومااختلفتم فيه من شىء فحكمه الى الله ذلكم الله ربى عليه توكلت واليه أنيب)[٣] وقال تعالى (وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم مايتقون)[٤] فبين سبحانه للعباد جميع مايتقونه لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وقال تعالى (فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر)[٥]

قال أهل التفسير عموما الرد الى الله الرد الى كتابه والرد الى الرسول الرد اليه ذاته فى حياته والرد الى سنته وهى أقواله وأفعاله وتقريراته بعد وفاته . فأمر الله بالرد اليه والى الرسول ليس الا لأن كتاب الله ببيان الرسول فاصل للنزاع وقاطع للخلاف ولا بد . هذا فيما تنازع فيه المؤمنون . فما بالك بما اتفقوا عليه فالرد فيه أوجب وأوجب وقال تعالى (يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين)[٦] وقال تعالى (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين)[٧] فأنتم ترون انه سبحانه أخبر فى هذه الآيات أنه أنزل الكتاب لبيان حكم مايختلف فيه الناس وجعله هدى وجعله رحمة وجعله شفاء للقلوب والصدور من الظلمات وجعله مخرجا من الظلمات الى النور وجعله نوراً وجعل اليه التنازع والتحاكم الى غير ذلك من أوصافه التى لا تحصى فكيف يكون بهذه الاوصاف التى وصفه الله سبحانه بها وبالناس حاجة الى قوانين البشر وأوضاعهم وسياساتهم فما دام بالناس حاجة ما في آية جزئية إلى أى قانون ورأى لم يكن بتلك الأوصاف والله أصدق القائلين .فتبين بذلك أنه ما غادر صغيرة ولا كبيرة من أمور الدين والدنيا وما يتعلق بصلاح المعاش والمعاد الا وتكفل بها واحدة واحدة عرف ذلك من عرفه وجهله من جهله قال الشرف البوصيرى فى آيات القرآن

١ - البقرة ٢١٣
٢ - النحل ٦٤
٣ - الشورى ١٠
٤ - التوبة ١١٥
٥ - النساء ٥٩
٦ - يونس ٥٧
٧ - الاسراء ٨٢

لها معان كموج البحر في مدد * وفوق جوهره في الحسن والقيم
فما تعد ولا تحصى عجائبها * ولا تسام على الاكثار بالسأم
قرت بها عين قاريها فقلت له * لقد ظفرت بحبل الله فاعتصم

ولكن الافهام والعقول متفاوتة فمن يصادف فهمه المحز ويطبق المفصل فهذا هو الذى له أجران — ومن يخطئة ولا يصيبه بعد بذل الوسع وهذا هو الذي له أجر واحد كما ثبت ذلك في الصحيح — ومن فاهم ومستنبط من آية حكما ومن فاهم ومستنبط حكمين ومن فاهم ومستنبط أكثر ففضل الله تعالى ليس بمحظور عن أحد يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وانما أنا قاسم والله يعطي » *

وبالجملة فالقرآن متكفل بنظام المعاد والمعاش في التفرق والاجتماع على أكمل وجه وأجمله لمن كحل بنور التوفيق بصيرته . وطهر بماء الايمان سريرته. ووجه اليه همته . وصرف فيه مدته * قال الامام الشافعي في سورة العصر لوفكر الناس كلهم في هذه السورة لكفتهم — وفي لفظ عنه لو لم ينزل الله على خلقه حجة الا هذه السورة لكفتهم . وقد بين معناه وأوضح مغزاه الامام ابن القيم في مفتاح دار السعادة بأبلغ وجه وأعلاه فقال ما نصه : وبيان ذلك أن المراتب أربعة وباستكمالها يحصل للشخص غاية كماله احداها معرفة الحق . الثانية عمله به الثالثة تعليمه من لا يحسنه . الرابعة صبره على تعلمه والعمل به وتعليمه . فذكر تعالى المراتب الاربعة في هذه السورة . وأقسم سبحانه فى هذه السورة بالعصر ان كل أحد فى خسر الا الذين آمنوا وهم الذين عرفوا الحق وصدقوا به فهذه مرتبة . وعملوا الصالحات وهم الذين عملوا بما علموه من الحق فهذه مرتبة أخرى. وتواصوا بالحق وصى به بعضهم بعضا تعليما وارشادا فهذه مرتبة ثالثة. وتواصوا بالصبر صبروا على الحق ووصى بعضهم بعضا بالصبر عليه والثبات فهذه مرتبة رابعة . وهذا نهاية الكمال فان الكمال أن يكون الشخص كاملا في نفسه مكملا لغيره . وكماله باصلاح قوتيه العلمية والعملية . فصلاح القوة العلمية بالايمان

وصلاح القوة العملية بعمل الصالحات وتكيله غيره بتعليمه اياه وصبره عليه وتوصيته بالصبر على العلم والعمل . فهذه السورة على اختصارها هي من أجمع سور القرآن للخير بحذافيره . والحمد لله الذى جعل كتابه كافيا عن كل ماسواه شافيا من كل داء هاديا الى كل خير اه

واخرج الترمذي في جامعه عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ستكون فتن كقطع الليل المظلم قيل فما النجاة منها يا رسول الله قال كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو فصل ليس بالهزل . من تركه تجبرا (وفي رواية من جبار) قصمه الله . ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله وهوحبل الله المتين . ونوره المبين والذكر الحكيم والصراط المستقيم وهو الذى لا تزيغ به الاهواء ولا تتشعب معه الآراء ولا تشبع منه العلماء ولا تمله الاتقياء . من علمه سبق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن اعتصم به فقد هدى الى صراط مستقيم » * وفي مراسيل أبى داود السجستانى عن يحيى بن جعدة أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بكتاب في كتف قال « كفى بقوم ضلالة ان يبتغوا كتابا غير كتابهم الى نبي غير نبيهم فأنزل الله عزوجل أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ـ * وعن أبى قلابة ان عمر مر بقوم من اليهود فسمعهم يذكرون دعاء من التوراة فانتسخه ثم جاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يقرؤه ووجه النبي صلى الله عليه وسلم يتغير فقال رجل يا ابن الخطاب ألا ترى ما في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع عمر الكتاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله عز وجل بعثني خاتما وأعطيت جوامع الكلم وخواتمه واختصر لى الحديث اختصارا فلا يلهينكم المتهوكون » فقلت لابي قلابة ما المتهوكون قال المتحيرون اه *

وأخرج البخارى في كتاب الاعتصام في باب قول النبى صلى الله عليه وسلم « لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء » عن عبيد الله بن عبد الله أن ابن عباس رضى الله عنهما قال كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء و كتابكم الذى انزل على

رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدث(١) تقرؤنه محضا لم يشب(٢) وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيروه وكتبوا بايديهم الكتاب وقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلا . ألا ينها كم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم . لا والله ما رأينا منهم رجلا يسألكم عن الذي انزل عليكم *

وأخرج البخارى فيه ومسلم فى الوصايا عنه عن ابن عباس قال لما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت رجال وفيهم عمر بن الخطاب قال «هلم أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده» فقال عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع وعندكم القرآن فحسبنا كتاب الله تعالى واختلف أهل البيت واختصموا فنهم من يقول قربوا يكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً لن تضلوا بعده. ومنهم من يقول ماقال عمر فلما أكثروا اللغط والاختلاف عند النبي صلى الله عليه وسلم قال قوموا عني * قال عبيد الله فكان ابن عباس يقول ان الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم *

فتأمل هذه الاحاديث وأعطها حقها من التأمل الصادق تعلم أن الله سبحانه وتعالى لم يحوجنا معشر أهل القرآن الى كتاب آخر من الكتب السماوية بل اشتمل كتابنا على جميع مافيها من المحاسن وعلى زيادات كثيرة لاتوجد فيها فلهذا كان مصدقا لما بين يديه من الكتب ومهيمناً عليها يقرر مافيها من الحق ويبطل ماحرف منها وينسخ ما نسخه الله فيقر الدين الحق وهو جمهور مافيها ويبطل الدين المبدل الذى لم يكن فيها والقليل الذى نسخ منها *

وأما قول ابن عباس رضى الله عنهما ان الرزية كل الرزية ماحال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم فقد قال المتكلمون في شرح هذا الحديث ان عمر رضى الله عنه كان أفقه من ابن عباس وأدق نظراً لاكتفائه بالقرآن وعلمه أن الله تعالى أكمل دينه بقوله

(١) أي أقرب نزولا اليكم من عند الله (٢) أى لم يخلط به غيره اهم

تعالى (مافرطنا في الكتاب من شيء)[١] وقوله (اليوم أكملت لكم دينكم)[٢] وأمنه الضلال على الامة . — ولا يقال ان عمر رضى الله عنه لم يرتض أمره صلى الله عليه وسلم بكتابة الكتاب فخالفه وعصاه لانه رضى الله عنه فهم أن هذا الكتاب الذى أراد ان يكتبه لايخرج عن كتاب الله لعلمه أنه معصوم في تبليغه عن ربه وتثبيت الله له لقوله تعالى (وما ينطق عن الهوى ان هو إلا وحي يوحى)[٣] وعلمه أنه لم يترك بيان شيء مما أنزله اليه ربه فخرج ذلك الامر منه في حال اشتداد الوجع به صلى الله عليه وسلم مخرج كلام النصوح الحريص على هداية شخص فهو لا يزال ينصحه بالعبارات المختلفة والاساليب المتعددة حتى يرسخ في فؤاده ما يريده منه فلذلك رأى عدم التثقيل عليه صلى الله عليه وسلم في كتابة ذلك الكتاب مع الاستغناء عنه بالقرآن فافهم هذا المعنى فلعله أحسن شيء يندفع به الاعتراض على سيدنا عمر فيما صورته صورة المخالفة *

وفي تركه صلى الله عليه وسلم الانكار على عمر دلالة على حسن فهم عمر وتيقظه لمراده صلى الله عليه وسلم الذى هو الاخذ بكتاب الله بعده حتى لا يضلوا والا فلو كان مراده صلى الله عليه وسلم أن يكتب لهم ما لا يستغنون عنه مما لم يبينه لهم من قبل لم يتركه لاختلافهم ولا لغيره لقوله تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته)[٤] كما لم يترك تبليغ غير ذلك لمخالفة من خالفه ومعاداة من عاداه كما أمرهم في تلك الحال بثلاث كما أخرجه مسلم عن سعيد بن جبير أمرهم باخراج المشركين من جزيرة العرب واجازة الوفد بنحو ما كان يجيزهم وسكت عن الثالثة أو ذكرها ونسيها سعيد الراوي قالوا الثالثة هى تجهيز جيش اسامة رضى الله عنه ويحتمل أنها قوله « لا تتخذوا قبرى وثنا يعبد » فانظر فانه لم يرجعه تنازعهم واختلافهم ولغطهم عنده عن بيان هذه الثلاث التى ما كان بينها لهم قبل فلو كان مضمون الكتاب الذى أراد أن يكتبه لهم مما لم يسبق بيانه ما كان ليسكت عن بيانه بحال فرضى الله عن عمر ما أدق نظره وألطف فهمه وأصوب فكره *

١ ـ الأنعام ٣٨
٢ ـ المائدة ٣
٣ ـ النجم ٣ـ٤
٤ ـ المائدة ٦٧

والقصد هنا ان الله لم يحوجنا بمنه وكرمه الى شيء آخر من الكتب السالفة كما كان أحوج أهل الانجيل لفهم التوراة واتباعها لكون المسيح عليه السلام كان متبعاً في الاكثر لشريعة التوراة : ولذا قال (ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم)[١] فكيف يحوجنا الى شيء من قوانين البشر وأوضاعهم وسياساتهم حاشا لله ومعاذ الله * ومن ظن ذلك فان كان جاهلا بين له وفهم والا فهو كافر حلال الدم والمال في جميع مذاهب علماء المسلمين قولا واحدافان من ظن ان هذه الشريعة الكاملة التى ما طرق العالم شريعة أكمل منها ناقصة تحتاج الى سياسة خارجة عنها تكملها فهو كمن ظن أن بالناس حاجة الى رسول آخر غير رسولهم الذى يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث — وكذلك من ظن أن شيئاً من أحكام الكتاب والسنة النبوية الثابتة الصحيحة بخلاف السياسة والمصلحة التى يقتضيها نظام الدنيا فهو كافر قطعا . ولا يظن ذلك الا من بلغ به الجهل بمرتبة الشريعة الغراء وأحكامها الحقة النقية البيضاء اى أسفل سافلين * واما فرد ظن ذلك أو تخالج الشك في صدره في حكم من أحكامها فليعرض ذلك على أهل العلم بالكتاب والسنة حقيقة دون أهل الفلسفة وفضول العلوم حتي تتبين له حقيقة الحال . وتنقشع عن سماء قلبه سحائب الاوهام والضلال *

قال الحافظ ابن القيم في كتابه مفتاح دار السعادة مانصه: وتأمل حكمته تبارك وتعالى فى ارسال الرسل في الامم واحدا بعد واحد كلما مات واحد خلفه آخر لحاجتها الى تتابع الرسل والانبياء لضعف عقولها وعدم اكتفائها بآثار شريعة الرسول السابق فلما انتهت النبوة الى سيدنا محمد بن عبد الله رسول الله ونبيه أرسله الى أكمل الامم عقولا ومعارف وأصحها أذهانا وأغزرها علوما وبعثه بأكمل شريعة ظهرت في الارض منذ قامت الدنيا الى حين مبعثه فأغنى الله الامة بكمال رسولها وكمال شريعته وكمال عقولها وصحة أذهانها عن رسول يأتى بعده أقام له من أمته ورثة يحفظون شريعته ووكلهم بها حتى يؤدوها الى نظرائهم ويزرعوها في قلوب أشباههم فلم يحتاجوا معه الى رسول آخر ولا نبي ولا محدث

١ ـ آل عمران ٥٠

« أى ملهم » ولهذا قال صلى الله عليه وسلم « انه قد كان قبلكم في الامم محدثون فان يكن في أمتي أحد فعمر » فجزم بوجود المحدثين فى الامم وعلق وجودهم فى أمته بحرف الشرط وليس هذا بنقصان في الامة عن قبلهم بل هذا من كمال أمته على من قبلها فانها لكمالها وكمال نبيها وكمال شريعته لا تحتاج الى محدث بل ان وجد فهو صالح للمتابعة والاستشهاد لا أنه عمدة لأنها في غنية بما بعث الله به نبيها عن كل منام أو مكاشفة أو الهام أو تحديث : وأما من قبلها فللحاجة الى ذلك جعل فيهم المحدثون اه *

واذا ثبت أن الله تعالى قد أغنانا أهل الايمان والقرآن . بكتابه وسنة نبيه عن جميع الشرائع وقوانين أهل الافك والبهتان . فما وافقها فهو العدل كما قال تعالى (فان جاؤك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين)[1] قال تعالى (فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق)[2] فأمره أن يحكم بينهم بالقسط وأن يحكم بما أنزل الله فدل ذلك على أن القسط هو ما أنزل الله ولذلك قال الله تعالى (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط)[3]. وما خالفها فهو عين الظلم والبغى والعدوان وإن ظن انه عدل ومصلحة قال الله تعالى (تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون)[4] وقال تعالى (تلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه)[5] وقال تعالى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الظالمون)[6] * ولله در البوصيرى حيث قال في آيات القرآن *

وكالصراط وكالميزان معدلة * فالقسط من غيرها في الناس لم يقم

ثم الشرع الذي أنزل الله ويجب على حكام المسلمين العمل به كما انه عدل كله رحمة كله ومصلحة كله وحكمة كله فكل مسألة خرجت عن العدل الى الجور وعن الرحمة الى ضدها وعن المصلحة الى المفسدة وعن الحكمة الى العبث فليست من الشرع وان أدخلت فيه بشبهة * فليس في الشرع ظلم أو قسوة أو عبث أصلا بل

١ ـ المائدة ٤٢
٢ ـ المائدة ٤٨
٣ ـ الحديد ٢٥
٤ ـ البقرة ٢٢٩
٥ ـ الطلاق ١
٦ ـ المائدة ٤٥

حكم الله أحسن الاحكام كما قال تعالى (ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون) فكل من حكم بما أنزل الله فقد حكم بالعدل وكل من حكم بغيره فقد ظلم : ومن لم يعتقد وجوب الحكم بما انزل الله على رسوله واستحل ان يحكم بين الناس بما يراه هو عدلا من غير اتباع لما أنزل الله فهو كافر فانه لا عبرة بمايراه عدلا من غير ان يكون موافقا لما انزل الله إذ مامن أمة الا وهي تأمر بالحكم بالعدل لكن قد يكون العدل في دينها مارآه اكابرهم بل كثير من المنتسبين الى الاسلام يحكمون بعاداتهم الجارية بينهم التي لم ينزلها الله كسوالف البادية وكاوامر المطاعين فيهم ويرون ان هذا هو الذي ينبغي الحكم به دون الكتاب والسنة وهذا هو الكفر . فهؤلاء اذا عرفوا انه لا يجوز الحكم إلا بما أنزل الله فلم يلتزموا ذلك بل استحلوا أن يحكموا بخلاف ما أنزل الله فهم كفار والا كانوا جها لا ضلالا يعلمون ٭

والحاصل ان الحكم بالعدل واجب مطلقا في كل زمان ومكان على كل أحد ولكل احد : والحكم بما انزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم هو أكمل أنواع العدل وأحسنها والحكم به واجب على النبي صلى الله عليه وسلم وكل من اتبعه ومن لم يلتزم حكم الله ورسوله فهو كافر ومن اعتقد ان يحكم بين الناس بقول اي احد كان ولا يحكم بينهم بالكتاب والسنة فهو كافر وظالم لنفسه ولغيره من المحكوم له وعليه ولله حسن الختام ٭

وجملة القول أنا معشر أهل الايمان والقرآن لا يجوز لنا أن نتبع قانونا سوى قانون ربنا تبارك وتعالى ولا نرضاه ولا نقبله بل هو رد على ما جاء به بحكم الله ورسوله ٭

هذا ما وجب علينا كتابنه شرعا بحكم وجوب أداء الامانة التي ائتمننا الله عليها معشر أهل العلم وما علينا إلا البلاغ. ان أريد إلا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب ٭ وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيراً آمين والحمد لله رب العالمين ٭

(تمت الرسالة)

١ ـ المائدة ٥٠

رسالة

في اثبات الاستواء والفوقية

— ومسألة —

الحرف والصوت في القرآن المجيد

وتنزيه الباري عن الحصر والتمثيل والكيفية

للشيخ العالم العلامة أبي محمد عبد الله بن يوسف الجويني

والد امام الحرمين توفي سنة ٤٣٨ هـ(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد

الحمد لله الذي كان . ولا مكان . ولا انس . ولا جان . ولا طائر . ولا حيوان . المنفرد بوحدانيته في قدم ازليته والدايم في فردانيته في قدس صمدانيته .

---

(١) اقول ترجمه العلامة تاج الدين السبكي في طبقاته وأختصر منهـا مايهم القراء فأقول هو الشيخ ابو محمد الجويني والد امام الحرمين أوحد زمانه علماً وزهداً وتقشفاً زائدا وتحريا في العبادات كان يلقب بركن الاسلام له المعرفة التامة بالفقه والاصول والنحو والتفسير والادب وكان لفرط الديانة لايجري بين يديه الا الجد والكلام اما في علم أو زهد وتحريض على التحصيل : قال الامام القشيري كان المتأخرون في عصره والمحققون من أصحابنا يعتقدون فيه من الكمال والفضل والخصال الحميدة انه لو جاز ان يبعث الله نبياً في عصره لما كان الا هو من حسن طريقته وزهده وكمال فضله : وقال شيخ الاسلام الصابوني في حقه لو كان الجويني من بني اسرائيل لنقل الينا شمائله ولافتخروا به : وقد شرع في كتاب سماه المحيط عزم فيه على عدم التقيد بالمذهب وان يقف على مورد الاحاديث لا يتعداها ويتجنب جانب العصبية للمذاهب : وقد صنف تفسيراً كبيرا يشتمل على عشرة أنواع من العلوم في كل آية : وهذه النسخة وجدت في رواق الشام بدون تاريخ نسخها

ليس له سمي ولا وزير. ولا شبيه ولا نظير. المتفرد بالخلق والتصوير. المتصرف بالمشيئة والتقدير. (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)[١] له الرفعة والعلاء. والحمد والثناء والعلو والاستواء. لاتحصره الاجسام. ولا تصوره الاوهام ولاتقله الحوادث ولا الاجرام ولا تحيط به العقول ولا الافهام. له الاسماء الحسنى والشرف الاتم الاسنى والدوام الذى لا يبيد ولا يفنى. نصفه بما وصف به نفسه من الصفات التي توجب عظمته وقدسه. مما أنزله في كتابه وبينه رسوله صلى الله عليه وسلم في خطابه. ونؤمن بأنه الله الذى لا إله إلا هو الحي القيوم السميع البصير العليم القدير الرحمن الرحيم الملك القدوس العظيم لطيف خبير قريب مجيب متكلم شاء مريد فعال لما يريد يقبض ويبسط ويرضى ويغضب ويحب ويبغض ويكره ويضحك ويأمر وينهى ذو الوجه الكريم والسمع السميع والبصر البصير والكلام المبين واليدين والقبضتين والقدرة والسلطان والعظمة والامتنان لم يزل كذلك ولا يزال. استوى على عرشه فبان من خلقه لايخفى عليه منهم خافية. علمه بهم محيط وبصره بهم نافذ وهو في ذاته وصفاته لايشبهه شيء من مخلوقاته ولايمثل بشيء من جوارح مبتدعاته. هي صفات لائقة بجلاله وعظمته لاتتخيل كيفيتها الظنون ولا تراها في الدنيا العيون بل نؤمن بحقائقها وثبوتها واتصاف الرب تعالى بها وننفي عنها تأويل المتأولين وتعطيل الجاحدين وتمثيل المشبهين تبارك الله أحسن الخالقين فبهذا الرب نؤمن وإياه نعبد وله نصلي ونسجد فمن قصد بعبادته الى اله ليست له هذه الصفات فانما يعبد غير الله وليس معبوده ذلك باله فكفرانه لاغفرانه.

ونشهدان لااله الا الله وحده لاشريك له وان محمداً صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله اصطفاه لرسالته واختاره لبريته وأنزل عليه كتابه المبين الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أكرم الآل وأفضل العبيد

وبعد فهذه نصيحة كتبتها الى اخواني في الله أهل الصدق والصفاء والاخلاص الوفاء لماتعين علي من محبتهم في الله ونصيحتهم في صفات الله عز وجل

[١] الشورى ١١

فان المرء لايكمل ايمانه حتى يحب لاخيه مايحبه لنفسه وفي الصحيح عن جرير بن عبد الله البجلي قال بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة وايتاء الزكاة والنصح لكل مسلم. وعن تميم الداري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال «الدين النصيحة ثلاثا قال لمن قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم» أعرفهم أيدهم الله تعالى بتأييده ووفقهم لطاعته ومزيده انى كنت برهة من الدهر متحيراً في ثلاث مسائل مسئلة الصفات ومسئلة الفوقية ومسئلة الحرف والصوت في القرآن المجيد وكنت متحيراً في الاقوال المختلفة الموجودة في كتب أهل العصر في جميع ذلك من تأويل الصفات وتحريفها أو امرارها والوقوف فيها أو اثباتها بلا تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل فأجد النصوص في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ناطقة منبئة بحقائق هذه الصفات وكذلك في اثبات العلو والفوقية وكذلك في الحرف والصوت. ثم أجد المتأخرين من المتكلمين في كتبهم منهم من يؤول الاستواء بالقهر والاستيلاء ويؤول النزول بنزل الامر ويؤول اليدين بالقدرتين أو النعمتين ويؤول القدم بقدم صدق عند ربهم وأمثال ذلك ثم أجدهم مع ذلك يجعلون كلام الله تعالى معنى قائما بالذات بلاحرف ولاصوت ويجعلون هذه الحروف عبارة عن ذلك المعنى القائم

وممن ذهب الى هذه الاقوال وبعضها قوم لهم فى صدري منزلة مثل طائفة من فقهاء الاشعرية الشافعيين لأني على مذهب الشافعي رضى الله تعالى عنه عرفت فرائض دينى وأحكامه فأجد مثل هؤلاء الشيوخ الاجلة يذهبون الى مثل هذه الاقوال وهم شيوخي ولي فيهم الاعتقاد التام لفضلهم وعلمهم ثم انى مع ذلك أجد في قلبي من هذه التأويلات حزازات لا يطمئن قلبي اليها واجد الكدر والظلمة منها وأجد ضيق الصدر وعدم انشراحه مقروناً بها فكنت كالمتحير المضطرب في تحيره المتململ من قلبه في تقلبه وتغيره

وكنت أخاف من اطلاق القول باثبات العلو والاستواء والنزول مخافة الحصر والتشبيه ومع ذلك فاذا طالعت النصوص الواردة فى كتاب الله وسنة رسوله

صلى الله عليه وسلم أجدها نصوصاً تشير الى حقائق هذه المعاني وأجد الرسول صلى الله عليه وسلم قد صرح بها مخبراً عن ربه واصفاً له بها وأعلم بالاضطرار انه صلى الله عليه وسلم كان يحضر في مجلسه الشريف والعالم والجاهل والذكي والبليد والاعرابي والجافي ثم لا اجد شيئاً يعقب تلك النصوص التي كان يصف ربه بها لا نصاً ولا ظاهراً مما يصرفها عن حقائقها ويؤولها كما تأولها هؤلاء مشايخي الفقهاء المتكلمين مثل تأويلهم الاستيلاء بالاستواء ونزول الامر للنزول وغير ذلك ولم اجد عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يحذر الناس من الايمان بما يظهر من كلامه في صفته لديه من الفوقية واليدين وغيرها ولم ينقل عنه مقالة تدل على ان لهذه الصفات معاني اخر باطنة غير مايظهر من مدلولها مثل فوقية المرتبة (١) ويد النعمة والقدرة وغير ذلك وأجد الله عز وجل يقول (الرحمن على العرش استوى)[1] (خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش)[2] (يخافون ربهم من فوقهم)[3] (اليه يصعد الكلم الطيب)[4] (أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور أم أمنتم أن يرسل عليكم حاصبا)[5] (قل نزله روح القدس من ربك)[6] (وقال فرعون ياهامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الاسباب أسباب السموات فاطلع الى إله موسى واني لأظنه كاذبا)[7] وهذا يدل على ان موسى أخبره بأن ربه تعالى فوق السماء ولهذا قال واني لاظنه كاذبا وقوله تعالى (ذي المعارج تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة)[8] الآية : ثم اجد الرسول صلى الله عليه وسلم لما اراد الله تعالى ان يخصه بقربه عرج به من سماء الى سماء حتى كان قاب قوسين أو أدنى ثم قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح للجارية « أين الله فقالت في السماء » فلم ينكر عليها بحضرة أصحابه كيلا (٢) يتوهموا ان الامر على خلاف ماهو عليه بل أقرها وقال اعتقها فانها مؤمنة : وفي حديث جبير بن مطعم قال قال النبي صلى الله عليه وسلم « ان الله فوق عرشه فوق سمواته وسمواته فوق أرضه مثل القبة وأشار النبي صلى الله عليه

١ ـ طه ٥
٢ ـ الحديد ٤
٣ ـ النحل ٥٠
٤ ـ فاطر ١٠
٥ ـ الملك ١٦ـ١٧
٦ ـ النحل ١٠٢
٧ ـ غافر ٣٦ـ٣٧
٨ ـ المعارج ٣ـ٤

(١) لعله القهرية (٢) علة النفي قبله

وسلم بيده مثل القبة » وقوله صلى الله عليه وسلم « الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا أهل الارض يرحمكم من فى السماء » أخرجه الترمذى وقال حسن صحيح وعن معاوية بن الحكم السلمى قلت يارسول الله « أفلاأعتقها قال ادعها فدعوتها قال فقال لها اين الله قالت فى السماء قال من أنا قالت أنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعتقها فانها مؤمنة » (١) رواه مسلم ومالك في موطئه . وعن أبى الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من اشتكى منكم شيئا أو اشتكى أخ له فليقل ربنا الله الذى فى السماء تقدس اسمك أمرك فى السماء والارض كما رحمتك في السماء اغفر لنا حوبنا وخطايانا انت رب الطيبين أنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على الوجع فيبرأ » اخرجه ابوداود: وعن ابى سعيد الخدرى قال بعث علي من اليمن بذهيبة في اديم مقروظ (٢) لم تحصل من ترابها فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اربعة زيد الخير والاقرع بن حابس . وعيينة ابن حصن وعلقمة بن علاثة أو عامر بن الطفيل شك عمارة فوجد من ذلك بعض اصحابه والانصار وغيرهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الا تأمنوني وانا أمين من في السماء يأتيني خبر من في السماء صباحا ومساء » اخرجه البخارى ومسلم وعن ابن ابى ذئب عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم « قال ان الميت تحضره الملائكة فاذا كان الرجل الصالح قالوا أخرجي أيتها النفس الطيبة كانت فى الجسد الطيب أخرجي حميدة وابشرى بروح وريحان ورب غير غضبان فلا يزال يقال لها ذلك حتى

---

(١) ولفظ الحديث هكذا « كانت لي غنم بين احد والجوانية فيها جارية لي فأطلعتها ذات يوم فاذا الذئب قد ذهب منها بشاة وأنا رجل من بنى آدم فأسفت فصككتها فاتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فذكرت ذلك له فعظم ذلك علي فقلت يارسول الله أفلا اعتقها قال ادعها فدعوتها فقال لها أين الله قالت فى السماء قال من أنا قالت أنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال اعتقها فانها مؤمنة » خرجه مسلم وأبو داود والنسائي

(٢) قوله «بذهيبة» تصغير ذهبة وفي رواية مسلم بذهبة بغير تصغير : وقوله مقروظ أي مدبوغ بالقرظ : وقوله لم تحصل أي لم تخلص من تراب المعدن فكأنها كانت تبراً وتخليصها بالسبك .

تخرج ثم يعرج بها الى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا فيقول فلان فيقولون مرحباً بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب أدخلي حميدة وابشري بروح وريحان ورب غير غضبان فلايزال يقال ذلك حتى تنتهي الى السماء التي فيها الله عزوجل» الحديث (١) :— وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «والذى نفسي بيده مامن رجل يدعو امرأته الى فراشها فتأبى عليه الا كان الذى في السماء ساخطاً عليها حتى يرضي عنها» أخرجه البخاري ومسلم: ابو داود حدثنا محمد بن الصباح حدثنا الوليد ابن ابي ثور عن سماك عن عبد الله بن عميرة عن الاحنف ابن قيس عن العباس بن عبد المطلب قال كنت في البطحاء في عصابة فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فمرت بهم سحابة فنظر اليها فقال ما تسمون هذه قالوا السحاب قال والمزن قالوا والمزن قال والعنان قالوا والعنان قال هل تدرون ما بعد ما بين السماء والارض قالوا لاندرى قال ان بعد ما بينهما إما واحدة وإما اثنتان أو ثلاثة وسبعون سنة ثم السماء فوق ذلك حتى عدّ سبع سموات ثم فوق السماء السابعة بحر بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء الى سماء ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين اظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء الى سماء ثم على ظهورهم العرش أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء الى سماء ثم الله عز وجل فوق ذلك(٢)» قال الامام الحافظ عبد الغنى في عقيدته لما ذكر حديث الاوعال قال رواه ابو داود والترمذي وابن ماجه وقال حديث الروح رواه احمد والدارقطني: وعن ابي هريرة قال « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله كتب كتاباً قبل أن يخلق الخلق ان رحمتى سبقت غضبي فهو عنده فوق العرش » أخرجه البخاري ومسلم : محمد بن اسحاق عن معبد بن كعب بن مالك أن سعد بن معاذ لما حكم في قريظة قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد حكمت حكما حكم الله به من فوق

---

(١) رواه الامام احمد بن حنبل في مسنده والحاكم في مستدركه وقال هو على شرط البخاري ومسلم: (٢) الحديث حسنه الترمذي وهو ضعيف واعل بجهالة عبد الله بن عميرة

سبع أرقعة (١) » وحديث المعراج عن أنس بن مالك ان مالك بن صعصعة حدثه ان نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة اسرى به وساق الحديث الى ان قال «ثم فرضت علي الصلاة خمسين صلاة كل يوم فرجعت فمررت على موسى فقال بم أمرت قال أمرت بخمسين صلاة كل يوم قال ان أمتك لا تستطيع خمسين صلاة واني قد خبرت الناس قبلك وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك واسأله التخفيف لأمتك قال فرجعت فوضع عنى عشراً فرجعت إلى موسى فقال مثل ذلك فرجعت الى ربى فوضع عنى عشراً خمس مرات في كلها يقول فرجعت الى موسى ثم رجعت الى ربى» اخرجه البخاري ومسلم: وحديث أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج اليه الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادى» متفق عليه: وعن ابن عمر قال « لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليه ابو بكر رضي الله تعالى عنه فأكب عليه وقبل جبهته وقال بأبى أنت وأمي طبت حياً وميتاً وقال من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حيّ لا يموت» (٢)

حلو ثنا وتسفلنا هو فوقنا فاذا أشرنا اليه تقع الاشارة عليه كما يليق به لا كما نتوهمه في الفوقية المنسوبة الى الاجسام لكننا نعلمها من جهة الاجمال والثبوت لا من جهة التمثيل والتكييف والله الموفق للصواب ومن عرف هيئة العالم ومركزه من علم الهيئة وأنه ليس له الا جهتا العلو والسفل ثم اعتقد بينونة خالقه عن العالم فمن لوازم البينونة أن يكون فوقه لان جميع جهات العالم فوق وليس السفل الا المركز وهو الوسط

---

(١) قال الحافظ الذهبي في كتابه العلو بعد ما اورد هذا الحديث هذا مرسل

(٢) هنا سقط في الاصل لم نهتد اليه من نسخ أخرى فمن عثر على نسخة اخرى فيها النقص فليثبته وله الفضل :

فصل

اذا علمنا ذلك واعتقدناه تخلصنا من شبه التأويل وعماوة التعطيل وحماقة التشبيه والتمثيل واثبتنا علو ربنا سبحانه وفوقيته واستواءه على عرشه كما يليق بجلاله وعظمته والحق واضح فى ذلك والصدور تنشرح له فان التحريف تأباه العقول الصحيحة مثل تحريف الاستواء بالاستيلاء وغيره والوقوف في ذلك جهل وعي مع كون ان الرب تعالى وصف لنا نفسه بهذه الصفات لنعرفه بها فوقوفنا عن اثباتها ونفيها عدول عن المقصود منه فى تعريفنا اياها فما وصف لنا نفسه بها الا لنثبت ماوصف به نفسه لنا ولانقف في ذلك وكذلك التشبيه والتمثيل حماقة وجهالة فمن وفقه الله تعالى للاثبات بلا تحريف ولاتكييف ولا وقوف فقد وقع على الامر المطلوب منه ان شاء الله تعالى

فصل

والذي شرح الله صدرى في حال هؤلاء الشيوخ الذين أولوا الاستواء بالاستيلاء والنزول بنزول الامر واليدين بالنعمتين والقدرتين هو علمي بأنهم مافهموا في صفات الرب تعالى الا مايليق بالمخلوقين فما فهموا عن الله استواء يليق به ولانزولا يليق به ولايدين تليق بعظمته بلاتكييف ولاتشبيه فلذلك حرفوا الكلم عن مواضعه وعطلوا ماوصف الله تعالى نفسه به ونذكر بيان ذلك ان شاء الله تعالى

لاريب انا نحن وإياهم متفقون على اثبات صفات الحياة والسمع والبصر والعلم والقدرة والارادة والكلام لله ونحن قطعاً لانعقل من الحياة الا هذا العرض الذي يقوم بأجسامنا وكذلك لانعقل من السمع والبصر الا أعراضا تقوم بجوارحنا فكما أنهم يقولون حياته ليست بعرض وعلمه كذلك وبصره

كذلك هي صفات كما تليق به لا كما تليق بنا فكذلك نقول نحن حياته معلومة وليست مكيفة وعلمه معلوم وليس مكيفا وكذلك سمعه وبصره معلومان ليس جميع ذلك اعراضا بل هو كما يليق به

ومثل ذلك بعينه فوقيته واستواؤه ونزوله ففوقيته معلومة اعنى ثابتة كثبوت حقيقة السمع وحقيقة البصر فانهما معلومان ولايكيفان كذلك فوقيته معلومة ثابتة غير مكيفة كما يليق به واستواؤه على عرشه معلوم غير مكيف بحركة أوانتقال يليق بالمخلوق بل كما يليق بعظمته وجلالة صفاته معلومة من حيث الجملة والثبوت غير معقولة من حيث التكييف والتحديد فيكون المؤمن بها مبصراً من وجه أعمى من وجه مبصراً من حيث الاثبات والوجود اعمى من حيث التكييف والتحديد وبهذا يحصل الجمع بين الاثبات لما وصف الله تعالى نفسه به وبين نفي التحريف والتشبيه والوقوف وذلك هو مراد الرب تعالى منا في ابراز صفاته لنا لنعرفه به ونؤمن بحقائقها وننفي عنها التشبيه ولا نعطلها بالتحريف والتأويل ولافرق بين الاستواء والسمع ولا بين النزول والبصر الكل ورد في النص

فان قالوا لنا في الاستواء شبهتم نقول لهم في السمع شبهتم ووصفتم ربكم بالعرض فان قالوا لاعرض بل كما يليق به قلنا في الاستواء والفوقية لاحصر بل كما يليق به فجميع مايلزمونا به في الاستواء والنزول واليد والوجه والقدم والضحك والتعجب من التشبيه نلزمهم به في الحياة والسمع البصر والعلم فكما لايجعلونها هم اعراضا كذلك نحن لانجعلها جوارح ولا مايوصف به المخلوق وليس من الانصاف أن يفهموا في الاستواء والنزول والوجه واليد صفات المخلوقين فيحتاجوا الى التأويل والتحريف

فان فهموا في هذه الصفات ذلك فيلزمهم أن يفهموا في الصفات السبع صفات المخلوقين من الاعراض فما يلزمونا في تلك الصفات من التشبيه والجسمية نلزمهم به في هذه الصفات من العرضية ومايبزهوا ربهم به في الصفات السبع وينفون عنه عوارض الجسم فيها فكذلك نحن نعمل في تلك الصفات التي ينسبونا فيها الى

التشبيه سواء بسواء. ومن انصف عرف ماقلنا واعتقده وقبل نصيحتنا ودان لله باثبات جميع صفاته هذه وتلك ونفى عن جميعها التشبيه والتعطيل والتأويل والوقوف وهذا مراد الله تعالى منا في ذلك لان هذه الصفات وتلك جاءت فى موضع واحد وهو الكتاب والسنة فاذا اثبتنا تلك بلا تأويل وحرفنا هذه وأولناها كنا كمن آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض وفي هذا بلاغ وكفاية ان شاء الله تعالى

فصل

واذا ظهر هذا وبان انجلت الثلاث مسائل بأسرها وهى مسألة الصفات من النزول واليد والوجه وأمثالها ومسئلة العلو والاستواء ومسئلة الحرف والصوت: أما مسألة العلو فقد قيل فيها مافتحه الله تعالى وأما مسألة الصفات فتساق مساق مسألة العلو ولا نفهم منها مانفهم من صفات المخلوقين بل يوصف الرب تعالى بها كما يليق بجلاله وعظمته فتنزل كما يليق بجلاله وبعظمته ويداه كما تليق بجلاله وعظمته ووجهه الكريم كما يليق بجلاله وعظمته فكيف ننكر الوجه الكريم ونحرف وقد قال صلى الله عليه وسلم في دعائه « أسألك لذة النظر الى وجهك» واذا ثبتت صفة الوجه بهذا الحديث وبغيره من الآيات والنصوص فكذلك صفة اليدين والضحك والتعجب ولا يفهم من جميع ذلك الا مايليق بالله عز وجل وبعظمته لا مايليق بالمخلوقات من الأعضاء والجوارح تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً

واذا ثبت هذا الحكم في الوجه فكذلك فى اليدين والقبضتين والقدم والضحك والتعجب كل ذلك كما يليق بجلال الله تعالى وعظمته فيحصل بذلك اثبات ماوصف الله تعالى نفسه به فى كتابه وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ويحصل أيضا نفي التشبيه والتكييف في صفاته ويحصل أيضا ترك التأويل والتحريف المؤدى الى التعطيل ويحصل أيضا بذلك عدم الوقوف باثبات الصفات

وحقائقها على مايليق بجلال الله تعالى وعظمته لا على مانعقله نحن من صفات المخلوقين

وأما مسألة الحرف والصوت فتساق هذا المساق فان الله تعالى قد تكلم بالقرآن المجيد وبجميع حروفه فقال تعالى (الم) وقال (المص) وقال (ق والقرآن المجيد) وكذلك جاء في الحديث« فينادي يوم القيامة بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب » وفي الحديث« لااقول الم حرف ولكن الف حرف لام حرف ميم حرف »فهؤلاء مافهموا من كلام الله تعالى الا مافهموه من كلام المخلوقين فقالوا ان قلنا بالحروف فان ذلك يؤدي الى القول بالجوارح واللهوات(١) وكذلك اذا قلنا بالصوت أدى ذلك الى الحلق والحنجرة عملوا في هذا من التخبط كما عملوا فيما تقدم من الصفات

والتحقيق هو ان الله تعالى قد تكلم بالحروف كما يليق بجلاله وعظمته فانه قادر والقادر لايحتاج الى جوارح ولا الى لهوات وكذلك له صوت كما يليق به يسمع ولايفتقر ذلك الصوت المقدس الى الحلق والحنجرة كلام الله تعالى كما يليق به وصوته كما يليق به ولاننفي الحرف والصوت عن كلامه سبحانه لافتقارهما منا الى الجوارح واللهوات فانهما من جناب الحق تعالى لايفتقران الى ذلك وهذا ينشرح الصدر له ويستريح الانسان به من التعسف والتكلف بقوله هذا عبارة عن ذلك

فان قيل فهذا الذي يقرأه القارىء هو عين قراءة الله تعالى وعين تكلمه هو * قلنا لا بل القارىء يؤدي كلام الله تعالى والكلام انما ينسب الى من قاله مبتدياً لا الى من قاله مؤديا مبلغا ولفظ القارىء في غير القرآن مخلوق وفي القرآن لايتميز اللفظ المؤدي عن الكلام المؤدي عنه ولهذا منع السلف عن قول لفظي بالقرآن مخلوق لانه لايتميز كما منعوا عن قول لفظي بالقرآن غير مخلوق فان لفظ العبد في غير التلاوة مخلوق وفي التلاوة مسكوت عنه كيلا يؤدي الكلام في ذلك الى القول بخلق القرآن وما أمر السلف بالسكوت عنه يجب السكوت عنه والله الموفق

(١) اللهوات جمع لهاة وهي اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى الفم : ويجمع ايضاً على لهى ولهات :

فصل

العبد اذا أيقن ان الله تعالى فوق السماء عال على عرشه بلاحصر ولا كيفية وانه الآن في صفاته كما كان في قدمه صار لقلبه قبلة في صلاته وتوجهه ودعائه ومن لايعرف ربه بأنه فوق سماواته على عرشه فانه يبقى ضائعا لايعرف وجهة معبوده لكن لو عرفه بسمعه وبصره وقدمه وتلك بلاهذا معرفة ناقصة بخلاف من عرف ان إلهه الذي يعبده فوق الاشياء فاذا دخل في الصلاة وكبر توجه قلبه الى جهة العرش منزها ربه تعالى عن الحصر مفرداً له كما افرده في قدمه وأزليته عالمًا ان هذه الجهات من حدودنا ولوازمنا ولايمكننا الاشارة الى ربنا فى قدمه وأزليته الا بها لأنا محدثون والمحدث لابدله في اشارته الى جهة فتقع تلك الاشارة الى ربه كما يليق بعظمته لا كما يتوهمه هو من نفسه ويعتقد انه في علوه قريب من خلقه هو معهم بعلمه وسمعه وبصره واحاطته وقدرته ومشيئته وذاته فوق الاشياء فوق العرش ومتى شعر قلبه بذلك في الصلاة أو التوجه أشرق قلبه واستنار وأضاء بأنوار المعرفة والايمان وعكسته أشعة العظمة على عقله وروحه ونفسه فانشرح لذلك صدره وقوى ايمانه ونزه ربه عن صفات خلقه من الحصر والحلول وذاق حينذاك شيئا من اذواق السابقين المقربين بخلاف من لايعرف وجهة معبوده وتكون الجارية راعية الغنم أعلم بالله منه فانها قالت فى السماء عرفته بأنه على السماء فان في تأتي بمعنى على كقوله تعالى (يتيهون في الارض) أي على الارض : وقوله (لاصلبنكم في جذوع النخل) أي على جذوع النخل فمن تكون الراعية اعلم بالله منه لكونه لايعرف وجهة معبوده فانه لايزال مظلم القلب لايستنير بأنوار المعرفة والايمان ومن أنكر هذا القول فليؤمن به وليجرب ولينظر الى مولاه من فوق عرشه بقلبه مبصراً من وجه اعمى من وجه كما سبق مبصراً من جهة الاثبات والوجود والتحقيق أعمى من جهة التحديد والحصر والتكييف فانه اذا عمل ذلك وجد ثمرته ان شاء الله تعالى ووجد نوره وبركته عاجلا وآجلا (ولاينبؤك مثل خبير) والله سبحانه الموفق والمعين

فصل

في تقريب مسألة الفوقية من الافهام بمعنى من علم الهيئة لمن عرفه: لا ريب أن أهل هذا العلم حكموا بما اقتضته الهندسة وحكمها صحيح لانه ببرهان لايكابر الحس فيه بأن الارض في جوف العالم العلوى وأن كرة الارض في وسط السماء كبطيخة في جوف بطيخة والسماء محيطة بها من جميع جوانبها وان سفل العالم هو جوف كرة الارض وهو المركز ونحن نقول جوف الارض السابعة وهم لا يذكرون السابعة لان الله تعالى أخبرنا عن ذلك وهم لا يعرفون ذلك وهذه القاعدة عندهم هي ضرورية لا يكابر الحس فيها ان المركز هو جوف كرة الارض وهو منتهى السفل والتحت وما دونه لا يسمي تحتاً بل لا يكون تحتاً ويكون فوقا بحيث لو فرضنا خرق المركز وهو سفل العالم الى تلك الجهة لكان الخرق الى جهة فوق ولو نفذ الخرق جهة السماء من تلك الجهة الاخرى لصعد الى جهة فوق

وبرهان ذلك انا لو فرضنا مسافراً سافر على كرة الارض من جهة المشرق الى جهة المغرب وامتد مسافر المشي على الكرة الى حيث ابتدأ بالسير وقطع الكرة مما يراه الناظر أسفل منه وهو في سفره هذا لم تبرح الارض تحته والسماء فوقه فالسماء التى يشهدها الحس تحت الارض هى فوق الارض لا تحتها لان السماء فوق الارض بالذات فكيف كانت السماء كانت فوق الارض من أى جهة فرضتها ومن أراد معرفة ذلك فليعلم أن كرة الارض النصف الاعلا منها ثقله على المركز والنصف الاسفل منها ثقله على النصف الاعلا أيضا الى جهة المركز والنصف الاسفل هو أيضا فوق النصف الاعلا كما أن النصف الاعلا فوق النصف الاسفل ولفظ الاسفل فيه مجاز بحسب ما يتخيل للناظر وكذلك كرة الماء محيطة بكرة الارض إلا سدسها والعمران على ذلك السدس والماء فوق الارض كيف كان وان كنا نرى الارض مدحية على الماء فان الماء فوقها وكذلك كرة الهواء محيطة بكرة الماء وهى فوقها واذا كان الامر كذلك فالسماء التى تحت النصف الاسفل

من كرة الارض هى فوقه لا تحته لان السماء على الارض كيف كانت فعلوها على الارض بالذات فقط لا تكون تحت الارض بوجه من الوجوه واذا كان هذا جسم وهو السماء علوها على الارض بالذات فكيف من ليس كمثله شيء وعلوه على كل شيء بالذات كما قال تعالى (سبح اسم ربك الاعلا) وقد تكرر في القرآن المجيد ذكر الفوقية (يخافون ربهم من فوقهم) (اليه يصعد الكلم الطيب) (وهو القاهر فوق عباده) لان فوقيته سبحانه وعلوه على كل شيء ذاتي له فهو العلي بالذات والعلو صفته اللائقة به كما أن السفول والرسوب والانحطاط ذاتي الاكوان عن رتبة ربوبيته وعظمته وعلوه والعلو والسفول حد بين الخالق والمخلوق يتميز به عنه هو سبحانه علي بالذات وهو كما كان قبل خلق الاكوان وما سواه مستقل عنه بالذات وهو سبحانه العلي على عرشه يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج الامر اليه فيحيي هذا ويميت هذا ويمرض هذا ويشفي هذا ويعز هذا ويذل هذا وهو الحي القيوم القائم بنفسه وكل شيء قائم به فرحم الله عبداً وصلت اليه هذه الرسالة ولم يعاجلها بالانكار وافتقر الى ربه فى كشف الحق آناء الليل والنهار وتأمل النصوص في الصفات وفكر بعقله فى نزولها وفى المعنى الذى نزلت له وما الذى أريد بعلمها من المخلوقات ومن فتح الله قلبه عرف أنه ليس المراد الا معرفة الرب تعالى بها والتوجه اليه منها واثباتها له بحقائقها وأعيانها كما يليق بجلاله وعظمته بلا تأويل ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل ولا جحود ولا وقوف وفي ذلك بلاغ لمن تدبر وكفاية لمن استبصر ان شاء الله تعالى والحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه وسلم والله سبحانه أعلم

(تمت الرسالة)

رسالة

نور اللمعة

في خصائص الجمعة

تأليف

العلامة المحدث الشيخ جلال الدين السيوطي

المتوفى سنة ٩١١ هـ رحمه الله



الحمد لله الذي خص هذه الامة المحمدية * بما ادخرلها من الفضائل السنية * والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير البرية (وبعد) فقد ذكر الاستاذ شمس الدين ابن القيم في كتاب الهدى ليوم الجمعة خصوصيات بضعاً وعشرين خصوصية وفاته اضعاف ماذكر : وقد رأيت استيعابها في هذه الكراسة منبهاً على أدلتها على سبيل الايجاز وتتبعتها فتحصلت منها على مائة خصوصية والله الموفق *

﴿ الخصوصية الأولى انه عيد هذه الأمة ﴾

أخرج ابن ماجه عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان هذا يوم عيد جعله الله للمسلمين فمن جاء الى الجمعة فليغتسل وان كان عنده طيب فليمس منه وعليكم بالسواك » وأخرج الطبراني في الأوسط عن ابي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في جمعة من الجمع « معاشر المسلمين ان هذا يوم جعله الله لكم عيداً فاغتسلوا وعليكم بالسواك »

﴿ الخصوصية الثانية انه يكره صومه منفرداً ﴾

لحديث الشيخين عن أبي هريرة رضي الله عنه «ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يصومن أحدكم يوم الجمعة إلا ان يصوم قبله أو بعده» وأخرجا عن جابر قال «نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن صوم يوم الجمعة» وأخرج البخاري عن جويرية أم المؤمنين رضى الله عنها «أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل عليها يوم الجمعة وهي صائمة فقال اصمت أمس قالت لا قال آترين ان تصومي غداً قالت لا قال فافطري» وأخرج الحاكم عن جنادة بن أبى امية الازدي قال «دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من الازد يوم الجمعة فدعانا الى طعام بين يديه فقلنا إنا صيام قال اصمتم أمس قلنا لا قال أفتصومون غداً قلنا لا قال فافطروا لا تصوموا يوم الجمعة منفرداً» وأخرج مسلم عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «لا تخصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي ولا تخصوا يوم الجمعة بصيام من بين الايام إلا ان يكون في صوم يصومه أحدكم» قال النووي الصحيح من مذهبنا وبه قطع الجمهور كراهة صوم يوم الجمعة منفرداً: وفي وجه انه لا يكره إلا لمن لو صامه منعه من العبادة وأضعفه لحديث احمد والترمذى والنسائى وغيرهم عن ابن مسعود «أن النبي صلى الله عليه وسلم قلما كان يفطر يوم الجمعة» وأجاب الاول عنه بأنه صلى الله عليه وسلم كان يصوم الخميس فوصل الجمعة به وواختلف في الحكمة التى كره صومه لاجلها والصحيح كما قال النووى انه كره لانه يوم شرع فيه عبادات كثيرة من الذكر والدعاء والقراءة والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فاستحب فطره ليكون اعون على أداء هذه الوظائف بنشاط من غير ملل ولا سآمة وهو نظير الحاج بعرفات فان الاولى له الفطر لهذه الحكمة: قال فان قيل لو كان كذلك لم تزل الكراهة بصوم قبله أو بعده لبقاء المعنى المذكور فالجواب انه يحصل له بفضيلة الصوم الذى قبله أو بعده ما يجبر به ما قد يحصل من فتور أو تقصير في وظائف يوم الجمعة بسبب صومه: وقيل الحكمة خوف المبالغة في تعظيمه بحيث يفتتن به كما افتتن قوم بالسبت. قال وهذا باطل منتقض بصلاة الجمعة وسائر ما شرع فيه من أنواع الشعائر والتعظيم مما ليس في غيره: وقيل الحكمة خوف

اعتقادوجوبه قيل وهذا منتقض بغيره من الايام التى ندب صومها. وهذا ماذكره النووي وحكي غيره قولا آخر ان علته كونه عيداً والعيد لا يصام واختاره ابن حجر وأيده بحديث الحاكم عن أبي هريرة مرفوعاً « يوم الجمعة يوم عيد فلا تجعلوا يوم عيدكم يوم صيامكم إلا أن تصوموا قبله أو بعده » وروى ابن أبي شيبة عن علي قال « من كان منكم متطوعا من الشهر فليصم يوم الخميس ولا يصوم يوم الجمعة فانه يوم طعام وشراب وذكر » وقال آخرون بل الحكمة مخالفة اليهود فانهم يصومون يوم عيدهم أى يفردونه بالصوم فنهى عن التشبه بهم كما خولفوا في يوم عاشوراء بصيام يوم قبله أو بعده وهذا القول هو المختار عندى لانه لاينتقض بشيء.

﴿ الخصوصية الثالثة انه يكره تخصيص ليلته بالقيام ﴾

للحديث السابق لكن أخرج الخطيب في الرواة عن مالك من طريق اسمعيل بن ابي أويس عن زوجته بنت مالك بن انس ان أباها مالكا كان يحيي ليلة الجمعة »

﴿ الخصوصية الرابعة قراءة الم تنزيل وهل أتى على الانسان في صبحها ﴾

أخرج الشيخان عن أبي هريرة قال « كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة الٓمٓ تنزيل السجدة وهل أتى على الانسان » وفي الباب عن ابن عباس وابن مسعود وعلي وغيرهم ولفظ ابن مسعود عند الطبراني يديم ذلك قيل والحكمة فى قراءتها الاشارة الى ما فيهما من ذكر خلق آدم وأحوال يوم القيامة لأن ذلك كان ويقع يوم الجمعة ذكره ابن دحية وقال غيره بل قصد السجود الزائد(١) وأخرج ابن أبي شيبة عن ابراهيم النخعى انه قال يستحب ان يقرأ في

---

(١) قال ابن القيم في الهدي ويظن كثير ممن لاعلم عنده ان المراد تخصيص هذه الصلاة بسجدة زائدة ويسمونها سجدة الجمعة واذا لم يقرأ احدهم هذه السورة استحب قراءة سورة اخرى فيها سجدة ولهذا كره من كره من الائمة المداومة على قراءة هذه السورة في فجر يوم الجمعة دفعاً لتوهم الجاهلين: وقال شيخ الاسلام ابن تيمية انما كان النبي صلى الله عليه وسلم وآله وسلم يقرأ هاتين السورتين في فجر الجمعة لانهما تضمنتا ما كان في يومها فانهما اشتملتا على خلق آدم وعلى ذكر المعاد وحشر العباد وذلك يكون يوم الجمعة وكان في هذا اليوم تذكير للامة بما كان فيه ويكون والسجدة جاءت تبعاً ليست مقصودة حتى يقصد المصلي قراءتها حيث اتفقت:

صبح يوم الجمعة بسورة فيها سجدة* وأخرج أيضاً عنه انه قرأ سورة مريم* وأخرج ابن عون قال كانوا يقرؤون فى الصبح يوم الجمعة بسورة فيها سجدة*

﴿ الخصوصية الخامسة ان صلاة صبحها أفضل الصلوات عند الله ﴾

أخرج سعيد بن منصور في سننه عن ابن عمر انه فقد جهان في صلاة الصبح فلما جاء قال ماشغلك عن هذه الصلاة أما علمت ان أوجه الصلاة عند الله غداة الجمعة من يوم الجمعة فى جماعة المسلمين* وأخرجه البيهقي في الشعب مصرحاً برفعه بلفظ «ان أفضل الصلوات عند الله صلاة الصبح يوم الجمعة في جماعة» وأخرج البزار والطبرانى عن أبي عبيدة بن الجراح قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مامن الصلوات صلاة أفضل من صلاة الفجر يوم الجمعة في الجماعة وما احسب من شهدها منكم إلا مغفوراً له

﴿ الخصوصية السادسة صلاة الجمعة ﴾

واختصاصها بركعتين وهى في سائر الايام اربع

﴿ الخصوصية السابعة أنها تعدل حجة ﴾

أخرج حميد بن زنجويه في فضائل الاعمال والحارث بن أبى أسامة في مسنده عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الجمعة حج المساكين» * وأخرج ابن زنجويه عن سعيد بن المسيب قال «الجمعة أحب الي من حجة تطوع» *

﴿ الخصوصية الثامنة الجهر فيها: وصلوات النهار سرية ﴾

﴿ الخصوصيه التاسعة قراءة الجمعة والمنافقين فيها ﴾

أخرج مسلم عن أبي هريرة قال «سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في الجمعة بسورة الجمعة واذا جاءك المنافقون» وأخرجه الطبراني في الاوسط بلفظ «بالجمعة يحرض بها المؤمنين» وفي الثانية «بسورة المنافقين يقزع بها المنافقين»

﴿ الخصوصية العاشرة والحادية عشرة والثانية عشرة والثالثة عشرة ﴾

اختصاصها بالجماعة وبأربعين وبمكان واحد من البلد وبأذن السلطان ندباً واشتراطاً لما هو مقرر في كتب الفقه :

وأقوى ما رأيته للاختصاص بأربعين ما أخرجه الدارقطني في سننه عن جابر ابن عبدالله رضي الله عنه قال «مضت السنة ان في كل أربعين فما فوق ذلك جمعة» (١)

﴿ الخصوصية الرابعة عشرة اختصاصها بارادة تحريق من تخلف عنها ﴾

أخرج الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين عن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لقوم يتخلفون عن الجمعة «لقد هممت ان آمر رجلا يصلي بالناس ثم احرق على قوم يتخلفون عن الجمعة بيوتهم»

﴿ الخصوصية الخامسة عشرة الطبع على قلب من تركها ﴾

أخرج مسلم عن ابن عمر وأبي هريرة قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات او ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين» وأخرج أبو داود والترمذى وحسنه والحاكم وصححه وابن ماجه عن أبي الجعد الضمرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من ترك ثلاث جمع تهاونا بها طبع الله على قلبه» وأخرج الحاكم وابن ماجه عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من ترك الجمعة ثلاثا من غير ضرورة طبع الله على قلبه» وأخرج سعيد بن منصور عن أبي هريرة قال «من ترك ثلاث جمع من غير علة طبع الله على قلبه وهو منافق» وأخرج عن ابن عمر «قال من ترك ثلاث جمع متعمداً من غير علة ختم الله على قلبه بخاتم النفاق» وأخرج الاصبهاني في الترغيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من ترك الجمعة من غير عذر لم يكن لها كفارة دون يوم القيامة» وأخرج عن سمرة «قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احضروا الجمعة وادنوا من الامام فان الرجل يتخلف عن الجمعة فيتخلف عن الجنة وانه لمن أهلها»

---

(١) أقول اخرجه ايضاً البيهقي وفيه عبد العزيز بن عبد الرحمن قال الامام احمد اضرب على حديثه فانها كذب اوموضوعة : وقال النسائي ليس بثقة وقال الدار قطني منكر الحديث : وقال ابن حبان لايجوز ان يحتج به : وقال البيهقي هذا الحديث لايحتج بمثله : واما ماذكره من المكان الواحد وأذن السلطان ندباً او أشد اما فالم يقم عليه دليل من كتاب ولا سنة وانما هو اجتهاد الفقهاء في ذلك وليس هنا محل بسطه :

(الخصوصية السادسة عشرة مشروعية الكفارة لمن تركها)

أخرج احمد وأبو داود والنسائي والحاكم وابن ماجه عن سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من ترك الجمعة من غير عذر فليتصدق بدينار فان لم يجد فبنصف دينار » وأخرج أبو داود عن قدامة بن وبرة قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فاتته الجمعة من غير عذر فليتصدق بدرهم أو نصف درهم أو صاع حنطة أو نصف صاع »

(الخصوصية السابعة عشرة الخطبة)*(الخصوصية الثامنة عشرة الانصات)

روى الشيخان عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا قلت لصاحبك انصت يوم الجمعة والامام يخطب فقد لغوت» وأخرج مسلم عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من توضأ يوم الجمعة فأحسن الوضوء ثم أتى الجمعة فاستمع وانصت غفرله مابينه وبين الجمعة وزيادة ثلاثة أيام ومن مس الحصى فقد لغا » وأخرج أبو داود عن عبدالله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من اغتسل يوم الجمعة ومس من طيب امرأته ان كان لها ولبس من صالح ثيابه ثم لم يتخط رقاب الناس ولم يلغ عند الموعظة كانت كفارة لما بينهما ومن لغا وتخطى رقاب الناس كانت له ظهراً » وأخرج ابن ماجه وسعيد بن منصور عن أبي بن كعب «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ يوم الجمعة سورة برآءة وهو قائم يذكر بأيام الله وابو الدرداء وأبو ذر يغمزني فقال متى أنزلت هذه السورة انى لم أسمعها الا الآن فأشار اليه أن اسكت فلما انصرفوا قال سألتك متى أنزلت هذه السورة فلم تخبرنى فقال أبى ليس من صلاتك اليوم الا ما لغوت فذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرذلك له وأخبره بالذى قال أبى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق أبي» وأخرج سعيد بن منصور عن أبى هريرة قال «لا تقل سبحان الله والامام يخطب يوم الجمعة»* وأخرج عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم «من تكلم يوم الجمعة والامام يخطب فهو كالحمار يحمل أسفاراً والذي يقول له أنصت ليس له جمعة»

﴿الخصوصية التاسعة عشرة تحريم الصلاة عند جلوس الامام على المنبر﴾

أخرج سعيد بن منصور عن سعيد بن المسيب قال خروج الامام يقطع الصلاة وكلامه يقطع الكلام * وأخرج عن ثعلبة بن ابى مالك قال كنا على عهد عمر بن الخطاب يوم الجمعة نصلى فاذا خرج عمر تحدثنا فاذا تكلم سكتنا* قال النووى في شرح المهذب فاذا جلس الامام على المنبر حرم ابتداء صلاة النافلة وان كان في صلاة خففها بالاجماع نقله الماوردي وغيره* قال البغوي سواء كان صلى السنة أم لا * قال النووى ويمتنع بمجرد جلوس الامام على المنبر ولا يتوقف على الأذان نص عليه الشافعي والاصحاب

﴿ فائدة ﴾ قال سعيد بن منصور حدثنا هشام أنبأني أبو معشر عن محمد بن قيس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أمر سليكا أن يصلى ركعتين أمسك عن الخطبة حتى فرغ منها

﴿الخصوصية العشرون * النهي عن الاحتباء وقت الخطبة ﴾

روى أبو داود والترمذى وحسنه والحاكم وصححه وابن ماجه عن معاذ ابن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الحبوة يوم الجمعة والامام يخطب * وأخرجه ابن ماجه من حديث ابن عمر * وقال أبو داود كان ابن عمر يحتبي والامام يخطب وكذلك أنس وجل الصحابة والتابعين قالوا لا بأس بها ولم يبلغنى أن أحداً كرهه الا عبادة بن نسي* وقال الترمذى كره قوم الحبوة وقت الخطبة ورخص فيها آخرون وقال النووى فى شرح المهذب لا تكره عند الشافعي ومالك واحمد والاوزاعى وأصحاب الرأى وغيرهم وكرهها بعض أهل الحديث للحديث المذكور وقال الخطابى والمعنى أنها تجلب النوم فيعرض طهارته للنقض وتمنع من استماع الخطبة

﴿ الخصوصية الحادية والعشرون * نفي كراهة النافلة وقت الاستواء ﴾

أخرج أبو داود عن أبي قتادة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كره الصلاة نصف النهار الا يوم الجمعة وقال ان جهنم تسجر الا يوم الجمعة

﴿ الخصوصية الثانية والعشرون * لا تسجر جهنم في يومها ﴾ للحديث المذكور

﴿ الخصوصية الثالثة والعشرون استحباب الغسل لها ﴾

روى الشيخان عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من جاء منكم الجمعة فليغتسل » وأخرجا عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « غسل الجمعة واجب على كل محتلم » وأخرج الحاكم عن أبي قتادة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من اغتسل يوم الجمعة كان في طهارة الى الجمعة الاخرى » وأخرج الطبراني عن أبي بكر الصديق وعمران بن حصين قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من اغتسل يوم الجمعة كفرت عنه ذنوبه وخطاياه فاذا أخذ في المشي كتب له بكل خطوة عشرون حسنة فاذا انصرف من الصلاة أجيز بعمل مائتي سنة » وأخرج بسند رجاله ثقات عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان الغسل يوم الجمعة ليستل الخطايا من أصول الشعر استلالا »

﴿ الخصوصية الرابعة والعشرون ان للجماع فيه أجرين ﴾

أخرج البيهقي في الشعب بسند ضعيف عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أيعجز أحدكم ان يجامع أهله في كل جمعة فان له أجرين اثنين أجر غسله وأجر غسل امرأته » وأخرج سعيد بن منصور في سننه عن مكحول انه سئل عن الرجل يغتسل من الجنابة يوم الجمعة قال من فعل ذلك كان له أجران .

﴿ الخصوصية الخامسة والعشرون الى التاسعة والعشرين ﴾

(استحباب السواك والطيب والدهن وازالة الظفر والشعر)

أخرج الشيخان عن أبي سعيد الخدرى قال اشهد على رسول الله صلى الله

عليه وسلم أن الغسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم وان يستن وان يمس طيباً ان وجد * وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن رجل من الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ثلاث حق على كل مسلم الغسل يوم الجمعة والسواك ويمس من طيب ان كان » وأخرج البخارى عن سلمان قال قال النبي صلى الله عليه وسلم «لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من طهر ويتدهن من دهنه ويمس من طيب بيته ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين ثم يصلى ما كتب له ثم ينصت اذا تكلم الامام الا غفر له ما بينها وبين الجمعة الاخرى » وأخرج الحاكم عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم الجمعة « أيها الناس اذا كان هذا اليوم فاغتسلوا وليمس أحدكم أطيب ما يجد من طيبه أو دهنه » وأخرج البزار والطبرانى في الاوسط والبيهقي في الشعب « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقلم أظفاره ويقص شاربه يوم الجمعة قبل ان يخرج الى الصلاة » وأخرج في الاوسط عن عائشه قالت « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قلم أظفاره يوم الجمعة وقى من السوء الى مثلها » وأخرج سعيد بن منصور في سننه عن راشد ابن سعد قال كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون من اغتسل يوم الجمعة واستاك وقلم أظفاره فقد اوجب وأخرج عن مكحول قال من قص أظفاره وشاربه يوم الجمعة لم يمت من الماء الأصفر* وأخرج سعيد بن منصور وابن أبي شيبة عن حميد بن عبد الرحمن الحميدي قال كان يقال من قلم أظفاره يوم الجمعة أخرج الله منه داء وأدخل فيه شفاء

﴿ الخصوصية الثلاثون استحباب لبس أحسن الثياب ﴾

أخرج احمد وأبو داود والحاكم عن أبي سعيد وأبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من اغتسل يوم الجمعة واستن ومس من طيب ان كان عنده ولبس من أحسن ثيابه ثم خرج حتى يأتي المسجد ولم يتخط رقاب الناس ثم ركع ماشاء الله ان يركع وانصت اذا خرج الامام كانت كفارة لما بينها وبين الجمعة التى قبلها » وأخرج احمد عن ابي أيوب الانصارى وابى الدرداء والحاكم نحوه عن

أبي ذر » وأخرج البيهقي عن جابر بن عبد الله قال « كان للنبي صلى الله عليه وسلم برد يلبسه في العيدين والجمعة » وأخرج أبو داود عن ابن سلام انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ما على أحدكم ان وجد ان يتخذ ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبي مهنته » وأخرج ابن ماجه مثله من حديث عائشة والبيهقي في الشعب مثله من حديث أنس » وأخرج الطبراني في الاوسط عن عائشة قالت « كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبان يلبسهما في جمعته فاذا انصرف طويناهما الى مثله » وأخرج في الكبير عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله وملائكته يصلون على أصحاب العمائم يوم الجمعة »

﴿ الخصوصية الحادية والثلاثون تبخير المسجد ﴾

أخرج الزبير بن بكار في أخبار المدينة من مرسل حسن بن علي بن حسين ابن حسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر باجمار المسجد يوم الجمعة وأخرج ابن ماجه من مرسل مكحول عن واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وشراءكم وبيعكم ورفع أصواتكم وسلاحكم وجمروها في كل جمعة » وأخرج ابن أبي شيبة وأبو يعلى عن ابن عمر أن عمر كان يجمر المسجد فى كل جمعة

﴿ الخصوصية الثانية والثلاثون التبكير ﴾

روى الشيخان عن أنس قال كنا نبكر بالجمعة ونقيل بعد الجمعة وأخرج الشيخان عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال من اغتسل يوم الجمعة ثم راح في الساعة الاولى فكأنما قرب بدنة ومن راح فى الساعة الثانية فكأنما قرّب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً اقرن ومن راح فى الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ومن راح فى الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة فاذا خرج الامام حضرت الملائكة يستمعون الذكر » وأخرج البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من

أبواب المسجد ملائكة يكتبون الأول فالأول فاذا جلس الامام طووا الصحف وجاءوا يستمعون الذكر * وأخرج ابن ماجه والبيهقي عن ابن مسعود انه أتى الجمعة فوجد ثلاثة سبقوه فقال رابع أربعة وما رابع أربعة ببعيد اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان الناس يجلسون من الله يوم القيامة على قدر رواحهم الى الجمعات الاول والثاني والثالث » قال البيهقي قوله من الله أى من عرشه و كرامته * وأخرج سعيد بن منصور عن ابن مسعود قال باكروا في الغداة بالدنيا الى الجمعات فان الله يبرز لاهل الجنة يوم الجمعة على كثيب من كافور أبيض فيكون الناس عنده في الدنو كغدوهم في الدنيا الى الجمعة * وأخرج حميد بن زنجويه فى فضائل الاعمال عن القاسم بن مخمرة قال اذا راح الرجل الى المسجد كانت خطاه بخطوة درجة وبخطوة كفارة وكتب له بكل انسان جاء بعد قيراط قيراط

(الخصوصية الثالثة والثلاثون) الايستحب الابراد بها في شدة الحر بخلاف سائر الايام

أخرج البخارى عن أنس « كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اشتد الحر ابرد بالصلاة بغير الجمعة »

(الخصوصية الرابعة والثلاثون تأخير الغداء والقيلولة عنها)

أخرج الشيخان عن سهل بن سعد قال ما كنا نقيل ولا نتغدى إلا بعد الجمعة وأخرج البخارى عنه قال كنا نصلى مع النبي صلى الله عليه وسلم الجمعة ثم تكون القائلة * وأخرج سعيد بن منصور عن محمد بن سيرين قال كان يكره النوم قبل الجمعة ويقال فيه قولا شديدا أو كانوا يقولون مثله مثل سرية اخفقوا وتدرى ما اخفقوا لم يصيبوا شيئا

(الخصوصية الخامسة والثلاثون)
تضعيف أجر الذاهب اليها بكل خطوة أجر سنة

أخرج احمد والاربعة والحاكم عن اوس بن أوس الثقفي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «من غسل يوم الجمعة واغتسل ثم بكر وابتكر ومشى ولم يركب ودنا من الامام واستمع ولم يلغ كان له بكل خطوة عمل سنة أجر صيامها وقيامها» وأخرج احمد بسند صحيح نحوه عن ابن عمر وأخرج احمد ابن زنجويه في فضائل الاعمال عن يحيى بن يحيي الغساني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مشيك الى المسجد وانصرافك الى أهلك في الاجر سواء» وأخرج سعيد ابن منصور نحوه من مرسل الزهري ومكحول والطبراني في الاوسط من حديث أبي بكر الصديق في حديث «واذا أخذ في المشي الى الجمعة كان له بكل خطوة عمل عشرين سنة» وسنده ضعيف

(الخصوصية السادسة والثلاثون)
لها أذانان وليس ذلك لصلاة غيرها إلا الصبح

أخرج البخاري عن السائب عن يزيد قال كان النداء يوم الجمعة اوله اذا جلس الامام على المنبر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر فلما كان عثمان وكثر الناس زاد النداء الثاني على الزوراء فثبت الامر على ذلك

(الخصوصية السابعة والثلاثون الاشتغال بالعبادة حتى يخرج الخطيب)

تقدم فيه أثر ثعلبة بن مالك

(الخصوصية الثامنة والثلاثون قراءة الكهف)

أخرج الحاكم والبيهقي عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين» وأخرجه سعيد بن منصور موقوفا بلفظ «أضاء له ما بينه وبين البيت العتيق»

وأخرج عن خالد بن معدان قال من قرأ سورة الكهف قبل ان يخرج الامام كانت له كفارة فيما بينه وبين الجمعة وبلغ نورها البيت العتيق * وأخرج مردويه عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة سطع له نور من تحت قدمه الى عنان السماء يضيء له الى يوم القيامة وغفر له ما بين الجمعتين» وأخرج الضياء في المختارة عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرأ الكهف يوم الجمعة فهو معصوم الى ثمانية أيام وان خرج الدجال عصم منه »

﴿ الخصوصية التاسعة والثلاثون قراءة الكهف ليلتها ﴾

أخرج الدارمي في مسنده عن أبي سعيد الخدري قال « من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أضاء له من النور فيما بينه وبين البيت العتيق »

﴿ الخصوصية الاربعون قراءة الاخلاص والمعوذتين والفاتحه بعدها ﴾

أخرج أبو عبيد وابن الضريس في فضائل القرآن عن أسماء بنت أبي بكر قالت « من صلى الجمعة ثم قرأ بعدها قل هو الله أحد والمعوذتين والحمد سبعاً سبعاً حفظ من مجلسه ذلك الى مثله » وأخرج سعيد بن منصور عن مكحول قال « من قرأ فاتحة الكتاب والمعوذتين وقل هو الله أحد سبع مرات يوم الجمعة قبل ان يتكلم كفر عنه ما بين الجمعتين وكان معصوما » وأخرج حميد بن زنجويه فى فضائل الاعمال عن ابن شهاب قال «من قرأ قل هو الله أحد والمعوذتين بعد صلاة الجمعة حين يسلم الامام قبل أن يتكلم سبعاً سبعاً كان مضموناً هو وماله وولده من الجمعة الى الجمعة »

الخصوصية الحادية والاربعون قراءة الكافرين والاخلاص من مغرب ليلتها

أخرج البيهقي في سننه عن جابر بن سمرة قال « كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في صلاة المغرب ليلة الجمعة قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وكان يقرأ فى صلاة العشاء الآخرة ليلة الجمعة سورة الجمعة والمنافقين »

«الخصوصية الثانيةوالاربعون قراءةسورة الجمعةوالمنافقين في عشاء ليلتها»

للحديث المذكور

« الخصوصية الثالثة والأربعون منع التحلق قبل الصلاة »

أخرج ابو داود من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده انالنبي صلى الله عليه وسلم نهى عن التحلق قبل الصلاة يوم الجمعة قال البيهقي يكره التحلق في المسجد اذا كانت الجماعة كثيرة والمسجد صغيراً وكان فيه منع المصلين عن الصلاة . (١)

« الخصوصية الرابعة والاربعون تحريم السفر فيه قبل الصلاة »

أخرج ابن ابى شيبة عن حسان بن عطية قال من سافر يوم الجمعة دعى عليه ان لايصاحب ولا يعان على سفره *وأخرج الخطيب في رواية مالك بسند ضعيف عن أبي هريرة مرفوعا « من سافر يوم الجمعة دعا عليه ملكاه ان لا يصاحب في سفره ولا تقضى له حاجة » وأخرج الدينورى في المجالسة عن سعيد بن المسيب ان رجلا أتاه يوم الجمعة يودعه لسفر فقال له لا تعجل حتى تصلى فقال أخاف ان تفوتني أصحابى ثم عجل فكان سعيد يسأل عنه حتى قدم قوم فأخبروه ان رجله انكسرت فقال سعيد انى كنت أظن ان سيصيبهُ ذلك * وأخرج عن الاوزاعي قال كان عندنا صياد فكان يخرج في الجمعة لايمنعه اداء الجمعة من الخروج فخسف به وببغلته فخرج الناس وقد ذهبت بغلته في الارض فلم يبق منها إلا اذناها وذنبها * وأخرج ابن أبى شيبة عن مجاهد ان قوماً خرجوا في سفر حين حضرت الجمعة فاضطرم عليهم خباؤهم ناراً من غير نار يرونها

---

(١) وقال العراقي وحمله اصحابنا والجمهور على بابه لانه ربما قطع الصفوف مع كونهم مامورين يوم الجمعة بالتبكير والتراص في الصفوف الاول فالاول : وقد اختلف الائمة في الاحتجاج بحديث عمرو بن شعيب والله اعلم

« الخصوصية الخامسة والاربعون فيه تكفير الآثام »

أخرج ابن ماجه عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الجمعة الى الجمعة كفارة لما بينهما مالم تغش الكبائر » وأخرج عن سلمان قال « قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدري ما يوم الجمعة قال الله ورسوله اعلم. قال هو اليوم الذى جمع الله فيه بين أبويكم لايتوضأ عبد فيحسن الوضوء ثم يأتي المسجد لجمعة الا كانت كفارة لما بينها وبين الجمعة الاخرى ما اجتنب الكبائر .

الخصوصية السادسة والاربعون الامان من عذاب القبر لمن مات يومها أو ليلتها

أخرج ابويعلي عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من مات يوم الجمعة وقي عذاب القبر » * وأخرج البيهقي في كتاب عذاب القبر عن عكرمة بن خالد المخزومي قال من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة ختم له بخاتم الايمان ووقي عذاب القبر *

(الخصوصية السابعة والاربعون)

(الامان من فتنة القبر لمن مات يومها او ليلتها فلايسأل في قبره)

أخرج الترمذي وحسنه والبيهقي وابن أبى الدنيا وغيرهم عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مامن مسلم يموت ليلة الجمعة أو يوم الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر » وفي لفظ « إلا برىء من فتنة القبر » وفى لفظ « إلا وقي الفتان » قال الحكيم الترمذي وحكمته انه انكشف الغطاء عما له عند الله لان جهنم لاتسجر في هذا اليوم وتغلق فيه أبوابها ولايعمل فيه سلطانها مايعمل في سائر الايام فاذا قبض الله فيه عبداً كان دليلا لسعادته وحسن مآبه وانه لم يقبض في هذا اليوم العظيم إلا من كتب له السعادة عنده فلذلك يقيه فتنة القبر لان سببها إنما هو تميز المنافق من المؤمن

(الخصوصية الثامنة والاربعون رفع العذاب عن أهل البرزخ فيه)

قال اليافعي في روض الرياحين بلغنا ان الموتى لم يعذبوا ليلة الجمعة تشريفاً لهذا الوقت قال ويحتمل اختصاص ذلك بعصاة المؤمنين دون الكفار

﴿ الخصوصية التاسعه والاربعون اجتماع الارواح فيه ﴾

أخرج ابن أبى الدنيا والبيهقي فى الشعب عن رجل من آل عاصم الجحدرى انه رأى عاصما الجحدري في النوم فقال له أنا فى روضة من رياض الجنة أنا ونفر من أصحابى نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها الى بكر بن عبدالله المزني فنتلاقى أخباركم قلت هل تعلمون بزيارتنا قال نعلم بها عشية الجمعة ويوم الجمعة كله ويوم السبت الى طلوع الشمس قلت وكيف ذلك دون الايام كلها قال لفضل يوم الجمعة وعظمه

« الخصوصية الخمسون انه سيد الايام »

روى مسلم عن أبى هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها ولاتقوم الساعة إلا في يوم الجمعة » وأخرجه الحاكم بلفظ « سيد الايام يوم الجمعة الى آخره » ولابي داود نحوه وزاد « وفيه تيب عليه وفيه مات ومامن دابة الا وهى مصيخة يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقاً من الساعة إلا الجن والانس » * وأخرج ابن أبى شيبة وابن ماجه والبيهقي في الشعب عن أبي لبابة بن عبدالمنذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان يوم الجمعة سيد الايام وأعظمها عندالله وهوأعظم عندالله من يوم الاضحى ويوم الفطر فيه خمس خلال فيه خلق آدم وفيه أهبط وفيه مات وفيه ساعة لايسأل الله العبد فيها شيئاً إلا أعطاه مالم يسأل حراماً وفيه تقوم الساعة مامن ملك مقرب ولاسماء ولاأرض ولارياح ولاجبال ولابحر إلا وهن يشفقن من يوم الجمعة »

وأخرج سعيد بن منصور في سننه عن مجاهد قال اذا كان يوم الجمعة فزع البر والبحر وماخلق الله من شيء الا الانسان * وأخرج عبدالله بن احمد في فوائد الزهد عن أبي عمران الجونى قال بلغنا انه لم تأت ليلة الجمعة قط الا أحدثت لاهل السماء فزعة

﴿ فائدة ﴾ في بعض كتب الحنابلة: اختلف أصحابنا هل ليلة الجمعة أفضل أو ليلة القدر فاختار ابن بطة وجماعة ان ليلة الجمعة أفضل وقال به أبو الحسن التميمي فيما عدا الليلة التى أنزل فيها القرآن وأكثر العلماء على ان ليلة القدر أفضل واستدل الاولون بحديث الليلة الغراء والغرة من الشيء خياره وبأنه جاء في فضل يومها مالم يجيء ليوم ليلة القدر وأجابوا عن قوله تعالى (ليلة القدر خير من الف شهر) فان التقدير خير من الف شهر ليس فيها ليلة الجمعة كما ان تقديرها عند الاكثرين خير من الف شهر ليس فيها ليلة القدر وأيضاً فان ليلة الجمعة باقية في الجنة لان في يومها تقع الزيارة الى الله تعالى وهى معلومة فى الدنيا بعينها على القطع وليلة القدر مظنون عينها انتهى ملخصاً *

« الخصوصية الحادية والخمسون انه يوم المزيد »

أخرج الشافعي في الام عن أنس بن مالك قال « اتى جبريل بمرآة بيضاء فيها نكتة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماهذه قال هذه الجمعة فضلت بها أنت وأمتك فان الناس لكم فيها تبع اليهود والنصارى ولكم فيها خير وفيها ساعة لايوافقها مؤمن يدعو الله بخير الا استجيب له وهو عندنا يوم المزيد قال النبي صلى الله عليه وسلم ياجبريل وما يوم المزيد قال ان ربك اتخذ في الفردوس واديا أفيحا فيه كثب مسك فاذا كان يوم الجمعة أنزل الله فيه ناسا من الملائكة وحوله منابر من نور عليها مقاعد النبيين وحف تلك المنابر بمنابر من ذهب مكللة بالياقوت والزبرجد عليها الشهداء والصديقون فجلسوا من ورائهم على تلك الكثب فيقول الله أنا ربكم قد صدقتكم وعدى فسلوني أعطكم فيقولون ربنا نسألك رضوانك فيقول قد رضيت عنكم

ولكم عليّ ماتمنيتم ولدى مزيد » فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم فيه ربهم من الخير : وله طرق عن أنس وفي بعضها « انهم يمكثون في جلوسهم هذا الى مقدار منصرف الناس من الجمعة ثم يرجعون الى غرفهم » أخرجه الآجرى في كتاب الرؤية * وأخرج الآجري في كتاب الرؤية عن أبى هريرة « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ان أهل الجنة اذا دخلوها نزلوا بفضل أعمالهم فيؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون فيبرز الله لهم عرشه ويتبدىء لهم في رياضة من رياض الجنة وتوضع لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من ياقوت ومنابر من ذهب ومنابر من فضة ويجلس أدناهم وما فيهم أدنى على كثبان المسك والكافور ومايرون أصحاب الكراسى بأفضل منهم مجلسا الحديث وفيه الرؤية وسماع الكلام وذكر سوق الجنة * وأخرج أيضا عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال «ان أهل الجنة يزورون ربهم عز وجل فى كل يوم الجمعة في كل يوم جمعة في رمال الكافور وأقربهم منه مجلسا أسرعهم اليه يوم الجمعة وأبكرهم غدواً » وعن أبى هريرة وعائشة رضى الله تعالى عنهما قالا « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الملائكة ليقومون يوم الجمعة يكتبون الانسان الاول والثاني والثالث حتى اذا خرج الامام طويت الصحف »

(الخصوصية الثانية والخمسون * انه مذكور في القرآن دون سائر أيام الاسبوع)

قال تعالى (إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة)

(الخصوصية الثالثة والخمسون * انه الشاهد والمشهود في الآية وقد أقسم الله به)

أخرج ابن جرير عن علي بن أبي طالب فى قوله تعالى (وشاهد ومشهود) قال الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة * وأخرج حميد بن زنجويه في فضائل الاعمال عن أبي هريرة قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم الموعود يوم القيامة والمشهود يوم عرفة والشاهد يوم الجمعة ما طلعت شمس ولا غربت على يوم أفضل من يوم الجمعة * وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال

الشاهد الانسان والمشهود يوم الجمعة * وأخرج عن ابن الزبير وابن عمر قالا يوم الذبح ويوم الجمعة * وأخرج عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أكثروا عليّ من الصلاة يوم الجمعة فانه يوم مشهود تشهده الملائكة»

(الخصوصية الرابعة والخمسون * انه المدخر لهذه الامة)

روى الشيخان عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم الذي فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له فالناس لنا فيه تبع اليهود غداً والنصارى بعد غد» * ولمسلم عن أبي هريرة وحذيفة قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وكان للنصارى يوم الاحد فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة »

« الخصوصية الخامسة والخمسون * انه يوم المغفرة »

أخرج ابن عدي والطبراني في الأوسط بسند عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان الله تبارك وتعالى ليس بتارك أحداً من المسلمين يوم الجمعة الا غفر له »*

«الخصوصية السادسة والخمسون * أنه يوم العتق »

أخرج البخاري في تاريخه وأبو يعلى عن أنس قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يوم الجمعة وليلة الجمعة أربعة وعشرون ساعة ليس فيها ساعة الا ولله فيها ستمائة عتيق من النار كلهم قد استوجبوا النار » وأخرجه ابن عدى والبيهقي في الشعب بلفظ « ان لله في كل جمعة ستمائة الف عتيق»

« الخصوصية السابعة والخمسون * فيه ساعة الاجابة »

روى الشيخان عن أبي هريرة « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوم الجمعة فقال فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله شيئاً الا

أعطاه اياه وأشار بيده يقللها » ولمسلم عنه ان في الجمعة لساعة لايوافقها مسلم يسأل الله فيها خيراً الا أعطاه اياه هي ساعة خفية *

وقد اختلف أهل العلم من الصحابة والتابعين فمن بعدهم فى هذه الساعة على أكثر من ثلاثين قولا فقيل انها رفعت أخرج عبد الرزاق عن عبد الله مولى معاوية قال قلت لابى هريرة أنهم زعموا ان الساعة التى فى يوم الجمعة يستجاب فيها الدعاء رفعت فقال كذب من قال ذلك * قلت فهي في كل جمعة قال نعم وقيل انها في جمعة واحدة من كل سنة قاله كعب الاحبار لابى هريرة فرده عليه فرجع اليه أخرجه مالك وأصحاب السنن وقيل انها مخفية في جميع اليوم كما أخفيت ليلة القدر فى العشر * أخرج ابن خزيمة والحاكم عن أبى سلمة قال سألت أباسعيد الخدرى عن ساعة الجمعة فقال سألت النبي صلى الله عليه وسلم عنها فقال «قد أعلمتها ثم أنسيتها كما أنسيت ليلة القدر » * وأخرج عبد الرزاق عن كعب قال لو أن انسانا قسم جمعته في جمع لأتى على تلك الساعة قال ابن المنذر معناه أنه يبدأ فيدعو في جمعة من أول النهار الى وقت معلوم ثم في جمعة يبتدىء من ذلك الوقت الى وقت آخر حتى يأتى على آخر النهار *

والحكمة في اخفائها بعث العباد على الاجتهاد في الطلب واستيعاب الوقت بالعبادة وقيل انها تنتقل في يوم الجمعة ولا تلزم ساعة بعينها ذكره بعضهم احتمالا وجزم به ابن عساكر وغيره ورجحه الغزالى والمحب الطبرى وقيل هي عند أذان المؤذن لصلاة الغداة أخرجه ابن أبي شيبة عن عائشة : وقيل من طلوع الفجر الى طلوع الشمس رواه ابن عساكر عن ابى هريرة : وقيل عند طلوع الشمس حكاه الغزالى وقيل أول ساعة بعد طلوع الشمس حكاه الجيلى والمحب الطبرى شارحا التنبيه : وقيل في آخر الساعة الثالثة من النهار لحديث أبى هريرة مرفوعا «وفي آخر ثلاث ساعات منه ساعة من دعا الله فيها استجيب له» أخرجه احمد وقيل اذا زالت الشمس حكاه ابن المنذر عن أبى العالية ورواه عبد الرزاق عن الحسن وروى ابن عساكر عن قتادة قال كانوا يرون الساعة المستجاب فيها

الدعاء اذا زالت الشمس:قال ابن حجر وكأن مأخذهم فى ذلك أنها وقت اجتماع الملائكة وابتداء دخول الجمعة والأذان ونحو ذلك : وقيل اذا أذن المؤذن لصلاة الجمعة * أخرج ابن المنذر عن عائشة قالت يوم الجمعة مثل يوم عرفة فيه تفتح أبواب السماء وفيه ساعة لا يسأل الله فيها العبد شيئاً الا أعطاه قيل أية ساعة قالت اذا أذن المؤذن لصلاة الجمعة : وقيل من الزوال الى مصير الظل ذراعاً أخرجه ابن المنذر عن أبى ذر : وقيل الى أن يخرج الامام حكاه القاضي ابو الطيب: وقيل الى ان يدخل في الصلاة حكاه ابن المنذر عن ابى السو ر العدوى: وقيل من الزوال الى غروب الشمس حكاه الدمارى فى نكت التنبيه : وقيل عند خروج الامام رواه ابن زنجويه عن الحسن : وقيل مابين خروج الامام الى أن تقام الصلاة رواه ابن المنذر عن الحسن والمروزى فى كتاب الجمعة عن عوف بن حصره : وقيل مابين خروجه الى انقضاء الصلاة رواه ابن جرير عن موسى وابن عمر وقوفا وعن الشعبي : وقيل مابين أن يحرم البيع الى أن يحل رواه ابن أبى شيبة وابن المنذر عن الشعبي : وقيل ما بين الاذان الى انقضاء الصلاة رواه ابن زنجويه عن ابن عباس : وقيل ما بين أن يجلس الامام على المنبر الى أن تنقضي الصلاة روى مسلم وأبو داود من حديث أبى موسى الاشعرى انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هي ما بين ان يجلس الامام الى ان تنقضى الصلاة : قال ابن حجر وهذا القول يمكن ان يتخذ مع الذين قبله : وقيل من حين يفتتح الخطبة حتى يفرغها رواه ابن عبد البر بسند ضعيف عن ابن عمر مرفوعا : وقيل عند الجلوس بين الخطبتين حكاه الطيبي : وقيل عند نزول الامام من المنبر رواه ابن المنذر عن أبى بردة : وقيل عند اقامة الصلاة رواه ابن المنذر عن الحسن : وروى الطبرانى بسند ضعيف عن ميمونة بنت سعد أنها قالت « يارسول الله افتنا عن صلاة الجمعة قال فيها ساعة لا يدعو العبد فيها ربه الا استجاب له قلت أية ساعة هي يارسول الله قال ذلك حين يقوم الامام » وقيل من بين اقامة الصلاة الى تمام الصلاة لحديث الترمذى وحسنه وابن ماجه عن عمرو بن عوف «قالوا أية ساعة

يارسول الله قال حين تقوم الصلاة الى الانصراف منها » ورواه البيهقي في الشعب بلفظ « ما بين ان ينزل الامام من المنبر الى ان تنقضي الصلاة » وقيل هي الساعة التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي فيها الجمعة رواه ابن عساكر عن ابن سيرين : وقيل من صلاة العصر الى غروب الشمس رواه ابن جرير عن ابن عباس موقوفا والترمذي بسند ضعيف عن أنس بن مالك مرفوعا « التمسوا الساعة التي ترجى في يوم الجمعة بعد العصر الى غيبوبة الشمس » ولابن منده عن أبي سعيد مرفوعا « فالتمسوها بعد العصر أغفل ما يكون الناس » وقيل في صلاة العصر رواه عبد الرزاق عن يحيى بن اسحاق بن ابي طلحة مرفوعا مرسلا : وقيل بعد العصر الى اخر وقت الاختيار حكاه الغزالي : وقيل من حين تصفر الشمس الى ان تغيب رواه عبد الرزاق عن طاوس : وقيل آخر ساعة بعد العصر أخرجه ابو داود والحاكم عن جابر مرفوعاً ولفظه « فالتمسوها آخر ساعة بعد العصر » وأخرج اصحاب السنن عن ابي هريرة قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة وفيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئا الا اعطاه اياه » فقال كعب ذلك في كل سنة يوم فقلت بل في كل جمعة فقرأ كعب التوراة فقال صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو هريرة ثم لقيت عبد الله بن سلام فحدثته فقال قد علمت أية ساعة هي آخر ساعة في يوم الجمعة فقلت كيف وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي وتلك الساعة لا يصلي فيها فقال ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس مجلسا ينتظر الصلاة فهو في صلاة قلت بلى قال فهو ذلك » وفي الترغيب للاصفهاني من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً « الساعة التي يستجاب فيها الدعاء يوم الجمعة آخر ساعة من يوم الجمعة قبل غروب الشمس أغفل مايكون عنه الناس » : وقيل اذا تدلى نصف الشمس للغروب اخرجه الطبراني في الاوسط والبيهقي في الشعب عن فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم « انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم اية ساعة هي قال اذا تدلى نصف الشمس للغروب »

فهذه جملة الاقوال في ذلك قال المحب الطبرى أصح الاحاديث فيها حديث أبى
مومى في مسلم واشهر الاقوال فيها قول عبد الله بن سلام قال ابن حجر وماعداهما
اما موافق لهما أو لاحدهما أو ضعيف الاسناد أو موقوف استند قائله الى اجتهاد دون
توقيف ثم اختلف السلف أى القولين المذكورين ارجح فرجح كلا مرجحون فرجح
حديث أبى موسى البيهقي وابن العربي والقرطبي وقال النووى انه الصحيح أو
الصواب ورجح قول ابن سلام احمد بن حنبل وابن راهويه وابن عبد البر وابن
الزملكانى من الشافعية

قلت وههنا أمر وذلك ان ما اورده ابو هريرة على ابن سلام من انها ليست
ساعة صلاة وارد على حديث أبى موسى ايضا لان حال الخطبة ليست ساعة
صلاة ويتميز ما بعد العصر بانها ساعة دعاء وقد قال في الحديث يسأل الله شيئا
وليس حال الخطبة ساعة دعاء لانه مأمور فيها بالانصات وكذلك غالب الصلاة
ووقت الدعاء منها أما عند الاقامة او في السجود أو التشهد فان حمل الحديث
على هذه الاوقات اتضح ويحمل قوله وهو قائم يصلى على حقيقته في هذين
الموضعين وعلى مجازه في الاقامة اى يريد الصلاة وهذا تحقيق حسن فتح الله
به وبه يظهر ترجيح رواية أبى موسى على قول ابن سلام لابقاء الحديث على
ظاهره من قوله « يصلى ويسأل » فانه أولى من حمله على انتظار الصلاة لانه مجاز
بعيد وموهم ان انتظار الصلاة يشترط في الاجابة ولانه لا يقال في منتظر الصلاة
قائم يصلي وان صدق انه في صلاة لان لفظ قائم يشعر بملابسة الفعل والذى
استخير الله وأقول به من هذه الاقوال انها عند اقامة الصلاة وغالب الاحاديث
المرفوعة تشهد له اما حديث ميمونة فصريح فيه وكذا حديث عمرو بن عوف
ولا ينافيه حديث ابى موسى لانه ذكر انها فيما بين ان يجلس الامام الى ان
تنقضى الصلاة وذلك صادق بالاقامة بل منحصر فيها لان وقت الخطبة ليس
وقت صلاة ولا دعاء ووقت الصلاة ليس وقت دعاء فى غالبها ولا يظن انه
أراد استغراق هذا الوقت قطعا لانها خفيفة بالنصوص والاجماع ووقت الخطبة

والصلاة متسع وغالب الاقوال المذكورة بعد الزوال أوعند الاذان تحمل على هذا فترجع اليه ولا تتنافى وقد أخرج الطبرانى عن عوف بن مالك الصحابى قال انى لارجو ان تكون ساعة الاجابة فى احدى الساعات الثلاث اذا اذن المؤذن وما دام الامام على المنبر وعند الاقامة وأقوى شاهد له حديث الصحيحين وهو قائم يصلى فاحمل وهو قائم على القيام للصلاة عند الاقامة ويصلي على الحال المقدرة وتكون هذه الجملة الحالية شرطا في الاجابة فانها مختصة بمن شهد الجمعة ليخرج من تخلف عنها هذا ما ظهر لى في هذا المحل من التقدير والله أعلم بالصواب :

وقال ابن سعد في طبقاته أخبرنا عفان بن مسلم حدثنا حماد بن سلمة اخبرنا على بن زيد بن جدعان أن عبد الله بن نوفل والمغيرة بن نوفل كانوا من قراء قريش وكانوا يبكرون الى الجمعة اذا طلعت الشمس يريدون بذلك الساعة التى ترجى فنام عبيد الله بن نوفل فدح في ظهره دحة فقيل هذه الساعة التى تريد فرفع رأسه فاذا مثل غمامة تصعد الى السماء وذاك حين زالت الشمس

(فائدة) احتج من قال بتفضيل الليل على النهار بأن فى كل ليلة ساعة اجابة كاثبت في الاحاديث الصحيحة وليس ذلك في النهار سوى فى يوم الجمعة

«الخصوصية الثامنة والخمسون الصدقة فيه تضاعف على غيرها من الايام»

أخرج ابن أبى شيبة فى المصنف عن كعب قال «الصدقة تضاعف يوم الجمعة»

«الخصوصية التاسعة والخمسون الحسنة والسيئة فيه تضاعف»

أخرج ابن أبى شيبة عن كعب قال يوم الجمعة تضاعف فيه الحسنة والسيئة وأخرج الطبرانى في الاوسط من حديث أبي هريرة مرفوعا «تضاعف الحسنات يوم الجمعة» * وأخرج حميد بن زنجويه في فضائل الاعمال من طريق الهيثم بن حميد قال أخبرنى أبوسعيد قال بلغنى ان الحسنة تضاعف يوم الجمعة والسيئة تضاعف يوم الجمعة * وأخرج عن المسيب بن رافع قال من عمل خيراً في يوم الجمعة ضعف بعشرة أضعافه فى سائر الايام ومن عمل شراً فمثل ذلك *

« الخصوصية الستون قراءة حمٓ الدخان يومها وليلتها »

أخرج الترمذى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرأ حم الدخان في ليلة الجمعة غفر له » وأخرج الطبرانى والاصبهانى عن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرأ حم الدخان في ليلة الجمعة أو يوم الجمعة بنى الله له بيتا في الجنة » * واخرج الدارمي عن أبى رافع قال « من قرأ الدخان في ليلة الجمعة اصبح مغفوراً له وزوج من الحور العين » *

﴿ الخصوصية الحادية والستون * قراءة يسٓ ليلتها ﴾

أخرج البيهقى في الشعب عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرأ ليلة الجمعة حمٓ الدخان ويس أصبح مغفوراً له » وأخرجه الاصفهانى بلفظ « من قرأ يس فى ليلة الجمعة غفر له »

﴿ الخصوصية الثانية والستون قراءة آل عمران فيه ﴾

أخرج الطبرانى بسند ضعيف عن ابن عباس قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ السورة التى يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تغيب الشمس »

﴿ الخصوصية الثالثة والستون * قراءة سورة هود فيه ﴾

أخرج الدارمى في مسنده والبيهقي في الشعب وأبو الشيخ وأبن مردويه في تفسيرهما عن كعب ان النبى صلى الله عليه وسلم قال « أقرأوا سورة هود يوم الجمعة » *

« الخصوصية الرابعة والستون * قراءة البقرة وآل عمران ليلتها »

أخرج الاصفهانى في الترغيب بسنده عن عبد الواحد بن أيمن تابعي قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة البقرة وآل عمران في ليلة الجمعة كان له من الاجر مابين لبيداء وعروباء » فلبيداء الارض السابعة وعروباء السماء السابعة * واخرج حميد بن زنجويه عن وهب بن منبه قال « من قرأ ليلة

الجمعة سورة البقرة وآل عمران كان له نوراً ما بين عربياء وعجبياء فعربياء العرش وعجبياء أسفل الارضين»

«الخصوصية الخامسة والستون: جلب الذاكر والمغفرة قبل صبح يومها»

أخرج الطبراني في الاوسط عن أنس قال «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال قبل صلاة الغداة يوم الجمعة ثلاث مرات استغفر الله العظيم الذى لا اله الا هو الحي القيوم واتوب اليه غفرت ذنوبه وان كانت أكثر من زبد البحر»

«الخصوصية السادسة والستون: ما يقال ليلة الجمعة»

اخرج البزار عن انس ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل رجب قال اللهم بارك لنا فى رجب وشعبان وبلغنا شهر رمضان واذا كان ليلة الجمعة قال هذه ليلة غراء ويوم ازهر»

«الخصوصية السابعة والستون»

الاكثار من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم يومها وليلتها

اخرج ابو داود والحاكم وصححه وابن ماجه عن اوس بن اوس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان من افضل ايامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فاكثروا من الصلاة عليّ فيه فان صلاتكم معروضة عليّ» واخرج الطبراني في الاوسط عن أبي هريرة قال «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثروا من الصلاة على في الليلة الزهراء واليوم الازهر فان صلاتكم تعرض على» واخرج البيهقى في الشعب عن ابى امامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثروا من الصلاة على في كل يوم جمعة فمن كان اكثرهم على صلاة كان اقربهم منى منزلة» واخرج عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اكثروا من الصلاة على في يوم الجمعة وليلة الجمعة فمن فعل ذلك كنت شهيداً اوشافعاً له يوم القيامة» واخرج عن انس

مرفوعا « من صلى على في يوم الجمعة وليلة الجمعة قضى الله له مائة حاجة سبعين من حوائج الآخرة وثلاثين من حوائج الدنيا » * واخرج عن على « قال من صلى على النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة مائة مرة جاء يوم القيامة وعلى وجهه نور » واخرج الاصبهانى في ترغيبه عن انس قال « قال رسول صلى الله عليه وسلم من صلى على في يوم الجمعة الف مرة لم يمت حتى يرى مقعده في الجنة» * واخرج ابو نعيم فى الحلية عن زيد بن وهب قال « قال لى ابن مسعود لا تدع اذا كان يوم الجمعة ان تصلى على النبي صلى الله عليه وسلم الف مرة تقول اللهم صل على محمد وعلى آل محمد النبي الامي » *

﴿ الخصوصية الثامنة والتاسعة والستون والسبعون ﴾

(عيادة المريض وشهود الجنازة وشهود النكاح والعتق فيه)

اخرج الطبرانى عن ابي أمامة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « من صلى الجمعة وصام يومه وعاد مريضا وشهد جنازة وشهد نكاحا وجبت له الجنة » * واخرجه ابو يعلى من حديث ابي سعيد وزاد « وتصدق واعتق » ولم يذكر شهود النكاح: واخرج البيهقي في شعب الايمان عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من اصبح يوم الجمعة صائما وعاد مريضا وشهد جنازة وتصدق بصدقة فقد اوجب » * واخرج ابن عدي والبيهقى في الشعب عن جابر ابن عبد الله قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اصبح يوم الجمعة صائما وعاد مريضاً واطعم مسكيناً وشيع جنازة لم يتبعه ذنب اربعين سنة » قال البيهقي هذا يؤكد حديث ابي هريرة وكلاهما ضعيف *

﴿ الخصوصية الحادية والسبعون ﴾

أخرج البيهقي فى الشعب عن انس قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال هذه الكلمات سبع مرات فى ليلة الجمعة فمات في تلك الليلة دخل الجنة ومن قالها يوم الجمعة فمات في ذلك اليوم دخل الجنة من قال اللهم انت ربي

لا اله الا انت خلقتني وانا عبدك وابن امتك وفى قبضتك وناصيتى بيدك أمسيت على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شرما صنعت ابوء بنعمتك وابوء بذنبي فاغفر لى انه لا يغفر الذنوب الا انت »

« الخصوصية الثانية والسبعون »

اخرج ايضا عن عائشة قالت « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ظهر في الصيف استحب أن يظهر ليلة الجمعة واذا دخل البيت فى الشتاء استحب أن يدخل البيت ليلة الجمعة » وأخرج مثله عن ابن عباس

« الخصوصية الثالثة والسبعون »

اخرج الطبراني عن عبد الله بن بسر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم « انه كان اذا صلى الجمعة خرج فدار في السوق ساعة ثم رجع الى المسجد فقيل له لم تفعل هذا فقال رأيت سيد المرسلين يفعله » قلت كأن حكمته امتثال قوله تعالى (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله)

« الخصوصية الرابعة والسبعون انتظار العصر بعدها يعدل عمرة »

أخرج البيهقي في الشعب عن سهل بن سعد الساعدي قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكم في كل جمعة حجة وعمرة فالحجة الهجيرة الى الجمعة والعمرة انتظار العصر بعد الجمعة »

« الخصوصية الخامسة والسبعون صلاة حفظ القرآن في ليلتها »

أخرج الترمذى والحاكم والبيهقي في الدعوات عن ابن عباس ان علياً قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم « تفلت هذا القرآن من صدرى فما أجدني اقدر عليه فقال الا اعلمك كلمات ينفعك الله بهن وتنفع بهن من علمته ويثبت ماتعلمت في صدرك اذا كان ليلة الجمعة فان استطعت ان تقوم في ثلث الليل الآخر فانها ساعة مشهورة والدعاء فيها مستجاب وقد قال أخي يعقوب لبنيه سوف أستغفر لكم ربى يقول حتى تأتى ليلة الجمعة فان لم تستطع فقم في وسطها فان لم تستطع

فقم في أولها فصل أربع ركعات تقرأ في الركعة الاولى بفاتحة الكتاب وسورة يس وفي الركعة الثانية بفاتحة الكتاب وحم الدخان وفى الركعة الثالثة بفاتحة الكتاب والم تنزيل السجدة وفى الركعة الرابعة بفاتحة الكتاب وتبارك المفصل فاذا فرغت من التشهد فاحمد الله وأحسن الثناء على الله وصل على وعلى سائر النبيين واستغفر للمؤمنين والمؤمنات ولاخوانك الذين سبقوك بالايمان وقل في آخر ذلك اللهم ارحمنى بترك المعاصي أبداً ما أبقيتنى وارحمنى ان اتكلف مالا يعنيني وارزقنى حسن النظر فيما يرضيك عنى اللهم بديع السموات والارض ذا الجلال والاكرام والعزة التى لا ترام أسألك يا الله يارحمن بجلالك ونور وجهك ان تلزم قلبي حفظ كتابك كما علمتنى وارزقنى ان اتلوه على النحو الذى يرضيك عنى اللهم بديع السموات والارض ذا الجلال والاكرام والعزة التى لا ترام أسألك يا الله يارحمن بجلالك ونور وجهك أن تنور بكتابك بصرى وأن تطلق به لساني وان تفرج به عن قلبي وتشرح به صدرى وان تعمل به بدنى فانه لا يعيننى على الحق إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم تفعل ذلك ثلاث جمع أو خمساً أو سبعاً باذن الله تعالى والذى بعثنى بالحق ما اخطأ مؤمن قط قال ابن عباس فوالله مالبث علي إلا خمساً أو سبعاً حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في مثل ذلك المجلس فقال يا رسول الله اني كنت فيما خلا لا آخذ إلا أربع آيات ونحوهن فاذا قرأتهن على نفسى تفلتن وأنا أتعلم اليوم أربعين آية ونحوها فاذا قرأتها على نفسى فكأنما كتاب الله بين عيني ولقد كنت أسمع الحديث فاذا رددته تفلت وأنا اليوم أسمع الاحاديث فاذا تحدثت بها لم انس منها حرفاً فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك مؤمن ورب الكعبة »

« الخصوصية السادسة والسبعون زيارة القبور يومها وليلتها »

أخرج الحكيم الترمذي فى نوادر الاصول والطبرانى فى الاوسط عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من زار قبر أبويه أو احدهما فى كل جمعة غفر له وكتب براً »

« الخصوصية السابعة والسبعون علم الموتى بزيارة الاحياء فيه »

أخرج ابن أبى الدنيا والبيهقي في الشعب عن محمد بن واسع قال بلغنى ان الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة ويوما قبله ويوماً بعده: وأخرجا عن الضحاك قال من زار قبراً يوم السبت قبل طلوع الشمس علم الميت بزيارته قيل وكيف ذلك قال لمكان يوم الجمعة

(الخصوصية الثامنة والسبعون عرض اعمال الاحياء على أقاربهم من الموتى فيه)

أخرج الترمذى الحكيم فى نوادر الاصول من حديث عبد الغفور بن عبد العزيز عن أبيه عن جده قال «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرض الاعمال يوم الاثنين ويوم الخميس على الله وتعرض على الانبياء وعلى الآباء والامهات يوم الجمعة فيفرحون بحسناتهم وتزداد وجوههم بياضاً واشراقاً» وأخرج احمد بسند جيد عن أبي هريرة قال « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن اعمال بنى ادم تعرض كل خميس ليلة الجمعة فلا يقبل عمل قاطع رحم »

﴿ الخصوصية التاسعة والسبعون يقول الطير فيه سلام سلام يوم صالح ﴾

اخرجه ابن ابى الدنيا والبيهقى عن مطرف انه سمعه من الموتى يقولون ذلك كرامة له وهو بين النائم واليقظان * وأخرج الدينوري فى المجالسة عن بكر بن عبد الله المزنى قال ان الطير لتلقى الطير بعضها بعضاً ليلة الجمعة فتقول لها اشعرت ان الجمعة غداً

« الخصوصية الثمانون »

اخرج الطبرانى فى الاوسط عن انس قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا راح منا سبعون رجلا الى الجمعة كانوا كسبعين موسى الذين وفدوا الى ربهم او افضل »

« الخصوصية الحادية والثمانون »

اخرج الطبرانى والبيهقي فى الشعب والاصبهانى في الترغيب عن ابن عمر قال

« سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من صام يوم الاربعاء والخميس والجمعة ثم تصدق يوم الجمعـة بما قل من ماله او كثر غفر له كل عمله حتى يصير كيوم ولدته امه » واخرج البيهقي في الشعب عن ابن عباس انه كان يحب ان يصوم الاربعاء والخميس والجمعة ويخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يأمر بصومهن وان يتصدق بما قل او كثر فان فيه الفضل الـكثير * واخرج البيهقى وضعفه عن انس قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صام الاربعاء والخميس والجمعة بنى له قصراً في الجنة من لؤلؤ وياقوت وزمرد وكتب الله له براءة من النار » واخرج البيهقي عن ابى قتادة العدوى قال ما من يوم اكره إلي ان اصومه من يوم الجمعة ولا احب ان اصومه من يوم الجمعة قيل وكيف ذلك قال يعجبنى فى ايام متتابعات لما اعلم من فضيلته واكره ان اخصه من بين الايام فان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى ان نخصه من بين الايام * وقال سعيد بن منصور فى سننه حدثنا عبد العزيز بن محمد عن صفوان بن سليم قال اخبرنى رجل من جشم عن ابي هريرة قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صام يوم الجمعة كتب الله له عشرة ايام غرا من ايام الآخرة لا يشاكلها ايام الدنيا »

« الخصوصية الثانية والثمانون »

اخرج البزار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان اذا دخل رجب قال اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان واذا كان ليـلة الجمعة قال هذه ليلة غراء ويوم أزهر »

« الخصوصية الثالثة والثمانون »

اخرج الاصبهانى عن ابن عباس قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى بعد المغرب ركعتين فى ليلة الجمعة يقرأ في كل واحدة منها بفاتحة الكتاب مرة واذا زلزلت خمس عشرة مرة هوّن الله عليه سكرات الموت واعاذه من عذاب القبر ويسر له الجواز على الصراط يوم القيامة »

« الخصوصية الرابعة والثمانون »

أخرج ابو نعيم في الحلية عن عائشة قالت « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلمت يوم الجمعة سلمت الايام » *

« الخصوصية السادسة والثمانون »

أخرج ابن السنى فى عمل اليوم والليلة عن أبي هريرة قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد يوم الجمعة أخذ بعضادتى الباب ثم قال اللهم اجعلنى أوجه من توجه اليك وأقرب من تقرب اليك وأفضل من سألك ورغب اليك » قال النووي في الاذ كار يستحب لنا نحن أن نقول من أوجه ومن أقرب ومن أفضل بزيادة من *

« الخصوصية السادسة والثمانون كراهة الحجامة فيه »

أخرج ابو يعلى عن الحسين بن على قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في يوم الجمعة لساعة لايحتجم فيها أحد إلا مات » وقد ورد النهي عن الحجامة يوم الجمعة من حديث ابن عمر أخرجه الحاكم وابن ماجه وفي نسخة نبيط بن شريط من حديثه مرفوعاً « لايحتجم أحدكم يوم الجمعة ففيها ساعة من احتجم فيها فأصابه وجع فلايلومن إلا نفسه » *

« الخصوصية السابعة والثمانون حصول الشهادة لمن مات فيه »

أخرج حميد بن زنجويه من مرسل إياس بن بكير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من مات يوم الجمعة كتب الله له أجر شهيد ووقي فتنةالقبر » * وأخرج من مرسل عطاء قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم « مامن مسلم أو مسلمة يموت ليلة الجمعة أو يوم الجمعة الا وقى عذاب القبر وفتنةالقبر ولقى الله لاحساب عليه وجاء يوم القيامة ومعه شهود يشهدون له »

« الخصوصية الثامنة والثمانون »

أخرج الاصبهانى عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

« من صلى الضحى اربع ركعات في يوم الجمعة في دهره مرة واحدة يقرأ بفاتحة الكتاب عشر مرات وقل أعوذ برب الفلق عشر مرات وقل أعوذ برب الناس عشر مرات وقل هو الله أحد عشر مرات وقل يا أيها الكافرون عشر مرات وا ية الكرسى عشر مرات في كل ركعة فاذا تشهد وسلم واستغفر سبعين مرة وسبح سبعين مرة قائلا سبحان الله والحمد لله ولاإله إلاالله والله أكبر ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم رفع الله عنه شر أهل السموات وأهل الارض وشر الانس والجن »

« الخصوصية التاسعة والثمانون »

وقفة الجمعة تفضل غيرها من خمسة أوجه فيما ذكره القاضى بدر الدين ابن جماعة (أحدها) موافقة النبي صلى الله عليه وسلم فان وقفته كانت يوم الجمعة وانما يختار له الافضل (الثانى) ان فيها ساعة إجابة (الثالث) انالاعمال تشرف بشرف الازمنة كما تشرف بشرف الامكنة ويوم الجمعة أفضل أيام الاسبوع فوجب أن يكونالعمل فيهأفضل(الرابع)ان فيالحديثأفضلالايام يوم عرفة اذا وافق يوم الجمعة وهو أفضل من سبعين حجة في غير يوم الجمعة أخرجه رزين (الخامس) اذا كان عرفة يوم جمعة غفر الله لجميع أهل الموقف قيل له قد جاء ان الله يغفر لجميع اهل الموقف مطلقاً فما وجه تخصيص ذلك بيوم الجمعة في هذا الحديث فأجاب بأن الله يحتمل أن يغفرلهمفيه بغير واسطة وفي غيره يهب قوماً لقوم *

« الخصوصية التسعون »

أخرج الاصبهانى فى الترغيب عن عبدالله بن عمرو رضى عنهما قال من كانت له حاجة الى الله فليصم الاربعاء والخميس والجمعة فاذا كان يوم الجمعة تطهر وراح الى الجمعة فتصدق بصدقة قلت أو كثرت فاذا صلى الجمعة قال اللهم اني اسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم الذي لااله إلا هو عالم الغيب

والشهادة الرحمن الرحيم واسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم الذى لااله إلا هو الحي القيوم الذى لاتأخذه سـنة ولا نوم الذي ملأت عظمته السموات والارض الذي عنت له الوجوه وخشعت له الاصوات ووجلت القلوب من خشيته ان تصلى على محمد وان تعطينى حاجتى وهي كذا وكذا فانه يستجاب له * واخرج ابن السني فى عمل يوم وليـلة عن عمرو بن قيس المزنى قال بلغنى ان من صام الاربعاء والجمعة ثم شهد الجمعة مع المسلمين ثم ثبت بتسليم الامام وقرأ فاتحة الـكتاب وقل هو الله احد عشر مرات ثم مد يده الى الله عز وجل ثم قال اللهم انى اسألك باسمك العلى الاعلى الاعلى الاعلى الاعز الاعز الاعز الا كرم الا كرم الا كرم لااله إلا الله الاجل العظيم الاعظم لم يسأل الله شيئا الا اعطاه اياه عاجلا وآجلا ولـكنكم تعجلون

« الخصوصية الحادية والتسعون »

(لاتفتح فيه أبواب جهنم وهذه غير الخصلة السابقة انها لاتسجر فيه)

اخرج ابونعيم عن ابن عمرو ان النبي صلى الله عليـه وسلم قال « ان جهنم تسعر كل يوم وتفتح ابوابها الا يوم الجمعة فانها لاتفتح ابوابها ولا تسعر »

« الخصوصية الثانية والتسعون يستحب السفر ليلتها »

اخرج الطبرانى عن ام سلمة قالت « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب ان يسافر يوم الخيس » * واخرج في الاوسط عن كعب بن سعد قال « ما كان رسول الله صلى الله عليـه وسلم يخرج الى سفر ويبعث بعثاً إلا يوم الخيس » وأصله في الصحيح ومن الاوسط أيضاً عن بريدة « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد سفراً خرج يوم الخيس »

« الخصوصية الثالثة والتسعون »

أخرج عبـد الله بن احمد فى زوائد الزهد عن ثابت البنانى قال بلغنا « أن لله ملائكة معهم ألواح من فضة وأقلام من ذهب يطوفون ويكتبون من صلى ليلة

الجمعة ويوم الجمعة في جماعة»

« الخصوصية الرابعه والتسعون »

أخرج ابن عساكر فى تاريخه من طريق محمد بن عكاشة عن محمود بن معاوية ابن حماد الكرماني عن الزهرى قال « من اغتسل ليلة الجمعة وصلى ركعتين يقرأ فيهما قل هو الله أحد الف مرة رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه»

(الخصوصية الخامسة والتسعون زيارة الاخوان في الله)

اخرج ابن جرير عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض) الآية قال ليس لطلب دنيا ولكن لعيادة مريض وحضور جنازة وزيارة أخ في الله

(الخصوصية السادسة والتسعون)

(لاتكره فيه الصلاة بعد الصبح ولا بعد العصر عند طائفة)

أخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن طاوس قال يوم الجمعة صلاة كله وان صح ذلك كان فيه تأييد لكون ساعة الاجابة قبل الغروب ولا يرد انها ليست بساعة صلاة *

(الخصوصية السابعة والتسعون)

أخرج الدارقطنى في الغرائب والخطيب فى رواة مالك عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من دخل يوم الجمعة المسجد فصلى اربع ركعات يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد خمسين مرة فذلك مائتا مرة فى أربع ركعات لم يمت حتى يرى منزله في الجنة أو يرى له » *

« الخصوصية الثامنة والتسعون »

أخرج الديلمي عن عائشة مرفوعا « لايفقه الرجل كل الفقه حتى يترك مجلس قومه عشية الجمعة » *

« الخصوصية التاسعة والتسعون »

أخرج ابن سعد في طبقاته عن الحسن بن على رضي الله عنهما سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان الله تعالى يباهي ملائكته بعباده يوم عرفة يقول عبادي جاؤنى سعياً يتعرضون لرحمتى فاشهدكم أنى غفرت لمحسنهم وشفعت محسنهم في مسيئهم واذا كان يوم الجمعة فمثل ذلك »

« الخصوصية الموفية للمائة »

قال الخطيب فى تاريخه أخبرنى محمد بن احمد بن يعقوب أخبرنا محمد بن نعيم الضبي حدثنى ابو على الحسين بن على الحافظ حدثنا ابو جعفر احمد بن حمدان العابد حدثنا اسحاق بن ابراهيم القفصي حدثنا خالد بن يزيد العمري ابو الوليد حدثنا ابن ابى ذئب حدثنا محمد بن المنكدر قال سمعت جابر بن عبد الله يقول عرض هذا الدعاء على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو دعي به على شيء من المشرق الى المغرب فى ساعة من يوم الجمعة لاستجيب لصاحبه لا اله الا انت ياحنان يامنان يابديع السموات والارض ياذا الجلال والاكرام

« الخصوصية الحادية بعد المائة »

أخرج الحاكم وابن خزيمة والبيهقي عن أبى موسى الاشعرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يبعث الايام يوم القيامة على هيئتها ويبعث الجمعة زهرة منيرة أهلها يحفون بها كالعروس تهدى الى كريمها تضيء لهم يمشون في ضوئها ألوانهم كالثلج بياضاً وريحهم يسطع كالمسك يخوضون في جبال الكافور ينظر اليهم الثقلان لا يطرقون تعجباً حتى يدخلوا الجنة لا يخالطهم أحد الا المؤذنون المحتسبون * هذا آخر خصائص الجمعة والله أعلم *

(تمت الرسالة)

تفسير

سورة الكوثر

« للامام العلامة »

« شيخ الاسلام ابن تيمية »

« المتوفى سنة ٧٢٨ هـ »

بسم الله الرحمن الرحيم

إنا أعطيناك الكوثر * فصلّ لربك وانحر * إنّ شانئك هو الأبتر *

قال شيخ الاسلام أبو العباس احمد بن عبد الحليم ابن عبد السلام بن تيمية رحمه الله

سورة الكوثر ما أجلها من سورة وأغزر فوائدها على اختصارها وحقيقة معناها تعلم من آخرها فانه سبحانه تعالى يبتر شانىء رسوله من كل خير فيبتر ذكره وأهله وماله فيخسر ذلك في الآخرة ويبتر حياته فلا ينتفع بها ولا يتزود فيها صالحاً لمعاده فيبتر قلبه فلا يعي الخير ولا يؤهله لمعرفته ومحبته والايمان برسله ويبتر أعماله فلا يستعمله في طاعة ويبتره من الانصار فلا يجد له ناصراً ولا عوناً ويبتر جميع القرب والاعمال الصالحة فلا يذوق لها طعما ولا يجد لها حلاوة وان باشرها بظاهره فقلبه شارد عنها وهذا جزاء من شنأ بعض ما جاء به الرسول ورده لاجل هواه أو متبوعه أو شيخه أو أميره أو كبيره كمن شنأ آيات الصفات وأحاديث الصفات وتأولها على غير ما أراد الله ورسوله سفها وحملها على ما يوافق

مذهبه ومذهب طائفته أو تمنى أن لا تكون آيات الصفات أنزلت ولا أحاديث الصفات قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم

ومن أقوى علامات شنأته لها وكراهته لها انه اذا سمعها حين يستدل بها أهل السنة على مادلت عليه من الحق اشمأز من ذلك وحاد عن ذلك لما في قلبه من البغض لها فأي شنأ للرسول أعظم من هذا وكذلك اهل السماع الذين يرقصون على سماع الغناء والقصائد والدفوف والشبابات واذا سمعوا القرآن يتلى ويقرأ في مجالسهم استطالوا ذلك واستثقلوه فأي شيء اعظم من هذا وقس على هذا سائر الطوائف في هذا الباب

وكذا من آثر كلام الناس وعلومهم على القرآن والسنة فلولا انه شانىء لما جاء به الرسول ما فعل ذلك حتى أن بعضهم لينسى القرآن بعد ان حفظه ويشتغل بقول فلان وفلان ولكن من أعظم شنأه ورده من كفر به وجحده وجعله أساطير الاولين وسحراً يؤثر فهذا أعظم وأطم انبتاراً وكل من شنأه له نصيب من الانبتار على قدر شنيئه له فهؤلاء شنؤه وعادوه جازاهم الله بأن يجعل الخير كله معادياً لهم فبترهم منه وخص نبيه صلى الله عليه وسلم بضد ذلك وهو أن أعطاه الكوثر وهو الخير الكثير الذى آتاه الله فى الدنيا والآخرة فما أعطاه في الدنيا الهدى والنصر والتأييد وقرة العين والنفس وانشراح الصدر ونعم قلبه بذكره وحبه بحيث لايشبه نعيمه نعيم فى الدنيا البتة وأعطاه في الآخرة الوسيلة والمقام المحمود وجعله أول من يفتح له ولامته باب الجنة وأعطاه فى الآخرة لواء الحمد والحوض العظيم في موقف القيامة الى غير ذلك وجعل المؤمنين كلهم أولاده وهو أب لهم وهذا ضد حال الابتر الذي يشنأه ويشنأ ماجاء به .

وقوله (شانئك) أي مبغضك والابتر المقطوع النسل الذى لا يولد له خير ولاعمل صالح فلايتولد عنه خير ولاعمل صالح * قيل لابى بكر بن عياش ان بالمسجد قوماً يجلسون ويجلس اليهم فقال من جلس للناس جلس الناس اليه ولكن

أهل السنة يموتون ويحيى ذكرهم وأهل البدعة يموتون ويموت ذكرهم لان أهل السنة أحيوا ماجاء به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأهل البدعة أماتوا ماجاء به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فكان لهم نصيب من قوله (إن شانئك هو الابتر) فالحذر الحذر أيها الرجل أن تكره شيئا مما جاء به الرسول أو ترده لاجل هواك أو انتصاراً لمذهبك أو شيخك أو لاجل اشتغالك بالشهوات أو بالدنيا فان الله لم يوجب على أحد طاعة أحد إلا طاعة رسوله والاخذ بما جاء به بحيث لو خالف العبد جميع الخلق واتبع الرسول ماسأله الله عن مخالفة أحد ما فكان من اطيع أو يطاع تبعا للرسول ولو أمر بخلاف ما أمر به الرسول ما اطيع

فاعلم ذلك واسمع وأطع واتبع ولاتبتدع تكن أبتر مردوداً عملك بل لاخير في عمل أبتر من الاتباع ولاخير في عامله : وقوله (إنا أعطيناك الكوثر) تدل هذه الآية على عطية كثيرة صادرة عن معط كبير غني واسع وانه تعالى وملائكته وجنده معه: صدر الآية بان الدالة على التأكيد وتحقيق الخبر وجاء الفعل بلفظ الماضي الدال على التحقيق وانه أمر ثابت واقع ولايدفعه مافيه من الايذان بأن اعطاء الكوثر سابق بالقدر الاول حين قدرت مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم بخمسين الف سنة وحذف موصوف الكوثر ليكون أبلغ في العموم لما فيه من عدم التعيين وأتى بالصفة أي انه سبحانه وتعالى قال (إنا أعطيناك الكوثر) والكوثر المعروف انما هو نهر في الجنة كما قد وردت به الاحاديث الصحيحة الصريحة وقال ابن عباس الكوثر هو الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه واذا كان أقل أهل الجنة من له فيها مثل الدنيا عشر مرات فما الظن بما لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مما أعده الله له فيها فالكوثر علامة وامارة على تعدد ما أعده الله له من الخيرات واتصالها وزيادتها وسمو المنزلة وارتفاعها وان ذلك النهر وهو الكوثر أعظم أنهار الجنة وأطيبها ماء وأعذبها وأعلاها

وكذلك انه أتى فيه بلام التعريف الدالة على كمال المسمى وتمامه كقوله زيد العالم زيد الشجاع أي لاأعلم منه ولاأشجع وكذلك قوله (إنا أعطيناك الكوثر)

دل على انه أعطاه الخير كله كاملا موفراً وان نال منه بعض أمته شيئا كان ذلك ناله ببركة اتباعه والاقتداء به مع ان له صلى الله عليه وآله وسلم مثل أجره من غير أن ينقص من أجر المتبع له شيء ففيه الاشارة الى ان الله تعالى يعطيه فى الجنة بقدر أجور أمته كلهم من غير أن ينتقص من أجورهم فانه هو السبب فى هدايتهم ونجاتهم فينبغي بل يجب على العبد اتباعه والاقتداء به وأن يمتثل ما أمره به ويكثر من العمل الصالح صوما وصلاة وصدقة وطهارة ليكون له مثل أجره فانه اذا فعل المحظور مع ترك المأمور قوى وزره وصعبت نجاته لارتكابه المحظور وتركه المأمور وان فعل المأمور وارتكب المحظور دخل فيمن يشفع فيه الرسول صلى الله عليه وسلم لكونه ناله مثل أجر مافعله من المأمور والى الله إياب الخلق وعليه حسابهم وهو أعلم بحالهم أي بأحوال عباده فان شفاعته لاهل الكبائر من أمته والمحسن انما أحسن بتوفيق الله له والمسيء لاحجة له ولاعذر

والمقصود ان الكوثر نهر في الجنة وهو من الخير الكثير الذى أعطاه الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم في الدنيا والآخرة وهذا غير مايعطيه الله من الاجر الذى هو مثل أجور أمته الى يوم القيامة فكل من قرأ أو علم أو عمل صالحا أو علم غيره أو تصدق أو حج أو جاهد أو رابط اوتاب اوصبر او توكل او نال مقاما من المقامات القلبية من خشية وخوف ومعرفة وغير ذلك فله مثل أجره من غير أن ينقص من اجور ذلك العامل والله اعلم

وقوله (فصل لربك وانحر) أمر الله أن يجمع بين هاتين العبادتين العظيمتين وهما الصلاة والنسك الدالتان على القرب والتواضع وحسن الظن وقوة اليقين وطمأنينة القلب الى الله والى عدته وأمره وفضله وخلفه عكس حال أهل الكبر والتنفر وأهل الغنى عن الله الذين لاحاجة فى صلاتهم الى ربهم يسألونه إياها والذين لاينحرون له خوفا من الفقر وتركا لاعانة الفقراء واعطائهم وسوء الظن منهم بربهم ولهذا جمع الله بينهما في قوله تعالى (قل ان صلاتى ونسكي ومحياي ومماتى لله رب العالمين)

والنسك هي الذبيحة ابتغاء وجهه والمقصود ان الصلاة والنسك وهو النحر مما أجل مايتقرب به الى الله فانه أتى فيهما بالفاء الدالة على السبب لان فعل ذلك وهو الصلاة والنحر سبب للقيام بشكر ما اعطاه الله إياه من الكوثر والخير الكثير فشكر المنعم عليه وعبادته أعظمها هاتان العبادتان بل الصلاة أفضل نهايات العبادة وغاية الغايات كأنه يقول (إنا أعطيناك الكوثر) الخير الكثير وأنعمنا عليك بذلك لاجل قيامك لنا بهاتين العبادتين شكراً لانعامنا عليك وهما السبب لانعامنا عليك بذلك فقم لنا بهما فان الصلاة والنحر محفوفان بانعام قبلهما وانعام بعدهما وأجل العبادات المالية النحر وأجل العبادات البدنية الصلاة ومايجتمع للعبد فى الصلاة لايجتمع له في غيرها من سائر العبادات كما عرفه أرباب القلوب الحية وأصحاب الهمم العالية ومايجتمع له في نحره من إيثار الله وحسن الظن به وقوة اليقين والوثوق بما فى يدالله أمر عجيب اذا قارن ذلك الايمان والاخلاص، وقد امتثل النبى صلى الله عليه وسلم أمر ربه فكان كثير الصلاة لربه كثير النحر حتى نحر بيده في حجة الوداع ثلاثاً وستين بدنة وكان ينحر في الأعياد وغيرها

وفي قوله (انا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر)[1] اشارة الى انك لاتتأسف على شيء من الدنيا كما ذكر ذلك فى آخر طه والحجرات وغير ذلك وفيها الاشارة الى ترك الالتفات الى الناس ومايناله منهم بل صل لربك وانحر : وفيها التعريض بحال الابتر الشانيء الذي صلاته ونسكه لغير الله

وفي قوله (ان شانئك هو الابتر) أنواع من التأكيد : أحدها تصدير الجملة بأن * الثانى الاتيان بضمير الفصل الدال على قوة الاسناد والاختصاص * الثالث مجيء الخبر على افعل التفضيل دون اسم المفعول * الرابع تعريفه باللام الدالة على حصول هذا الموصوف له بتمامه وانه أحق به من غيره ونظير هذا في التأكيد قوله (لاتخف انك أنت الاعلى)[2]

ومن فوائدها اللطيفة الالتفات في قوله (فصل لربك وانحر) الدالة على ان ربك مستحق لذلك وأنت جدير بأن تعبده وتنحر له والله أعلم

(تمت الرسالة)

١ ـ الكوثر ١ ـ ٢

٢ ـ سورة طه ٦٨

رسالة
في علم الباطن والظاهر
« للامام العلامة »

« شيخ الاسلام ابن تيمية »

بسم الله الرحمن الرحيم

(مسألة) في طائفة من المتفقرة يدعون أن للقرآن باطناً وان لذلك الباطن باطناً الى سبعة أبطن ويروون في ذلك حديثاً أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «للقرآن باطن وللباطن باطن الى سبعة أبطن» ويفسرون القرآن بغير المعروف عن الصحابة والتابعين والائمة من الفقهاء ويزعمون أن علياً قال لو شئت لأوقرت من تفسير فاتحة الكتاب كذا وكذا حمل جمل ويقولون انما هو من علمنا إذ هو اللدنى ويقولون كلاماً معناه أن رسول صلى الله عليه وسلم خص كل قوم بما يصلح لهم فانه امر قوماً بالامساك وقوما بالانفاق وقوما بالكسب وقوما بترك الكسب ويقولون ان هذا ذكرته أشياخنا في العوارف وغيره من كتب المحققين وربما ذكروا أن حذيفة كان يعلم أسماء المنافقين خصه بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وبحديث أبي هريرة «حفظت جرابين من علم» ويروون كلاما عن أبي سعيد الخراز أنه قال : للعارفين خزائن أودعوها علوما غريبة يتكلمون فيها بلسان الابدية يخبرون عنها بلسان الازلية ويقولون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ان من العلم كهيئة المخزون لا يعلمه الا العلماء بالله فاذا نطقوا به لم ينكره الا أهل

الغرة بالله» فهل ما ادعوه صحيحا أم لا . فسيدى يبين لنا مقالاتهم فان المملوك وقف على كلام لبعض العلماء ذكر فيه أن الواحدى قال : ألف أبو عبد الرحمن السلمى كتابا سماه حقائق التفسير ان صح عنه فقد كفر ووقفت على هذا الكتاب فوجدت كلام هذه الطائفة منه وما شابهه فما رأى سيدي فى ذلك وهل صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «للقرآن باطن» الحديث يفسرونه على ما يرونه من أذواقهم ومواجيدهم المردودة شرعا أفتونا مأجورين

أجاب الشيخ رضي الله عنه الحمد لله رب العالمين . أما الحديث المذكور فمن الاحاديث المختلقة التى لم يروها أحد من أهل العلم ولا يوجد فى شىء من كتب الحديث ولكن يروى عن الحسن البصري موقوفا أو مرسلا «أن لكل آية ظهراً وبطنا وحداً ومطلعا» وقد شاع في كلام كثير من الناس : علم الظاهر وعلم الباطن وأهل الظاهر وأهل الباطن ودخل في هذه العبارات حق وباطل وقد بسط هذا في غير هذا الموضع لكن نذكر هنا جملا من ذلك فنقول : قول الرجل : الباطن اما أن يريد علم الامور الباطنة مثل العلم بما في القلوب من المعارف والاحوال والعلم بالغيوب التى أخبرت بها الرسل واما أن يريد العلم الباطن الذى يبطن عن فهم أكثر الناس أوعن فهم من وقف مع الظاهر ونحو ذلك فاما الاول فلا ريب ان العلم منه ما يتعلق بالظاهر كأعمال الجوارح ومنه ما يتعلق بالباطن كأعمال القلوب ومنه ماهو علم بالشهادة وهو ما يشهده الناس بحواسهم ومنه ما يتعلق بالغيب وهو ما غاب عن احساسهم وأصل الايمان هو الايمان بالغيب كما قال تعالى (الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب)[1] والغيب الذى يؤمن به ما أخبرت به الرسل من الامور العامة ويدخل في ذلك الايمان بالله وأسمائه وصفاته وملائكته والجنة والنار فالايمان بالله وبرسله وباليوم الآخر يتضمن الايمان بالغيب فان وصف الرسالة هو من الغيب وتفصيل ذلك هو الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر كما ذكر الله تعالى في قوله (ولكن البر من آمن بالله واليوم الاخر والملائكة والكتاب والنبيين)[2] وقال

١ - البقرة ٢-٣
٢ - البقرة ١٧٧

(ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر فقد ضل ضلالا بعيدا)[١]
والعلم بأصول القلوب كالعلم بالاعتقادات الصحيحة والفاسدة والارادات الصحيحة والفاسدة والعلم بمعرفة الله ومحبته والاخلاص له وخشيته والتوكل عليه والرجاء له والحب فيه والبغض والرضا بحكمه والانابة اليه والعلم بما يحمد ويذم من أخلاق النفوس كالسخاء والحياء والتواضع والكبر والعجب والفخر والخيلاء وأمثال ذلك من العلوم المتعلقة بأمور باطلة في القلوب ونحوه قد يقال له علم الباطن أى علم بالامر الباطن فالمعلوم هو الباطن وأما العلم الظاهر فهو ظاهر يتكلم به ويكتب وقد دل على ذلك الكتاب والسنة وكلام السلف وأتباعهم بل غالبه أى القرآن هو من هذا العلم فان الله أنزل القرآن شفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين بل هذا العلم هو العلم بأصول الدين فان اعتقاد القلب أصل لقول اللسان وعمل القلب أصل لعمل الجوارح والقلب هو ملك البدن كما قال ابو هريرة رضي الله عنه القلب ملك والاعضاء جنوده فاذا طاب الملك طابت جنوده واذا خبث الملك خبثت جنوده * وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «ألا وأن في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد لها سائر الجسد ألا وهي القلب» ومن لم يكن له علم بما يصلح باطنه ويفسده ولم يقصد صلاح قلبه بالايمان ودفع النفاق كان منافقا ان ظهر الاسلام فان الاسلام يظهره المؤمن والمنافق وهو علانية ولكن الايمان في القلب كما في المسند عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «الاسلام علانية والايمان في القلب» وكلام الصحابة والتابعين والاحاديث والآثار في هذا أكثر منها في الاجارة والشفعة والحيض والطهارة بكثير كثير ولكن هذا العلم ظاهر موجود مقول باللسان مكتوب في الكتب ولكن من كان بأمور القلب اعلم كان أعلم به وأعلم بمعاني القرآن والحديث * وعامة الناس يجدون هذه الامور في أنفسهم ذوقا ووجدا فتكون محسوسة لهم بالحس الباطن لكن الناس في حقائق الايمان متفاضلون تفاضلا عظيما فأهل الطبقة العليا يعلمون أهل السفلى من غير

[١] النساء ١٣٦

عكس كما ان أهل الجنة في الجنة ينزل الاعلى الى الاسفل ولا يصعد الاسفل الى الاعلى والعالم يعرف الجاهل لانه كان جاهلا والجاهل لا يعرف العالم لانه لم يكن عالمًا فلهذا كان في حقائق الايمان الباطنة وحقائق أنباء الغيب التى اخبرت بها الرسل مالا يعرفه الا خواص الناس فيكون هذا العلم باطنًا من جهتين من جهة المعلوم باطنًا ومن جهة كون العلم باطنًا لا يعرفه أكثر الناس ثم ان هذا الكلام في هذا العلم يدخل فيه من الحق والباطل مالا يدخل في غيره فما وافق الكتاب والسنة فهو حق وما خالف ذلك فهو باطل كالكلام في الأمور الظاهرة

فصل

وأما اذا أريد بالعلم الباطن العلم الذى يبطن عن أكثر الناس أو عن بعضهم فهذا على نوعين أحدهما باطن يخالف العلم الظاهر والثاني لا يخالف فأما الاول فباطل فمن ادعى علمًا باطنًا أو علمًا بباطن وذلك يخالف العلم الظاهر كان مخطئًا أما ملحدا زنديقًا وإما جاهلا ضالا وأما الثاني فهو بمنزلة العلم الظاهر قد يكون حقًا وقد يكون باطلا فأن الباطن اذا لم يخالف الظاهر لم يعلم بطلانه من جهة مخالفته للظاهر المعلوم فان علم أنه حق قبل وان علم أنه باطل رد وإلا أمسك عنه وأما الباطن المخالف للظاهر المعلوم فمثل ما يدعيه الباطنية القرامطة من الاسماعيلية والنصيرية وأمثالهم وممن وافقهم من الفلاسفة وغلاة المتصوفة والمتكلمين وشر هؤلاء القرامطة فانهم يدعون ان للقرآن والاسلام باطنًا يخالف

فيقولون الصلاة المأمور بها ليست هذه الصلاة أو هذه الصلاة انما يؤمر بها العامة وأما الخاصة فالصلاة في حقهم معرفة أسرارنا والصيام كتمان أسرارنا والحج السفر الى زيارة شيوخنا المقدسين ويقولون أن الجنة للخاصة هي التمتع في الدنيا باللذات والنار هي التزام الشرائع والدخول تحت أثقالها ويقولون ان الدابة التى يخرجها الله هى العالم الناطق بالعلم في كل وقت وان اسرافيل الذى ينفخ في الصور هو العالم الذى ينفخ بعلمه في القلوب حتى تحيا وجبريل هو العقل الفعال

الذى تفيض منه الموجودات والقلم هو العقل الاول الذى تزعم الفلاسفة أنه المبدع الاول وأن الكواكب والقمر والشمس التى رآها ابراهيم هي النفس والعقل وواجب الوجود وأن الانهار الاربعة التى رآها النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج هي العناصر الاربعة وأن الاشياء التى رآها في السماء هي الكواكب فآدم هو القمر ويوسف هو الزهرة وادريس هو الشمس وامثال هذه الامور فقد دخل في كثير من أقوال هؤلاء كثير من المتكلمين المتصوفين لكن اؤلئك القرامطة ظاهرهم الرفض وباطنهم الكفر المحض وعامة الصوفية والمتكلمين ليسوا رافضة يفسقون الصحابة ولا يكفرونهم ولكن فيهم من هو كالزيدية الذين يفضلون علياً على أبي بكر وفيهم من يفضل علياً في العلم الباطن كطريقة الحربي وأمثاله ويدعون أن علياً كان أعلم بالباطن وأن هذا العلم أفضل من جهة: وأبو بكر كان أعلم بالظاهر وهؤلاء عكس محققي الصوفية وأئمتهم فانهم متفقون على أن أعلم الخلق بالعلم الباطن هو أبو بكر الصديق وقد اتفق أهل السنة والجماعة على ان أبا بكر أعلم الامة بالباطن والظاهر وحكى الاجماع على ذلك غير واحد وهؤلاء الباطنية قد يفسرون (وكل شيء أحصيناه في امام مبين)[1] أنه على ويفسرون قوله تعالى (تبت يدا ابى لهب وتب)[2] بأنهما ابوبكر وعمر وقوله (فقاتلوا أئمة الكفر)[3] أنهم طلحة والزبير و(الشجرة الملعونة)[4] في القرآن بأنها بنو أمية

وأما باطنية الصوفية فيقولون في قوله تعالى (اذهب الى فرعون)[5] أنه القلب و (إن الله يأمركم ان تذبحوا بقرة)[6] أنها النفس ويقول (اولئك) هي عائشة ويفسرون هم والفلاسفة تكليم موسى بما يفيض عليه من العقل الفعال أو غيره ويجعلون (خلع النعلين) ترك الدنيا والآخرة ويفسرون الشجرة التى كلم منها موسى والوادي المقدس ونحو ذلك بأحوال تعرض للقلب عند حصول المعارف له وممن سلك ذلك صاحب مشكاة الانوار وأمثاله وهي مما أعظم المسلمون انكاره عليه وقالوا أمرضه الشفاء وقالوا دخل في بطون الفلاسفة ثم أراد أن يخرج فما قدر . ومن الناس من يطعن في هذه الكتب ويقول انها

١ - يس ١٢
٢ - المسد ١
٣ - التوبة ١٢
٤ - الاسراء ٦٠
٥ - طه ٢٤
٦ - البقرة ٦٧

مكذوبة عليه وآخرون يقولون بل رجع عنها وهذا أقرب الاقوال فانه قد صرح بكفر الفلاسفة في مسائل وتضليلهم في مسائل أكثر منها وصرح بأن طريقتهم لا توصل الى المطلوب

وباطنية الفلاسفة يفسرون الملائكة أو الشياطين بقوى النفس وما وعد الناس به في الآخرة بأمثال مضروبة لتفهيم ما يقوم بالنفس بعد الموت من اللذة والالم لاباثبات حقائق منفصلة يتنعم بها ويتألم بها وقد وقع في هذا الباب من كلام كثير من متأخرى الصوفية مالم يوجد مثله من أئمتهم ومتقدميهم كما وقع في كلام كثير من متأخرى أهل الكلام والنظر من ذلك مالا يوجد من أئمتهم ومتقدميهم: وهؤلاء المتأخرون مع ضلالهم وجهلهم يدعون أنهم أعلم وأعرف من سلف الامة ومتقدميها حتى آل الامر بهم الى أن جعلوا الوجود واحداً كما فعل ابن عربي صاحب الفصوص وأمثاله كأنهم دخلوا من هذا الباب حتى خرجوا من كل عقل ودين وهم يدعون مع ذلك ان الشيوخ المتقدمين كالجنيد بن محمد وسهل بن عبد الله التسترى وابراهيم الخواص وغيرهم ماتوا وما عرفوا التوحيد وينكرون على الجنيد وأمثاله اذا ميزوا بين الرب والعبد كقوله التوحيد أفراد الحدوث عن القوم ولعمرى ان توحيدهم الذى جعلوا فيه وجود المخلوق وجود الخالق هو من أعظم الالحاد الذى انكره المشايخ المهتدون وهم عرفوا أنه باطل وأنكروه وحذروا الناس منه وأمروهم بالتمييز بين الرب والعبد والخالق والمخلوق والقديم والمحدث وأن التوحيد ان يعلم مباينة الرب لمخلوقاته وامتيازه عنها وأنه ليس فى مخلوقاته شيء من ذاته ولا فى ذاته شيء من مخلوقاته ثم انهم يدعون انهم أعلم بالله من المرسلين وان الرسل انما تستفيد معرفة الله من مشكاتهم ويفسرون القرآن بما يوافق باطنهم الباطل كقولهم (مما خطيئتهم)[1] فهي التى خطت بهم فغرقوا في بحار العلم بالله وقولهم ان العذاب مشتق من العذوبة ويقولون ان كلام نوح في حق قومه ثناء عليهم بلسان الذم ويفسرون قوله تعالى (ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لايؤمنون)[2] بعلم

١ - نوح ٢٥

٢ - البقرة ٦

الظاهر بل ختم الله على قلوبهم فلا يعلمون غيره وعلى سمعهم وعلى أبصارهم فلا يسمعون من غيره ولا يرون غيره فانه لا غير له فلا يرون غيره أو يقولون في قوله (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه)[1] ان معناه قدر ذلك انه ليس موجود سواه فلا يتصور ان يعبد غيره فكل من عبد الاصنام والعجل ماعبد غيره لانه ماثم غير وأمثال هذه التأويلات والتفسيرات التي يعلم كل مؤمن وكل يهودي ونصراني علماً ضرورياً انها مخالفة لما جاءت به الرسل كموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم أجمعين : وجماع القول في ذلك ان هذا الباب نوعان أحدهما ان يكون المعنى المذكور باطلا لكونه مخالفاً لما علم فهذا هو في نفسه باطل فلا يكون الدليل عليه إلا باطلا لان الباطل لا يكون عليه دليل يقتضي انه حق: والثاني ما كان في نفسه حقاً لكن يستدلون عليه من القرآن والحديث بألفاظ لم يرد بها ذلك فهذا الذي يسمونه اشارات : وحقائق التفسير لابى عبد الرحمن فيه من هذا الباب شيء كثير * وأما النوع الاول فيوجد كثيراً في كلام القرامطة والفلاسفة المخالفين للمسلمين فى اصول دينهم فان من علم ان السابقين الاولين قد رضى الله عنهم ورضوا عنه علم ان كل ما يذكرونه على خلاف ذلك فهو باطل ومن أقر بوجوب الصلوات الخمس على كل أحد ما دام عقله حاضراً علم ان من تأول نصاً على سقوط ذلك عن بعضهم فقد افترى : ومن علم ان الخمر والفواحش محرمة على كل أحد ما دام عقله حاضراً علم ان من تأول نصاً يقتضي تحليل ذلك لبعض الناس انه مفتر:

وأما النوع الثانى فهو الذى يشتبه كثيراً على بعض الناس فان المعنى يكون صحيحاً لدلالة الكتاب والسنة عليه ولكن الشأن في كون اللفظ الذى يذكرونه دل عليه وهذا قسمان احدهما ان يقال ان ذلك المعنى مراد باللفظ فهذا افتراء على الله فمن قال المراد بقوله (تذبحوا بقرة)[2] هي النفس وبقوله (اذهب الى فرعون)[3] هو القلب (والذين معه)[4] أبو بكر (أشداء على الكفار)[4] عمر (رحماء بينهم)[4] عثمان (ركعاً سجداً)[4] على فقد كذب على الله أما متعمداً واما مخطئاً

والقسم الثانى أن يجعل ذلك من باب الاعتبار والقياس لا من باب دلالة

١ ـ الاسراء ٢٣
٢ ـ البقرة ٦٧
٣ ـ طه ٢٤
٤ ـ الفتح ٢٩

اللفظ فهو من نوع القياس فالذى تسميه الفقهاء قياساً هو الذى تسميه الصوفية أشارة وهذا ينقسم الى صحيح و باطل كانقسام القياس الى ذلك فمن سمع قول الله تعالى (لايمسه إلا المطهرون)[١] وقال انه اللوح المحفوظ أو المصحف فقال كما أن اللوح المحفوظ الذى كتب فيه حروف القرا ن لايمسه إلا بدن طاهر فمعانى القرآن لايدريها إلا القلوب الطاهرة وهي قلوب المتقين كان هذا معنى صحيحاً واعتباراً صحيحاً: ولهذا يروى هذا عن طائفة من السلف قال تعالى(الم ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين)[٢] وقال (هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين)[٣] وقال(يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام)[٤] وأمثال ذلك : وكذا من قال لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا جنب فاعتبر بذلك أن القلب لا يدخله حقائق الايمان اذا كان فيه ما ينجسه من الكبر والحسد فقد أصاب قال تعالى (أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم)[٥] وقال تعالى (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا)[٦] وأمثال ذلك

وكتاب حقائق التفسير لابي عبد الرحمن السلمي يتضمن ثلاثة أنواع : أحدها نقول ضعيفة عمن نقلت عنه مثل أكثر ما نقله عن جعفر الصادق فان أكثره باطل عنه والائمة فيه من موقوف ابن عبد الرحمن وقد تكلم أهل المعرفة في نفس رواية أبي عبد الرحمن حتى كان البيهقى اذا حدث عنه يقول حدثنا من أصل سماعه : والثاني أن يكون المنقول صحيحاً لكن لعل الناقل أخطأ فيما قال * والثالث منقول صحيح عن قائل مصيب فكل معنى يخالف الكتاب والسنة فهو باطل وحجته داحضة وكل ما وافق الكتاب والسنة والمراد بالخطاب غيره اذا فسر به الخطاب فهو خطأ وان ذكر على سبيل الاشارة والاعتبار والقياس فقد يكون حقاً وقد يكون باطلا : وقد تبين بذلك أن من فسر القرآن والحديث وتأوله على غير التفسير المعروف عن الصحابة والتابعين فهو مفتر على الله ملحد فى آيات الله محرف للكلم عن مواضعه وهذا فتح لباب الزندقة والالحاد وهو معلوم

١ ـ الواقعة ٧٩
٢ ـ البقرة ١-٢
٣ ـ آل عمران ١٣٨
٤ ـ المائدة ١٦
٥ ـ المائدة ٤١
٦ ـ الأعراف ١٤٦

البطلان بالاضطرار من دين الاسلام

وأما ما يروى عن بعضهم من الكلام المجمل مثل قول بعضهم لو شئت لأوقرت من تفسير فاتحة الكتاب الخ فهذا اذا صح عمن نقل عنه كعلي وغيره لم يكن فيه دلالة على الباطن المخالف للظاهر بل يكون هذا من الباطن الصحيح الموافق للظاهر الصحيح وقد تقدم أن الباطن اذا أريد به ما لا يخالف الظاهر المعلوم فقد يكون حقاً وقد يكون باطلا ولكن ينبغي أن يعرف أنه كذب على علي واهل بيته لا سيما على جعفر الصادق ما لم يكذب على غيره من الصحابة حتى أن الاسماعيلية والنصيرية يضيفون مذهبهم اليه وكذلك المعتزلة وكذلك خرقة التصوف يقولون ان الحسن البصري صحبه وانه دخل المسجد فرأى الحسن يقص مع القصاص فقال ما صلاح الدين قال الورع قال فما فساده قال الطمع فأقره واخرج غيره: وقد اتفق اهل المعرفة بالمنقولات ان الحسن لم يصحب عليا ولم يأخذ عنه شيئا وانما اخذ عن اصحابه كالأحنف بن قيس وقيس بن سعد ابن عبادة وامثالهما ولم يقص الحسن في زمن علي بل ولا في زمن معاوية وانما قص بعد ذلك وقد كان في زمن علي يكذبون عليه حتى كان الناس يسألونه كما ثبت فى الصحيحين «انه قيل له هل عندكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب يقرءونه فقال لا والذى فلق الحبة وبرأ النسمة الا هذه الصحيفة وفيها اسنان الابل وفكاك الاسير وألا يقتل مسلم بكافر» وفي لفظ «هل عهد اليكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئا لم يعهده الى الناس فقال لا» وفي لفظ «الا فهما يؤتيه الله لعبد فى كتابه»

واما العلم اللدني فلا ريب ان الله يفتح على قلوب أوليائه المتقين وعباده الصالحين بسبب طهارة قلوبهم مما يكرهه واتباعهم بما يحبه ما لا يفتح به على غيرهم وهذا كما قال عليّ والا فهما يؤتيه الله عبداً في كتابه: وفي الأثر (من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم) وقد دل القرآن على ذلك في غير موضع كقوله (ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم واشد تثبيتا واذاً لآتيناهم من لدنا

اجراً عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما)[1] فقد اخبر انه من فعل ما يؤمر به يهديه الله صراطا مستقيما وقال تعالى (يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام)[2] وقال تعالى (والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم)[3] وقال (انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى)[4] وقال تعالى (ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين)[5] وقال تعالى (هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون)[6] وقال تعالى (هذا بصائر من ربكم وهدىً ورحمة لقومٍ يؤمنون)[7] واخبر ان اتباع ما يكرهه يصرف عن العلم والهدى كقوله (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم)[8] وقوله (واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انما الايات عند الله وما يشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون)[9] اى وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون بها وتقلب افئدتهم أى يتركون الايمان ونحن نقلب افئدتهم لكونهم لم يؤمنوا اول مرة اى ما يدريكم انه لا يكون هذا وهذا حينئذ

ومن فهم معنى الآية عرف خطأ من قال ان بمعنى لعل واستشكل قراءة الفتح بل يعلم حينئذ أنها احسن من قراءة الكسر وهذا باب واسع والناس في هذا الباب على ثلاثة اقسام طرفان ووسط فقوم يزعمون ان مجرد الزهد وتصفية القلب ورياضة النفس توجب حصول العلم بلا سبب آخر * وقوم يقولون لا اثر لذلك بل الموجب للعلم العلم بالادلة الشرعية او العقلية واما الوسط فهو ان ذلك من اعظم الاسباب معاونة على نيل العلم بل هو شرط في حصول كثير من العلم وليس هو وحده كافياً بل لابد من امر آخر اما العلم بالدليل فيما لا يعلم الا به واما التصور الصحيح لطرفي القضية بالعلوم الضرورية : واما العلم النافع الذى تحصل به النجاة من النار ويسعد به العباد فلا يحصل الا باتباع الكتب التى جاءت بها الرسل قال تعالى (فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا يضل

١ ـ النساء ٦٦ـ٦٨
٢ ـ المائدة ١٦
٣ ـ محمد ١٧
٤ ـ الكهف ١٣
٥ ـ البقرة ٢
٦ ـ الجاثية ٢٠
٧ ـ الأعراف ٢٠٣
٨ ـ الصف ٥
٩ ـ الأنعام ١٠٩ـ١١٠

ولا يشقى ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وكذلك نجزى من اسرف ولم يؤمن)[١] الخ وقال تعالى (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين)[٢] فمن ظن ان الهدى والايمان يحصل بمجرد طريق العلم مع عدم العمل به أو بمجرد العمل والزهد بدون العلم فقد ضل : واضل منهما من سلك في العلم والمعرفة طريق اهل الفلسفة والكلام بدون اعتبار ذلك بالكتاب والسنة ولا العمل بموجب العلم او سلك في العمل والزهد طريق اهل الفلسفة والتصوف بدون اعتبار ذلك بالكتاب والسنة ولا اعتبار العمل بالعلم فأعرض هؤلاء عن العلم والشرع واعرض اولئك عن العمل والشرع فضل كل منهما من هذين الوجهين وتباينوا تبايناً عظيماً حتى اشبه هؤلاء اليهود المغضوب عليهم واشبه هؤلاء النصارى الضالين بل صار كل منهما شراً من اليهود والنصارى كالقرامطة والاتحادية وامثالهم من الملاحدة الفلاسفة .

فصل

واما قول القائل ان النبي صلى الله عليه وسلم خص كل قوم بما يصلح لهم الخ فهذا الكلام له وجهان ان اراد به ان الاعمال المشروعة يختلف الناس فيها بحسب اختلاف احوالهم فهذا لاريب فيه فانه ليس مايؤمر به الفقير كما يؤمر به الغنى ولا مايؤمر به المريض كما يؤمر به الصحيح ولا مايؤمر به عند المصائب هو مايؤمر به عند النعم ولا ماتؤمر به الحائض كما تؤمر به الطاهرة ولا ماتؤمر به الائمة كالذى تؤمر به الرعية فأمر الله لعباده قد يتنوع بتنوع احوالهم كما قد يشتركون في اصل الايمان بالله وتوحيده والايمان بكتبه ورسله : وان اراد به ان الشريعة في نفسها تختلف وان النبي صلى الله عليه وسلم خاطب زيداً بخطاب يناقض ماخاطب به عمراً او اظهر لهذا شيئاً يناقض ما اظهره لهذا كما يرويه الكذابون ان عائشة

١ ـ طه ١٢٣-١٢٧
٢ ـ الزخرف ٣٦

سألته هل رأيت ربك فقال لا وسأله أبو بكر فقال نعم وانه أجاب عن مسألة واحدة بجوابين متناقضين لاختلاف حال السائلين فهذا من كلام الكذابين المفترين بل من كلام الملاحدة المنافقين فان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال «ما ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الاعين» والحديث فى سنن أبى داود وغيره وكان عام الفتح قد أهدر دم جماعة منهم ابن أبي سرح فجاء به عثمان ليبايع النبي صلى الله عليه وسلم فأعرض عنه مرتين أو ثلاثا ثم بايعه ثم قال أما كان فيكم رجل رشيد ينظر إلي وقد أعرضت عن هذا فيقتله فقال بعضهم هلا أومضت إليّ يا رسول الله فقال « ما ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الاعين» وهذا مثاله فى استواء ظاهره وباطنه وسره وعلانيته وانه لا يبطن خلاف ما يظهر على عادة المكارين المنافقين ولا ريب ان القرامطة وأمثالهم من الفلاسفة يقولون انه أظهر خلاف ما أبطن وانه خاطب العامة بأمور أراد بها خلاف ما أفهمهم لاجل مصلحتهم اذ كان لا يمكنه صلاحهم إلا بهذا الطريق: وقد زعم ذلك ابن سينا وأصحاب رسائل إخوان الصفا وأمثالهم من الفلاسفة والقرامطة الباطنية فان ابن سينا كان هو وأهل بيته من أتباع الحاكم القرمطي العبيدى الذي كان بمصر * وقول هؤلاء كما انه من أكفر الاقوال فجهلهم من أعظم الجهل وذلك انه اذا كان الامر كذلك فلابد أن يعلمه أهل العقل والذكاء من الناس واذا علموه امتنع في العادة تواطؤهم على كتمانه كما يمتنع تواطؤهم على الكذب فانه كما يمتنع في العادة تواطؤ الجميع على الكذب يمتنع تواطؤهم على كتمان ما تتوفر الهمم والدواعي على بيانه ألا ترى الباطنية ونحوهم أبطنوا خلاف ما أظهروه للناس وسعوا في ذلك بكل طريق وتواطؤا عليه ماشاء الله حتى التبس أمرهم على كثير من أتباعهم ثم انهم مع ذلك اطلع على حقيقة أمرهم جميع اذكياء الناس من موافقيهم ومخالفيهم وصنفوا الكتب في كشف أسرارهم ورفع أستارهم ولم يكن لهم في الباطن حرمة عند من عرف باطنهم ولا ثقة بما يخبرون به ولا التزام طاعة ما يأمرون * وكذلك من فيه نوع من هذا الجنس فمن سلك هذه السبيل لم يبق لمن علم أمره ثقة بما يخبر

به وبما يأمر به وحينئذ فينتقض عليه جميع ماخاطب به الناس فانه مامن خطاب يخاطبهم به الا ويجوزون عليه أن يكون أراد غير ما أظهره لهم فلايثقون بأخباره وأوامره فيختل عليه الامر كله فيكون مقصوده صلاحهم فيعود ذلك بالفساد العظيم بل كل من وافقه فلابد أن يظهر خلاف ماأبطن كأتباع من سلك هذه السبيل من القرامطة الباطنية وغيرهم لاتجد أحداً من موافقيهم الا ولابد أن يبين ان ظاهره خلاف باطنه ويحصل لهم بذلك من كشف الاسرار وهتك الاستار مايصيرون به من شرار الكفار واذا كانت الرسل تبطن خلاف ماتظهر فاما أن يكون العلم بهذا الاختلاف ممكناً لغيرهم واما أن لايكون فان لم يكن ممكناً كان مدعي ذلك كذاباً مفترياً فبطل قول هؤلاء الملاحدة الفلاسفة والقرامطة وأمثالهم وان كان العلم بذلك ممكناً علم بعض الناس مخالفة الباطن للظاهر وليس لمن يعلم ذلك حد محدود بل اذا علمه هذا علمه هذا وعلمه هذا فيشيع هذا ويظهر . ولهذا كان من اعتقد هذا في الأنبياء كهؤلاء الباطنية من الفلاسفة والقرامطة ونحوهم معرضين عن حقيقة خبره وامره لايعتقدون باطن ما أخبر به ولا ماأمر بل يظهر عليه من مخالفة أمره والاعراض عن خبره مايظهر لكل أحد ولاتجد في أهل الايمان من يحسن بهم الظن بل يظهر فسقهم ونفاقهم لعوام المؤمنين فضلا عن خواصهم وأيضاً فمن كانت هذه حاله كان خواصه اعلم الناس بباطنه والعلم بذلك يوجب الانحلال في الباطن ومن علم حال خاصة النبي صلى الله عليه وسلم كابى بكر وعمر وغيرهما من السابقين الاولين علم أنهم كانوا اعظم الناس تصديقاً لباطن امر خبره وظاهره وطاعتهم له في سرهم وعلانيتهم ولم يكن احد منهم يعتقد فى خبره وامره ماينافض ظاهر مابينه لهم ودلهم عليه وارشدهم اليه ولهذا لم يكن في الصحابة من تأول شيئاً من نصوصه على خلاف مادل عليه لا فيما اخبر به الله عن اسمائه وصفاته ولافيما اخبر به عما بعد الموت وان ماظهر من هذا ماظهر الا ممن هو عند الأمة من اهل النفاق والاتحاد كالقرامطة والفلاسفة والجهمية نفاة حقائق الاسماء والصفات ومن تمام

هذا ان تعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يخص احداً من اصحابه بخطاب في علم الدين قصد كتمانه عن غيره ولكن كان قد يسأل الرجل عن المسألة التي لايمكن جوابها فيجيب بما ينفعه كالاعرابي الذى سأله عن الساعة والساعة لايعلم متى هي فقال «ما اعددت لها ؟ فقال مااعددت لها من كثير عمل ولكني أحب الله ورسوله فقال المرء مع من أحب» فأجابه بالمقصود من علمه بالساعة ولم يكن يخاطب اصحابه بخطاب لايفهمونه بل كان بعضهم اكمل فهماً لكلامه من بعض كما في الصحيحين عن ابي سعيد ان رسول الله قال « ان عبداً خيره الله بين الدنيا والآخرة فاختار ذلك العبد ماعند الله فبكى ابو بكر وقال بل نفديك بأنفسنا واموالنا يارسول الله فجعل الناس يعجبون أن ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم عبداً خيره الله بين الدنيا والآخرة قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخير وابو بكر أعلمنا به » فالنبي صلى الله عليه وسلم ذكر عبداً مطلقاً لم يعينه ولا في لفظه مايدل عليه لكن ابو بكر لكمال معرفته بمقاصد الرسول علم انه هو ذلك العبد فلم يخص عنهم بباطن يخالف الظاهر بل يوافقه ولايخفي مفهوم لفظه ومعناه:

وأما ما يرويه بعض الكذابين عن عمر أنه قال« كان النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر يتحدثان وكنت كالزنجي بينهما» فهذا من أظهر الاكاذيب المختلقة لم يروه أحد من علماء المسلمين في شيء من كتب أهل العلم وهو من أظهر الكذب فان عمر أفضل الامة بعد أبي بكر وهو المحدث الملهم الذي ضرب الله الحق على لسانه وقلبه وهو أفضل المخاطبين المحدثين من هذه الامة فاذا كان هو حاضراً يسمع الالفاظ ولم يفهم الكلام كالزنجي فهل يتصور ان يكون غيره افهم منه لذلك فكيف من لم يسمع ألفاظ الرسول بل يزعم ان مايدعيه من المعاني هي تلك المعاني بمجرد الدعوى التي لو كانت مجردة لم تقبل فكيف اذا قامت البينة على كذب مدعيها

وأما حديث حذيفة فقد ثبت في الصحيح ان حذيفة كان يعلم السر الذي

لايعلمه غيره وكان ذلك ما أسره اليه النبي صلى الله عليه وسلم عام تبوك من أعيان المنافقين فانه روى أن جماعة من المنافقين أرادوا أن يحلوا حزام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل ليسقط عن بعيره فيموت وانه أوحى اليه بذلك وكان حذيفة قريباً منه فأسر اليه أسماءهم : ويقال ان عمر لم يكن يصلي على أحد حتى يصلي عليه حذيفة وهذا ليس فيه شيء من حقائق الدين ولا من الباطن الذي يخالف الظاهر فان الله قد ذكر في كتابه من صفات المنافقين وأخبارهم ما ذكره حتى ان سورة «براءة» سميت الفاضحة لكونها فضحت المنافقين وسميت المبعثرة وغير ذلك من الاسماء لكن القرآن لم يذكر فلاناً وفلاناً فاذا عرف بعض الناس ان فلاناً وفلاناً من هؤلاء المنافقين الموصوفين كان ذلك بمنزلة تعريفه ان فلانا وفلاناً من المؤمنين الموعودين بالجنة فاخباره صلى الله عليه وسلم ان أبا بكر وعمر وغيرهما في الجنة كاخباره ان اؤلئك منافقون وهذا اذا كان من العلم الباطن فهو من الباطن الموافق للظاهر المحقق له المطابق له ونظيره في الامر ما يسمى تحقيق المناط وهو ان يكون الشارع قد علق الحكم بوصف فنعلم ثبوته في حق المعين كأمره باستشهاد ذوى عدل ولم يعين فلاناً وفلاناً فاذا علمنا ان هذا ذو عدل كنا قد علمنا ان هذا المعين موصوف بالعدل المذكور في القرآن وكذلك ما حرم الله الخمر والميسر فاذا علمنا ان هذا الشراب المصنوع من الذرة والعسل خمراً علمنا انه داخل في هذا النص فعلمنا بأعيان المؤمنين وأعيان المنافقين هو من هذا الباب وهذا هو من تأويل القرا ن وهذا على الاطلاق لا يعلمه إلا الله فان الله يعلم كل مؤمن وكل منافق ومقادير ايمانهم ونفاقهم وما يختم لهم وأما الرسول فقد قال تعالى (وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم) والله يطلع رسوله ومن شاء من عباده على مايشاء من ذلك

وأما حديث أبي هريرة فهو صحيح قال «حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم جرابين فأما أحدهما فبثثته فيكم وأما الآخر فلو بثثته لقطع هذا البلعوم»

ولكن ليس في هذا من الباطن الذي يخالف الظاهر شيء بل ولا فيه من حقائق الدين وانما كان في ذلك الجراب الخبر عما سيكون من الملاحم والفتن فالملاحم الحروب التي بين المسلمين والكفار والفتن ما يكون بين المسلمين ولهذا قال عبد الله بن عمر لو أخبركم أبو هريرة انكم تقتلون خليفتكم وتفعلون كذا وكذا لقلتم كذب أبو هريرة واظهار مثل هذا مما تكرهه الملوك وأعوانهم لما فيه من الاخبار بتغير دولهم: ومما يبين هذا ان أبا هريرة انما أسلم عام خيبر فليس هو من السابقين الاولين ولا من أهل بيعة الرضوان وغيره من الصحابة أعلم بحقائق الدين منه وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحدثه وغيره بالحديث فيسمعونه كلهم ولكن أبو هريرة أحفظهم للحديث ببركة حصلت له من جهة النبي صلى الله عليه وسلم لان النبي صلى الله عليه وسلم حدثهم ذات يوم حديثه «أيكم يبسط ثوبه فلا ينسى شيئاً سمعه ففعل ذلك أبو هريرة» وقد روى انه كان يجزىء الليل ثلاثة أجزاء ثلثاً يصلي وثلثاً ينام وثلثاً يدرس الحديث ولم ينقل أحد قط عن أبي هريرة حديثاً يوافق الباطنية ولا حديثا يخالف الظاهر المعلوم من الدين ومن المعلوم انه لو كان عنده شيء من هذا لم يكن بد أن ينقل عنه احد شيئاً منه بل النقول المتواترة عنه كلها تصدق ما ظهر من الدين وقد روى من احاديث صفات الله وصفات اليوم الآخر وتحقيق العبادات ما يوافق اصول أهل الايمان ويخالف قول أهل البهتان .

وأما ما يروى عن أبي سعيد الخراز وأمثاله في هذا الباب ما يذكره أبو طالب في كتابه وغيره وكلام بعض المشايخ الذى يظن انه يقول بباطن يخالف الظاهر وما يوجد من ذلك فى كلام أبي حامد الغزالي أو غيره فالجواب عن هذا كله ان يقال ما علم من جهة الرسول فهو نقل مصدق عن قائل معصوم وما عارض ذلك فاما ان يكون نقلا عن غير صدق أو قولا لغير معصوم فان كثيراً مما ينقل عن هؤلاء كذب عليهم والصدق من ذلك فيه ما أصابوا فيه تارة وأخطأوا فيه اخرى وأكثر عباراتهم الثابتة ألفاظ مجملة متشابهة لو كانت من ألفاظ المعصوم

لم تعارض الحكم المعلوم فكيف اذا كانت من قول غير المعصوم — وقد جمع أبو الفضل السهلكي كتاباً من كلام أبي يزيد البسطامي سماه النور من كلام طيفور فيه شيء لاريب انه كذب على أبي يزيد البسطامي وفيه اشياء من غلط أبي يزيد رحمة الله عليه وفيه اشياء حسنة من كلام ابي يزيد وكل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك الا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن قيل له عن أبي يزيد أو غيره من المشايخ انه قال لمريديه ان تركتم احداً من امة محمد يدخل النار فانا منكم بريء فعارضه الآخر[1] وقال قلت لمريدي ان تركتم احداً من امة محمد يدخل النار فأنا منكم بريء فصدق هذا النقل عنه ثم جعل هذا المصدق لهذا عن أبي يزيد أو غيره يستحسنه ويستعظم حاله فقد دل على عظيم جهله أو نفاقه فانه ان كان قد علم ما اخبر به الرسول من دخول من يدخل النار من أهل الكبائر وان النبي صلى الله عليه وسلم هو أول من يشفع فيهم بعد ان تطلب الشفاعة من الرسل الكبار كنوح وابراهيم وموسى وعيسى فيمتنعون ويعتذرون ثم صدق ان مريدي أبي يزيد أو غيره يمنعون أحداً من الامة من دخول النار أو يخرجون هم كل من دخلها كان ذلك كفراً منه بما اخبر به الصادق المصدوق بحكاية منقولة كذب ناقلها او اخطأ قائلها ان لم يكن تعمد الكذب وان كان لا يعلم ما أخبر به الرسول كان من اجهل الناس بأصول الايمان — فعلى المسلم الاعتصام بالكتاب والسنة وان يجتهد في ان يعرف ما اخبر به الرسول وامر به علما يقيناً وحينئذ فلا يدع الحكم المعلوم للمشتبه المجهول فان مثال ذلك مثل من كان سائراً الى مكة في طريق معروفة لاشك انها توصله الى مكة اذا سلكها فعدل عنها الى طريق مجهولة لايعرفها ولا يعرف منتهاها وهذا مثال من عدل عن الكتاب والسنة الى كلام من لايدرى هل يوافق الكتاب والسنة أو يخالف ذلك: واما من عارض الكتاب والسنة بما يخالف ذلك فهو بمنزلة من كان يسير على الطريق المعروفة الى مكة فذهب الى طريق قبرص يطلب الوصول منها الى مكة فان هذا حال من ترك

(١) هكذا الاصل فليراجع فان المعارضة غير ظاهرة

المعلوم من الكتاب والسنة الى ما يخالف ذلك من كلام زيد وعمر و كائن من كان فان كل احد من الناس يؤخذ من قوله ويترك الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رأيت في هذا الباب من عجائب الامور مالا يحصيه إلا العليم بذات الصدور

وأما الحديث المأثور «ان من العلم كهيئة المكنون لايعلمه إلا أهل العلم بالله فاذا ذكروه لم ينكره إلا أهل الغرة بالله» فهذا قد رواه أبو اسماعيل الانصاري شيخ الاسلام في كتابه الذي سماه الفاروق بين المثبتة والمعطلة وذكر فيه احاديث الصفات صحيحها وغريبها ومسندها ومرسلها وموقوفها وذكره أيضاً أبو حامد الغزالي في كتبه : ثم هذا يفسره بما يناسب أقواله التي يميل فيها الى مايشبه أقوال نفاة الصفات من الفلاسفة ونحوهم

وذكر شيخ الاسلام عن شيخه يحيى بن عمار انه كان يقول المراد بذلك أحاديث الصفات فكان يفسر ذلك بما يناقض قول ابى حامد من اقوال اهل الاثبات: والحديث ليس اسناده ثابتاً باتفاق أهل المعرفة ولم يرو فى أمهات كتب الحديث المعتمدة فلا يحتاج الى الكلام في تفسيره واذا قدر ان النبي صلى الله عليه وسلم قاله فهو كلام مجمل ليس فيه تعيين لقول معين فحينئذ فما من مدع يدعي ان المراد قوله الا كان لخصمه أن يقول نظير ذلك : ولاريب ان قول يحيى ابن عمار وأبى اسماعيل الانصاري ونحوهما أقرب من قول النفاة ان هذا العلم هو من علم النبي صلى الله عليه وسلم بالاتفاق وعلم الصحابة: ومن المعلوم ان قول النفاة لاينقله أحد عن النبى صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه لاباسناد صحيح ولاضعيف بخلاف مذهب المثبتة فان القرآن والحديث والآثار عن الصحابة مملوءة به فكيف يحمل كلام النبي صلى الله عليه وسلم على علم لم ينقله عنه احد ويترك حمله على العلم المنقول عنه وعن اصحابه وكذلك ماذكره البخاري عن علي رضى الله عنه انه قال «حدثوا الناس بما يعرفون ودعوا مايكرهون أتحبون أن يكذب الله ورسوله» قد حمله أبو الوليد بن رشد الحفيد الفيلسوف وأمثاله

على علوم الباطنية الفلاسفة نفاة الصفات وهذا تحريف ظاهر فان قول على أتحبون أن يكذب الله ورسوله دليل على ان ذلك ما اخبر به النبي صلى الله عليه وسلم وأقوال النفاة من الفلاسفة والجهمية والقرامطة والمعتزلة لم ينقل فيها مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً لاصحيحاً ولاضعيفاً فكيف يكذب الله ورسوله في شيء لم ينقله أحد عن الله ورسوله بخلاف مارواه أهل الاثبات من أحاديث صفات الرب وملائكته وجنته وناره فان هذا كثير مشهور قد لاتحتمله عقول بعض الناس فاذا حدث به خيف أن يكذب الله ورسوله: ومن هذا الباب قول عبدالله بن مسعود «مامن رجل يحدث قوماً حديثاً لاتبلغه عقولهم الا كان فتنة لبعضهم» وابن مسعود فيما يقول ذاكراً أو آمراً من أعظم الناس اثباتاً للصفات وأرواهم لاحاديثها واصحابه من اجل التابعين وابلغهم في هذا الباب وكذلك اصحاب ابن عباس فكل من كان من الصحابة اعلم كان اثباته واثبات اصحابه ابلغ: فعلم ان الصحابة لم يكونوا يبطنون خلاف مايظهرون ولا يظهرون الاثبات ويبطنون النفي ولا يظهرون الامر ويبطنون امتناعه بل هم اقوم الناس في تصديق الرسول فيما اخبر وطاعته فيما امر» وهذا باب واسع دخل فيه من الامور مالايتسع الموضع لتفصيله ولكن نعلم جماع الامر ان كل قول وعمل فلابد له من ظاهر وباطن فظاهر القول لفظ اللسان وباطنه مايقوم من حقائقه ومعانيه بالجنان وظاهر العمل حركات الابدان وباطنه مايقوم بالقلب من حقائقه ومقاصد الانسان

فالمنافق لما اتى بظاهر الاسلام دون حقائق الايمان لم ينفعه ذلك وكان من اهل الخسران بل كان في الدرك الاسفل من النار قال تعالى (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وماهم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا انفسهم وما يشعرون) الآيات فان الله انزل في اول سورة البقرة اربع آيات في صفة المؤمنين وآيتين في صفة الكافرين وبضع عشرة آية في صفة المنافقين وقال تعالى (اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك

- البقرة ٨-٩

لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون)[١] وقال تعالى (لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم)[٢] الآية : والملاحدة يظهرون موافقة المسلمين ويبطنون خلاف ذلك وهم شر من المنافقين فان المنافقين نوعان نوع يظهر الايمان ويبطن الكفر ولا يدعى ان الباطن الذى يبطنه من الكفر هو حقيقة الايمان والملاحدة تدعى ان ما تبطنه من الكفر هو حقيقة الايمان وان الانبياء والاولياء هم من جنسهم يبطنون ما يبطنون مما هو كفر وتعطيل فهم يجمعون بين ابطان الكفر وبين دعواهم ان ذلك الباطن هو الايمان عند اهل العرفان فلا يظهرون للمستجيب لهم ان باطنه طعن في الرسول والمؤمنين وتكذيب له بل يجعلون ذلك من كمال الرسول وتمام حاله وان الذى فعله هو الغاية في الكمال وانه لا يفعله إلا اكمل الرجال من سياسته الناس على السيرة العادلة وعمارة العالم على الطريقة الفاضلة وهذا قد يظنه طوائف حقاً باطنا وظاهراً فيؤول امرهم الى ان يكون النفاق عندهم هو حقيقة الايمان: وقد علم بالاضطرار ان النفاق ضد الايمان ولهذا كان اعظم الابواب التى يدخلون منها باب التشيع والرفض لان الرافضة اجهل الطوائف واكذبها وابعدها عن معرفة المنقول والمعقول وهم يجعلون التقية من اصول دينهم ويكذبون على اهل البيت كذبا لا يحصيه إلا الله حتى يرووا عن جعفر الصادق انه قال : التقية ديني ودين آبائي . والتقية هى شعار النفاق فان حقيقتها عندهم ان يقولوا بألسنتهم ما ليس في قلوبهم وهذا حقيقة النفاق ثم اذا كان هذا من اصول دينهم صار كل ما ينقله الناقلون عن على أو غيره من أهل البيت مما فيه موافقة أهل السنة والجماعة يقولون هذا قالوه على سبيل التقية ثم فتحوا باب النفاق للقرامطة الباطنية الفلاسفة من الاسماعيلية والنصيرية ونحوهم فجعلوا ما يقوله الرسول هو من هذا الباب أظهر به خلاف ما أبطن وأسر به خلاف ما أعلن فكأن حقيقة قولهم ان الرسول هو امام المنافقين وهو صلى الله عليه وسلم الصادق المبين للناس ما نزل اليهم المبلغ لرسالة ربه المخاطب لهم بلسان عربي مبين قال تعالى (وما أرسلنا من رسول الا بلسان

١ - المنافقون ١
٢ - آل عمران ١٧٦

قومه ليبين لهم)[١] وقال تعـالى (انا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون)[٢] وقال تعالى (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر)[٣] وقال تعـالى (فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوماً لداً)[٤] وقال تعالى (لسان الذي يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربي مبين)[٥] وقال تعالى (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نُزّل إليهم)[٦] وقال تعالى (إن علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه)[٧] وقال تعالى (كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الالباب)[٨] وقال تعالى (أفلايتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها)[٩] وقال تعالى (فهل على الرسل الا البلاغ المبين)[١٠] وقالت الرسل (ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون وماعلينا الا البلاغ المبين)[١١] وقال (قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ماحُمِّل وعليكم ماحُمِّلتم وإن تطيعوه تهتدوا وماعلى الرسول إلا البلاغ المبين)[١٢] وقال تعالى (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان توليتم فانمـا على رسولنا البلاغ المبين)[١٣] وقال تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعـل فما بلغت رسالاته)[١٤] فهذا ونحوه مما يبين ان الرسل عليهم أن يبلغوا البلاغ المبين — يقال بان الشيء وأبان واستبان وتبين وبين كلها أفعال لازمة : وقد يقال أبان غيره وبينه وتبينه واستبانه —

ومعلوم ان الرسل فعلوا ماعليهم بل أخـذ الله على أهل العلم الميثاق بأن يبينوا العلم ولايكتموه وذم كاتميه فقال تعالى (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولاتكتمونه)[١٥] وقال تعالى (ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله)[١٦] وقال تعالى (ان الذين يكتمون ما أنزلنـا من البينات والهدى من بعد مابيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون)[١٧] فقد لعن كاتمه وأخبر انه بينه للناس في الكتاب فكيف يكون قد بينه للناس وهو قد كتم الحق وأخفاه وأظهر خلاف ما أبطن فلو سكت عن بيان الحق كان كاتماً ومن نسب الانبيـاء الى الكذب والكتمان مع كونه يقول أنبياء فهو من أشر المنافقين وأخبثهم وأبينهم تناقضاً وكثير من أهل النسك والعبادة والعلم والنظر

١ - ابراهيم ٤
٢ - الزخرف ٣
٣ - القمر ١٧
٤ - مريم ٩٧
٥ - النحل ١٠٣
٦ - النحل ٤٤
٧ - القيامة ١٧ - ١٩
٨ - ص ٢٩
٩ - محمد ٢٤
١٠ - النحل ٣٥
١١ - يس ١٦-١٧
١٢ - النور ٥٤
١٣ - التغابن ١٢
١٤ - المائدة ٦٧
١٥ - ال عمران ١٨٧
١٦ - البقرة ١٤٠
١٧ - البقرة ١٥٩

ممن سلك طريق بعض الصوفية والفقراء وبعض أهل الكلام والفلسفة يسلك مسلك الباطنية في بعض الامور لافي جميعها حتى يرى بعضهم سقوط الصلاة عن بعض الخواص أو حل الخمر وغيرها من المحرمات لهم أو ان لبعضهم طريقاً الى الله عز وجل غير متابعة الرسول وقد يحتج بعضهم بقصة موسى والخضر ويظنون ان الخضر خرج عن الشريعة فيجوز لغيره من الاولياء ماجاز له من الخروج عن الشريعة وهم في هذا ضالون من وجهين : أحدهما ان الخضر لم يخرج عن الشريعة بل الذى فعله كان جائزاً في شريعة موسى ولهذا لما بين له الاسباب أقره على ذلك ولو لم يكن جائزاً لما أقره ولكن لم يكن موسى يعلم الاسباب التى بها أبيحت تلك كالملك الظالم فذكر ذلك له الخضر . والثانى ان الخضر لم يكن من أمة موسى ولا كان يجب متابعته بل قال له اني على علم من علم الله علمنيه الله لاتعلمه وأنت على علم من علم الله علمكه الله لاأعلمه وذلك ان دعوة موسى لم تكن عامة فان النبي كان يبعث الى قومه خاصة ومحمد صلى الله عليه وسلم بعث الى الناس كافة بل بعث الى الانس والجن باطناً وظاهراً فليس لأحد أن يخرج عن طاعته ومتابعته لافي الباطن ولافي الظاهر لامن الخواص ولامن العوام ومن هؤلاء من يفضل بعض الاولياء على الانبياء وقد يجعلون الخضر من هؤلاء وهذا خلاف ما أجمع عليه أهل الطريق المقتدى بهم دع عنك سائر أئمة الدين وعلماء المسلمين بل لما تكلم الحكيم الترمذي في كتاب ختم الاولياء بكلام ذكر انه يكون في اخر الاولياء من هو أفضل من الصحابة وربما لوح بشيء من ذكر الانبياء قام عليه المسلمون وأنكروا ذلك عليه ونفوه من البلد بسبب ذلك ولاريب انه تكلم في ذلك بكلام فاسد باطل لاريب فيه ومن هناك ضل من اتبعه في ذلك حتى صار جماعة يدعي كل واحد انه خاتم الاولياء كابن عربي صاحب الفصوص وسعد الدين بن حمويه وغيرهما وصار بعض الناس يدعي ان في المتأخرين من يكون افضل في العلم بالله من أبى بكر وعمر والمهاجرين والانصار الى امثال هذه المقالات التى يطول وصفها مما هو

باطل بالكتاب والسنة والاجماع بل طوائف كثيرون آل الامر بهم الى مشاهدة الحقيقة الكونية القدرية وظنوا ان من شهدها سقط عنه الامر والنهي والوعد والوعيد وهذا هو دين المشركين الذين قالوا (لو شاء الله ما اشركنا ولا آباءنا ولا حرمنا من شيء)[١] وهؤلاء شر من القدرية المعتزلة الذين يقرون بالأمر والنهي والوعد والوعيد ويكذبون بالقدر فان اولئك يشبهون المجوس وهؤلاء يشبهون المشركين المكذبين بالانبياء والشرائع فهم من شر الناس: وقد بسط الكلام على هذه الامور في غير هذا الموضع والمقصود هنا ان الظاهر لابد له من باطن يحققه ويصدقه ويوافقه فمن قام بظاهر الدين من غير تصديق بالباطن فهو منافق ومن ادعى باطناً يخالف ظاهراً فهو كافر منافق بل باطن الدين يحقق ظاهره ويصدقه ويوافقه وظاهره يوافق باطنه ويصدقه ويحققه فكما ان الانسان لابد له من روح وبدن وهما متفقان فلابد لدين الانسان من ظاهر وباطن يتفقان فالباطن للباطن من الانسان والظاهر للظاهر منه والقرآن مملوء من ذكر أحكام الباطن والظاهر والباطن أصل الظاهر كما قال أبو هريرة القلب ملك والاعضاء جنوده فاذا طاب الملك طابت جنوده واذا خبث الملك خبثت جنوده وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ألا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح لها سائر الجسد واذا فسدت فسد لها سائر الجسد ألا وهي القلب » وفي المسند عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « الاسلام علانية والايمان في القلب » وقد قال تعالى (أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأمدهم بروح منه)[٢] وقال تعالى (هو الذى أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايماناً مع ايمانهم)[٣] وقال تعالى (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد الى السماء)[٤] وقال تعالى (الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله)[٥] وقال تعالى (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً وعلى ربهم يتوكلون)[٦] وقال تعالى (الذين آمنوا وتطمئن

١ ـ الأنعام ١٤٨
٢ ـ المجادلة ٢٢
٣ ـ الفتح ٤
٤ ـ الأنعام ١٢٥
٥ ـ الزمر ٢٣
٦ ـ الأنفال ٢

قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب)[١] وأمثال هذا كثير في القرآن وقال في حق الكفار (أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم)[٢] وقال (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة)[٣] وأمثال : ذلك فنسأل الله العظيم أن يصلح بواطننا وظواهرنا ويوفقنا لما يحبه ويرضاه من جميع أمورنا بمنه وكرمه والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيراً

﴿ تمت الرسالة ﴾

وقد طبعت هذه الرسالة على نسخة بخط الشيخ محمد بن عبد الرزاق حمزة بعد مراجعتها على نسخة موجودة في الكتبخانة الاهلية المصرية نمرتها ٢٤٣٦ فن التصوف .

١ ـ الرعد ٢٨
٢ ـ المائدة ٤١
٣ ـ البقرة ٧

رسالة

فى رفع اليدين فى الصلاة

« للشيخ الامام »

تقي الدين السبكي * المتوفى سنة ٧٥٦ھ[١]



هذه الاحاديث الواردة في رفع اليدين عند الركوع والرفع منه ملخصة لخصها الشيخ الامام العالم مفتى المسلمين قاضي القضاة تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن تمام السبكي الشافعى أحسن الله توفيقه آمين

عن ابن عمر رضى الله عنهما «أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يرفع يديه حذو منكبيه إذا افتتح الصلاة وإذا كبر للركوع وإذا رفع رأسه من الركوع رفعهما كذلك » رواه البخاري ومسلم * وفي رواية البيهقي « فما زالت تلك صلاته حتى لقى الله تعالى » * عن أبي قلابة أنه رأى مالك بن الحويرث « إذا صلى كبر ورفع يديه إذا أراد أن يركع رفع يديه وإذا أراد رفع رأسه من الركوع رفع يديه وحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع هكذا » رواه البخاري ومسلم * وفيه فى سنن أبي داود عن مالك بن الحويرث قال « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع يديه إذا كبر وإذا ركع وذا رفع رأسه من الركوع » * عن وائل بن حجر رضى الله عنه وهو من أولاد الملوك « أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رفع يديه حين دخل فى الصلاة كبر وصفهما حيال أذنيه ثم

(١) أعد هذه الرسالة من مصنفات والده تاج الدين السبكي في طبقات الشفعية

التحف بثوبه ثم وضع يده اليمنى على اليسرى فلما أراد أن يركع أخرج يديه من الثوب ثم رفعهما ثم كبر فركع فلما قال سمع الله لمن حمده رفع يديه » رواه مسلم في صحيحه ورواه البخاري في كتاب رفع اليدين * وعن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه في عشرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منهم قتادة وأبو أسيد وسهل بن سعد ومحمد بن مسلمة « قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام الى الصلاة استقبل القبلة ورفع يديه ثم رفع رأسه ورفع يديه ثم رفع رأسه ورفع يديه » رواه جماعة منهم أبو داود والبخاري في كتاب رفع اليدين وغيرهما بأسانيد صحيحة وأصله في البخاري * عن أنس رضي الله عنه « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرفع يديه إذا دخل في الصلاة وإذا ركع واذا رفع رأسه من الركوع » رواه ابن ماجه مرفوعا والبخاري في كتاب رفع اليدين موقوفا والبيهقي مرفوعا بعضهم يزيد على بعض وسنده صحيح * عن أبي هريرة رضي الله عنه « قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع يديه في الصلاة حذو منكبيه حين يفتتح الصلاة وحين يركع وإذا رفع للسجود » رواه أبو داود والبخاري في كتاب رفع اليدين * عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال « كان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم في صلاة الظهر يرفع يديه إذا كبر وإذا رفع رأسه من الركوع » رواه ابن ماجه والبيهقي واللفظ له * عن أبي موسى رضي الله عنه « قال هل أريكم صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكبر ورفع يديه للركوع ثم قال سمع الله لمن حمده ورفع يديه ثم قال هكذا فاصنعوا » رواه الدارمي * عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما « أنه صلى بهم يشير بكفيه حين يقوم وحين يركع وحين يسجد وحين ينهض قال ميمون فانطلقت الى ابن عباس رضي الله عنهما فقال ان أحببت أن تنظر الى صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقتدوا بصلاة ابن الزبير » رواه أبو داود * عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه كان يصلي هكذا « يرفع يديه اذا افتتح الصلاة وإذا رفع رأسه من الركوع وقال صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكان يفعل مثل ذلك »

رواه البيهقي وقال رواته ثقات * عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال « رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرفع يديه اذا كبر واذا رفع رأسه من الركوع » رواه الدارقطني * عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه « انه كان إذا قام الى الصلاة المكتوبة كبر ورفع يديه حذو منكبيه ويصنع مثل ذلك اذا قضى قراءته وأراد أن يركع ويصنعه اذا رفع من الركوع » رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والدار قطني والطحاوي والبخاري في كتاب رفع اليدين وقال الترمذي حسن صحيح * وسئل احمد عنه فقال صحيح * عن عمر الليثي قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع يديه مع كل تكبيرة في الصلاة المكتوبة » رواه ابن ماجه * عن البراء بن عازب رضي الله عنه « قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا افتتح الصلاة رفع يديه وإذا أراد أن يركع واذا رفع رأسه من الركوع » رواه الحاكم ثم البيهقي * عن النضر بن كثير « قال صلى الى جنبي ابن طاووس فكان اذا سجد السجدة الأولى فرفع رأسه منه رفع يديه تلقاء وجهه فقال ابن طاووس رأيت أبي يصنعه وقال اني رأيت ابن عباس رضي الله عنهما يصنعه ولا أعلم الا أنه قال كان النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم يصنعه » رواه أبو داود والنسائي * عن حميد بن هلال قال حدثني من سمع العرابي يقول « رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وهو يصلي يرفع » رواه أبو نعيم الفضل بن دكين * حديث مرسل * عن قتادة « أن رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم كان يرفع يديه إذا ركع وإذا رفع » رواه عبد الرزاق في جامعه * حديث آخر مرسل عن الحسن أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا أراد أن يكبر رفع يديه لا يجاوز أذنيه واذا رفع رأسه من الركوع رفع يديه لا يجاوز أذنيه » رواه أبو نعيم الفضل بن دكين في كتاب الصلاة: حديث عن سليمان « أن رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم كان يرفع يديه في الصلاة » رواه مالك في الموطأ

عدة الصحابة الذين نقل عنهم رواية عن النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن

ابن عوف وأبو عبيدة بن الجراح ومالك بن الحويرث وريد بن ثابت وأبيّ بن كعب وابن مسعود وأبو موسى وابن عباس والحسين بن علي والبراء بن عارب وزياد بن الحارث وسهل بن سعد وأبو سعيد الخدري وأبو قتادة وسليمان وعمرو بن العاص وعقبة بن عامر وبريرة وأبو هريرة وعمار بن ياسر وعدى ابن عجلان وعمير الليثي وأبو مسعود الانصارى وعائشة وأبو الدرداء وابن عمر وابن الزبير وأنس ووائل بن حجر وأبو حميد وأبو أسيد ومحمد بن سلمة وجابر وعبد الله بن جابر البياضى واعرابى صحابى فهؤلاء ثلثة وأربعون صحابيا رضى الله عنهم رواه منهم الخلفاء الراشدون والعشرة المبشرة المشهود لهم بالجنة: العلماء القائلون برفع اليدين الصحابة لم يستثن منهم واحد ولم يصح عن أحد منهم تركه: ومن التابعين فمن بعدهم علماء أهل مكة والمدينة والحجاز واليمن والشام واكثر أهل العراق والبصرة واكثر أهل خراسان منهم سعيد بن جبير وعطاء ابن رياح ومجاهد والقاسم بن محمد وسالم بن عبد العزيز والنعمان بن أبى عباس والحسن البصرى وابن سيرين وطاوس ومكحول وعبد الله بن دينار ونافع والحسن بن مسلم وقيس بن سعد وابن المبارك وعامة أصحابه: ومحدثو أهل بخارى منهم عيسى بن موسى وكعب بن سعيد ومحمد بن سلام وعبد الله ابن محمد المسندى والاوزاعى ومالك بن أنس في مشهور قوله والشافعي واحمد واسحق ويعقوب والحميدى وابن المدينى وابن معين وأهل الظاهر: وذهب الاوزاعي والحميدى وجماعة غيرهما الى أنه واجب وأنه يفسد الصلاة بتركه ومن الدليل لوجوبه أن مالك بن الحويرث رضى الله عنه رأى النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم يفعله فى الصلاة وقال له ولاصحابه «صلوا كما رأيتمونى أصلى» والامر للوجوب وكان ابن عمر رضي الله عنهما اذا رأى رجلا لا يرفع يديه رماه بالحصى والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

﴿ تمت الرسالة والحمد لله ﴾

رسالة

فى الخصال المكفرة للذنوب المتقدمة والمتأخرة

تأليف

« شيخ الاسلام »

الحافظ ابي الفضل احمد بن علي بن حجر العسقلانى

المتوفى سنة ٨٥٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله غافر الذنوب وان عظمت كاشف الكروب ولو استحكمت احمده والحمد له من أوثق عرى الايمان واشكره واشكر له سبب مزيد الامتنان وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد ان محمداً عبده ورسوله ارسله الى الناس رحمة شاملة وبركة كاملة صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين هاجروا معه والذين نصروه والذين اتبعوا ما أنزل اليه من ربه فوازروه ووافدوه وعلى الذين اتبعوهم باحسان والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفرلنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان صلاة وسلاما دائمين ما تعاقب الملوان وتجدد الجديدان:

وبعد فهذه أحاديث نبوية تتبعتها من كتب غريبة ومشهورة وكلها داخلة تحت معنى واحد رائق وهو العمل بما ورد الوعد فيه بغفران ماتقدم من الذنوب وما تأخر على لسان المصدوق الصادق وقد رتبتها على الابواب ليسهل كشفها

على الطلاب وسميتها بالخصال المكفرة للذنوب المتقدمة والمتأخرة: وقبل الشروع في ايراد الاحاديث فقد أردت ان أذكر شيئاً من كلام الأئمة هنالك في جواز وقوع ذلك

فمن ذلك ان الأئمة رضى الله عنهم تكلموا على قوله صلى الله عليه وسلم في أهل بدر « ان الله اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » بالجزم والرواية الأخرى « لعل الله » وقوله اعملوا للتكريم والمراد ان كل عمل عمله البدري لا يؤاخذ به وقيل ان اعمالهم السيئة تقع مغفورة كأنها لم تقع وقيل أنهم حفظوا فلا تقع منهم سيئة : ومما يدخل في هذا المعنى ما ورد في صوم يوم عرفة وانه يكفر ذنوب سنتين الماضية والمستقبلة وهو دال على وجود التكفير قبل وقوع الذنب

ومن ذلك ما أخرجه ابن حبان في صحيحه عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : « رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يوما طيب النفس فقلت يارسول الله ادع الله لى فقال : اللهم اغفر لعائشة ما تقدم من ذنبها وما تأخر وما أسرت وما أعلنت » الحديث * وقال لعمر رضى الله عنه « غفر الله لك ماقدمت وماأخرت وما هو كائن الى يوم القيامة » فدعاء المعصوم بذلك لبعض امته دل على جواز وقوع ذلك واذا علم انه تعالى مالك كل شيء له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى لم يمتنع ان يعطى من شاء ما شاء (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) فلنشرع في ايراد ما وعدنا به والله سبحانه أسأل ان ينفع به انه قريب مجيب لا إله الا هو عليه توكلت واليه أنيب

﴿ من كتاب الطهارة ﴾ قال ابو بكر بن ابى شيبة في مصنفه ومسنده معا من رواية حمران بن ابان مولى عثمان بن عفان قال « دعا عثمان رضى الله عنه بوضوء في ليلة باردة وهو يريد الخروج الى الصلاة فجئته بماء فاكثر تردد الماء على وجهه ويديه فقلت له حسبك قد أسبغت الوضوء والليلة شديدة البرد فقال صب فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يسبغ الوضوء عبد إلا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » وأخرجه ايضاً ابو بكر احمد بن على

المروزي شيخ النسائي والبزار في مسنده وأصل الحديث في الصحيحين لكن ليس فيهما « وما تأخر »

﴿ من كتاب الصلاة ﴾ قال أبو عوانة الاسفرائيني في مستخرجه الصحيح على مسلم من رواية سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سمع المؤذن فقال » وفي رواية محمد بن عامر « من قال حين يسمع المؤذن يقول أشهد ان لا اله الا الله قال أشهد أن لا إلٓه إلا الله رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا » وفي رواية محمد بن عامر « رسولا غفرله ماتقدم من ذنبه وما تأخر فقال رجل ياسعد ما تقدم من ذنبه وما تأخر فقال هكذا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم » وهذا الحديث أخرجه مسلم وابو داود والترمذى والنسائى وليس عندهم « وما تأخر »

﴿ حديث صلاة التسبيح ﴾ قال ابو داود من رواية ابن عباس رضى الله عنهما « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس بن عبد المطلب ياعماه ألا أعطيك الا امنحك الا احبوك الا افعل بك عشر خصال اذا انت فعلت ذلك غفر الله لك ذنبك اوله وآخره قديمه وحديثه خطأه وعمده صغيره وكبيره سره وعلانيته ان تصلى اربع ركعات تقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة فاذا فرغت من القراءة في أول ركعة وأنت قائم قلت سبحان الله والحمد لله ولا إله الا الله والله اكبر خمس عشرة مرة ثم تركع فتقولها وانت راكع عشرا ثم ترفع رأسك من الركوع فتقولها عشرا ثم تهوى ساجدا فتقولها وانت ساجد عشرا ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشرا ثم تسجد فتقولها عشراً ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشرا فذلك خمس وسبعون في كل ركعة تفعل ذلك في اربع ركعات ان استطعت ان تصليها في كل يوم مرة فان لم تفعل ففى كل جمعة مرة فان لم تفعل ففي كل شهر مرة فان لم تفعل ففي كل سنة مرة فان لم تفعل ففي عمرك » هكذا اورده ابو داود والترمذى وأورده ابن خزيمة وله شواهد أخر

(حديث في التأمين في الصلاة) قال ابن وهب في مصنفه ان أباهريرة رضى الله عنه « قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا أمن الامام فأمنوا فان الملائكة تؤمن فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر » هكذا رويناه في المجلس الثاني من أمالي عبدالله الجرجاني وهذا الحديث أخرجه مسلم وابن ماجه وليس فيه « ماتأخر »

(حديث في فضل الضحى) قال آدم بن اياس فى كتاب الثواب عن على كرم الله وجهه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى سبحة الضحى ركعتين إيمانًا واحتسابًا كتب الله له مائتى حسنة ومحا عنه مائتى سيئة ورفع له مائتى درجة وغفر له ذنوبه كلها ماتقدم منها وماتأخر الا القصاص » لكن اسناده ضعيف جداً

(حديث في فضل القراءة بعد الجمعة) قال أبو عبدالرحمن السلمى عن أنس رضى الله عنه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ اذا سلم الامام من صلاة الجمعة قبل أن يثنى رجليه فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس سبعًا سبعًا غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر وأعطي من الاجر بعدد من آمن بالله واليوم الآخر » هكذا رواه أبو الاسعد القشيري وفى اسناده ضعف شديد جداً ، وفي مصنف ابن أبى شيبة عن أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما « من قرأ بعد صلاة الجمعة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس حفظ ما بينه وبين الجمعة الاخرى » وذكر أبو عبيد مثله من غير ذكر فاتحة الكتاب وقال « حفظ وكفي من مجلسه ذلك الى مثله »

(حديث في فضل الصيام) قال الامام احمد فى مسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمر بقيام رمضان من غير أن يأمرنا فيه بعزيمة ويقول من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر » هكذا أخرجه الامام احمد في مسنده : ورواه مسلم وغيره من طرق كثيرة من غير « وماتأخر » : وقال النسائي فى السنن الكبرى له عن أبي هريرة

رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم « قال من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه» وفي رواية أبي قتيبة « غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر ومن قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه » وفي حديث قتيبة « وماتأخر » كذا رواه النسائي عن قتيبة وتابعه حامد بن يحيى رضى الله عنه

(حديث في فضل قيام ليلة القدر) قال الامام احمد في مسنده عن عبادة ابن الصامت رضي الله عنه « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليلة القدر في العشر البواقي من قامهن ابتغاء حسبتهن فان الله يغفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر وهي ليلة وتر تسع أو سبع أو خامسة أوثالثة أو آخر ليلة » هذاحديث رجاله ثقات : وفي طريق أخرى عن عبادة رضى الله عنه أيضا « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هى في رمضان فالتمسوها في العشر الأواخر فانها في وتر احدى وعشرين أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين أو سبع وعشرين أو تسع وعشرين أو فى آخر ليلة فمن قامها إيمانا واحتسابا ثم وقعت له غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر » وذكر الطبرانى في المعجم نحوه

(حديث في صيام يوم عرفة) قال ابوسعيد النقاش الحافظ في أماليه عن ابن عمر رضى الله عنه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صام يوم عرفة غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر » وقد ثبت في صحيح مسلم انه يكفر ذنوب السنة الماضية والمستقبلة فلعل ذلك المراد من قوله « ماتقدم من ذنبه وماتأخر »

(من كتاب الحج : حديث في فضل الاهلال من المسجد الاقصى) قال ابوداود في كتاب السنن له عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم « أنهى سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من أهل بحجة أوعمرة من المسجد الاقصا الى المسجد الحرام غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر أو وجبت له الجنة » شك عبدالله ورواه البيهقي في شعب الايمان وقال « فيه غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر ووجبت له الجنة » هكذا نسخته بواو وليس قبلها الف : ورواه البخاري

في تاريخه الكبير ولم يذكر فيه « وماتأخر »

(حديث في فضل الحج الخالص) قال ابو نعيم فى الحلية من رواية عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه « قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من جاء حاجاً يريد وجه الله فقد غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر وشفع في من دعا له » : (حديث فى ذلك) قال ابوعبدالله بن مندة فى أماليه عن عائشة رضى الله عنها قالت « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج الحاج من بيته كان في حرز الله فان مات قبل أن يقضى نسكه وقع أجره على الله وان بقى حتى يقضى نسكه غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر وانفاق درهم في ذلك الوجه يعدل الف الف في ماسواه فى سبيل الله » ورويناه في الجزء السابع من كتاب الترغيب لابى حفص عمر بن شاهين *(حديث آخر فى ذلك) أخرج احمد بن منيع في مسنده عن جابر رضى الله عنه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قضى نسكه وسلم المسلمون من لسانه ويده غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » وأخرجه أبو يعلى فى مسنده الكبير *كذلك حديث آخر ذكر القاضى عياض فى الشفا « ان من صلى خلف مقام ابراهيم ركعتين غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وحشر يوم القيامة من الآمنين»

(حديث في فضل قراءة آخر سورة الحشر) قال أبو اسحق الثعلبي في تفسيره عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ آخر سورة الحشر غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»

(حديث في فضل تعليم الولد القرآن) قال أبو بكر بن لال في كتاب مكارم الاخلاق عن أنس رضى الله عنه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من علم ابنه القرآن نظراً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ومن علم ابنه قرآناً فكلما قرأ آية رفع الله بها للاب درجة حتى ينتهى الى آخر ما معه من القرآن »

(حديث في فضل التسبيح والتهليل والتكبير) قال أبو عبد الله محمد بن حيان في فوائد الاصفهانيين «عن أم هانىء رضي الله عنها وكانت تكثر الصيام

والصلاة والصدقة فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت اليه ضعفها فقال سأخبرك بما هو عوض عن ذلك تسبحين الله مائة مرة فتلك مائة رقبة تعتقينها متقبلة وتحمدين الله مائة مرة فذلك مائة بدنة تهدينها متقبلة وتكبرين الله مائة مرة وهناك يغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر » قال وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال « من عد فى البحر أربعين موجة وهو يكبر الله غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر وان الامواج لتحت الذنوب حتاً »

(من كتاب الجهاد: حديث في فضل الرباط بعكاء) قال أبو الحسن الربعي فى كتاب فضائل الشام عن أنس رضي الله عنه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مدينة بين الجبلين يقال لها عكاء من دخلها رغبة فيها غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر ومن خرج منها رغبة عنها لم يبارك له في خروجه وبها عين تسمى عين البقر من شرب منها ملأ الله بطنه نوراً ومن أفاض منها كان طاهراً الى يوم القيامة » اسناده مجهول

(حديث في فضل قود الاعمى) خرج أبو عبد الله بن مندة في أماليه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قاد مكفوفا أربعين خطوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » قال عبد الله هو غريب وقال الامام احمد وابن معين وأبو داوود واته ثقات

(حديث في فضل السعي في حاجة المسلم) أخرج أبو احمد عبد الله بن محمد والمفسر الناصح عن أنس رضى الله عنه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سعى لاخيه المسلم في حاجته قضيت له أو لم تقض غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكتب له براءتان براءة من النار وبراءة من النفاق »

(حديث في فضل المصافحة) قال الحسن بن سفيان وأبو يعلى الموصلي في مسنديهما عن أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم « قال ما من عبدين متحابين في الله» وفي رواية «ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان ويصليان على النبي صلى الله عليه وسلم إلا لم يتفرقا حتي يغفر لهما ذنوبهما ما تقدم منها وماتأخر» أخرجه ابن حبان

(حديث في فضل الحمد عقيب الاكل) قال أبو داود في السنن عن سهل ابن معاذبن أنس « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أكل طعاماً ثم قال الحمد لله الذى أطعمنى هذا الطعام ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » اسناده حسن وسهل بن معاذ بن أنس هوالجهنى المصرى تابعى مشهور بالصدق

(حديث في فضل التعمير في الاسلام) وقع لنا من حديث عبد الله بن ابى بكر الصديق ومن حديث عثمان بن عفان ومن حديث شداد بن أوس ومن حديث أبى هريرة ومن حديث ابن عباس ومن حديث عبد الله بن عمر ومن حديث أنس رضي الله عنهم أجمعين أما حديث عبد الله بن أبى بكر الصديق رضى الله عنهما فقال أبو القاسم البغوى في معجم الصحابة عن عبد الله بن أبى بكر الصديق رضى الله عنهما قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بلغ المرء المسلم أربعين سنة صرف الله عنه ثلاثة أنواع من البلاء الجنون والجزام والبرص فاذا بلغ خمسين سنة خفف الله عنه ذنوبه فاذا بلغ ستين سنة رزقه الله الانابة اليه فاذا أبلغ سبعين سنة أحبته الملائكة » وفي رواية « أهل السماء فاذا بلغ ثمانين سنة أثبتت حسناته ومحيت سيئاته فاذا بلغ تسعين سنة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وسمى أسير الله في أرضه وشفع لاهل بيتـه » وفي رواية غير البغوى « شفعه الله في أهل بيته يوم القيامة » وأما حديث عثمان ابن عفان رضى الله عنه فروى الترمذى عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «قال الله جل ذكره اذا بلغ عبدى أربعين سنة عافيته من البلايا الثلاث من الجنون والجذام والبرص فاذا أبلغ خمسين سنة حاسبته حسابا يسيراً فاذا بلغ ستين سنة حببت اليه الانابة فاذا بلغ سبعين سنة أحبته الملائكة فاذا بلغ ثمانين سنة كتبت حسناته والقيت سيئاته فاذا بلغ تسعين سنة قالت الملائكة أسير الله فى أرضه وغفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر وشفع في أهل بيته » وأما حديث شداد بن أوس رضى الله عنه فقد أخرجه ابن حبان من طريق زيد بن

الحباب فذكر نحو ماتقدم : وأما حديث أبي هريرة رضى الله عنه فقال الترمذى الحكيم في نوادر الاصول عن أبى هريرة رضى الله عنه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا بلغ أربعين سنة وهو العمر أمنه الله من الخصال الثلاث من الجنون والجذام والبرص فاذا بلغ خمسين سنة وهو الدهر خفف الله عنه الحساب فاذا بلغ ستين سنة وهو في ادبار من قوته رزقه الله الانابة اليه فيما يحبه فاذا بلغ سبعين سنة وهو الحقب أحبه أهل السماء فاذا بلغ ثمانين سنة وهو الخرف أثبتت حسناته ومحيت سيئاته فاذا بلغ تسعين سنة وهو الفقد غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر وشفع في أهل بيته وسماه أهل السماء أسير الله فاذا بلغ مائة سنة سمي حبيب الله في الارض وحق على الله أن لايعذب حبيبه » وأما حديث ابن عباس رضى الله عنهما فقال الحاكم فى تاريخ نيسابور عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم « قال يثغر الغلام لتسع سنين ويحتلم فى أربع عشرة سنة ويتم طوله لاحدى وعشرين سنة ويجتمع له عقله لثمان وعشرين سنة ثم لايزداد بعد ذلك عقلا إلا بالتجارب فاذا بلغ أربعين سنة عافاه الله من أنواع البلاء من الجنون والجذام والبرص فاذا بلغ خمسين سنة رزقه الله الانابة اليه فاذا بلغ ستين سنة حببه الله الى أهل سمائه وأهل أرضه فاذا بلغ سبعين سنة أثبتت حسناته ومحيت سيئاته فاذا بلغ ثمانين سنة استحيى الله تعالى منه أن يعذبه فاذا بلغ تسعين سنة كان أسير الله في أرضه فلم يخط عليه القلم بحرف » وأما حديث أنس بن مالك رضى الله عنه فله طرق كثيرة فمن أصحها ماذكره البيهقي في كتاب الزهد له عن أنس رضى الله عنه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من معمر يعمر في الاسلام أربعين سنة إلا صرف الله عنه الجنون والجذام والبرص فاذا بلغ الخمسين لين الله حسابه فاذا بلغ الستين رزقه الله الانابة اليه فاذا بلغ السبعين أحبه الله وأحبه أهل السماء فاذا بلغ الثمانين قبل الله حسناته وتجاوز عن سيئاته فاذا بلغ التسعين غفر الله له ماتقدم من ذنبه وماتأخر وسمي أسير الله فى الارض وشفع في أهل بيته »

وقال ابو يعلى فى مسنده يرفع الحديث قال « المولود اذا لم يبلغ الحنث فما عمل من حسناته كتبت لوالده أو لوالديه وماعمل من سيئة لم تكتب عليه ولا على والديه فاذا بلغ الحنث جرى عليه القلم وأمر الملكان اللذان معه أن يحفظاه ويسدداه.ا فاذا بلغ أربعين سنة فكما تقدم » ومن شواهد هذا ما أخرجه ابن حبان عن عائشة رضى الله تعالى عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من بلغ الثمانين من هذه الامة يعرض ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة » ومن شواهده أيضاً ما أخرجه ابن مردويه في تفسيره عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله تعالى (في أحسن تقويم) أي فى أعدل خلق (ثم رددناه أسفل سافلين) يعنى أرذل العمر (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون) يعنى غير منقوص يقول فاذا بلغ المؤمن أرذل العمر وكان يعمل في شبابه عملا صالحا كتب له من الاجر مثل ما كان يعمل في صحته وشبابه ولم يضره ماعمل في كبره ولم تكتب عليه الخطايا واسناده صحيح : ومما يدل على شهرة هذا الحديث في المتقدمين ماقاله الحسن بن الضحاك في أبيات

أنا فى الثمانين وفيتهـا   وعندي قبول ولم أعتذر
وقد رفع الله أقلامه   عن ابن ثمانين دون البشر
وانى لمن أسراء الله في الا   رض نصيب صروف القدر
فان يقض لي عملا صالحا   أثاب وان يقض شراً أغفر

وله أيضاً

أصبحت من أسراء الله محتسباً   في الارض تحت قضاء الله والقدر
ان الثمانين إذ أوفيت عدتها   لم تبق باقيـة منى ولم تذر

قال المصنف :

يارب أعضاء السجود عتقتها   من فضلك الوافي وأنت الواقي
والعتق يسرى بالغنى ياذا الغنى   فامنن على الفـاني بعتق الباقي

﴿تمت الرسالة وتم بها المجلد الاول من المجموعة المنيرية و الحمد لله أولا وآخراً﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الناشر

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى: (واما بعد)

فان ادارة الطباعة المنيرية لم تزل باذلة جهدها في نشر الكتب العلمية النافعة التى هي علي طريق سلفنا الصالح رضى الله عنهم وأرضاهم وقد اختارت رسائل مختلفة في علوم شتى هي من خيرة تأليف علماء المسلمين المتقدمين وقد جعلتها اجزاء متفرقة تظهر تدريجياً كل جزء منها مستقل في ذاته لاتعلق له بما تقدم ولا بما تأخر: وقد تم منها الجزء الاول فنزفه لطلاب العلوم النافعة و نبغاء النشئة الجديدة المتمسكة بدينها والعاملة بما كان عليه سلفها وفقنا الله واياكم لذلك: وعن قريب سيظهر الجزء الثانى ان شاء الله تعالى وبه ثقتى وعليه اعتمادى :   مدير

ادارة الطباعة المنيرية

محمد منير الدمشقي

من علماء الازهر الشريف



الجزء الثاني

﴿ يشتمل على ١٠ رسائل ﴾

(١) الدواء العاجل في دفع العدو الصائل (٢) العقل والروح (٣) قاعدة نافعة في صفة الكلام كلاهما لابن تيمية (٤) التحف في مذاهب السلف للشوكاني (٥) ايضاح الدلالة (٦) الانصاف لابن عبد البر (٧) الزهر النضر في نبأ الخضر (٨) ترجمة حياة الامام الليث بن سعد المجتهد المطلق كلاهما لابن حجر العسقلاني (٩) شرح الصدر بذكر ليلة القدر للعراقي (١٠) رسالة الامام البيهقي الى الامام الجويني

عنيت بنشرها وتصحيحها والتعليق عليها للمرة الاولى سنة ١٣٤٣ ه

إدارة الطباعة المنيرية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد النبي الصادق الأمين، وعلى آله وصحابته ومن سار على هديه وإرشاده إلى يوم الدين . أما بعد :

فقد كان لمجموعة الرسائل المنيرية من الأثر أبلغه في نشر ما كان عليه السلف الصالح من صحيح العقيدة ، وقوة العزيمة ، وصدق الصلة بالله. ونظراً لما لهذه الرسائل من المكانة عند المؤمنين المخلصين ، فقد رأينا أن من الواجب علينا مراجعة الآيات القرآنية الكريمة ، وتخريجها ، لأن منهج هؤلاء العلماء يقوم على الرجوع إلى كتاب الله أولاً ، وسنة نبيه ثانياً . وقد تمكنا بفضل من الله من مراجعة الآيات آية آية ، فظهر لنا وقوع الخطأ في أكثر من أربعين آية في المجلد الأول وحده ، فعمدنا إلى تصحيحها وفقاً لكتاب الله سبحانه وتعالى ، كما أننا حاولنا تصحيح بعض الكلمات والحروف التي جاءت غير صحيحه أو محرفة وذلك بالقدر الذي تسمح به طبيعة النسخة التي بين أيدينا وبمقارنة هذه الطبعة بالطبعة الأصلية أو ما صوّر عنها يتجلى الفرق واضحاً . والله نسأل أن يسدد الخطا لما يحبه ويرضاه . والحمد لله رب العالمين .

القاهرة

في ١١ رمضان ١٤٠٤هـ الموافق ١١ حزيران (يونيو) ١٩٨٤م

مروان كجك



الدواء العاجل

فى دفع العدو الصائل

للامام المحقق شيخ الاسلام محمد بن على الشوكانى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين * إياك نعبد واياك نستعين * ونصلى على رسولك الأمين * وآله الطاهرين * وصحبه الراشدين *

أما بعد فانها قد دلت الأدلة القرآنية والأحاديث الصحيحة النبوية ان العقوبة العامّة لاتكون إلا بأسباب أعظمها التهاون بالواجبات وعدم اجتناب المقبحات فان انضم الى ذلك ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من المكلفين به لاسيما أهل العلم والأمر القادرين على إنفاذ الحق ودفع الباطل كانت العقوبة قريبة الحدوث ولا حاجة بنا ههنا الى ايراد الآيات القرآنية والأحاديث النبوية فهى معروفة عند المقصر والكامل :

فاذا عرفت هذا فاعلم أنه يجب على كل فرد أن ينظر فى أحوال نفسه وما يصدر عنه من أفعال الخير والشر فان غلب شره على خيره ومعاصيه على حسناته ولم يرجع الى ربه ويتخلص من ذنبه فليعلم أنه بين

مخالب العقوبة وتحت أنيابها: وأنها واردة عليه وواصلة عن قريب اليه : وهكذا من كان له متعلق بأمر غيره من العباد اما عموما أو خصوصا فعليه أن يتفقد أحوالهم ويتأمل ماهم فيه من خير وشر فان وجدهم منهمكين فى الشر واقعين فى ظلمة المعاصى غير مستنيرين بنور الحق فهم واقعون فى عقوبة الله لهم وتسليطه عليهم ولاسيما اذا كانوا لا يأتمرون لمن يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر هذا على فرض أن داعى الخير لم يزل يدعوهم اليه والناهى عن الشر لايزال ينهاهم عنه وهم مصممون على غيهم سادرون[1] فى جهلهم: فان كان من يتأهل للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر معرضا عن ذلك غير قائم بحجة الله ولا مبلغ لها الى عباده فهو شريكهم فى جميع ما اقترفوه من معاصى الله سبحانه مستحق للعقوبة للمعجلة والمؤجلة قبلهم كما صح فى قصة من تعدى السبت من أتباع موسى عليه السلام فان الله تعالى ضرب من ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بسخط عذابه ومسخهم قردة وخنازير[2] مع أنهم لم

---

(١) اى مستمرون فى جهلهم هكذا فى القاموس

(٢) وحاصل القصة على ماحكاه ابن جرير الطبرى وغيره عن ابن عباس ان الله تعالى نهى بنى اسرائيل ان يصيدوا السمك يوم السبت فاحتالوا على صيدها سرا زمانا طويلا حتى صادوها علانية وصار القوم ثلاثة أصناف صنف منهم خالف الأمر وانتهك حرمة الله وصرد على المعصية : وصنف من اهل التقية قال ويحكم اتقوا الله ونهوهم عما كانوا يصنعون : وصنف لم يأكل الحيتان ولم ينه عما صنعوا وقال لم تعظون قوما الله مهلكم او معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم لسخطنا اعمالهم ولعلهم يتقون فبينما هم على ذلك اصبحت تلك البقية الصالحة التى أمرت ونهت فى أنديتهم ومساجدهم وفقدوا الناس فلا يرونهم فقال بعضهم لبعض ان للناس لشأنا فانظروا ماهو فذهبوا ينظرون فى دورهم فوجدوها مغلقة عليهم قد دخلوا ليلا فغلقوها على انفسهم فاصبحوا فيها قردة وخنازير وانهم ليعرفون الرجل بعينه وا

يفعلوا مافعله المعتدون من الذنب بل سكتوا عن ابلاغ حجته والقيام بما أمرهم به من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر:

والحاصل أنه لافرق بين من فعل المعصية وبين من رضى بها ولم يفعلها وبين من لم يرض بها لكن ترك النهى عنها مع عدم المسقط لذلك عنهم ومن كان أقدر على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كان ذنبه أشد وعقوبته أعظم ومعصيته أفظع بهذا جاءت حجج الله وقامت براهينه: ونطقت به كتبه: وأبلغته الى عباده رسلُهُ: ولما كان الأمر هكذا بلا شك ولا شبهة عند من له تعلق بالعلم وملابسة للشريعة المطهرة وكان ذلك من قطعيات الشريعة وضروريات الدين فكرت فى ليلة من الليالى فى هذه الفتن التى قد نزلت بأطراف هذا القطر اليمنى وتأججت نارها وطار شررها حتى أصاب كل فرد من ساكنيه منها شواظ واقل ماقد نال من هو بعيد عنها ما صار مشاهداً معلوما من ضيق المعاش وتقطع كثير من اسباب الرزق وعقر المكاسب حتى ضعفت أموال الناس وتجاراتهم ومكاسبهم وأفضى الى ذهاب كثير من الأملاك وعدم نفاق نفايس الأموال: وحبائس الذخائر ومن شك فى هذا فلينظر فيه بعين البصيرة حتى تدفع عنه رِيَبُ الشكِ بطمأنينة اليقين هذا حال من هو بعيد عنها لم تطحنه بكلكلها ولا وطئته

للقرد والمرأة بعينها وانها لقردة والصبي بعينه وانه لقرد فالشباب مسخوا قردة والشيوخ خنازير نعوذ بالله من ترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وما يحصل للامة من التنكيل بها والقتل لها بسبب ترك ذلك وهذا مشاهد لايحتاج الى دليل :

بأخفافها * وأما من قد وفدت عليه وقدِمت اليه وخبطته بأشواظها وطوته بأنيابها واناخت وقرت بناحيته كالقطر اليمانى وما جاوره فيالله كم من بحار دم أراقت : ومن نفوس أزهقت ومن محارم هتكت ومن أموال أباحت : ومن قرى ومدائن طاحت بها الطوائح وصاحت عليها الصوائح : بعد أن تعطلت وناحت بعرصاتها المقفرات النوائح :

فلما تصورت هذه الفتنة أكمل تصور وان كانت متقررة عند كل أحد أكمل تقرر ضاق ذهنى عن تصورها فانقلبت الى النظر فى الأسباب الموجبة لنزول المحن وحلول النقم من ساكنى هذا القطر اليمنى على العموم من دون نظر الى مكان خاص أو طائفة معينة فوجدت أهلها مابين صعدة وعدن ينقسمون الى ثلاثة أقسام * القسم الأول رعايا يأتمرون بأمر الدولة وينتهون بنهيها لايقدرون على الخروج عن كل مايرد عليهم من أمر ونهى كائن ما كان * القسم الثانى طوائف خارجون عن أوامر الدولة متغلبون فى بلادهم * الطائفة الثالثة أهل المدن كصنعا وذمار وهم داخلون تحت أوامر الدولة : ومن جملة من يصدق على غالبهم اسم الرعية ولكنهم يتميزون عن سائر الرعايا بماسيأتى ذكره :

فاما القسم الأول وهم الرعايا فأكثرهم بل كلهم إلا النادر الشاذ لايحسنون الصلاة ولا يعرفون مالا تصلح الا به ولا تتم بدونه من أذكارها وأركانها وشرائطها وفرائضها بل لايوجد منهم من يتلو سورة الفاتحة تلاوة مجزئة إلا فى أندر الأحوال ومع هذا فالاخلال بها والتساهل فيها قد صار دأبهم وديدنهم : فحصل من هذا أن غالبهم

لايحسن الصلاة ولا يصلي : وطائفة منهم لاتحسن الصلاة وأنما تصلي صلاة غير مجزئة فلا فرق بينه وبين من تركها : وأما من يحسنها ويواظب عليها فهو أقل قليل بل هو الغراب الأبقع والكبريت الأحمر : وقد صح عن معلم الشرائع «انه لم يكن بين العبد وبين الكفر الا ترك الصلاة» فالتارك للصلاة من الرعايا كافر وفي حكمه من فعلها وهو لايحسن من أذكارها وأركانها ما لا تتم الا به لأنه أخل بفرض عليه من أهم الفروض وواجب من آكد الواجبات وهو لايعلم مالاتصلح الصلاة[1] الا به مع امكانه ووجود من يعرفه بهذه الصلاة وهي أهم أركان الاسلام الخمسة وآكدها : وقدصار الأمر فيها عند الرعايا هكذا : ثم يتلوها الصيام وغالب الرعايا لايصومون وان صاموا ففي النادر من الأوقات وفي بعض الأحوال فربما لايكمل شهر رمضان صوما الا القليل ولاشك أن تارك الصيام على الوجه الذي يتركونه كافر : وكم يعد العاد من واجبات يخلون بها وفرائض لايقيمونها ومنكرات لايجتنبونها

(١) الحديث رواه مسلم والامام احمد بن حنبل عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما بلفظ « قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة » ورواه ابو داود والنسائي ايضا ولفظه « ليس بين العبد وبين الكفر الا ترك الصلاة » ورواه الترمذي ولفظه « قال بين الكفر والايمان ترك الصلاة » ورواه ابن ماجه ولفظه « قال بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة » ومما يدل على ان ترك الصلاة كفر ما رواه ابو داود والنسائي والترمذي وقال حديث حسن صحيح عن بريدة رضي الله عنه « قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر» ورواه ايضا ابن ماجه والامام احمد وابن حبان في صحيحه : والحاكم وقال صحيح لا نعرف له علة : والله اعلم:

وكثيرا ما يأتى هؤلاء الرعايا بالفاظ كفرية فيقول هو يهودى ليفعلن كذا وليفعل كذا ومرتد تارة بالقول وتارة بالفعل وهو لا يشعر: ويطلق امرأته حتى تبين منه بالفاظ يديم التكلم بها: كقوله امرأته طالق مافعل كذا أو لقد فعل كذا: وكثير منهم يستغيث بغير الله تعالى من نبي أو رجل من الأموات أو صحابى ونحو ذلك: ومع هذه البلايا التى تصدر منهم والرزايا التى هم مصرون عليها لا يجدون من ينهاهم عن منكر ولا يأمرهم بمعروف:

وقد صار الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى كل ولاية متحصرا فى ثلاثة أشخاص: عامل: وكاتب: وحاكم * فأما العامل فلا عمل له الا فى استخراج الأموال من أيدى الرعايا من حلها ومن غير حلها وبالحق وبالباطل: وقد استعان على ذلك بالمشايخ الذين هم العرفاء المنصوص عليهم من معلم الشريعة أنهم فى النار فيتسلط كل واحد منهم على من تحت يده من المستضعفين فيصنع به كما أراد وكيف أحب وهو مفوض فى أموالهم من طريق العامل فيأخذ مايشاء ويدفع مايشاء وليس الأمر والنهى الا فى هذه الخصلة على الخصوص ولم يسمع على تطاول الأيام وتعاقب السنين أن فرداً من أفراد العمال أمر الرعايا بما أوجب الله من الفرائض التى لا فسحة فيها كالصلاة والصيام أو نهاهم عن شيء من المنكرات التى يرتكبونها بل قد جرت عادة كثير من العمال أن يأخذ فى مقابل الصلاة شيئا من السحت: وهكذا فى الأشياء التى هى منكرات مجمع على تحريمها كالزنا والسرقة وشرب المسكرات

اذا وقع بعض الرعية فى شىء كان له العقوبة من العامل على ذلك أن يأخذ شيئا من مال من فعل ذلك بل وقوع الرعايا فى هذه للمعاصى أحب الأشياء الى العامل لأنه يفتح له ذلك باب أخذ الأموال فيتكاثر عنده السحت ويتوفر له المقبوض فانظر أى فاقرة فى الدين كانت ولاية مثل هذا العامل وأى قاصم لظهور الصالحين وأى شر فى العالم وأى بلاء صب على دين الله تولية رجل لايأمر بفعل ما اوجب الله ولا ينهى عن فعل ماحرم الله بل يَوَدُّ ذلك ويفرح به لينال حظا من السحت ويصل الى شىء من الحرام فهل أقلت الأرض مما اظلت السماء أفسد لدين الله وأجرأ على معاصيه من هذا : وهل ممن مشى على رجلين أخسر صفقة منه واخبث سعيا : وناهيك برجل لو كفر من تحت ولايته من الرعايا كفر فرعون لكان يرضيه من ذلك نزر حقير من السحت بل ذلك أحب اليه من صلاح الرعايا وتمسكهم بدين الاسلام وقبولهم الشريعة لأنه لاينفق سوق ظلمه ويدرعليه ثَدْىُ سُحْته الا بوقوع الرعايا فى مخالفة الشرع وخروجهم عن سبيل الرشاد : وقد ينضم الى هذه المخازى منه والفضائح له ان يرابى على رؤوس الأشهاد ربا مجمعا على تحريمه : ويصحب جماعة من العاملين بالربا فيأخذ منهم عند الحاجة بالزيادة من الربا ويضيفها على الرعية ويسلط هؤلاء العاملين بالربا على الضعفاء : وهل أقبح من هذا الذنب وأشد منه فأنه الذنب الذى توعد الله عليه بالحرب لفاعله كما هو بين فى كتابه [1] وليس الحرب من الله نزول الحجارة من السماء بل تسليط بعض عباده على بعض حتى يسحتهم

بعـذابه : وينزل بهم غضـبه ويسلط عليهم من يسفك دماءهم ويهتك محارمهم : وقد يضم عامل السوء الى هذه المخازى مخازى أخر فينظر منه الرعايا محرمات يرتكبها ومحارم ينتهكها جرأة على الله فيسن للرعايا سنن الشر ويفتح عليهم أبواب الفجور :

واما الكاتب فليس له من الأمر الا جمع ديوان يكتب فيه المظالم التى يأخذها العامل من الرعايا ولا تحقيق عليهم بل المقصود من وضعه أن لا يكتم العامل من تلك الأموال التى اجتاحها : والمظالم التى اختطفها حتى لا يشاركه فيها غيره ويشاركه بذنبه من ينال منها نصيبا ممن يده فوق يده :

وأما ثالث الثلاثة وهو القاضى فهو عبارة عن رجل جاهل للشرع إما جهلا بسيطا أو جهلا مركبا وان يشتغل بشىء من الفقه فغاية ما يعرفه منه وكيل الخصومة وممارس الحضور فى مواقف الخصومات من مسائل تدور فى الدعوى والاجابة وطلب اليمين والبينة : وليس له فى العلم غير هذا لا يعرف حقا ولا باطلا ولا معقولا ولا منقولا ولا دليلا ولا مدلولا ولا يعقل شيئا من أمور الشرع فضلا عن غيرها من أمور العقل ولكنه اشتاق الى أن يدعى قاضيا ويشتهر اسمه فى الناس ويرتفع بين معارضيه وأهله فعمد الى الثياب الحميدة فلبسها وجعل على رأسه عمامة كالبرج وأطال ذيل كمه حتى صار كالخرج ولزم السكينة

(١) وهذه العادة جارية فى القطر المصرى ايضا وقد علل بعضهم ذلك بانه ينبغى للعالم ان يطول ثيابه ويعظم عمامته ليعرف انه عالم فيسأل ويستفتى وهذا قول مزيف وتعليل فاسد فان معلم الشريعة نهى عن ذلك وتوعد فاعله والله اعلم :

والوقار: واستكثر من قول نعم ويعنى: وجعل له سبحة طويلة يديرها فى يده ثم جمع له من الحطام قدرا واسعا وذهب به يدور فى الأبواب ويتردد فى السكك واستعان بالشفعاء بعد أن أرشاهم ببعض من ذلك المال ليشترى له هذا المنصب الجليل الذى هو بعد النبوة فى مكان يترجم عن كتاب الله وسنة رسوله الأمين ثم يذهب هذا الجاهل البائس الى قطر من الأقطار الوسيعة فيأتى اليه أهل الخصومات أفواجا فيحكم بينهم بحكم الطاغوت وهو فى الصورة حكم الشرع: لأن هذا القاضى المخذول لا يعرف من الشرع الا اسمه ولا يدرى من الشرع بشىء بل يجهل حده ورسمه فتنشر عنه فى ذلك القطر الواسع من الطواغيت ماتبكى عيون الاسلام: وتتصاعد عنده زفرات الأعلام: وكيف يهتدي الى فصل الحكومات بالحق جاهل اشترى هذا المنصب كما يشترى مايباع فى الأسواق من المتاع فولاية مثل هذا المخذول وتحكمه فى الشريعة المطهرة هى خيانة على الله وعلى رسوله وعلى كتابه وعلى العلم وأهله وعلى الدين والدنيا: ولا فرق بين من بعث مثله ليحكم لجهله وبين من بعث رجلا من أهل الطاغوت العارفين بالمسالك الطاغوتية كابن فرج وفصيله والغزى ونحوهم من حكام الطاغوت بل بعث هذا أعظم عند الله ذنبا وأشد معصية لأنه كان فى الصورة قاضيا من قضاة الشرع الشريف وحاكما من حكامه مولى ممن اليه الولاية العامة فكان فى ذلك تغريرا على الناس ومخادعة لهم: فانجذبوا اليه ليحكم بينهم بشرع الله فحكم بينهم بالطاغوت فقبلوه بناء منهم انه حكم الشرع بخلاف بعث

حاكم من حكام الطاغوت فانه وان كان من المعصية والجراءة على الله بالمكان الذى لايخفى لـكنه لا تغرير فى بعثه على العباد ولا مخادعة لهم وربما يجتنبه من يحتسب اذا لم يجتنبوه كلهم جميعا وينفروا عنه ويأبوا عنه: وكفى بهذا عبرة وموعظة يقشعر منها من فى قلبه [١] قوم يعقلون (وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ) هذا حال هذا القاضى الذى هو من قضاة النار ومن عصاة الملك الجبار فيما يتولاه من الخصومات:

وأما سائر ماهو موكول الى قضاة الشرع من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والأخذ على يد الظالم وارشاد الضالّ وتعليم الجاهل والدفع عن الرعية مِن ظلم مَن يظلمها والمكاتبة لامام المسلمين بما يحدث فى القطر الذى هو فيه مما يخالف الشريعة المطهرة فلا يقدر هذا القاضى الشقىّ على شىء من هذه الأمور سواء أ كان حقيرا أم كبيرا : بل غاية أمره ونهاية حاله أن يبقى فى ذلك القطر يشاهد الظالم بعينه وقد ينفذها بقلمه ويعين عليها بفمه وهو تارك لما أوجب الله عليه وعلى أمثاله من الأمر بالمعروف : والنهى عن المنكر : فهو فى الحقيقة ضال مضل شيطان مريد بل أضر على عباد الله من الشيطان ومن أين للشيطان وأنى له أن يظهر للناس فى صورة قاض ثم يفوض فى قطر من الأقطار فيه الوف مؤلفة من عباد الله فيحكم بينهم بالطاغوت بصورة الشرع ثم يكون شهيدا على مايحدث بذلك القطر ومعينا عليه : وموسعا لدائرته من دون أن يأمر بمعروف أو ينهى عن منكر بل لايجرى

---

(١) لعل هنا سقطا تقديره مثقال خردلة من ايمان وترجف منه قلوب قوم الخ :

قلمه قط فيما فيه جلب خير للرعية أو دفع شر عنهم : بل هو مادام فى هذا المنصب لاهمة ولا مطلب له الا جمع الحطام من الخصوم تارة بالرشوة وتارة بالهدية وتارة بما هو شبيه بالتلصص : ثم يدافع عن المنصب الذى هو فيه ببعض من هذا السحت الذى يجمعه ويتوسع فى دنياه بالبعض الآخر فهذا أمر لايقدر عليه الشيطان ولا يتمكن منه ولا يبلغ كيده لبنى آدم اليه وهذا يكفى لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد :

وإذا كان هذا حال حكام الشريعة * وماهم عليه هو ماقدمنا الاشارة اليه * وحال عاملهم وكاتبهم وقاضيهم هذه الصفة فانظر بعقلك واعمل صافى فكرك هل مثل هؤلاء متعرضون لسخط الله وعقوبته وحلول نقمه أم مستحقون للطفه وتوفيقه : وصرف العقوبة عنهم : ودفع الفتن الذاهبة بالأموال والأنفس منهم (وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا)[1] ولله الحجة البالغة (وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ)[2]:

واذا قد تقرر لك أحوال هـذا القسم الأول من الثلاثة الأقسام التى قدمنا لك ذكرها فلنبين لك حال القسم الثانى وهو حكم أهل البلاد الخارجـة عن أوامر الدولة ونواهيها كبلاد القبلة والمشرق ونحو ذلك : اعـلم رحمك الله أن جميع ماذكرنا لك فى القسم الأول وهم الرعايا من ترك الصلاة وسائر الفرائض الشرعية الا الشاذ النادر على تلك الصفة فهو أيضا كائن فى البلاد الخارجة عن أوامر الدولة ونواهيها بل الأمر فيهم أشد وأقطع فانهم جميعا لايحسنون الصلاة ولا القراءة ومن كان

١ ـ الكهف ٤٩

٢ ـ فاطر ٤٥

يقرأ فيهم فقراءته غير صحيحة : ولسانه غير صالح : وبالجملة فالفرائض الشرعية بأسرها من غير فرق بين أركان الاسلام الخمسة وغيرها مهجورة عندهم متروكة بل كلمة الشهادة التى هى مفتاح الاسلام لا ينطق بها الناطق منهم الا على عوج : ومع هذه ففيهم من المصائب العظيمة والقبائح الوخيمة : والبلايا الجسيمة أمور غير موجودة فى القسم الأول :

منها أنهم يحكمون ويتحاكمون الى من يعرف الأحكام الطاغوتية منهم فى جميع الأمور التى تنوبهم وتعرض لهم من غير انكار ولا حياء من الله ولا من عباده : ولا يخافون من أحد بل قد يحكمون بذلك بين من يقدرون على الوصول اليهم من الرعايا ومن كان قريبا منهم : وهذا الأمر معلوم لكل أحد من الناس لا يقدر أحد على انكاره ودفعه وهو أشهر من نار على علم : ولا شك ولا ريب أن هذا كفر بالله سبحانه وتعالى وبشريعته التى أمر بها على لسان رسوله واختارها لعباده فى كتابه وعلى لسان رسوله : بل كفروا بجميع الشرائع من عند آدم عليه السلام الى الآن : وهؤلاء جهادهم واجب وقتالهم متعين حتى يقبلوا أحكام الاسلام ويذعنوا لها ويحكموا بينهم بالشريعة المطهرة ويخرجوا من جميع ما هم فيه من الطواغيت الشيطانية : ومع هذا فهم مصرون على أمور غير الحكم بالطاغوت والتحاكم اليه وكل واحد منها على انفراده يوجب كفر فاعله وخروجه من الاسلام وذلك اطباقهم على قطع ميراث النساء [1]

---

(١) وهذه العادة القبيحة جارية ايضا فى القطر المصرى فنهم من يمنع الانثى المتزوجة خوفا من ان يسطو الزوج على نصيبها من الميراث : ويورث الأنثى البكر : وبعضهم يمنع

واصرارهم عليه وتعاضدهم على فعله : وقد تقرر فى القواعد الاسلامية ان منكر القطعي وجاحده والعامل على خلافه تمردا أو عنادا أو استحلالا أو استخفافا كافر بالله : وبالشريعة المطهرة التى اختارها الله تعالى لعباده:

ومع هذا فغالبهم يستحل دماء المسلمين وأموالهم ولايحترمها ولا يتورع عن شيء منها وهذا مشاهد معلوم لكل أحد لاينكره جاهل ولا عاقل ولا مقصر ولا كامل : ففيهم من آثار الجاهلية الجهلاء أشياء كثيرة يعرفها من تتبعها :

فمن ذلك اقسامهم بالأوثان كما يسمع كثير منهم يقول قائلهم أى وثن اذا أراد أن يحلف والمراد بهذا الوثن هو الوثن الذى كانت الجاهلية تعبده : وقد ثبت عن الشارع صلى الله عليه وآله وسلم «أن من حلف بملة غير ملة الاسلام فهو كافر [١]»

وبالجملة فكم يعد العاد من فضائح هؤلاء الطاغوتية وبلاياهم وفى هـذا المقدار كفاية ولا شك ولاريب أن ارتكاب هؤلاء لمثل هذه الأمور الكبيرة من أعظم الأسباب الموجبة للكفر السالبة للايمان التى

مطلقا ومنهم من يمنعها ميراث الارض دون المنقولات ولا غرابة من وقوع ذلك فى القطر اليمنى او غيره لان الجهل ضارب أطنابه لقلة العلماء العارفين وانما العجب من وقوع ذلك بين ظهرانى العلم : والعلماء سا كتون انا لله وانا اليه راجعون

(٢) رواه البخاري ومسلم بلفظ « من حلف بملة غير الاسلام كاذبا فهو كما قال » الحديث مطولا ورواه ابو داود والترمذي والنسائى وابن ماجه : وفى رواية لابى داود عن ابن عمر « قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول من حلف بغير الله فقد أشرك » ورواه الترمذى وحسنه عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « من حلف بغير الله فقد كفرا واشرك » ورواه ابن حبان فى صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرطهما : وهو كبيرة من الكبائر :

يتعين على كل فرد من أفراد المسلمين انكارها ويجب على كل قادر أن يقاتل أهلها حتى يعودوا الى دين الاسلام : ومعلوم من قواعد الشريعة المطهرة ونصوصها أن من جرد نفسه اقتال هؤلاء واستعان بالله وأخلص له النية فهو منصور وله العاقبة فقد وعد الله بهذا فى كتابه العزيز (وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ)[1] (إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ)[2] (والعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)[3] ﴿ فإن حزب الله هم الغالبون ﴾[4] (وَجُنْدُ اللهِ هُمُ الْمَنْصُورُونَ) (فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ على الظَّالِمِينَ)[6]

فان ترك من هو قادر على جهادهم فهو متعرض لنزول العقوبة مستحق لما أصابه فقد سلط الله على أهل الاسلام طوائف عقوبة لهم حيث لم ينتهوا عن المنكرات : ولم يحرصوا على العمل بالشريعة المطهرة كما وقع من تسليط الخوارج فى أول الاسلام : ثم تسليط القرامطة والباطنية بعدهم : ثم تسليط الترك حتى كادوا يطمسون الاسلام : وكما يقع كثيرا من تسليط الفرنج ونحوهم فاعتبروا يا أولى الأبصار ان فى هذا لعبرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد :

والحاصل أنه لاخروج لمن كان قادرا على اصلاح هذا القسم والقسم الأول وهم الرعايا الا يبذل مال فى اصلاح الرعايا وتعليمهم فرائض الاسلام والزامهم بها والأخذ على الولاة فى الأقطار أن يكون معظم سعيهم وغاية هممهم هو دعاء من يتولون عليه من الرعايا الى ماأوجبه الله عليهم ونهيهم عما نهاهم الله عنه : وانتخاب القضاة فى كل قطر أولا

١ ـ الحج ٤٠
٢ ـ محمد ٧
٣ ـ الأعراف ١٢٨
٤ ـ المائدة ٥٦
٥ ـ المائدة : ٥
٦ ـ البقرة ١٩٣

ممن جمع الله لهم بين العلم والعمل : والزهد والورع: ويكونون ثانيا من الباذلين نفوسهم لاصلاح الرعايا وتعليمهم فرائض الله ودفع المظالم الواردة عليهم التى لاسبيل لها فى الشريعة المطهرة ويقبضون ماأوجب الله عليهم ويدفعونه الى امام المسلمين فان فى ذلك ماهو أنفع من الأشياء التي تؤخذ على وجه الظلم وعلى طريقة الجور : والخير كل الخير فى موافقة الأمور الشرعية : والشر كل الشر فى مخالفتها

ومن جملة مايأخذون عليهم اصلاح عقائدهم وأن ينبؤهم أن الله هو الضار النافع القابض الباسط وأن لاينفع ولا يضر غيره : ويزجروهم عن الاعتقادات الباطلة ويجعلون فى كل قرية معلما صالحا يعلم أهلها العلوم على الوجه الشرعى ويأمروهم بالمواظبة على الصلاة فى أوقاتها ويدعوا ذلك المعلم أن يعلمهم سائر الفرائض التى أوجبها الله عليهم ويلزموهم ويحبسون من لم يأت بما فرض الله عليه أو لم يجتنب مانهاه الله عنه ويكون ذلك عزيمة صحيحة مستمرة وأمراً ضابطاً دائما : ولا يكون هذا مثل ماكان من الأمر لاهل ضلعا ثم بطل قبل مضى اسبوع فأن الامور الشرعية والفرائض الدينية هى التى شرع الله نصب الائمة والسلاطين والقضاة لها ولم يشرع نصب هؤلاء لجمع المال من غير وجهه ومصادرة الرعايا فى اموالهم باضعاف ما اوجبه الله عليهم وترك الزامهم بفرائض الله تعالى التى من جملتها الصلاة والصوم والحج والزكاة واخلاص النية والتوحيد لله : وترك نهيهم عما نهاهم الله عنه من المعاصى التى صاروا يفعلونها ويقرون عليها مما هو معلوم لكل أحد وليس على إمام المسلمين ووزرائه إلا

انتخاب العمال والقضاة والزامهم بأن يكون معظم أشتغالهم بتدبير الرعايا بما شرعه الله فى الأموال والأبدان وفى الدين والدنيا : ثم بعد الزامهم بذلك ينظرون من قام به من العمال والقضاة فيحسنون الى من قام بهذا الأمر منهم: ويبذل فيه وسعه ويُقرُّونه على ولايته ويعزلون من لم يقم به ويبذل فيه وسعه : فبهذا يدفع الله الشرور عن البلاد والعباد ويحول بينهم وبين من قد صار فى بعض اطراف من الطوائف التى تقاتل عباد الله مقاتلة أهل الشرك المحقق بل يتجاوزون ذلك الى مالا يبيحه الشرع كما بلغ أنهم يقتلون النساء الحوامل والصبيان ويشقون بطون الحوامل فان الشارع صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن مثل هذا وزجر عنه [1] ولم يحل للمسلمين أن يقتلوا صبيان المشركين ونساءهم :

وأما العمال والقضاة والذين صاروا يتولون البلاد فى هذه الأعصار فهم من أعظم الأسباب الموجبة لنزول العقوبة وتسليط الأعداء وذهاب البلاد والعباد وسفك الدماء واستحلال الحرام : وكيف لايقع هذا التسليط وعاملُ البلاد على هذه الصفة التى قدمنا ذكرها :ومن أول

«١» خرج ابو داود فى سننه عن انس « ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال انطلقوا باسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لاتقتلوا شيخا فانيا ولا طفلا صغيرا ولا امرأة ولاتغلوا وضموا غنائمكم واصلحوا واحسنوا ان الله يحب المحسنين» وروى الامام احمد فى مسنده عن الأسود بن سريع « قال قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لاتقتلوا الذرية فى الحرب فقالوا يارسول الله او ليس هم اولاد المشركين قال او ليس خياركم اولاد المشركين » وروى البخارى ومسلم واصحاب السنن الأربعة عن ابن عمر « قال وجدت امرأة مقتولة فى بعض مغازى النبي صلى الله عليه واله وسلم فنهى رسول الله عن قتل النساء والصبيان » فانظر الى محاسن هذه الشريعة ومكارم اخلاق نبيها واقتد بذلك :

معاصيه ومساويه ومعاندته لله: وتعرضه لغضبه وسخطه انه يطلب تلك الولاية بالأموال يقدمها من أموال المرابين فيقع فى الربا الذى هو من أعظم المعاصى الموجبة للحرب من الله قبل أن يخرج من بيته ويقبض مرسوم ولايته وقد يكون الذى ولاه عالما بأن ذلك المال هو عين الربا فيقعان جميعا فى غضب الله ولعنته قبل المباشرة للولاية: واذا كان هذا أول مايفتتح به هذه الولاية الملعونة فما ظنك بما يحدث بعد ذلك من الظلم والجور والعسف واهمال ما أخذه الله على الولاة من ارشاد الضالّ من الرعايا وهداية الجاهل : وهكذا ولاية القاضى الشيطان فى هذه الازمان فانها تفتتح بشيء من السحت يدفعه هذا القاضى الملعون الذى هو من قضاة النار الى من ولاه بعد أن يستعين بالسفهاء فكيف يفلح هذا القاضى الجاهل للشرائع الذى اشتري هذا المنصب الدينى بماله وقام فى حصوله وقعد مع أن الشارع صلوات الله عليه وسلامه نهى ان يتولى القضاء من طلبه[1] فضلا عمن اشتراه بماله

(١) الحديث اخرجه البخارى فى غير موضع مطولا ومختصرا ولفظه « عن ابى موسى قال اقبلت الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومعى رجلان من الأشعريين فقلت ماعلمت انهما يطلبان العمل فقال ان اولا نستعمل على عملنا من اراده » ورواه ايضا مسلم وابو داود والنسائى: قال القرطبي رحمه الله هذا نهى وظاهره التحريم كما قال صلى الله عليه وآله وسلم « لاتسأل الامارة وانا والله لانولى على عملنا هذا احدا يسأله ويحرص عليه » فلما اعرض عنهما ولم يولهما لحرصهما ولى ابا موسى الذى لايحرص عليها : والسائل الحريص يوكل اليها ولا يعان عليها : قال العلامة العينى فلان الذى يطلب العمل انما يطلبه غالبا لتحصيل الاجرة التى شرعت له وهذا كان فى ذلك الزمان : واما الذى يطلب العمل فى زماننا هذا فلا يطلبه الا لتحصيل الاموال سواء كان من الحلال أو الحرام وللأمر والنهى بغير طريق شرعى بل غالب من يطلب العمل انما يطلبه بالبرطيل والرشوة ولا سيما فى مصر فان الأمر فاسد جدا فى العمال فيها حتى ان اكبر القضاة يتولون بالرشوة وهذا غير خاف على أحد فنسأل الله العفو والعافية اه : فانظر

وكيف يصلح الرعايا كلا والله بل هو بلاء صبه الله على العباد صبا: ومحنة امتحنهم الله بها: وسبب من أسباب تعجيل العقوبة لهم ولمن ولاّه عليهم من أهل الامر:

أما القسم الثالث من الاقسام الثلاثة التى ذكرناها وهم الساكنون فى المدن فهم وان كانوا أبعد الناس من الشر وأقربهم الى الخير لكن غالبهم وجمهورهم عامّة جُهَّالٌ يهملون كثيرا مما أوجبه الله عليهم من الفرائض جهلا وتساهلا:

فمن ذلك أنهم يصلون غالب الصلوات فى غير اوقاتها فيأتون بصلاة الفجر حال طلوع الشمس وبعدها وبصلاة العصر قرب الغروب: وبصلاة العشائين اما جمعا فى وقت الأولى أو فى وقت الأخرى ومع هذا فهم لايحسنون أركان الصلاة ولا أذكارها الا الشاذ النادر منهم: ويتعاملون فى بيعهم وشرائهم معاملات يخالفون فيها المسلك الشرعى وكثيرا مايقع منهم الربا ويتكلمون بالألفاظ الكفرية وينهمك كثير منهم فى معاصى صغيرة وكبيرة: وهم أقرب الناس الى الخير وأسرعهم قبولا للتعليم اذا وجدوا من يعزم عليهم عزيمة مستمرة دائمة غير منقوصة فى

ايها القارىء الى كلام هذا الامام وقد كان فى القرن التاسع وقد وجد فى زمنه كثير من اهل العلم والفضل العاملين كالحافظ العراقى وابن حجر العسقلانى وغيرهما من اهل الحل والعقد فما بالك بهذا العصر عصر الانقلاب من الهدى الى الضلالة ومن الصلاح الى الفسق والفجور: ومن الورع الى أكل اموال الناس بانواع الحيل وجميع اصناف المكر والخداع: ومن اقامة شعائر الله فى المساجد الي ترك الصلاة جورا علنا . ومن لباس التقوى الى التزين بلباس الأنثى والخنثى المشكل من انواع الحرير وضروب الذهب . وغير ذلك مما لايحسن ذكره فى هذا المقام نسأل الله التوفيق لما جاء به الدين الحنيف والسلامة من مخالفته .

أقرب وقت كما يقع ذلك كثيرا : ومن عدا العامة فمن لم يكن منه اشتغال بالعلم ولا مجالسة لأهله حكمه حكم العامة فى دينه بل هو واحد منهم وان كان له نسب شريف وبيت رفيع : وربما هذا الذى كان يظن فى نفسه أنه خارج عن العامّة وداخل فى الخاصّة متعلق بشيء من الولايات الدينية والدنيوية وهو يخبط خبط عشواء : ويظلم البلاد والعباد جهلا منه أو تجاهلا وجزاؤه على الله والواجب على امام المسلمين حَفِظَهُ اللهُ وعلى أعوانه افتقاد هؤلاء والبحث عن مباشراتهم : وعن كيفية معاملتهم ممن يتولون عليه او يتوسطون له : وكون بعض هؤلاء المتولين للأعمال أو المتوسطين على شيء من العلم لايكون موجبا لترك البحث عن أحواله والتفتيش على معاملته بمن هو متول عليهم أو متوسط لهم فان كونه عالما أو متعلما لايوجب له العصمة ولا يسد عنه باب الاختبار والبحث فان كثيرا من العلماء من يكون علمه حجة عليه ووبالا له والدنيا مؤثرة وحبها رأس كل خطيئة والله المسئول أن يلهم امام المسلمين أقام الله به أركان الدين الى القيام بما أرشدناه اليه فى هذه الرسالة وابلاغ الجهد فى احوال هذه الأحكام التى ذكرناها فانه اذا فعل ذلك صلحت له أحوال الدين والدنيا ودفع الله عن رعاياه كل محنة ولم يسلط عليهم غيره قط كائنا من كان وليس في هذا مشقة عليه ولا نغص فى دنياه بل هو الدواء المجرب لتوفر الخير : وتضاعف المدد : وصفو العيش وراحة القلب وطول العمر واتساع البلاد واذعان العباد : بهذا جاءت الشريعة المطهرة وقطعت كلياتها وجزئياتها : وفى هذا المقدار كفاية وبالله التوفيق

﴿ تمت الرسالة والحمد لله ﴾

رسالة
في العقل والروح

للعلامة تقي الدين ابن تيمية

المتوفى سنة ٧٢٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . سئل شيخ الاسلام الامام العلاّمة تقي الدين احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية رضى الله عنه عن العقل الذى للانسان هل هو عرض ؟ وما هى الروح المدبرة لجسده ؟ هل هى النفس وهل لها كيفية تعلم ؟ وهل هى عرض أو جوهر ، وهل يعلم مسكنها من الجسد ، ومسكن العقل ، فأجاب :

الحمد لله رب العالمين . العقل فى كتاب الله وسنة رسوله وكلام الصحابة والتابعين وسائر أئمة المسلمين هو أمر يقوم بالعاقل سواء سمى عرضاً أو صفة ليس هو عيناً قائمة بنفسها سواء سمى جوهراً أو جسما أو غير ذلك : وانما يوجد التعبير باسم العقل عن الذات العاقلة التى هى جوهر قائم بنفسه فى كلام طائفة من المتفلسفة الذين يتكلمون فى العقل والنفس ويدّعون ثبوت عقولٍ عشرة كما يذكر ذلك من يذكره من

أتباع ارسطو أو غيره من المتفلسفة المشائين : ومن تلقى ذلك عنهم من المنتسبين الى الملل :

وقد بسط الكلام على هؤلاء فى غير هذا الموضع وبيّن أن مايذكرونه من العقول والنفوس والمجرّدات والمفارقات والجواهر العقلية لايثبت لهم منه الاّ نفس الانسان وما يقوم بها من العلوم وتوابعها ، فان أصل تسميتهم لهذه الأمور مفارقات هو مأخوذ من مفارقة النفس البدن بالموت وهذا أمر صحيح فان نفس الميت تفارق بدنه بالموت وهذ مبنى على أن النفس قائمة بنفسها تبقى بعد فراق البدن بالموت منعمة أو معذبة وهذا مذهب أهل الملل من المسلمين وغيرهم وهو قول الصحابة والتابعين لهم باحسان وسائر أئمة المسلمين ، وان كان كثير من أهل الكلام يزعمون أن النفس هى الحياة القائمة بالبدن : ويقول بعضهم هى جزء من أجزاء البدن كالريح المترددة فى البدن أو البخار الخارج من القلب :

فنى الجملة النفس المفارقة للبدن بالموت ليست جزأ من أجزاء البدن ولا صفة من صفات البدن عند سلف الأمة وأئمتها : وانما يقول هذا وهذا من يقوله من أهل الكلام المبتدع المحدث من أتباع الجهمية والمعتزلة ونحوهم : والفلاسفة والمشاؤون يقرون بأن النفس تبقى اذا فارقت البدن لكن يصفون النفس بصفات باطلة فيدعون أنها اذا فارقت البدن كانت عقلا والعقل عندهم هو المجرد عن المادة وعلائق المادة ، والمادة عندهم هى الجسم ، وقد يقولون هو المجرد عن التعلق بالهيولى

والهيولى فى لغتهم هو بمعنى المحل : ويقولون المادة والصورة . والعقل عندهم جوهر قائم بنفسه لايوصف بحركة ولا سكون ولا تتجدد له أحوال ألبتة :

تحقيق قولهم ان النفس اذا فارقت البدن لايتجدد لها حال من الأحوال لاعلوم ولا تصورات : ولا سمع ولا بصر ولا ارادات : ولا فرح وسرور ولا غير ذلك مما قد يتجدد ويحدث بل تبقى عندهم على حال واحدة أزلاً وأبداً كما يزعمونه فى العقل والنفس : ثم منهم من يقول ان النفوس واحدة بالعين : ومنهم من يقول هى متعددة : وفى كلامهم من الباطل ماليس هذا موضع بسطه :

وانما المقصود التنبيه على مايناسب هذا الموضع فهم يسمّون مااقترن بالمادّة التى هى الهيولى وهى الجسم فى هذا الموضع نفساً كنفس الانسان المدبرة لبدنه : ويزعمون ان للفلك نفساً تحركه كما للناس نفوس لكن كان قدماؤهم يقولون ان نفس الفلك عَرَض قائم بالفلك كنفوس البهائم وكما يقوم بالانسان الشهوة والغضب لكن طائفة منهم كابن سينا وغيره زعموا أن النفس الفلكية جوهر قائم بنفسه كنفس الانسان ومادامت نفس الانسان مدبرة لبدنه سموها نفساً فاذا فارقت سموها عقلاً لأن العقل عندهم هو المجرد عن المادة وعن علائق المادة : وأما النفس فهى المتعلقة بالبدن تعلق التدبير والتصريف :

وأصل تسميتهم هذه مجردات هو مأخوذ من كون الانسان يجرد الأمور العقلية الكلية عن الأمور الحسية المعينة فانه اذا رأى

أفراداً للانسان كزيد وعمرو عَقَلَ قدراً مشتركاً بين الاناسيّ وبين الانسانية الكلية المشتركة المعقولة فى قلبه : واذا رأى الخيل والبغال والحمير وبهيمة الأنعام وغير ذلك من أفراد الحيوان عقل من ذلك قدراً كلياً مشتركاً بين الأفراد وهى الحيوانية الكلية المعقولة : واذا رأى مع ذلك الحيوان والشجر والنبات عقل من ذلك قدراً مشتركا كلياً وهو الجسم النامى المغتذى وقد يسمون ذلك النفس النباتية : واذارأى مع ذلك سائر الأجسام العلوية الفلكية والسفلية العنصرية عَقَلَ من ذلك قدراً مشتركاً كلياً هو الجسم العام المطلق : واذا رأى ماسوى ذلك من الموجودات عقل من ذلك قدراً مشتركاً كلياً وهو الوجود العام الكلى الذى ينقسم الى جوهر وعَرَض وهذا الوجود هو عندهم موضوع العلم الأعلى الناظر فى الوجود ولواحقه وهى الفلسفة الأولى والحكمة العليا عندهم :

وهم يقسمون الوجود الى جوهر وعرض : والأعراض يجعلونها تسعة أنواع هذا هو الذى ذكره أرسطوا : وأتباعه يجعلون هذا من جملة المنطق لأن فيه المفردات التى ينتهى اليها الحدود المؤلفة : وكذلك من سلك سبيلهم ممن صنف فى هذا الباب كابن حزم وغيره * وأماابن سينا وأتباعه فقالوا « الكلام فى هذا لايختص بالمنطق » فأخرجوها منه وكذلك من سلك سبيل ابن سينا كابى حامد والسهروردى المقتول والرازى والآمدى وغيرهم . وهذه هى المقولات العشر التى يعبرون عنها بقولهم : الجوهر : والكم : والكيف : والاين : ومتى

والاضافة : والوضع : والملك : وأن يفعل : وأن ينفعل : وقد جمعت في بيتين وهي

زيدٌ الطويلُ الأسودُ بنُ مالك * في داره بالامس كان متكي
في يده سيفٌ نضاه فانتضا * فهذه عشر مقولات سوا

وأكثر الناس من أتباعه وغير أتباعه أنكر واحصر الأعراض في تسعة أجناس وقالوا إن هـذا لايقوم عليه دليل : ويثبتون إمكان ردها الى ثلاثة والى غير ذلك من الأعداد ، وجعلوا الجواهر خمسة أنواع : الجسم والعقل والنفس والمادة والصورة ، فالجسم جوهر حسيّ والباقية جواهر عقلية ، لكن مايذكرونه من الدليل على إثبات الجواهر العقلية انما يدل على ثبوتها في الأذهان لافي الأعيان ،

وهـذه التي يسمونها « المجردات العقلية » ويقولون : الجواهر تنقسم الى ماديات ومجردات فالماديات القائمة بالمادة وهي الهيولى وهي الجسم ، والمجردات هي المجردات عن المادة ، وهذه التي يسمونها المجردات أصلها هي هذه الأمور الكلية المعقولة في نفس الانسان كما أن المفارقات أصلها مفارقة النفس البدن ، وهذان أمران لاينكران لكن ادعوا في صفات النفس وأحوالها أمورا باطلة ، وأدعوا أيضا ثبوت جواهر عقلية قائمة بأنفسها ويقولون فيها : العاقل والمعقول والعقل شيء واحد كما يقولون مثل ذلك في رب العالمين فيقولون : هو عاقل ومعقول وعقل ، وعاشق ومعشوق وعشق ، ولذيذ وملتذ ولذة : ويجعلون الصفة عين الموصوف ، ويجعلون كل صفة هي الأخرى فيجعلون نفس

العقل الذى هو العلم نفس العاقل العالم ، ونفس العشق الذى هو الحب نفس العاشق المحب ، ونفس اللذة هى نفس العلم ونفس الحب ، ويجعلون القدرة والارادة هى نفس العلم فيجعلون العلم هو القدره وهو الارادة وهو المحبة وهو اللذة ، ويجعلون العالم المريد المحب الملتذ هو نفس العلم الذى هو نفس الارادة وهو نفس المحبة وهو نفس اللذة ؟ فيجعلون الحقائق المتنوعة شيئا واحدا ويجعلون نفس الصفات المتنوعة هى نفس الذات الموصوفة ، ثم يتناقضون فيثبتون له علما ليس هو نفس ذاته كما تناقض ابن سينا فى اشاراته : وغيره من محققيهم ، وبسط الكلام فى الرد عليهم بموضع آخر :

والمقصود أنهم يعبرون بلفظ العقل عن جوهر قائم بنفسه ويثبتون جواهر عقلية يسمونها المجردات والمفارقات للمادة ، واذا حقق الأمر عليهم لم يكن عندهم غير نفس الانسان التى يسمونها الناطقة وغير مايقوم بها من المعنى الذى يسمى عقلا . وكان أرسطو واتباعه يسمون الربّ عقلا وجوهرا وهو عندهم لايعلم شيأ سوى نفسه ولا يريد شيئا ولا يفعل شيئا ويسمونه المبدأ والعلة الأولى لان الفلك عندهم متحرك للتشبه به أو متحرك الشبه بالعقل ، فحاجة الفلك عندهم الى العلة الأولى من جهة أنه متشبه بها كما يتشبه المؤتم بالامام والتلميذ بالاستاذ ، وقد يقول انه يحركه كما يحرك المعشوق عاشقه ليس عندهم أنه أبدع شيئا ولا فعل شيئا ، ولا كانوا يسمونه واجب الوجود ولا يقسمون الوجود الى واجب وممكن ويجعلون الممكن هو موجودا قديما أزليا كالفلك عندهم

وانما هذا فعل ابن سينا وأتباعه وهم خالفوا فى ذلك سلفهم وجميع العقلاء وخالفوا أنفسهم أيضا فتناقضوا فانهم صرحوا بما صرح به سلفهم وسائر العقلاء من أن الممكن الذى يمكن أن يكون موجودا وان يكون معدوماً، لايكون الا محدثاً مسبوقا بالعدم . وأما الأزلى الذى لم يزل ولا يزال فيمتنع عندهم وعند سائر العقلاء ان يكون ممكنا يقبل الوجود والعدم بل كل ما قبلَ الوجودَ والعدم لم يكن الا محدثا وهذا مما يستدل به على ان كل ماسوى الله فهو محدث مسبوق بالعدم كائن بعد ان لم يكن كما بسط فى موضعه : لكن ابن سينا ومتبعوه تناقضوا فذكروا فى موضع آخر أن الوجود ينقسم الى واجب وممكن وان الممكن قد يكون قديماً ازليا لم يزل ولا يزال يمتنع عدمه ويقولون هو واجب بغيره وجعلوا الفلك من هذا النوع فخرجوا عن إجماع العقلاء الذين وافقوهم هم عليه فى اثبات شيء ممكن يمكن ان يوجد وأن لايوجد وانه مع هذا يكون قديماً أزلياً أبديا ممتنع العدم واجب الوجود بغيره فان هذا ممتنع عند جميع العقلاء . وذلك بيّن فى صريح العقل لمن تصور حقيقة الممكن الذى يقبل الوجود والعدم كما بسط فى موضعه :

وهؤلاء المتفلسفة انما تسلطوا على المتكلمين الجهمية والمعتزلة ومن سلك سبيلهم لأن هؤلاء لم يعرفوا حقيقة مابعث اللهُ به رسوله . ولم يحتجوا لما نصروه بحجج صحيحة فى المعقول فقصر هؤلاء المتكلمون فى معرفة السمع والعقل حتى قالوا إن الله لم يزل لايفعل شيئا ولا يتكلم بمشيئته ثم حدث ماحدث من غير تجدد سبب حادث : وزعموا دوام

امتناع كون الرب متكلماً بمشيئته ثم حدث ماحدث من غير تجدد سبب حادث وزعموا دوام امتناع كون الرب متكلما بمشيئته فعّالا لما يشاء لزعمهم امتناع دوام الحوادث ثم صار أئمتهم كالجهم بن صفوان وأبى الهذيل العلاف الى امتناع دوامها فى المستقبل والماضى : فقال الجهم بفناء الجنة والنار : وقال أبو الهذيل بفناء حركاتهما وانهم يبقون دائماً فى سكون : ويزعم بعض من سلك هذه السبيل أن هذا هو مقتضى العقل وأن كل ماله ابتداء فيجب أن يكون له انتهاء . ولما رأوا الشرع قد جاء بدوام نعيم اهل الجنة كما قال تعالى (أُكُلُها دائِمٌ وَظِلُّها) وقال (إنَّ هٰذا لَرِزْقُنا مالَهُ مِنْ نَفادٍ) ظنوا انه يجب تصديق الشرع فيما خالف فيه اهل العقل ولم يعلموا ان الحجة العقلية الصحيحة لاتناقض الحجة الشرعية الصحيحة بل يمتنع تعارض الحجج الصحيحة سواء كانت عقلية أو سمعية أو سمعية وعقلية . بل اذا تعارضت حجتان دل على فساد إحداهما أو فسادهما جميعاً :

وصار كثير منهم الى جواز دوام الحوادث فى المستقبل دون الماضى وذكروا فروعاً عرف حذاقهم ضعفها كما بسط فى غير هذا الموضع: وهو لزومهم أن يكون الرب كان غير قادر ثم صار قادرا من غير تجدد سبب يوجب كونه قادرا وانه لم يكن يمكنه ان يفعل ولا يتكلم بمشيئته ثم صار الفعل ممكنا له بدون سبب يوجب تجدد الامكان . واذا ذكر لهم هذا قالوا كان فى الأزل قادراً على مالم يزل فقيل لهم القادر لا يكون قادرا مع كون المقدور ممتنعا بل القدرة على الممتنع ممتنعة وانما يكون قادراً على ما يمكنه ان

يفعله فاذا كان لم يزل قادراً فلم يزل يمكنه أن يفعل :

ولما كان اصل هؤلاء هذا صاروا فى كلام الله على ثلاثة أقوال :فرقة قالت الكلام لايقوم بذات الرب بل لايكون كلامه الا مخلوقا لانه إما قديم واما حادث ويمتنع أن يكون قديماً لانه متكلم بمشيئته وقدرته والقديم لايكون بالقدرة والمشيئة : واذا كان الكلام بالقدرة والمشيئة كان مخلوقاً لايقوم بذاته إذ لو قام بذاته كانت قد قامت به الحوادث والحوادث لاتقوم به لانها لو قامت به لم يخل منها ومالم يخل من الحوادث فهو حادث : قالوا اذ بهذا الأصل أثبتنا حدوث الأجسام : وبه ثبت حدوث العالم (قالوا) ومعلوم ان مالم يسبق الحادث لم يكن قبله اما معه واما بعده . وما كان مع الحادث او بعده فهو حادث :

وكثير منهم لم يتفطن للفرق بين نوع الحوادث وبين الحادث المعين فان الحادث المعين والحوادث المحصورة يمتنع أن تكون أزلية دائمة : ومالم يكن قبلها فهو إما معها وإما بعدها : وما كان كذلك فهو حادث قطعاً . وهذا لايخفى على أحد :

ولكن موضع النظر والنزاع نوع الحوادث . وهو أنه هل يمكن أن يكون النوع دائما فيكون الرب لايزال يتكلم أو يفعل بمشيئته وقدرته أم يمتنع ذلك ؟ فلمّا تفطن لهذا الفرق طائفة قالوا : وهذا أيضا ممتنع لامتناع حوادث لاأوّل لها : وذكروا على ذلك حججا كحجة التطبيق وحجة امتناع انقضاء مالانهاية له وأمثال ذلك : وقد ذكر عامة

ماذكر فى هذا الباب وما يتعلق به فى مواضع غير هذا الموضع ولكل مقام مقال .

وأولئك المتفلسفة لما رأوا أن هذا القول مما يعلم بطلانه بصريح العقل وأنه يمتنع حدوث الحوادث بدون سبب حادث ويمتنع كون الرب يصير فاعلا بعد أن لم يكن وأن المؤثر التام يمتنع تخلف أثره عنه ـ ظنوا أنهم اذا أبطلوا هذا القول فقد سلم لهم ما ادعوه من قدم العالم كالأفلاك وجنس المولودات ومواد العناصر : وضلوا اضلالاً عظيما خالفوا به صرائح العقول وكذبوا به كل رسول فان الرسل مطبقون على أن كل ماسوى الله محدث مخلوق كائن بعد أن لم يكن . ليس مع الله شيء قديم بقدمه وأنه خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام . والعقول الصريحة تعلم أن الحوادث لابد لها من محدث : فلولم تكن الا العلة القديمة الأزلية المستلزمة لمعلولها لم يكن فى العالم شيء من الحوادث . فان حدوث ذلك الحادث عن علة قديمة أزلية مستلزمة لمعلولها ممتنع : فانه اذا كان معلو لها لازما لها كان قديما معها لم يتأخر عنها فلا يكون لشيء من الحوادث سبب اقتضى حدوثه فتكون الحوادث كلها حدثت بلا محدث وهؤلاء فروا من أن يحدثها القادر بغير سبب حادث وذهبوا الى أنها تحدث بغير محدث أصلاً لا قادر ولا غير قادر . فكان مافروا اليه شراً مما فروا منه : وكانوا شراً من المستجير من الرمضاء بالنار :

واعتقد هؤلاء أن المفعول المصنوع المبتدع المعين كالفلك يفارق فاعله أزلاً وأبداً لايتقدم الفاعل عليه تقدما زمانيا : وأولئك قالوا بل

المؤثر التام يتراخى عنه أثره ثم يحدث الأثر من غير سبب اقتضى حدوثه فأقام الأولون الأدلة العقلية الصريحة على بطلان هذا كما أقام هؤلاء الأدلة العقلية الصريحة على بطلان قول الآخرين : ولا ريب أن قول هؤلاء أهل المقارنة أشدفسادا ومناقضة لصريح المعقول وصحيح المنقول من قول أولئك أهل التراخي * والقول الثالث الذى يدل عليه المعقول الصريح ويقرّ به عامّة العقلاء ودل عليه الكتاب والسنة وأقوال السلف والأئمة لم يهتد له الفريقان : وهو أن المؤثر التام يستلزم وقوع اثره عقب تأثره التام لايقترن به ولا يتراخى كما طلقتَ المرأة فطلقت . وأعتقتَ العبدفعتق . وكسرتَ الاناء فانكسر وقطعتَ الحبل فانقطع: فوقوع العتق والطلاق ليس مقارنا لنفس التطليق والاعتاق بحيث يكون معه ولا هو أيضا متراخ عنه بل يكون عقبه متصلا به : وقد يقال هو معه ومفارق له باعتبار أنه يكون عقبه متصلاً به كما يقال هو بعده متأخر عنه باعتبار أنه انما يكون عقب التأثير التام : ولهذا قال تعالى (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)[١] فهو سبحانه يكوّن مايشاء تكوينه فاذا كوّنه كان عقب تكوينه متصلا به لايكون مع تكوينه فى الزمان ولا يكون متراخيا عن تكوينه بينهما فصل فى الزمان بل يكون متصلا بتكوينه كاتصال أجزاء الحركة والزمان بعضها ببعض :

وهذا مما يستدل به على أن كل ماسوى الله حادث كائن بعد أن لم يكن : وان قيل مع ذلك بدوام فاعليته ومتكلميته : وهذه الأمور

١ - يس ٨٢

مبسوطة فى غير هذا الموضع . والمقصود هنا أن هذا هو أصل من قال القرآن محدث ومن قال ان الرب لم يقم به كلام ولا ارادة بل ولا علم بل ولا حياة ولا قدرة ولا شىء من الصفات : فلما ظهر فساد هـذا القول شرعا وعقـلا قالت طائفة ممن وافقهم على أصـل مذهبهم هو لايتكلم بمشيئته وقدرته بل كلامه أمر لازم لذاته كما تلزم ذاته الحياة : ثم منهم من قال هو معنى واحد لامتناع اجتماع معانى لانهاية لها فى آن واحد وامتناع تخصيصه بعدد دون عدد : وقالوا ذلك المعنى هو الأمر بكل مأمور والخبر عن كل مخبر عنه إن عبر عنه بالعربيه كان قرآنا وإن عبر عنه بالعبرية كان توراة وان عبر عنه بالسريانية كان انجيلا : وقالوا: ان الأمر والنهى صفات للكلام لا أنواع له . فان معنى آية الكرسى آية الدين و(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)[١] و (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ)[٢] معنى واحد :

فقال جمهور العقلاء لهم : تصور هـذا القول يوجب العلم بفساده وقالوا لهم : موسى سمع كلام الله كله أو بعضه . إن قلتم كله لزم أن يكون قد علم علم الله . وإن قلتم بعضه فقد تبعض : وقالوا لهم : اذا جوزتم أن تكون حقيقة الخبر هى حقيقة الأمر وحقيقة النهى عن كل منهى عنه . والأمر بكل مأمور به هو حقيقة الخبر عن كل مخبر عنه: فجوزوا أن تكون حقيقة العلم هى حقيقة القدرة : وحقيقة القدرة هى حقيقة الارادة فاعترف حذاقهم بأن هـذا لازم لهم لامحيد لهم عنه : ولزمهم امكان أن تكون حقيقة الذات هى حقيقة الصفات وحقيقة الوجود الواجب هى حقيقة الوجوب الممكن ، والتزم ذلك طائفة منهم فقالوا :

١ ـ الاخلاص ١
٢ ـ المسد ١

الوجود واحد ، وعين الوجود الواجب القديم الخالق هو عين الوجود الممكن المخلوق المحدَث:

وهذا أصل قول القائلين بوحدة الوجود كابن عربي الطائى وابن سبعين وأتباعهما كما بسط فى مواضع : ومن هؤلاء القائلين بأنه لا يتكلم بمشيئته وقدرته مع قيام الكلام به من قال : كلامه المعين حروف وأصوات معينة قديمة أزلية لم تزل ولا تزال : وزعموا أن كلاً من القرآن والتوراة والانجيل حروف وأصوات قديمة أزلية لم تزل ولا تزال ، فقال لهم جمهور العقلاء : معلوم بالاضطرار أن الباء قبل السين والسين قبل الميم فكيف يكونان معاً أزلاً وأبداً : ومعلوم أن الصوت المعين لا يبقى زمانين فكيف يكون أزليا لم يزل ولا يزال فقالت الطائفة الثالثة ممن سلك مسلك أولئك المتكلمين : بل نقول أنه يتكلم بمشيئته وقدرته كلاما قائما بذاته كما دل على ذلك الكتاب والسنة واجماع السلف والأئمة وان لزم من ذلك قيام الحوادث به فلا محذور فى ذلك لا شرعا ولا عقلا بل هذا لازم لجميع طوائف العقلاء وعليه دلت النصوص الكثيرة : وأقوال السلف والأئمة . ويقول انه يتكلم بمشيئته وقدرته بالقرآن العربى وأنه نادى موسى بصوت سمعه موسى كما دلت على ذلك النصوص وأقوال السلف لكن يقول انه لم يكن فى الازل متكلما ويمتنع أن يكون لم يزل متكلما بمشيئته وقدرته لأن ذلك يستلزم حوادث لا أول لها . وهو أصل هؤلاء. فقيل لهم معلوم ان الكلام صفة كمال لا صفة نقص وأن من يتكلم بمشيئته وقدرته أكمل ممن لا يكون قادرا على الكلام بمشيئته وقدرته

وحينئذ فمن لم يزل متكلما بمشيئته أكمل ممن صار قادراً على الكلام بعد ان كان لايمكنه أن يتكلم : وقالوا لهم اذا قلتم تكلم بعد أن كان الكلام ممتنعا من غير أن يكون هناك سبب أوجب تجدد قدرته وتجدد امكان الكلام له قلتم أنه لم يزل غير قادر على الكلام ولم يزل الكلام غير ممكن له ثم صار قادراً يمكنه أن يتكلم بمشيئته من غير حدوث شيء : وهذا مخالفة لصريح العقل : وسلب لصفات الكمال عن البارى وجعله مثل المخلوق الذى صار قادراً على الكلام بعد أن لم يكن قادراً عليه :

والسلف والأئمة نصوا على أن الرب تعالى لم يزل متكلما اذا شاء وكما شاء كما نص على ذلك عبد الله بن المبارك وأحمد بن حنبل وغيرهم من أئمة الدين وسلف المسلمين وهم الذين قالوا بان القرآن كلام الله منزل غير مخلوق . لم يقل أحد منهم أنه لايتكلم بمشيئته وقدرته . ولا قال أحد منهم أنه مخلوق بائن عنه . ولا قال أحد منهم أنه صار متكلما أو قادراً على الكلام بعد ان لم يكن كذلك : وقد بسطت هذه الأمور فى موضع آخر . والمقصود أن هذه الأقوال التى قالها هؤلاء المتكلمون من الجهمية والمعتزلة والكلابية والكرامية والسالمية : ومن وافقهم من المتأخرين الذين انتسبوا الى بعض الائمة الأربعة وخالفوا بها اجماع السلف والأئمة : وماجاء به الكتاب والسنة وخالفوا بهاصريح المعقول الذى فطر الله عليه عباده هى التى سلطت أولئك المتفلسفة

الدهرية عليهم لكن قول الفلاسفة أعظم فساداً فى المعقول والمنقول :

فصل

والمقصود هنا أن اسم العقل عند المسلمين وجمهور العقلاء انما هو صفة وهو الذى يسمى عرضا قائم بالعاقل : وعلى هذا دل القرآن فى قوله تعالى (لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)[١] * وقوله (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِى الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا)[٢] * وقوله (قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ)[٣] ونحو ذلك مما يدل على أن العقل مصدر عَقَلَ يعقل عقلا ، واذا كان كذلك فالعقل لايسمى به مجرد العلم الذى لم يعمل به صاحبه : ولا العمل بلا علم بل انما يسمى به العلم الذى يعمل به والعمل بالعلم : ولهذا قال أهل النار (لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِى أَصْحَابِ السَّعِيرِ)[٤] وقال تعالى (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِى الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا)[٢] . والعقل المشروط فى التكليف لابد أن يكون علوما يميز بها الانسان بين ماينفعه وما يضره : فالمجنون الذى لايميز بين الدراهم والفلوس : ولا بين أيام الأسبوع : ولايفقه مايقال له من الكلام ليس بعاقل : أما من فهم الكلام وميز بين ماينفعه وما يضره فهو عاقل :

ثم من الناس من يقول : العقل هو علوم ضرورية : ومنهم من يقول العقل هو العمل بموجب تلك العلوم . والصحيح أن اسم العقل يتناول هذا وهذا ، وقد يراد بالعقل نفس الغريزة التى فى الانسان

١ - البقرة ٧٣
٢ - الحج ٤٦
٣ - البقرة ١١٨
٤ - الملك ١٠

التى بها يعلم ويميز ويقصد المنافع دون المضار كما قال أحمد بن حنبل والحارث المحاسبي وغيرهما ان العقل غريزة وهذه الغريزة ثابتة عند جمهور العقلاء كما أن فى العين قوة بها يبصر : وفى اللسان قوة بها يذوق : وفى الجلد قوة بها يلمس عند جمهور العقلاء :

ومن الناس من ينكر القوى والطبائع كما هو قول أبى الحسن ومن اتبعه من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم: وهؤلاء المنكرون للقوى والطبائع ينكرون الأسباب أيضا ويقولون ان الله يفعل عندها لا بها فيقولون ان الله لا يشبع بالخبز ولا يروى بالماء ولا ينبت الزرع بالماء بل يفعل عنده لا به : وهؤلاء خالفوا الكتاب والسنة واجماع السلف مع مخالفة صريح العقل والحس فان الله قال فى كتابه (وَهُوَ الَّذِى يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَىْ رحْمَتِهِ حَتَّى إذا أَقَلَّتْ سَحاباً ثِقالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّت فَأَنْزَلْنا بِهِ المَاءَ فَأَخرَجْنا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ المَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)[1] فأخبر أنه ينزل الماء بالسحاب ويخرج الثمر بالماء : وقال تعالى (وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّماء مِنْ ماء فَأَحْيَ بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوتِها)[2] وقال (وَنَزَّلْنا مِنَ السَّماء ماء مُبارَكاً فَأَنْبَتْنا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الحَصِيدِ)[3] وقال (قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ)[4] وقال (قَدْ جاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتابٌ مُبِينٌ يَهْدِى بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَهُ سُبُلَ السَّلامِ)[5] وقال (يَقُولونَ ماذَا أَرادَ اللهُ بِهذا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِى بِهِ كَثِيراً)[6] ومثل هذا فى القرآن

١ ـ الأعراف ٥٧
٢ ـ البقرة ١٧٤
٣ ـ ق ٩
٤ ـ التوبة ١٤
٥ ـ المائدة ١٥-١٦
٦ ـ البقرة ٢٦

كثير ، والناس يعلمون بحسهم وعقلهم أن بعض الأشياء سبب لبعض كما يعلمون أن الشبع يحصل بالأكل لا بالعد : ويحصل بأكل الطعام لا بأكل الحصى : وأن الماء سبب لحياة النبات والحيوان كما قال (وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ) وأن الحيوان يروى بشرب الماء لا بالمشي ، ومثل ذلك كثير : ولبسط هذه المسائل موضع آخر :

فصل

والروح المدبرة للبدن التي تفارقه بالموت هي الروح المنفوخة فيه وهي النفس التي تفارقه بالموت ، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما نام عن الصلاة « ان الله قبض ارواحنا حيث شاء وردها حيث شاء »(آ) وقال له بلال يارسول الله أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك : وقال تعالى (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى)[٢] قال ابن عباس وأكثر المفسرين : يقبضها قبضين قبض الموت وقبض النوم ثم في النوم يقبض التي تموت ويرسل الأخرى الى أجل مسمى حتى يأتي أجلها وقت الموت : وقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول اذا نام « باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه أن أمسكت نفسي فاغفر لها وأرحمها وأن أرسلتها فاحفظها بما

١ ـ الأنبياء ٣٠

٢ ـ الزمر ٤٢

(آ) الحديث رواه البخاري مطولا ومسلم وغيرهما الا انه بلفظ « ان الله قبض ارواحكم » الخ

تحفظ به عبادك الصالحين » وقد ثبت فى الصحيح «أن الشهداء جعل الله أرواحهم فى حواصل طير خضر تسرح فى الجنة ثم تأوى الى قناديل معلقة بالعرش » وثبت أيضا بأسانيد صحيحة « ان الانسان اذا قبضت روحه فتقول الملائكة اخرجى أيتها النفس الطيبة كانت فى الجسد الطيب اخرجى راضية مرضيا عنكِ : ويقال أخرجى أيتها النفس الخبيثة كانت فى الجسد الخبيث أخرجى ساخطة مسخوطا عليك * وفى الحديث الآخر « نسمة المؤمن طائر تعلق من ثمر الجنة ثم تأوى الى قناديل معلقة بالعرش » فسماها نسمة . وكذلك فى الحديث الصحيح حديث المعراج « ان آدم عليه السلام قبل يمينه أسودة وقبل شماله أسودة فاذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى » وان جبريل قال للنبى صلى الله عليه وسلم « هذه الاسودة نسم بنيه . عن يمينه السعداء وعن يساره الأشقياء » وفى حديث على « والذى فلق الحبة وبرأ النسمة » وفى الحديث الصحيح « إن الروح اذا قبض تبعه البصر »[1] فقد سمى المقبوض وقت الموت ووقت النوم روحا ونفسا . وسمى المعروج به الى السماء روحا ونفسا . لكن تسمى نفسا باعتبار تدبيره للبدن وتسمى روحا باعتبار لطفه فان لفظ « الروح » يقتضى اللطف ولهذا يسمى الريح روحا . وقال النبى صلى الله عليه وسلم « الريح من روح الله »[2] أى من الروح التى

---

(١) رواه مسلم وابن ماجه والامام احمد بن حنبل عن ام سلمة :

(٢) رواه البخارى فى الادب وابو داود والحاكم عن ابى هريرة بلفظ « الريح من روح الله تأتى بالرحمة وتأتى بالعذاب فاذا رأيتموها فلا تسبوها واسألوا الله خيرها واستعيذوا بالله من شرها »

خلقها الله فاضافة الروح الى الله إضافة ملك لا إضافة وصف اذ كل مايضاف الى الله ان كان عينا قائمة بنفسها فهو ملك له وان كان صفة قائمة بغيرها ليس لها محل تقوم به فهو صفة لله :

فالاول كقوله « نَاقَةَ اللهِ وَسُقْيَاهَا »[1] وقوله « فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا »[2] وهو جبريل « فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمٰنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا »[2] وقال « وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا »[3] وقال عن آدم « فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ »[4] والثانى كقولنا : علم الله وكلام الله وقدرة الله وحياة الله وأمر الله : لكن قد يعبر بلفظ المصدر عن المفعول به فيسمى المعلوم علما والمقدور قدرة والمأمور به أمراً والمخلوق بالكلمة كلمة فيكون ذلك مخلوقا . كقوله « أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ »[5] وقوله « إِنَّا نُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ »[6] وقوله « إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ »[7] ومن هذا الباب قوله « إِنَّ اللهَ خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة . انزل منها رحمة واحدة وأمسك عنده تسعة وتسعين رحمة فاذا كان يوم القيامة جمع هذه الى تلك فرحم بها عباده »[(٦)]

١ - الشمس ١٣
٢ - مريم ١٧-١٩
٣ - التحريم ١٢
٤ - الحجر ٢٩
٥ - النحل ١
٦ - آل عمران ٤٥
٧ - النساء ١٧١

(٦) الحديث فى صحيح البخارى وغيره عن ابى هريرة بلفظ « قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ان الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فامسك عنده تسعا وتسعين رحمة وارسل فى خلقه كلهم رحمة واحدة فلو يعلم الكافر بكل الذى عند الله من

ومنه قوله فى الحديث الصحيح للجنة « أنت رحمتى أرحم بك من أشاء من عبادى » كما قال للنار « أنت عذابى أعذب بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها »

فصل

ولكن لفظ الروح والنفس يعبر بهما عن عدة معان ، فيراد بالروح الهواء الخارج من البدن والهواء الداخل فيه ، ويراد بالروح البخار الخارج من تجويف القلب من سويداه السارى فى العروق وهو الذى تسميه الأطباء الروح ويسمى الروح الحيوانى ، فهذان المعنيان غير الروح التى تفارق بالموت التى هى النفس ، ويراد بنفس الشىء ذاته وعينه كما يقال رأيت زيدا نفسه : وعينه : وقد قال تعالى « تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ »[١] وقال « كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ »[٢] وقال تعالى « وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ »[٣] وفى الحديث الصحيح انه قال لأم المؤمنين « لقدقلت بعدك أربع كلمات لو وزن بماقلتيه لوزنتهن سبحان الله عدد خلقه سبحان الله زنة عرشه، سبحان الله رضا نفسه، سبحان الله مداد كلماته »(٦) وفى الحديث الصحيح الألهى عن النبي صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى : أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه حين يذكرنى ان ذكرنى فى نفسه

١ ـ المائدة ١١٦
٢ ـ الأنعام ٥٤
٣ ـ آل عمران ٢٨

الرحمة لم ييأس من الجنة ولو يعلم المؤمن بكل الذى عند الله من العذاب لم يأمن من النار » اقول الذي ينبغى للعاقل ان يكون بين الخوف والرجاء فلا يكون مفرطا فى الرجاء بحيث يصير من المرجئة القائلين بانه لا يضر مع الايمان شىء : ولا مفرطا فى الخوف كالمعتزلة القائلين بتخليد صاحب الكبيرة اذا مات من غير توبة فى النار بل يكون وسطا بينهما والله الموفق :

(٦) الحديث فى صحيح مسلم وغيره بالفاظ مختلفة :

ذكرته فى نفسى وان ذكرني فى ملأ ذكرته فى ملأ خيرٍ منهم»[١] فهذه المواضع المراد فيها بلفظ النفس عند جمهور العلماء الله نفسه التى هى ذاته المتصفة بصفاته : ليس المراد بها ذاتا منفكة عن الصفات ولا المراد بها صفة للذات ، وطائفة من الناس يجعلونها من باب الصفات كما يظن طائفة أنها الذات المجردة عن الصفات : وكلا القولين خطأ . وقد يراد بلفظ النفس الدم الذى يكون فى الحيوان كقول الفقهاء « ماله نفس سائلة وما ليس له نفس سائلة » ومنه يقال نَفِسَتِ المرأة اذا حاضت ، ونفِسَتْ اذا نَفَسَهَا ولدُها ، ومنه قيل النفساء ومنه قول الشاعر

تسيل على حد الظباة نفوسنا * وليست على غير الظباة تسيل

فهذان المعنيان بالنفس ليساهما معنى الروح :ويراد بالنفس عند كثير من المتأخرين صفاتها المذمومة فيقال فلان له نفس ويقال اترك نفسك ومنه قول أبى مرثد « رأيت رب العزة فى المنام فقلت اى رب كيف الطريق اليك فقال أترك نفسك » ومعلوم أنه لايترك ذاته وانما يترك هواها وأفعالها المذمومة ، ومثل هذا كثير فى الكلام ، يقال فلان له لسان ، فلان له يد طويلة ، فلان له قلب ، يراد بذلك لسان ناطق ويد عاملة صانعة وقلب حىٌّ عارف بالحق مريد له ، قال تعالى « إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ » كذلك النفس لما كانت حال تعلقها بالبدن يكثر عليها اتباع هواها صار لفظ «النفس» يعبر به عن

(١) الحديث فى صحيح البخارى وغيره مطول وما ذكره المصنف مختصر منه تنبه :

النفس المتبعة لهواها أو عن اتباعها الهوى بخلاف لفظ « الروح » فانها لايعبر عنها عن ذلك اذ كان لفظ « الروح » ليس هو باعتبار مدبرها للبدن :
ويقال النفوس ثلاثة أنواع : وهى النفس الامارة بالسوء التى يغلب عليها اتباع هواها بفعل الذنوب والمعاصى ، والنفس اللوامة وهى التى تذنب وتتوب فعنها خير وشر لكن اذا فعلت الشر تابت وأنابت فتسمى لوامة لأنها تلوم صاحبها على الذنوب ولأنها تتلوّم أى تتردد بين الخير والشر * والنفس المطمئنة وهى التى تحب الخير والحسنات وتريده وتبغض الشر والسيئات وتكره ذلك وقد صار ذلك لها خلقا وعادة وملكة : فهذه صفات وأحوال لذات واحدة ، والا فالنفس التى لكل انسان هى نفس واحدة، وهذا أمر يجده الانسان من نفسه * وقد قال طائفة من المتفلسفة الأطباء ان النفوس ثلاثة : نباتية محلها الكبد ، وحيوانية محلها القلب وناطقية محلها الدماغ : وهذا ان أرادوا به أنها ثلاثة قوي تتعلق بهذه الأعضاء فهذا مسلم، وان أرادوا أنها ثلاثة أعيان قائمة بأنفسها فهذا غلط بين :

فصل

وأما قول السائل « هل لها كيفية تعلم ؟ » فهذا سوآل مجمل، » إن أراد أنه تعلم مايعلم من صفاتها وأحوالها فهذا مما يعلم ، وإن أراد أنها هل لها مثل من جنس مايشهده من الأجسام أوهل من جنس شيء من ذلك؟ فان اراد ذلك فليست كذلك فانها ليست من جنس العناصر الماء والهواء والنار والتراب ، ولا من جنس أبدان الحيوان والنبات والمعدن ، ولا

من جنس الأفلاك والكواكب ، فليس لها نظير مشهود ولا جنس معهود ، ولهذا يقال انه لايُعلم كيفيتها ، ويقال انه «من عرف نفسه عرف ربه » من جهة الاعتبار ومن جهة المقابلة ومن جهة الامتناع ، فاما الاعتبار فانه يعلم الانسان انه حى عليم قدير سميع بصير متكلم فيتوصل بذلك الى ان يفهم ما اخبر الله به عن نفسه من انه حى عليم قدير سميع بصير فانه لو تصور لهذه المعانى من نفسه ونظر اليه لم يمكن ان يفهم ماغاب عنه كما انه لولا تصوره لما فى الدنيا من العسل واللبن والماء : والخمر : والحرير : والذهب : والفضة لما امكنه ان يتصور ماأخبر به من ذلك من الغيب ، لكن لايلزم ان يكون الغيب مثل الشهادة فقد قال ابن عباس رضى الله عنه « ليس فى الدنيا مما فى الجنة الا الأسماء » فان هذه الحقائق التى اخبر بها انها فى الجنة ليست مماثلة لهذه الموجودات فى الدنيا بحيث يجوز على هذه مايجوز على تلك ويجب لها مايجب لها ويمتنع مايمتنع عليها ويكون مادتها مادتها ويستحيل استحالتها فانا نعلم أن ماء الجنة لايفسد ويأسن : ولبنها لايتغير طعمه ، وخمرها لايصدع شاربها ولا ينزف عقله فان ماءها ليس نابعاً من تراب ولا نازلاً من سحاب مثل ما فى الدنيا ، ولبنها ليس مخلوقا من أنعام كما فى الدنيا وأمثال ذلك ، فاذا كان ذلك المخلوق يوافق ذلك المخلوق فى الاسم وبينهما قدر مشترك وتشابه فعلم به معنى ماخوطبنا به مع أن الحقيقة ليست مثل الحقيقة : فالخالق جل جلاله أبعد عن مماثلة مخلوقاته مما فى الجنة لما فى الدنيا فإذا وصف نفسه بأنه حى عليم سميع

بصير قدير لم يلزم أن يكون مماثلا لخلقه اذ كان بعدها عن مماثلة خلقه أعظم من بعد مماثلة كل مخلوق لكل مخلوق، وكل واحد من صغار الحيوان لها حياة وقوة وعمل وليست مماثلة للملائكة المخلوقين فكيف يماثل ربّ العالمين شيئاً من المخلوقين والله سبحانه وتعالى سمى نفسه وصفاته بأسماء وسمى بها بعض المخلوقات فسمى نفسه حيا عليما سميعا بصيراً عزيزا جباراً متكبرا ملكاً رؤوفاً رحيماً وسمى بعض عباده عليما: وبعضهم حليما وبعضهم رؤوفا رحيما: وبعضهم سميعاً بصيراً: وبعضهم ملكاً وبعضهم عزيزا وبعضهم جباراً متكبراً، ومعلوم أنه ليس العليم كالعليم ولا الحليم كالحليم ولا السميع كالسميع وهكذا فى سائر الأسماء، قال سبحانه وتعالى «إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً»[١] وقال «وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ»[٢] وقال «انَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً»[٣] وقال «فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ»[٤] وقال «انَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ»[٥] وقال «بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ»[٦] وقال «انَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً»[٧] وقال تعالى «أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً»[٨] وكذلك سائر ماذكر لكن الانسان يعتبر بما عرفه مالم يعرفه ولولا ذلك لانسدت عليه طرق المعارف للأمور الغائبة، وأما من جهة المقابلة فيقال من عرف نفسه بالعبودية عرف ربه بالربوبية: ومن عرف نفسه بالفقر عرف ربه بالغنى: ومن عرف نفسه بالعجز عرف ربه بالقدرة: ومن عرف نفسه بالجهل عرف ربه بالعلم: ومن عرف نفسه بالذل عرف ربه بالعز، وهكذا أمثال ذلك لأن العبد ليس له من نفسه الاّ العدم، وصفات

١ ـ النساء ١١
٢ ـ الذاريات ٢٨
٣ ـ الاسراء ٤٤
٤ ـ الصافات ١٠١
٥ ـ الحج ٦٥
٦ ـ التوبة ١٢٨
٧ ـ النساك ٥٨
٨ ـ الإنسان ٢

النقص كلها ترجع الى العدم ، وأما الربّ تعالى فله صفات الكمال وهى من لوازم ذاته يمتنع انفكاكه عن صفات الكمال أزلاً وأبداً ويمتنع عدمها لأنه واجب الوجود أزلاً وأبداً وصفات كماله من لوازم ذاته ويمتنع ارتفاع اللازم الاّ بارتفاع الملزوم فلا يعد شيء من صفات كماله الاّ بعد ذاته وذاته يمتنع عليها العدم فيمتنع على شيء من صفات كماله العدم ، :

وأما من جهة العجز والامتناع فانه يقال اذا كانت نفس الانسان التى هى أقرب الأشياء اليه بل هى هويته وهو لايعرف كيفيتها ولا يحيط علماً بحقيقتها فالخالق جل جلاله أولى أن لا يَعلَمَ العَبْدُ كَيْفِيَّتَهُ ولا يحيط علماً بحقيقته ولهذا قال أفضل الخلق وأعلمهم بربه « اللهم انى أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما اثنيت على نفسك » [1] وثبت فى صحيح مسلم وغيره «أنه كان يقول هذا فى سجوده »وقد روى الترمذى وغيره « أنه كان يقوله فى قنوت الوتر وان كان فى هذا الحديث نظر فالأول صحيح ثابت :

فصل

وأما سؤال السائل هل هو جوهر أو عرض فلفظ الجوهر فيه اجمال ، ومعلوم أنه لم يرد بالسؤال الجوهر فى اللغة مع أنه قد قيل إن لفظ «الجوهر» ليس من لغة العرب وانه معرّب ، وانما أراد السائل الجوهر فى الاصطلاح من تقسيم الموجودات الى جوهر وعرض .

(١) رواه مسلم وابو داود والنسائى والترمذى وابن ماجه

وهؤلاء منهم من يريد بالجوهر المتحيز فيكون الجسم المتحيز عندهم جوهراً ، وقد يريدون به الجوهر الفرد وهو الجزء الذى لا يتجزأ *
والعقلاء متنازعون فى اثبات هذا وهو أن الأجسام هل هى مركبة من الجواهر المفردة أم من المادة والصورة أم ليست مركبة لا من هـذا ولا من هـذا على ثلاثة أقوال أصحها الثالث أنها ليست مركبة لا من الجواهر المفردة ولا من المادة والصورة وهذا قول كثير من طوائف أهل الكلام كالهشامية والضرارية والنجارية والكلابية وكثير من الكرّامية وهو قول جمهور الفقهاء وأهل الحديث والصوفية وغيرهم بل هو قول أكثر العقلاء كما قد بسط فى موضعه ،

والقائلون بأن لفظ « الجوهر » يقال على المتحيز متنازعون هل يمكن وجود جوهر ليس بمتحيز ، ثم هؤلاء منهم من يقول : كل موجود فاما جوهر واما عرض ، ويدخل الموجود الواجب فى مسمى الجوهر : ومن هؤلاء من يقول كل موجود فاما جسم أو عرض ، ويدخل الموجود الواجب فى مسمى الجسم ، وقد قال بهذا وبهذا طائفة من نظّار المسلمين وغيرهم ، ومن المتفلسفة والنصارى من يسميه جوهرا ولا يسميه جسما ، وحكى عن بعض نظار المسلمين أنه يسميه جسما ولا يسميه جوهرا الا أن الجسم عنـده هو المشار اليه أو القائم بنفسه والجوهر عنده هو الجوهر الفرد.

ولفظ العرض فى اللغة له معنى وهو مايعرض ويزول كما قال تعالى « يأخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأدْنَى » وعند أهـل الاصطلاح الكلامى

قد يراد بالعرض مايقوم بغيره مطلقا وقد يراد به مايقوم بالجسم من الصفات، ويراد به في غير هذا الاصطلاح أمور أخرى. ومعلوم أن مذهب السلف والائمة وعامة أهل السنة والجماعة اثبات صفات الله وأن له علماً وقدرة وحياة وكلاماً ، ويسمون هذه صفات : ثم منهم من يقول هي صفات وليست أعراضاً لأن العرض لايبقى زمانين وهذه باقية ، ومنهم من يقول بل تسمى أعراضا لان العرض قد يبقى ، وقول من قال « ان كل عرض لا يبقى زمانين قول ضعيف : واذا كانت الصفات الباقية تسمى اعراضا جاز أن يسمى هذه اعراضا : ومنهم من يقول « أنا لا أطلق ذلك بناء على أن الاطلاق مستنده الشرع »

والناس متنازعون هل يسمى الله بما صح معناه في اللغة والعقل والشرع وإن لم يرد باطلاقه نص ولا اجماع أم لايطلق الا ماأطلق نص أو اجماع على قولين مشهورين ، وعامة النظار يطلقون مالا نص في اطلاقه والاجماع كلفظ القديم والذات ونحو ذلك ، ومن الناس من يفصل بين الأسماء التي يُدْعى بها وبين مايخبر به عنه للحاجة فهو سبحانه انما يُدْعى بالاسماء الحسنى كما قال « وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا »[1] واما اذا احتيج الى الاخبار عنه مثل ان يقال : ليس هو بقديم ولا موجود ولا ذات قائمة بنفسها : ونحو ذلك فقيل تحقيق الاسباب بل هو سبحانه قديم موجود وهو ذات قائمة بنفسها ، وقيل ليس بشيء فقيل بل هو شيء فهذا سائغ وان كان لايُدْعى بمثل هذه الأسماء التي ليس فيها مايدل على المدح كقول القائل : ياشيء اذ كان هذا

[1] ـ الأعراف ١٨٠

لفظا يعم كل موجود وكذلك لفظ «ذات وموجود» ونحو ذلك الا اذا سمى بالموجود الذي يجده من طلبه كقوله «وَوَجَدَ اللهَ عِنْدَهُ» فهذا اخص من الموجود الذى يعم الخالق والمخلوق. اذا تبين هذا فالنفس وهى الروح المدبرة لبدن الانسان ـ هى من باب مايقوم بنفسه التى تسمى جوهرا وعينا قائمة بنفسها ليست من باب الأعراض التى هى صفات قائمة بغيرها، واما التعبير عنها بلفظ «الجوهر» «والجسم» ففيه نزاع بعضه اصطلاحى وبعضه معنوى فمن عنى بالجوهر القائم بنفسه فهى جوهر ومن عنى بالجسم مايشار اليه وقال انه يشار اليها فهى عنده جسم ومن عنى بالجسم المركب من الجواهر المفردة أو المادة والصورة فبعض هؤلاء قال انها جسم أيضاً ومن عنى بالجوهر المتحيز القابل للقسمة فنهم من يقول انها جوهر، والصواب أنها ليست مركبة من الجواهر المفردة ولا من المادة والصورة، وليست من جنس الاجسام المتحيزات المشهودة المعهودة، وأما الاشارة اليها فانه يشار اليها وتصعد وتنزل وتخرج من البدن وتسل منه كما جاءت بذلك النصوص ودلت عليه الشواهد العقلية :

فصل

وأما قول القائل، أين مسكنها من الجسد ؟ فلا اختصاص للروح بشيء من الجسد بل هى سارية فى الجسد كما تسرى الحياة التى هى عرض فى جميع الجسد فان الحياة مشروطة بالروح فاذا كانت الروح فى الجسد

كان فيه حياة واذا فارقته الروح فارقته الحياة :

فصل

وأما قوله : أين مسكن العقل فيه ؛ فالعقل قائم بنفس الانسان التى تعقل ، وأما من البـدن فهو متعلق بقلبه كما قال تعالى « أَ فَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا »[1] وقيل لابن عباس : بماذا نلت العلم : قال « بلسان سؤول وقلب عقول » لكن لفظ « القلب » قد يراد به المضغة الصنوبرية الشكل التى فى الجانب الأيسر من البدن التى جوفها علقة سوداء كما فى الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم «ان فى الجسد مُضْغَةً اذا صَلُحَتْ صلح لها سائر الجسد واذا فَسَدَتْ فسد لها سائر الجسد» : وقد يراد بالقلب باطن الانسان مطلقا فان قلب الشيء باطنه كقلب الحنطة واللوزة والجوزة ونحو ذلك ومنه سمى القليب قليبا لانه اخرج قلبه وهو باطنه ،وعلى هذا فاذا اريد بالقلب هذا فالعقل متعلق بدماغه أيضا ولهذا قيل : ان العقل فى الدماغ : كما يقوله كثير من الاطباء ونقل ذلك عن الامام احمـد ويقال طائفة من أصحابه : ان أصل العقل فى القلب فاذا كمل انتهى الى الدماغ . والتحقيق أن الروح التى هى النفس لها تعلق بهذا وهذا ، ومايتصف من العقل به يتعلق بهذا وهذا لـكن مبدأ الفكر والنظر فى الدماغ ومبدأ الارادة فى القلب والعقل يراد به العلم ويراد به العمل فالعلم والعمل الاختيارى أصـله الارادة وأصل الارادة فى القلب ، والمريد لايكون مريدا الا بعد تصور المراد

[1] - الحج ٤٦

فلابد أن يكون القلب متصورا فيكون منه هذا وهذا، ويبتدىء ذلك من الدماغ وآثاره صاعدة الى الدماغ فمنه المبتدأ واليه الانتهاء، وكلا القولين له وجه صحيح؛ وهذا مقدار ما وسعته هذه الاوراق والله اعلم

تمت الرسالة والحمد لله اولا وآخراً وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه ومن كان بشرعه عاملاً :

نقلت هذه النسخة عن نسخة خطية مكتوب عليها هكذا : وقرئت على مصنفها شيخ الاسلام الامام العلامة تقي الدين أبي العباس احمد عبد الحليم ابن عبد السلام بن تيمية رضي الله عنه . قرأها مسطر هذه الاحرف محمد بن عبدالله بن احمد سبط مرشق المالكي عفا الله عنه



قاعدة نافعة

فى صفة الكلام

لشيخ الاسلام تقى الدين أبى العباس أحمد بن تيمية

بسم الله الرحمن الرحيم قال الشيخ الامام العالم المتقن المحقق الزاهد الورع الحبر الكامل جامع الفضائل ومرجع الأفاضل معين السائل ومعين المسائل حجة الاسلام بركة الأنام ناصر السنة وقامع البدعة تقى الدين ابو العبّاس احمد بن الشيخ الامام العالم فخرالدين عبد الحليم بن الشيخ الامام العالم العامل القطب مجد الدّين عبد السلام بن الشيخ ابى القاسم بن محمد بن تيمية الحرانى أسبغ الله عليه ملابس نعمه الفاخرة : ورزقه فعل سعادتى الدنيا والآخرة :

(قاعدة نافعة)

(فصل) فى بيان ان القرآن كلام الله ليس شيء منه كلاماً لغيره لا جبريل ولا محمد وغيرهما قال الله تعالى (فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ

يتوكلون إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون قل نزله روح القدس من ربك)[1] فأمره أن يقول نزله روح القدس من ربك بالحق فان الضمير في قوله قل نزله عائد على ما في قوله بما ينزل والمراد به القرآن كما يدل عليه سياق القرآن: وقوله (والله اعلم بما ينزل) فيه اخبار الله بانه انزله لكن ليس في هذه اللفظة بيان ان روح القدس نزل به ولا انه منزل منه ولفظ الانزال في القرآن قد يرد مقيدا بالانزال منه كنزول القرآن وقد يرد مقيدا بالانزال من السماء ويراد به العلو فيتناول نزول المطر من السحاب ونزول الملائكة من عند الله وغير ذلك وقد يرد مطلقا فلا يختص بنوع من الانزال بل ربما يتناول الانزال من رؤس الجبال كقوله (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد)[2] والانزال من ظهور الحيوان كانزال الفحل الماء وغير ذلك: فقوله (نزله روح القدس من ربك بالحق) بيان لنزول جبريل به من الله فان روح القدس هنا هو جبريل بدليل قوله (من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك)[3] وهو الروح الأمين في قوله (وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين)[4] وفي قوله الأمين دلالة على انه مؤتمن على ما ارسل به لايزيد فيه ولا ينقص منه فان الرسول الخائن قد يغير الرسالة كما قال في صفته في الآية الأخرى (إنه

١ - النحل ٩٨-١٠٢
٢ - الحديد ٢٥
٣ - البقرة ٩٧
٤ - الشعراء ١٩٢-١٩٥

لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ)[١] وفى قوله (منزل من ربك) دلالة على أمور منها بطلان قول من يقول انه كلام مخلوق خلقه فى جسم من الأجسام المخلوقة كما هو قول الجهميين الذين قالوا بخلق القرآن من المعتزلة والنجارية والضرارية وغيرهم فان السلف كانوا يسمون كل من نفى الصفات وقال ان القرآن مخلوق وان الله لايرى فى الآخرة جهميا فان جهما اول من ظهرت عنه بدعة نفى الأسماء والصفات وبالغ فى نفى ذلك فله فى هذه البدعة مزية المبالغة فى النفى والابتداء بكثرة اظهار ذلك والدعوة اليه وان كان جعد سبقه الى بعض ذلك فان الجعد بن درهم اوّل من احدث ذلك فى الأسلام فضحى به خالد بن عبدالله القسرى بواسطة يوم النحر وقال أيها الناس ضحوا يقبل الله ضحاياكم فانى مضح بالجعد بن درهم انه زعم انّ الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما تعالى الله عما يقول الجعد بن درهم علوا كبيرا ثم نزل فذبحه ولكن المعتزلة وان وافقوا جهما على بعض ذلك فهم يخالفوه فى مسائل غير ذلك : كمسائل القدر والايمان وبعض مسائل الصفات ايضا ولا يبالغون فى النفى مبالغته :

وجهم يقول ان الله تعالى لايتكلم او يقول انه يتكلم بطريق المجاز وأما المعتزلة فيقولون انه يتكلم حقيقة لكن قولهم فى المعنى هو قول جهم وجهم ينفى الأسماء أيضا كما نفتها الباطنية ومن وافقهم من الفلاسفة واما جمهور المعتزلة فلا ينفون الأسماء والمقصود ان قوله (منزل من ربك)

١ ـ التكوير ١٩ـ٢١

فيه بيان انه منزل من الله لا من مخلوق من المخلوقات ولهذا قال السلف منه بدا اى هو الذى تكلم به لم يبتد من غيره كما قالت الخلقية * ومنها ان قوله (منزل من ربك) فيه بطلان قول من يجعله فاض على نفس النبى من العقل الفعال او غيره كما يقول ذلك طوائف من الفلاسفة والصابئة وهـذا القول أعظم كفرا وضلالا من الذى قبله * ومنها ان هذه الآية ايضا تبطل قول من يقول ان القرآن العربى ليس منزلا من الله بل مخلوق اما فى جبريل او محمد او جسم آخر غيرهما كما يقول ذلك الكلابية والأشعرية الذين يقولون ان القرآن العربى ليس هو كلام الله وانما كلامه المعنى القائم بذاته والقرآن العربى خلق ليدل على ذلك المعنى ثم اما ان يكون خلق فى بعض الأجسام الهواء او غيره او الهمه جبريل فعبر عنه بالقرآن العربي او الهمه محمد فعبّر عنه بالقرآن العربى او يكون اخذه جبريل من اللوح المحفوظ او غيره : فهذه الأقوال التى تقال تفريع على هذا القول فان هذا القرآن العربى لا بد له من متكلم تكلم به أولا قبل ان يصل الينا وهـذا القول يوافق قول المعتزلة ونحوهم فى اثبات خلق القرآن العربى وكذلك التوراة العبرية ويفارقه من وجهين أحدهما ان اولئك يقولون ان المخلوق كلام الله وهؤلاء يقولون انه كلام الله لكن يسمونه كلام الله مجازا وهذا قول أئمتهم وجمهورهم : وقال طائفة من متأخريهم بل لفظ الكلام يقال على هذا وهذا بالاشتراك اللفظى لكن هذا ينقض أصلهم فى ابطال قيام الكلام بغير المتكلم به وهم مع هذا لا يقولون ان المخلوق كلام الله حقيقة كما تقوله المعتزلة مع قولهم انه كلامه حقيقة

بل يجعلون القرآن العربى كلاما لغير الله وهو كلامه حقيقة وهذا شر من قول المعتزلة وهذا حقيقة قول الجهمية ومن هذا الوجه : فقول المعتزلة أقرب وقول الآخرين هو قول الجهمية المحضة لكن المعتزلة فى المعنى يوافقون هؤلاء وانما ينازعونهم فى اللفظ الثانى ان هؤلاء يقولون لله كلام هو معنى قديم قائم بذاته والخلقية يقولون لايقوم بذاته كلام ومن هذا الوجه فالكلابية خير من الخلقية فى الظاهر : لكن جمهور الناس يقولون ان اصحاب هذا القول عند التحقيق لم يثبتوا له كلاما حقيقة غير المخلوق فانهم يقولون انه معنى واحد هو الأمر والنهى والخبر فان عبر عنه بالعربية كان قرآنا وان عبر عنه بالعبرية كان توراة وان عبر عنه بالسريانية كان انجيلا : ومنهم من قال هو خمس معان :

وجمهور العقلاء يقولون ان فساد هذا معلوم بالضرورة بعد التصور التام والعقلاء الكثيرون لايتفقون على الكذب وجحد الضرورات من غير تواطؤ واتفاق كما فى مخبر الاخبار المتواترة : واما مع التواطئ فقد يتفقون على الكذب عمدا وقد يتفقون على جحد الضرورات وان لم يعلم كل منهم انه جاحد للضرورة ولو يفهم حقيقة القول الذى يعتقده لحسن ظنه فيمن يقلد قوله : ولحبه لنصر ذلك القول كما اتفقت النصارى والرافضة وغيرهم من الطوائف على مقالات يعلم فسادها بالضرورة:

وقال جمهور العقلاء نحن اذا اعربنا التورية والانجيل لم يكن معنى ذلك معنى القرآن بل معانى هذا ليست معانى هذا وكذلك معنى (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)[1] ليس هو معنى (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ)[2] ولا معنى آية الكرسى هو

١ ـ الاخلاص ١
٢ ـ المسد ١

معنى آية الدين: وقال اذا جوزتم ان تكون الحقائق المتنوعة شيئا واحدا فجوزوا ان يكون العلم والقدرة والكلام والسمع والبصر صفة واحدة فاعترف أئمة لهذا القول بان هذا الالزام ليس لهم عنه جواب عقلى: ثم منهم من قال الناس فى الصفات اما مثبت لها قائل بالتعدد واما ناف لها واما اثباتها واتحادها فخلاف الاجماع وهذه طريقة القاضى ابى بكر وابى المعالى وغيرهما: ومنهم من اعترف بانه ليس له عنه جواب كابى الحسن الآمدى وغيره: والمقصود هنا ان هذه الآية تبين بطلان هذا القول كما تثبت بطلان غيره فان قوله(قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ)[1] يقتضى نزول القرآن من ربه والقرآن اسم للقرآن العربى لفظه ومعناه بدليل قوله (فإذا قرأت القرآن)[2] وانما يقرأ القرآن العربى لا يقرأ معانيه المجردة: وايضا فضمير المفعول فى قوله نزله عائد على ما فى قوله (وَاللهُ أَعلَمُ بما يُنَزِّلُ)[3] فالذى انزله الله هو الذى نزله روح القدس فاذا كان روح القدس نزل بالقرآن العربى لزم ان يكون نزله من الله فلا يكون شيء منه نزله من عين من الأعيان المخلوقة ولا نزله من نفسه وايضا فانه قال عقيب هذه الآية (وَلَقَدْ نَعلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ)[4] وهم كانوا يقولون انما يعلمه هـذا القرآن العربى بشر لم يكونوا يقولون انما يعلمه بشر معانيه فقط بدليل قوله (لسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين) فانه تعالى أبطل قول الكفار بان

١ ـ النحل ١٠٢
٢ ـ النحل ٩٨
٣ ـ النحل ١٠١
٤ ـ النحل ١٠٣

لسان الذى الحدوا اليه بان اضافوا اليه هذا القرآن فجعلوه هو الذى يعلم محمدا القرآن لسان أعجمى والقرآن لسان عربى مبين وعبر عن هذا المعنى بلفظ يلحدون لما تضمن من معنى ميلهم عن الحق وميلهم الى هذا الذى أضافوا اليه القرآن فان لفظ الالحاد يقتضى ميلا عن شيء الى شيء بباطل فلو كان الكفار قالوا يعلمه معانيه فقط لم يكن هذا ردا لقولهم فان الانسان قد يتعلم من الأعجمى شيئا بلغة ذلك الأعجمى ويعبر عنه هو بعبارته وقد اشتهر فى التفسير ان بعض الكفار كانوا يقولون هو تعلمه من شخص كان بمكة أعجمى قيل انه كان مولى لابن الحضرمى واذا كان الكفار جعلوا الذى يعلمه مانزل به روح القدس بشرا والله ابطل ذلك بان لسان ذلك أعجمى وهذا لسان عربى مبين علم ان روح القدس نزل باللسان العربى وان محمدا لم يؤلف نظم القرآن بل سمعه من روح القدس واذا كان روح القدس نزل به من الله علم انه سمعه منه لم يؤلفه هو وهذا بيان من الله ان القرآن الذى هو اللسان العربى سمعه روح القدس من الله ونزل به منه: ونظير هذه الآية قوله تعالى (وَكَذٰلِكَ جَعَلْنا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الانْسِ وَالجِنِّ)[1] الى قوله (مُقْتَرِفُونَ) وكذلك قوله (وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الكِتَابَ مُفَصَّلاً وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ المُمْتَرِينَ)[2] والكتاب اسم للقرآن العربى بالضرورة والاتفاق فان الكلابية او بعضهم يفرق بين كلام الله وكتاب الله فيقول كلامه هو المعنى القائم بالذات وهو غير مخلوق وكتابه هو المنظوم المؤلف العربى

١ـ الأنعام ١١٢-١١٣

٢ـ الأنعام ١١٤

وهو مخلوق والقرآن يراد به هذا تارة وهذا تارة والله تعالى قد سمى نفس مجموع اللفظ والمعنى قرآنا وكتابا وكلاما فقال تعالى (أَلَرْ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ)[1] وقال (طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ)[2] وقال (وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ)[3] الى قوله تعالى (قَالُوا يَاقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى)[4] فبين ان الذى سمعوه هو القرآن وهو الكتاب : وقال (بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ)[5] وقال (إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ)[6] وقال (يَتْلُوا صُحُفاً مُطَهَّرَةً فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ)[7] وقال (وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ)[8] وقال (وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَاباً فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ)[9] لكن لفظ الكتاب قد يراد به المكتوب فيكون هو الكلام وقد يراد به مايكتب فيه كما قال تعالى (إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ)[6] وقال (وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً)[10] والمقصود هنا ان قوله وهو الذى انزل اليكم الكتاب مفصلا يتناول نزول القرآن العربى على كل قول : وقد اخبر (ان الذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق) اخبار مستشهد بهم لامكذب لهم وقال انهم يعلمون ذلك ولم يقل انهم يظنونه او يقولونه والعلم لايكون الاحقا مطابقا للمعلوم بخلاف القول والظن الذي ينقسم الى حق وباطل فعلم ان القرآن العربى منزل من الله لامن الهواء ولا من اللوح ولامن جسم آخر ولامن جبريل ولامن محمد ولا

١ - الحجر ١
٢ - النمل ١
٣ - الأحقاف ٢٩
٤ - الأحقاف ٣٠
٥ - البروج ٢١-٢٢
٦ - الواقعة ٧٧-٧٨
٧ - البينة ٢-٣
٨ - الطور ١-٣
٩ - الأنعام ٧
١٠ - الاسراء ٣

غيرهما واذا كان اهل الكتب يعلمون ذلك فمن لم يقر بذلك من هذه الأمة كان اهل الكتاب المقرون بذلك خيرا منه من هذا الوجه وهذا لا ينافى ماجاء عن ابن عباس وغيره من السلف فى تفسير قوله (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ)[1] انزل الى بيت العزة فى السماء الدنيا ثم انزله بعد ذلك منجما مفرقا بحسب الحوادث ولا ينافى انه مكتوب فى اللوح المحفوظ قبل نزوله كما قال تعالى (بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ)[2] وقال تعالى (إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ)[3] وقال تعالى (كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كِرَامٍ بَرَرَةٍ)[4] وقال تعالى (وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ)[5] فان كونه مكتوبا فى اللوح المحفوظ: وفى صحف مطهرة بايدى الملائكة لاينافى كون جبريل نزل به من الله سواء كتبه الله قبل ان يرسل به جبريل او بعد ذلك واذا كان قد انزله مكتوبا الى بيت العزة جملة واحدة ليلة القدر فقد كتبه كله قبل ان ينزله والله تعالى يعلم ما كان وما يكون وما لا يكون لو كان كيف كان يكون وهو سبحانه قد قدر مقادير الخلائق وكتب أعمال العباد قبل ان يعملوها كما ثبت ذلك فى الكتاب والسنة وآثار السلف ثم انه يأمر الملائكة بكتابتها بعد مايعملونها فيقابل بين الكتابة المتقدمة على الوجود والكتابة المتأخرة عنه فلا يكون بينهما تفاوت هكذا قال ابن عباس وغيره من السلف وهو حق فاذا كان مايخلقه بائنا عنه قد كتبه قبل ان يخلقه فكيف

١ - القدر ١
٢ - البروج ٢١-٢٢
٣ - الواقعة ٧٧-٧٩
٤ - عبس ١١-١٦
٥ - الزخرف ٤

نستبعد ان يكتب كلامه الذى يرسل به ملائكته قبل ان يرسلهم : ومن قال ان جبريل اخذ القرآن من الكتاب لم يسمعه من الله كان هذا باطلا من وجوه : منها ان يقال فالله سبحانه وتعالى قد كتب التوراة لموسى بيده فبنو اسرائيل اخذوا كلام الله من الكتاب الذى كتبه هو سبحانه وتعالى فيه فان كان محمّد أخذه عن جبريل وجبريل عن الكتاب كان بنو اسرائيل اعلا من محمد بدرجة : وكذلك من قال انه القى الى جبريل المعاني وان جبريل عبر عنها بالكلام العربى فقوله يستلزم ان يكون جبريل الهمه الهاما وهذا الالهام يكون لآحاد المؤمنين: وكما قال تعالى (وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلى الحَوارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي)[1] وقال (وَأَوْحَيْنا إِلى أُمِّ موسى أَنِ أَرْضِعِيهِ)[2] وقد أوحى الى سائر النبيين فيكون هذا الوحى الذى يكون لآحاد الانبياء والمؤمنين أعلى من أخذ محمد القرآن عن جبريل لان جبريل الذى علمه لمحمد هو بمنزلة الواحد من هؤلاء ولهذا زعم ابن عربى ان خاتم الأولياء أفضل من خاتم الا نبياء وقال لأنه يأخذ من المعدن الذى يوحى به الى الرسول فجعل اخذه واخذ الملك الذى جاء الى الرسول من معدن واحد وادعى ان اخذه عن الله أعلى من اخذ الرسول للقرآن: ومعلوم ان هذا من أعظم الكفر وان هذا القول من جنسه : وايضا فالله تعالى يقول (إِنَّا أَوْحَيْنا إِلَيْكَ كَما أَوْحَيْنا إِلى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنا إِلى إِبْراهِيمَ وَإِسْماعِيلَ وَإِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْباطِ)[3] الى قوله (وَكَلَّمَ اللهُ موسى تَكْلِيماً)[4] ففضل موسى بالتكليم على غيره ممن اوحى اليه وهذا يدل على أمور على

١ ـ المائدة ١١١
٢ ـ القصص ٧
٣ ـ النساء ١٦٣
٤ ـ النساء ١٦٤

ان الله يكلم عبده تكليما زائدا عن الوحى الذى هو قسيم التكليم الخاص فان الخاص لفظ التكليم والوحى كل منهما ينقسم الى عام وخاص فالتكليم العام هو المقسوم فى قوله (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً)[١] والتكليم المطلق هو قسيم الوحى الخاص ليس هو قسما منه وكذلك لفظ الوحى قد يكون عاما فيدخل فيه التكليم الخاص كما فى قوله لموسى (فاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى)[٢] وقد يكون قسيم التكليم الخاص كما فى سورة الشورى وهذا يبطل قول من يقول الكلام معنى واحد قائم بالذات فانه حينئذ لافرق بين التكليم الذى خص به موسى والوحى العام الذى يكون لآحاد العباد: ومثل هذا قوله فى الآية الأخرى (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ ما يَشَاءُ)[١] فانه فرق بين الايحاء وبين التكليم من وراء الحجاب وبين ارسال رسول يوحى باذنه ما يشاء فدل على ان التكليم من وراء حجاب كما كلم موسى أمر غير الايحاء: وأيضا فقوله « تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم »[٣] وقوله « حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم »[٤] وقوله « حم تنزيل من الرحمن الرحيم »[٥] وأمثال ذلك يدل على انه منزل من الله لا من غيره: وكذلك قوله « بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ »[٦] فانه يدل على اثبات ان ما أنزل اليه من ربه وانه مبلغ مأمور بتبليغ ذلك: وأيضا فهم يقولون انه معنى واحد فان كان

١ ـ الشورى ٥١
٢ ـ طه ١٣
٣ ـ الزمر ١
٤ ـ غافر ٢
٥ ـ فصلت ٢
٦ ـ المائدة ٦٧

موسى سمع جميع المعنى فقد سمع جميع كلام الله وان سمع بعضه فقد تبعض وكلاهما ينقض قولهم فانهم يقولون انه معنى واحد لا يتعدد ولا يتبعض فان كان مايسمعه موسى والملائكة هو ذلك المعنى كله كان كل منهم علم جميع كلام الله وكلامه متضمن لجميع خبره وجميع أمره فيلزم أن يكون كل واحد ممن كلمه الله وأنزل عليه شيئاً من كلامه عالماً بجميع أخبار الله وأوامره وهذا معلوم الفساد بالضرورة: وان كان الواحد من هؤلاء انما يسمع بعضه فقد تبعض كلامه وذلك يناقض قولهم :وأيضا فقوله « وكلم الله موسى تكليما »[1] وقوله « ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه »[2] وقوله « وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الأيمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا »[3] وقوله « فلمَّا أتاهَا نُودِيَ يا مُوسَى إنِّى أنا رَبُّكَ فاخْلَعْ نعْلَيْكَ إنَّكَ بِالوَادِ المُقَدَّسِ طُوًى وَأنا اخْتَرْتُكَ فاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى »[4] الآيات دليل على تكليم يسمعه موسى والمعنى المجرد لا يسمع بالضرورة: ومن قال انه يسمع فهو مكابر : ودليل على انه ناداه والنداء لا يكون الاصوتاً مسموعاً ولا يعقل فى لغة العرب لفظ النداء لغير صوت مسموع لاحقيقة ولا مجازاً وأيضا فقد قال تعالى « فلمَّا جاءَها نُودِيَ أنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ العَالَمِينَ »[5] وقوله « فَلَمَّا أتاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الوَادِ الأيمَنِ فِي البُقْعَةِ المُبارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أنْ يامُوسَى إنِّى أنا اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ »[6] وقال « هـل أتاك حديث موسى اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى »[7] وقال « فلما أتاها نودي يا موسى انى أنا ربك »[8] وفى

١ ـ النساء ١٦٤
٢ ـ الأعراف ١٤٣
٣ ـ مريم ٥٢
٤ ـ طه ١١-١٣
٥ ـ النمل ٨
٦ ـ القصص ٣٠
٧ ـ النازعات ١٥-١٦
٨ ـ طه ١١-١٢

هذا دليل على انه حينئذ نودي ولم يناد قبل ذلك :ولما فيها من معنى الظرف كما فى قوله « وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا »[1] ومثل هذا قوله « ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين »[2] (ويوم يناديهم فيقول أين شركائى الذين كنتم تزعمون »[3] فانه وقت النداء بظرف محدود فدل على ان النداء يقع فى ذلك الحين دون غيره من الظروف وجعل الظرف للنداء لا لسمع النداء : ومثل هذا قوله تعالى « وإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً »[4] وقوله « وإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ »[5] وأمثال ذلك مما فيه توقيت بعض أقوال الرب بوقت معين فان الكلابية ومن وافقهم من أصحاب الأئمة الأربعة يقولون انه لا يتكلم بمشيئته وقدرته بل الكلام المعين لازم لذاته كلزوم الحياة لذاته :

ثم من هؤلاء من يقول انه معنى واحد لان الحروف والأصوات متعاقبة يمتنع أن تكون قديمة :ومن قال بل الحروف والأصوات قديمة الأعيان وانها مترتبة فى ذاتها متقاربة فى وجودها لم تزل ولا تزال قائمة بذاته والنداء الذى سمعه موسى قديم أزلى لم يزل ولا يزال : ومنهم من قال بل الحروف قديمة الأعيان بخلاف الأصوات وكل هؤلاء يقولون ان التكليم والنداء ليس الا مجرد خلق ادراك المخلوق بحيث يسمع مالم يزل ولا يزال لأنه يكون هناك كلام يتكلم الله به بمشيئته وقدرته ولا تكليم بل تكليمه عندهم جعل العبد سامعاً لما كان موجوداً قبل سمعه

١ ـ الجن ١٩
٢ ـ القصص ٦٥
٣ ـ القص ٦٢
٤ ـ البقرة ٣٠
٥ ـ البقرة ٣٤

بمنزلة ماجعل الأعمى بصيراً لما كان موجودا قبل رؤيته من غير احداث شيء منفصل عن الأعمى: فعندهم لما جاء موسى لميقات ربه سمع النداء القديم لا انه حينئذ نودي : ولهذا يقولون انه يسمع كلامه لخلقه بدل قول الناس إنه يكلم خلقه وهؤلاء يردون على الخلقية الذين يقولون القرآن مخلوق ويقولون عن أنفسهم انهم أهل السنة الموافقون للسلف الذين قالوا ان القرآن كلام الله غير مخلوق وليس قولهم قول السلف لكن قولهم أقرب الى قول السلف من وجه وقول الخلقية أقرب الى قول السلف من وجه . أما كون قولهم أقرب فلأنهم يثبتون لله كلاماً قائماً بذاته بنفس الله وهذا قول السلف بخلاف الخلقية الذين يقولون ليس كلامه الا ما خلقه فى غيره فان قول هؤلاء مخالف لقول السلف : وأما كون قول الخلقية أقرب فلأنهم يقولون ان الله يتكلم بمشيئته وقدرته وهذا قول السلف وهؤلاء عندهم لا يقدر الله على شيء من كلامه وليس كلامه بمشيئته واختياره بل كلامه عندهم كحياته وهم يقولون الكلام عندنا صفة ذات لا صفة فعل : والخلقية يقولون صفة فعل لا صفة ذات : ومذهب السلف انه صفة ذات وفعل معا فكل منهما موافق السلف من وجه دون وجه واختلافهم فى كلام الله تعالى شبيه اختلافهم فى رضاه وغضبه وارادته وكراهته وحبه وبغضه وفرحه وسخطه ونحو ذلك : فان هؤلاء يقولون هذه كلها أمور مخلوقة بائنة عنه ترجع الى الثواب والعقاب: والآخرون يقولون بل هذه كلها أمور قديمة الأعيان قائمة بذاته: ثم منهم من يجعلها كلها تعود الى ارادة واحدة العين متعلقة بجميع المخلوقات : ومنهم من

يقول بل هى صفات متعددة الأعيان لكن يقول كل واحدة واحدة العين قديمة قبل وجود مقتضياتها كما قالوا مثل ذلك فى الكلام والله تعالى يقول «ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعوا ما أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ»[1] فأخبر أن أفعالهم أسخطته : وقال تعالى « فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ»[2] أى أغضبونا : وقال تعالى « ادعُونِى أَستَجِبْ لَكُم »[3] الى أمثال ذلك مما بين انه سخط على الكفار لما كفروا ورضى عن المؤمنين لما آمنوا: ونظير هذا اختلافهم فى أفعاله ومسائل القدر فان المعتزلة يقولون انه يفعل لحكمة مقصودة وارادة الاحسان الى العباد لكن لا يثبتون لفعله حكمة تعود اليه: وأولئك يقولون لا يفعل لحكمة ولا لمقصود أصلا: فأولئك أثبتوا حكمة لكن لا تقوم به :وهؤلاء لا يثبتون له حكمة ولا مقصودا يتصف به والفريقان لا يثبتون له حكمة ولا مقصودا يعود اليه وكذلك فى الكلام أولئك أثبتوا كلاما هو فعله لا يقوم به: وهؤلاء يقولون مالا يقوم به لا يعود حكمته اليه والفريقان يمنعون ان يقوم به حكمة مرادة له كما يمنع الفريقان ان يقوم به كلام وفعل يريده : وقول أولئك أقرب الى قول السلف: والفقهاء اذا أثبتوا الحكمة والمصلحة فى أحكامه وأفعاله أثبتوا كلاما يتكلم به بقدرته ومشيئته : وقول هؤلاء أقرب الى السلف اذا اثبتوا الصفات وقالوا لا يوصف بمجرد المخلوق المنفصل عنه الذى لم يقم به اصلا ولا يعود اليه حكم من شىء لم يقم به فلا يكون متكلما بكلام لم يقم به ولا يكون حكيما كريما ورحيما بحكمة ورحمة لم تقم به كما

[1] - محمد ٢٨
[2] - الزخرف ٥٥
[3] - غافر ٦٠

لايكون عليما بعلم لم يقم به وقديرا بقدرة لم تقم به ولا يكون محبا راضيا غضبانا بحب ورضى وعضب لم يقم به فكل من المعتزلة والأشعرية فى مسائل كلام الله وافعال الله وافقوا السلف والأئمة من وجه وخالفوهم من وجه وليس قول احدهما هو قول السلف دون الآخر لكن الأشعرية فى جنس مسائل الصفات بل وسائر صفاته : والقدر أقرب الى قول السلف دون الآخر والأئمة من المعتزلة :

فان قيل فقد قال تعالى (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ)[1] وهذا يدل على هذا ان الرسول أحدث الكلام العربى *قيل هذا باطل وذلك لأن الله ذكره فى القرآن فى موضعين فالرسول فى أحد الموضعين محمد والرسول فى الآية الأخرى جبريل قال تعالى فى سورة الحاقة (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً ما تُؤْمِنُونَ وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً ما تَذَكَّرُونَ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ)[2] فالرسول هنا محمد صلى الله عليه وسلم :وقال فى سورة التكوير (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي العَرْشِ مَكِينٍ مُطاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ)[3] فالرسول هنا جبريل فلو كان أضافه الى الرسول لكونه أحدث حروفه أو أحدث منه شيئا لكان الخبران متناقضين فانه ان كان أحدهما هو الذى أحدثها امتنع ان يكون الآخر هو الذى أحدثها وأيضا فانه قال لقول رسول كريم ولم يقل لقول ملك ولا نبى ولفظ الرسول يستلزم مرسلا له

١ ـ الحاقة ٤٠
٢ ـ الحاقة ٤٠ـ٤٣
٣ ـ التكوير ١٩ـ٢١

فدل ذلك على أن الرسول مبلغ له عن مرسله لا انه أنشأ منه شيئا من جهة نفسه : وهذا يدل على انه أضافه الى الرسول لانه بلغه وأداه لا لانه أنشأ منه شيئا ولا ابتدأه وأيضا فان الله قد كفر من جعله قول البشر بقوله (إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ نَظَرَ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ)[1] ومحمد بشر فمن قال انه قول محمد فقد كفر ولا فرق بين ان يقول هو قول بشر أو جني أو ملك فمن جعله قولا لأحد من هؤلاء فقد كفر: ومع هذا فقد قال تعالى (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ)[2] فجعله قول الرسول البشرى مع تكفير من يقول انه قول البشر فعلم ان المراد بذلك ان الرسول بلغه عن مرسله لا انه قول له من تلقاء نفسه وهو كلام الله الذى أرسله كما قال تعالى (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ)[3] فالذي بلغه الرسول هو كلام الله لا كلامه ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على الناس بالمواسم ويقول «الا رجل يحملني الى قومه لأبلغ كلام ربي» رواه أبو داود وغيره والكلام كلام من قاله مبتدئا لا كلام من قاله مبلغا مؤديا وموسى سمع كلام الله من الله بلا واسطة والمؤمنون يسمعه بعضهم من بعض فسماع موسى مطلق بلا واسطة وسماع الناس سماع مقيد بواسطة كما قال تعالى (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا

١ ـ المدثر ١٨ـ٢٥
٢ ـ الحاقة ٤٠ـ٤١
٣ ـ التوبة ٦

فيُوحى بإذْنه ما يَشاء)[1] ففرق بين التكليم من وراء حجاب كما كلم موسى وبين التكليم بواسطة الرسول كما كلم الأنبياء بارسال رسول اليهم والناس يعلمون ان النبي صلى الله عليه وسلم اذا تكلم بكلام تكلم به بحروفه ومعانيه بصوته صلى الله عليه وسلم ثم المبلغون عنه يبلغون كلامه بحركاتهم وأصواتهم كما قال صلى الله عليه وسلم « نضر الله امرأ سمع منا حديثا فبلغه كما سمعه » فالمستمع منه يبلغ حديثه كما سمعه لكن بصوت نفسه لا بصوت الرسول فالكلام كلام الرسول تكلم به بصوته والمبلغ بلغ كلام الرسول بصوت نفسه واذا كان هذا معلوما فيمن يبلغ كلام المخلوق فكلام الخالق أولى بذلك: ولهذا قال تعالى (وَإنْ أحَدٌ مِنَ المُشْرِكِينَ اسْتَجارَكَ فأَجِرْهُ حتَّى يَسْمَعَ كلاَمَ الله)[2] وقال النبي صلى الله عليه وسلم «زينوا القرآن بأصواتكم » فجعل الكلام كلام الباري وجعل الصوت الذي يقرأ به العبد صوت القارئ وأصوات العباد ليست هي عين الصوت الذي ينادي الله به ويتكلم به كما نطقت النصوص بذلك بل ولا مثله فان الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا أفعاله فليس علمه مثل علم المخلوقين ولا قدرته مثل قدرتهم ولا كلامه مثل كلامهم ولا نداؤه مثل ندائهم ولا صوته مثل أصواتهم فمن قال عن القرآن الذي يقرؤه المسلمون ليس هو كلام الله أو هو كلام غيره فهو ملحد مبتدع ضال: ومن قال ان أصوات العباد والمداد الذي يكتب به القرآن قديم أزلي فهو ملحد مبتدع ضال بل هذا القرآن وهو كلام الله وهو مثبت في

١ ـ الشورى ٥١
٢ ـ التوبة ٦

المصاحف وهو كلام الله مبلغا عنه مسموعا من القراء ليس هو مسموعا منه والانسان يرى الشمس والقمر والكواكب بطريق المباشرة ويراها فى ماء أو مرآة فهذه رؤية مفيدة بالواسطة وتلك رؤية مطلقة بطريق المباشرة وكذلك الكلام لم يسمع من المتكلم به بطريق المباشرة ويسمع المبلغ عنه بواسطة والمقصود بالسماع هو كلامه فى الموضعين كما ان المقصود فى الرؤية هو المرئى فى الموضعين

فمن عرف ما بين الحالين من الاجتماع والافتراق والاختلاف والاتفاق زالت عنه الشبهة التى تصيب كثيراً من الناس فى هذا الباب فان طائفة قالت هذا المسموع كلام الله والمسموع صوت العبد وصوته مخلوق فكلام الله مخلوق وهذا جهل فانه مسموع من المبلغ ولا يلزم اذا كان صوت المبلغ مخلوقاً ان يكون نفس الكلام مخلوقاً * وقالت طائفة هذا المسموع صوت العبد وهو مخلوق والقرآن ليس بمخلوق فلا يكون هذا المسموع كلام الله وهذا جهل فان المخلوق هو الصوت لا نفس الكلام الذى يسمع من المتكلم به ومن المبلغ عنه * وطائفة قالت هذا كلام الله وكلام الله غير مخلوق فيكون هذا الصوت غير مخلوق وهذا جهل فانه اذا قيل هذا كلام الله فالمشار اليه الكلام من حيث هو وهو الثابت اذا سمع من الله واذا سمع من المبلغ عنه واذا قيل المسموع انه كلام الله فهو كلام الله مسموعاً من المبلغ عنه لا مسموعاً منه فهو مسموع بواسطة صوت العبد وصوت العبد مخلوق: وأما كلام الله نفسه فهو غير مخلوق حيث ما تصرف وهذه نكت قد بسط الكلام فيها فى غير هذا الموضع:

فصل

فان قيل ما منشأ هـذا النزاع والاشتباه والتفرق والاختلاف *
قيـل منشأه هو الكلام الذى ذمه السلف وعابوه وهو الكلام المشتبه المشتمل على حق و باطل فيه ما يوافق العقل والسمع وفيه مايخالف العقل والسمع فيأخذ هؤلاء جانب النفى المشتمل على نفى الحق والباطل وهؤلاء جانب الاثبات المشتمل على اثبات حق و باطل و باطله هو المخالف للكتاب والسنة واجماع السلف فكل كلام خالف ذلك فهو باطل ولا يخالف ذلك الا كلام مخالف للعقل والسمع وذلك انه لما تناظروا فى مسئلة حدوث العالم واثبات الصانع فاستدلت الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم من طوائف أهل الكلام على ذلك بأن ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث ثم ان المستدلين بذلك على حدوث الأجسام قالوا ان الأجسام لا تخلو عن الحوادث وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث ثم تنوعت طرقهم فى المقدمة الأولى فتارة يثبتونها بأن الاجسام لا تخلو عن الحركة والسكون وهما حادثان وتارة يثبتونها بأن الاجسام لا تخلو عن الاجتماع والافتراق وهما حادثان وتارة يثبتونها بأن الاجسام لاتخلو عن الأكوان الأربعة الاجتماع والافتراق والحركة والسكون وهى حادثة: وهذه طرق المعتزلة ومن وافقهم على ان الأجسام قد تخلو عن بعض أنواع الأعراض وتارة يثبتونها بأن الجسم لا يخلو من كل جنس من الأعراض عن عرض منه ويقولون القابل للشىء لايخلو عنه وعن ضده ويقولون ان الاعراض

يمتنع بقاؤها لان العرض لا يبقى زمانين وهذه الطريقة هى التى اختارها الآمدي وزيف ما سواها وذكر ان جمهور اصحابه اعتمدوا عليها وقد وافقهم عليها طائفة من الفقهاء من أصحاب الأئمة الأربعة كالقاضى أبى يعلى وأبى المعالى الجوينى وأبى الوليد الباجى وأمثالهم : وأما الهشامية والكرامية وغيرهم من الطوائف الذين لا يقولون بحدوث كل جسم ويقولون ان القديم تقوم به الحوادث فهؤلاء اذا قالوا بأن ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث كما هو قول الكرامية وغيرهم موافقة للمعتزلة فى هذا الأصل فانهم يقولون الجسم القديم يخلو عن الحوادث بخلاف الاجسام المحدثة فانها لا تخلو عن الحوادث والناس متنازعون فى السكون هل هو أمر وجودى أو عدمى فمن قال انه وجودى قال الجسم الذى لا يخلو عن الحركة والسكون اذا انتفت عنه الحركة قام به السكون الوجودي وهذا قول من يحتج بتعاقب الحركة والسكون على حدوث المتصف بذلك ومن قال انه عدمىّ لم يلزم من عدم الحركة عن المحل ثبوت سكون وجودى فمن قال انه تقوم به الحركة والحوادث بعد ان لم يكن مع قوله بامتناع تعاقب الحوادث كما هو قول الكرامية وغيرهم ويقولون اذا قامت به الحركة لم يعدم بفنائها سكون وجودى بل ذلك عندهم بمنزلة قولهم مع المعتزلة والأشعرية وغيرهم انه يفعل بعد ان لم يكن فاعلا ولا يقولون ان عدم الفعل أمر وجودى كذلك الحركة عند هؤلاء وكان كثير من أهل الكلام يقولون ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث أو ما لا يسبق الحوادث فهو حادث بناء على أن

هذه مقدمة ظاهرة فان ما لا يسبق الحادث فلابد ان يقارنه أو يكون بعده وما قارن الحادث فهو حادث وما كان بعده فهو حادث:

وهذا الكلام مجمل فاذا اريد مالا يخلو عن الحادث المعين او مالا يسبق الحادث المعين فهو حق بلا ريب ولا نزاع فيه وكذلك اذا اريد بالحادث جملة ماله اول او ماكان بعده العدم ونحو ذلك واما اذا اريد بالحوادث الأمور التى تكون شيئا بعد شيء لا الى أول: وقيل انه لا يخلو عنها ومالم يخل عنها فهو حادث لم يكن ذلك ظاهراً ولا بينا بل هذا مقام حار فيه كثير من الأفهام وكثر فيه النزاع والخصام ولهذا صار المستدلون بقولهم مالا يخلو عن الحوادث فهو حادث يعلمون ان هذا الدليل لايتم الا اذا اثبتوا امتناع حوادث لاأول لها فذكروا فى ذلك طرقا قد تكلمنا عليها فى غير هذا الموضع:

وهذا الأصل تنازع الناس فيه على ثلاثة أقوال* فقيل مالا يخلو عن الحوادث فهو حادث و بامتناع حوادث لاأول لها مطلقا وهذا قول المعتزلة ومن اتبعهم من الكرامية والاشعرية ومن دخل فى ذلك من الفقهاء وغيرهم * وقيل بل يجوز دوام الحوادث مطلقا وليس كل ماقارن حادثا بعد حادث لا الى اول يجب ان يكون حادثا بل يجوزان يكون قديما سواء كان واجبا بنفسه او بغيره وربما عبر عنه بالعلة والمعلول والفاعل والمفعول ونحو ذلك وهذا قول الفلاسفة القائلين بقدم الأفلاك كارسطو واتباعه مثل ثامسطيوس : والاسكندر الافريديوسى : وبرقليس والفارابى وابن سينا وامثالهم :

واما جمهور الفلاسفة المتقدمين على ارسطو فلم يكونوا يقولون بقدم الافلاك: ثم الفلاسفة من هؤلاء وهؤلاء متنازعون في قيام الصفات والحوادث بواجب الوجود على قولين معروفين لهم واثبت ذلك قول كثير من الأساطين القدماء وبعض المتأخرين كابي البركات صاحب المعتبر وغيره كما بسطت اقوالهم فى غير هذا الموضع وقيل بل ان كان المستلزم للحوادث ممكنا بنفسه وانه هو الذى يسمى مفعولا ومعلولا ومربوبا ونحو ذلك من العبارات وجب ان يكون حادثا وان كان واجبا بنفسه لم يجب ان يكون حادثا وهذا قول أئمة أهل الملل واساطين الفلاسفة وهو قول جماهير أهل الحديث وصاحب هذا القول يقول مالا يخلو عن الحوادث وهو ممكن بنفسه فهو حادث او مالا يخلو عن الحوادث وهو معلول او مفعول او مبتدع او مصنوع فهو حادث لانه اذا كان مفعولا مستلزما للحوادث امتنع ان يكون قديما فان القديم المعلول لايكون قديما الا اذا كان له موجب قديم بذاته يستلزم معلوله بحيث يكون معه ازليا لايتأخر عنه وهذا ممتنع فان ما استلزم الحوادث يمتنع ان يكون فاعلا موجبا بذاته يستلزم معلوله فى الازل فان الحوادث المتعاقبة شيئا بعد شيء لايكون مجموعها فى الأزل ولا شيء منها أزليا بل الأزلى هو دوامها واحدا بعد واحد والموجب بذاته والمستلزم لمعلوله فى الأزل لا يكون معلوله شيئا بعد شيء سواء كان صادرا عنه بواسطة أو بغير واسطة فان ما كان واحدا بعد واحد يكون متعاقبا حادثا شيئا بعد شيء: فيمتنع ان يكون معلولا مقارنا لعلته في الازل

بخلاف ما اذ قيل ان المقارن لذلك هو الواجب بذاته الذى يفعل شيئا بعد شيء فانه على هذا التقدير لا يكون فى الأزل موجبا بذاته ولا علة تامة لشيء من العالم فلا يكون معه فى الأزل من المخلوقات شيء لكن فاعليته للمفعولات تكون شيئا بعد شيء وكل مفعول يوجد عند وجود كمال فاعليته اذ المؤثر التام المستلزم لجميع شروط التأثير لا يتخلف عنه اثره اذ لو لم يكن مؤثرا تاما فوجود الأثر يستلزم وجود المؤثر التام ووجود المؤثر التام يستلزم وجود الأثر فليس فى الأزل مؤثر تام فليس مع الله شيء من مخلوقاته قديم بقدمه والأزل ليس هو حدا محدودا ولا وقتا معينا بل كل مايقدره العقل من الغاية التى ينتهى اليها فالأزل قبل ذلك كما هو قبل ماقدره فالأزل لاأول له كما ان الأبد لا آخر له : وفى الحديث الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال « انت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء » فلو قيل انه مؤثر تام فى الأزل لشيء من الأشياء لزم ان يكون مقارنا له دائما وذلك ينافى كونه مفعولا له وانما يصح مثل هذا فى الصفة اللازمة للموصوف فانه اذا قيل الذات مقتضى تام للصفة كان المعنى ان الذات مستلزمة للصفة ليس المراد بذلك ان الذات مبتدعة للصفة فانه اذا تصور معنى المبتدع امتنع فى المقارن بصريح المعقول سواء سمى علة فاعلة او خالقا او غير ذلك وامتنع ان يقوم بالأثر شيء من الحوادث لان كل حادث يحدث لا يحدث الا اذا وجد مؤثره التام عند حدوثه وان كانت ذات المؤثرة موجودة قبل ذلك لكن لا بد من كمال وجود

شروط التأثير عند وجود الأثر والا لزم الترجيح بلا مرجح وتخلف المعلول عن العلة التامة ووجود الممكن بدون المرجح التام: وكل هـذا ممتنع فامتنع ان يكون مؤثر الشيء من الحوادث فى الأزل وامتنع ان يكون مؤثرا فى الأزل فيما يستلزم الحوادث لان وجود الملزوم بدون اللازم محال فامتنع ان يكون المفعول المستلزم للحوادث قديما

واذا قيل ذاته مقتضية للحادث الثاني بشرط انقضاء الاول * قيل فليس هو مقتضيا لشيء واحد دائما فلا يكون معه قديم من مفعولاته * وقيل ايضا هذا انما يكون اذا كانت لذاته احوال متعاقبة تختلف المفعولات لاجلها فاما اذا قدر ان لا يقوم بها شيء من الاحوال المتعاقبة بل حالها عند وجود الحادث كحالها قبله كان امتناع فعله للحوادث المتعاقبة البائنة أعظم من امتناع فعله لحادث معين فاذا كان الثانى ممتنعا عندهم فالأول أولى بالامتناع ومتى كان للذات أحول متعاقبة تقوم بها بطلت كل حجة لهم على قدم شيء من العالم وامتنع أيضا قدم شي من العالم اذا كان المفعول لابد له من فعل حادث والفعل الحادث لا يكون مفعوله الا حادثا وهذا مبسوط فى غير هذا الموضع :

فصل

واذا عرف الأصل الذي منه تفرع نزاع الناس فى مسئلة كلام الله فالذين قالوا مالا يسبق الحوادث فهو حادث مطلقا تنازعوا فى كلام الله تعالى: فقال كثير من هؤلاء الكلام لا يكون الا بمشيئة المتكلم وقدرته

فيكون حادثا كغيره من الحوادث ثم قالت طائفة والرب لا يقوم به الحوادث فيكون الكلام مخلوقا في غيره فجعلوا كلامه مخلوقا من المخلوقات ولم يفرقوا بين قال وفعل : وقد علم ان المخلوقات لا يتصف بها الخالق فلا يتصف بما يخلقه فى غيره من الألوان والأصوات والروائح والحركة والعلم والقدرة والسمع والبصر فكيف يتصف بما يخلقه فى غيره من الكلام ولو جاز ذلك لكان مايخلقه من انطاق الجمادات كلامه ومن علم انه خالق كلام العباد وافعالهم يلزم ان يقول كل كلام فى الوجود فهو كلامه كما قال بعض الاتحادية :

وكل كلام فى الوجود كلامه * سواء علينا نثره ونظامه

وهذا قول الجهمية والنجارية والضرارية وغيرهم فان هؤلاء يقولون انه خالق افعال العباد وكلامهم مع قولهم ان كلامه مخلوق فيلزمهم هذا : وأما المعتزلة فلا يقولون ان الله خالق افعال العباد لكن الحجة توجب القول بذلك: وقالت طائفة بل الكلام لا بد ان يقوم بالمتكلم ويمتنع ان يكون كلامه مخلوقا فى غيره وهو متكلم بمشيئته وقدرته فيكون كلامه حادثا بعد ان لم يكن لامتناع حوادث لا اول لها وهذا قول الكرامية وغيرهم ثم من هؤلاء من يقول كلامه كله حادث لا محدث : ومنهم من يقول هو حادث ومحدث : وقال كثير من هؤلاء الذين يقولون بامتناع حوادث لا أول لها مطلقا الكلام لازم لذات الرب كلزوم الحياة ليس هو متعلقا بمشيئته وقدرته بل هو قديم كقدم الحياة اذ لو قلنا انه بقدرته ومشيئته لزم ان يكون حادثا وحينئذ فيلزم ان يكون مخلوقا او قائما

بذات الرب فيلزم قيام الحوادث به وذلك يستلزم تسلسل الحوادث لان القابل للشيء لايخلو عنه وعن ضده قالوا وتسلسل الحوادث ممتنع اذا التفريع على هذا الأصل: ثم ان هؤلاء لما قالوا بقدم عين الكلام تنازعوا فقالت طائفة القديم لايكون حروفا ولا أصواتا لان الصوت يستحيل بقاؤه كما يستحيل بقاء الحركة وما امتنع بقاؤه امتنع قدم عينه بطريق الأولى والأخرى فيمتنع قدم شيء من الأصوات المعينة كما يمتنع قدم شيء من الحركات المعينة لان تلك لاتكون كلاماً الا اذا كانت متعاقبة والقديم لايكون مسبوقا بغيره فلو كانت الميم من بسم الله قديمة مع كونها مسبوقة بغيرها لكان القديم مسبوقا بغيره وهذا ممتنع فيلزم ان يكون القديم هو المعنى فقط ولا يجوز تعدده لانه لو تعدد لكان اختصاصه بقدر دون قدر ترجيحا بلا مرجح وان كان لايتناهى لزم وجود اعداد لا نهاية لها فى آن واحد قالوا وهذا ممتنع فيلزم ان يكون معنى واحدا هو الأمر والخبر وهو معنى التوراة والانجيل والزبور والقرآن وهذا اصل قول الكلابية والاشعرية : وقالت طائفة من اهل الكلام والحديث والفقهاء وغيرهم بل هو حروف قديمة الأعيان لم تزل ولا تزال وهى مترتبة فى ذاتها لافى وجودها كالحروف الموجودة فى المصحف وليس باصوات قديمة : ومنهم من قال بل هو أيضا اصوات قديمة ولم يفرق هؤلاء بين الحروف المنطوقة التى لاتوجد الا متعاقبة و بين الحروف المكتوبة التى توجد فى آن واحد كما يفرق بين الأصوات والمداد فان الأصوات لاتبقى بخلاف المداد فانه جسم يبقى واذا كان الصوت لايبقى

امتنع ان يكون الصوت المعين قديما لان ماوجب قدمه لزم بقاؤه وامتنع عدمه والحروف المكتوبة قد يراد بها نفس الشكل القائم بالمداد اوما يقدر بقدر المداد كالشكل المصنوع فى حجر وورق بازالة بعض اجزائه وقد يراد بالحروف نفس المداد : وأما الحروف المنطوقة فقد يراد بها ايضا الأصوات المقطوعة المؤلفة وقد يراد بها حدود الاصوات وأطرافها كما يراد بالحروف فى الجسم حده ومنتهاه فيقال حرف الرغيف وحرف الجبل ونحو ذلك : ومنه قوله تعالى (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ)[١] وقد يراد بالحروف الحروف الخالية الباطنة وهو مايتشكل فى باطن الانسان من الكلام المؤلف المنظوم قبل ان يتكلم به : وقد تنازع الناس هل يمكن وجود حروف بدون أصوات فى الحى الناطق على قولين لهم وعلى هـذا تنازعت هـذه الطائفة القائلة بقدم أعيان الحروف هـل تكون قديمة بدون أصوات قديمة أم لابد من أصوات قديمة لم تزل ولا تزال:

ثم القائلون بقدم الأصوات المعينـة تنازعوا فى المسموع من القارئ هل يسمع منه الصوت القديم فقيل المسموع هو الصوت القديم وقيل بل المسموع صوتان أحدهما القديم والآخر المحدث فما لابد منه فى وجود القرآن فهو القديم وما زاد على ذلك فهو المحدث: وقيـل بل الصوت القديم غير المسموع من العبـد وتنازعوا فى القرآن هل يقال انه حال فى المصحف والصدور أم لا يقال ذلك على قولين فقيـل هو ظاهر فى المحدث ليس بحال فيـه وقيل بل القرآن حال فى الصـدور

١ ـ الحج ١١

والمصاحف فهؤلاء الخلقية والحادثية والاتحادية والاقترانية أصل قولهم ان مالا يسبق الحوادث فهو حادث مطلقا : ومن قال بهذا الأصل فانه يلزم به بعض هذه الأقوال أو ما يشبه ذلك فان من الناس من يجعله حادثا يريد أن يكون بعد ان لم يكن ويجعل الحادثات ارادات وتصورات لاحروف وأصوات والدار بى وغيره يميلون الى هذا القول فانه اما أن يجعل كلام الله حادثا أو قديما واذا كان حادثا فاما ان يكون حادثا فى غيره واما أن يكون حادثا فى ذاته واذا كان قديما فاما أن يكون القديم المعنى فقط أو اللفظ فقط أو كلاهما فاذا كان القديم هو المعنى فقط لزم أن لا يكون الكلام العربى كلام الله ثم الكلام فى ذلك المعنى قد عرف : وأما قدم اللفظ فهذا لم يقل به أحد لكن من الناس من يقول ان الكلام القديم هو اللفظ : وأما فى معناه فليس هو داخلا فى مسمى الكلام بل هو العلم والارادة وهما قديمان لكن ليس ذلك داخلا فى مسمى الكلام فهذا يقول الكلام القديم هو اللفظ فقط أما الحروف المؤلفة واما الحروف والأصوات لكنه يقول ان معناه قديم:

وأما الفريق الثانى الذين قالوا بجواز حوادث لا أول لها مطلقا وان القديم الواجب بنفسه يجوز أن يتعقب عليه الحوادث مطلقا إن كان ممكنا لا واجبا بنفسه فهؤلاء القائلون بقدم العالم كما يقولون بقدم الأفلاك وانها لم تزل ولا تزال معلولة لعلة قديمة أزلية لكن المنتسبون الى الملل كابن سينا ونحوه منهم قالوا انها صادرة عن الواجب بنفسه الموجب لها بذاته وأما ارسطو وأتباعه فانهم قالوا ان لها علة

غائية تتحرك للتشبه بها فهى تحركها كما يحرك المعشوق عاشقه ولم يثبتوا لها مبدعا ولا موجبا بذاته وانما أثبت واجب الوجود بطريقة الوجود ابن سينا وأمثاله

وحقيقة قول هؤلاء وجود الحوادث بلا محدث أصلا: أما على قول من جعل الاول علة غائية للحركة فظاهر فانه لا يلزم من ذلك أن يكون هو فاعلا لها فقولهم فى حركة الأفلاك نظير قول القدرية فى حركة الحيوان وكل من الطائفتين قد تناقض قولهم فان هؤلاء يقولون بأن فعل الحيوان صادر عن غيره لكون القدرة والداعى مستلزمين وجود الفعل والقدرة والداعى كلاهما من غير العبد:

فيقال لهم فقولوا هكذا فى حركة الفلك وقدرته وداعيه فانه يجب أن يكونا صادرين عن غيره وحينئذ فيكون الواجب موجبا بنفسه هو المحدث لتلك الحوادث شيئاً بعد شئ وان كان ذلك بواسطة العقول وهذا القول هو الذى يقوله ابن سينا وأتباعه وهو باطل أيضاً لان الموجب بذاته القديم الذى يقارنه موجبه ومقتضاه يمتنع ان يصدر عنه حادث بواسطة أو بلا واسطة فان صدور الحوادث عن العلة التامة الأزلية ممتنع لذاته * واذا قالوا الحركة متوسطة أي حركة الفلك * قيل لهم فالكلام انما هو فى حدوث الحركة الفلكية فان الحركة الحادثة شيئاً بعد شيء يمتنع أن يكون المقتضى لها علة تامة أزلية مستلزمة لمعلولها فان ذلك جمع بين النقيضين إذ القول بمقارنة المعلول لعلته فى الأزلية ووجوده معها يناقض ان يتخلف المعلول أو شيء من المعلول عن الأزل

بل يمتنع أن يكون المقتضى لها ذاتا بسيطة لا يقوم بها شيء من الصفات والاحوال المقتضية لحدوث الحوادث المتعاقبة المختلفة بل يمتنع أن يكون المقتضى لها ذاتا موصوفة لا يقوم بها شيءٌ من الأحوال الموجبة لحدوث الحوادث المذكورة فان التحدد والتعدد والموجود فى المعلولات لا يمتنع صدوره عن علة واحدة بسيطة من كل وجه فصار حقيقة قولهم ان الحوادث العلوية والسفلية لا محدث لها وهؤلاء يقولون كلام الله مايفيض على النفوس الصافية كما ان ملائكة الله عندهم ما يتشكل فيها من الصور النورانية فلا يثبتون له كلاما خارجا عما فى نفوس البشر ولا ملائكة خارجة عما فى نفوسهم غير العقول العشرة والنفوس الفلكية التسعة مع ان أكثرهم يقولون انها أعراض وقد بين فى غير هذا الموضع ان ما يثبتونه من المجردات العقلية التي هى العقول والنفوس والمواد والصور انما وجوده فى الاذهان لا فى الأعيان :

وأما الصنف الثالث الذين فرقوا بين الواجب والممكن والخالق والمخلوق والغنى الذى لا يفتقر الى غيره والفقير الذى لا قوام له بالغنى فقالوا ان ماقارن الحوادث من الممكنات فهو محدث كائن بعد ان لم يكن وهو مخلوق مصنوع مربوب وانه يمتنع أن يكون فيما هو فقير ممكن مربوب شيء قديم فضلا ان يقارنه حوادث لا أول لها : ولهذا كانت حركات الفلك دليلا على حدوثه كما تقدم التنبيه على ذلك :

وأما الرب تعالى اذا قيل لم يزل متكلما اذا شاء اولم يزل فاعلا لما يشأ لم يكن دوام كونه متكلما بمشيئته وقدرته ودوام كونه فاعلا بمشيئته وقدرته

ممتنعاً بل هذا هو الواجب لان الكلام صفة كمال لا نقص فيه فالرب أحق أن يتصف بالكلام من كل موصوف بالكلام اذ كل كمال لا نقص فيه ثبت للمخلوق فالخالق أولى به لان القديم الواجب الخالق أحق بالكمال المطلق من المحدث الممكن المخلوق ولان كل كمال ثبت للمخلوق فانما هو من الخالق وما جاز اتصافه به من الكمال وجب له فانه لو لم يجب له لكان اما ممتنعاً وهو محال بخلاف الفرض وأما ممكنا فيتوقف ثبوته له على غيره والرب لا يحتاج فى ثبوت كماله الى غيره فان معطى الكمال أحق بالكمال فيلزم أن يكون غيره أكمل منه لو كان غيره معطياً له الكمال وهذا ممتنع بل هو بنفسه المقدسة مستحق لصفات الكمال فلا يتوقف ثبوت كونه متكلماً على غيره فيجب ثبوت كونه متكلماً وان ذلك لم يزل ولا يزال والمتكلم بمشيئته وقدرته أكمل ممن يكون الكلام لازماً له بدون قدرته ومشيئته والذى لم يزل متكلما اذا شاء أكمل ممن صار الكلام يمكنه بعد ان لم يكن الكلام ممكناً له : وحينئذ فكلامه قديم مع انه يتكلم بمشيئته وقدرته وان قيل انه ينادى ويتكلم بصوت ولا يلزم من ذلك قدم صوت معين واذا كان قد تكلم بالتوراة والقرآن والانجيل بمشيئته وقدرته لم يمتنع ان يتكلم بالباء قبل السين وان كان نوع الباء والسين قديماً لم يستلزم ان يكون الباء المعينة والسين المعينة قديمة لما علم من الفرق بين النوع والعين وهذا الفرق ثابت فى الارادة والكلام والسمع والبصر وغير ذلك من الصفات وبه تنحل الاشكالات الواردة على وحدة هذه الصفات وتعددها وقدمها وحدوثها وكذلك تزول به الاشكالات الواردة فى أفعال الرب وقدمها وحدوثها وحدوث العالم

واذا قيل ان حروف المعجم قديمة بمعنى النوع كان ذلك ممكناً بخلاف ما اذا قيل ان عين اللفظ الذى نطق به زيد وعمرو قديم فان هذا مكابرة للحس والمتكلم يعلم ان حروف المعجم كانت موجودة قبل وجوده بنوعها : وأما نفس الصوت

المعين الذى قام به أو التقطيع أو التأليف المعين لذلك الصوت فيعلم ان عينه لم يكن موجوداً قبله والمنقول عن الامام أحمد وغيره من أئمة السنة مطابق لهذا القول ولهذا أنكروا على من زعم ان حرفا من حروف المعجم مخلوق وأنكروا على من قال لما خلق الله الحروف سجدت له الا الالف فقالت لا أسجد حتى أومر مع ان هذه الحكاية نقلت لاحمد عن سرى السقطي وهو نقلها عن بكر بن خنيس العابد ولم يكن قصد أولئك الشيوخ بها الا بيان ان العبد الذى يتوقف فعله على الأمر والشرع هو أكمل من العبد الذى يعبد الله بغير شرع فان كثيراً من العباد يعبدون الله بما تحبه قلوبهم وان لم يكونوا مأمورين به فقصد أولئك الشيوخ ان من عبد الله بالامر ولم يفعل شيئاً حتى يؤمر به فهو افضل ممن عبده بما لم يؤمر به وذكروا هذه الحكاية الاسرائيلية شاهداً لذلك مع ان هذه لا اسنادلها ولا يثبت بها حكم ولكن الاسرائيليات اذا ذكرت على طريق الاستشهاد بها لما عرف صحته لم يكن بذكرها بأس وقصدوا بذلك الحروف المكتوبة لان الالف منتصبة وغيرها ليس كذلك مع ان هذا أمر اصطلاحي وخط غير العربى لايماثل خط العربى ولم يكن قصد أولئك الاشياخ ان نفس الحروف المنطوقة التى هي مبانى أسماء الله الحسنى وكتبه المنزلة مخلوقة بائنة عن الله بل هذا شيء لعله لم يخطر بقلوبهم والحروف المنطوقة لا يقال فيها انها منتصبة ولا ساجدة فمن احتج بهذا من قولهم على انهم يقولون ان الله لم يتكلم بالقرآن العربى ولا بالتوراة العبرية فقد قال عنهم مالم يقولوه : وأما الامام أحمد فانه أنكر اطلاق هذا القول وما يفهم منه عند الاطلاق وهو ان نفس حروف المعجم مخلوقة كما نقل عنه انه قال ومن زعم ان حرفا من حروف المعجم مخلوق فقد سلك طريقاً الى البدعة فانه اذا قال ان ذلك مخلوق فقد قال ان القرآن مخلوق أو كما قال ولا ريب ان من جعل نوع الحروف بائناً عن الله كائناً بعد ان لم يكن لزم أن يكون كلام الله العربى والعبرى ونحوهما مخلوقا وامتنع ان يكون الله تكلم به بكلامه الذى أنزله على عبده فلايكون شيء من ذلك كلامه فطريقة الامام أحمد وغيره من السلف مطابقة للقول الثالث الموافق

لصريح المعقول وصحيح المنقول (١)

وقال الشيخ الامام أبو الحسن محمد بن عبد الملك الكرخي الشافعي فى كتابه الذى سماه الفصول فى الأصول سمعت الامام أبا منصور محمد بن أحمد يقول سمعت الامام أبا بكر عبد الله بن أحمد يقول سمعت الشيخ أبا حامد الاسفراينى يقول مذهبي ومذهب الشافعى وفقهاء الامصار ان القرآن كلام الله غير مخلوق ومن قال انه مخلوق فهو كافر والقرآن حمله جبريل عليه السلام مسموعاً من الله والنبي صلى الله عليه وسلم سمعه من جبريل والصحابة سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذى نتلوه نحن مقروء بألسنتنا وفيما بين الدفتين وما فى صدورنا مسموعاً ومكتوبا ومحفوظا ومقروءاً وكل حرف منه كالباء والتاء كله كلام الله غير مخلوق ومن قال مخلوق فهو كافر عليه لعائن الله والملائكة والناس أجمعين : والكلام على هذه الأمور مبسوط فى غير هذا الموضع وذكر مايتعلق بهذا الباب من سائر الصفات كالعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام فى تعدد الصفة واتحادها وقدمها وحدوثها أوقدم النوع دون الأعيان أواثبات صفة كلية عمومية متناولة الأعيان مع تجدد كل معين من الأعيان أو غير ذلك مما قيل فى هذا الباب فان هذه مواضع مشكلة وهى من محارات العقول ولهذا اضطرب فيها طوائف من أذكياء الناس ونظارهم والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم : تمت الرسالة والحمد لله

وقد وجد بخط ناسخها تاريخها هكذا : وقد تمت بحمد الله وعونه وحسن توفيقه فى جمادى الآخرة الذى هو من شهور سنة ١١٦١ من الهجرة على صاحبها الصلاة والسلام

(١) المشهور ان الامام أحمد أنكر على من يقول لفظى بالقرآن مخلوق وبدعه وقال انه جهمي خوفا من التطرق الى أن يقول القرآن بلفظى مخلوق لا انه حكم بكفره فليحرر

التحف

في مذاهب السلف

لشيخ الاسلام القاضى العلامة محمد بن على الشوكانى
رحمه الله تعالى آمين



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الانام وآله الكرام ورضى الله عن صحبه الاعلام *(وبعد)* فانه وصل سؤال من بعض الاعلام الساكنين ببلد الله الحرام وهذا لفظه

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله رب العالمين مايقول فقهاء الدين وعلماء المحدثين وجماعة الموحدين فى آيات الصفات وأخبارها اللاتى نطق بها الكتاب العظيم وأفصحت عنها سنة الهادى الى صراط مستقيم هل اقرارها وامرارها واجراؤها على الظاهر بغير تكييف ولا تمثيل ولا تأويل ولا تعطيل عقيدة الموحدين وتصديق بالكتاب المبين واتباع بالسلف الصالحين أو هذا مذهب المجسمين وما حكم من أول الصفات ونفى ما وصف الله به نفسه ووصفه به نبيه وتأيد بالنصوص واتفق عليه الخصوص من أن الله سبحانه فى سمائه مستو على عرشه بائن من خلقه وعلمه فى كل مكان والدليل آيات الاستواء والصعود والرفع وقوله تعالى (أأمنتم من فى السماء)[١] ومن السنة حديث الجارية والنزول وعمران بن حصين وقوله صلى الله عليه وسلم « ألا تأمنونى وأنا أمين من فى السماء » وغير ذلك

[١] - الملك ١٦

من الآيات المتواترة والاحاديث المتكاثرة وأول الآيات وجعل الاستواء استيلاء وأول النزول بالرحمة وهكذا جعل التأويل عليه مطردة فى سائر نصوص الصفات وعاش فى ظلام العقل فى الجهل والشبهات واذا قيل له أين الله أجاب بأنه لا يقال أين الله الله لم يكن له مكان كما هو جواب فريق المضلين فهل هذا جواب الجهميين والمريسيين وأضلاء المتكلمين أم اختيار علماء السنيين أفيدونا بجواب رجاء الثواب يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها فان هذا المقام طال فيه النزاع وحارت فيه الافهام وزلت الاقدام وكل يدعى الصواب بزخرف الجواب فأبينوا المدعى بالدليل وبينوا طريق الحق بالتفصيل والتطويل ضاعف الله لكم الاجور ووقاكم الشرور والسلام عليكم ورحمة الله

(وأقول) اعلم ان الكلام فى الآيات والأحاديث الواردة فى الصفات قد طالت ذيوله وتشعبت أطرافه وتناسبت فيه المذاهب وتفاوتت فيه الطرائق وتخالفت فيه النحل : وسبب هذا عدم وقوف المنتسبين الى العلم حيث أوقفهم الله ودخولهم فى أبواب لم يأذن الله لهم بدخولها ومحاولتهم لعلم شئ استأثر الله بعلمه حتى تفرقوا فرقا وتشعبوا شعبا وصاروا أحزابا وكانوا فى البداية ومحاولة الوصول الى ما يتصورونه من العامة مختلفى المقاصد متباينى المطالب : فطائفة وهى أخف هذه الطوائف المتكلفة علم مالم يكلفها الله سبحانه بعلمه أثماً وأقلها عقوبة وجرماً وهى التى أرادت الوصول الى الحق والوقوف على الصواب لكن سلكت فى طريقة متوعرة وصعدت فى الكشف عنه الى عقبة كؤود لا يرجع من سلكها سالما فضلا أن يظفر فيها بمطلوب صحيح ومع هذا أصلوا أصولا ظنوها حقاً فدفعوا بها آيات قرآنية وأحاديث صحيحة نبوية واعتلوا فى ذلك الدفع بشبه واهية وخيالات مختلة وهؤلاء هم طائفتان الطائفة الاولى هى الطائفة التى غلت فى التنزيه فوصلت الى حد يقشعر عنده الجلد ويضطرب له القلب من تعطيل الصفات الثابتة بالكتاب والسنة ثبوتاً أوضح من شمس النهار وأظهر من فلق الصباح وظنوا هذا من صنيعهم موافقا للحق مطابقا لما يريده الله

سبحانه فضلوا الطريق المستقيم وأضلوا من رام سلوكها والطائفة الأخرى هي غلت في اثبات القدرة غلوّا بلغ الى حد أنه لا تأثير لغيرها ولا اعتبار بما سواها وأفضى ذلك الى الجبر المحض والقسر الخالص فلم يبق لبعث الرسل وانزال الكتب كثير فائدة ولا يعود ذلك على عباده بعائدة : وجاؤا بتأويلات للآيات البينات ومحاولات لحجج الله الواضحات فكانوا كالطائفة الاولى فى الضلال والاضلال مع ان كلا المقصدين صحيح ووجه كل منهما صبيح لولا ما شانه من الغلو القبيح وطائفة توسطت ورامت الجمع بين الضب والنون وظنت أنها وقفت بمكان بين الافراط والتفريط ثم أخذت كل طائفة من هذه الطوائف الثلاث تجادل وتناضل وتحقق وتدقق فى زعمها وتجول على الأخرى وتصول بما ظفرت مما يوافق ماذهبت اليه (وكل حزب بما لديهم فرحون) وعند الله تلتقى الخصوم ﴿ ومع هذا ﴾ فهم متفقون فيما بينهم على ان طريق السلف أسلم ولكن زعموا ان طريق الخلف أعلم فكان غاية ماظفروا به من هذه الاعلمية لطريق الخلف ان تمنى محققوهم وأذكياؤهم فى آخر أمرهم دين العجائز وقالوا هنيئاً للعامة فتدبر هذه الأعلمية التى حاصلها أن يهنى من ظفر بها للجاهل لأهل الجهل البسيط ويتمنى انه فى عدادهم وممن يدين بدينهم ويمشى على طريقهم فان هذا ينادى بأعلى صوت ويدل بأوضح دلالة على ان هذه الاعلمية التى طلبوها الجهل خير منها بكثير فما ظنك بعلم يقر صاحبه على نفسه ان الجهل خير منه وينتهى عند البلوغ الى غايته والوصول الى نهايته أن يكون جاهلا به عاطلا عنه : ففى هذا عبرة للمعتبرين وآية بينة للناظرين فهلا عملوا على جهل هذه المعارف التى دخلوا فيها بادئ بدء وسلموا من تبعاتها وأراحوا أنفسهم من تعبها وقالوا كما قال القائل

أرى الامر يفضى الى آخر * يصير آخره أولا

وربحوا الخلوص من هذا التمنى والسلامة من هذه التهنئة للعامة فان العاقل لا يتمنى رتبة مثل رتبته أو دونها ولا يهنى لمن هو دونه أو مثله ولا يكون ذلك الا لمن رتبته أرفع من رتبته ومكانه أعلى من مكانه فيالله العجب من علم يكون الجهل

البسيط أعلى رتبة منه وأفضل مقدارا بالنسبة اليه وهل سمع السامعون مثل هذه الغريبة أو نقل الناقلون ما يماثلها أو يشابهها واذا كان حال هذه الطائفة التى قد عرفناك أخف هذه الطوائف تكالفا واقلها تبعة فما ظنك بما عداها من الطوائف التى قد ظهر فساد مقاصدها وتبين بطلان مواردها ومصادرها كالطوائف التى أرادت بالمظاهر التى تظاهرت به كبار الاسلام وأهله والسعى فى التشكيك فيه بايراد الشبه وتقرير الامور المفضية الى القدح فى الدين وتنفير أهله عنه وعند هذا تعلم ان

خير الامور السالفات على الهدى * وشر الامور المحدثات البدائع

وان الحق الذى لاشك فيه ولاشبهة هو ما كان عليه خير القرون ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وقد كانوا رحمهم الله وأرشدنا الى الاقتداء بهم والاهتداء بهديهم يمرون أدلة الصفات على ظاهرها ولا يتكلفون علم مالا يعلموا ولا يتأولون وهذا المعلوم من اقوالهم وأفعالهم والمتقرر من مذاهبهم لا يشك فيه شاك ولا ينكره منكر ولا يجادل فيه مجادل وان نزغ بينهم نازغ او نجم فى عصرهم ناجم أوضحوا للناس أمره وبينوا لهم انه على ضلالة وصرحوا بذلك فى المجامع والمحافل وحذروا الناس من بدعته كما كان منهم لما ظهر معبد الجهنى وأصحابه وقالوا ان الامر أنف وبينوا ضلالته وبطلان مقالته للناس فحذروه الا من ختم الله على قلبه وجعل على بصره غشاوة وهكذا كان من بعدهم يوضح للناس بطلان اقوال اهل الضلال ويحذرهم منها كما فعله التابعون رحمهم الله بالجعد بن درهم ومن قال بقوله وانتحل نحلته الباطلة ثم ما زالوا هكذا لا يستطيع المبتدع فى الصفات ان يتظاهر ببدعته بل يكتمونها كما تتكتم الزنادقة بكفرهم وهكذا سائر المبتدعين فى الدين على اختلاف البدع وتفاوت المقالات الباطلة ولكنا نقتصر ههنا على الكلام فى هذه المسألة التى ورد السؤال عنها وهى مسألة الصفات وما كان من المتكلمين فيها بغير الحق المتكلف علم مالم يأذن الله بأن يعلموه وبيان ان امرار أدلة الصفات على ظاهرها هو مذهب السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم وان كل من

أراد من نزاع المتكلفين وشذاذ المحدثين والمتأولين أن يظهر ما يخالف المرور على ذلك الظاهر قاموا عليه وحذروا الناس منه وبينوا لهم انه على خلاف ماعليه أهل الاسلام وسائر المبتدعين فى الصفات القائلون بأقوال تخالف ماعليه السواد الاعظم من الصحابة والتابعين وتابعيهم فى خبايا وزوايا لا يتصل بهم الا مغرور ولا ينخدع بزخارف أقوالهم الا مخدوع وهم مع ذلك على تخوف من أهل الاسلام وترقب لنزول مكروه بهم من حماة الدين من العلماء الهادين والرؤساء والسلاطين حتى نجم ناجم المحنة وبرق بارق الشر من جهة العباسية ومن لهم فى الأمر والنهى و الاصدار والايراد أعظم صولة وذلك فى الدولة بسبب قاضيها أحمد بن أبى دواد فعند ذلك أطلع المنكسون فى تلك الزوايا رؤسهم وانطلق ما كان قد خرس من ألسنتهم وأعلنوا بمذاهبهم الزائفة وبدعهم المضلة ودعوا الناس اليها وجادلوا عنها وناضلوا المخالفين لها حتى اختلط المعروف بالمنكر واشتبه على العامة الحق بالباطل والسنة بالبدعة ولما كان الله سبحانه قد تكفل باظهار دينه على الدين كله وبحفظه عن التحريف والتغيير والتبديل أوجد من علماء الكتاب والسنة فى كل عصر من العصور من يبين للناس دينهم وينكر على أهل البدع بدعهم فكان لهم ولله الحمد المقامات المحمودة والمواقف المشهودة فى نصر الدين وهتك المبتدعين

وبهذا الكلام القليل الذى ذكرنا تعرف ان مذهب السلف من الصحابة رضى الله عنهم والتابعين وتابعيهم هو ايراد أدلة الصفات على ظاهرها من دون تحريف لها ولا تأويل متعسف لشئ منها ولا جبر ولا تشبيه ولا تعطيل يفضى اليه كثير من التأويل وكانوا اذا سأل سائل عن شئ من الصفات تلوا عليه الدليل وأمسكوا عن القال والقيل وقالوا قال الله هكذا ولا ندرى بما سوى ذلك ولا نتكلف ولا نتكلم بما لم نعلمه ولا أذن الله لنا بمجاوزته فان اراد السائل أن يظفر منهم بزيادة على الظاهر زجروه عن الخوض فيما لا يعنيه ونهوه عن طلب مالا يمكن الوصول الا بالوقوع فى بدعة من البدع التى هى غير ما هم عليه وما

حفظوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظه التابعون عن الصحابة وحفظه من بعد التابعين عن التابعين

وكان فى هذه القرون الفاضلة الكلمة فى الصفات متحدة والطريقة لهم جميعا متفقة : وكان اشتغالهم بما أمرهم الله بالاشتغال به وكلفهم القيام بفرائضه من الايمان بالله : واقام الصلاة : وايتاء الزكاة : والصيام : والحج : والجهاد : وانفاق الأموال فى انواع البرّ : وطلب العلم النافع : وارشاد الناس الى الخير على اختلاف أنواعه : والمحافظة على موجبات الفوز بالجنة : والنجاة من النار : والقيام بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والأخذ على يد الظالم بحسب الاستطاعة وبما تبلغ اليه القدرة ولم يشتغلوا بغير ذلك مما لم يكلفهم الله بعلمه ولا تعبدهم بالوقوف على حقيقته فكان الدين اذ ذاك صافيا عن كدر البدع خالصاً عن شوب قذر التمذهب فعلى هذا النمط كان الصحابة رضى الله عنهم والتابعون وتابعوهم : وبهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم اهتدوا وبأفعاله وأقواله اقتدوا فمن قال انهم تلبسوا بشئ من هذه المذاهب الناشئة فى الصفات او فى غيرها فقد أعظم عليهم الفرية وليس بمقبول فى ذلك فان اقوال الأئمة المطلعين على احوالهم العارفين بها الآخذين لها عن الثقاة الاثبات يرد عليه ويدفع فى وجهه يعلم ذلك كل من له علم ويعرفه كل عارف فاشدد بذلك على هدا واعلم انه مذهب خير القرون ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ودع عنك ما حدث من تلك التمذهبات فى الصفات وأرح نفسك من تلك العبارات التى جاء بها المتكلمون واصطلحوا عليها وجعلوها أصلا يرد كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان وافقاها فقد وافقا الأصول المتقررة فى زعمهم وان خالفاها فقد خالفا الأصول المتقررة فى زعمهم ويجعلون الموافق لها من قسم المقبول والمحكم : والمخالف لها من قسم المردود والمتشابه ولو جئت بألف آية واضحة الدلالة ظاهرة المعنى او ألف حديث مما ثبت فى الصحيح لم يبالوا به ولا رفعوا اليه رؤسهم ولا عدوه شيئاً ومن كان منكرا لهذا فعليه بكتب هذه الطوائف المصنفة فى علم الكلام فانه

سيقف على الحقيقة ويسلم هذه الجملة ولا يتردد فيها

ومن العجب العجيب والنبأ الغريب ان تلك العبارات الصادرة عن جماعة من أهل الكلام التى جعلها من بعدهم أصولا لا مستند لها الا مجرد الدعوى على العقل والفرية على الفطرة وكل فرد من أفرادها قد تنازعت فيه عقولهم وتخالفت عنده ادراكاتهم : فهذا يقول حكم العقل فى هذا الكلام كذا : وهذا يقول حكم العقل فى هذا كذا ثم يأتى بعدهم من يجعل ذلك الذى يعقله من تقلده ويقتدى به أصلا يرجع اليه ومعياراً لكلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم يقبل منهما ماوافقه ويرد ماخالفه فيالله وللمسلمين وبالعلماء الدين من هذه الفواقر الموحشة التى لم يصب الاسلام وأهله بمثلها

وأغرب من هذا وأعجب وأشنع وأفظع انهم بعد ان جعلوا هذه التعقلات التى تعقلوها على اختلافهم فيها وتناقضهم فى معقولاتها أصولا ترد اليها أدلة الكتاب والسنة جعلوها معياراً لصفات الرب تعالى فما تعقله هذا من صفات الله قال به جزما وما تعقله خصمه منها قطع به فاثبتوا لله تعالى الشئ ونقيضه استدلالا بما حكمت به عقولهم الفاسدة وتناقضت فى شأنه ولم يلتفتوا الى ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم بل ان وجدوا ذلك موافقاً لما تعقلوه جعلوه مؤيداً له ومقوياً وقالوا قد ورد دليل السمع مطابقاً لدليل العقل وان وجدوه مخالفاً لما تعقلوه جعلوه وارداً على خلاف الأصل ومتشابهاً وغير معقول المعنى ولا ظاهر الدلالة ثم قابلهم المخالف لهم بنقيض قولهم فافترى على عقله بأنه قد تعقل خلاف ما تعقله خصمه وجعل ذلك أصلا يرد اليه أدلة الكتاب والسنة وجعل المتشابه عند أولئك محكما عنده والمخالف لدليل العقل عندهم موافقاً له عنده : فكان حاصل كلام هؤلاء انهم يعلمون من صفات الله مالا يعلمه وكفاك هذا وليس بعده شيء وعنده يتعثر القلم حياء من الله سبحانه وتعالى وربما استبعد هذا مستبعد واستنكره مستنكر وقال ان فى كلامى هذا مبالغة وتهويلا وتشنيعا وتطويلا وان الأمر أيسر من أن يكون حاصله هذا الحاصل وثمرته مثل هذه الثمرة التى

أشرت اليها

فأقول خذ جملة البلوى ودع تفصيلها واسمع ما يصك سمعك ولولا هذا الالحاح منك ما اسمعته ولا جرى القلم بمثله هذا أبو على وهو رأس من رؤسهم وركن من أركانهم واسطوانة من اسطواناتهم قد حكى عنه الكبار وآخر من حكى عنه ذلك صاحب شرح القلائد (والله لا يعلم من نفسه الا ما يعلم هو) فخذ هذا التصريح حيث لم تكتف بذلك التلويح وانظر هذه الجرأة على الله سبحانه وتعالى التى ليس بعدها جرأة فيالأم أبى على الويل أنهيق مثل هذا النهيق ويدخل نفسه فى هذا المضيق وهل سمع السامعون بيمين أفجر من هذه اليمين الملعونة أو نقل الناقلون كلمة تقارب معنى هذه الكلمة المفتونة أو بلغ مفتخر الى ما بلغ هذا المختال الفخور أو وصل من يفجر فى أيمانه الى ما تقارب هذا الفجور وكل عاقل يعلم ان أحدنا لو حلف ان ابنه أو أباه لا يعلم من نفسه الا مايعلمه هو لكان كاذباً فى يمينه فاجراً فيها لان كل فرد من الناس ينطوى على صفات وغرائز لا يحب ان يطلع عليها غيره ويكره ان يقف على شىء منها سواه ومن ذا الذى يدرى بما يجول فى خاطر غيره ويستكن فى ضميره ومن ادعى علم ذلك وانه يعلم من غيره من بنى آدم مايعلمه ذلك الغير من نفسه ولا يعلم ذلك الغير من نفسه الا ما يعلمه هذا المدعى فهو اما مصاب العقل يهذى بما لا يدرى ويتكلم بما لا يفهم أو كاذب شديد الكذب عظيم الافتراء فان هذا أمر لا يعلمه غير الله سبحانه فهو الذى يحول بين المرء وقلبه وما توسوس به نفسه وما يسر عباده وما يعلنون وما يظهرون وما يكتمون كما أخبرنا بذلك فى كتابه العزيز فى غير موضع فقد خاب وخسر من أثبت لنفسه من العلم مايعلمه الا الله من عباده فما ظنك من جاوز هذا وتعداه واقسم بالله سبحانه ان الله لا يعلم من نفسه الا مايعلمه هو ولا يصح لنا ان نحمله على اختلال العقل فلو كان مجنونا لم يكن رأساً يقتدى بقوله جماعات من أهل عصره ومن جاء بعده وينقلون كلامه فى الدفاتر ويحكون عنه فى مقامات الاختلاف ولعل اتباع هذا ومن يقتدى بمذهبه لوقال لهم قائل وأورد عليهم مورد

قول الله عز وجل (ولا يحيطون به علماً)[١] وقوله (ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء)[٢] وقال لهم هذا يرد ما قال صاحبكم ويدل على أن يمينه هذه فاجرة مفتراة لقالوا هذا ونحوه مما يدل دلالته ويفيد مفاده من المتشابه الوارد على خلاف دليل العقل المدفوع بالأصول المقررة :

وبالجملة فاطالة ذيول الكلام فى مثل هذا المقام اضاعة للأوقات واشتغال بحكاية الخرافات المبكيات لا المضحكات وليس مقصودنا ههنا الا ارشاد السائل الى ان المذهب الحق فى الصفات هو امرارها على ظاهرها من غير تأويل ولا تحريف ولا تكلف ولا تعسف ولا جبر ولا تشبيه ولا تعطيل وان ذلك هو مذهب السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم

(فان قلت) وماذا تريد بالتعطيل فى مثل هذه العبارات التى تكررها فان أهل المذاهب الاسلامية يتنزهون عن ذلك ويتحاشون عنه ولا نصدق معناه ولا يوجد مدلوله الا فى طائفة من طوائف الكفار وهم المنكرون للصانع *

(قلت) ياهذا ان كنت ممن له المام بعلم الكلام الذى اصطلح عليه طوائف من أهل الاسلام فانه لا محالة قد رأيت مايقوله كثير منهم ويذكرونه فى مؤلفاتهم ويحكونه عن أكابرهم ان الله سبحانه وتعالى وتنزه وتقدس لا هو جسم ولا جوهر ولا عرض ولا داخل العالم ولا خارجه فانشدك الله أى عبارة تبلغ مبلغ هذه العبارة فى النفى وأى مبالغة فى الدلالة على هذا النفى تقوم مقام هذه المبالغة فكان هؤلاء فى فرارهم من شبهة التشبيه الى هذا التعطيل كما قال القائل

فكنت كالساعى الى مثعب * موائلا من سبل الراعد

أو * كالمستجير من الرمضاء بالنار * والهارب من لسعة الزنبور الى لدغة الحية ومن قرصة النملة الى قضمة الأسد

وقد يغنى هؤلاء وأمثالهم من المتكلمين المتكلفين كلمتان من كتاب الله تعالى وصف بهما نفسه وأنزلهما على رسوله وهما (ولا يحيطون به علما)* (ليس كمثله شئ)[٣] فان هاتين الكلمتين قد اشتملتا على فصل الخطاب وتضمنتا بما

١ ـ طه ١١٠
٢ ـ البقرة ٢٥٥
٣ ـ الشورى ١١

يبين أولى الألباب السالكين فى تلك الشعاب فالكلمة منها دلت دلالة بينة على ان كل ما تكلم به البشر فى ذات الله وصفاته على وجه التدقيق ودعاوى التحقيق فهو مشوب بشعبة من شعب الجهل مخلوط بخلوط هى منافية للعلم ومباينة له فان الله سبحانه قد أخبرنا انهم لا يحيطون به علماً فمن زعم ان ذاته كذا أو صفته كذا فلا شك ان صحة ذلك متوقفة على الاحاطة وقد نفيت عن كل فرد من الأفراد علما فكل قول من أقوال المتكلمين صادر عن جهل إما من كل وجه أو من بعض الوجوه وما صدر عن جهل فهو مضاف الى جهل ولا سيما اذا كان فى ذات الله وصفاته فان ذلك من المخاطرة فى الدين ما لم يكن فى غيره من المسائل وهذا يعلمه كل ذى علم ويعرفه كل عارف ولم يحط بفائدة هذه الآية ويقف عندها ويقتطف من ثمراتها الا الممرون الصفات على ظاهرها المريحون أنفسهم من التكلفات والتعسفات والتأويلات والتحريفات وهم السلف الصالح كما عرفت فهم الذين اعترفوا بالاحاطة وأوقفوا أنفسهم حيث أوقفها الله وقال الله أعلم بكيفية ذاته وماهية صفاته بل العلم كله له وقالوا كما قال من قال ممن اشتغل بطلب هذا المحال فلم يظفر بغير القيل والقال

العلم للرحمن جل جلاله * وسواه فى جهلاته يتغمغم
ما للتراب وللعلوم وانما * يسعى ليعلم انه لا يعلم

بل اعترف كثير من هؤلاء المتكلفين بانه لم يستفد من تكلفه وعدم قنوعه بما قنع به السلف الصالح الا مجرد الحيرة التى وجد عليها غيره من المتكلفين فقال

وسرحت طرفى بين تلك المعالم * فلم أر الا واضعا كف حائر
* على ذقن أو قارعا سن نادم *

وها أنا أخبرك عن نفسى وأوضح لك ماوقعت فيه فى أمسى فانى فى أيام الطلب وعنفوان الشباب شغلت بهذا العلم الذى سموه تارة علم الكلام وتارة علم التوحيد وتارة علم أصول الدين وأكببت على مؤلفات الطوائف المختلفة منهم ورمت الرجوع بفائدة والعود بعائدة فلم أظفر من ذلك بغير الخيبة والحيرة وكان ذلك

من الاسباب التي حببت الى مذهب السلف على أني كنت قبل ذلك عليه ولكن أردت ان أزداد منه بصيرة وبه شغفا وقلت عند ذلك فى تلك المذاهب

وغاية ما حصلته من مباحثي * ومن نظرى من بعد طول التدبر

هو الوقف مابين الطريقين حيرة * فما علم من لم يلق غير التحير

على انى قد خضت منه غماره * وما قنعت نفسى بغير التبحر

﴿ وأما الكلمة ﴾ وهى (ليس كمثله شئ) فبها يستفاد نفى المماثلة فى كل شيء فيدفع بهذه الآية فى وجه المجسمة وتعرف به الكلام عند وصفه سبحانه بالسميع البصير وعند ذكر السمع والبصر واليد والاستواء ونحو ذلك مما اشتمل عليه الكتاب والسنة فتقرر بذلك الاثبات لتلك الصفات لا على وجه المماثلة والمشابهة للمخلوقات فيدفع به جانبى الافراط والتفريط وهما المبالغة فى الاثبات المفضية الى التجسيم والمبالغة فى النفى المفضية الى التعطيل فيخرج من بين الجانبين وغلو الطرفين حقية مذهب السلف الصالح وهو قولهم باثبات ما أثبته لنفسه من الصفات على وجه لا يعلمه الا هو فانه القائل (ليس كمثله شئ وهو السميع البصير)

(ومن جملة الصفات) التى أمرها السلف على ظاهرها وأجروها على ماجاء به القرآن والسنة من دون تكلف ولا تأويل صفة الاستواء التى ذكرها السائل يقولون نحن نثبت ما أثبته الله لنفسه من استوائه على عرشه على هيئة لا يعلمها الا هو وكيفية لا يدرى بها سواه ولا نكلف أنفسنا غير هذا فليس كمثله شئ لا فى ذاته ولا فى صفاته ولا تحيط عباده به علما وهكذا يقولون فى مسألة الجهة التى ذكرها السائل وأشار الى بعض ما فيه دليل عليها والأدلة فى ذلك طويلة كثيرة فى الكتاب والسنة * وقد جمع أهل العلم منها لاسيما أهل الحديث مباحث طولوها بذكر آيات قرآنية وأحاديث صحيحة وقد وقفت من ذلك على مؤلف بسيط فى مجلد جمعه مؤرخ الاسلام الحافظ الذهبى رحمه الله استوفى فيه كل ما فيه دلالة على الجهة من كتاب أو سنة أو قول صاحب (١)

---

(١) هنا بياض فى الاصل ولعله هكذا أو قول صاحب مذهب

والمسئلة أوضح من أن تلتبس على عارف وأبين من ان يحتاج فيها الى التطويل ولكنها لما وقعت فيها تلك القلاقل والزلازل الكائنة بين بعض الطوائف الاسلامية كثر الكلام فيها وفى مسئلة الاستواء وطال سيما بين الحنابلة وغيرهم من أهل المذاهب فلهم فى ذلك الفتن الكبرى والملاحم العظمى وما زالوا هكذا فى عصر بعد عصر والحق هو ماعرفناك من مذهب السلف الصالح فالاستواء على العرش والكون فى تلك الجهة قد صرح به القرآن الكريم فى مواطن يكثر حصرها ويطول نشرها وكذلك صرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غير حديث بل هذا مما يجده كل فرد من أفراد الناس فى نفسه : ويحسه فى فطرته وتجذبه اليه طبيعته كما تراه فى كل من استغاث بالله سبحانه وتعالى والتجأ اليه ووجه أدعيته الى جنابه الرفيع وعزه المنيع فانه يشير عند ذلك بكفه أو يرمى الى السماء بطرفه ويستوى فى ذلك عند عروض أسباب الدعاء وحدوث بواعث الاستغاثة ووجود مقتضيات الازعاج وظهور دواعى الالتجاء عالم الناس وجاهلهم والماشى على طريقة السلف والمقتدى بأهل التأويل القائلين بان الاستواء هو الاستيلاء كما قال جمهور المتأولين والأقيال كما قاله أحمد بن يحيى ثعلب والزجاج والفراء وغيرهم أو كناية عن الملك والسلطان كما قاله آخرون فالسلامة والنجاة فى امرار ذلك على الظاهر والاذعان بان الاستواء والكون على ما نطق به الكتاب والسنة من دون تكييف ولا تكلف ولا قيل ولا قال ولا قصور فى شئ من المقال فمن جاوز هذا المقدار بافراط أو تفريط فهو غير مقتد بالسلف ولا واقف فى طريق النجاة ولا معتصم عن الخطأ ولا سالك فى طريق السلامة والاستقامة وكما نقول هكذا فى الاستواء والكون فى تلك الجهة فكذا نقول فى مثل قوله سبحانه (وهو معكم أينما كنتم)[1] وقوله (ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم)[2] وفى نحو (ان الله مع الصابرين)[3] * (ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون)[4] الى ما يشابه ذلك ويماثله ويقاربه ويضارعه فنقول فى مثل هذه الآيات هكذا جاء القرآن ان الله سبحانه مع هؤلاء ولا نتكلف تأويل ذلك

١ ـ الحديد ٤
٢ ـ المجادلة ٧
٣ ـ البقرة ١٥٣
٤ ـ النحل ١٢٨

كما يتكلف غيرنا بأن المراد بهذا الكون وهذه المعية هو كون العلم ومعيته فان هذه شعبة من شعب التأويل تخالف مذاهب السلف وتباين ما كان عليه الصحابة والتابعون وتابعوهم واذا انتهيت الى السلامة فى مداك فلا تجاوزه

وهذا الحق ليس به خفاء * فدعنى من بنيات الطريق

وقد هلك المتنطعون ولا يهلك على الله الا هالك وعلى نفسها براقش تجنى وفى هذه الجملة وان كانت قليلة ما يغنى من شح بدينه وتحرص عليه عن تطويل المقال وتكثير ذيوله وتوسيع دائرة فروعه وأصوله والهداية من الله والله أعلم * انتهت الرسالة المفيدة كما وجدت * ولله الحمد أولا وآخرا وظاهرا وباطنا وأصلى وأسلم على محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم





إيضاح الدلالة

في عموم الرسالة

للامام العلامة شيخ الاسلام الشيخ تقى الدين
أبى العباس ابن تيمية المتوفى
سنة ٧٢٨ هجرية

عنيت بنشرها وتصحيحها والتعليق عليها
للمره الاولى سنة ١٣٤٣ هـ

إدارة الطباعة المنيرية

لصاحبها ومديرها محمد منير عبده أغا الدمشقي

بمصر بشارع الكحكيين رقم ١

مطبعة الشرق

لصاحبيها : عبد العزيز فايد وأخيه

بحارة المدرسة رقم ٦ بجوار الأزهر بمصر

الحمد لله الذى أمتن علينا بارسال الأنبياء والرسل لبيان طريق الرشاد والصلاة والسلام على نبينا محمد المبعوث الى جميع الخلق عربها وعجمها : قاصيها ودانيها : حضرها والباد : وآله وصحبه السالكين منهج السداد

(أما بعد) فيقول العاجز الى مولاه القدير الغنى محمد منير بن عبده أغا النقلى الدمشقى الأزهرى لما كنت كثير التشوف الى سماع الأخبار عن الكتب المؤلفة النافعة لا سيما ما كان على طريق السلف الصالح من تحقيق الحق بالأدلة الثابتة فى القرآن الحكيم والسنة الغراء أسأل من أعرفه انه رحل الى بلد كذا وزار مكتبة كذا عن الكتب العلمية الخطية التى رآها فى رحلته فيخبرنى بها فأختار منها ما يناسب حالنا وزماننا فاستنسخه بواسطة طلاب العلم العاملين ليكون أحرى وأضبط للنقل ولا أثق بالنساخين الذين لا دراية لهم بالعلم لعدم أمن وقوع تحريف أو تصحيف كما هو الشأن فى ذلك : وقد رحل بعض طلاب العلم الى البلاد الاسلامية الشاسعة البعيدة وزار كثيراً من المكاتب الأهلية والمحلية فعثر على كتب كثيرة خطية فاثبت اسم ما استحسنه واعتقد أن نفعه عظيم فى مذكرة له وقد اجتمعت به أخيراً وطلبت منه الاعلام عما استحسنه من الكتب النافعة فاطلعنى على المذكرة فاخترت منها أسماء عدة مؤلفات فارسلت استنسخها للاطلاع عليها فان كانت ملائمة للنشر فانشرها أولا فاحفظها عندى فى مكتبتى الخصوصية للافادة والاستفادة : وقد جاءنى بعض الرسائل بعد النسخ والمقابلة على النسخة الأصلية فطالعتها فوجدت كثيراً منها يصلح للنشر : ولما كانت لا تخلو الرسالة عن ايضاح بعض الكلمات أو بيان بعض المجمل جعلت عليها تعليقاً وقت مطالعتى اياها ليكون أنفع وأفيد للجمهور : وقد آثرت بالنشر هذه الرسالة وهى للامام العلامة شيخ الاسلام أبى العباس تقى الدين ابن تيمية الحرانى الدمشقى المتوفى سنة ٧٢٨ هـ : لانها أصغرها حجما وأيسرها مطالعة وأهمها موضوعاً : وقد ذكر هذه الرسالة الامام علاء الدين أبو الحسن على بن الحسين بن عروة المشرقى فى كتابه الكواكب الدرارى فى ترتيب

مسند الامام أحمد على أبواب البخارى ونسبها الى ابن تيمية : ولما لم يذكر لها اسما ولم أعثر على اسم لها سميتها (ايضاح الدلالة فى عموم الرسالة) والله أسأل حسن الختام

بسم الله الرحمن الرحيم

قال شيخ الاسلام أبو العباس تقى الدين ابن تيمية قدس الله روحه

(فصل) يجب على الانسان أن يعلم أن الله عزوجل أرسل محمداً صلى الله عليه وسلم الى جميع الثقلين الانس والجن وأوجب عليهم الايمان به وبما جاء به وطاعته : وأن يحللوا ماحلل الله ورسوله ويحرموا ماحرم الله ورسوله : وأن يوجبوا ما أوجبه الله ورسوله ويحبوا ما أحبه الله ورسوله ويكرهوا ما كرهه الله ورسوله : وأن كل من قامت عليه الحجة برسالة محمد صلى الله عليه وسلم من الانس والجن فلم يؤمن به استحق عقاب الله تعالى كما يستحقه أمثاله من الكافرين الذين بعث اليهم الرسول : وهذا أصل متفق عليه بين الصحابة والتابعين لهم باحسان وأئمة المسلمين وسائر طوائف المسلمين أهل السنة والجماعة وغيرهم رضى الله عنهم أجمعين : لم يخالف أحد من طوائف المسلمين فى وجود الجن (١) ولا فى أن الله أرسل محمداً صلى الله عليه وسلم اليهم وجمهور

(١) قال ابن دريد الجن خلاف الانس يقال جنه الليل واجنه وجن عليه وغطاه فى معنى واحد اذا ستره وكل شىء استتر عنك فقد جن عنك وبه سميت الجن : وكان اهل الجاهلية يسمون الملائكة جنا لاستتارهم عن العيون : والجن والجنة واحد : وقال ابن عقيل انما سمى الجن جنا لاجتنانهم واستتارهم عن العيون ومنه سمى الجنين جنينا والجنة للحرب جنة لسترها : ولا ينتقض هذا بالملائكة لان الاسماء المشتقة لاتناقض : والشياطين العصاة من الجن وهم ولد ابليس والمردة اعتاهم واغواهم وهم اعوان ابليس : قال الجوهرى كل عات

طوائف الكفار على اثبات الجن أما أهل الكتاب من اليهود والنصارى فهم مقرون بهم كاقرار المسلمين وان وجد فيهم من ينكر ذلك وكما يوجد فى المسلمين (١) من ينكر ذلك يوجد فى طوائف المسلمين كالجهمية والمعتزلة من ينكر ذلك وان كان جمهور الطائفة وأئمتها مقرين بذلك (٢)

وهذا لان وجود الجن تواترت به أخبار الأنبياء تواتراً معلوماً بالاضطرار : ومعلوم بالاضطرار أنهم أحياء عقلاء فاعلون بالارادة بل مأمورون منهيون ليسوا صفات وأعراضاً قائمة بالانسان أو غيره كما يزعمه بعض الملاحدة : فلما كان أمر الجن متواتراً عن الأنبياء تواتراً ظاهراً تعرفه العامة والخاصة لم يمكن طائفة كبيرة من الطوائف المؤمنين بالرسل أن تنكرهم كما لم يمكن لطائفة كبيرة من الطوائف المؤمنين بالرسل انكار الملائكة ولا انكار معاد الأبدان ولا انكار عبادة الله وحده لا شريك له ولا انكار أن يرسل الله رسولا من

متمرد من الجن والانس والدواب شيطان قال جرير

ايام يدعوننى الشيطان من غزل وهن يهويننى اذ كنت شيطانا

(١) هكذا فى الاصل ولعله الكتابيين

(٢) وهاك نص كلام بعض الأئمة فى ذلك قال امام الحرمين فى الشامل ان كثيرا من الفلاسفة وجماهير القدرية وكافة الزنادقة انكروا الشياطين والجن رأسا ولا يبعد لوا نكر ذلك من لا يتدبر ولا يتشبث بالشريعة وانما العجب من انكار القدرية مع نصوص القرآن وتواتر الأخبار واستفاضة الآثار : ثم ساق جملة من نصوص الكتاب والسنة تركناها للاكتفاء بما ذكره المصنف فى هذه الرسالة : وقال القاضى ابو بكر الباقلانى وكثير من القدرية يثبتون وجود الجن قديما وينفون وجودهم الآن ومنهم من يقر بوجودهم ويزعم انهم لا يرون لرقة اجسامهم ونفوذ الشعاع فيها ومنهم من قال انما لا يرون لانهم لا الوان لهم : قال امام الحرمين والتمسك بالظواهر والآحاد تكلف مع منامع اجماع كافة العلماء فى عصر الصحابة والتابعين على وجود الجن والشياطين والاستعاذة بالله تعالى من شرورهم ولا يراغم مثل هذا الاتفاق متدين متشبث بمسكة من الدين :

الانس الى خلقه ونحو ذلك مما تواترت به الأخبار عن الانبياء تواتراً تعرفه العامة والخاصة كما تواتر عند العامة والخاصة مجيء موسى الى فرعون وغرق فرعون ومجيء المسيح الى اليهود وعداوتهم له وظهور محمد صلى الله عليه وسلم بمكة وهجرته الى المدينة ومجيئه بالقرآن والشرائع الظاهرة وجنس الآيات الخارقة التي ظهرت على يديه كتكثير الطعام والشراب والأخبار بالغيوب الماضية والمستقبلة التي لا يعلمها بشر الا باعلام الله وغير ذلك : ولهذا أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بسؤال أهل الكتاب عما تواتر عندهم كقوله (وما أرسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون)[1] فان من الكفار من أنكر أن يكون لله رسول بشر فأخبر الله أن الذين أرسلهم قبل محمد كانوا بشرا وأمر بسؤال أهل الكتاب عن ذلك . وكذلك سؤالهم عن التوحيد وغيره مما جاءت به الأنبياء وكفر به الكافرون قال تعالى (قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب)[2] وقال تعالى (فان كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك)[3] وقال تعالى (قل أرأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم)[4] وكذلك شهادة أهل الكتاب بتصديق ما أخبر به من أنباء الغيب التي لا يعلمها الا نبي أو من أخبره نبي وقد علموا أن محمداً لم يتعلم من أهل الكتاب شيئاً وهذا غير شهادة أهل الكتاب له نفسه بما يجدونه من نعته في كتبهم كقوله تعالى (أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني اسرائيل)[5]

١ - الأنبياء ٧
٢ - الرعد ٤٣
٣ - يونس ٩٤
٤ - الأحقاف ١٠
٥ - الشعراء ١٩٧

وقوله تعالى (والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق)[١]
وأمثال ذلك :

وهذا بخلاف ما تواتر عند الخاصة من أهل العلم كأحاديث الرؤية وعذاب القبر وفتنته : وأحاديث الشفاعة والصراط والحوض فهذا قد ينكره بعض من لم يعرفه من أهل الجهل والضلال ولهذا أنكر طائفة من المعتزلة كالجبائى وأبى بكر الرازى وغيرهما دخول الجن فى بدن المصروع ولم ينكروا وجود الجن اذ لم يكن ظهور هذا فى المنقول عن الرسول كظهور هذا وان كانوا مخطئين فى ذلك ولهذا ذكر الأشعرى فى مقالات أهل السنة والجماعة أنهم يقولون ان الجنى يدخل فى بدن المصروع كما قال تعالى (الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس)[٢] وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل قلت لأبى ان قوماً يزعمون أن الجنىّ لا يدخل فى بدن الانسى فقال يابنى يكذبون هو ذا يتكلم على لسانه وهذا مبسوط فى موضعه

والمقصود هنا ان جميع طوائف المسلمين يقرون بوجود الجن وكذلك جمهور الكفار كعامة أهل الكتاب وكذلك عامة مشركى العرب وغيرهم من أولاد سام والهند وغيرهم من أولاد حام وكذلك جمهور الكنعانيين واليونانيين وغيرهم من أولاد يافث: فجماهير الطوائف تقر بوجود الجن بل يقرون بما يستجلبون به معاونة الجن من العزائم والطلاسم سواءاً كان ذلك سائغاً عند أهل الايمان أو كان شركا فان المشركين يقرأون من العزائم والطلاسم والرقي مافيه عبادة للجن

١ - الأنعام ١١٤
٢ - البقرة ٢٧٥

وتعظيم لهم : وعامة ما بأيدى الناس من العزائم والطلاسم والرقى التى لا تفقه بالعربية فيها ما هو شرك بالجن :

ولهذا نهى علماء المسلمين عن الرقي التى لا يفقه معناها لانها مظنة الشرك وان لم يعرف الراقي انها شرك : وفى صحيح مسلم عن عوف بن مالك الأشجعى « قال كنا نرقى فى الجاهليـة فقلنا يا رسول الله كيف ترى فى ذلك فقال اعرضوا عليّ رقاكم لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك »(١) وفى صحيح مسلم أيضاً عن جابر « قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرقى فجاء آل عمرو بن حزم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله انه كانت عندنا رقية نرقى بها من العقرب وانك نهيت عن الرقى قال فعرضوها عليه فقال ما أرى بأساً من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه » وقد كان للعرب ولسائر الأمم من ذلك أمور يطول وصفها وأخبار العرب فى ذلك متواترة عند من يعرف أخبارهم من علماء المسلمين وكذلك عند غيرهم ولكن المسلمين أخبر بجاهلية العرب منهم بجاهلية سائر الامم اذ كان خير القرون كانوا عربا وكان قد عاينوا وسمعوا ما كانوا عليه فى الجاهلية وكان ذلك من أسباب نزول القرآن

(٢) قوله فى الحديث الرقى هو جمع رقية مثل مدية ومدى العوذة والحديث يدل على ان الرقى الموصوفة بكونها شركا هى التى يستعان فيها بغير الله وأما اذا لم يذكر فيها الا اسماء الله تعالى وصفاته وآياته والمأثور عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فذلك حسن جائز او مستحب وليس بشرك : قال الخطابى كان عليه السلام قد رقى ورقى وأمر بها واجازها اذا كانت بالقرآن او باسماء الله تعالى فهي مباحة او مأمور بها وانما جاءت الكراهة والمنع فيما كان منها بغير لسان العرب فانه ربما كان كفرا او قولا يدخله الشرك : وقال السيوطى قد اجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط : ان يكون بكلام الله او باسمائه وصفاته وباللسان العربى وبما يعرف معناه وان يعتقد ان الرقية لا تؤثر بذاتها بل بتقدير الله تعالى :

فذكر فى كتب التفسير والحديث والسير والمغازى والفقه فتواترت أيام جاهلية العرب فى المسلمين والا فسائر الأمم المشركين هم من جنس العرب المشركين فى هذا وبعضهم كان أشد كفراً وضلالا من مشركى العرب وبعضهم أخف : والآيات التى أنزلها الله على محمد صلى الله عليه وسلم فيها خطاب لجميع الخلق من الانس والجن اذ كانت رسالته عامة للثقلين وان كان من أسباب نزول الآيات ما كان موجوداً فى العرب فليس شئ من الآيات مختصاً بالسبب المعين الذى نزل فيه باتفاق المسلمين وانما تنازعوا هل يختص بنوع السبب المسؤول عنه وأما بعين السبب فلم يقل أحد من المسلمين ان آيات الطلاق أو الظهار أو اللعان أو حد السرقة والمحاربين وغيرذلك يختص بالشخص المعين الذى كان سبب نزول الآية : وهذا الذى يسميه بعض الناس تنقيح المناط وهو أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم حكم فى معين وقد علم ان الحكم لا يختص به فيريد أن ينقح لمناط الحكم ليعلم النوع الذى حكم فيه كما أنه لما أمر الأعرابى الذى واقع امرأته فى رمضان بالكفارة وقد علم أن الحكم لا يختص به وعلم أن كونه أعرابياً أو عربياً أو الموطوءة زوجته لا أثر له فلو وطئ المسلم العجمى سريته كان الحكم كذلك : ولكن هل المؤثر فى الكفارة كونه مجامعا فى رمضان أو كونه مفطرا : فالأول مذهب الشافعى وأحمد فى المشهور عنه : والثانى مذهب مالك وأبى حنيفة وهو رواية منصوصة عن أحمد فى الحجامة فغيرها أولى : ثم مالك يجعل للمؤثر جنس المفطر وأبو حنيفة يجعلها

المفطر كتنوع جنسه فلا يوجبه فى ابتلاع الحصاة والنواة وتنازعوا هل يشترط أن يكون أفسد صوماً صحيحا وأحمد لايشترط ذلك بل كل امساك وجب فى شهر رمضان وجب فيه الكفارة كما يوجب الاربعة مثل ذلك فى الاحرام الفاسد فالصيام الفاسد عنده كالاحرام الفاسد كلاهما يجب اتمامه والمضى فيه والشافعى وغيره لا يوجبونها الا فى صوم صحيح والنزاع فيمن أكل ثم جامع أو لم ينو الصوم ثم جامع ومن جامع وكفر ثم جامع

ومثل قوله لمن أحرم بالعمرة فى جبة متضمخاً بالخلوق « انزع عنك الجبة واغسل عنك أثر الصفرة » هل أمره بالغسل لكون المحرم لا يستديم الطيب كما يقوله مالك أو لكونه نهى أن يتزعفر الرجل فلا يمنع من استدامة الطيب كقول الثلاثة وعلى الأول فهل هذا الحديث منسوخ بتطييب عائشة له فى حجة الوداع :

ومثل قوله لما سئل عن فارة وقعت فى سمن « القوها وما حولها وكلوا سمنكم » هل للمؤثر عدم التغير بالنجاسة أو بكونه جامدا أو كونها فارة وقعت فى سمن فلا يتعدى الى سائر المائعات : ومثل هذا كثير وهذا لابد منه فى الشرائع ولا يسمى قياساً عند كثير من العلماء كأبى حنيفة ونفاة القياس لاتفاق الناس على العمل به كما اتفقوا على تحقيق المناط وهو أن يعلق الشارع الحكم بمعنى كلى فينظر فى ثبوته فى بعض الانواع أو بعض الاعيان : كأمره باستقبال الكعبة : وكأمره باستشهاد شهيدين من رجالنا ممن نرضى من الشهداء : وكتحريمه الخمر

والميسر : وكفرضه تحليل اليمين بالكفارة : وكتفريقه بين الفدية والطلاق وغير ذلك

فيبقى النظر فى بعض الانواع هل هى خمر ويمين وميسر وفدية أو طلاق : وفى بعض الأعيان هل هى من هذا النوع وهل هذا المصلى مستقبل القبلة وهذا الشخص عدل مرضى ونحو ذلك فان هذا النوع من الاجتهاد متفق عليه بين المسلمين بل بين العقلاء فيما يتبعونه من شرائع دينهم وطاعة ولاة أمورهم ومصالح دنياهم وآخرتهم : وحقيقة ذلك يرجع الى تمثيل الشئ بنظيره وادراج الجزئى تحت الكلى وذاك يسمى قياس التمثيل وهذا يسمى قياس الشمول وهما متلازمان فان القدر المشترك بين الافراد فى قياس الشمول الذى يسميه المنطقيون الحد الأوسط هو القدر المشترك فى قياس التمثيل الذى يسميه الاصوليون الجامع والمناط والعلة والامارة والداعى والباعث والمقتضى والموجب والمشترك وغير ذلك من العبارات

وأما تخريج المناط وهو القياس المحض وهو أن ينص على حكم فى أمور قد يظن انه يختص الحكم بها فيستدل على ان غيرها مثلها إما لانتفاء الفارق أو للاشتراك فى الوصف الذى قام الدليل على أن الشارع علق الحكم به فى الاصل فهذا هو القياس الذى تقر به جماهير العلماء وينكره نفاة القياس وانما يكثر الغلط فيه لعدم العلم بالجامع المشترك الذى علق الشارع الحكم به وهو الذي يسمى سؤال المطالبة وهو مطالبة المعترض للمستدل بأن الوصف المشترك بين الاصل والفرع هو

علة الحكم أو دليل العلة : فأكثر غلط القائسين من ظنهم علة فى الأصل ما ليس بعلة : ولهذا كثرت شناعاتهم على أهل القياس الفاسد * فأما اذا قام دليل على الغاء الفارق وأنه ليس بين الأصل والفرع فرق يفرق الشارع لأجله بين الصورتين أو قام الدليل على أن المعنى الفلانى وهو الذى لأجله حكم الشارع بهذا الحكم فى الاصل وهو موجود فى صورة أخرى فهذا القياس لا ينازع فيه الا من لم يعرف هاتين المقدمتين وبسط هذا له موضع آخر :

والمقصود هنا ان دعوة محمد صلى الله عليه وسلم شاملة للثقلين الانس والجن على اختلاف أجناسهم فلا يظن أنه خص العرب بحكم من الأحكام أصلا بل انما علق الأحكام باسم مسلم وكافر ومؤمن ومنافق وبر وفاجر ومحسن وظالم وغير ذلك من الاسماء المذكورة فى القرآن والحديث : وليس فى القرآن ولا الحديث تخصيص العرب بحكم من أحكام الشريعة ولكن بعض العلماء ظن ذلك فى بعض الاحكام وخالفه الجمهور كما ظن طائفة منهم أبو يوسف انه خص العرب بأن لا يسترقوا وجمهور المسلمين على أنهم يسترقون كما صحت بذلك الاحاديث الصحيحة حيث استرق بنى المصطلق وفيهم جويرية بنت الحارث ثم أعتقها وتزوجها وأعتق بسببها من استرق من قومها : وقال فى حديث هوازن « اختاروا احدى الطائفتين اما السبي واما المال » وفى الصحيحين عن أبى أيوب الانصارى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنه قال من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ

قدير عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد اسماعيل» : وفى الصحيحين أيضا عن أبى هريرة « أنه كانت سبية من سبي هوازن عند عائشة فقال أعتقيها فانها من ولد اسماعيل » وعامة من استرقه الرسول صلى الله عليه وسلم من النساء والصبيان كانوا عربا وذكر هذا يطول

ولكن عمر بن الخطاب لما رأى كثرة السبي من العجم واستغناء الناس عن استرقاق العرب رأى أن يعتقوا العرب من باب مشورة الامام وأمره بالمصلحة لا من باب الحكم الشرعى الذى يلزم الخلق كلهم فأخذ من أخذ بما ظنه من قول عمر وكذلك ظن من ظن ان الجزية لا تؤخذ من مشركى العرب مع كونها تؤخذ من سائر المشركين

وجمهور العلماء على انه لا يفرق بين العرب وغيرهم ثم منهم من يجوز أخذها من كل مشرك ومنهم من لا يأخذها الا من أهل الكتاب والمجوس وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يأخذ الجزية من مشركى العرب وأخذها من المجوس وأهل الكتاب فمن قال يؤخذ من كل كافر قال ان آية الجزية لما نزلت أسلم مشركو العرب فانها نزلت عام تبوك ولم يبق عربى مشرك محاربا ولم يكن النبى صلى الله عليه وسلم ليغزو النصارى علم تبوك بجميع المسلمين الا من عذر الله ويدع الحجاز وفيه من يحاربه ويبعث أبا بكر عام تسع فنادى فى الموسم أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ونبذ العهود المطلقة وأبقى المؤقتة مادام أهلها موفين بالعهد كما أمر الله بذلك فى أول سورة التوبة وأنذر الذين نبذ اليهم أربعة أشهر وأمر عند انسلاخها بغزو المشركين

كافة قالوا فدان المشركون كلهم كافة بالاسلام ولم يرض بذل أداء الجزية لانه لم يكن لمشركى العرب من الدين بعد ظهور دين الاسلام ما يصبرون لأجله على أداء الجزية عن يد وهم صاغرون اذ كان عامة العرب قدأسلموا فلم يبق لمشركى العرب عز يعتزون به فدانوا بالاسلام حيث أظهره الله فى العرب بالحجة والبيان والسيف والسنان : وقول النبي صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة » مراده قتال المحاربين الذين أذن الله فى قتالهم لم يرد قتال المعاهدين الذين أمر الله بوفاء عهدهم : وكان النبي صلى الله عليه وسلم قبل نزول براءة يعاهد من عاهده من الكفار من غير أن يعطى الجزية عن يد فلما أنزل الله براءة وأمره بنبذ العهود المطلقة لم يكن له أن يعاهدهم كما كان يعاهدهم بل كان عليه أن يجاهد الجميع كما قال (فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم)[1] وكان دين أهل الكتاب خيراً من دين المشركين ومع هذا فأمروا بقتالهم حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون فاذا كان أهل الكتاب لا تجوز معاهدتهم كما كان ذلك قبل نزول براءة فالمشركون أولى بذلك أن لا تجوز معاهدتهم بدون ذلك قالوا فكان فى تخصيص اهل الكتاب بالذكر تنبيها بطريق الأولى على ترك معاهدة المشركين بدون الصغار والجزية كما كان يعاهدهم فى مثل هدنة الحديبية

١ - التوبة ٥

وغير ذلك من المعاهدات : قالوا وقد ثبت فى الصحيح من حديث بريدة قال «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أمّر أميراً على جيش أو سرية أوصاه فى خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا ثم قال اغزوا بسم الله فى سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا واذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم الى ثلاث خصال أوخلال فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ادعهم الى الاسلام فان أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم الى التحول من دارهم الى دار المهاجرين وأخبرهم أنهم ان فعلوا ذلك فلهم ماللمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين فان أبوا ان يتحولوا منها فاخبرهم أنهم يكونون كاعراب المسلمين يجرى عليهم حكم الله الذى يجرى على المؤمنين ولا يكون لهم فى الغنيمة والفيء شيء الا أن يجاهدوا مع المسلمين فان هم أبوا فسلهم الجزية فان هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم فان هم أبوا فاستعن عليهم وقاتلهم واذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه فلا تجعل لهم ذمة الله ولا ذمة نبيه ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك فانكم ان تخفروا ذممكم وذمة اصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله واذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله ولكن أنزلهم على حكمك فانك لا تدرى أتصيب حكم الله فيهم أم لا قالوا ففى الحديث أمره لمن أرسله أن يدعو الكفار الى الاسلام ثم الى الهجرة الى الامصار والا فالى أداء الجزية وان لم يهاجروا

كانوا كأعراب المسلمين والاعراب عامتهم كانوا مشركين فدل على أنه دعا الى أداء الجزية من حاصره من المشركين وأهل الكتاب: والحصون كانت باليمن كثيرة بعد نزول آية الجزية وأهل اليمن كان فيهم مشركون وأهل كتاب وأمر معاذاً أن يأخذ من كل حالم دينارا أوعد له معافر ولم يميز بين المشركين وأهل الكتاب فدل ذلك على أن المشركين من العرب آمنوا كما آمن من آمن من أهل الكتاب ومن لم يؤمن من أهل الكتاب أدى الجزية وقد أخذ النبي صلى الله عليه وسلم الجزية من أهل البحرين وكانوا مجوساً وأسلمت عبد القيس وغيرهم من أهل البحرين طوعا ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم ضرب الجزية على أحد من اليهود بالمدينة ولا بخيبر بل حاربهم قبل نزول آية الجزية وأقر اليهود بخيبر فلاحين بلا جزية الى أن أجلاهم عمر لانهم كانوا مهادنين له وكانوا فلاحين فى الارض فأقرهم لحاجة المسلمين اليهم ثم أمر باجلائهم قبل موته وأمر باخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب: فقيل هذا الحكم مخصوص بجزيرة العرب: وقيل بل هو عام فى جميع أهل الذمة اذا استغنى المسلمون عنهم أجلوهم من ديار الاسلام وهذا قول ابن جرير وغيره: ومن قال ان الجزية لا تؤخذ من مشرك قال ان آية الجزية نزلت والمشركون موجودون فلم يأخذها منهم

والمقصود أنه لم يخص العرب بحكم وان قيل انه خص جزيرة العرب التى هى حول المسجد الحرام كما خص المسجد الحرام بقوله

« انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا »[١]

وكذلك من قال من العلماء انه حرم على جميع المسلمين ماتستخبثه العرب وأحل لهم ما تستطيبه فجمهور العلماء على خلاف هذا القول كمالك وأبى حنيفة وأحمد وقدماء أصحابه ولكن الخرقى وطائفة منهم وافقوا الشافعى على هذا القول وأما أحمد نفسه فعامة نصوصه موافقة لقول جمهور العلماء وما كان عليه الصحابة والتابعون أن التحليل والتحريم لا يتعلق باستطابة العرب ولا باستخبائهم بل كانوا يستطيبون أشياء حرمها الله كالدم والميتة والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة واكيلة السبع : وما أهل به لغير الله وكانوا بل خيارهم يكرهون أشياء لم يحرمها الله حتى لحم الضب كان النبي صلى الله عليه وسلم يكرهه وقال « لم يكن بأرض قومى فأجدنى أعافه » وقال مع هذا انه ليس بمحرم وأكل على مائدته وهو ينظر وقال فيه « لا آكله ولا أحرمه » وقال جمهور العلماء الطيبات التى احلها الله ما كان نافعا لآكله فى دينه والخبيث ما كان ضارا له فى دينه : وأصل الدين العدل الذى بعث الله الرسل باقامته فما أورث الاكل بغيا وظلما حرمه كما حرم كل ذى ناب من السباع لانها باغية عادية والعادى شبيه بالمغتذى(١) فاذا تولد اللحم منها صار فى الانسان خلق البغى والعدوان وكذلك الدم يجمع قوى النفس من الشهوة والغضب فاذا اغتذى منه زادت شهوته وغضبه على المعتدى ولهذا لم يحرم منه الا المسفوح بخلاف القليل فانه لايضر ولحم الخنزير

١ - التوبة ٢٨

(١) لعل صوابه العكس هكذا والمغتذي شبيه بالعادى.

يورث عامة الاخلاق الخبيثة اذ كان اعظم الحيوان فى أكل كل شىء لايعاف شيئا والله لم يحرم على أمة محمد شيئا من الطيبات وانما حرم ذلك على أهل الكتاب كما قال تعالى (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم)[1] وقال تعالى (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ماحملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون)[2]

وأما المسلمون فلا يحرم عليهم الا الخبائث كالدم المسفوح فاماغير المسفوح كالذى يكون فى العروق فلم يحرمه بل ذكرت عائشة أنهم كانوا يصنعون اللحم فى القدر فيرون آثار الدم فى القدر ولهذا عفى جمهور الفقهاء عن الدم اليسير فى البدن والثياب اذا كان غير مسفوح واذا عفى عنه فى الأكل ففى اللباس والحمل أولى أن يعفى عنه وكذلك ريق الكلب يعفى عنه عند جمهور العلماء فى الصيد كما هو مذهب مالك وأبى حنيفة واحمد فى أظهر القولين فى مذهبه وهو أحد الوجهين فى مذهب الشافعى وان وجب غسل الأناء من ولوغه عند جمهورهم إذ كان الريق فى الولوغ كثيراً ساريا فى المائع لايشق الاحتراز منه بخلاف مايصيب الصيد فانه قليل ناشف فى جامد يشق الاحتراز منه :

وكذلك التقديم فى امامة الصلاة بالنسب لايقول به أكثر العلماء وليس فيه نص عن النبى صلى الله عليه وسلم بل الذى ثبت فى الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله قال فان كانوا

١ ـ النساء ١٦٠
٢ ـ الأنعام ١٤٦

في القراة سواء فأعلمهم بالسنة فان كانوا في السنة سواء فاقدمهم هجرة فان كانوا في الهجرة سواء فاقدمهم سنا » فقدمه صلى الله عليه وسلم بالفضيلة العلمية ثم بالفضيلة العملية : وقدم العالم بالقرآن على العالم بالسنة ثم الأسبق الى الدين باختياره ثم الاسبق الى الدين بسنة ولم يذكر النسب وبهذا أخذ احمد وغيره فرتب الائمة كما رتبهم النبي صلى الله عليه وسلم ولم يذكر النسب وكذلك أكثر العلماء كمالك وأبي حنيفة لم يرجحوا بالنسب ولكن رجح به الشافعي وطائفة من أصحاب احمد كالخرقي وابن حامد والقاضي وغيرهم واحتجوا بقول سلمان الفارسي ان لكم علينا معشر العرب ألا نؤمكم في صلاتكم ولا ننكح نساءكم :

والاولون يقولون انما قال سلمان هذا تقديما منه للعرب على الفرس كما يقول الرجل لمن هو أشرف منه حقك على كذا وليس قول سلمان حكما شرعياً يلزم جميع الخلق أتباعه كما يجب عليهم اتباع أحكام الله ورسوله ولكن من تأس من الفرس بسلمان فله به أسوة حسنة فان سلمان سابق الفرس وكذلك اعتبار النسب في أهل الكتاب ليس هو قول احد من الصحابة ولا يقول به جمهور العلماء كمالك وأبي حنيفة واحمد ابن حنبل وقدماء أصحابه ولكن طائفة منهم ذكرت عنه روايتين واختار بعضهم اعتبار النسب موافقة للشافعي والشافعي اخذ ذلك عن عطاء وبسط هذا له موضع :

والمقصود هنا أن النبي صلى الله عليه وسلم انما علق الاحكام بالصفات المؤثرة فيما يحبه الله وفيما يبغض فامر بما يحبه الله ودعا اليه بحسب الامكان

ونهى عما يبغضه الله وحسم مادته بحسب الامكان لم يخص العرب بنوع من أنواع الاحكام الشرعية اذ كانت دعوته لجميع البرية لكن نزل القرآن بلسانهم بل نزل بلسان قريش كما ثبت عن عمر بن الخطاب أنه قال لابن مسعود أقرىء الناس بلغة قريش فان القرآن نزل بلسانهم وكما قال عثمان للذين يكتبون المصحف من قريش والانصار اذا اختلفتم فى شيء فاكتبوه بلغة هذا الحى من قريش فان القرآن نزل بلسانهم وهذا لاجل التبليغ لانه بلغ قومه أولا ثم بواسطتهم بلغ سائر الأمم وأمره الله بتبليغ قومه أولا ثم بتبليغ الاقرب فالاقرب اليه كما أمر بجهاد الاقرب فالاقرب :

وما ذكره كثير من العلماء من أن غير العرب ليسوا أكفاء للعرب فى النكاح فهذه مسألة نزاع بين العلماء فمنهم من لايرى الكفاءة الافى الدين ومن رآها فى النسب أيضا فانه يحتج بقول عمر لامنعن ذوات الاحساب الامن الاكفاء لان النكاح مقصوده حسن الالفة فاذا كانت المرأة أعلى منصباً أشتغلت عن الرجل فلايتم به المقصود: وهذه حجة من جعل ذلك حقالله حتى أبطل النكاح اذا زوجت المرأة بمن لا يكافئها فى الدين أو المنصب ومن جعلها حقا لآدمى قال ان فى ذلك غضاضة على أولياء المرأة وعليها والامر اليهم فى ذلك :

ثم هؤلاء لايخصون الكفاءة بالنسب بل يقولون هى من الصفات التى تتفاضل بها النفوس كالصناعة واليسار والحرية وغير ذلك وهذه مسائل اجتهادية ترد الى الله والرسول فان جاء عن الله ورسوله مايوافق أحد القولين فما جاء عن الله لايختلف والا فلا يكون قول أحد حجة على

الله ورسوله وليس عن النبى صلى الله عليه وسلم نص صحيح صريح فى هذه الامور بل قد قال صلى الله عليه وسلم « ان الله أذهب عنكم عيبة الجاهلية وفخرها بالآباء الناس رجلان مؤمن تقى وفاجر شقى » : وفى صحيح مسلم عنه صلى الله عليه وسلم انه قال « أربع فى أمتى من أمر الجاهلية لا يتركونهن الفخر فى الأحساب والطعن فى الأنساب والنياحة والاستسقاء بالنجوم » وقد ثبت عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « ان الله اصطفى كنانة من بنى اسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى بنى هاشم من قريش واصطفانى من بنى هاشم فأنا خيركم نفسا وخيركم نسبا » :

وجمهور العلماء على أن جنس العرب خير من غيرهم كما أن جنس قريش خير من غيرهم وجنس بنى هاشم خير من غيرهم وقد ثبت فى الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « الناس معادن كمادن الذهب والفضة خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام اذا فقهوا » لكن تفضيل الجملة على الجملة لا يستلزم أن يكون كل فرد أفضل من كل فرد فان فى غير العرب خلق كثير خير من أكثر العرب : وفى غير قريش من المهاجرين والأنصار من هو خير من أكثر قريش : وفى غير بنى هاشم من قريش وغير قريش من هو خير من أكثر بنى هاشم : كما قال رسول الله صلي الله عليه وسلم « ان خير القرون القرن الذين بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » وفى القرون المتأخرة من هو خير من كثير من القرن الثانى والثالث ومع هذا فلم يخص النبى

صلى الله عليه وسلم القرن الثانى والثالث بحكم شرعى كذلك لم يخص العرب بحكم شرعى بل ولا خص بعض أصحابه بحكم دون سائر أمته ولكن الصحابة لما كان لهم من الفضل أخبر بفضلهم : وكذلك السابقون الأولون لم يخصهم بحكم ولكن أخبر بما لهم من الفضل لما اختصوا به من العمل وذلك لا يتعلق بالنسب :

والمقصود هنا أنه أرسل الى جميع الثقلين الانس والجن فلم يخص العرب دون غيرهم من الأمم بأحكام شرعية ولكن خص قريشاً بأن الامامة فيهم وخص بنى هاشم بتحريم الزكاة عليهم وذلك لان جنس قريش لما كانوا أفضل وجب أن تكون الامامة فى أفضل الأجناس مع الامكان وليست الامامة أمراً شاملا لكل أحد منهم وانما يتولاها واحد من الناس * وأما تحريم الصدقة فحرمها عليه وعلى أهل بيته تكميلا لتطهيرهم ودفعاً للتهمة عنه كما لم يورث فلا يأخذ ورثته درهما ولا ديناراً بل لا يكون له ولمن يمونه من مال الله الا نفقتهم وسائر مال الله يصرف فيما يحبه الله ورسوله : وذوو قرباه يعطون بمعروف من مال الخمس : والفيء الذى يعطى منه فى سائر مصالح المسلمين لا يختص أصناف معينة كالصدقات : ثم ما جعل لذوى القربى قيل انه سقط بموته كما يقوله أبو حنيفة وقيل هو لقربى من يلى الأمر بعده كما روى عنه « ما أطعم الله نبياً طعمة الا كانت لمن يلى الأمر بعده » وهذا قول أبي ثور وغيره : وقيل ان هذا كان مأخذ عثمان فى اعطاء بنى أمية : وقيل هو لذوى قربى الرسول صلى الله عليه وسلم دائماً :

ثم من هؤلاء من يقول هو مقدر بالشرع وهو خمس الخمس كما يقوله الشافعى وأحمد فى المشهور عنه : وقيل بل الخمس والفئ يصرف فى مصالح المسلمين باجتهاد الامام ولا يقسم على أجزاء مقدرة متساوية وهذا قول مالك وغيره وعن أحمد أنه جعل خمس الزكاة فيئاً وعلى هذا القول يدل الكتاب والسنة وسيرة الخلفاء الراشدين وبسط هذه الأمور له موضع آخر:

والمقصود هنا أن بعض آيات القرآن وان كان سببه أمورا كانت فى العرب فحكم الآيات عام يتناول ما تقتضيه الآيات لفظا ومعنى فى أى نوع كان ومحمد صلى الله عليه وسلم بعث الى الانس والجن: وجماهير الأمم يقر بالجن ولهم معهم وقائع يطول وصفها ولم ينكر الجن الا شرذمة قليلة من جهال المتفلسفة والأطباء ونحوهم وأما أكابر القوم فالمأثور عنهم اما الاقرار بها واما أن لا يحكى عنهم فى ذلك قول : ومن المعروف عن أبقراط أنه قال فى بعض المياه انه ينفع من الصرع لست أعنى الذى يعالجه أصحاب الهياكل وانما أعنى الصرع الذى يعالجه الأطباء وأنه قال طبنا مع طب أهل الهياكل كطب العجائز مع طبنا وليس لمن أنكر ذلك حجة يعتمد عليها تدل على النفى وانما معه عدم العلم اذ كانت صناعته ليس فيها ما يدل على ذلك كالطبيب الذى ينظر فى البدن من جهة صحته ومرضه الذى يتعلق بمزاجه وليس فى هذا تعرض لما يحصل من جهة النفس ولا من جهة الجن وان كان قد علم من غير طبه أن للنفس تأثيراً عظيما فى البدن أعظم من تأثير الأسباب الطبية وكذلك

للجن تأثير فى ذلك كما قال النبي صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح « ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم » وفى الدم الذى هو البخار الذى تسميه الأطباء الروح الحيوانى المنبعث من القلب السارى فى البدن الذى به حياة البدن كما قد بسط هذا فى موضع آخر :

والمراد هنا أن محمداً صلى الله عليه وسلم أرسل الى الثقلين الانس والجن وقد أخبر الله فى القرآن أن الجن استمعوا القرآن وأنهم آمنوا به كما قال تعالى (واذ صرفنا اليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا)[1] الى قوله (أولئك فى ضلال مبين)[2] ثم أمره أن يخبر الناس بذلك فقال تعالى (قل أوحى الىّ أنه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآناً عجبا)[3] الخ فأمره أن يقول ذلك ليعلم الانس بأحوال الجن وأنه مبعوث الى الانس والجن لما فى ذلك من هدى الانس والجن ما يجب عليهم من الايمان بالله ورسله واليوم الآخر وما يجب من طاعة رسله ومن تحريم الشرك بالجن وغيرهم كما قال فى السورة (وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً)[4] كان الرجل من الانس ينزل بالوادى والأودية مظان الجن فانهم يكونون بالأودية أكثر مما يكونون بأعالى الأرض فكان الانسى يقول أعوذ بعظيم هذا الوادى من سفهائه فلما رأت الجن أن الانس تستعيذ بها زاد طغيانهم وغيّهم : وبهذا يجيبون المعزم والراقي بأسمائهم وأسماء ملوكهم فانه يقسم عليهم بأسماء من يعظمونه فيحصل لهم بذلك من الرئاسة والشرف على الانس مايحملهم على أن يعطوهم بعض سؤلهم

١ ـ الأحقاف ٢٩
٢ ـ الأقاف ٣٢
٣ ـ الجن ١
٤ ـ الجن ٦

لاسيما وهم يعلمون أن الانس أشرف منهم وأعظم قدراً فاذا خضعت الانس لهم واستعاذت بهم كان بمنزلة أكابر الناس اذا خضع لأصاغرهم ليقضى له حاجته

ثم الشياطين منهم من يختارون الكفر والشرك ومعاصى الرب وابليس وجنوده من الشياطين يشتهون الشر ويلتذون به ويطلبونه ويحرصون عليه بمقتضى خبث أنفسهم وان كان موجباً لعذابهم وعذاب من يغوونه كما قال ابليس (فبعزتك لأغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين)[1] وقال تعالى (قال أرأيتك هذا الذى كرمت علىّ لئن أخرتنى الى يوم القيامة لأحتنكن ذريته الا قليلا)[2] (١) وقال تعالى (ولقد صدّق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقاً من المؤمنين)[3] والانسان اذا فسدت نفسه أو مزاجه يشتهى مايضره ويلتذ به بل يعشق ذلك عشقاً يفسد عقله ودينه وخلقه وبدنه وماله والشيطان هو نفسه خبيث فاذا تقرب صاحب العزائم والأقسام وكتب الروحانيات السحرية وأمثال ذلك اليهم بما يحبونه من الكفر والشرك صار ذلك كالرشوة والبرطيل لهم

١ ـ ص ٨٣
٢ ـ الاسراء ٦٢
٣ ـ سبأ ٢٠

(١) قوله «لأحتنكن» يحتمل ان يكون مأخوذا من قولهم حنك الدابة واحتنكها اذا جعل فى حنكها الأسفل حبلا يقودها به وعلى هذا فمناه لاحتنكن ذريته ولاستولين عليهم استيلاء قويا واخرج هذا ابن جرير وغيره عن ابن عباس رضى الله عنه : واليه ذهب الفراء : ويحتمل ان يكون مأخوذا من احتنك الجراد الارض اذا اهلك نباتها وجرد ما عليها واحتنك فلان مال فلان اذا اخذه واكله : وعلى ذلك قوله * تشكو اليك سنة قد اجحفت * جهدا الى جهد بنا فاضعفت * واحتنكت طوالنا واجلفت * وعلى هذا فمناه لاستأصلنهم واهلكنهم بالاغواء : واختار هذا الجبائى والطبرى وجماعة : وكأنه مأخوذ من الحنك وهو باطن اعلى الفم من داخل فهو اشتقاق من اسم عين : والمراد بالقليل فى الآية هم العلماء بالكتاب والسنة العاملون بهما المخلصون له فيهما جعلنا الله واياكم منهم آمين :

فيقضون بعض أغراضه كمن يعطى غيره مالا ليقتل له من يريد قتله أو يعينه على فاحشة أو ينال معه فاحشة:

ولهذا كثير من هذه الأمور يكتبون فيها كلام الله بالنجاسة وقد يقلبون حروف كلام الله عز وجل إما حروف الفاتحة واما حروف قل هو الله أحد واما غيرها بنجاسة اما دم واما غيره واما بغير نجاسة أو يكتبون غير ذلك مما يرضاه الشيطان أو يتكلمون بذلك فاذا قالوا أو كتبوا ما ترضاه الشياطين اعانتهم على بعض أغراضهم اما تغوير ماء من المياه واما أن يحمل فى الهواء الى بعض الأمكنة واما أن يأتيه بمال من أموال بعض الناس كما تسرقه الشياطين من أموال الخائنين ومن لم يذكر اسم الله عليه وتأتى به: واما غير ذلك وأعرف فى كل نوع من هذه الانواع من الأمور المعينة ومن وقعت له بمن أعرفه مايطول حكايته فانهم كثيرون جداً:

والمقصود أن محمداً صلى الله عليه وسلم بعث الى الثقلين واستمع الجن لقراءته وولوا الى قومهم منذرين كما أخبر الله عز وجل وهذا متفق عليه بين المسلمين ثم أكثر المسلمين من الصحابة والتابعين وغيرهم يقولون انهم جاؤوه بعد هذا وانه قرأ عليهم القرآن وبايعوه وسألوه الزاد لهم ولدوابهم فقال لهم « لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه أوفر ما يكون لحما ولكم كل بعرة علف لدوابكم » قال النبى صلى الله عليه وسلم « فلا تستنجوا بهما فانهما زاد اخوانكم من الجن » وهذا ثابت فى صحيح مسلم وغيره من حديث ابن مسعود: وقد ثبت فى

صحيح البخارى وغيره من حديث أبى هريرة نهيه صلى الله عليه وسلم عن الاستنجاء بالعظم والروث فى أحاديث متعددة * وفى صحيح مسلم وغيره عن سلمان « قال قيل له قد علمكم نبيكم كل شئ حتى الخرآة قال فقال أجل لقد نهانا أن نستقبل القبلة بغائط أوبول وأن نستنجى باليمين وأن نستنجى بأقل من ثلاثة أحجار وأن نستنجى برجيع أو عظم » : وفى صحيح مسلم وغيره أيضاً عن جابر قال « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتمسح بعظم أو ببعر » وكذلك النهى عن ذلك فى حديث خزيمة بن ثابت وغيره :

وقد بين علة ذلك فى حديث ابن مسعود : ففى صحيح مسلم وغيره عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « أتانى داعى الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن قال فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم وسألوه الزاد فقال لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع فى أيديكم لحما وكل بعرة علف لدوابكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم فلا تستنجوا بهما فانهما زاد اخوانكم » وفى صحيح البخارى وغيره عن أبى هريرة « أنه كان يحمل مع النبي صلى الله عليه وسلم اداوة لوضوئه وحاجته فبينما هو يتبعه بها قال من هذا قلت أبا هريرة قال أبغنى أحجارا استنفض بها ولا تأتنى بعظم ولا بروثة فأتيته بأحجار أحملها فى طرف ثوبى حتى وضعتها الى جنبه ثم انصرفت حتى اذا فرغ مشيت فقلت ما بال العظم والروثة قال هما من طعام الجن وانه أتانى وفد جن نصيبين ونعم الجن فسألونى الزاد فدعوت الله لهم أن لا يمروا بعظم ولا روثة الا وجدوا عليها طعاماً »

ولما نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الاستنجاء بما يفسد طعام الجن وطعام دوابهم كان هـذا تنبيهاً على النهى عما يفسد طعام الانس وطعام دوابهم بطريق الأولى لكن كراهة هذا والنفور عنه ظاهر فى فطر الناس بخلاف العظم والروثة فانه لايعرف نجاسة طعام الجن فلهذا جاءت الأحاديث الصحيحة المتعددة بالنهى عنه : وقد ثبت بهذه الأحاديث الصحيحة أنه خاطب الجن وخاطبوه وقرأ عليهم القرآن وأنهم سألوه الزاد * وقد ثبت فى الصحيحين عن ابن عباس أنه كان يقول « ان النبي صلى الله عليه وسلم لم ير الجن ولا خاطبهم ولكن أخبره أنهم سمعوا القرآن » وابن عباس قد علم مادل عليه القرآن من ذلك ولم يعلم ماعلمه ابن مسعود وأبو هريرة وغيرهما من اتيان الجن اليه ومخاطبته اياهم وأنه أخبره بذلك فى القرآن وأمره أن يخبر به وكان ذلك فى أول الأمر لما حرست السماء وحيل بينهم وبين خبر السماء وملئت حرساً شديداً وكان ذلك من دلائل النبوة ما فيه عبرة كما قد بسط فى موضع آخر: وبعد هذا أتوه وقرأ عليهم القرآن «وروى أنه قرأ عليهم سورة الرحمن وصار كلما قال (فبأى آلاء ربكما تكذبان)[1] قالوا ولا بشئ من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد »

وقد ذكر الله فى القرآن من خطاب الثقلين مايبين هذا الأصل كقوله تعالى (يا معشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى وينذرونكم لقاء يومكم هـذا قالوا شهدنا على أنفسنا)[2] وقد أخبر الله عن الجن أنهم قالوا (وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا

١ ـ الرحمن ٣٤
٢ ـ الأنعام ١٣٠

طرائق قددا)[١] أى مذاهب شتى مسلمون وكفار وأهل سنة وأهل بدعة : وقالوا (وانا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا)[٢] والقاسط الجائر يقال قسط اذا جار وأقسط اذا عدل : وكافرهم معذب فى الآخرة باتفاق العلماء : وأما مؤمنهم فجمهور العلماء على أنه فى الجنة وقد روى « أنهم يكونون فى ربض الجنة (١) تراهم الانس من حيث لا يرونهم » وهـذا القول مأثور عن مالك والشافعى وأحمد وأبى يوسف ومحمد * وقيل ان ثوابهم النجاة من النار وهو مأثور عن أبى حنيفة : وقد احتج الجمهور بقوله (لم يطمثهن (٢) انس قبلهم ولا جان)[٣] قالوا فدل ذلك على تأتى الطمث منهم لان طمث الحور العين انما يكون فى الجنة .

فصل

واذا كان الجن أحياء عقلاء مأمورين منهيين لهم ثواب وعقاب وقد أرسل اليهم النبى صلى الله عليه وسلم فالواجب على المسلم أن يستعمل فيهم ما يستعمله فى الانس من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والدعوة الى الله كما شرع الله ورسوله وكما دعاهم النبى صلى الله عليه وسلم ويعاملهم اذا اعتدوا بما يعامل به المعتدون فيدفع صولهم بما يدفع صول الانس .

وصرعهم للانس قد يكون عن شهوة وهوى وعشق كما يتفق

١ ـ الجن ١١
٢ ـ الجن ١٤ـ١٥
٣ ـ الرحمن ٥٦

(١) الربض بفتحتين ماحول الجنة خارجا عنها (٢ أى لم يدمهن بالنكاح

للانس مع الانس وقد يتناكح الانس والجن ويولد بينهما ولد وهذا كثير معروف : وقد ذكر العلماء ذلك وتكلموا عليه وكره أكثر العلماء مناكحة الجن * وقد يكون وهو كثير أو الاكثر عن بغض ومجازاة مثل أن يؤذيهم بعض الانس أو يظنوا أنهم يتعمدوا أذاهم إما ببول على بعضهم واما بصب ماء حار واما بقتل بعضهم وان كان الانسى لا يعرف ذلك وفى الجن جهل وظلم فيعاقبونه بأكثر مما يستحقه : وقد يكون عن عبث منهم وشر بمثل سفهاء الناس.

وحينئذ فما كان من الباب الأول فهو من الفواحش التى حرمها الله تعالى كما حرم ذلك على الانس وان كان برضى الآخر فكيف اذا كان مع كراهته فانه فاحشة وظلم فيخاطب الجن بذلك ويعرّفون أن هذا فاحشة محرمة أو فاحشة وعدوان لتقوم الحجة عليهم بذلك ويعلموا أنه يحكم فيهم بحكم الله ورسوله الذى أرسله الى جميع الثقلين الانس والجن * وما كان من القسم الثانى فان كان الانسى لم يعلم فيخاطبون بأن هذا لم يعلم ومن لم يتعمد الأذى لا يستحق العقوبة وان كان قد فعل ذلك فى داره وملكه عرفوا بأن الدار ملكه فله أن يتصرف فيها بما يجوز وأنتم ليس لكم أن تمكثوا فى ملك الانس بغير اذنهم بل لكم ما ليس من مساكن الانس كالخراب والفلوات ولهذا يوجدون كثيرا فى الخراب والفلوات : ويوجدون فى مواضع النجاسات كالحمامات والحشوش والمزابل والقمامين والمقابر : والشيوخ الذين تقترن بهم الشياطين وتكون أحوالهم شيطانية لا رحمانية يأوون كثيرا الى هذه

الأماكن التى هى مأوى الشياطين :

وقد جاءت الآثار بالنهى عن الصلاة فيها لأنها ماوى الشياطين : والفقهاء منهم من علل النهى بكونها مظنة النجاسات : ومنهم من قال انه تعبد لا يعقل معناه : والصحيح أن العلة فى الحمام وأعطان الابل ونحوذلك أنها مأوى الشياطين : وفى المقبرة أن ذلك ذريعة الى الشرك مع أن المقابر تكون أيضاً مأوى الشياطين: والمقصود أن أهل الضلال والبدع الذين فيهم زهد وعبادة على غير الوجه الشرعى ولهم أحياناً مكاشفات ولهم تأثيرات يأوون كثيرا الى مواضع الشياطين التى نهى عن الصلاة فيها لأن الشياطين تستنزل عليهم بها وتخاطبهم الشياطين ببعض الأمور كما تخاطب الكهان : وكما كانت تدخل فى الأصنام وتكلم عابدى الأصنام وتعينهم فى بعض المطالب كما تعين السحرة وكما تعين عباد الأصنام وعباد الشمس والقمر والكواكب اذا عبدوها بالعبادات التى يظنون أنها تناسبها من تسبيح لها ولباس وبخور وغير ذلك فانه قد تنزل عليهم شياطين يسمونها روحانية الكوكب وقد تقضى بعض حوائجهم اما قتل بعض أعدائهم أو امراضه واما جلب بعض من يهوونه واما احضار بعض المال ولكن الضرر الذى يحصل لهم بذلك أعظم من النفع بل يكون أضعاف أضعاف النفع :

والذين يستخدمون الجن بهذه الأمور يزعم كثير منهم أن سليمان كان يستخدم الجن بها (١) فانه قد ذكر غير واحد من علماء السلف

(١) قال ابن النديم فى كتاب الفهرست فى اخبار العلماء واسماء ماصنفوه من الكتب فى الفن الثانى

أن سليمان لما مات كتبت الشياطين كتب سحر وكفر وجعلتها تحت كرسيه وقالوا كان سليمان يستخدم الجن بهذه فطعن طائفة من أهل الكتاب فى سليمان بهذا السبب وآخرون قالوا لولا أن هذا حق جائز لما فعله سليمان فضل الفريقان هؤلاء بقدحهم فى سليمان : وهؤلاء باتباعهم السحر فأنزل الله تعالى فى ذلك قوله تعالى (ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم)[1] الى قوله تعالى (ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون)[2] بين سبحانه أن هذا لا يضر ولا ينفع اذ كان النفع هو الخير الخالص أو الراجح والضرر هو الشر الخالص أو الراجح وشر هذا اما خالص واما راجح

والمقصود أن الجن اذا اعتدوا على الانس أخبروا بحكم الله ورسوله وأقيمت عليهم الحجة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر كما

١ ـ البقرة ١٠١

٢ ـ البقرة ١٠٣

ماحاصله يقال والله اعلم ان سليمان بن داود صلوات الله عليهم اول من استعبد الجن والشياطين واستخدمها : وقيل اول من استعبدها على مذهب الفرس جمشيد بن اوبخهان : وكان يكتب لسليمان بن داود عليه الصلاة والسلام : وممن استعبدهم آصف بن برخيان ويوسف بن عيصو والهرمزان بن الكردول : والذى فتح هذا الامر فى الاسلام ابو نصر احمد بن هلال البكيل وهلال بن وصيف وكان مخدوما ومناطقا له وله افعال عجيبة وخواتيم مجربة وله من الكتب كتاب الروح المتلاشية وكتاب المفاخرة فى الأعمال وغير ذلك : ومن المعزمين الذين يعملون باسماء الله تعالى رجل يعرف بابن الامام وكان فى ايام المعتضد : ومنهم عبد الله بن هلال : وصالح المدرى : وعقبة الأدرعى : وأبو خالد الخراسانى : ومن هؤلاء من كان يترك الصلاة تقربا الى ابليس وجنوده : ويجمع بين الرجال والنساء فى الحرام : ولا شك ان من يستخدم الجن والشياطين يحصل له من المخالفات ضرورة لارضائهم والتقرب اليهم لاسيما فى زماننا هذا زمان الدجل والزندقة والالحاد حمانا الله واياكم من ذلك والله اعلم

يفعل بالانس لان الله يقول (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا)[١] وقال تعالى (يا معشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا)[٢] ولهذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل حيات البيوت حتى تؤذن ثلاثا كما فى صحيح مسلم وغيره عن أبى سعيد الخدرى « قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بالمدينة نفراً من الجن قد أسلموا فمن رأى شيئاً من هذه العوامر فليؤذنه ثلاثا فان بدا له بعد فليقتله فانه شيطان » وفى صحيح مسلم أيضاً عن أبى السائب مولى هشام بن زهرة « أنه دخل على أبى سعيد الخدرى فى بيته قال فوجدته يصلى فجلست أنتظره حتى يقضى صلاته فسمعت تحريكا فى عراجين فى ناحية البيت فالتفت فاذا حية فوثبت لأقتلها فأشار الىّ أن اجلس فجلست فلما انصرف أشار الى بيت فى الدار فقال أترى هذا البيت ففات نعم فقال كان فيه فتى منا حديث عهد بعرس قال فخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الخندق فكان ذلك الفتى يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنصاف النهار فيرجع الى أهله فاستأذنه يوماً فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خذ عليك سلاحك فانى أخشى عليك قريظته فأخذ الرجل سلاحه ثم رجع فاذا امرأته بين البابين قائمة فأهوى اليها بالرمح ليطعنها به وأصابته غيرة فقالت اكفف عليك رمحك وادخل البيت حتى تنظر ما الذي أخرجنى فدخل فاذا بحية عظيمة منطوية على الفراش فأهوى اليها بالرمح فانتظمها به ثم خرج فركزه فى الدار فاضطربت عليه فما يدرى أيهما كان أسرع موتا الحية

١ ـ الاسراء ١٥
٢ ـ الأنعام ١٣٠

ام الفتى قال فجئنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا له ذلك وقلنا ادع الله يحييه لنا قال استغفروا لصاحبكم ثم قال ان بالمدينة جناً قد أسلموا فاذا رأيتم منهم شيئاً فأذنوه ثلاثة أيام فان بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فانما هو شيطان » وفى لفظ آخر لمسلم أيضا « فقال رسول ألله صلى الله عليه وسلم ان لهذه البيوت عوامر فاذا رأيتم شيئا منها فحرجوا عليه ثلاثا فان ذهب والا فاقتلوه فانه كافر » وقال لهم اذهبوا فادفنوا صاحبكم

وذلك ان قتل الجن بغير حق لا يجوز كما لا يجوز قتل الانس بلا حق والظلم محرم فى كل حال فلا يحل لأحد أن يظلم أحداً ولو كان كافراً بل قال تعالى (ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى)[1] والجن يتصورون فى صور الانس والبهائم فيتصورون فى صور الحيات والعقارب وغيرها : وفى صور الابل والبقر والغنم والخيل والبغال والحمير وفى صور الطير وفى صور بنى آدم كما أتى الشيطان قريشا فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم لما أرادوا الخروج الى بدر قال تعالى (واذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم)[2] الى قوله (والله شديد العقاب) وكما روى أنه تصور فى صورة شيخ نجدى لما اجتمعوا بدار الندوة (١) هل

١ ـ المائدة ٨
٢ ـ الأنفال ٤٨

(١) وحاصله على ماحكاه اصحاب السير: ان قريشا لما رأت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كانت له شيعة وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين اليهم عرفوا انهم قد نزلوا داراً وأصابوا سعة فحذروا خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفوا انه

قد أجمع لحربهم فاجتمعوا له في دار الندوة وهي دار قصي بن كلاب التي كانت قريش لا تقضي أمراً الا فيها يتشاورون فيها ما يصنعون في امر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خافوه قال ابن اسحق فحدثني من لا اتهم من أصحابنا عن عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد بن جبر أبي الحجاج وغيره ممن لا أتهم عن ابن عباس قال لما اجتمعوا لذلك واتعدوا أن يدخلوا دار الندوة ليتشاوروا فيها في امر رسول الله صلى الله عليه وسلم عدوا في اليوم الذي اتعدوا له وكان ذلك اليوم يسمى يوم الرحمة فاعترضهم ابليس في صورة شيخ جليل عليه بتلة فوقف على باب الدار فلما رأوه واقفاً على بابها قالوا من الشيخ فقال شيخ من أهل نجد سمع بالذي اتعدتم له فحضر معكم ليسمع ما تقولون وعسى أن لا يعدمكم منه رأيا ونصحاً قالوا أجل فادخل فدخل وقد اجتمع فيها أشراف قريش: من بني عبد شمس عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو سفيان بن حرب ومن بني نوفل بن عبد مناف طعيمة بن عدي وجبير بن مطعم والحارث بن عمرو بن نوفل: ومن بني عبد الدار بن قصي النضر بن الحارث بن كلدة: ومن بني أسد بن عبد العزى أبو البختري ابن هشام وزمعة بن الأسود وحكيم بن حزام: ومن بني مخزوم أبو جهل ابن هشام: ومن بني سهم نبيه ومنبه ابنا الحجاج: ومن بني جمح أمية بن خلف ومن كان منهم ومن غيرهم ممن لا يعد من قريش فقال بعضهم لبعض ان هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم وانا والله لا نأمن من الوثوب علينا بمن قد اتبعه من غيرنا فاجمعوا فيه رأيا قال فتشاوروا ثم قال قائل منهم احبسوه في الحديد وأغلقوا عليه بابا ثم تربصوا به ما أصاب اشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله زهير والنابغة ومن مضى منهم من هذا الموت حتى يصيبه ما اصابهم فقال الشيخ النجدى لا والله ما هذا لكم برأي والله ان حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب الذي اغلقتم دونه الى اصحابه فلا يوشك ان يثبوا عليكم فينتزعوه من ايديكم ثم يكاثروكم حتى يغلبوكم على أمركم ما هذا لكم برأي فانظروا في غيره فتشاوروا ثم قال قائل منهم نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا فاذا خرج عنا فوالله ما نبالي اين ذهب ولا حيث وقع اذا غاب عنا وفرغنا منه أصلحنا أمرنا وألفتنا كما كانت فقال الشيخ النجدي والله ما هذا لكم برأي ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به والله لو فعلتم ذلك ما أمنت أن يحل على حي من العرب فيغلب بذلك عليهم من قوله وحديثه حتى يبايعوه عليه ثم يسير بهم اليكم حتى يطأكم بهم فيخرج امركم من ايديكم ثم يفعل بكم ما أراد فاروا فيه رأيا غير هذا قال فقال أبو جهل بن هشام والله ان لى لرأيا ما أراكم وقفتم عليه بعد قالوا وما هو يا أبا الحكم قال أرى أن تأخذوا من كل قبيلة فتى شابا جلداً نسيبا وسطا ثم نعطى كل فتى منهم سيفا صارما ثم يعمدوا اليه فيضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه فانهم اذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعا فلم تقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا فرضوا منا بالعقل فعقلناه لهم قال يقول الشيخ النجدى القول ما قال الرجل هذا الرأي لا أرى غيره فتفرق القوم على ذلك وهم مجمعون له فأتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تبيت الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه قال فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فيثبون عليه فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانهم قال لعلي بن أبي طالب نم على فراشي وتوشح ببردي هذا الاخضر فنم فيه فانه لن يخلص اليك شيء تكرهه منهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقتلوا الرسول أو يحبسوه أو يخرجوه كما قال تبارك وتعالى (واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أويخرجوك ويمكرون ويمكرالله والله خير الماكرين)[١] فاذا كان حيّات البيوت قد تكون جنا فتؤذن ثلاثا فان ذهبت والا قتلت فانها ان كانت حية قتلت وان كانت جنية فقد أصرت على العدوان بظهورها للانس فى صورة حية تفزعهم بذلك والعادى هو الصائل الذى يجوز دفعه بما يدفع ضرره ولو كان قتلا وأما قتلهم بدون سبب يبيح ذلك فلا يجوز :

وأهل العزائم والأقسام يقسمون على بعضهم ليعينهم على بعض تارة يبرون قسمه وكثيراً لايفعلون ذلك بان يكون ذلك الجنى معظما

١ ـ الأنفال ٣٠

ينام فى برده ذلك اذا نام فحدثنى يزيد بن زياد عن محمد بن كعب قال لما أجمعوا له وفيهم أبو جهل ابن هشام فقال وهم على بابه ان محمداً يزعم انكم ان بايعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم ثم بعثتم من بعد موتكم فجعلت لكم جنان كجنان الاردن وان لم تفعلوا كان له فيكم ذبح ثم بعثتم من بعد موتكم فجعلت لكم نار تحرقون فيها قال وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم فاخذ حفنة من تراب فى يده ثم قال نعم انا اقول ذلك أنت أحدهم وأخذ الله ابصارهم عنه فلا يرونه فجعل ينثر التراب على رؤسهم وهو يتلو هذه الآيات يس الى فهم لا يبصرون ولم يبق رجل الاوقد وضع على رأسه ترابا وانصرف الى حيث أراد أن يذهب فأتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال وما تنتظرون ههنا قالوا محمداً قال قد خيبكم الله قد والله خرج عليكم محمد وما ترك أحدا منكم الا وضع على رأسه ترابا وانطلق لحاجته فما ترون مابكم قال فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فاذا عليه تراب ثم جعلوا يتطلعون فيرون علياً على الفراش متشحا ببرد النبى صلى الله عليه وسلم فيقولون والله ان هذا لمحمد نائما عليه برده فلم يزالوا كذلك حتى أصبحوا فقام على عن الفراش فقالوا والله لقد صدقنا الذى كان حدثنا فكان مما أنزل الله تعالى من القرآن فى ذلك (واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) وقول الله تعالى (أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون قل تربصوا فانى معكم من المتربصين) *وسبب اختيار ابليس للتزى بشيخ نجدى هو ان قريشا قالوا لايدخل معكم فى المشاورة احد من اهل تهامة لان هو اهم مع محمد صلى الله عليه وآله وسلم والله اعلم

عندهم وليس المعزم وعزيمته من الحرمة مايقتضى اعانتهم على ذلك اذ كان المعزم قد يكون بمنزلة الذى يحلف غيره ويقسم عليه بمن يعظمه وهذا يختلف أحواله فمن أقسم على الناس ليؤذوا من هو عظيم عندهم لم يلتفتوا اليه وقد يكون ذلك منيعا فاحوالهم شبيهة بأحوال الانس لكن الانس أعقل وأصدق وأعدل وأوفى بالعهد : والجن أجهل وأكذب وأظلم وأغدر :

والمقصود أن أرباب العزائم مع كون عزائمهم تشتمل على شرك وكفر لا تجوز العزيمة والقسم به فهم كثيراً يعجزون عن دفع الجنى وكثيراً ماتسخر منهم الجن اذا طلبوا منهم قتل الجنى الصارع للانس أوحبسه فيخيلوا اليهم أنهم قتلوه أوحبسوه ويكون ذلك تخييلا وكذبا هذا اذا كان الذي يرى مايخيلونه صادقا فى الرؤية فان عامة مايعرفونه لمن يريدون تعريفه اما بالمكاشفة والمخاطبة ان كان من جنس عباد المشركين وأهل الكتاب ومبتدعة المسلمين الذين يضلهم الجن والشياطين : واما مايظهرونه لاهل العزائم والأقسام أنهم يمثلون ما يريدون تعريفه فاذا رأى المثال أخبر عن ذلك وقد يعرف انه مثال وقد يوهمونه أنه نفس المرئى واذا أرادوا سماع كلام من يناديه من مكان بعيد مثل من يستغيث ببعض العباد الضالين من المشركين وأهل الكتاب وأهل الجهل من عباد المسلمين اذا استغاث به بعض محبيه فقال ياسيدى فلان فان الجنى يخاطبه بمثل صوت ذلك الانسى فاذا رد الشيخ عليه الخطاب اجاب ذلك الانسى بمثل ذلك الصوت وهذا وقع لعدد كثير أعرف منهم طائفة :

فصل

وكثيرا ما يتصور الشيطان بصورة المدعو المنادى المستغاث به اذا كان ميتا وكذلك قد يكون حيا ولا يشعر بالذى ناداه بل يتصور الشيطان بصورته فيظن المشرك الضال المستغيث بذلك الشخص أن الشخص نفسه أجابه وانما هو الشيطان وهذا يقع للكفار المستغيثين بمن يحسنون به الظن من الأموات والأحياء كالنصارى المستغيثين بجرجس وغيره من قداديسهم ويقع لاهل الشرك والضلال من المنتسبين الى الاسلام الذين يستغيثون بالموتى والغائبين يتصور لهم الشيطان فى صورة ذلك المستغاث به وهو لا يشعر : واعرف عددا كثيرا وقع لهم فى عدة أشخاص يقول لى كل من الاشخاص انى لم أعرف ان هذا استغاث بى والمستغيث قد رأى ذلك الذى هو على صورة هذا وما أعتقد انه الا هذا : وذكر لى غير واحد انهم استغاثوا بى كل يذكر قصة غير قصة صاحبه فاخبرت كلا منهم انى لم أجب أحدا منهم ولا علمت باستغاثته فقيل هذا يكون ملكا فقلت الملك لا يغيث المشرك انما هو شيطان أراد ان يضله : وكذلك يتصور بصورته ويقف بعرفات فيظن من يحسن به الظن أنه وقف بعرفات وكثير منهم حمله الشيطان الى عرفات أو غيرها من الحرم فيتجاوز الميقات بلا احرام ولا تلبية ولا يطوف بالبيت ولا بالصفا والمروة وفيهم من لا يعبر مكة وفيهم من يقف بعرفات ويرجع ولا يرمى الجمار الى أمثال ذلك من الأمور التى يضلهم بها الشيطان

حيث فعلوا ماهو منهى عنه فى الشرع اما محرم واما مكروه ليس بواجب ولا مستحب وقد زين لهم الشيطان ان هذا من كرامات الصالحين وهو من تلبيس الشيطان فان الله لا يعبد الا بما هو واجب او مستحب وكل من عبد عبادة ليست واجبة ولا مستحبة وظنها واجبة او مستحبة فانما زين ذلك له الشيطان وان قدر انه عفى عنه لحسن قصده واجتهاده لكن ليس هذا مما يكرم الله به أولياءه المتقين اذ ليس فى فعل المحرمات والمكروهات اكرام بل الاكرام حفظه من ذلك ومنعه منه فان ذلك ينقصه لا يزيده وان لم يعاقب عليه بالعذاب فلا بد ان يخفضه عما كان ويخفض اتباعه الذين يمدحون هذه الحال ويعظمون صاحبها فان مدح المحرمات والمكروهات وتعظيم صاحبها هو من الضلال عن سبيل الله وكلما ازداد العبد فى البدع اجتهادا ازداد من الله بعداً لانها تخرجه عن سبيل الله سبيل الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين الى بعض سبيل المغضوب عايهم والضالين

فصل

اذا عرف الأصل فى هـذا الباب فنقول يجوز بل يستحب وقد يجب أن يذب عن المظلوم وأن ينصر فان نصر المظلوم مأمور به بحسب الامكان : وفى الصحيحين حديث البرآء بن عازب قال « أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع ونهانا عن سبع أمرنا بعيادة المريض واتباع الجنازة وتشميت العاطس وابرار القسم أو المقسم ونصر المظلوم واجابة

الداعى وافشاء السلام ونهـانا عن خواتيم أو تختم الذهب وعن شرب بالفضة وعن المياثر وعن القسى ولبس الحرير والاستبرق والديباج » وفى الصحيح عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنصر أخاك ظالما أو مظلوما قلت يارسول الله انصره مظلوما فكيف أنصره ظالما قال تمنعه من الظلم فذلك نصرك اياه » وأيضا ففيه تفريج كربة هذا المظلوم : وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه » : وفى صحيح مسلم أيضا عن جابر « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن الرقى قال من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل » لكن ينصر بالعدل كما أمر الله ورسوله مثل الأدعية والاذكار الشرعية ومثل أمر الجنى ونهيه كما يؤمر الانسى وينهى ويجوز من ذلك مايجوز مثله فى حق الانسى مثل أن يحتاج الى انتهار الجنى وتهديده ولعنه وسبه كما ثبت فى صحيح مسلم عن أبى الدرداء « قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعناه يقول أعوذ بالله منك ثم قال ألعنك بلعنة الله ثلاثا وبسط يده كأنه يتناول شيئا فلما فرغ من الصلاة قلنا يارسول الله قد سمعناك تقول فى الصلاة شيئا لم نسمعك تقوله قبل ذلك ورأيناك بسطت يدك قال ان عدو الله ابليس جاء بشهاب من نار ليجعله فى وجهى فقلت أعوذ بالله منك ثلاث مرات ثم قلت ألعنك بلعنة الله التامة

فلم يستأخر ثلاث مرات ثم أردت آخذه ووالله لولا دعوة أخينا سليمان لاصبح موثقا يلعب به ولدان أهل المدينة » فى هذا الحديث الاستعاذة منه ولعنته بلعنة الله ولم يستأخر بذلك فمد يده اليه . وفى الصحيحين عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم « قال ان الشيطان عرض لى فشد علىّ ليقطع الصلاة على فامكننى الله منه فذعته ولقد هممت أن أوثقه الى سارية حتى تصبحوا فتنظروا اليه فذكرت قول أخى سليمان رب هب لى ملكا لاينبغى لاحد من بعدى فرده الله خاسئا » . فهذا الحديث يوافق الأول ويفسره : وقوله « ذعته » أى خنقته(١) فبين ان مد اليد كان لخنقه وهذا دفع لعدوانه بالفعل وهو الخنق وبه اندفع عدوانه فرده الله خاسئا :

وأما الزيادة وهو ربطه الى السارية فهو من باب التصرف الملكى الذى تركه لسليمان فان نبينا صلى الله عليه وسلم كان يتصرف فى الجن كتصرفه فى الانس تصرف عبد رسول يأمرهم بعبادة الله وطاعته لا يتصرف لأمر يرجع اليه وهو التصرف الملكى فانه كان عبداً رسولا وسليمان نبي ملك والعبد الرسول أفضل من النبي الملك كما ان السابقين المقربين أفضل من عموم الأبرار أصحاب اليمين : وقد روى النسائى على

---

(١) قوله « فذعته » الفاء للعطف وذعته بالذال المعجمة فعل ماض للمتكلم وحده وهو الخنق كما فسره المصنف : وروى فدعته من الدع بالدال والعين المهملتين وهو الدفع : ومنه قوله تعالى (يوم يدعون الى نار جهنم دعا) أى يدفعون والله أعلم

شرط البخارى عن عائشة «ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلى فأتاه الشيطان فأخذه فصرعه فخنقه قال رسول الله صلى الله عايه وسلم حتى وجدت برد لسانه على يدى ولولا دعوة سليمان لأصبح موثقاً حتى يراه الناس » ورواه احمد وأبو داود من حديث أبي سعيد وفيه «فأهويت بيدى فما زلت أخنقه حتى وجدت برد لعابه بين أصبعى هاتين الابهام والتى تليها » وهذا فعله فى الصلاة وهذا مما احتج به العلماء على جواز مثل هذا فى الصلاة وهو كدفع المار وقتل الاسودين والصلاة حال المسايفة :

وقد تنازع العلماء فى شيطان الجن اذا مر بين يدى المصلى هل يقطع على قولين هما قولان فى مذهب احمد كما ذكرهما ابن حامد وغيره أحدهما يقطع لهذا الحديث ولقوله لما أخبر أن مرور الكلب الأسود فقال الكلب الأسود شيطان فعلل بأنه شيطان : وهو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فان الكلب الاسود شيطان الكلاب » والجن تتصور بصورته كثيرا وكذلك بصورة القط الأسود لان السواد أجمع للقوى الشيطانية من غيره وفيه قوة الحرارة :

ومما يتقرب به الى الجن الذبائح فان من الناس من يذبح للجن وهو من الشرك الذى حرمه الله ورسوله وروى أنه نهى عن ذبائح الجن واذا برىء المصاب بالدعاء والذكر وأمر الجن ونهيهم وانتهارهم وسبهم ولعنهم ونحو ذلك من الكلام حصل المقصود وان كان ذلك يتضمن مرض طائفة من الجن أو موتهم فهم الظالمون لأنفسهم اذا كان الراقى الداعى المعالج لم يتعد عليهم كما يتعدى عليهم كثير من أهل العزائم

فيأمرون بقتل من لا يجوز قتله وقد يحبسون من لا يحتاج الى حبسه : ولهذا قد تقاتلهم الجن على ذلك ففيهم من يقتله الجن أو يمرضه : وفيهم من يفعل ذلك بأهله وأولاده أو دوابه :

وأما من سلك فى دفع عداوتهم مسلك العدل الذى أمر الله به ورسوله فانه لم يظلمهم بل هو مطيع لله ورسوله فى نصر المظلوم واغاثة الملهوف والتنفيس عن المكروب بالطريق الشرعى التى ليس فيها شرك بالخالق ولا ظلم للمخلوق : ومثل هذا لا تؤذيه الجن اما لمعرفتهم بأنه عادل واما لعجزهم عنه : وان كان الجن من العفاريت وهو ضعيف فقد تؤذيه فينبغى لمثل هذا أن يحترز بقراءة العوذ مثل آية الكرسى والمعوذات والصلاة والدعاء ونحو ذلك مما يقوى الايمان ويجنب الذنوب التى بها يسلطون عليه فانه مجاهد فى سبيل الله : وهذا من أعظم الجهاد فليحذر أن ينصر العدو عليه بذنوبه وان كان الامر فوق قدرته فلا يكلف الله نفساً الا وسعها فلا يتعرض من البلاء لما لا يطيق :

ومن أعظم ما ينتصر به عليهم آية الكرسى فقد ثبت فى صحيح البخارى حديث أبي هريرة قال « وكلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان فأتانى آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته وقلت لا رفعنك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انى محتاج وعلىّ عيال (١) ولى حاجة شديدة قال فخليت عنه فأصبحت فقال رسول الله صلى الله

(١) قوله « وعلى عيال » أي نفقة عيال كما فى قوله تعالى (واسأل القرية) وقيل على بمعنى لى :

عليه وسلم ياأبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة قلت يارسول الله شكى حاجة شديدة وعيالا فرحمته وخليت سبيله قال اما أنه قد كذبك وسيعود فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فرصدته فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت لارفعنك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دعنى فانى محتاج وعلى عيال لا أعود فرحمته فخليت سبيله فاصبحت فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ياأبا هريرة مافعل أسيرك قلت يارسول الله شكى حاجة وعيالا فرحمته فخليت سبيله قال اما أنه قد كذبك وسيعود فرصدته الثالثة فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت لارفعنك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا آخر ثلاث مرات انك تزعم لاتعود ثم تعود قال دعنى أعلمك كلمات ينفعك الله بها قلت ماهن قال اذا أويت الى فراشك فاقرأ آية الكرسى الله لااله الاهو الحى القيوم حتى تختم الآية فانك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح فخليت سبيله فاصبحت فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعل أسيرك البارحة قلت يارسول الله زعم أنه يعلمنى كلمات ينفعنى الله بها فخليت سبيله قال ماهى قلت قال لى اذا أويت الى فراشك فاقرأ آية الكرسى من أولها حتى تختم الآية الله لااله الا هو الحى القيوم وقال لى لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح وكانوا أحرص شىء على الخير فقال النبى صلى الله عليه وسلم اما أنه قد صدقك وهو كذوب تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال ياأبا هريرة قلت لا قال ذاك شيطان » .

ومع هذا فقد جرب المجربون الذين لا يحصون كثرة أن لهامن التأثير فى دفع الشياطين وابطال أحوالهم مالا ينضبط من كثرته وقوته فان لها تأثيرا عظيما فى دفع الشيطان عن نفس الانسان وعن المصروع وعن من تعينه الشياطين مثل أهل الظلم والغضب وأهل الشهوة والطرب وأرباب السماع المكاء والتصدية اذا قرئت عليهم بصدق دفعت الشياطين وبطلت الأمور التى يخيلها الشيطان ويبطل ما عند اخوان الشياطين من مكاشفة شيطانية وتصرف شيطانى اذ كانت الشياطين يوحون الى أوليائهم بامور يظنون الجهال من كرامات أولياء الله المتقين وانما هى من تلبيسات الشياطين على أوليائهم المغضوب عليهم والضالين

والصائل المعتدى يستحق دفعه سواء كان مسلما أو كافراً : وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم من قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون دمه فهو شهيد ومن قتل دون دينه فهو شهيد فاذا كان المظلوم له أن يدفع عن مال المظلوم ولو بقتل الصائل العادى فكيف لا يدفع عن عقله وبدنه وحرمته فان الشيطان يفسد عقله ويعاقبه فى بدنه وقد يفعل معه فاحشة أنسى بأنسى وان لم يندفع الا بالقتل جاز قتله : وأما اسلام صاحبه والتخلى عنه فهو مثل اسلام أمثاله من المظلومين وهذا فرض على الكفاية مع القدرة : ففى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال «المسلم أخو المسلم لا يسلمه ولا يظلمه»(١) فان كان عاجزاً عن

(١) وقوله «ولا يسلمه» بسين مهملة اى لا يتركه مع من يؤذيه ولا فيما يؤذيه بل ينصره و يدفع عنه :

ذلك أو هو مشغول بما هو أوجب منه أو قام به غيره لم يجب وان كان قادرا وقد يعين عليه ولايشغله عما هو أوجب منه وجب عليه

وأما قول السائل هل هذا مشروع فهذا من أفضل الاعمال وهو من أعمال الأنبياء والصالحين فانه مازال الانبياء والصالحون يدفعون الشياطين عن بنى آدم بما أمر الله به ورسوله كما كان المسيح يفعل ذلك وكما كان نبينا صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك فقد روى احمد فى مسنده وأبو داود فى سننه من حديث مطر بن عبد الرحمن الأعنق «قال حدثتنى أم أبان بنت الوازع بن زارع بن عامر العبدى عن أبيها أن جدها الزارع انطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق معه بابن له مجنون أوابن أخت قال جدى فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت ان معى ابنا لى أوابن أخت لى مجنون أتيتك به تدعو الله له قال أئتنى به قال فانطلقت به اليه وهو فى الركاب فاطلقت عنه والقيت عليه ثياب السفر والبسته ثوبين حسنين وأخذت بيده حتى انتهيت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ادنه منى اجعل ظهره مما يلينى قال بمجامع ثوبه من أعلاه وأسفله فجعل يضرب ظهره حتى رأيت بياض ابطيه ويقول أخرج عدو الله أخرج عدو الله فاقبل ينظر نظر الصحيح ليس بنظره الاول ثم أقعده رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه فدعا له بماء فمسح وجهه ودعا له فلم يكن فى الوفد أحد بعد دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم يفضل عليه» وقال احمد فى المسند ثنا عبد الله بن نمير عن عثمان بن حكيم انا عبد الرحمن بن عبد العزيز

عن يعلى بن مرة « قال لقد رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا ماراآها أحد قبلى ولا يراها أحد بعدى لقد خرجت معه فى سفر حتى اذا كنا ببعض الطريق مررنا بامرأة جالسة معها صبى لها فقالت يارسول الله هذاصبي أصابه بلاء وأصابنا منه بلاء يؤخذ فى اليوم ماأدرى كم مرة قال ناولينيه فرفعته اليه فجعلته بينه وبين واسطة الرحل ثم فغرفاه فنفث فيه ثلاثا وقال بسم الله أنا عبد الله اخسأ عدو الله ثم ناولها اياه فقال القينا فى الرجعة فى هذا المكان فاخبرينا مافعل قال فذهبنا ورجعنا فوجدناها فى ذلك المكان معها شياه ثلاث فقال مافعل صبيك فقالت والذى بعثك بالحق ماحسنا منه شيئا حتى الساعة فاجتزر هذه الغنم قال انزل خذ منها واحدة ورد البقية » وذكر الحديث بتمامه « ثنا وكيع قال ثنا الاعمش عن المنهال بن عمرو عن يعلى بن مرة عن أبيه قال وكيع مرة يعنى الثقفى ولم يقل مرة عن أبيه « أن امرأة جاءت الى النبى صلى الله عليه وسلم معها صبى لها به لمم فقال النبى صلى الله عليه وسلم أخرج عدو الله أنا رسول الله قال فبرأ قال فاهدت اليه كبشين وشيئا من أقط وشيئا من سمن قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذ الأقط والسمن وخذ أحد الكبشين ورد عليها الآخر » ثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن عطاء بن السائب عن عبد الله بن حفص عن يعلى بن مرة الثقفى قال « ثلاثة أشياء رأيتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم » وذكر الحديث وفيه قال « ثم سرنا فمررنا بماء فأتته امرأة بابن لها به جنة فاخذ النبى صلى الله عليه وسلم بمنخره فقال اخرج انى محمد رسول الله قال ثم سرنا فلما

رجعنا من سفرنا مررنا بذلك الماء فأتته المرأة بجزر ولبن فامرها ان ترد الجزر وأمر أصحابه فشربوا من اللبن فسألها عن الصبي فقالت والذى بعثك بالحق مارأينا منه ريبا بعدك » ولو قدر انه لم ينقل ذلك لكون مثله لم يقع عند الانبياء لكون الشياطين لم تكن تقدر تفعل ذلك عند الانبياء وفعلت ذلك عندنا فقد أمرنا الله ورسوله من نصر المظلوم والتنفيس عن المكروب ونفع المسلم بما يتناول ذلك : وقد ثبت فى الصحيحين حديث الذين رقوا بالفاتحة وقال النبي صلى الله عليه وسلم « وما أدراك انها رقية » وأذن لهم فى أخذ الجعل على شفاء اللديغ بالرقية وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم للشيطان الذى أراد قطع صلاته «أعوذ بالله منك ألعنك بلعنة الله التامة ثلاث مرات » وهذا كدفع ظالمى الانس من الكفار والفجار فان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وان كانوا لم يقروا (١) الترك ولم يكونوا يرمون بالقسى الفارسية ونحوها مما يحتاج اليه فى قتال فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أمر بقتالهم وأخبر أن أمته ستقاتلهم ومعلوم أن قتالهم النافع انما هو بالقسى الفارسية ولكن قوتلوا بالقسى العربية التى تشبه قوس القطن لم تغن شيئا بل استطالوا على المسلمين بقوة رميهم فلا بد من قتالهم بما يقهرهم : وقد قال بعض المسلمين لعمر بن الخطاب ان العدو اذا رأيناهم قد لبسوا الحرير وجدنا فى قلوبنا روعة فقال وأنتم فالبسوا كما لبسوا وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه فى عمرة القضية بالرمل والاضطباع ليرى المشركين قوتهم

(١) هكذا الاصل وهو غير ظاهر ولعله لم يروا الترك

وان لم يكن هذا مشروعا قبل هذا ففعل لاجل الجهاد مالم يكن مشروعا بدون ذلك ولهذا قد يحتاج فى ابراء المصروع ودفع الجن عنه الى الضرب فيضرب ضربا كثيراً جداً والضرب انما يقع على الجنى ولا يحس به المصروع حتى يفيق المصروع ويخبرانه لم يحس بشىء من ذلك ولا يؤثر فى بدنه ويكون قد ضرب بعصا قوية على رجليه نحو ثلثمائة واربعمائة ضربة وأكثر وأقل بحيث لو كان على الانسى لقتله وانما هو على الجنى والجني يصيح ويصرخ ويحدث الحاضرين بأمور متعددة كما قد فعلنا نحن هذا وجربناه مرات كثيرة يطول وصفها بحضرة خلق كثيرين (١)

---

(١) قال العلامة شمس الدين ابن القيم في الهدي النبوي: بعد ماأورد الادلة مانصه وشاهدت شيخنا يرسل الى المصروع من يخاطب الروح التى فيه ويقول قال لك الشيخ اخرجي فان هذا لا يحل لك فيفيق المصروع وربما خاطبها بنفسه وربما كانت الروح ماردة فيخرجها بالضرب فيفيق المصروع ولايحس بألم وقد شاهدنا نحن وغيرنا منه ذلك مرارا وكان كثيرا مايقرأ فى اذن المصروع (افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون) وحدثني انه قرأها مرة في اذن المصروع فقالت الروح نعم ومد بها صوته قال فاخذت له عصا وضربته بها فى عروق عنقه حتي تخلت يداي من الضرب ولم يشك الحاضرون بانه يموت لذلك الضرب ففى اثناء الضرب قالت انا احبه فقلت لها هو لا يحبك قالت انا اريد ان احج به فقلت لها هو لا يريد ان يحج معك فقالت انا ادعه كرامة لك قال قلت لا ولكن طاعة لله ولرسوله قالت فانا اخرج منه قال فقعد المصروع يلتفت يمينا وشمالا وقال ماجاء بى الى حضرة الشيخ قالوا له وهذا الضرب كله فقال وعلى اي شيء يضربني الشيخ ولم اذنب ولم يشعر بانه وقع به ضرب ألبتة وكان يعالج بآية الكرسي وكان يأمر بكثرة قراءة المصروع ومن يعالجه لها وبقراءة المعوذتين بالجملة فهذا النوع من الصرع وعلاجه لا ينكره الا قليل الحظ من العلم والعقل

وأما الاستعانة عليهم بما يقال ويكتب مما لا يعرف معناه فلا يشرع لاسيما ان كان فيه شرك فان ذلك محرم : وعامة مايقوله أهل العزائم فيه شرك وقد يقرؤن مع ذلك شيئا من القرآن ويظهرونه ويكتمون مايقولونه من الشرك وفى الاستشفاء بما شرعه الله ورسوله مايغنى عن الشرك وأهله والمسلمون وان تنازعوا فى جواز التداوى بالمحرمات كالميتة والخنزير (١) فلا يتنازعون فى أن الكفر والشرك لايجوز التداوى به

والمعرفة وأكثر تسلط الارواح الخبيثة على اهله تكون من جهة قلة دينهم وخراب قلوبهم والسنتهم من حقائق الذكر والتعاويذ والتحصنات النبوية والايمانيـة فتلقى الروح الخبيثة الرجل اعزل لاسلاح معه وربما كان عريانا فيؤثر فيه هذا ولو كشف الغطاء لرايت اكثر النفوس البشرية صرعى مع هذه الارواح الخبيثة وهى فى اسرها وقبضتها تسوقها حيث شاءت ولا يمكنها الامتناع عنها ولا مخالفتها وبها الصرع الاعظم الذي لا يفيق صاحبه الا عند المفارقة والمعاينة فهناك يتحقق انه كان هو المصروع حقيقة وبالله المستعان: وعلاج هـذا الصرع باقتران العقل الصحيح الى الايمان بما جاءت به الرسل وان تكون الجنة والنار نصب عينيه وقبلة قلبه ويستحضر اهل الدنيا وحلول المثولات والآفات بهم ووقوعها خلال ديارهم كمواقع القطر وهم صرعي لايفيقون وما اشد اعداء هذا الصرع ولكن لما عمت البليـة به بحيث لا يري الا مصروعا لم يصر مستغربا ولا مستنكرا بل صار لكثرة المصروعين عين المستنكر المستغرب خلافه فاذا اراد الله بعبد خيرا افاق من هـذه الصرعة ونظر الى ابناء الدنيـا مصروعين حوله يمينا وشمالا على اختلاف طبقاتهم فمنهم من اطبق به الجنون ومنهم من يفيق احيانا قليلة ويعود الى جنونه ومنهم من يفيق مرة ويجن اخرى فاذا افاق عمل عمل اهل الافاقة والعقل ثم يعاوده الصرع فيقع فى التخبيط :

(١) وقد بسطنا الكلام عليه فى تعليقنا على احكام الاحكام شرح عمـدة

بحال لان ذلك محرم فى كل حال وليس هذا كالتكلم به عند الاكراه فان ذلك انما يجوز اذا كان قلبه مطمئنا بالايمان والتكلم به انما يؤثر اذا كان بقلب صاحبه ولو تكلم به مع طمأنينة قلبه بالايمان لم يؤثر : والشيطان اذا عرف أن صاحبه مستخف بالعزائم لم يساعده : وايضا فان المكره مضطر الى التكلم به ولاضرورة الى ابراء المصاب به لوجهين أحدهما أنه قد لايؤثر اكثر مما يؤثر من يعالج بالعزائم فلا يؤثر بل يزيده شرا والثانى أن فى الحق مايغنى عن الباطل

والناس فى هذا الباب ثلاثة أصناف قوم يكذبون بدخول الجنى فى الانس وقوم يدفعون ذلك بالعزائم المذمومة فهؤلاء يكذبون بالموجود وهؤلاء يعصون بل يكفرون بالمعبود والأمة الوسط تصدق بالحق الموجود وتؤمن بالاله الواحد المعبود وبعبادته ودعائه وذكره وأسمائه وكلامه فتدفع شياطين الانس والجن

وأما سؤال الجن وسؤال من يسألهم فهذا ان كان على وجه التصديق لهم فى كل مايخبرون به والتعظيم للمسؤل فهو حرام كما ثبت فى صحيح مسلم وغيره عن معاوية بن الحكم السلمى قال « قلت يا رسول الله اموراً كنا نصنعها فى الجاهلية كنا نأتى الكهان قال فلا يأتوا الكهان » وفى صحيح مسلم أيضا عن عبيد الله عن نافع عن صفية عن بعض أزواج النبى صلى الله عليه وسلم عن النبى صلى الله عليه وسلم « قال

الاحكام للعلامة ابن دقيق العيد فى البيوع واوردنا اقوال العلماء فى ذلك وراجحها من مرجوحها فارجع اليه : والله أعلم

من أتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين يوما »

واما ان كان يسأل المسئول ليمتحن حاله ويختبر باطن امره وعنده مايميز به صدقه من كذبه فهذا جائز كما ثبت فى الصحيحين « أن النبى صلى الله عليه وسلم سأل ابن صياد فقال مايأتيك فقال يأتينى صادق وكاذب قال ماترى قال أرى عرشا على الماء قال فانى قدخبأت لك خبيئا قال الدخ الدخ قال اخسأ فلن تعدو قدرك فانما أنت من اخوان الكهان »(١) وكذلك اذا كان يسمع مايقولونه ويخبرون به عن الجن كما يسمع المسلمون ما يقول الكفار والفجار ليعرفوا ما عندهم فيعتبروا به وكما يسمع خبر الفاسق ويتبين ويثبت فلا يجزم بصدقه ولا كذبه الا ببينة كما قال تعالى (ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا)[١] وقد ثبت فى صحيح البخارى عن أبى هريرة أن أهل الكتاب كانوا يقرؤن التوراة ويفسرونها

١ ـ الحجرات ٦

(١) ابن صياد مشهور كان من اليهود وكان يدعي الكهانة فى زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل البلوغ ويتعاطى كلام الغيب فامتحنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليعلم حقيقة حاله ويظهر أمره الباطل للصحابة وانه كاهن ساحر يأتيه الشيطان فيلقي على لسانه ما يلقيه الشياطين للكهنة : وقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم خبأت لك خبيئا على وزن فعيل ويروى خبأت لك خبأ على وزن فعل وكلاهما صحيح بمعنى الشيء الغائب المستور اى اضمرت لك سورة الدخان : فقال ابن صياد للنبي صلى الله عليه واله وسلم الدخ بضم الدال فلم يستطع ابن صياد ان يتم الكلمة ولم يهتد من الآية الكريمة الا لهذين الحرفين على عادة الكهان من اختطاف بعض الكلمات من أوليائهم من الجن او من هواجس النفس ولهذا قال له النبي صلى الله عليه واله وسلم اخسأ فلن تعدو قدرك أى لست بنبي ولن تتجاوز قدرك وانما انت كاهن : والله اعلم

بالعربية فقال النبي صلى الله عليه وسلم « اذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم فاما أن يحدثوكم بحق فتكذبوه واما أن يحدثوكم بباطل فتصدقوه وقولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون » فقد جاز للمسلمين سماع ما يقولونه ولم يصدقوه ولم يكذبوه

وقد روى عن ابى موسى الاشعرى أنه أبطأ عليه خبر عمر وكان هناك امرأة لها قرين من الجن فسأله عنه فأخبره انه ترك عمر يسم ابل الصدقة وفى خبر آخر أن عمر أرسل جيشا فقدم شخص الى المدينة فاخبر انهم انتصروا على عدوهم وشاع الخبر فسأل عمر عن ذلك فذكر له فقال هذا أبو الهيثم بريد المسلمين من الجن وسيأتى بريد الانس بعد ذلك فجاء بعد ذلك بعدة أيام :

فصل

ويجوز ان يكتب للمصاب وغيره من المرضى شيئا من كتاب الله وذكره بالمداد المباح ويغسل ويسقى كما نص على ذلك احمد وغيره قال عبد الله بن احمد قرأت على أبى ثنا يعلى بن عبيد ثنا سفيان عن محمد ابن أبى ليلى عن الحكم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال اذا عسر على المرأة ولادتها فليكتب بسم الله لااله الاالله الحليم الكريم سبحان رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين)كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها كأنهم يوم يرون مايوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار

بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون) * قال أبى ثنا أسود بن عامر باسناده بمعناه وقال يكتب فى اناء نظيف فيسقى قال أبي وزاد فيه وكيع فتسقى وينضح ما دون سرتها قال عبد الله رأيت أبى يكتب للمرآة فى جام أو شيء نظيف : وقال ابو عمر ومحمد بن احمد بن حمدان الحيرى انا الحسن بن سفيان النسوى حدثنى عبد الله بن احمد بن شبويه ثنا على ابن الحسن بن شقيق ثنا عبد الله بن المبارك عن سفيان عن ابن أبى ليلى عن الحكم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال اذا عسر على المرأة ولادها فليكتب بسم الله لا اله الا الله العلي العظيم لا اله الا الله الحليم الكريم سبحان الله وتعالى رب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها كأنهم يوم يرون مايوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون قال على يكتب فى كاغدة فيعلق على عضد المرأة قال على وقد جربناه فلم نر شيئا أعجب منه فاذا وضعت تحله سريعا ثم تجعله فى خرقة أو تحرقه . آخر كلام شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه ونور ضريحه رضى الله عنه :

﴿ تمت الرسالة والحمد لله ﴾

﴿ فائدة ﴾

ذكر ابن القيم فى الطب النبوى ان المرض الذى يعترى الانسان منه مايعترى البدن ومنه مايعترى القلوب قال . مانصه

المرض نوعان مرض القلوب ومرض الأبدان وهما مذكوران فى القرآن ومرض القلوب نوعان مرض شبهة وشك ومرض شهوة وغى وكلاهما فى القرآن قال تعالى فى مرض الشبهة (فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا)[١] وقال تعالى (وليقول الذين فى قلوبهم مرض والكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلا)[٢] وقال تعالى فى حق من دعى الى تحكيم القرآن والسنة فابى وأعرض (واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين أفى قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون)[٣] فهذا مرض الشبهات والشكوك وأما مرض الشهوات فقال تعالى (يانساء النبى لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض)[٤] فهذا مرض شهوة الزنا والله اعلم

(فصل) وأما مرض الابدان فقال تعالى (ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج)[٥] وذكر مرض البدن فى الحج والصوم والوضوء لسر بديع يبين لك عظمة القرآن والاستغناء به لمن فهمه وعقله عن سواه وذلك ان قواعد طب الابدان ثلاثة حفظ الصحة والحمية عن المؤذى واستفراغ المواد الفاسدة فذكر سبحانه هذه الاصول الثلاثة فى هذه المواضع الثلاثة فقال فى آية الصوم (فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من ايام أخر)[٦] فاباح الفطر للمريض لعذر المرض وللمسافر طلبا لحفظ صحته وقوته لئلا يذهبها الصوم فى السفر لاجتماع شدة الحركة وما يوجبه من التحليل وعدم الغذاء الذى يخلف ما تحلل فتخور القوة وتضعف فاباح للمسافر الفطر حفظا لصحته وقوته عما يضعفها . وقال فى آية الحج (فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة او

١ - البقرة ١٠
٢ - المدثر ٣١
٣ - النور ٤٨-٥٠
٤ - الأحزاب ٣٢
٥ - النور ٦١
٦ - البقرة ١٨٤

نسك)[1] فاباح للمريض ومن به أذى من رأسه من قمل او حكة أو غيرهما ان يحلق رأسه فى الاحرام استفراغا لمادة الابخرة الرديئة التى اوجبت له الاذى فى رأسه باحتقانها تحت الشعر فاذ حلق رأسه ففتحت المسام فخرجت تلك الابخرة منها فهذا الاستفراغ يقاس عليه كل استفراغ يؤذى انحباسه: والاشياء التى يؤذى انحباسها ومدافعتها عشرة الدم اذا هاج والمنى اذا سبغ والبول والغائط والريح والقىء والعطاس والنوم والجوع والعطش وكل واحد من هذه العشرة يوجب حبسه داء من الادواء بحبسه وقد نبه سبحانه باستفراغ أدناها وهو البخار المحتقن فى الرأس على استفراغ ماهو أصعب منه كما هى طريقة القرآن التنبيه بالادنى على الاعلى: وأما الحمية فقال تعالى فى آية الوضوء (و ان كنتم مرضى أو على سفر أوجاء احد منكم الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا)[2] فاباح للمريض العدول عن الماء الى التراب حمية له ان يصيب جسده مايؤذيه وهذا تنبيه على الحمية عن كل مؤذ له من داخل او خارج فقد ارشد سبحانه عباده الى أصول الطب الثلاثة ومجامع قواعده ونحن نذكر هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك ونبين ان هديه فيه اكمل هدى: فاما طب القلوب فمسلم الى الرسل صلوات الله عليهم وسلامه عليهم ولا سبيل الى حصوله الا من جهتهم وعلى ايديهم فان صلاح القلوب أن تكون عارفة بربها وفاطرها وبأسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه وأن تكون مؤثرة لمرضاته ولمحابه متجنبة لمناهيه ومساخطه ولا صحة لها ولاحياة ألبتة الا بذلك ولا سبيل الى تلقيه الا من جهة الرسل وما يظن من حصول صحة القلب بدون اتباعهم فغلط ممن يظن ذلك وانما ذلك حياة نفسه البهيمية الشهوانية وصحتها وقوتها وحياة قلبه وصحته وقوته عن ذلك بمعزل: ومن لم يميز بين هذا وهذا فليبك على حياة قلبه فانه من الاموات وعلى نوره فانه منغمس فى بحار الظلمات اهـ والله اعلم

١ ـ البقرة ١٩٦
٢ ـ النساء ٤٣

« تم الفهرس »

الإنصاف

فيما بين العلماء من الاختلاف

للأمام شيخ الاسلام حافظ المغرب
﴿ أبي عمر يوسف بن عبدالله بن عبدالبر بن عاصم ﴾
النمرى القرطبي المتوفى سنة ٤٦٣ هـ

عنيت بنشره وتصحيحه سنة ١٣٤٣ هـ

إدارة الطباعة المنيرية
لصاحبها ومديرها محمد منير عبده اغا الدمشقي
بمصر بشارع الكحكيين نمرة ١

المطبعة العربية بمصر لصاحبها خير الدين الزركلي

بسم الله الرحمن الرحيم

وما توفيـــــقي الا بالله

اخبرنا الشيخ الفقيه الامام العالم العامل الصدر الكبير شيخ المسلمين قاضي القضاة شرف الدين ابو حفص عمر بن عبد الله بن صالح الحسني اطال الله بقاه قراءة عليه ونحن نسمع بايوان تدريسه بالصالحية اخبرنا الشيخ الامام العالم العامل الحافظ فخر الحفاظ مفتى الأمة قدوة الأئمة شرف الدين ابو الحسن على بن ابي المكارم المفضل بن على المقدسي قراءة عليه ونحن نسمع أنبأنى الشيخ ابو الطيب عبد المنعم بن يحي بن خلف الحميرى بقراءتي عليه بحق اجازته عن ابى الحسن على بن عبد الله بن موهب الجذامى عن مصنفه الحافظ ابى عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمرى

قال الحافظ ابو الحسن المقدسى وأنبأ به اجازة ابو بكر محمد بن عبد الله بن ميمون العبدري وآخرون عن ابى محمد عبد الرحمن بن محمد ابن عتاب الجذامي وغيره اجازة عن مصنفه الحافظ ابى عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمرى المذكور رضى الله عنه * قال الحمد لله رب العالمين الذى جعل العلم نوراً للمهتدين وشفاء لصدور المؤمنين وحجة على الجاهلين والمبطلين وصلي الله على محمد وعلى آله أجمعين

أما بعد فان بعض اخوانا المعتنين بالعلم المقيدين له والحاملين لآثاره المتفقهين فيه رغب أن اجمع له مايقف به على ماكان عليه علماء السلف من الصحابة والتابعين في قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في اول فاتحة الكتاب في الصلاة وهل كانوا يعدونها آية منها فيجهرون بها اذا قرؤا فاتحة الكتاب او يخفونها عندقراءتهم لها او يسقطونها فلا يرونها آية منها ولا من أوائل سائر سور القرآن سواها وهل اختلفوا في ذلك او كانوا على وجه منه متفقين وما الذى اختاره أئمة الفقهاء الذين تدور علي مذاهبهم الفتيا في امصار المسلمين من ذلك وما الآثار التي كانت سبب اختلافهم فيما اختلفوا فيه من اسقاط بسم الله الرحمن الرحيم وفي اثباتها وفي الجهر بها واخفائها وما نزعت به كل فرقة لمذهبها من جهة الأثر واحتجت به من ذلك لاختيارها بما روته عن سلفها فاجبته بعون الله تعالى وفضله فيما رغب وسارعت الي ماطلب ابتغاء ثواب الله تعالى في نشر ماعلمني الله وخوف الوعيد الوارد في كتمان ماانزل الله في كتابه أو بينه رسوله صلى الله عليه وسلم. والى الله عز وجل اضرع مبتهلا في ان يهب لنا وللناظرين فيه علما نافعا وعملا يقرب منه متقبلا وهو حسبي عليه توكلت فيما له قصدت وما توفيقي الا بالله فأول ماابدأ به الاخبار عن جملة اقوال العلماء في ذلك

باب

ذكر اختلافهم في قراءة «بسم الله الرحمن الرحيم» في الصلاة فى اول فاتحة الكتاب وهل هى آية منها

اختلف علماء السلف والخلف في قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في اول فاتحة الكتاب وهل هى آية منها فذهب مالك واصحابه الى انها لاتقرأ في اول فاتحة الكتاب في شيء من الصلوات المكتوبات سرا ولا جهرا وليست عندهم آية من أم القرآن ولا من غيرها من سور القرآن إلا في سورة النمل في قوله عز وجل (انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم)[1] وان الله لم ينزلها في كتابه في غير هذا الموضع من سورة النمل : وروى مثل قول مالك في ذلك كله عن الاوزاعى وبذلك قال ابو جعفر محمد جرير بن يزيد الطبرى : واجاز مالك واصحابه قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في الصلاة النافلة في أول فاتحة الكتاب وفي سائر سور القرآن للمتهجدين ولمن يعرض القرآن عرضا على المقرئين : وأم القرآن عندهم سبع أيات يعدون (انعمت عليهم) آية وهو عد أهل المدينة من القراء وأهل الشام وأهل البصرة:

وقال اهل العراق والمشرق وسفيان الثورى وابن ابى ليلى والحسن ابن حى وابو حنيفة واصحابه واحمد بن حنبل واسحق بن راهويه وابو عبيد القاسم بن سلام يقرأ الامام في اول فاتحة الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم ويخفيها عمن خلفه وروى ذلك عن عمر وعثمان وعلى رضي الله عنهم

١ - النمل ٣٠

على اختلاف فى ذلك عن عمر وعلى ولم يختلف عن ابن مسعود في انه كان يخفيها وهو قول ابراهيم النخعى والحكم بن عتيبة وحماد بن ابي سليمان وغيرهم : وهي آية من أول فاتحة الكتاب عند جماعة قراء الكوفيين وجمهور فقهائهم الا ان السنة عندهم فيها اخفاؤها فى صلاة الجهر تسليما واتباعا للآثار المرفوعة فى ذلك: وقال الكرخي وغيره من أصحاب أبى حنيفة انه لا يحفظ عنه هل هى آية من فاتحة الكتاب أو لا قالوا ومذهبه يقتضى انها ليست آية من فاتحة الكتاب لانه يسر بها في صلاة الجهر قال داود بن على هي آية من القرآن منفردة في كل موضع كتبت فيه في المصحف في أول فاتحة الكتاب وفي أول كل سورة من القرآن وليست من شيء من السور الا في سورة النمل وانما هي آية مفردة غير لاحقة بالسورة وزعم الرازي ان مذهب أبى حنيفة يقتضى عنده ماقال داود

وذهب الشافعى وأصحابه الى قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في أول فاتحة الكتاب جهراً في صلاة الجهر وسراً في صلاة السر وقال هي آية من فاتحة الكتاب اول آياتها ولا تتم سبع آيات الا بها ولا تجزيء صلاة لمن لم يقرأها لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : يعنى « لا صلاة لمن لم يقرأ فيها بفاتحه الكتاب » وقوله عليه الصلاة والسلام « كل صلاة لا يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج » ومن لم يقرأها كلها فلم يقرأها : وقول أبي ثور في ذلك كله كقول الشافعي : وروى الجهر بها عن عمر وعلى رضي الله عنهما على اختلاف عنهما وروى ذلك عن عمار وابى هريرة وابن عباس وابن الزبير فلم يختلف في الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم عن

ابن عمر وهو الصحيح عن ابن عباس أيضاً وعليه جماعة اصحابه سعيد ابن جبير وعطاء ومجاهد وطاوس وهو مذهب ابن شهاب الزهرى وعمرو بن دينار وابن جريج ومسلم بن خالد وسائر أهل مكة

واختلف قول الشافعي وكذلك اختلف أصحابه في بسم الله الرحمن الرحيم في غير فاتحة الكتاب هل هي من أوائل السور آية مضافة الى كل سورة أم لا : ومحصل مذهبه انها آية من أول كل سورة على قول ابن عباس « ما كنا نعلم انقضاء السورة الا بنزول بسم الله الرحمن الرحيم فى أول غيرها » وهو قول ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وعطاء وطلوس ومكحول : واليه ذهب ابن المبارك وطائفة ووافق الشافعي على انها آية من فاتحة الكتاب احمد واسحق وابو عبيد وجماعة أهل الكوفة وأهل مكة واكثر أهل العراق إلا أن احمد واسحق وأباعبيد يخفونها في صلاة الجهر فذهب سفيان وابن ابي ليلى والحسن بن حي وابن شبرمة وجماعة أهل الكوفة على ماذكرنا عنهم والحمد لله :

قال ابو عمر لكل فرقة من فرق الفقهاء المذكورين آثار رووها وصاروا اليها فيما ذهبوا اليه من ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن اصحابه والتابعين نذكر منها ماحضرنا ذكره على حذف التكرار والايثار بما عليه المدار بعون الله وفضله ان شاء الله : —

ذكر الآثار

(التي احتج بها من أسقط بسم الله الرحمن الرحيم من أول فاتحة الكتاب في الصلاة وكره قراءتها فيها ولم يعدها آية منها)

فمن ذلك حديث عبدالله بن مغفل المزنى وهو حديث يدور على ابي مسعود سعيد بن اياس الجريرى عن ابى نعامة قيس بن عباية الحنفي عن ابن عبدالله بن مغفل عن أبيه وقد زعم قوم ان الجريري انفرد به وليس هو عندى كذلك لانه قد رواه غيره عن قيس بن عباية وهو ثقة عند جميعهم وكذلك الجريري محدث أهل البصرة ثقة روى عنه الجلة من أئمة أهل الحديث منهم شعبة وسفيان وابن علية والحمادان الا انه اختلط في آخر عمره : وأما ابن عبدالله بن مغفل فلم يرو عنه أحد إلا ابو نعامة قيس بن عباية فيما علمت ولم يرو عنه إلا رجل واحد فهو مجهول عندهم والمجهول لاتقوم به حجة :

فمن طرق حديث عبدالله بن مغفل ماحدثنا سعيد بن نصر وعبد الوارث بن سفيان قالا حدثنا قاسم بن أصبغ حدثنا محمد بن وضاح حدثنا ابوبكر بن أبي شيبة حدثنا اسماعيل بن ابراهيم هو ابن علية عن الجريري عن قيس بن عباية حدثني ابن عبدالله بن مغفل عن أبيه قال « ومارأيت رجلا أشد عليه فى الاسلام حدث منه فسمعني وأنا أقرأ بسم الله الرحمن الرحيم فقال لى يابني إياك والحدث فاني صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع أبي بكر وعمر وعثمان فلم أسمع أحداً منهم يقرأها فاذا

قرأت فقل الحمد لله رب العالمين »

ورواه معمر عن الجريري قال أخبرني من سمع ابن عبدالله بن مغفل عن أبيه فذكر معناه : ورواه خالد بن عبدالله الواسطي الطحان فاختلف عليه فيه : ورواه سعيد بن منصور ووهب بن بقية عنه عن الجريرى عن قيس بن عباية قال اخبرنى ابن عبدالله بن مغفل عن ابيه وساق الحديث مثل رواية ابن علية سواء ورواه اسماعيل بن مسعودعنه عن عثمان بن غياث عن ابى نعامة قيس ابن عباية لم يذكر الجريرى فالحديث انما يدور على ابن عبدالله بن مغفل وقد تقدم الخبر عنه : حدثنا محمد بن ابرهيم بن سعيد حدثنا احمد بن شعيب وأنبأنا اسماعيل بن مسعود أنبأنا خالد حدثنا عثمان بن غياث قال حدثنى أبو نعامة الحنفى قال حدثنى ابن عبد الله بن مغفل «قال كان عبدالله بن مغفل اذا سمع أحداً يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم قال صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلف أبي بكر وخلف عمر فما سمعت أحداً منهم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم » * قال أبو عمر لحديث عبد الله بن مغفل في اسناده ما وصفنا وقد ذهب اليه من لا يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم أصلا سراً ولا جهراً وذهب اليه من رأى انها تقرأ سراً وقالوا معناه انه لو صح انهم كانوا يسرون بسم الله الرحمن الرحيم ويجهرون بالحمد لله رب العالمين واستدلوا على ذلك من الآثار بما يأتى ذكرها بعد في باب مفرد لها في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى

منها ما رواه سفيان الثورى وغيره عن خالد الحذاء عن ابى نعامة الحنفي

قيس بن عباية عن أنس بن مالك قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر لا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم » قال سفيان كانوا يسرون بها وهكذا رواية أبي قلابة والحسن وعائذ بن شريح عن أنس وكذلك رواه جماعة من أصحاب قتادة عن قتادة عن أنس وسنذكر ما حضرنا من الاسانيد بذلك إن شاء الله تعالى : وحديث عائشة رضي الله عنها وهو حديث انفرد به بديل بن ميسرة عن أبي الجوزاء واسمه أوس ابن عبد الله الربعي الازدي هذا من ربيعة الازد بصري عن عائشة ليس له اسناد غيره وبديل بن ميسرة وأبو الجوزاء ثقتان رواه عن بديل بن ميسرة سعيد بن أبي عروبة وحسين المعلم وهذان ثقة من رواه عنه بديل:

حدثنا عبد الوارث بن سفيان حدثنا قاسم بن أصبغ حدثنا أبو قلابة الرقاشي قراءة عليه حدثنا عبد الاعلى ومحمد بن حيان العجلي قالا حدثنا حسين المعلم عن بديل بن ميسرة عن أبي الجوزاء عن عائشة «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفتتح القراءة بالحمد لله رب العالمين » * وحدثنا أحمد بن قاسم ابن عبد الرحمن وعبد الوارث بن سفيان قالا حدثنا قاسم بن أصبغ حدثنا الحارث بن أبي أسامة حدثنا سعيد بن عامر عن سعيد بن أبي عروبة عن بديل ابن ميسرة عن أبي الجوزاء عن عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين ويختمها بالتسليم »:

قال أبو عمر رجال اسناد هذا الحديث ثقات كلهم لا يختلف في ذلك الا أنهم يقولون أن أبا الجوزاء لا يعرف له سماع من عائشة وحديثه عنها ارسال . وأما الفقهاء فيقولون أن هذا الحديث لا حجة فيه لمن يرى

اسقاط بسم الله الرحمن الرحيم من فاتحة الكتاب وإنما فيه الحجة على أن من رأى أن فاتحة الكتاب وغيرها سواء وانه جائز قراءتها وقراءة غيرها دونها في الصلاة ويجيز أن يفتتح الصلاة بغيرها من القرآن فهذا الحديث حجة على من قال ذلك : وأما من قال إن الصلاة لاتجزىء الا بأم القرآن وانها التى يفتتح بها القراءة فى الصلوات دون ما سواها من سور القرآن وان ما سواها من القرآن إنما يقرأ في الصلاة بعدها فلا حجة عليه بهذا الحديث ولا بما كان مثله قالوا وانما قول عائشة رضى الله عنها « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة بالحمد لله رب العالمين» يعنى دون غيرها من سور القرآن : والحمد لله رب العالمين اسم لسورة أم القرآن : وفاتحة الكتاب اسم ايضا لها وانما قالت عائشة يفتتح بالحمد لله رب العالمين ولم تقل دون أن يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم لم يفد[1] السامع فائدة لان بسم الله الرحمن الرحيم في أول كل سورة مثبتة في المصحف وقد اختلفوا فيها هل هى آية من أول كل سورة أو آية مفردة في أوائل السور كاختلافهم هل هي آية من فاتحة الكتاب على ما تقدم ذكره والحمد لله: وانما قصدت عائشة رحمها الله الى الاعلام بالسورة التى يفتتح بها الصلوات وأخبرت بأي السور يفتتح قراءة الصلاة بكلام رفعت فيه الاشكال فقصدت الي ما في فاتحة الكتاب مما ليس في غيرها لان بسم الله الرحمن الرحيم في غيرها فكان قوله بالحمد لله رب العالمين كما لو قال قائل

---

(١) قوله لم يفد الخ هكذا الاصل والكلام غير منتظم ولعل التعليل محذوف تقديره لانه لم يفد الخ والله اعلم

كان يفتتح الصلاة (ببراءة من الله ورسوله) ولم يقل بسورة التوبة أو قال (بالمٓ أحسب الناس) ولم يقل بالعنكبوت أو بق أو بيس أو ص أو بق والقلم ومثل هذا كثير : فكذلك قول عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة بالحمد لله رب العالمين ولم تقل بأم القرآن ولا بفاتحة الكتاب لانها قصدت الى اعلام السامع بالسورة التى يفتتح بها قراءة الصلاة فسمتها بذلك وليس فيه ما يسقط بسم الله الرحمن الرحيم ولا ما يثبتها كما لو قالت كان يفتتح بص والقرآن ذي الذكر أو ق والقرآن المجيد أو الحاقة ما الحاقة أو ن والقلم : وما كان مثل ذلك وهذا كله لا يدفع احتماله فبطل أن يكون في حديث عائشة هذا حجة لمن نزع به سقوط بسم الله الرحمن الرحيم *

وحديث أبي هريرة

أما أبو هريرة فتروى عنه فى هذا الباب أحاديث متغايرة مختلفة ومتضادة تأتي في أبوابها من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى فاما ما احتج به منها من رأى سقوط بسم الله الرحمن الرحيم من أول فاتحة الكتاب فمن ذلك ما رواه بشر بن رافع أبو الاسباط الحارثي يمامى قال حدثنى ابن عم أبى هريرة أنه سمع أبا هريرة يقول « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين » وبشر بن رافع عندهم منكر الحديث قد اتفقوا على انكار حديثه وطرح ما رواه وترك الاحتجاج به ولا يختلف علماء أهل الحديث في ذلك والذين

يروون عن بشر بن رافع حاتم بن اسماعيل وعبـد الرزاق وصفوان بن عيسى ولو صح حديثه احتمل من التأويل ما ذكرنا في حديث عائشة قبل هذا رواه عبد الواحد بن زيد عن عمـارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا نهض في الثانية استفتح بالحمد لله رب العالمين ولم يسكت » وهذه رواية يغني ظاهرها عن الكلام فيها : وفيها دليل على أنه كان يسكت بعد التكبيرة في الاول على ما رواه سمرة

ومنها حديث العلاء بن عبد الرحمن: وهو أصح حديث روى في سقوط بسم الله الرحمن الرحيم من أول فاتحة الكتاب وأبينه وأبعده من احتمال التأويل رواه مالك عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبي السائب مولى هشام ابن زهرة أنه سمعه يقول سمعت أبا هريرة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج هي خداج هي خداج غير تمام» قال قلت يا أبا هريرة انى أحيـانا أكون وراء الامام قال فغمز ذراعى ثم قال اقرأ بها في نفسك يا فارسى فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «قال الله تبارك وتعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدى نصفين فنصفها لى ونصفها لعبدى ولعبدي ما سأل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤا يقول العبد الحمد لله رب العالمين يقول الله عز وجل حمدنى عبدي يقول العبد الرحمن الرحيم يقول الله تعالى أثنى على عبدى يقول العبد مالك يوم الدين يقول الله تعالى مجدني عبدي يقول العبد إياك نعبد وإياك نستعين فيقول الله تعالى فهذه الآية بينى وبين عبدي

ولعبدي ماسأل ويقول العبد إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين فهؤلاء لعبدي ولعبدى ما سأل» أدخل مالك هذا الحديث في باب القراءة خلف الامام فيما لا يجهر فيه الامام بالقراءة لقول أبي هريرة فيه اقرأ بها في نفسك أى اقرأ بها سراً ولم يدخله في باب العمل فى القراءة مع حديث حميد عن أنس «قال قمت وراء أبى بكر وعمر وعثمان فكلهم كان لايقرأ بسم الله الرحمن الرحيم» وسيأتى هذا الحديث واختلاف الرواة في الفاظه ورفعه وتوقيفه في موضعه من هذا الكتاب بعد هذا إن شاء الله تعالى

وأما حديث العلاء بن عبدالرحمن هذا فرواه كما رواه مالك عبدالملك ابن عبدالعزيز بن جريج ومحمد بن عجلان ومحمد بن اسحق والوليد بن كثير كلهم رووا عن العلاء بن عبد الرحمن ان أبا السائب مولى هشام ابن زهرة حدثه انه سمع ابا هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله الا ان الليث بن سعد رواه عن ابن عجلان عن العلاء عن ابى السائب عن ابى هريرة بهذا الاسناد عن النبى صلى الله عليه وسلم «ايما رجل صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج هي خداج غير تمام قال فقلت انى لااستطيع ان اقرأ مع الامام قال اقرأ بها في نفسك فان الله عزوجل يقول قسمت الصلاة بينى وبين عبدى قال العبد الحمد لله رب العالمين قلت حمدنى عبدى» ثم ذكر الحديث على هذا بمعنى ما تقدم بجعل قوله «قال الله قسمت الصلاة بينى وبين عبدى» من قول أبى هريرة الى آخر الحديث لم يرفع منه الا قوله «خداج غير تمام» ومالك احفظ

واثبت وزيادة مثله مقبولة وحجة على من قصر عنها : ورواية ابن جريج عن العلاء في هذا الحديث كرواية مالك سواء

وروى هذا الحديث شعبة بن الحجاج وسفيان الثوري وسفيان بن عيينة عن العلاء بن عبدالرحمن عن ابيه عن ابى هريرة فقالوا عن أبيه في موضع ابى السائب ولم يذكروا ابا السائب فمن اهل العلم بالحديث من جعل هذا اضطرابا يوجب التوقف عن العمل بحديث العلاء هذا ومنهم من قال ليس هذا باضطراب لان العلاء قد روى هذا الحديث عن ابيه وعن ابى السائب جميعاً عن ابي هريرة كذلك رواه ابو اويس عن العلاء عن ابيه وابى السائب جميعاً عن ابى هريرة وساقه نحو سياقة مالك له: والقول عندي في ذلك ان مثل هذا الاختلاف لايضر لان أبا السائب ثقة وعبدالرحمن اباالعلاء ثقة ايضاً فمن ايهما كان فهو من اخبار العدول التي يجب الحكم بها وابو اويس عندهم لايحتجون به فيما انفرد به :

وحديثه حدثنا عبد الوارث بن سفيان وسعيد بن نصر قالا حدثنا قاسم بن اصبغ حدثنا اسماعيل بن اسحق واحمد بن زهير قالا حدثنا اسماعيل بن ابي اويس قال حدثني ابى عن العلاء بن عبدالرحمن قال سمعت من ابي ومن ابى السائب جميعاً وكانا جليسين لابى هريرة قالا قال ابوهريرة « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج هى خداج غير تمام » وذكر الحديث بتمامه كما رواه مالك قال اسماعيل بن اسحق قال على بن المدينى وكان هذا الحديث عن عباد بن صهيب عن الرجلين جميعاً يعنى كما رواه ابواويس :

قال ابو عمر لا أعلم حديثاً في سقوط بسم الله الرحمن الرحيم من أول فاتحة الكتاب ابين من حديث العلاء هذا لان فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اقرأوا يقول العبد الحمد لله رب العالمين » فبدأ بها دون بسم الله الرحمن الرحيم فعدها آية ثم قال « يقول العبد الرحمن الرحيم » فعدها آية ثم قال « يقول العبد مالك يوم الدين » فعدها آية ثم قال « يقول العبد اياك نعبد واياك نستعين » فعدها آية فتمت اربع آيات ثم قرأ الى آخر السورة وقال « هؤلاء لعبدي » ولم يقل هاتان لعبدي وهؤلاء اشارة الى جماعة فعلم انها ثلاث آيات وتقدمت اربع آيات تتمة سبع آيات : وأجمع علماء المسلمين انها سبع آيات فدل هذا الحديث على ان « انعمت عليهم » آية وان « بسم الله الرحمن الرحيم » ليست آية من اول السورة وهذا عند اهل المدينة والشام والبصرة :

وأما أهل مكة وأهل الكوفة من العلماء والقراء فيعدون « بسم الله الرحمن الرحيم » أول آية من أم القرآن وليست «أنعمت عليهم» بآية عندهم فهذا حديث قد رفع الاشكال في سقوط « بسم الله الرحمن الرحيم » ورجاله ثقات * اما ابو السائب فقد روى عنه العلاء بن عبد الرحمن وشريك بن أبي نمر وبكير الأشج وصيفي مولى ابن أفلح ومحمد بن عمرو بن عطاء وعبيد الله بن عمرو قيل انه روى عنه الزهري وصفوان ابن سليم والاسناد عن كل واحد من هذين عنه ليس بالقوى : وأصح ما قيل في أبي السائب هذا أنه مولى هشام بن زهرة كما قال مالك وما تابعه على ذلك وهو مولى الانصار وقيل مولى بني زهرة وقيل مولى

بنى عبد الله بن هشام بن زهرة وقيل عبد الله بن هشام بن زهرة مولى هشام بن زهرة هكذا قال الحفاظ من أصحاب العلاء وكان ابو السائب هذا من جلساء ابى هريرة وروى عن ابي هريرة وعن المغيرة بن شعبة وسعد بن أبى وقاص * وأما عبد الرحمن بن يعقوب مولى جهينة والد العلاء فروى عنه ابنه العلاء وروى عنه محمد بن ابراهيم التيمى والله أعلم ولا أعلم احداً ذكره بجرحة * وأما العلاء فروي عنه جماعة من أئمة أهل الحديث واحتملوه ووثقه احمد بن حنبل رحمه الله تعالى فقال هو عندى فوق سهيل بن ابى صالح ومحمد بن عمرو * وأما ابن معين فقال العلاء بن عبد الرحمن ليس حديثه بحجة وهو وسهيل قريب من السواء هذه حكاية عباس عن ابن معين : وقال ابن ابى خيثمة سمعت يحيى بن معين يقول العلاء بن عبد الرحمن ليس بذاك لم يزل الناس يتقون حديثه : وقال أبو حاتم الرازي روى عن العلاء الثقات وأنا أنكر من حديثه أشياء قال ابو عمر العلاء ليس بالمتين عندهم وقد انفرد بهذا الحديث ليس يوجد الا له ولا تروى الفاظه عن احد سواه والله اعلم :

وقد روى منصور بن ابى مزاحم وهو من أهل الصدق عندهم قال حدثنا ابو اويس عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن ابى هريرة « ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم » قال ابو عمر يعضد هذه الرواية رواية مالك وغيره من حديث العلاء هذا قول ابى هريرة : اقرأ بها في نفسك يافارسى : ومعنى قوله في حديث العلاء « قسمت الصلاة بينى وبين عبدي نصفين فنصفها لعبدى ولعبدى ماسأل »

اي قسمت قراءة فاتحة الكتاب في الصلاة بيني وبين عبدي نصفين هذا معناه عند من رأى سقوط بسم الله الرحمن الرحيم من اول السورة : ودليلهم على ذلك قوله بأثر ذلك « اقرأوا يقول العبد الحمد لله رب العالمين » الحديث قالوا وجائز ان يعبر عن القراءة بالصلاة كما يعبر عن الصلاة بالقراءة : قال الله عز وجل (وقرآن الفجر) اى صلاة الفجر (ان قرآن الفجر كان مشهوداً)[1] اي صلاة الفجر

واما من رأى اثبات بسم الله الرحمن الرحيم في اول فاتحة الكتاب فقالوا لا يجوز ان يحال اسم الصلاة الى القراءة الا بما لا اشكال فيه من المجاز وبالدليل الذى لا يحتمل التأويل قالوا ومعنى قوله عليه السلام عن الله تبارك اسمه « قسمت الصلاة بيني وبين عبدى نصفين » ان الصلاة دعاء وعبادة فمن العبد الدعاء ومن الله الاجابة: ومن العبد الطاعة بالركوع والسجود والقيام والقعود ومن الله تعالى الجزاء بالمغفرة والهدى قالوا فهذا معنى السورة لانها تقتضى الدعاء بالهدى بعد التحميد والثناء ومن الله الاجابة والجزاء فهذا معنى قسم الصلاة بين العبد وبين ربه على ظاهر الكلام دون إحالة لفظه والله أعلم

وعلى هذا التأويل يكون المعنى في ابتدائه القراءة بالحمد لله رب العالمين فى هذا الحديث بمعنى ما تقدم ذكره في حديث عائشة وغيره من الابتداء بالحمد لله رب العالمين * حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا حمزة بن محمد أنبأنا احمد بن شعيب أنبأنا الحسين بن حريث حدثنا الفضل بن

١ ـ الاسراء ٧٨

موسى ح وحدثنا سعيد بن نصر حدثنا قاسم بن اصبغ حدثنا محمد بن وضاح حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو اسامة كلاهما عن عبد الحميد بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة عن أبي بن كعب قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنزل الله في التوراة ولا في الانجيل مثل أم القرآن وهى السبع المثاني وهي مقسومة بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل» هكذا قالا جميعاً والمعنى من قوله أنها مقسومة بين العبد وبين ربه وللعبد ما سأل

ومثل هذا حديث مالك أيضاً عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبي سعيد مولى عامر بن كريز أخبره « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نادى أبي بن كعب وهو يصلى فلما فرغ من صلاته لحقه فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على يده وهو يريد أن يخرج من باب المسجد فقال انى لارجو ان لا تخرج من باب المسجد حتى تعلم سورة ما أنزل الله في التوراة ولا في الانجيل ولا في الفرقان مثلها قال أبيّ فجعلت أبطىء في المشى رجاء ذلك قلت يا رسول الله السورة التي وعدتنى فقال كيف تقرأ اذا افتتحت الصلاة قال فقرأت عليه الحمد لله رب العالمين حتى اتيت على آخرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هى هذه السورة وهى السبع المثانى والقرآن العظيم الذي اعطيت » فقوله في هذا الحديث «فقرأت عليه الحمد لله رب العالمين» يحتمل ان يكون كقوله لو قال فقرأت عليه يس والقرآن الحكيم يريد السورة أو قرأت عليه ق والقرآن المجيد إذ ليس في ذلك ما يسقط بسم الله الرحمن الرحيم من أولها ولا

يثبتها والله أعلم : وقد مضى في ذلك ما يكفي فيما تقدم والآثار التى تعضد هذا التأويل في ثبوت بسم الله الرحمن الرحيم في أول فاتحة الكتاب تأتى بعد في بابها إن شاء الله تعالى

﴿ حديث أنس بن مالك ﴾

وأما حديث أنس في هذا الباب فرواه مالك في موطنه عن حميد الطويل عن أنس بن مالك قال قمت وراء أبى بكر وعمر وعثمان فكلهم لا يقرؤن بسم الله الرحمن الرحيم اذا افتتحوا الصلاة هكذا رواه مالك عن حميد الطويل عن أنس موقوفا لم يسنده لم يذكر فيه النبى صلى الله عليه وسلم لم يختلف في ذلك رواة الموطأ قديماً وحديثاً ابن وهب وغيره الا ما رواه ابن أخيه احمد بن عبد الرحمن بن وهب المعروف ببحشل فانه رواه عن عمه عن مالك عن حميد عن أنس فذكر فيه النبى صلى الله عليه وسلم ولم يتابعه على ذلك أحد من رواة ابن وهب وابن أخي ابن وهب عندهم ليس بالقوى قد تكلموا فيه ولم يروه حجة فيما انفرد به ورواه الوليد بن مسلم عن مالك عن حميد عن أنس فذكر فيه النبى صلى الله عليه وسلم وهو عندهم خطأ والصحيح ما في الموطأ وقد ذكرنا الأسانيد بما ذكرنا من اختلاف على ابن وهب وغيره عن مالك في التمهيد وتابعه على ذلك هشيم وحماد بن سلمة : فحديث هشيم ذكره أبو بكر بن أبى شيبة عن هشيم وذكره أيضاً سعيد بن منصور عن هشيم هكذا موقوفاً على أبي بكر وعمر وعثمان لم يذكروا النبي صلى الله عليه وسلم . ورواه

حماد بن سلمة في كتابه عن ثابت وقتادة وحميد عن أنس « أن النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر وعثمان كانوا يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين » قال حماد إلا أن حميداً لم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم وقد روى ابن أبى عدى هذا الحديث عن حميد الطويل عن قتادة عن أنس ولست أعلم أحداً ذكره عن حميد عن قتادة عن أنس إلا ابن أبى عدى فيما علمت ويقولون ان اكثر رواية حميد عن أنس إنما سمعها من قتادة وثابت عن أنس ومنها ما سمع من أنس : وأما قتادة فلا أعلم أحداً رواه عنه موقوفا بل جماعة أصحابه ذكروا فيه عنه عن أنس « أن النبى صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر » اختلفوا عنه في ذكر عثمان فيه وكلهم رفعه فذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم إلا أنهم اختلفوا في لفظه فمنهم من قال فيه كانوا يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين ومنهم من قال فيه « كانوا لا يقرؤن بسم الله الرحمن الرحيم » ومنهم من قال فيه « كانوا لا يجهرون بسم الله الرحمن الرحيم » ومنهم من قال « فلم اسمع أحداً منهم جهر بسم الله الرحمن الرحيم »

فمن أجلّ من رواه عن قتادة ايوب بن ابى تميمة السختيانى *
حدثنا محمد بن ابراهيم بن سعيد حدثنا محمد بن معاوية بن عبد الرحمن رحمه الله وحدثنا عبد الله بن محمد بن أسد حدثنا حمزة بن محمد قالا حدثنا احمد بن شعيب بن على انبأنا عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن حدثنا سفيان عن ايوب عن قتادة عن أنس « قال صليت مع النبى صلى الله عليه وسلم ومع ابى بكر ومع عمر فافتتحوا بالحمد »

حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن حدثنا محمد بن ابى بكر بن عبد الرزاق حدثنا ابو داود حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا هشام يعنى الدستوائى عن قتادة عن أنس « ان النبى صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر كانوا يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين»

وحدثنا عبد الوارث بن سفيان حدثنا قاسم بن اصبغ حدثنا بكر ابن حماد حدثنا مسدد حدثنا يحي بن سعيد عن هشام عن قتادة عن انس « ان النبى صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر وعثمان كانوا يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين »

حدثنا عبد الوارث حدثنا قاسم حدثنا حماد بن غالب حدثنا على بن الجعد حدثنا شعبة وشيبان ابن عبد الرحمن عن قتادة عن انس قال« كان النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر يستفتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين »

حدثنا احمد بن قاسم بن عبد الرحمن وعبد الوارث بن سفيان قالا حدثنا قاسم بن اصبغ حدثنا الحارث بن ابي اسامة حدثنا سعيد بن عامر عن سعيد بن ابى عروبة عن قتادة عن أنس « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر وعثمان كانوا يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين »

حدثنا سعيد بن نصر نا قاسم بن أصبغ حدثنا محمد بن وضاح حدثنا ابو بكر بن ابى شيبة حدثنا محمد بن بشر حدثنا سعيد حدثنا قتادة عن أنس «ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر وعثمان كانوا يفتتحون القراءة

بالحمد لله رب العالمين » وبه عن أبي بكر حدثنا وكيع عن هشام عن قتادة عن أنس مثله أخبرنا عبدالله بن محمد حدثنا حمزة بن محمد حدثنا احمد بن شعيب أنبأنا قتيبة بن سعيد حدثنا ابو عوانة عن قتادة عن أنس قال « كان النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر وعثمان يستفتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين »

فهؤلاء حفاظ اصحاب قتادة ليس في روايتهم لهذا الحديث ما يوجب سقوط بسم الله الرحمن الرحيم من أول فاتحة الكتاب على ماقدمنا ذكره الا ان فيه متعلقا لمن ذهب الى انهم كانوا يخفونها ولا يجهرون بها*

وحدثنا عبد الوارث بن سفيان حدثنا قاسم بن اصبغ حدثنا محمد ابن عبد السلام حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر غندر حدثنا شعبة قال سمعت قتادة عن انس « قال صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ومع ابي بكر وعمر وعثمان فلم اسمع أحداً منهم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم »

وحدثنا احمد بن قاسم بن عيسى حدثنا عبيد الله بن محمد حدثنا البغوى حدثنا على بن الجعد حدثنا شعبة وشيبان عن قتادة قال سمعت انس ابن مالك يقول « صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم وخلف ابي بكر وخلف عمر وعثمان فلم اسمع احدا منهم يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم »

حدثنا سعيد بن نصر حدثنا قاسم بن اصبغ حدثنا محمد بن وضاح أنبأنا ابو بكر بن ابي شيبة وموسى بن معاوية قالا حدثنا وكيع عن شعبة عن قتادة عن انس قال « صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم

وابى بكر وعمر وعثمان فكانوا لا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم»

اخبر عبد الله بن محمد وعبد الرحمن بن عبد الله بن خالد قالا حدثنا ابن حمدان ببغداد حدثنا عبد الله بن احمد بن حنبل حدثني ابي حدثني وكيع فذكره باسناده * ورواه عبيد الله بن موسى ان شعبة قال قلت لقتادة انت سمعت أنس بن مالك يقول « صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وابى بكر وعمر فلم اسمعهم يجهرون ببسم الله قال نعم » وبهذا اللفظ ايضا رواه الاسود بن عامر وعبد الرحمن بن زياد الرصاصي عن شعبة عن قتادة عن انس . وكذلك رواه حجاج بن ارطاة عن قتادة عن انس

حدثنا عبد الله حدثنا حمزة حدثنا احمد بن شعيب انبأنا عبيد الله ابن سعيد قال حدثني عقبة قال حدثني شعبة وابن ابى عروبة عن قتادة عن انس قال «صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلف ابى بكر وعمر وعثمان فلم اسمع أحداً منهم يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم »

حدثنا عبد الوارث بن سفيان حدثنا قاسم بن اصبغ حدثنا محمد ابن الهيثم ابو الاحوص حدثنا محمد بن كثير عن الاوزاعى عن قتادة عن أنس « قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر وعثمان يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين» ورواه محمد بن شعيب بن شابور عن الاوزاعي قال كتب الى قتادة قال حدثني انس بن مالك « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر وعثمان كانوا يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين لا يقرأون بسم الله الرحمن الرحيم في اول السورة ولا

في آخرها » * ورواه اسحق بن أبي طلحة عن انس حدثنا عبدالوارث حدثنا قاسم حدثنا ابو الاحوص محمد بن الهيثم حدثنا محمد بن كثير حدثنا الاوزاعى عن اسحق بن عبد الله بن ابى طلحة عن انس بن مالك قال « صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وابى بكر وعمر فكلهم كانوا يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين » * رواه الوليد بن مسلم حدثنا الاوزاعى قال حدثنى اسحق بن عبد الله بن طلحة قال سمعت انس ابن مالك يقول (صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلف ابى بكر وعمر فكلهم كانوا يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين لا يقرأون بسم الله الرحمن الرحيم في اول السورة ولا في آخرها » رواه ثابت البنانى عن انس وقد ذكرناه من رواية حماد بن سلمة عن ثابت وقتادة وحميد عن انس ورواه عمار بن رزيق عن الأعمش عن شعبة عن ثابت عن أنس « ان النبى صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر كانوا لايجهرون بيسم الله الرحمن الرحيم » فأخطأ فيه ولا يصح لشعبة عن ثابت لانه لم يروه الا الأحوص بن جواب عن عمار ابن رزيق عن الأعمش عن شعبة عن ثابت عن انس ولم يروه اصحاب شعبة الذين هم فيه حجة ولا يعرف للأعمش عن شعبة رواية محفوظة والحديث لشعبة صحيح عن قتادة لا عن ثابت * ورواه ابو قلابة الجرمي عن انس من حديث الثوري عن خالد الحذاء عن ابى قلابة عن انس قال « كان النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر لايجهرون بيسم الله الرحمن الرحيم » هكذا رواه يحيي بن ادم وعبيدالله الاشجعي عن الثورى ورواه

الفريابى عن الثورى عن خالد الحذاءعن ابى نعامة عن أنس قال « كان النبى صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر لايقرؤن بسم الله الرحمن الرحيم» قال سفيان يعنى لايجهرون بها قال ابو عمر يمكن أن يكون هذا الحديث عن خالد الحذاء عن ابى نعامة الحنفي : وعن ابي قلابة فيكون عنده باسنادين ولا يكون اختلافا على خالد الحذاء : ورواه مالك بن دينار عن أنس بن مالك « قال صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلف ابى بكر وخلف عمر وخلف عثمان فكانوا يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين وكانوا يقرؤن مالك يوم الدين » * ورواه يزيدالرقاشى عن أنس « أنه صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع ابى بكر وعمر وعثمان فلم يسمع احداً منهم يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم »

ورواه منصور بن زاذان عن انس بهذا المعنى ايضاً * أخبرنا محمد ابن ابراهيم حدثنا محمد بن معاوية رحمه الله وحدثنا عبدالله بن محمد حدثنا حمزة قالا حدثنا احمد بن شعيب انبأنا محمد بن على بن الحسن بن شقيق قال سمعت ابى يقول حدثنا أبو حمزة عن منصور بن زاذان عن انس ابن مالك « قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يسمعنا قراءة بسم الله الرحمن الرحيم وصلى بنا ابو بكر وعمر فلم نسمعها منهما » * وروى هذا الحديث عن الحسن عن أنس فبعض رواته يقول فيه عن انس « صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع ابى بكر وعمر فلم اسمعهم يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم » * وبعضهم يقول فيه عن أنس « كان النبى صلى الله عليه وسلم يسر ببسم الله الرحمن الرحيم وابو بكر

وعمر » * ورواه عائذبن شريح عن انس بن مالك قال « صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر وعثمان فلم يجهروا ببسم الله الرحمن الرحيم » * من حديث أبي الأحوص سلام بن سليم عن يوسف بن أسباط عن عائذ بن شريح

فهذا مابلغنا من حديث انس بن مالك من اختلاف الفاظه وكلها قد نزع بما شاء منها من احتج لمذهبه من الفقهاء الذين ذكرنا مذاهبهم في صدر هذا الكتاب والتأويل سائغ فيه ولا حجة عندى في شيء منها لانه قال مرة « كانوا يفتتحون بالحمدلله رب العالمين » ومرة قال «كانوا لا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم » ومرة قال « كانوا لايقرؤنها » ومرة قال لم أسمعهم يقرؤن ببسم الله الرحمن الرحيم » وقد قال مرة أو سئل عن ذلك « كبرت ونسيت » وقد روى شعبة وابن علية عن أبي سلمة سعيد بن يزيد قال « سألت انس بن مالك اكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح القراءة في الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم او بالحمد لله رب العالمين فقال لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه احد » * قال ابو عمر الذى عندى انه من حفظه عنه حجة على من سأله في حين نسيانه وبالله التوفيق *

فمن رأى قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في أول فاتحة الكتاب سراً احتج بقول أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم وابى بكر وعمر وعثمان « أنهم كانوا لا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم » و « أنهم كانوا يسرون ببسم الله الرحمن الرحيم » وانه لم يسمعهم يقرأون بسم الله الرحمن الرحيم يعنى جهرا عندهم : وروى منصور بن ابى مزاحم قال حدثنا ابو أويس

عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يجهر بسم الله الرحمن الرحيم » وكذلك قول ابى هريرة في حديث مالك وغيره عن العلاء « إقرأ بها في نفسك » يريد لا يجهر بها

وهذا مذهب سفيان وسائر الكوفيين وأهل الحديث احمد واسحاق وابي عبيد ومن تابعهم : وقد روى هذا الحديث عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم ولكن اسناده ضعيف ولا حجة فيه لانه انفرد به محمد بن عبدالملك الأنصاري المدنى الضرير وهو منكر الحديث عندهم متروك نزل بغداد فحدث بها بمنا كير الاسناد ترك لذلك حديثه منها ما رواه عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله الانصارى « قال صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر فلم اسمع أحدامنهم يجهر بسم الله الرحمن الرحيم » وهذا لا يوجد عن جابر الا بهذا الاسناد

ومما احتج به من رأى قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في أول فاتحة الكتاب ما حدثنا عبد الوارث بن سفيان حدثنا قاسم بن أصبغ حدثنا جعفر بن محمد بن شاكر حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن عن سمرة قال « كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم سكتتان سكتة اذا قرأ بسم الله الرحمن الرحيم وسكتة اذا فرغ من القراءة » فأنكر ذلك عليه عمران بن الحصين فكتبوا الى أبي فكتب ابي ان صدق سمرة *

ومما روى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهر بقراءة بسم الله الرحمن الرحيم وكان المشركون يقولون نراه يدعو اله اليمامة يعنون مسيلمة وكانوا يسمونه الرحمن

وكانوا يهزؤون فنزلت ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بهافما جهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بيسم الله الرحمن الرحيم بعده » قال ابو عمر هذه الرواية ضعيفة في تأويل هذه الآية لم يتابع عليها الذي جاء بها وفي هذه الآية أقاويل قد ذكرتها في كتاب الاستذكار والحمد لله

وأما ماروى عن الصحابة والتابعين في قراءة بسم الله الرحمن الرحيم سراً في أول فاتحة الكتاب فى الصلاة فمن ذلك ما ذكره وكيع فيما حدثناه عبد الوارث بن سفيان حدثنا قاسم بن أصبغ حدثنا ابن وضاح حدثنا موسى بن معاوية حدثنا وكيع * وما ذكره عبد الرزاق فيما حدثناه خلف بن سعيد حدثنا عبد الله بن محمد بن على حدثنا احمد بن خالد حدثنا اسحاق بن ابراهيم حدثنا عبد الرزاق: وما ذكره ابو بكر بن أبى شيبة فيما حدثنا احمد بن عبد الله بن محمد بن على عن أبيه عن عبد الله ابن يونس عن بقى بن مخلد عن ابى بكر * ومن غير كتب هؤلاء أيضا نذكر منها ما حضرنا ذكره * منها ما روى عن عمر بن الخطاب من وجوه ليست بالقائمة انه قال « لا يخفي الامام اربعا التعوذ وبسم الله الرحمن الرحيم وآمين وربنا لك الحمد » * وروى ابو حمزة عن ابراهيم عن علقمة والاسود عن عبد الله قال « ثلاث يخفيهن الامام الاستعاذة وبسم الله الرحمن الرحيم وآمين » * وروى حصين وحماد ومغيرة عن ابراهيم قال « يسر الامام اربعا الاستعاذة وبسم الله الرحمن الرحيم وآمين وربنا لك الحمد » * وكذلك رواه ابو عوانة واسرائيل عن منصور عن ابراهيم * وروى الثورى عن منصور عن ابراهيم قال خمس يجهر بها الامام سبحانك

اللهم وبحمدك والتعوذ وبسم الله الرحمن الرحيم وآمين وربنا ولك الحمد ذكره وكيع وعبد الرزاق عن الثوري * وروى وكيع عن أبيه عن منصور عن ابراهيم قال أما أنا فأخفي الاستعاذة وبسم الله الرحمن الرحيم: وذكر ابو بكر حدثنا اسحاق بن سليمان الرازى عن ابى سنان عن حماد عن ابراهيم عن الاسود قال صليت خلف عمر سبعين صلاة لم يجهر فيها يبسم الله الرحمن الرحيم قال ابو عمر هذا كله مذهب الكوفيين وأكثر العراقيين وكانوا يجعلون ما خالفه بدعة * وذكر ابن ابى شيبة حدثنا هشيم أنبأنا مغيرة عن ابراهيم قال الجهر يبسم الله الرحمن الرحيم بدعة * قال وحدثنا وكيع عن ابيه عن مغيرة عن ابراهيم مثله * وأما أهل الحجاز فعلى خلاف ذلك منهم من يرى السنة ان لا يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم سرا ولا جهراً ومنهم من رأى السنة ان يجهر بها وبآمين ويجهر بالاستعاذة والتوجيه

وممن رأى من السلف ان يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم سراً ولا يجهر بها في أول فاتحة الكتاب في الصلاة عمر وعلى وعمار وقد اختلف عن بعضهم فروى عنهم الجهر بها ولم يختلف عن ابن مسعود فيما علمت انه كان يسرها * وبه قال ابو جعفر محمد بن على بن حسين والحسن وابن سيرين وروى ذلك عن ابن عباس وروى عنه الجهر بها * وذكر عبد الرزاق عن اسرائيل عن ثوير بن ابى فاختة عن ابيه ان علياً كرم الله وجهه كان لا يجهر يبسم الله الرحمن الرحيم وكان يجهر بالحمد لله رب العالمين: وروى المحاربى وغيره عن ابى سعيد مولى حذيفة عن ابى وائل

شقيق بن سلمة ان علياً وابن مسعود كانا لا يجهران بسم الله الرحمن الرحيم * وروى الثورى وشريك عن عبد الملك بن ابى بشر عن عكرمة عن ابن عباس قال الجهر بسم الله الرحمن الرحيم قراءة الاعراب * وروى حماد بن زيد عن كثير بن شنظير ان الحسن سئل عن الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم فقال انما يفعل ذلك الاعراب *وذكر ابو بكر حدثنا هشيم انبأنا ابن عون عن محمد بن سيرين انه كان يخفى بسم الله الرحمن الرحيم قال واخبرنا هشيم انبأنا حصين عن ابراهيم قال كانوا لايجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم*وروى وكيع عن اسرائيل عن جابر عن ابى جعفر محمد بن على قال لايجهر ببسم الله الرحمن الرحيم * اخبرنا قاسم بن محمد قراءة منى عليه ان قاسم بن اصبغ حدثهم حدثنا ابن وضاح حدثنا موسى بن معاوية حدثنا عبيد الله بن موسى قال أملى علينا سفيان الثوري قال فاذا قمت الى الصلاة المكتوبة فكبر وارفع يديك ثم قل سبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك ثم اقرأ بسم الله الرحمن الرحيم في نفسك ثم اجهر بالحمد لله رب العالمين يعني في صلاة الجهر قال ابو عمروهذا قول سائر الكوفيين على ماقدمنا عنهم في صدر هذا الكتاب والله الموفق للصواب *

ذكر ما احتج به من رأى الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم من الآثار المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن السلف والصحابة والتابعين ومن قال انها الآية الاولى من فاتحة الكتاب وانها لا تقرأ سراً إلا في صلاة السر وقد ذكرنا القائل بذلك في صدر هذا الكتاب :

اخبرنا احمد بن عبد الله بن محمد بن على حدثنا ابى حدثنا الحسن بن عبد الله الزبيرى وحدثنا ح قال ثنا احمد بن سعيد حدثنا عبد الله بن محمد بن طفيل حدثنا عبد الله بن محمد بن الجارود النيسابورى بمكة أنبأنا محمد بن يحيي أنبأنا ابن أبي مريم قال اخبرنى الليث بن سعد قال حدثني خالد بن زيد عن سعيد بن أبى هلال عن نعيم المجمر قال صليت وراء أبى هريرة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ثم قرأ بأم القرآن حتى بلغ ولا الضالين فقال آمين وقال الناس آمين وكان يقول كلما ركع وسجد الله أكبر واذا قام من الجلوس قال الله أكبر ويقول اذا سلم والذى نفسي بيده انى لاشبهكم صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا حديث محفوظ من حديث الليث عن خالد بن يزيد الاسكندرانى عن سعيد بن ابى هلال وهما جميعا من ثقات المصريين * وأما الليث فامام أهل بلده وقد رواه غير الليث على ما تراه في هذا الباب * وقال عمرو ابن هشام البيروتى صليت خلف الليث بن سعد فكان يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم وبآمين * وذكر ابو يحي الساجي عن جعفر بن محمد الفريابى عن ميمون بن ابى الاصبع عن عبد الله بن صالح عن الليث بن سعد قال أخبرنى خالد بن يزيد عن سعيد بن ابى هلال عن نعيم المجمر

قال صليت وراء ابى هريرة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم في أم الكتاب وقال انى لاشبهكم صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم * اخبرنى عبد الرحمن بن يحيي أنبأنا احمد بن سعيد ح وحدثنا خلف بن احمد حدثنا احمد بن مطرف قالا انبأنا عبيد الله بن يحيي قال حدثنى ابى رحمه الله حدثنا الليث بن سعد عن خالد بن يزيد عن سعيد بن ابي هلال عن نعيم المجمر قال صلى بنا ابو هريرة فوق سطح فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ثم قرأ بأم القرآن حتى بلغ ولا الضالين فقال آمين ثم كبر كلما خفض ورفع ثم قال والذي نفسى بيده انى لاشبهكم صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم *

وروى ابن وهب قال اخبرني حيوة بن شريح قال اخبرنى خالد بن يزيد عن ابن ابى هلال عن نعيم المجمر قال صليت وراء ابى هريرة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ثم قرأ بأم القرآن حتي بلغ ولا الضالين قال آمين فقال الناس امين فلما ركع قال الله اكبر وساق تمام الحديث قال فلما سلم قال والذى نفسى بيده انى لاشبهكم صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم

ورواه يحيي بن ايوب عن سعيد بن ابى هلال عن نعيم المجمر عن ابى هريرة مثله بمعناه مختصراً: قال ابو عمر حديث نعيم المجمر هذا يعارض حديث العلاء اقرأ بها في نفسك وابن ابي هلال الذى عليه يدور هذا الحديث ليس بدون العلاء ومما يشهد لصحة حديث ابن ابى هلال عن نعيم المجمر عن ابى هريرة مارواه سعيد المقبرى وصالح مولى التوئمة عن ابى

هريرة انه كان يفتتح بيسم الله الرحمن الرحيم : هذا لفظ رواية صالح عن أبي هريرة .

وذكر ابو بكر بن ابى شيبة قال حدثنا هشيم انبأنا ابو معشر عن سعيد بن ابى سعيد عن أبى هريرة انه كان يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم وقد روي حديث ابى هريرة مرفوعا كما رواه سعيد بن ابى هلال عن نعيم المجمر عن أبى هريرة : العلاء بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابى هريرة اخبرنا عبد الوارث بن سفيان حدثنا قاسم بن اصبع حدثنا أبو يحي بن ابى ميسرة فقيه مكة حدثنا النضر بن سلمة حدثنا اسماعيل بن ابى أويس عن أبيه عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن ابى هريرة «ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا افتتح الصلاة جهر بها ببسم الله الرحمن الرحيم » قال ابو يحي قال لى موسى بن هارون الحمال هذا الحديث قد رواه عن أبي اويس عبد الله كما رواه عنه ابنه

ومما يدل على ان بسم الله الرحمن الرحيم آية من أول فاتحة الكتاب وان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرؤها كذلك ويجهر بها ما وصفت أم سلمة في قراءة رسول الله صلى عليه وسلم * حدثنا ابراهيم بن شاكر حدثنا عبد الله بن عثمان حدثنا طاهر بن عبد العزيز حدثنا على بن عبد العزيز حدثنا ابو عبيد القسم بن سلام حدثنا يحي بن سعيد الأموى حدثنا عبد الملك بن عبد العزيز حدثنا جريج عن عبد الله بن مليكة عن أم سلمة ام المؤمنين « قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع قراءته آية آية بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين» * حدثنا

سعيد بن نصر حدثنا قاسم بن اصبغ حدثنا محمد بن وضاح حدثنا ابو بكر بن ابى شيبة حدثنا حفص بن غياث عن ابن جريج عن ابن ابى مليكة عن ام سلمة قالت « كان النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين »

حدثنا سعيد بن يحيي بن سعيد الأموى عن ابيه عن ابن جريج عن ابن ابى مليكة عن ام سلمة « قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأ قطع قراءته آية آية بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم مالك يوم الدين » * وذكر الساجى حدثنا محمد بن موسى الحرشى حدثنا عمر بن محمد المقدمي حدثنا نافع بن عمر الجمحي قال سمعت ابن ابى مليكة يحدث عن ام المؤمنين انها سئلت عن قراءة النبى صلى الله عليه وسلم فقالت او تقدرون على ذلك «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين يرتل آية آية » ذكر عبد الرزاق انبأنا ابن جريج قال اخبرني عمرو بن دينار ان سعيد بن جبير أخبره « أن المؤمنين في عهد النبى صلى الله عليه وسلم كانوا لا يعلمون انقضاء السورة حتى تنزل بسم الله الرحمن الرحيم فاذا نزلت بسم الله الرحمن الرحيم علموا ان السورة قد انقضت ونزلت الأخرى * وروى هذا الحديث جماعة عن ابن جريج عن عمرو بن دينار عن سعيد بن جبير عن ابن عباس * اخبرنا عبد الله بن محمد حدثنا محمد بن بكر حدثنا ابو داود حدثنا قتيبة بن سعيد واحمد بن محمد بن شبويه واحمد بن عمرو بن السرح قالوا حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن سعيد بن جبير

قال قتيبة(١) عن ابن عباس « قال كان النبى صلى الله عليه وسلم لايعرف فصل السورة حتى تنزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم » وهذا لفظ ابن السرح * اخبرنا عبد الله حدثنا محمد حدثنا أبو داود حدثنا هناد بن السرى حدثنا محمد بن فضيل عن المختار بن فلفل قال سمعت أنس بن مالك يقول « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت على آنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر حتى ختمها ثم قال اتدرون ما الكوثر قالوا الله ورسوله اعلم قال فانه نهر وعدنيه ربى في الجنة »

اخبرنا عبد الله بن محمد حدثنا حمزة حدثنا احمد بن شعيب انبأنا على بن حجر وحدثنا سعيد بن نصر وعبد الوارث بن سفيان قالا حدثنا قاسم بن اصبع حدثنا محمد بن وضاح حدثنا ابو بكر بن ابى شيبة حدثنا على بن مسهر عن المختار بن فلفل عن أنس قال « بينا النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين اظهرنا اذ اغفى اغفاءة ثم رفع رأسه متبسما قلنا ما يضحكك يارسول الله قال نزلت علىّ آنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر ثم قال هل تدرون ما الكوثر قالوا الله ورسوله اعلم قال نهر وعدنيه ربي في الجنة آنيته اكثر من عدد الكواكب ترد علىّ امتى فيختلج العبد منهم فأقول يارب انه من أمتى فيقال انك لاتدري ما أحدث بعدك » واللفظ لحديث النسائى *

اخبرنا قاسم بن محمد حدثنا خالد بن سعد حدثنا محمد بن ابراهيم حدثنى محمد بن احمد بن عبد الله عن أبى عون النسائي قدم

(١) هكذا الاصل فليتنبه

علينا بغداد حاجاً سنة سبع وثمانين ومأتين حدثنا على بن حجر حدثنا عبيد الله بن عمرو الرقى عن عبد الكريم الجزرى عن ابى الزبير عن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا قام في الصلاة فأراد أن يقرأ قال بسم الله الرحمن الرحيم قال ابو عمر قد رفعه غيره ايضا عن ابن عمر ولا يثبت فيه : الا انه موقوف على ابن عمر من فعله والله اعلم كذلك رواه سالم ونافع ويزيد الفقير عن ابن عمر وروى ابن شهاب عن سالم عن ابن عمر انه كان يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم في أول فاتحة الكتاب ويقرؤها كذلك فى السورة التى يقرأ بعدها وكذلك رواه أيوب وابن جريج وعبدالله بن عمر عن نافع عن ابن عمر فعله: وذكر أبو بكر حدثنا ابو اسامة حدثنا عبد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر انه كان اذا افتتح الصلاة قرأ بسم الله الرحمن الرحيم واذا فرغ من الحمد قرأ بسم الله الرحمن الرحيم وروى ابن وهب حدثنا عبد الله بن عمرو اسامة بن زيد عن نافع عن ابن عمر انه كان يفتتح ام الكتاب ببسم الله الرحمن الرحيم ثم يفتتح السورة بعد ببسم الله الرحمن الرحيم: ذكر الساجي حدثنا جعفر ابن محمد حدثنا سليمان بن عبد الرحمن حدثنا سعدان بن يحيى الحلمي حدثنا عمر بن ذر عن سعيد بن عبد الرحمن بن ابزى عن ابيه قال صليت خلف عمر بن الخطاب فسمعته يجهر يبسم الله الرحمن الرحيم قال وحدثنا جعفر بن محمد حدثنا ابو نعيم الحلبي عن ابى الزبير عن ابن عمر أنه كان يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم قبل فاتحة الكتاب واذا فرغ من السورة ويجهر فيها قال وحدثنا ابن المثنى حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا حميد حدثنا

بكر أن ابن الزبير كان يستفتح القراءة ببسم الله الرحمن الرحيم قال حميد كان بكر يستفتح القراءة بالحمد لله رب العالمين وروى وكيع عن شعبة عن الازرق عن قيس قال سمعت ابن الزبير قرأ بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين فلما ختمها قرأ بسم الله الرحمن الرحيم: وروى اسحاق ابن راهويه عن المعتمر بن سليمان قال سمعت اسماعيل بن حماد يذكر عن ابي خالد عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم وذكره الساجي عن يحيى بن حبيب بن عربي عن معتمر بن سليمان باسناده مثله الا انه قال ان نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يفتتح ببسم الله الرحمن الرحيم: قال ابو عمر الصحيح في هذا الحديث أيضاً والله اعلم انه روى عن ابن عباس فعله لا مرفوعاً الى النبي صلى الله عليه وسلم وروى وكيع عن سفيان عن عاصم بن ابي النجود عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس انه كان يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم وذكره الساجي عن بندار عن ابن مهدى عن سفيان الثوري عن عاصم قال سمعت سعيد بن جبير يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم في كل ركعة: وروى عبد الرزاق وغيره عن ابن جريج قال اخبرني أبي ان سعيد بن جبير اخبره عن ابن عباس قال في قول الله تعالى (ولقد آتيناك سبعا من المثاني)[1] قال هي ام القرآن قال عبد الرزاق قرأها عليّ ابن جريج بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آية آية وقال قرأها عليّ أبي كما قرأتها عليك

[1] - الحجر ٨٧

وقال قرأها على ابن جبير كما قرأتها عليك وقال ابن عباس قد اخرجها الله لكم وما أخرجها لأحد قبلكم يعنى فاتحة الكتاب السبع المثانى قال عبدالرزاق وابن معمر عن عمرو بن دينار عن ابن عباس أنه يفتتح ببسم الله الرحمن الرحيم *

أخبرنا ابراهيم بن شاكر حدثنا عبدالله بن عثمان حدثنا طاهر بن عبدالعزيز انبأنا على بن عبد العزيز أنبأنا أبو عبيد القسم بن سلام أخبرنا حجاج عن ابن جريج عن أبيه عن سعيد بن جبير قال سألت ابن عباس عن قوله عز وجل (ولقد آتيناك سبعاً من المثانى والقرآن العظيم) قال هي أم القرآن استثناها الله لأُمة محمد صلى الله عليه وسلم وأخرها حتى أخرجها لهم ولم يعطها أحداً قبل أمة محمد قال سعيد ثم قرأها ابن عباس وقرأ فيها بسم الله الرحمن الرحيم قال ابن جريج قلت لابى أخبرك سعيد بن جبير عن ابن عباس قال له بسم الله الرحمن الرحيم آية من فاتحة الكتاب قال نعم * وروى حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس انه كان يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم يقول هو شيء اختلسه الشيطان من عامة الناس *

وقد روي عن عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب وعمار بن ياسر انهم كانوا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم والطرق عنهم ليست بالقوية وقد قدمنا الاختلاف عنهم في ذلك * روى عن عمر رحمه الله فيها ثلاث روايات أحدها انه كان لايقرؤها والثانية انه كان يقرؤها سراً والثالثة انه جهر بها * وكذلك اختلف عن أبى هريرة من الجهر بها والاسرار ففي

حديث العلاء اقرأ بها في نفسك يافارسي: وفي حديث نعيم المجمر انه كان يجهر بها ويقول أنا أشبهكم بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم * وكذلك اختلف عن ابن عباس والأكثر عنه والاشهر الجهر بها وانها أول آية من فاتحة الكتاب وعليه جماعة اصحاب ابن عباس الفقهاء واهل العلم بتأويل القرآن ولا أعلم انه اختلف في الجهر بها في فاتحة الكتاب عن ابن عمر وشداد بن أويس وعبدالله بن الزبير وهو قول سعيد بن جبير وعطاء ومجاهد وطاوس وعكرمة ومكحول وعمر ابن عبدالعزيز وابن شهاب الزهري ومحمد بن كعب القرظي وهو أحد قولي ابن وهب صاحب مالك وروى معاذ بن معاذ عن حميد الطويل عن بكر بن عبدالله المزنى قال كان ابن الزبير يجهر بسم الله الرحمن الرحيم * أخبرنا ابراهيم بن شاكر حدثنا عبدالله بن عثمان حدثنا طاهر ابن عبدالعزيز حدثنا علي بن عبدالعزيز حدثنا أبو عبيد القسم بن سلام أخبرنا حسان بن عبدالله عن المفضل بن فضالة عن أبى صخر حميد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال فاتحة الكتاب سبع آيات ببسم الله الرحمن الرحيم قال المفضل وكان ابن شهاب يقول من ترك بسم الله الرحمن الرحيم فقد ترك آية من فاتحة الكتاب أو قال من السورة * وبه عن أبي عبيد أنبأنا ابن أبى مريم عن عبدالجبار بن عمر انه سمع كتاب عمر بن عبدالعزيز يقول أن استفتحوا ببسم الله الرحمن الرحيم : وروى المعتمر بن سلمان أنبأنا أبو المقدام قال صليت خلف عمر بن عبدالعزيز فسمعته يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم وعن المعتمر بن سلمان عن أبيه عن أبى قلابة انه كان

يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم وكان عمر بن عبدالعزيز يحمل الناس على عمل أهل المدينة

ومما يدل على انه كان من عمل اهل المدينة الجهر بسم الله الرحمن الرحيم ماذكره الشافعي قال حدثنا عبد المجيد بن عبد العزيز حدثنا ابن جريج اخبرني عبدالله بن عثمان بن خثيم أن أبا بكر بن حفص بن عمر بن سعد اخبره ان انس بن مالك اخبره قال صلى معاوية بالمدينة صلاة يجهر فيها بالقراءة فلم يقل بسم الله الرحمن الرحيم ولم يكبر في الخفض والرفع فلما فرغ ناداه المهاجرون والأنصار يامعاوية نقصت الصلاة اين بسم الله الرحمن الرحيم واين التكبيرة اذا خفضت ورفعت فكان اذا صلى بهم بعد ذلك قرأ بسم الله الرحمن الرحيم وكبر * وذكر هذا الخبر عبدالرزاق وغيره عن ابن جريج عن نافع عن ابن عمر قال الشافعي واخبرنا عبد المجيد عن ابن جريج عن نافع عن ابن عمر انه كان لايدع بسم الله الرحمن الرحيم لام القرآن والسورة التي بعدها : وذكر الساجي حدثنا عبد الواحد بن غياث حدثنا حماد بن زيد انبأنا ايوب عن عكرمة عن ابن عباس انه كان يستفتح بسم الله الرحمن الرحيم يجهر بها وكان يقول انما ذلك شيء سرقه الشيطان من الناس : وذكر عبد الرزاق عن ابن جريج عن عطاء قال لا ادع قراءة بسم الله الرحمن الرحيم ابداً لأم القرآن والسورة التي بعدها قال وانبأ معمر عن الزهري مثله قال وانبأ معمر عن الزهري في قول الله تبارك وتعالى (والزمهم كلمة التقوى)[1] قال بسم الله الرحمن الرحيم حين لم يقرأ المشركون بسم الله الرحمن الرحيم : قال

١ - الفتح ٢٦

ابو عمر حين لم يقرأ بها سهيل بن عمرو العامرى واصحابه الذين عقدوا الصلح مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم عام الحديبية في انصرافه عنهم الى العام القابل وابوا أن يكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم وفي ذلك نزلت سورة الفتح في قوله تعالى (والزمهم) يعنى المؤمنين (كلمة التقوى وكانوا أحق بها واهلها)[1] وقد قيل في قوله تعالى (والزمهم كلمة التقوى)[1] لا اله الا الله: وقول ابن شهاب في ذلك يعضده الآثار في صلح الحديبية ونزول سورة الفتح والله اعلم:

وكان مكحول يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم فكلم في ذلك فأبى الا ان يجهر بها: وروى الوليد بن مسلم عن الهيثم بن جميل عن النعمان بن المنذر عن مكحول قال لا يقرأ بفاتحة الكتاب حتى يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم: وقال عطاء الخراساني الجهر بها حسن جميل: قال عكرمة لا يصلى خلف من لا يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم: وكان طاوس يقرأ ببسم الله الرحمن الرحيم في فاتحة الكتاب ولا يقرأها في السورة التى بعدها وخالفه عطاء وأكثر اصحاب ابن عباس في ذلك فكانوا يقرؤنها في فاتحة الكتاب وفي السورة التي يقرؤون بعدها: وكان مالك بن انس يرى قراءتها في النوافل في فاتحة الكتاب وفي سائر سور القرآن وهو قول محمد بن الحسن: وكان الشافعي يرى قراءتها في الصلوات المكتوبات وفي النوافل فرضا لانها عنده آية من فاتحة الكتاب ولا صلاة عنده لمن لم يقرأها بتمامها في كل ركعة ومن اسقط عنده منها حرفا واحدا لم تجزئه صلاته ولم تصح له الركعة منها اذا لم يقرأ ام القرآن كلها فيها:

١ - الفتح ٢٦

ومذهب احمد بن حنبل الاسرار ببسم الله الرحمن الرحيم كمذهب الكوفيين وقال لا يجهر بها أحد الا في قيام رمضان في غير فاتحة الكتاب بين السورتين فانه من فعل ذلك فلاشيء عليه قال عبدالله بن احمد بن حنبل سمعت أبي يقول يقرأ الرجل بسم الله الرحمن الرحيم في أول كل سورة في قيام رمضان والذي يختم القرآن يقرأ كما في المصحف يعجبنى ذلك :

حدثنا احمد بن قاسم حدثنا محمد بن عبدالله بن أبى ذليم حدثنا محمد بن وضاح حدثنا يحيى بن يحيى عن عبدالله بن نافع قال لا أرى لاحد أن يترك قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في فريضة ولا نافلة . وروى أبو ثابت عن ابن نافع عن مالك قال لا بأس أن تقرأ بسم الله الرحمن الرحيم في الفريضة والنافلة . ولا يصح هذا عندنا عن مالك والله أعلم وانما هو صحيح عن ابن نافع * أخبرنا أبو محمد قاسم بن محمد حدثنا خالد ابن سعد ح وأنبأنا عبدالرحمن بن يحيى حدثنا احمد بن سعيد قال حدثنا سعيد بن عثمان الاعناقى أنبأنا عبد الله بن محمد بن خالد أنبأنا أصبغ بن الفرج قال كان ابن وهب يذهب الى الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ثم رجع الى الاسرار بها

﴿ آخر الكتاب والحمدلله وحده و صلواته على سيدنا محمد واله وصحبه وسلامه . حسبي الله ونعم الوكيل ﴾

قوبلت هذه الرسالة على نسخة محفوظة بمكتبة رواق المغاربة وعليها اجازات من علماء القرن الثامن والله اعلم

الزهر النضر

في نبأ الخضر

تأليف

الحافظ الحجة شهاب الدين أبي الفضل

احمد بن علي بن حجر العسقلانى المتوفى سنة ٨٥٢ ه



الحمد لله المنفرد بالبقاء والدوام * وعلى من خصه بمزيد التفضل والسيادة مزيد الصلاة والسلام * وأنزل عليه فى الكتاب المكنون (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون)[١] * وعلى آله وصحبه الذين كانوا يأمرون بالخير ويأتمرون * صلاة وسلاما دائمين الى يوم يبعثون .

(أما بعد) فقد تكرر السؤال قديماً وحديثاً عن الخضر صاحب موسى هل هو نبي أو ولي وهل عمر الى أن أدرك بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وعاش بعده أو مات قبل ذلك أو هو حي باق وعن كثير من أخباره وكنت جمعت في ذلك مما صنف فيه بخصوصه من القدماء أبوجعفر بن المنادى ومن المتأخرين أبو الفرج بن الجوزي وأضفت اليهما أشياء ظفرت بها بطول التتبع . ثم لما التزمت فى كتابي الاصابة في تمييز الصحابة أن أذكر كل من جاء فى خبر من

الأنبياء ٣٤

الاخبار أنه لقى النبى صلى الله عليه وسلم لزم ذكرى للخضر عليه السلام لأنه من شرط الاصابة وان لم يرد في خبر ثابت أنه من جملة الصحابة وقد أفردته الآن ليقف كل سائل عنه على كل ما كنت قرأته وسمعته وجعلته أبوابا والله أسأل النفع به أنه قريب مجيب

باب نسبه

قيل هو ابن آدم من صلبه . وهذا قول رواه الدارقطنى في الافراد من طريق رواد بن الجراح عن مقاتل بن سليمان عن الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما * ورواد ضعيف ومقاتل متروك والضحاك لم يسمع من ابن عباس رضى الله عنهما { القول الثاني } أنه ابن قابيل بن آدم : ذكره أبو حاتم السجستانى في كتاب المعمرين قال حدثنا مشيختنا منهم أبو عبيدة فذكره . وهذا معضل . وحكي صاحب هذه المقالة ان اسمه خضرون وهو الخضر * { القول الثالث } جاء عن وهب بن منبه أنه بليا بن ملكان بن قالع ابن شالخ بن عابر بن ارفخشد بن سام بن نوح . وبهذا قال ابن قتيبة وحكاه النووى وزاد وقيل كلمان بدل ملكان * { القول الرابع } جاء عن اسماعيل ابن أبي أويس أنه المعمر بن مالك بن عبد الله بن نصر بن الازد . وقيل اسمه عامر حكاه أبو الخطاب بن دحية عن ابن حبيب البغدادى * { القول الخامس } هو ابن عاميل بن النور بن العيص بن اسحق حكاه ابن قتيبة أيضاً وكذا سمى أباه عاميل مقاتل { القول السادس } انه من سبط هرون أخي موسى روى عن الكلبي عن أبى صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو بعيد واعجب منه قول ابن اسحق انه ارميا بن خلقيا وقد رد ذلك ابو جعفر بن جرير * { القول السابع } انه ابن بنت فرعون حكاه محمد بن ايوب عن ابن لهيعة .

وقيل ابن فرعون لصلبه حكاه النقاش * ﴿ القول الثامن ﴾ انه اليسع حكى عن مقاتل ايضاً وهو بعيد ايضاً * ﴿ القول التاسع ﴾ انه من ولد فارس جاء ذلك عن ابن شوذب اخرجه الطبري بسند جيد من رواية ضمرة بن ربيعة عن ابن شوذب * ﴿ القول العاشر ﴾ انه من ولد بعض من كان آمن بابراهيم وهاجر معه من ارض بابل حكاه ابن جرير الطبري في تاريخه : وقيل كان ابوه فارسيا وامه رومية . وثبت في الصحيحين ان سبب تسميته الخضر انه جلس على فروة بيضاء فاذا هي تهتز تحته خضراء . هذا لفظ احمد من رواية ابن المبارك عن معمر عن همام عن أبي هريرة رضى الله عنه والفروة الارض اليابسة : وقال احمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن همام عن أبي هريرة رضى الله عنه رفعه إنما سمى الخضر خضراً لانه جلس على فروة فاهتزت تحته خضراء والفروة الحشيش الابيض . قال عبد الله بن احمد أظنه تفسير عبد الرزاق : وفى الباب عن ابن عباس رضى عنهما من طريق قتادة عن عبد الله بن الحرث عنه ومن طريق منصور عن مجاهد . قال النووى كنيته أبو العباس . وهذا متفق عليه .

﴿ باب ما ورد في ذكر كونه نبياً ﴾

قال الله تعالى في خبره عن موسى حكاية عنه « وما فعلته عن أمرى » وهذا ظاهره أنه فعله بأمر من الله والاصل عدم الواسطة ويحتمل أن يكون بواسطة نبي آخر لم يذكره وهو بعيد ولا سبيل الى القول بأنه إلهام لان ذلك لا يكون من غير النبي وحياً حتى يعمل به ما عمل من قتل النفس وتعريض الانفس للغرق :فان قلنا انه نبي فلا انكار في ذلك وأيضاً كيف يكون غير النبي أعلم من النبي وقد أخبر النبى صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح أن الله

تعالى قال لموسى « بلى عبدنا خضر » وأيضاً فكيف يكون النبي تابعا لغير نبي وقال الثعلبي هو نبي في جميع الأقوال : وكان بعض أكابر العلماء يقول . أول عقدة تحل من الزندقة اعتقاد كون الخضر نبياً لان الزنادقة يتذرعون بكونه غير نبي الى أن الولى أفضل من النبي كما قال قائلهم

مقــام النبوة في برزخ فويق الرسول ودون الولى

وقال أبو جعفر بن جرير فى تاريخه كان الخضر ممن كان فى ايام أفريدون الملك فى قول عامة أهل الكتاب الاول . وقيل انه كان على مقدمة ذى القرنين الاكبر الذى كان على أيام ابراهيم الخليل عليه السلام وانه بلغ مع ذى القرنين الذى ذكر أن الخضر كان ملتزمه نهر الحياة فشرب من مائه وهو لايعلم ولا يعلم ذو القرنين ومن معه فخلد وهو عندهم حي الى الآن : قال ابن جرير وذكر ابن اسحق ان الله تعالى استخلف على بنى اسرائيل رجلا منهم وبعث الخضر معه نبيا قال ابن جرير بين هذا الوقت وبين أفريدون أزيد من ألف عام قال وقول من قال انه كان فى أيام افريدون اشبه الا ان يحمل على انه لم يبعث نبيا الا فى زمن ذلك الملك « قلت بل يحتمل أن يكون قوله وبعث معه الخضر نبياً أى أيده لان ذلك الوقت كان وقت انشاء نبوته فلا يمتنع ان يكون نبي قبل ذلك ثم أرسل مع هـذا الملك : وإنما قلت ذلك لان غالب اخباره مع موسى هي الدالة على تصحيح قول من قال انه كان نبياً ثم اختلف من قال انه كان نبياً هل كان مرسـلا فجاء عن ابن عباس ووهب بن منبه انه كان نبياً غير مرسل وجاء عن اسماعيل بن أبي زياد ومحمد ابن إسحق وبعض اهل الكتاب انه ارسل الى قومه فاستجابوا له ونصر هـذا القول ابو الحسن الرمانى ثم ابن الجوزى وقال الثعلبي هو نبي على جميع الأقوال معمر محجوب عن الابصار « وقال أبو حيان فى تفسيره والجمهور على انه نبي وكان علمه معرفة بواطن أوحيت اليه وعلم موسى الحكم بالظاهر : وذهب الى انه كان

وليا جماعة من الصوفية وقال به أبو على بن أبي موسى من الحنابلة وأبو بكر بن الانباري في كتابه الزاهر بعد أن حكى عن العلماء قولين هل كان نبياً أو ولياً: وقال أبو القاسم القشيرى في رسالته لم يكن الخضر نبياً وانما كان ولياً وحكى الماوردى قولاً ثالثاً أنه ملك من الملائكة يتصور فى صور الآدميين مغيراً ذاتاً: وقال أبو الخطاب بن دحية لا ندرى هو ملك أو نبي أو عبد صالح . وجاء من طريق أبى صالح كاتب الليث عن يحيي بن أيوب عن خالد بن يزيد ان كعب الاحبار قال ان الخضر بن عاميل ركب في نفر من أصحابه حتى بلغ بحر الترك وهو بحر الصين فقال لاصحابه دلوني فدلوه فى البحر أياماً وليالي ثم صعد فقالوا له يا خضر ما رأيت فلقد أكرمك الله وحفظ لك نفسك فى لجة هذا البحر قال استقبلنى ملك من الملائكة فقال لى فكيف وقد أهوى رجل من زمان داود النبي صلى الله عليه وسلم ولم يبلغ ثلث قعره حتي الساعة وذلك منذ ثلثمائة سنة أخرجه أبو نعيم فى ترجمة كعب من الحلية:

(باب ما ورد في تعميره والسبب في ذلك)

روى الدارقطنى بالاسناد الماضى(١) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال نسىء للخضر فى أجله حتى يكذب الدجال. وذكر ابن إسحق فى المبتدأ قال حدثنا أصحابنا ان آدم لما حضره الموت جمع بنيه وقال ان الله تعالى منزل على اهل الارض عذابا فليكن جسدى معكم فى المغارة حتى تدفنوني بأرض الشام فلما وقع الطوفان قال نوح لبنيه ان آدم دعى الله ان يطيل عمر الذى يدفنه الى يوم القيامة فلم يزل جسد آدم حتى كان الخضر هو الذي تولى دفنه وأنجز الله له ماوعده فهو

(١) تقدم ان في سنده رواد بن الجراح وهو ضعيف عن مقاتل بن سليمان وهو متروك عن الضحاك عن ابن عباس والضحاك لم يلق ابن عباس

يحيا الى ما شاء الله ان يحيا * وروى ابن عساكر فى ترجمة ذى القرنين من طريق خيثمة بن سليمان حدثنا أبو عبيدة بن أخى هناد حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا ابى قال حدثنا معتمر بن سليمان عن أبي جعفر عن ابيه انه سئل عن ذى القرنين فقال كان عبداً من عباد الله صالحاً وكان من الله بمنزل ضخم وكان قد ملك ما بين المشرق والمغرب وكان له خليل من الملائكة يقال له رفائيل وكان يزوره فبينما يتحدثان إذ قال له حدثنى كيف عبادتكم فى السماء فبكى وقال وما عبادتكم عند عبادتنا . ان في السماء ملائكة قيام لا يجلسون أبداً يقولون رب ما عبدناك حق عبادتك فبكى ذو القرنين ثم قال يارفائيل اني أحب أن أعمر حتى أبلغ عبادة ربي حق طاعته قال وتحب ذلك قال نعم قال فان لله عينا تسمى عين الحياة من شرب منها شربة لم يمت أبداً حتى يكون هو الذى يسأل ربه الموت قال ذو القرنين فهل تعلم موضعها قال لا غير انا نتحدث فى السماء ان لله ظلمة فى الارض لم يطأها إنس ولا جن فنحن نظن أن العين فى تلك الظلمة فجمع ذو القرنين علماء الارض فسألهم عن عين الحياة فقالوا لا نعرفها قال فهل وجدتم فى علمكم ان لله ظلمة فقال عالم منهم لم تسألُ عن هذا فاخبره فقال اني قرأت فى وصية آدم ذكر هذه الظلمة وأنها عند قرن الشمس فتجهز ذو القرنين وسار اثنتى عشرة سنة الى أن بلغ طرف الظلمة فاذا هى ليست بليل وهى تفور مثل الدخان فجمع العساكر وقال انى أريد ان أسلكها فمنعوه فسأله العلماء الذين معه ان يكف عن ذلك لئلا يسخط الله عليهم فأبى فانتخب من عساكره ستة الاف رجل على ستة الاف فرس أنثى بكر وعقد للخضر على مقدمته فى الفى رجل فسار الخضر بين يديه وقد عرف ما يطلب وكان ذو القرنين يكتمه ذلك فبينا هو يسير إذ عارضه واد فظن ان العين فى ذلك الوادى فلما أتى شفير الوادى استوقف أصحابه وتوجه فاذا هو على حافة عين من ماء فنزع ثيابه فاذا ماء أشد بياضاً من اللبن واحلى

من الشهد فشرب منه وتوضأ واغتسل ثم خرج ولبس ثيابه وتوجه ومر ذو القرنين فأخطأ الظلمة . وذكر بقية الحديث

ويروى عن سليمان الاشج صاحب كعب الاحبار عن كعب ان الخضر كان وزير ذى القرنين وانه وقف معه على جبل الهند فرأى ورقة فيها بسم الله لرحمن الرحيم من آدم أبي البشر الى ذريته اوصيكم بتقوى الله واحذركم كيد عدوي وعدوكم ابليس فانه انزلني هنا قال فنزل ذو القرنين فمسح جلوس آدم فكانت مائة وثلاثين ميلا *

ويروى عن الحسن البصرى قال وكّل الياس بالفيافي ووكّل الخضر بالبحور وقد أعطيا الخلد في الدنيا الى الصيحة الاولى وانهما يجتمعان فى موسم كل عام. وقال الحارث بن أبي أسامة في مسنده حدثنا عبد الرحيم بن واقد حدثني محمد بن بهرام أخبرنا أبان عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الخضر فى البحر واليسع في البر يجتمعان كل ليلة عند الردم الذي بناه ذو القرنين بين الناس وبين يأجوج ومأجوج ويعتمران كل عام ويشربان من ماء زمزم شربة تكفيهما الى قابل» * قلت وعبد الرحيم وأبان متروكان * وقال عبد الله بن المغيرة عن ثور عن خالد بن معدان عن كعب قال الخضر على منبر من نور بين البحر الأعلى والبحر الأسفل وقد أمرت دواب البحر أن تسمع له وتطيع وتعرض عليه الارواح غدوة وعشية . ذكره العقيلي : وقال عبد الله بن المغيرة يحدث بما لا أصل له وقال ابن يونس أنه منكر الحديث * وروى ابن شاهين بسند ضعيف الى خصيف قال أربعة من الانبياء أحياء اثنان في السماء عيسى وادريس واثنان في الارض الخضر والياس فأما الخضر فانه في البحر وأما صاحبه فانه في البر : وسيأتى في الباب الاخير أشياء من هذا الجنس كثيرة وقال الثعلبي يقال أن الخضر لا يموت إلا في آخر الزمان عند رفع القرآن : قال

النووى في تهذيبه قال الاكثرون من العلماء هو حى موجود بين أظهرنا وذلك متفق عليه بين الصوفية وأهل الصلاح والمعرفة وحكاياتهم في رؤيته والاجتماع به والاخذعنه وسؤاله وجوابه ووجوده في المواضع الشريفة أومواطن الخير اكثر من ان تحصى وأشهر من ان تذكر : قال وقال ابن الصلاح في فتاواه هو حي عند جماهير العلماء والصالحين والعامة معهم قال وانما شذ بانكاره بعض المحدثين ·

قال السهيلى فى كتاب التعريف والاعلام اسم الخضر مختلف فيه فذكر بعض ما تقدم وذكر في قول من قال أنه ابن عاميل بن سماطين بن أرما بن خالفا بن عيصو بن إسحق وأن أباه كان ملكا وأن أمه فارسية اسمها ألهاء وانها ولدته في مغارة وانه وجد هناك شاة ترضعه فى كل يوم من غنم رجل من القرية فأخذه الرجل ورباه فلما شب طلب الملك كاتبا يكتب الصحف التى أنزلت على ابراهيم فجمع أهل المعرفة والنبالة فكان فيمن أقدم عليه ابنه الخضر وهو لا يعرفه فلما استحسن خطه ومعرفته بحث عن جلية أمره حتى عرف أنه ابنه فضمه الى نفسه وولاه أمر الناس ثم ان الخضر فر من الملك لاسباب يطول ذكرها الى أن وجد عين الحياة فشرب منها فهو حي الى أن يخرج الدجال فهو الرجل الذى يقتله الدجال ثم يحييه قال وقيل إنه لم يدرك زمن النبي صلى الله عليه وسلم وهذا لا يصح قال وقال البخارى وطائفة من أهل الحديث مات الخضر قبل انقضاء مائة سنة من الهجرة قال ونصر شيخنا أبو بكر بن العربي هذا لقوله صلى الله عليه وسلم « على رأس مائة سنة لا يبقى على الارض ممن هو عليها أحد » يريد ممن كان حياً حين هذه المقالة قال وأما اجتماعه مع النبي صلى الله عليه وسلم وتعزيته لاهل بيته وهم مجتمعون بغسله عليه الصلاة والسلام فروى من طرق صحاح منها ما ذكره ابن عبد البر فى التمهيد وكان امام أهل الحديث في وقته

فذكر الحديث في تعزية الصحابة بالنبي صلى الله عليه وسلم يسمعون القول ولا يرون القائل فقال لهم علي رضى الله عنه هو الخضر قال وقد ذكر ابن أبى الدنيا من طريق مكحول عن أنس رضى الله عنه اجتماع الياس بالنبي صلى الله عليه وسلم واذا جاز بقاء الياس الى العهد النبوى جاز بقاء الخضر انتهى ملخصاً

وتعقبه عليه فيه أبو الخطاب بن دحية بأن الطرق التى أشار اليها لم يصح منها شيء ولا ثبت اجتماع الخضر مع أحد من الانبياء الامع موسى كما قص الله تعالى من خبرهما قال وجميع ما ورد في حياته لا يصح منها شيء باتفاق أهل النقل وانما يذكر ذلك من يروى الخبر ولا يذكر علته اما لكونه لا يعرفها وإما لوضوحها عند أهل الحديث قال واما ما جاء عن المشايخ فهو مما يتعجب منه كيف يجوز لعاقل أن يلقى شخصاً لا يعرفه فيقول له أنا فلان فيصدقه . قال وأما حديث التعزية الذى ذكره أبو عمر فهو موضوع رواه عبد الله بن المحرز عن يزيد بن الاصم عن علي رضى الله عنه وابن محرز متروك وهو الذى قال ابن مبارك في حقه كما أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه لما رأيته كانت بعرة أحب الىّ منه ففضل رؤية النجاسة على رؤيته: قلت فقد جاء ذكر التعزية المذكورة من غير رواية عبد الله بن محرز كما سأذكره بعد قال وأما حديث مكحول عن أنس رضى الله عنه فهو موضوع ثم نقل تكذيبه عن احمد ويحيي وإسحق وأبى زرعة قال وسياق المتن ظاهر النكارة وانه من الخرافات انتهى كلامه ملخصاً . وسأذكر حديث أنس رضى الله عنه بطوله وان له طريقاً غير التى أشار اليها السهيلى

(ذ كر شيء من أخبار الخضر قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم)

قد قص الله تعالى في كتابه ما جرى لموسى عليه السلام معه وأخرجه الصحيحان من طرق عن أبي بن كعب وفي سياق القصة زيادات في غير الصحيح قد نبهت عليها فى فتح البارى بشرح البخارى وثبت في الصحيحين ان النبي

صلى الله عليه وسلم قال « وددت أن موسى صبر حتى يقص الله علينا من أمرهما »
وهذا مما استدل به من زعم أنه لم يكن حالة هذه المقالة موجوداً إذ لو كان
موجوداً لأمكن أن يصحبه بعض أكابر الصحابة رضى الله عنهم فيرى منه
نحواً مما رأى موسى وقد أجاب عن هذا من ادعى بقاءه بان التمنى انما كان لما
يقع بينه وبين موسى عليهما السلام وغير موسى لا يقوم مقامه

(ومن أخباره مع غير موسى)

ما أخرجه الطبرانى في المعجم الكبير من وجهين عن بقية بن الوليد عن
محمد بن زياد الالهانى عن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال« الا أخبركم عن الخضر قالوا بلى يارسول الله قال بينا هو ذات
يوم يمشى في سوق بنى اسرائيل أبصره رجل مكاتب فقال له تصدق عليّ بارك
الله فيك فقال الخضر آمنت بالله ما شاء الله من أمر يكون . ماعندى من شيء
أعطيك فقال المسكين أسألك بوجهه لما تصدقت عليّ فاني نظرت السماحة في
وجهك ورجوت البركة عندك فقال الخضر آمنت بالله ما عندى شيء أعطيك
الا أن تأخذنى وتبيعني فقال المسكين وهل يستقيم هذا قال نعم الحق أقول لقد
سألتنى بأمر عظيم أما انى لا أخيبك بوجه ربى بعنى قال فقدمه الى السوق فباعه
بأربعمائة درهم فمكث عند المشتري زماناً لا يستعمله في شيء فقال له إنك انما
اشتريتنى التماس خير عندى فاوصنى بعمل قال أكره أن أشق عليك انك شيخ
كبير ضعيف قال ليس يشق عليّ قال فقم فانقل هذه الحجارة وكان لا ينقلها دون
ستة نفر في يوم فخرج الرجل لبعض حاجته ثم انصرف وقد نقل الحجارة في
ساعة فقال أحسنت وأطقت ما لم أرك تطيقه قال ثم عرض للرجل سفر فقال انى
أحسبك أميناً فاخلفنى في أهلي خلافة حسنة قال نعم وأوصنى بعمل قال انى

أ كره ان أشق عليك قال ليس يشق علي قال فاضرب من اللبن لبيتى حتى أقدم عليك قال ومر الرجل لسفره ثم رجع وقد شيد بناءه فقال أسألك بوجه الله ما سبيلك وما أمرك قال سألتنى بوجه الله ووجه الله أوقعنى في العبودية فقال الخضر سأخبرك أنا الخضر الذى سمعت به سألني مسكين صدقة فلم يكن عندي ما أعطيه له فسألنى بوجه الله ومن سئل بوجه الله فرد سائله وهو يقدر وقف يوم القيامة وليس على وجهه جلد ولا لحم الا عظم تقعقع فقال الرجل آمنت بالله شققت عليك يانبى الله ولم أعلم قال لا بأس أحسنت وأيقنت فقال الرجل بأبي أنت وأمي يانبي الله احكم في أهلى ومالي بما شئت أو اختر فأخلى سبيلك قال أحب ان تخلى سبيلى فاعبد ربى قال فخلى سبيله فقال الخضر الحمد لله الذى أوقعنى في العبودية ثم نجانى منها»

قلت وسند هذا الحديث حسن لولا عنعنة بقية ولو ثبت لكان نصا ان الخضر نبي لحكاية النبى صلى الله عليه وسلم قول الرجل يانبي الله وتقريره على ذلك

(ذكر من ذهب الى ان الخضر مات)

نقل أبو بكر النقاش في تفسيره عن علي بن موسى الرضى وعن محمد بن اسماعيل البخارى ان الخضر مات وان البخاري سئل عن حياة الخضر فأنكر ذلك واستدل بالحديث «ان على رأس مائة سنة لا يبقى على وجه الارض ممن هو عليها أحد» وهذا أخرجه هو فى الصحيح عن ابن عمر وهو عمدة من تمسك بانه مات وانكر ان يكون باقياً : وقال أبو حيان فى تفسيره الجمهور على انه مات ونقل عن أبي الفضل المرسى ان الخضر صاحب موسى مات لانه لو كان حياً لزمه المجيء الى النبي صلى الله عليه وسلم والايمان به واتباعه وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «لو كان موسى حياً ما وسعه الا اتباعي» وأشار الى أن الخضر هو غير صاحب موسى وقال غيره لكل زمان خضر وهي دعوى لا دليل

عليها : ونقل أبو الحسن بن المنادى في كتابه الذى جمعه في ترجمة الخضر عن ابراهيم الحربي ان الخضر مات وبذلك جزم ابن المناوي المذكور : وذكر ابن الجوزى في جزئه الذى جمعه في ذلك عن أبي يعلى بن الفراء الحنبلى قال سئل بعض اصحابنا عن الخضر هل مات فقال نعم وبلغني مثل هذا عن ابى طاهر ابن العبادى وكان يحتج بانه لو كان حيا لجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم: واستدل ابن الجوزى بانه لو كان حياً مع ما ثبت أنه كان في زمن موسى وقبل ذلك لكان جسده مناسباً لاجساد أولئك ثم ساق بسند له الى أبى عمر ان الجوني قال قال كان أنف دانيال ذراعا ولما كشف عنه في زمن أبى موسى قام رجل جنبه فكانت ركبة دانيال محاذية لرأسه والذين يدعون رؤية الخضر في سائر أخبارهم ما يدل على أن جسده نظير أجسادهم ثم استدل بما أخرجه احمد من طريق مجالد عن الشعبى عن جابر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « والذى نفسى بيده لو ان موسى كان حيا ما وسعه الا أن يتبعنى » قال فاذا كان هذا في حق موسى فكيف لم يتبعه الخضر لو كان حيا فيصلي معه الجمعة والجماعة ويجاهد تحت رايته كما ثبت ان عيسى يصلي خلف امام هذه الامة : واستدل أيضا بقوله تعالى (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة) الآية قال ابن عباس ما بعث الله نبياً الا وقد أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه

وقال ابو الحسن بن المنادى بحثت عن تعمير الخضر وهل هو باق أم لا فاذا أكثر المغفلين مغترون بأنه باق من أجل ما روى في ذلك قال والاحاديث المرفوعة في ذلك واهية والسند الى أهل الكتاب ساقط لعدم ثقتهم وخبر مسلمة ابن مصقلة كالخرافة : وخبر رياح كالرياح قال وماعدا ذلك كله من الاخبار كلها واهية الصدور والاعجاز لا يخلو حالها من أحد أمرين اما ان تكون ادخلت

على الثقات استغفالا أو يكون بعضهم تعمد : وقد قال الله تعالى (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) قال وأهل الحديث متفقون على أن حديث أنس منكر السند غير مستقيم المتن وان الخضر لو كان حيا لما وسعه التخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والهجرة اليه قال وقد اخبرني بعض اصحابنا ان ابراهيم سئل عن تعمير الخضر فانكر ذلك وقال هو متقادم الموت قال وروجع غيره فقال من احال على غائب حي او مفقود ميت لم ينتصف منه وما ألقى هذا بين الناس الا الشيطان انتهى

وقد ذكرت الاخبار التى أشار اليها وأضفت اليها أشياء كثيرة من جنسها وغالبها لا يخلو طريقه من علة . وبالله المستعان : واحتج ابن الجوزى ايضا بما ثبت في صحيح البخارى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر « اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض »

(ذكر الاخبار التى وردت ان الخضر كان في زمن النبى)
(صلى الله عليه وآله وسلم ثم بعده الى الآن)

روى ابن عدى فى الكامل من طريق عبد الله بن نافع عن كثير بن عبد الله بن عمرو ابن عوف عن ابيه عن جده « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في المسجد فسمع كلاما من ورائه فاذا هو يقول اللهم اعنى على ما ينجيني مما خوفتنى فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين سمع ذلك الا يضم اليها اختها فقال الرجل اللهم ارزقنى شوق الصالحين الى ما شوقتهم اليه فقال النبي صلي الله عليه وسلم لأنس بن مالك اذهب يا انس فقل له يقول لك رسول الله سلى الله عليه وسلم استغفر لي فجاءه انس فبلغه فقال الرجل يا انس انت رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم الي فارجع فاستثبته فقال النبي صلى الله عليه وسلم قل له نعم فقال له اذهب فقل له ان الله فضلك على الانبياء مثل ما فضل به

رمضان على الشهور وفضل امتك على الامم مثل ما فضل يوم الجمعة على سائر الايام فذهب ينظر اليه فاذا هو الخضر » : كثير بن عبد الله ضعفه الائمة لكن جاء من غير روايته *

قال ابو الحسين بن المنادى اخبرنى ابو جعفر احمد بن النضر العسكرى ان محمد بن سلام المنيحى حدثهم * واخرجه ابن عساكر من طريق محمد بن الفضل بن جابر عن محمد بن سلام المنيحي حدثنا وضاح بن عباد الكوفي حدثنا عاصم بن سليمان الاحول حدثنى انس بن مالك رضى الله عنه قال « خرجت ليلة من الليالى أحمل مع النبي صلى الله عليه وسلم الطهور فسمع مناديا ينادى فقال لى يا انس صه فسكت فاستمع فاذا هو يقول اللهم اعنى على ما ينجينى مما خوفتنى منه قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قال اختها معها فكأن الرجل لقن ما أراد النبي صلى الله عليه وسلم فقال وارزقنى شوق الصالحين الى ما شوقتهم اليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لي يا أنس ضع لي الطهور وأئت هذا المنادي فقل له ادع الله تعالى لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعينه على ما ابتعثه به وادع لامته ان يأخذوا ما أتاهم به بينهم بالحق قال فأتيته فقلت رحمك الله ادع الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعينه على ما ابتعثه به وادع لامته أن يأخذوا ما أتاهم به بينهم بالحق فقال لي ومن أرسلك فكرهت أن أخبره ولم أستأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له رحمك الله ما يضرك من أرسلنى ادع الله بما قلت لك فقال لا أو تخبرني من أرسلك قال فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له يارسول الله أبى أن يدعو لك بما قلت له حتى أخبره بمن أرسلنى فقال ارجع اليه فقل له أنا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجعت اليه فقلت له فقال لى مرحبا برسول رسول الله أنا كنت أحق ان آتيه اقرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم منى السلام وقل له يارسول الله الخضر يقرأ لك السلام ورحمة

الله ويقول لك يارسول الله ان الله فضلك على الانبياء كما فضل شهر رمضان على سائر الشهور وفضل أمتك على الامم كما فضل يوم الجمعة على سائر الايام قال فلما وليت سمعته يقول اللهم اجعلني من هذه الامة المرحومة المرشدة المتوب عليها » *

وأخرجه الطبراني في الاوسط عن بشر بن علي بن بشر العمي عن محمد بن سلام وقال لم يروه عن أنس الاعاصم ولا عنه الاوضاح تفرد به محمد بن سلام قلت وقد جاء من وجهين آخرين عن أنس رضي الله عنه : وقال أبو الحسين بن المنادى هذا حديث واه بالوضاح وغيره وهو منكر الاسناد سقيم المتن ولم يراسل الخضر نبينا صلى الله عليه وسلم ولم يلقه : واستبعده ابن الجوزى من جهة امكان لقياه النبي صلى الله عليه وسلم واجتماعه معه ثم لايجيء اليه * وأخرج ابن عساكر من طريق أبي خالد مؤذن مسجد مُسلبة حدثنا أبو داود عن أنس فذكر نحوه *

وقال ابن شاهين حدثنا موسى بن أنس بن خالد بن عبد الله بن طلحة ابن موسى بن أنس بن مالك حدثنا أبي حدثنا محمد بن عبد الله الانصارى حدثنا حاتم بن أبي رواد عن معاذ بن عبد الله بن أبي بكر عن أبيه عن أنس رضي الله عنه قال «خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة لحاجة فخرجت خلفه فسمعنا قائلا يقول اللهم انى أسألك شوق الصالحين الى ما شوقتهم اليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أضاف اليها أختها فسمعنا القائل وهو يقول اللهم انى أسألك أن تعينني بما ينجيني مما خوفتني منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبت ورب الكعبة يا أنس أئت الرجل فاسأله أن يدعو لرسول الله أن يرزقه الله القبول من أمته والعون على ما جاء به من الحق والتصديق قال أنس رضي الله عنه فأتيت الرجل فقلت يا أبا عبد الله أدع لرسول الله صلى الله

عليه وسلم فقال لى ومن أنت فكرهت أن أخبره ولم أستأذن وأبى ان يدعوحتى اخبره فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال أخبره فرجعت فقلت له أنارسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليك فقال مرحباً برسول رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعى له وقال أقرئه مني السلام وقل له انا أخوك الخضر انا كنت أحق أن آتيك قال فلما وليت سمعته يقول اللهم اجعلني من هذه الامة المرحومة المتاب عليها » *

وقال الدارقطنى في الافراد حدثنا احمد بن العباس البغوى حدثنا أنس بن خالد حدثني محمد بن عبد الله به نحوه . ومحمد بن عبد الله هذا هو ابو سلمة الانصارى وهو واهي الحديث جداً وليس هو شيخ البخارى قاضي البصرة ذاك ثقة وهو أقدم من ابي سلمة * وروينا في فوائد ابى اسحق براهيم بن محمد المزنى تخريج الدارقطني حدثنا محمد بن اسحق بن خزيمة حدثنا محمد بن احمد بن زيد انا عمر بن عاصم حدثنا الحسن بن رزين عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس لا اعلمه الا مرفوعاً الى النبي صلى الله عليه وسلم قال « يلتقي الخضر والياس في كل عام في الموسم يحلق كل واحد منهما رأس صاحبه ويتفرقان عن هؤلاء الكلمات بسم الله ما شاء الله لا يسوق الخير إلا الله . بسم الله ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله بسم الله ما شاء الله لا حول ولا قوة الا بالله » . قال الدارقطني في الافراد لم يحدث به عن ابن جريج غير الحسن ابن رزين : وقال ابو جعفر العقيلى لم يتابع عليه وهو مجهول وحديثه غير محفوظ : وقال ابو الحسين بن المنادى هو حديث واه بالحسن المذكور انتهى

وقد جاء من غير طريقه لكن من وجه واه جداً اخرجه ابن الجوزي من طريق احمد بن عمار حدثنا محمد بن مهدى حدثنا مهدي بن هلال حدثنى ابن جريج فذكره بلفظ « يجتمع البرى والبحرى الياس والخضر كل عام بمكة قال

ابن عباس بلغنا انه يحلق احدهما رأس صاحبه ويقول احدهما للآخر قل بسم الله الى آخره » وزاد قال ابن عباس «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن عبد قالها في كل يوم إلا أمن من الحرق والغرق والسرق وكل شيء يكرهه حتى يمسي وكذلك حتى يصبح » قال ابن الجوزي : احمد بن عمار متروك عند الدارقطني . ومهدى بن هلال مثله . وقال ابن حبان مهدى بن هلال يروى الموضوعات * ومن طريق عبيد بن إسحق العطار حدثنا محمد بن ميسر عن عبد الله بن الحسن عن ابيه عن جده عن على رضى الله عنه « قال يجتمع في كل يوم عرفة جبريل وميكائيل وإسرافيل والخضر فيقول جبريل ما شاء الله لا قوة إلا بالله فيرد عليه ميكائيل ما شاء الله كل نعمة فمن الله فيرد عليهما اسرافيل ما شاء الله الخير كله بيد الله فيرد عليهم الخضر فيقول ما شاء الله لا يدفع السوء إلا الله ثم يتفرقون فلا يجتمعون إلا الى قابل في مثل هذا اليوم » وعبيد بن إسحق متروك الحديث .

وأخرج عبد الله بن احمد في زوائد كتاب الزهد لأبيه عن الحسن بن عبد العزيز عن السرى بن يحي عن عبد العزيز بن أبي رواد قال يجتمع الخضر والياس ببيت المقدس في شهر رمضان من أوله الى آخره ويفطران على الكرفس وامثال الموسم كل عام — وهذا معضل * وروينا في فوائد أبي علي أحمد بن محمد بن على الباشانى حدثنا عبد الرحيم بن حبيب الداريانى حدثنا صالح عن أسد بن سعيد عن جعفر بن محمد عن آبائه عن علي رضى الله عنه قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فذكر عنده الادهان «فقال فضل دهن البنفسج على سائر الادهان كفضلنا أهل البيت على سائر الخلق قال وكان النبي صلى الله عليه وسلم يدهن به ويستعط » فذكر حديثا طويلا فيه الكراث والبازروج والجرجير والهندباء والكمأة والكرفس واللحم والحيتان —

وفيه — الكمأة من الجنة ماؤها شفاء العين وفيها شفاء من السم وهي طعام الياس واليسع يجتمعان كل عام بالموسم يشربان شربة من ماء زمزم يكتفيان بها الى قابل فيرد الله شبابهما فى كل مائة عام مرة وطعامهما الكمأة والكرفس » قال ابن الجوزي لايشك حديثي في ان هذا الحديث موضوع والمتهم به عبدالرحيم بن حبيب فقد قال ابن حبان انه كان يضع الحديث : وقد تقدم عن مقاتل ان اليسع هو الخضر * وقال ابن شاهين حدثنا محمد بن احمد بن عبدالعزيز الحرانى حدثنا ابو طاهر خير بن عرفة حدثنا هاني، بن المتوكل حدثنا بقية عن الاوزاعى عن مكحول سمعت واثلة بن الاسقع « قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك حتى اذا كنا بأرض جذام وقد كان أصابنا عطش فاذا بين أيدينا غيث فسرنا ميلا فاذا بغدير حتى اذا ذهب ثلث الليل اذا نحن بمنادى ينادى بصوت حزين اللهم اجعلنى من أمة محمد المرحومة المغفور لها المستجاب لها والمبارك عليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياحذيفة ويا أنس ادخلا الى هذا الشعب فانظرا ماهذا الصوت قال فدخلنا فاذا نحن برجل عليه ثياب بيض أشد بياضاً من الثلج واذا وجهه ولحيته كذلك واذا هو أعلى جسما منا بذراعين أو ثلاثة فسلمنا عليه فرد علينا السلام ثم قال مرحباً أنتما رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم قلنا نعم من أنت رحمك الله قال أنا الياس النبي خرجت أريد مكة فرأيت عسكركم فقال لى جند من الملائكة على مقدمهم جبريل وعلى ساقتهم ميكائيل هذا أخوك رسول الله فسلم عليه والقه . ارجعا اليه فاقرئاه منى السلام وقولا له لم يمنعني من الدخول الى عسكركم إلا أنى تخوفت أن يذعر الابل ويفزع المسلمون من طولي فان خلقي ليس كخلقكم قولا له صلى الله عليه وسلم يأتينى قال حذيفة وأنس فصافحناه فقال لأنس ياخادم رسول الله من هذا قال هذا حذيفة صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحب به ثم قال والله انه لفي السماء أشهر

منه في الارض تشبه أهل السموات صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حذيفة هل تلقى الملائكة قال مامن يوم الا وأنا القاهم يسلمون عليّ وأسلم عليهم قال فأتينا النبي صلى الله عليه وسلم فخرج معنا حتى أتينا الشعب فاذا ضوء وجه الياس وثيابه كالشمس فقال النبي صلى الله عليه وسلم على رسلكم فتقدمنا قدر خمسين ذراعاً فعانقه ملياً ثم قعدا فرأينا شيئاً شبه الطير العظام قد أحدقت بهما وهي بيض قد نشرت أجنحتها فحالت بيننا وبينهما ثم صرخ بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ياحذيفة ويا أنس فقدمنا فاذا بين أيديهما مائدة خضراء لم أر شيئاً قط أحسن منها قد غلبت خضرتها بياضنا فصارت وجوهنا خضراء واذا عليها جبن وتمر ورمان وموز وعنب ورطب وبصل ماخلا الكراث فقال النبي صلى الله عليه وسلم كلوا بسم الله فقلنا يارسول الله أمن طعام الدنيا هذا قال لا قال لنا هذا رزقي ولي في كل اربعين يوماً وليلة أكلة يأتيني بها الملائكة فكان هذا تمام الاربعين وهو شيء يقول الله له كن فيكون فقلنا من أين وجهك قال خلف رومية كنت في جيش من الملائكة مع جيش من مسلمي الجن غزونا أمة من الكفار قلنا فكم مسافة ذلك الموضع الذي كنت فيه قال أربعة اشهر وفارقته أنا منذ عشرة أيام وأنا أريد مكة أشرب منها في كل سنة شربة وهي ريي وعصمتي الى تمام الموسم من قابل قلنا واي المواطن اكثر مثواك قال الشأم وبيت المقدس والمغرب واليمن وليس من مسجد من مساجد محمد صلى الله عليه وسلم إلا وانا ادخله كبيراً وصغيراً فقلنا متى عهدك بالخضر ؟ قال منذ سنة كنت قد التقيت انا وهو بالموسم وانا القاه بالموسم وقد كان قال انك ستلقى محمداً قبلي فاقرئه مني السلام وعانقه وبكى وعانقنا وبكى وبكينا فنظرنا اليه حين هوى في السماء وكأنه حمل حملا فقلنا يارسول الله لقد رأينا عجباً اذ هوى الى السماء قال يكون بين جناحي ملك حتى ينتهي به حيث اراد » * قال ابن الجوزى

لعل بقية سمع هذا من كذاب فدلسه عن الاوزاعى قال وخير بن عرفة لا يدرى من هو قلت هو محـــدث مشهور مصري واسم جده عبدالله بن كامل يكنى أبا الطاهر روى عنه أبوطالب الحافظ شيخ الدارقطني وغيره ومات سنة ٢٨٣

وقد رواه غـــير بقيـــة عن الاوزاعي على صـــفة اخرى قال ابن أبى الدنيا حـدثنى ابراهيم بن سـعيد الجـوهرى حدثنـا يزيد بن يزيد الموصلى التيمي مولى لهم حدثنا ابو اسحق الحرشى عن الاوزاعي عن مكحول عن أنس رضى الله عنه قال « غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كنا بلغ الناقة بهذا الحجر اذا نحن بصوت يقول اللهم اجعلنى من امة محمـد المرحومة المغفور لها المتاب عليها المستجاب منها فقال لى رسول الله صـلى الله عليه وسلم يا أنس انظر ماهذا الصوت قال فدخلت الجبـل فاذا رجل أبيض الرأس واللحية عليـه ثياب بيض طوله أكثر من ثلثمائة ذراع فلما نظر إلىّ قال انت رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت نعم قال ارجع اليه فاقرأ عليه منى السلام وقل له هذا أخوك الياس يريد يلقاك فجاء النبي صلى الله عليه وسلم وانا معه حتى اذا كنت قريباً منه تقدم وتأخرت فتحدثا طويلا فنزل عليهما شيء من السماء شبيه السفرة فدعواني فأكلت معهما فاذا فيهـا كمأة ورمان وكرفس فلما أكلت قمت فتنحيت وجاءت سحابة فاحتملته فجعلت أنظر الى بياض ثيابه فيها تهوى به قبل الشام فقلت للنبي صلى الله عليه وسلم بأبي أنت وأمي هذا الطعام الذى أكلنا من السماء نزل عليك قال سألته عنـه فقال أتانى به جبريل ولي كل أربعين يوما أكلة وفي كل حول شربة من ماء زمزم وربما رأيته على الجب يمسك الدلو فيشرب وربمـا سقانى » . قال ابن الجوزى يزيد وأبو اسحق لا يعرفان وقد خالف هذا الذى قبله في طول الياس * وأخرج ابن عساكر من طريق على ابن الحسين بن ثابت الثورى عن هشام بن خالد عن الحسين بن يحيى الحسنى

عن ابن أبى رواد « قال الخضر والياس يصومان ببيت المقدس ويحجان في كل سنة ويشربان من زمزم شربة تكفيهما الى مثلهـا من قابل » * ثم وجدت فى زيادات الزهد لعبد الله بن احمد بن حنبل قال وجدت في كتاب أبى بخطه حدثنا مهـدي بن جعفر حدثنى ضمرة عن السرى بن يحيى عن ابن أبى رواد قال «الياس والخضر يصومان شهر رمضان ببيت المقدس ويوافيان الموسم في كل عام » قال عبـد الله وحدثنى الحسن هو ابن رافع عن ضمرة عن السرى عن عبد العزيز بن أبى رواد مثله * وقال ابن جرير في تاريخه حدثنا عبـد الرحمن ابن عبد الله بن الحكم المصرى حدثنا محمد بن المتوكل حدثنا ضمرة بن ربيعة عن عبـد الله بن شوذب قال الخضر من ولد فارس والياس من بنى اسرائيل يلتقيان في كل عام بالموسم

وقال الفاكهي في كتاب مكة حدثنا الزبير بن بكار حدثنى حمزة بن عتبة حدثنى محمد بن عمران عن جعفر بن محمد بن على قال كنت مع أبى بمكة في ليالى العشر وأبي قائم يصلى في الحجر فدخل عليه رجل أبيض الرأس واللحيـة من الاعراب فجلس الى جنب أبى فخفف فقال اني جئتك يرحمك الله تخبرني عن أول خلق هذا البيت قال ومن أنت قال أنا رجل من أهل المغرب قال إن أول خلق هذا البيت ان الله لما رد عليه الملائكة حيث قالوا (أتجعل فيها من يفسد فيها) غضب فطافوا بعرشه فاعتذروا فرضى عنهم وقال اجعـلوا لى فى الارض بيتاً يطوف به من عبادي من أغضب عليه فأرضى عنه كما رضيت عنكم فقال له الرجل أي يرحمك ما بقي من أهل زمانك أعلم منك ثم ولى فقال لي أبي أدرك الرجل فرده عليّ فخرجت وأنا أنظر اليـه فلما بلغ باب الصفا مثل فكأنه لم يكن شيئاً فأخبرت أبى فقال تدرى من هذا قال قلت لا . قال هذا الخضر

(باب ما جاء في بقاء الخضر بعد النبي «ص» ومن نقل عنه أنه رآه وكلمه)

قال ابن أبي حاتم فى التفسير حدثنا أبى حدثنا عبد العزيز الاويسى حدثنا على بن أبى على الهاشمي عن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه أن على ابن أبى طالب رضى الله عنه قال « لما توفى النبي صلى الله عليه وسلم وجاءت التعزية فجاءهم آت يسمعون حسه ولا يرون شخصه فقال السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة ان في الله عزاء من كل مصيبة وخلفاً من كل هالك ودركا من كل ما فات فبالله فثقوا وإياه فارجوا فان المصاب من حرم الثواب » قال جعفر أخبرنى أبى أن على بن أبى طالب رضى الله عنه « قال تدرون من هذا . هذا الخضر » *

ورواه محمد بن منصور الجزار عن محمد بن جعفر وعبدالله بن ميمون القداح جميعاً عن جعفر بن محمد عن أبيه عن على بن الحسين سمعت أبى يقول « لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءت التعزية يسمعون حسه ولا يرون شخصه السلام عليكم ورحمة الله أهل البيت ان في الله عزاء من كل مصيبة وخلفاً من كل هالك ودركا من كل مافات فبالله فثقوا وإياه فارجوا فان المحروم من حرم الثواب فقال علي رضى الله عنه تدرون من هذا هذا الخضر » * قال ابن الجوزى تابعه محمد بن صالح عن محمد بن جعفر ومحمد بن صالح ضعيف * ورواه الواقدى وهو كذاب ورواه محمد بن أبى عمر عن محمد بن جعفر وابن أبى عمر مجهول قلت هذا إطلاق ضعيف فابن أبى عمر أشهر من أن يقال فيه هذا ، هو شيخ مسلم وغيره من الائمة وهو ثقة حافظ صاحب مسند مشهور به مروي وهذا الحديث فيه أخبرنا به شيخنا حافظ العصر أبو الفضل بن الحسين رحمه الله قال أخبرنى أبو محمد بن القيم أنا أبو الحسن بن البخارى عن محمد بن معمر أنا سعد

ابن أبي الرجا أنا احمد بن محمد بن النعمان أنا أبوبكر بن المقرى أنا اسحق بن احمد الخزاعى حدثنا محمد بن يحيي بن أبي عمر العدني حدثنا محمد بن جعفر قال كان ابي هو جعفر بن محمد الصادق يذكر عن أبيه عن جده عن على بن أبي طالب رضي الله عنه « انه دخل عليه نفر من قريش فقال ألا أحدثكم عن أبى القاسم قالوا بلى » فذكر الحديث بطوله في وفاة النبي صلي الله عليه وسلم وفي آخره « فقال جبريل يا احمد عليكم السلام هذا آخر وطئى في الارض انما كنت أنت حاجتى من الدنيا :فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاءت التعزية جاء آت يسمعون حسه ولا يرون شخصه فقال السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله ان في الله عزاء من كل مصيبة وخلفاً من كل هالك ودركا من كل فائت فبالله فثقوا وإياه فارجوا فان المحروم من حرم الثواب وان المصاب من حرم الثواب والسلام عليكم فقال علي هل تدرون من هذا هذا الخضر »انتهى ومحمد بن جعفر هو أخو موسى الكاظم حدث عن أبيه وغيره روى عنه ابراهيم بن المنذر وغيره وكان قد دعى لنفسه بالمدينة وبمكة وحج بالناس سنة ٢٠٠ وبايعوه بالخلافة فحج المعتصم فظفر به فحمل إلى أخيه المأمون بخراسان فمات بجرجان سنة ٢٠٣

وذكر الخطيب في ترجمته أنه لما ظفر به صعد المنبر فقال أيها الناس اني كنت قد حدثتكم بأحاديث زورتها فشق الناس الكتب التى سمعوها منه وعاش سبعين سنة : قال البخارى أخوه اسحق أوثق منه وأخرج له الحاكم حديثاً ـ قال الذهبي انه ظاهر النكارة في ذكر سليمان بن داود عليه السلام *

وقال سيف بن عمرو التميمى في كتاب الردة له عن سعيد بن عبد الله عن ابن عمر رضى الله عنهما قال « لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ابو بكر حتى دخل عليه فلما رآه قال انا لله وانا اليه راجعون وصلى عليه فرفع أهل البيت عجيجاً سمعه أهل المصلى فلما سكن مابهم

سمعوا تسليم رجل على الباب صيت جلد يقول السلام عليكم يا أهل البيت كل نفس ذائقة الموت وانما توفون أجوركم يوم القيامة الا وان فى الله خلفا من كل احد ونجاة من كل مخافة والله فارجوا وبه فثقوا فان المصاب من حرم الثواب فاستمعوا له وقطعوا البكاء ثم طلعوا فلم يرو أحداً فعادوا لبكائهم فناداهم مناد آخر يا أهل البيت أذكروا الله تعالى واحمدوه على كل حال تكونوا من المخلصين ان في الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل هلكة فبالله فثقوا واياه فاطيعوا فان المصاب من حرم الثواب فقال أبو بكر رضي الله عنه هذا الخضر والياس قد حضرا وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم » : وسيف فيه مقال وشيخه لا يعرف *

وقال ابن ابى الدنيا حدثنا كامل بن طلحة اخبرنا عباد بن عبد الصمد عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال « لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمع أصحابه حوله يبكون فدخل عليهم رجل طويل أشعر المنكبين فى ازار ورداء يتخطى أصحاب رسول صلى الله عليه وسلم حتى أخذ بعضادتى باب البيت فبكى ثم أقبل على الصحابة فقال إن في الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل ما فات وخلفا من كل هالك فالى الله فأنيبوا وبنظره اليكم في البلاء فانظروا فان المصاب من لم يجز بالثواب ثم ذهب الرجل فقال أبو بكر رضى الله عنه علي بالرجل فنظروا يمينا وشمالا فلم يروا أحداً فقال أبو بكر رضى الله عنه لعل هذا الخضر أخو نبينا جاء يعزينا عليه صلى الله عليه وسلم » . عباد ضعفه البخارى والعقيلى : وقد أخرجه الطبراني في الاوسط عن موسى بن هرون عن كامل وقال تفرد به عباد عن أنس رضى الله عنه

وقال ابن شاهين في كتاب الجنائز له حدثنا ابن أبي داود ثنا احمد بن عمرو بن السراج ثنا ابن وهب عمن حدثه عن محمد بن عجلان عن محمد بن المنكدر

قال بينما عمر بن الخطاب يصلي على جنازة اذا هاتف يهتف من خلفه الا لا تسبقنا
لصلاة رحمك الله فانتظره حتى لحق بالصف فكبر فقال ان تعذبه فقد عصاك
وان تغفر له فانه فقير الى رحمتك فنظر عمر وأصحابه الى الرجل فلما دفن الميت
سوى الرجل عليه من تراب القبر ثم قال : طوبى لك ياصاحب القبر ان لم تكن
عريفا أو جابيا أو خازنا أو كاتبا أو شرطيا فقال عمر رضى الله عنه خذوا لى هذا
الرجل نسأله عن صلاته وعن كلامه فتولى الرجل عنهم فاذا أثر قدمه ذراع فقال
عمر رضي الله عنه هذا والله الخضر الذى حدثنا عنه النبى صلى الله عليه وسلم قال
ابن الجوزى فيه مجهول وانقطاع بين ابن المنكدر وعمر

وقال ابن ابي الدنيا ثنا ابى ثنا علي بن شقيق ثنا ابن المبارك انبأنا عمر بن
محمد بن المنكدر قال بينما رجل يمشي يبيع ويحلف قام عليه شيخ فقال ياهذا بع
ولا تحلف فعاد فحلف فقال بع ولا تحلف قال أقبل على ما يعنيك قال هذا ما
يعنيني ثم قال آثر الصدق على ما يضرك على الكذب فيما ينفعك وتكلم فاذا
انقطع علمك فاسكت واتهم الكاذب فيما يحدثك به غيرك قال اكتب لي هذا
الكلام فقال ان يقدر شيء يكن ثم لم يره فكانوا يرون انه الخضر :قال ابن الجوزى
كأن هذا أصل الحديث

وقد رواه ابو عمر بن السماك في فوائده عن يحيي بن ابى طالب عن على بن
عاصم عن عبد الله بن عبد الله قال كان ابن عمر قاعداً ورجل قد أقام سلعته
يريد بيعها فجعل يكرر الايمان اذ مر به رجل فقال اتق الله ولا تحلف به كاذباً
عليك بالصدق فيما يضرك واياك والكذب فيما ينفعك ولا تزيدن فى حديث
غيرك فقال ابن عمر لرجل : اتبعه فقل له اكتب هذه الكلمات فتبعه فقال ما
يقضى من شيء يكن ثم فقده فرجع فاخبر ابن عمر فقال ابن عمر رضى الله عنه
ذاك الخضر: قال ابن الجوزى على بن عاصم ضعيف سيء الحفظ ولعله اراد ان

يقول عمر بن محمد بن المنكدر فقال ابن عمر

وقد رواه احمد بن محمد بن مصعب أحد الوضاعين عن جماعة مجاهيل عن عطاء عن ابن عمر رضى الله عنهما - قلت وجدت طريقا جيدة غير هذا عن ابن عمر رضى الله عنه قال البيهقي في دلائل النبوة أنا أبو زكريا بن ابي اسحق ثنا احمد بن سليمان الفقيه ثنا الحجاج بن قراقصة أن رجلين كانا يتبايعان عند عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما فكان أحدهما يكثر الحلف فبينما هما كذلك اذ مر بهما رجل فقام عليهما فقال للذي يكثر الحلف ياعبد الله اتق الله ولا تكثر الحلف فانه لا يزيد في رزقك ان حلفت ولا ينقص من رزقك ان لم تحلف قال امض لما يعنيك قال ان هذا مما يعنيني قالها ثلاث مرات ورد عليه قوله فلما أراد أن ينصرف عنهما قال اعلم أن من الايمان أن تؤثر الصدق حيث يضرك على الكذب حيث ينفعك ولا يكن في قولك فضل على فعلك ثم انصرف فقال عبد الله بن عمر الحقه فاستكتبه هؤلاء الكلمات فقال ياعبد الله اكتبني هذه الكلمات يرحمك الله فقال الرجل ما يقدر الله يكن وأعادها عليه حتى حفظهن ثم مشى حتى وضع إحدى رجليه في المسجد فما أدرى أرض تحته أم سماء قال فكانوا يرون أنه الخضر أوالياس

وقال ابن ابى الدنيا ثنا يعقوب بن يوسف ثنا مالك بن اسماعيل ثنا صالح ابن أبي الاسود عن محفوظ بن عبد الله عن شيخ من حضرموت عن محمد بن يحيى قال « قال على بن ابى طالب رضي الله عنه بينما أنا أطوف البيت اذا أنا برجل معلق بالاستار وهو يقول يامن لا يشغله سمع عن سمع يامن لا يغلطه السائلون يامن لا يتبرم بالحاح الملحين أذقنى برد عفوك وحلاوة رحمتك قال قلت دعاؤك هذا عافاك الله أعده قال وقد سمعته ؟ قلت نعم قال فادع به في دبر كل صلاة فوالذى نفس الخضر بيده لو أن عليك من الذنوب عدد نجوم السماء وحصى

الارض لغفر الله لك أسرع من طرفة عين » * وأخرجه الدينورى في المجالسة من هذا الوجه

وقد روى احمد بن حرب النيسابورى عن محمد بن معاذ الهروى عن سفيان الثورى عن عبد الله بن محرز عن يزيد الاصم عن على ابن ابى طالب فذكر نحوه ولكن قال « فقلت ياعبد الله أعد الكلام قال وسمعته قلت نعم قال والذى نفس الخضر بيده وكان الخضر يقولهن عند دبر الصلاة المكتوبة لا يقولها أحد دبر الصلاة المكتوبة الا غفرت ذنوبه وان كانت مثل رمل عالج وعدد المطر وورق الشجر ورواه محمد بن معاذ الهروى عن ابى عبيد المخزومي عن عبد الله بن الوليد عن محمد بن حميد عن سفيان الثورى نحوه .

وأخرج البيهقي في الدلائل قال ثنا أبوعبدالله الحافظ ثنا ابوجعفر البغدادى ثنا عبد الله بن عبدالرحمن الصنعانى ثنا ابوالوليد المخزومى ثنا أنس بن عياض عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله قال « لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم عزتهم الملائكة يسمعون الحس ولايرون الشخص فقال السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته ان في الله عزاء من كل مصيبة وخلفاً من كل فائت فبالله فثقوا وإياه فارجوا فانما المحروم من حرم الثواب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » :

وقال البيهقى ايضاً أنا أبو شعبة احمد بن محمد بن عمرو الاحمسى حدثنا الحسن بن حميد بن الربيع اللخمى ثنا عبدالله بن أبى زياد ثنا شيبان ابن حاتم ثنا عبدالواحد بن سليمان الحارثى ثنا الحسن بن على عن محمد بن على هو ابن الحسين بن على قال « لما كان قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم هبط اليه جبرائيل » فذكر قصة الوفاة مطولة وفيه « فأتاهم آت يسمعون حسه ولايرون شخصه فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فذكر مثله في التعزية *

وروى سيف فى الفتوح ان جماعة كانوا مع سعد بن أبي وقاص فرأوا أبا محجن وهو يقاتل فذكر قصة أبي محجن بطولها وانهم قالوا وهم لايعرفونه ماهو إلا الخضر : وهذا يقتضى انهم كانوا جازمين بوجود الخضر في ذلك الوقت. وقال ابو عبدالله بن بطة العكبري الحنبلي ثنا شعيب بن احمد بن أبى العوام ثنا أبى ثنا إبراهيم بن عبدالحميد الواسطى ثنا أيبن بن سفيان عن غالب بن عبدالله العقيلي عن الحسن البصرى قال « اختلف رجل من أهل السنة وغيلان القدري في شيء من القدر فتراضيا بينهما على أول رجل يطلع عليهما من ناحية ذكراها فطلع عليهما أعرابى فطوى عباءة فجعلها على كتفه فقالاله رضيناك حكما فيما بيننا فطوى كساءه ثم جلس عليه ثم قال اجلسا فجلسنا بين يديه فحكم على غيلان قال الحسن ذاك الخضر » * في اسناده أيبن بن سفيان وهو متروك

وروى حماد بن عمر النصيبي أحد المتروكين ثنا السرى بن خالد عن جعفر ابن محمد عن ابيه عن جده على بن الحسين ان مولى لهم ركب البحر فكسر به فبينا هو يسير على ساحله إذ نظر الى رجل على شاطىء البحر ونظر الى مائدة نزلت من السماء فوضعت بين يديه فأكل منها ثم رفعت فقال له بالذى وفقك بما أرى أي عبادالله أنت قال الخضر الذي تسمع به فقال بماذا جاءك هذا الطعام والشراب قال بأسماء الله العظام »

وأخرج احمد في كتاب الزهد له عن حماد بن أسامة ثنا مسعر عن معن بن عبدالرحمن بن عبدالله بن مسعود عن عون بن عبدالله بن عتبة بن مسعود قال بينما رجل في بستان بمصر في فتنة ابن الزبير مهموماً مكتئباً ينكت في الارض بشيء اذ رفع رأسه فاذا بفتى صاحب مسحاة قد سنح له قائماً بين يديه فرفع رأسه فكأنه ازدراه فقال له مالى أراك مهموماً قال لاشيء قال أما الدنيا فان الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر وإن الآخرة أجل صادق يحكم فيه ملك قادر حتى

ذكر ان لها مفصلا كفاصل اللحم من أخطأ شيئا أخطأ الحق قال فلما سمع ذلك منه اعجبه فقال اهتمامى بما فيه المسلمون قال فان الله سينجيك بشفقتك على المسلمين وسل من ذا الذى سأل الله فلم يعطه او دعاه فلم يجبه أو توكل عليه فلم يكفه او وثق به فلم ينجه قال فطفقت أقول اللهم سلمنى وسلم منى قال فتجلت ولم يصب فيها بشيء قال مسعر يرون انه الخضر

وأخرجه ابو نعيم في الحلية في ترجمة عون بن عبدالله من طريق ابى اسامة وهو حماد بن اسامة وقال بعده : ورواه ابن عيينة عن مسعر وقال ابراهيم بن محمد بن سفيان الراوى عن مسلم عقب روايته عن مسلم لحديث ابى سعيد في قصة الذى يقتله الدجال يقال ان هذا الرجل الخضر : وقال عبدالرزاق انا معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبدالله بن عتبة عن ابى سعيد في قصة الذى يقتله الدجال وفي آخره قال معمر بلغنى انه يجعل على حلقة صفيحة من نحاس وبلغنى انه الخضر وهذا عزاه النووى لمسند معمر فأوهم ان له فيه سنداً وانما هو قول معمر:

وقال ابو نعيم في الحلية ثنا عبيدالله بن محمد هو أبوالشيخ ثنا محمد بن يحيى هو ابن منده ثنا احمد بن منصور المروزي ثنا احمد بن جبيل قال قال سفيان ابن عيينة بينا أنا أطوف بالبيت إذ أنا برجل مشرف على الناس حسن الشبه فقلنا بعضنا لبعض ماأشبه هذا الرجل أن يكون من أهل العلم قال فاتبعناه حتى قضى طوافه فسار الى المقام فصلى ركعتين فلما سلم أقبل على القبلة فدعى بدعوات ثم التفت الينا فقال هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ قلنا وماذا ؟ قال قال ربكم أنا الملك أدعوكم الى أن تكونوا ملوكا ثم أقبل على القبلة فدعى بدعوات ثم التفت الينا فقال تدرون ماذا قال ربكم ؟ قلنا ماذا ؟ قال قال ربكم أنا الحي الذى لايموت أدعوكم الى أن تكونوا أحياء لاتموتون ثم أقبل على القبلة فدعى بدعوات ثم التفت الينا فقال تدرون ماذا قال ربكم ؟ قلنا ماذا قال ربنا حدثنا يرحمك قال قال ربكم

أنا الذي اذا أردت شيئاً كان أدعوكم الى أن تكونوا بحال اذا أردتم شيئاً كان لكم . قال ابن عيينة ثم ذهب فلم نره قال فلقيت سفيان الثورى فأخبر بعدذلك فقال ماأشبه أن يكون هذا الخضر أو بعض هؤلاء الابدال : تابعه محرز بن أبى جدعة عن سفيان ورواها زياد بن أبي الاصبع عن سفيان أيضاً . وروى محمدبن الحسن بن أبى الازهر عن العباس بن يزيد عن سفيان نحوها . وأخرج أبو سعيد في شرف المصطفى من طريق احمد بن أبى ترة ثنا محمد بن الفرات عن ميسر بن سعيد (بن أبي عروبة) عن أبيه بينما الحسن في مجلسه والناس حوله إذأقبل رجل مخضرة عيناه فقال له الحسن : أهكذا ولدتك أمك أم هى بينة قال أو ماتعرفنى يا اباسعيد قال من أنت فانتسب له فلم يبق فى المجلس أحد إلا عرفه فقال ياهذا ماقصتك فقال يا أباسعيد عمدت الى جميع مالى فألقيته فى مركب فخرجت أريد الصين فعصفت علينا ريح فغرقت فخرجت الى بعض السواحل على لوح فأقمت أردد نحواً من أربعة اشهر آكل ما أصيب من الشجر والعشب وأشرب من ماء العيون ثم قلت لأمضين على وجهي فاما ان اهلك واما ان انجو فسرت فرفع لي قصر كأن سناه فضة فرفعت مصراعه فاذا داخله أروقة في كل طاق منها صندوق من لؤلؤ وعليها أقفال مفاتيحها رأى العين ففتحت بعضها فخرجت من جوفه رائحة طيبة واذا فيه رجال مدرجون في ألوان الحرير فحركت بعضهم فاذا هو ميت في صفة حي فأطبقت الصندوق وخرجت واغلقت باب القصر ومضيت فاذا أنا بفارسين لم أر مثلهما جمالا على فرسين أغرين محجلين فسألاني عن قصتى فأخبرتهما فقالا تقدم امامك فانك تصير الى شجرة تحتها روضة هناك شيخ حسن الهيئه على دكان يصلي فأخبره خبرك فانه يرشدك الى الطريق فمضيت فاذا أنا بالشيخ فسلمت فردعلىّ وسألنى عن قصتى ثم قال ماصنعت قلت اطبقت الصناديق واغلقت الابواب فسكن وقال اجلس فمرت به سحابة فقالت السلام عليك ياولي

الله فقال اين تريدين قالت اريدبلد كذا وكذا فلم تزل تمر بهسحابة بعدسحابة حتى اقبلت سحابة فقال اين تريدين قالت البصرة قال انزلى فنزلت فصارت بين يديه فقال احملي هذا حتى توديه الى منزله سالما فلما صرت على متن السحابة قلت اسألك بالذي اكرمك إلا اخبرتنى عن القصر وعن الفارسين وعنك قال اما القصر فقد أكرم الله به شهداء البحر ووكل بهم ملائكة يلقطونهم من البحر فيصيرونهم في تلك الصناديق مدرجين في اكفان الحرير . والفارسان ملكان يغدوان ويروحان عليهم بالسلام من امر الله واما انا فالخضر وقد سألت ربى ان يحشرنى مع امة نبيكم قال الرجل فلما صرت على السحابة اصابنى الفزع من هول عظيم حتى صرت الى ماترى فقال الحسن لقد عاينت عظيماً

وروى الطبراني في كتاب الدعاء قال ثنا يحيي بن محمدالحنائي ثنا المعلى بن حرمي عن محمد بن مهاجر البصرى ثنى ابوعبدالله بن التوم الرقاشي ان سليمان إبن عبدالملك اخاف رجلا وطلبه ليقتله فهرب الرجل فجعلت رسله تختلف الى منزل ذلك الرجل يطلبو به فلم يظفر به فجعل الرجل لايأتي بلدة إلا قيل له قد كنت تطلب ههنا فلما طال عليه الامر عزم على ان يأتى بلدة لاحكم لسليمان عليها فذكر قصة فيها فبينا هو فى صحراء ليس فيها شجر ولاماء اذا هو برجل يصلى قال فخفته ثم رجعت الى نفسي فقلت والله مامعه راحلة ولادابة قال فقصدت نحوه فركع وسجد ثم التفت إلىّ فقال لعل هذا الطاغي اخافك قلت اجل قال فما يمنعك من السبع قلت يرحمك الله وماالسبع قال : قل سبحان الواحد الذى ليس غيره إله . سبحان القديم الذى لاباريء له . سبحان الدائم الذى لانفاد له . سبحان الذي هو كل يوم في شأن . سبحان الذي يحيي ويميت . سبحان الذى خلق مايرى ومالايرى . سبحان الذي علم كل شيء بغير تعليم. ثم قال قلها فقلتهـا وحفظتها والتفت فلم أر الرجل قال والقى الله في قلبي الأمن ورجعت

راجعاً من طريق اريد اهلى فقلت لآتين باب سليمان بن عبدالملك فأتيت بابه فاذا هو يوم إذنه وهو يأذن للناس فدخلت وانه لعلى فراشه فما غدا ان رآنى فاستوى على فراشه ثم أومأ إلى فما زال يدنيني حتى قعدت معه على الفراش قال سحرتنى او ساحر انت مع مابلغنى عنك فقلت ياامير المؤمنين ماانا بساحر ولااعرف السحر ولاسحرتك قال فكيف فماظننت انه يتم ملكى إلا بقتلك فلما رأيتك لم استقر حتى دعوتك فأقعدتك معي على فراشى ثم قال اصدقنى امرك فأخبرته قال يقول سليمان : الخضر ـ والله الذي لااله إلا هو ـ علمكها . ا كتبوا له امانًا واحسنوا جائزته واحملوه الى اهله .

وأخرج ابو نعيم فى الحلية في ترجمة رجاء بن حيوة من تاريخ السراج ثم من رواية محمد بن ذكوان عن رجاء بن حيوة قال انى لواقف مع سليمان بن عبد الملك وكانت لى منه منزلة إذ جاء رجل ذكر رجاء من حسن هيئته قال فسلم فقال يا رجاء انك قد ابتليت بهذا الرجل وفي قربه الزيغ يا رجاء عليك بالمعروف وعون الضعيف واعلم يارجاء انه من كانت له منزلة من السلطان فرفع حاجة انسان ضعيف لا يستطيع رفعها لقى الله يوم القيامة وقد ثبت قدميه للحساب واعلم يارجاء انه من كان فى حاجة اخيه المسلم كان الله في حاجته واعلم يارجاء أن من احب الاعمال الى الله فرجا أدخلته على مسلم : ثم فقده وكان يرى أنه الخضر عليه السلام

وذكر الزبير بن بكار في الموفقيات قال اخبرنى السري بن الحرث الانصاري من ولد الحرث بن الصمة عن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير وكان يصلى في اليوم والليلة الف ركعة ويصوم الدهر قال بت ليلة في المسجد فلما خرج الناس إذا رجل قد جاء الى بيت النبي صلى الله عليه وسلم ثم أسندظهره الى الجدار ثم قال اللهم انك تعلم آنى كنت أمس صائما ثم أمسيت فلم افطر على شىء وظللت

اليوم صائما ثم امسيت ولم افطر على شيء اللهم واني امسيت وأشتهي الثريد فأطعمنيها من عندك قال فنظرت الى وصيف داخل من خوخة المنارة ليس فى خلقة الناس معه قصعة فأهوى بها الي الرجل فوضعها بين يديه وجلس الرجل يأكل وحصبني فقال هلم فجئت وظننت انها من الجنة فأحببت أن آكل منها فأكلت منها لقمة فاذا طعام لا يشبه طعام الدنيا ثم احتشمت فقمت فرجعت مكاني فلما فرغ من اكله اخذ الوصيف القصعة ثم أهوى راجعاً من حيث جاء ثم قام الرجل منصرفا فاتبعته لأعرفه فمثل فلا أدرى أين سارفظننته الخضر:

واخرج ابن عساكر من طريق ابراهيم بن عبد الله بن المغيرة عن عبد الله حدثني ابى ان قوام المسجد قالوا للوليد بن عبد الملك ان الخضر يصلى كل ليلة في المسجد

وقال اسحاق بن ابراهيم الحنبلي في كتاب الرماح له ثنا عثمان بن سعيد الانطاعي ثنا على بن الهيثم المصيصي عن عبد الحميد بن بحر عن سلام الطويل عن داود بن يحيي مولى عون الطفاوى عن رجل كان مرابطا في بيت المقدس وبعسقلان قال بينا أنا اسير فى وادى الاردن اذا انا برجل في ناحية الوادي قائم يصلى فاذا بسحابة تظله من الشمس فوقع فى قلبي انه الياس النبي فأتيته فسلمت عليه فانفلت من صلاته فرد السلام فقلت له من انت يرحمك الله فلم يرد علىّ شيئاً فأعدت عليه القول مرتين فقال انا الياس النبي فأخذتني رعدة شديدة خشيت على عقلى ان يذهب فقلت له ان رأيت رحمك الله أن تدعو لى ان يذهب الله عني ما اجد حتى افهم حديثك قال فدعالى بثمان دعوات فقال يابر يارحيم ياحي ياقيوم ياحنان يامنان يا هيا شراً هيا فذهب عنى ما كنت أجد فقلت الى من بعثت قال الى اهل بعلبك قلت فهل يوحى اليك اليوم فقال اما من بعث محمد خاتم النبيين فلا قلت فكم من الانبياء في الحياة قال اربعة انا

والخضر في الارض وادريس وعيسى في السماء قلت فهل تلتقي انت والخضر قال نعم في كل عام بعرفات قلت فما حديثكما قال يأخذ من شعرى وآخذ شعره قلت فكم الابدال قال هم ستون رجلا خمسون ما بين عريش مصر الى شاطىء الفرات ورجلان بالمصيصة ورجل بانطاكية وسبعة في سائر الامصار بهم يسقون الغيث وبهم ينصرون على العدو وبهم يقيم الله امر الدنيا حتى اذا اراد ان يهلك الدنيا اماتهم جميعا : في اسناده جهالة ومتروكون

وقال ابو الحسن ابن المنادي في الجزء المذكور ثنى احمد بن ملاعب ثنا يحيى بن سعيد السعيدي نى ابو جعفر الكوفي ثنى ابو عمر النصيبي قال خرجت اطلب مسلمة بن مصقلة بالشام وكان يقال انه من الابدال فلقيته بوادى الاردن فقال لى اخبرك بشيء رأيته اليوم في هذا الوادى قال قلت بلى قال دخلت اليوم هذا الوادى فاذا انا بشيخ يصلى الى شجرة فألقي في روعي انه الياس النبى فدنوت منه فسلمت عليه فركع فلما جلس سلم عن يمينه وعن شماله ثم أقبل عليّ فقال وعليك السلام فقلت من أنت يرحمك الله قال أنا الياس النبي قال فأخذتنى رعدة شديدة حتى خررت على قفاى قال فدنا منى فوضع يده بين ثديى فوجدت بردها بين كتفى فقلت يانبي الله ادع الله أن يذهب عنى ما أجد حتى أفهم كلامك عنك فدعا له بثمانية أسماء خمسة منها بالعربية وثلاثة بالسريانية فقال يا واحد يا أحد يا صمد يا فرد يا وتر ودعا بالثلاثة الاسماء الاخر فلم أعرفها ثم أخذ بيدى فأجلسنى فذهب عنى ما كنت أجد فقلت يانبي الله ألم تر هذا الرجل ما يصنع ؟ - أعنى مروان بن محمد - وهو يومئذ يحاصر أهل حمص فقال لى مالك وماله جبار عات على الله فقلت يانبي الله أما اني قد مررت به فاعرض عنى فقلت يانبي الله اما اني وان كنت قد مررت بهم فانى لم أهو أحد الفريقين وأنا أستغفر الله وأتوب اليه قال فأقبل على بوجهه ثم قال لي

قد أحسنت هكذا فقل ثم لا تعـد قلت يانبي الله هل في الارض اليوم من الابدال أحد قال نعم هم ستون رجلا منهم خمسون فيما بين العريش الى الفرات ومنهم ثلاثة بالمصيصة وواحد بانطاكية وسائر العشرة فى سائر أمصار العرب فقلت يانبى الله هل تلتقى أنت والخضر قال نعم نلتقي في كل موسم بمنى قلت فما يكون من حديثكما قال يأخذ من شعرى وآخذ من شعره قلت يانبي الله انى رجل خلو ليست لى زوجة ولا ولد فان رأيت أن تأذن لي فأصحبك وأكون معك قال انك لن تستطيع ذلك فانك لا تقدر على ذلك قال فبينا هو يحدثنى اذ رأيت مائدة قد خرجت من أصـل الشجرة فوضعت بين يديه ولم أر من وضعها وعليها ثلاثة أرغفة فمد يده ليأكل وقال كل وسم وكل مما يليك فمددت يدي فأكلت أنا وهو رغيفا ونصف ثم ان المائدة رفعت ولم أر أحداً رفعها وأتى بأناء فيه شراب فوضع في يده ولم أر أحدا وضعه فشرب ثم ناولنى فقال اشرب فشربت أحلى من العسل وأشد بياضا من اللبن ثم وضعت الاناء فرفع الاناء فلم ار احدا رفعه ثم نظر الى اسفل الوادي فاذا دابة قد أقبلت فوق الحمار ودون البغل وعليه رحالة فلما انتهى اليه نزل فقام ليركب ودرت لآخذ بغرز الدابة فركب ثم سار ومشيت الى جنبه وانا اقول يانبى الله ان رأيت ان تأذن فأصحبك وأكون معك فقال الم أقل إنك لن تستطيع ذلك فقلت فكيف لى بلقائك قال انك اذا رأيتك رأيتنى قلت على ذلك قال لعلك تلقاني في رمضان معتكفا ببيت المقدس واستقبلته شجرة فأخذ من ناحية ودرت من الجانب الآخر استقبله فلم ار شيئا : قال ابن الجوزى مسلمة والراوي عنه وابو جعفر والكوفي لا يعرفون

وروى داود بن مهران ثنى شيخ عن حبيب ابي محمد انه رأى رجلا فقال له من انت قال انا الخضر * وعن محمد بن عمران عن جعفر الصادق انه كان مع ابيه فجاءه رجل فسأله عن مسائل قال فأمرنى ان ارد الرجـل فلم اجده فقال

ذاك الخضر * وعن ابي جعفر المنصور انه سمع رجلا يقول في الطواف اشكو اليك ظهور البغي والفساد فدعاه فوعظه وبالغ ثم خرج فقال اطلبوه فلم يجدوه فقال ذاك الخضر

وأخرج ابن عساكر من طريق عمر بن فروخ عن عبد الرحمن بن حبيب عن سعد بن سعيد عن ابي طيبة عن كثير بن وبرة قال اتانى اخ لي من الشام فاهدى الي هدية فقلت من اهداها اليك قال ابراهيم التيمى قلت ومن اهداها الى ابراهيم التيمي قال قال كنت جالسا في فناء الكعبة فأتانى رجل فقال انا الخضر واهداها الي وذكر لي تسبيحات ودعوات

وذكر ابو الحسين بن المنادى من طريق مسلمة بن عبد الملك عن عمر بن عبد العزيز انه لقى الخضر (ح) وفي المجالسة لابى بكر الدينوري من طريق ابراهيم بن خالد عن عمر بن عبد العزيز قال رأيت الخضر وهو يمشي مشياً سريعا وهو يقول صبراً يانفس صبراً لايام تفقد لتلك ايام الابد صبراً لايام قصار لتلك الايام الطوال

وقال يعقوب بن سفيان في تاريخه ثنا محمد بن عبد العزيز الرملى قال ثنا ضمرة هو ابن ربيعة عن السرى بن يحيى عن رياح بن عبدة قال رأيت رجلا يماشى عمر بن عبد العزيز معتمداً على يده فقلت في نفسي ان هذا الرجل جاف فلما صلى قلت يا ابا حفص من الرجل الذى كان معك معتمدا على يدك آنفا قال وقد رأيته يارياح قلت نعم قال انى لاراك رجلا صالحا ذاك اخى الخضر بشرنى انى سألى واعدل . قلت هذا اصلح اسناد وقفت عليه في هذا الباب ايضا * وقد اخرجه ابو عروبة الحرانى في تاريخه عن ايوب بن محمد الوراق عن ضمرة ايضا * واخرجه ابو نعيم في الحلية عن ابن المقرى عن ابى عروبة في ترجمة عمر بن عبد العزيز :

وروينا في الجزء الاول من فوائد الحافظ ابى عبد الله محمد بن مسلم بن

زرارة الرازي ثنى الليث بن خالد ابو بكر عمرو وكان ثقة قال ثنا المسيب ابو يحيى وكان من اصحاب مقاتل بن حيان قال وفدت على عمر بن عبد العزيز فاذا انا برجل او شيخ يحدثه او قال يتكيء عليه قال ثم لم اره فقلت يا امير المؤمنين رأيت رجلا يحدثك قال ورايتـه قلت نعم قال ذاك اخى الخضر يأتينى فيوفقنى ويسددنى

وقال أبو عبد الرحمن السلمى في تصنيفه سمعت محمد بن عبد الله الرازى يقول سمعت بلالا الخواصى يقول كنت في تيـه بنى اسرائيل فاذا رجل يماشينى فتعجبت ثم ألهمت أنه الخضر فقلت بحق الحق من أنت قال أنا أخوك الخضر فقلت ما تقول في الشافعى قال من الاوتاد (الابدال) قلت فاحمـد بن حنبل قال صديق قلت فبشر بن الحارث قال لم يخلف بعده مثله قلت بأى وسيلة رأيتك قال ببرك لامك * وقال أبو نعيم في الحلية حدثنا ظفر بن محمد حدثنا عبد الله بن ابراهيم الحريرى قال قال أبو جعفر محمد بن صالح بن دريج قال بلال الخواص رأيت الخضر في النوم فقلت له ما تقول فى بشر قال لم يخلف بعده مثله قلت ما تقول في احمد قال صديق

وقال أبو الحسن بن جهضم حدثنا محمد بن داود قال حدثنا محمد بن الصلت عن بشر (ابن الحارث) الحافي قال كانت لى حجرة وكنت أغلقها اذا خرجت ومعى المفتاح فجئت ذات يوم وفتحت الباب ودخلت فاذا شخص قائم يصلى فراعنى فقال يا بشر لا تفزع أنا أخوك أبو العباس الخضر قال بشر قلت له علمنى شيئاً قال قل : أستغفر الله من كل سبب تبت منه ثم عدت اليه وأسأله التوبة وأستغفر الله من كل عقد عقدته على نفسى ففسخته ولم أف به

وذكر عبد المغيث من حديث ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليـه وسلم قال ما يمنعكم ان تكفروا ذنوبكم بكلمات أخى الخضر فذكر نحو

الكلمات المذكورة في حكاية بشر. وروى أبو نعيم عن أبي الحسن بن مقسم عن أبي محمد الحريرى سمعت أبا إسحق المرستاني يقول رأيت الخضر فعلمني عشر كلمات وأحصاها بيده اللهم انى أسألك الاقبال عليك والاصغاء اليك والفهم عنك والبصيرة في أمرك والنفاذ في طاعتك والمواظبة على ارادتك والمبادرة الى خدمتك وحسن الادب في معاملتك والتسليم والتفويض اليك

وقال أبو الحسن بن جهضم حدثنا الخلدى حدثنا ابن مسروق حدثنا أبو عمران الخياط قال: قال لى الخضر ما كنت أظن أن لله وليّاً إلا وقد عرفته فكنت بصنعاء اليمن في المسجد والناس حول عبد الرزاق يسمعون منه الحديث وشاب جالس ناحية المسجد فقال لى ما شأن هؤلاء قلت يسمعون من عبد الرزاق قال عمن قلت عن فلان عن فلان عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال هلا تسمعوا عن الله عز وجل قلت فأنت تسمع عن الله عز وجل قال نعم قلت من أنت قال الخضر فعلمت ان لله أولياء ما عرفتهم

وابن جهضم معروف بالكذب : وعن الحسن بن غالب قال حججت فسبقت الناس وانقطع بى فلقيني شاب فأخذ بيدى فالحقنى بهم فلما قدمت قال لى أهلى انا سمعنا انك هلكت فرحنا الى أبى الحسن القزوينى فذكرنا له ذلك وقلنا أدع الله له فقال ما هلك وقد رأى الخضر قال فلما قدمت جئت اليه فقال لى ما فعل صاحبك قال الحسن بن غالب وكنت في مسجدى فدخل علىّ رجل « فقال غداً تأتيك هدية فلا تقبلها وبعدها بأيام تأتيك هدية فاقبلها قال فبلغنى ان أبا الحسن القزوينى قال عنى قد رأى الخضر مرتين : قال ابن الجوزى الحسن ابن غالب كذبوه .

وأخرج ابن عساكر في ترجمة أبى زرعة الرازي بسند صحيح الى أبى زرعة أنه لما كان شاباً لقي رجلا مخضوبا بالحناء فقال له لا تغش أبواب الامراء قال

ثم لقيته بعــد أن كبرت وهو على حالته فقال لى ألم أنهك عن غشيان أبواب الامراء قال ثم التفت فلم أره فكأن الارض انشقت فدخل فيها قال فخيل أنه الخضر فرجعت فلم أزر أميراً ولا غشيت بابه ولا سألته حاجة * وذكر ابن أبى حاتم في الجرح والتعديل : عبد الله بن بحر قال وروى كلاما في الزهد عن رجل تراءى له ثم غاب عنه فلا يدرى كيف ذهب فكان يرى أنه الخضر :روى نعيم ابن ميسرة عن رجل من يحصب عنه :

وروينا في اخبار ابراهيم بن ادهم قال ابراهيم بن بشار خادم ابراهيم بن ادهم صحبته بالشام فقلت ياابا اسحق اخبرنى عن بدء امرك قال كنت شاباقد حبب إلي ّ الصيد فخرجت يوماً فأثرت ارنباً او ثعلباً فبينا انا اطرده إذ هتف بى هاتف لااراه : ياإبراهيم الهذا خلقت ابهذا امرت ففزعت ووقفت ثم تعوذت وركضت الدابة ففعل ذلك مراراً ثم هتف بى هاتف من قربوس السرج والله ماالهذا خلقت ولا بهذا امرت قال فنزلت فصادفت راعياً لأبى يرعى الغنم فأخذت جبته الصوف فلبستها ودفعت اليه الفرس وما كان معى وتوجهت الى مكة فبينا انا في البادية إذ انا برجل يسير ليس معه إناء ولازاد فلما امسى وصلى المغرب حرك شفتيه بكلام لم افهمه فاذا بإناء فيه طعام وإناء فيه شراب فأكلت معه وشربت وكنت على هذا اياما وعلمنى اسم الله الاعظم ثم غاب عنى وبقيت وحدى فبينا انا ذات يوم مستوحش من الوحدة دعوت الله فاذا شخص أخذ بحجزتى فقال لى سل تعطه فراعنى قوله فقال لاروع عليك انا اخوك الخضر

وذكر عبدالمغيث بن زهير الحربي في جزء جمعه في اخبار الخضر عن احمد ابن حنبل قال كنت ببيت المقدس فرأيت الخضر والياس : وعن احمد قال كنت نائما فجاءنى الخضر فقال قل لاحمد ان ساكن السماء والملائكة راضون عنك . وعن احمد بن حنبل انه خرج الى مكة فصحب رجلا قال فوقع فى نفسى انه الخضر قال ابن الجوزى في مانقضه ماجمعه عبدالمغيث لايثبت هذا عن احمد قال وذكر فيه عن معروف الكرخى انه قال حدثنى الخضر ومن أين يصح هذا

عن معروف . وقال ابوحيان في تفسيره اولع كثير ممن ينتمي الى الصلاح ان بعضهم يرى الخضر : وكان الامام ابوالفتح القشيرى يذكر عن شيخ له انه رأى الخضر وحدثه فقيل له من اعلمه انه الخضر ام كيف عرف ذلك فسكت قال ويزعم بعضهم ان الخضر يةرتبة يتولاها بعض الصالحين على قدم الخضر ومنه قول بعضهم لكل زمان خضر . قلت وهو حيث سلم يدل على ان الخضر المشهور مات : قال ابو حيان وكان بعض شيوخنا في الحديث وهو عبدالواحد العباسى الحنبلي يعتقد اصحابه فيه انه يجتمع بالخضر . قلت وذكر لى الحافظ ابوالفضل العراقى شيخنا ان الشيخ عبدالله بن اسعد اليافعي كان يعتقد ان الخضر حي قال فذكرت له مانقل عن البخارى والحربى وغيرهما من انكار ذلك فغضب وقال من قال انه مات غضبت عليه قال فقلنا له رجعنا عن اعتقاد موته: وأدركنا من كان يدعى انه يجتمع بالخضر منهم القاضى علم الدين البساطى الذى ولى قضاء المالكية زمن الظاهر برقوق وكان كثير من أهل العلم ينكرون عليه ذلك

والذي تميل اليه النفس من حيث الادلة القوية خلاف مايعتقده العوام من استمرار حياته لكن ربما عرضت شبهة من جهة كثرة الناقلين للاخبار الدالة على استمراره فيقال هب ان اسانيدها واهية اذ كل طريق منها لايسلم من سبب يقتضي تضعيفها فماذا يصنع فى المجموع فانه على هذه الصورة قد يلتحق بالتواتر المعنوي الذى مثلوا له بجود حاتم فمن هنا مع احتمال التأويل في ادلة القائلين بعدم بقائه كآية (وماجعلنا لبشر من قبلك الخلد)وكحديث «رأس مائة سنة »وغير ذلك مما تقدم بيانه . واقوى الادلة على عدم بقائه عدم مجيئه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانفراده بالتعمير من بين أهل الاعصار المتقدمة بغير دليل شرعي.

والذى لايتوقف فيه الجزم بنبوته . ولو ثبت انه ملك من الملائكة لارتفع الاشكال كما تقدم والله أعلم * اه تم كتاب الزهر النضر في نبأ الخضر للحافظ شهاب الدين أبى الفضل احمد بن على بن محمد بن حجر الكنانى العسقلانى

فرغ منه يوم الجمعة عشرين شوال سنة ٨٦٧ سبع وستين وثمانمائة هجرية اه

الرحمة الغيثية بالترجمة الليثية

للامام العلامة الحافظ

(أبى الفضل شهاب الدين أحمد الشهير بابن حجر العسقلانى)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي فضل بعض خلقه على بعض درجات * والصلاة والسلام على محمد المبعوث بالآيات البينات * وعلى آله وصحبه الذين فازوا بنصرة دينه حتى حازوا الصفات المعلومات * وعلى التابعين لهم باحسان صلاة وسلاما دائمين الى يوم بعث الاموات *

﴿ أما بعد ﴾ فان جماعة من الاخوان التمسوا إفراد مختصر من أخبار فقيه الديار المصرية أبي الحرث الليث بن سعد أبي المكارم وشيئا من عوالى حديثه تذكرة لعهده : وتبصرة لمن يخفى عليه حال من قبله اذا أتى من بعده : فأجبت طلبتهم . وصوبت رغبتهم . وجمعت في هذه الاوراق ما تيسر من ذلك لما فيه من نشر السنة ورتبتها على ثمانية أبواب على عدد أبواب الجنة (الباب الاول) في ذكر نسبه ونسبته ومولده وبلدته (الباب الثاني) فى ذكر طلبه العلم ورحلته وأسماء بعض شيوخه وصفة مبدأ أمره ونشأته (الباب الثالث) في مهارته في شبابه وتحريه أسباب المروءة ومكارم الاخلاق في جميع أسبابه (الباب الرابع) في ثناء الائمة عليه بالصفات الجميلة وبيان سعة حفظه وكثرة علومه الجزيلة (الباب الخامس)

فى عظيم مقداره عند الخلفاء وغيرهم من الاحرار والحلفاء (الباب السادس) في معرفة بعض الا خذين للحديث عنه والاشارة الى بعض المقتبسين للفقه منه (الباب السابع) في بيان وقت وفاته · ومقدار عمره عند مماته . (الباب الثامن) في سياق عوالى حديثه : الدال على رفيع قدره في قديم أمره وحديثه : والله أسأل أن لايجعل ما علمنا علينا وبالا وأن يسبل علينا ستر حلمه و كرمه سبحانه وتعالى

الباب الاول

أخبرنا أبو العباس احمد بن أبى بكر العز الحنبلى في كتابه الينا من دمشق غير مرة أخبرنا التقي ابو الفضل بن أبى طاهر الحاكم مشافهة عن أبى الحسن بن المقير أخبرنا أبو الفضل بن ناصر الحافظ في كتابه الينا أخبرنا ابو القاسم عبد الرحمن بن الحافظ ابى عبد الله بن منده اذنا اخبرنا ابي اخبرنا ابو سعيد عبد الرحمن بن احمد بن يونس بن عبد الاعلى فى تاريخ مصر قال الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفقيه يكنى أبا الحرث يقال انه مولى بنى فهم ثم لآ ل خالد ابن ناشر بن ظاعن الفهمي ثم من بنى كنانة بن عمرو بن القيس وكان اسمه في ديوان مصر في موالى بنى كنانة من فهم وأهل بيته يقولون نحن من الفرس من أهل اصبهان قال ابن يونس وليس لما قالوه من ذلك عندنا صحة يعنى كونهم من الفرس : فاما ان اصلهم من اصبهان فجاء عن الليث نفسه ذلك قرأت على أبى الحسن بن أبى المجد عن ابى بكر الدمشقي ان يوسف بن خليل الحافظ اخبرهم اخبرنا ابو الحسن الجمال اخبرنا ابو علي الحداد اخبرنا ابو نعيم حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر سمعت ابا الحسن الطحان يقول سمعت عيسى بن حماد يقول سمعت الليث يقول نحن من اهل اصبهان فاستوصوا بهم خيراً وقال يعقوب ابن سفيان في تاريخه كان الليث يقول اصلنا من اصبهان وقال ابو احمد الحاكم في

الكنى ابو الحرث الليث بن سعد مولى بنى فهم من قيس : وقال ابن يونس فيما اخرجه من طريق عمرو بن ابي الطاهر بن السرح سمعت يحيي بن بكير يقول سعد والد الليث كان من موالى قريش ثم افترض في بنى فهم فنسب اليهم وتبعه الليث بعده : وقال البخارى الليث مولى بنى فهم : وقال خليفة بن خياط الليث مولى بني قيس وظن ابو نصر الكلاباذى اختلاف النسبين فجعلهما قولين وليس كذلك بل فهم من قيس والله اعلم

﴿ ذكر مولده ﴾ قال يعقوب بن سفيان في تاريخه قال يحيي بن بكير سمعت ابن الليث يقول كان الليث يقول لنا قال لى بعض أهلي اني ولدت سنة اثنتين وتسعين والذى أوقن اني ولدت سنة اربع وتسعين وقال ابو صالح كاتب الليث سمعت الليث يقول مات عمر بن عبد العزيز ولى سبع سنين

﴿قلت﴾ وكانت وفاة عمر سنة احدى ومائة فيكون مولده سنة اربع وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل عن ابيه ولد سنة اربع وقال بعضهم سنة ثلاث وكذا قال ابن سعد ولد الليث سنة ثلاث أو اربع وتسعين وقال البخارى فى تاريخه قال يحيي بن بكير ولد الليث لاربع عشرة خلت من شعبان سنة أربع وتسعين وكذا قال ابن حبان وزاد يوم الجمعة

﴿ قلت ﴾ ومولده بقرقشندة على نحو أربع فراسخ من الفسطاط فيكون له منذ ولد سبعمائة سنة واربعون سنة لا تزيد يوماً ولا تنقص يوماً والله أعلم

الباب الثاني

قال أبو نعيم في الحلية أدرك الليث نيفاً وخمسين رجلا من التابعين : وقال البخارى قال يحيي بن بكير قال سمعت من ابن شهاب الزهرى بمكة سنة ثلاث عشرة وهي أول سنة حج : وروى ابن يونس من طريق ابن وهب عن الليث قال

خسفت الشمس ونحن بمكة سنة ثلاث عشرة: وسمع ببلده من يزيد بن ابى حبيب وجعفر بن ربيعة والحرث بن يعقوب وعبيد الله بن أبي جعفر وخالد بن يزيد وخير بن نعيم وسعيد بن يزيد بالحجاز من عطاء بن أبي رباح ونافع مولى ابن عمر وهشام بن عروة ويحيى بن سعيد الانصارى وابى الزبير محمد بن مسلم المكي وأيوب بن موسى الاموى وعبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة وعمرو بن شعيب وعمرو بن دينار وقتادة وسمع فى رحلته الى العراق وهو كبير من هشيم وهو أصغر منه : قال ابو صالح خرجت مع الليث في سنة إحدى وستين فشهدنا الاضحى ببغداد فقال لى الليث سل عن منزل هشيم الواسطي فقل له أخوك الليث المصرى يقرأ عليك السلام ويسألك أن تبعث اليه شيئاً من كتبك فذهبت اليه ففعل فكتبت لليث منها وسمعتها من هشيم مع الليث : وروى غير واحد عن الليث قال دخلت على نافع مولى ابن عمر فقال من أين قلت من أهل مصر قال ممن قلت من قيس قال ابن كم قلت ابن عشرين قال أما لحيتك فلحية ابن أربعين: وروى الخطيب من طريق الخضر بن عبيد حدثنا عيسى بن حماد سمعت الليث يقول حججت أنا وابن لهيعة فرأيت نافعاً مولى ابن عمر فدخلت معه الى دكان علاف فحدثنى فمر بنا ابن لهيعة فقال من هذا قلت مولى لنا فلما رجعنا إلى مصر جعلت أحدث عن نافع فأنكر ذلك ابن لهيعة وقال أين لقيته قلت أما رأيت العبد الذى في دكان العلاف هو ذاك

(قلت) وقعت لى نسخة الليث عن نافع فيها من الاحاديث المرفوعة والموقوفة نحو المائة ومع ذلك فكان الليث يروى عنه ما ليس عنده منه مشافهة بالواسطة وربما روى عنه بأ كثر من واسطة واحد فانه روى عن هقل بن زياد عن الاوزاعي عن داود بن عطاء عن موسى بن عقبة عن نافع وقد سمع من ابن شهاب الزهري كثيرا ويدخل بينه وبين الزهري الواسطة بواحد كعقيل ويونس

وغيرهما وذلك في الصحيحين وباثنين كما روى عن ابراهيم بن سعد عن صالح ابن كيسان عن ابن شهاب وبثلاثة كما روى عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبى هلال عن يزيد بن الهاد عن ابن شهاب وبخمسة كما روى عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبى هلال عن يزيد بن الهاد عن ابراهيم بن سعد عن صالح بن كيسان عن الزهرى وسمع من أبي الزبير وحديثه عنه من اصح الحديث فانه لم يسمع منه شيئاً دلس فيه : وقد روى عن خالد بن يزيد عن سعيد بن ابى هلال عن محمد ابن عجلان عن ابى الزبير ومامن هؤلاء الوسائط الا من سمع منه الكتب ولكنه كان لا يحب التدليس فكان لا يبالى اذا نزل في الرواية اذا لم يسمع فقد حدث عن هشام بن عروة وسمع من ربيعة وحدث عن يحيي بن أيوب عن أيوب بن موسى عنه وسمع من سعيد المصري وحدث عن يزيد بن ابي حبيب عن عبد الحميد ابن جعفر عنه: وكان من سعة علمه يحدث من لسانه بما عنده قال ابن يونس انفرد الغرباء عن الليث باحاديث لم يسمعها منه أهل مصر: وقد حدث عنه من شيوخه محمد بن عجلان وهشام بن سعد ومن أقرانه ابن لهيعة وقيس بن الربيع وهشيم ابن سعد وعبد الله بن المبارك وغيرهم وقال يعقوب بن سفيان حدثنا يحيي بن بكير أخبرني من سمع الليث يقول كتبت من علم الزهرى كثيرا يعنى عن غيره قال فأردت أن أركب البريد اليه الى الرصافة فخفت أن لا يكون ذلك لله فتركت ذلك يعنى فصار يروى عنه بالواسطة لذلك :

الباب الثالث

قال يعقوب بن سفيان في تاريخه سمعت يحيي بن بكير يقول قال عبد العزيز ابن محمد هو الدراوردى رأيت الليث بن سعد عند ربيعة يناظرهم في المسائل وقد فاق أهل الحلقة : وقال ابن يونس بالسند الماضى اليه حدثنا علي بن قديد سمعت

يحيي بن عثمان بن صالح يذكر أن يحيي بن بكير حدثه قال سمعت شرحبيل بن يزيد يقول أدركت الناس في زمن هشام بن عبد الملك وهم متوافرون مثل يزيد بن أبي حبيب وعبيد الله بن أبي جعفر وجعفر بن ربيعة والحرث بن يزيد وابن هبيرة ومن يقدم مصر من علماء أهل المدينة ومن علماء اهل الشام للرباط والليث يومئذ حدث شاب وانهم ليعرفون فضله ويقدمونه ويشار اليه: وقال يعقوب بن سفيان سمعت يحيى بن بكير يقول سمعت الليث يقول رآنى يحيى بن سعيد الانصاري وقد فعلت شيئاً من المباحات فقال لا تفعل فانك امام منظور اليك

(قلت) ويحيى بن سعيد تابعي من شيوخ الليث وقال يحيى بن عمر بن صالح السهمى حدثنا عمر بن خالد قال قلت لليث بلغنى انك أخذت بركاب بن شهاب الزهرى قال نعم للعلم فاما لغير ذلك فلا والله ما فعلته بأحد قط. أخبرنا أبو محمد ابراهيم بن داود العابد اذنا مشافهة أخبرنا ابراهيم بن على بن سنان أخبرنا عبد اللطيف بن عبد المنعم عن احمد بن محمد التيمى اخبرنا الحسن بن احمد المقري أخبرنا ابو نعيم حدثنا محمد بن ابراهيم بن على حدثنى الحضرمي حدثنا علان بن المغيرة سمعت أبا صالح كاتب الليث يقول كنا على باب مالك ابن أنس فامتنع علينا أى احتجب فقلنا ليس يشبه هذا صاحبنا قال فسمع مالك كلامنا فامر بادخالنا عليه فقال لنا من صاحبكم قلنا الليث بن سعد قال تشبهونى برجل كتبت اليه في قليل عصفر نصبغ به ثياب صبياننا فانفذ الينا منه ما صبغنا به ثياب صبياننا وثياب جيراننا وبعنا الفضل بالف دينار وبه الى ابي نعيم حدثنا ابراهيم بن محمد بن يحيى حدثنا محمد بن اسحق هو السراج سمعت قتيبة بن سعيد يقول قفلنا مع الليث من الاسكندرية وكان معه ثلاث سفائن سفينة فيها مطبخه وسفينة فيها عياله وسفينة فيها أضيافه: وبه الى أبي نعيم حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا اسماعيل بن عبد الله حدثنا عبد الله بن صالح قال صحبت الليث

عشرين سنة فكان لا يتغدى وحده ولا يتعشى وحده الامع الناس وبه الى ابي نعيم حدثنا سليمان بن احمدحدثنا احمد بن ابى يحيى حدثنا عبدالملك بن شعيب ابن الليث سمعت أسد بن موسى يقول كان عبدالله بن على يطلب بنى أمية فيقتلهم فرحلت الى مصر فدخلتها في هيئة رثة فدخلت على الليث فلما فرغ المجلس خرجت فتبعني خادم فقال اجلس حتى أخرج اليك فجلست حتى خرج وأنا وحدى فدفع لى صرة فيها مائة دينار وقال يقول لك الليث اصلح بهذه النفقة أمرك ولم شعثك وكان معي في حجزتي الف دينار فأخرجتها له وقلت له استأذن لى على الشيخ فدخلت فأخبرته بنسبي فقال انها صلة وليست صدقة واعتذرت اليه عن قبول صلته وقلت أكره أن أعود نفسى عادة وأنا عنها غنى قال فادفعها الى بعض أصحاب الحديث ممن تراه مستحقا لها فلم يزل بي حتى أخذتها ففرقتها في جماعة* ومن طريق منصور بن عمار قال كنت عند الليث جالساً فأتته امرأة ومعها قدح فقالت يا أبا الحرث ان زوجى يشتكى وقد نعت لنا العسل فقال اذهبي الى الوكيل فقولى له يعطيك مطراً[1] فجاء الوكيل يساره بشىء فقال له الليث اذهب فاعطها مطراً انها سألت بقدرها فاعطيناها بقدرنا قال والمطر عشرون ومائة رطل: وعن منصور قال دخلت على الليث وعلى رأسه خادم فغمزه فخرج فضرب بيده الى مصلاه فاستخرج منه كيسا فرمى به الىّ وقال يا ابا السرى لا تعلم به ابنى فتهون عليه فاذا فيه الف دينار: وقال ابو حاتم بن حبان كان الليث لا يتردد اليه أحد الا أدخله في جملة عياله ما دام يتردد اليه ثم ان أراد الخروج زوده بالبلغة الى وطنه* وقال عباس بن محمد الدورى سمعت يحيى بن معين يقول كان الليث يصلى في المسجد كل صلاة يجيء على فرسه فكان له مجلس يجلس فيه فمر به يحيى بن أيوب فغمزه فقام معه فسأله عن مسئلة فأجابه فبعث اليه بمائة دينار وقال الترمذى

(١) قوله مطراً هو وعاء معروف عند بعض أهل مصر يسع نحو مائة رطل مصري تقريباً اهـ

سمعت قتيبة يقول كان الليث في كل صلاة يتصدق على ثلثمائة مسكين * وقال أشهب كان الليث لا يرد سائلا وكان يطعم الناس الهرائس بعسل النحل وسمن البقر في الشتاء وفي الصيف بشيء من اللوز والسكر: وبالسند الماضي قريباً الى أبي نعيم حدثنا احمد بن اسحق حدثنا اسحق بن اسماعيل سمعت محمد بن رمح يقول كان دخل الليث في كل سنة ثمانين الف دينار ما أوجب الله عليه درهما قط بزكاة: وقال أبو بكر بن أبي داود حدثنا عبدالملك بن شعيب بن الليث سمعت أبي يقول قال الليث ماوجبت علي زكاة قط منذ بلغت: وقال حرملة بن يحيى سمعت ابن وهب يقول كان الليث يصل مالكا كل سنة بمائة دينار وكتب اليه مرة ان علي دينا فبعث اليه بخمسمائة دينار وبه الى ابي نعيم حدثنا سليمان بن احمد الطبراني حدثنا عبد الملك بن يحيى بن بكير سمعت ابي يقول وصل الليث ابن لهيعة لما احترقت داره بالف دينار وحج فأهدى اليه مالك طبقا فيه رطب فرد اليه علي الطبق الف دينار ووصل منصور بن عمار القاضي بالف دينار : وقال الحرث بن مسكين اشترى قوم من الليث ثمرة بمال ثم انهم ندموا فاستقالوه فاقالهم ثم استدعاهم فاعطاهم خمسين دينارا وقال انهم كانوا أملوا أملا فأحببت ان اعوضهم *

الباب الرابع

قال أبو بكر بن الاثرم سمعت أباعبدالله احمد بن حنبل يقول ما في هؤلاء المصريين أثبت من الليث لاعمرو بن الحرث ولاغيره ماأصح حديثه وجعل يثني عليه : وقال يعقوب بن سفيان قال الفضل بن زياد قال احمد بن حنبل الليث كثير العلم صحيح الحديث وقال حنبل بن اسحق سئل احمد فقيل له محمد بن عجلان وابن أبي ذئب والليث عن المقبرى أيهم أحب اليك قال الليث * وقال عباس الدورى عن يحيي بن معين الليث في يزيد بن أبى حبيب أثبت من محمد بن

اسحق وقال محمد بن احمد بن عياض حدثنا هرون بن يزيد سمعت ابن وهب يقول كلما كان في كتب مالك وأخبرني من أرضى من أهل العلم فهو الليث بن سعد وقال شعيب بن الليث قيل لأبي إنا نسمع منك الحديث ليس في كتبك قال لو كتبت مافي صدري فى كتبي ماوسعه هذا المركب وقال يحيى بن بكير مارأيت فيمن رأيت مثل الليث ومارأيت أكمل منه كان فقيه البلد عربي اللسان يحسن القرآن والنحو والحديث والشعر والمذاكرة الى أن عد خمس عشرة خصلة مارأيت مثله

﴿ ذكر ثنائهم عليه بالفقه ﴾ وبالسند الماضى الى أبي نعيم حدثنا محمد بن عبدالرحمن بن سهل حدثنا احمد بن اسماعيل الصدفي حدثنا يحيي بن عثمان حدثنا حرملة بن يحيي سمعت الشافعي يقول الليث أنفع للاثر من مالك: وقال أبو احمد ابن عدى حدثنا ابراهيم بن اسحق سمعت احمد بن عبدالرحمن بن وهب يقول سمعت الشافعي يقول الليث أفقه من مالك الا أن أصحابه لم يقوموا به : وفي رواية عن الشافعي ضيعه قومه وفي أخرى ضيعه أصحابه وقال أبو محمد بن أبي حاتم سمعت أبازرعة يقول سمعت يحيي بن بكير يقول الليث أفقه من مالك ولكن كانت الحظوة لمالك : وقال أبو عبدالله البوشنجى سمعت يحيى بن بكير يقول أخبرت عن سعيد بن أبي أيوب انه كان يقول لو أن مالكا والليث اجتمعا كان مالك عند الليث أبكم ولباع الليث مالكا فيمن يريد *

(قلت) ثناؤهم عليه بحفظ الحديث وضبطه قال ابن أبي حاتم سألت أبازرعة الليث يحتج بحديثه قال أى لعمرى وقال يحيي بن معين ثبت وقال يعقوب بن شيبة ومحمد بن سعد وآخر ثقة وقال ابن أبي مريم مارأيت أحداً من خلق الله أفضل من ليث وما كانت خصلة يتقرب بها الى الله الا كانت تلك الخصلة فى الليث : وقال أبو يعلي الخليلى كان امام وقته بلامدافعة وقال ابن حبان كان من سادات أهل زمانه فقهاً وعلماً وحفظاً وفضلا وكرماً: وقال النووى في تهذيبه أجمعوا على جلالته وأمانته وعلو مرتبته في الفقه والحديث

الباب الخامس

وبالسند الماضى أول الجزء الى أبى سعيد بن يونس حدثنا محمد بن الحرث حدثنا محمد بن عبدالملك بن شعيب بن الليث حدثنا أبي عن أبيه قال قال الليث قال لى أبوجعفر المنصور حين أردت أن أودعه قد رأيت ماسرنى من سداد عقلك فاتق الله في الرعية أمثالك وقال يعقوب بن سفيان حدثنا يحيي بن بكير قال قال الليث قال لى أبوجعفر المنصور تلى لى قلت انى أضعف عن ذلك انى رجل من الموالي قال مابك ضعف معى الا ضعف بدنك أتريد قوة أقوى منى فأما اذا أبيت فدلنى على رجل قالوا وكان الامراء بمصر لايقطعون أمراً دون الليث * وقال أبوعبدالله البوشنجي سمعت يحيي بن بكير يحدث عن يعقوب ابن داود الوزير قال قال لي أمير المؤمنين لما قدم الليث العراق الزم هذا الشيخ فقد ثبت عند أمير المؤمنين انه مابقى أحد أعلم بما كان منه * وقال أشهب بن عبدالعزيز كان لليث أربع مجالس كل يوم مجلس لحوائج السلطان ومجلس لاصحاب الحديث ومجلس لاصحاب المسائل ومجلس لحوائج الناس لايسأله أحد فيرده صغرت حاجته أو كبرت وقال منصور بن عمار كان الليث اذا تكلم رجل فى المسجد الجامع أخرجه قال فلما دخلت مصر تكلمت فى الجامع فاذا رجلان قد دخلا فأخذا بى فقالا أجب أباالحرث قال فذهبت وأنا أقول واسوأتاه أخرج من البلد هكذا قال فلما دخلت على الليث سلمت فقال أنت المتكلم فى المسجد قلت نعم قال أعد عليّ ماقلت قال فأعدته فرق الشيخ وبكى فقال مااسمك قلت منصور بن عمار قال أبوالسرى قلت نعم قال فدفع إليّ كيساً وقال صن هذا الكلام عن أبواب السلاطين ولاتمدحن أحداً من المخلوقين بعد مدحك لرب العالمين ولك عليّ في كل سنة مثلها: وبالسند الماضى الى أبى نعيم حدثنا محمد بن

احمد الجرجرائي حدثنا أبو على الطرائفي حدثنا لؤلؤ خادم الرشيد قال جرى بين هرون الرشيد وبنت عمه زبيدة بنت جعفر كلام فقال هرون أنت طالق ان لم أكن من أهل الجنة ثم ندم فجمع الفقهاء فاختلفوا ثم كتب الى البلدان فاستحضر علماءها اليه فلما اجتمعوا جلس لهم فسألهم فاختلفوا وبقي شيخ لم يتكلم وكان في آخر المجلس وهو الليث بن سعد قال فسأله قال اذا خلى أمير المؤمنين مجلسه كلمته فصرفهم فقال يدنيني أمير المؤمنين فأدناه فقال أتكلم على الامان قال نعم فأمر باحضار مصحف فأحضر فقال تصفحه ياأمير المؤمنين حتى تصل الى سورة الرحمن فاقرأها ففعل فلما انتهى الى قوله تعالى (ولمن خاف مقام ربه جنتان) قال أمسك يا أمير المؤمنين قل والله قال فاشتد ذلك على هرون فقال يا أمير المؤمنين الشرط أملك فقال والله حتى فرغ من اليمين قال قل انى اخاف مقام ربى فقال ذلك فقال يا أمير المؤمنين فهى جنتان وليست بجنة واحدة قال فسمعنا التصفيق والفرح من وراء الستر فقال له الرشيد احسنت وامر له بالجوائز والخلع وأمر له باقطاع الجيزة ولايتصرف أحد بمصر الا بأمره وصرفه مكرما : وقال يحيي بن بكير كتب الوليد بن رفاعة وهو أمير مصر في وصيته قد أسندت وصيتى لعبدالرحمن ابن خالد بن مسافر والى الليث بن سعد وليس لعبدالرحمن أن يفتات على الليث فان له نصحاً ورأياً وكان الليث يومئذ ابن أربع وعشرين سنة :وقال سعيد بن أبي مريم كان اسمعيل بن اليسع الكندى من خير قضاتنا غير انه كان يذهب مذهب أبى حنيفة في ابطال الحبس فأبغضوه فكتب الليث في أمره فعزل: وقال يحيي بن عثمان بن صالح عن أبيه جاء الليث الى اسمعيل فجلس بين يديه فرفع اسمعيل مجلسه فقال انما جئت اليك مخاصما قال فيماذا قال في أحباس المسلمين قد حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير فمن بقي بعد هؤلاء وقام فكتب الى المهدي فورد الكتاب بعزله فأتاه الليث

فجلس الى جنبه وقال للقارىء اقرأ كتـــاب أمير المؤمنين فقال له اسمعيل يا أبا الحرث وما كنت تصنع بهذا والله لو أمرتنى بالخروج لخرجت فقال له الليث والله انك لعفيف عن أموال الناس قال يونس بن عبدالاعلى كان فى كتـاب الليث الى الخليفـة انا لم ننكر عليه شيئاً غير انه أحدث أحكاماً لا نعرفها: وعن عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالحكم عن أبيه قال كتب فيه ياأمير المؤمنين انك وليت علينا رجلا مانقمنا عليه في الدينار والدرهم الا خيراً الا انه يكيـد السنة فعزله: وبالسند الماضى الى أبى نعيم حدثنا سليمان بن احمد حدثنا مطلب بن شعيب سمعت عبدالله بن صالح يقول سمعت الليث بن سعد يقول لما قدمت على هرون الرشيد قال لى ياليث ماصلاح بلدكم قلت يا أمير المؤمنين صلاح بلدنا اجراء النيل وصلاح أميرها ومن رأس العين يأتى الكدر فاذا صفا رأس العين صفت العين قال صدقت ياأبا الحرث *

الباب السادس

تقدم انه روى عنه بعض شيوخه وأقرانه وأن قول مالك حدثنى من أرضى من أهل العلم يريد به الليث وممن روى عنه من أقرانه فمن دونهم عطاف بن خالد وعبد الله بن المبارك والوليد بن مسلم وأبو النضر هاشم بن القاسم ويونس بن محمد المؤدب وعبد الله بن وهب ويعقوب بن ابراهيم بن سعد ويحيى بن اسحق السيلحينى وعلى بن نصر الجهضمى وابو سلمة الخزاعى والحسن بن سوادة وحجين ابن المثنى وأبو نوح المعروف بقرادة وعبد الله بن الحكم وبشر بن السرى وشبابة بن سوادة وحجاج بن محمد وأشهب بن عبد العزيز: واكثر هؤلاء من شيوخ الامام احمد بن حنبل وسعيد بن سليمان وسعيد بن أبى مريم وسعيد بن كثير بن عفير ويحيى بن عبد الله بن بكير وعبد الله بن صالح وعبد الله بن يزيد

المقرى وعمرو بن خالد الحرانى وعمرو بن الربيع بن طارق وعلىّ بن عياش الحمصى وعبد الله بن يوسف التنيسى : وغالب هؤلاء من شيوخ البخارى: وأبو الوليد الطيالسى واحمد بن يونس ويحيي بن يحيي التميمى : وهؤلاء من شيوخ مسلم وأبي داود واكثر عنه قتيبة بن سعيد وهو من شيوخ الائمة الخمسة ومحمد بن رمح ومحمد بن الحرث وعيسى بن حماد وهو آخر من حدث عنه من الثقات وبين وفاته ووفاة محمد بن عجلان مائة سنة سواء فان ابن عجلان مات سنة ثمان وأربعين ومائة ومات عيسى سنة ثمان وأربعين ومائتين وقيل سنة تسع وأربعين وقال ابراهيم بن محمد بن يحيى النيسابورى سمعت محمد بن المسيب يقول سمعت يونس بن عبد الأعلى يقول سمعت الشافعي يقول ما فاتنى أحد فأسفت عليه ما أسفت على الليث بن سعد وابن أبي ذئب: وقال الحسن بن يوسف سمعت الربيع بن سليمان يقول قال عبد الله بن وهب لولا مالك والليث لضللنا

(قلت) وأخذ عنه الفقه أيضاً مع ابن وهب عبد الرحمن بن القاسم وأشهب ويحيي بن بكير وأبو صالح وغيرهم لكنه ما صنف شيئاً من الكتب ولا دوّن أصحابه المسائل عنه ولذلك قال الشافعى ضيعه أصحابه يعنى لم يدوّنوا فقهه كما دونوا فقه مالك وغيره وان كان بعضهم قد جمع منها شيئاً وقد ذكر الشيخ أبو اسحق في الطبقات ان علم التابعين من أهل مصر تناهى الى الليث بن سعد قال وقال ابن وهب ومسائل الليث تقرأ عليه فمرت به مسئلة فاستحسنوها فقال رجل ما أحسن ما قال الليث كأنه كان يسمع مالكا فيجيب فقال ابن وهب بل لعل مالكا كان يسمع الليث يجيب فيجيب والله الذي لا إله إلا هو ما رأينا أحداً قط أفقه من الليث.

(قلت) ولقد تتبعت كتب الخلاف كثيراً فلم أقف فيها على مسئلة واحدة انفرد بها الليث عن الائمة من الصحابة والتابعين الا في مسئلة واحدة وهي أنه كان يرى تحريم أكل الجراد الميت وقد نقل ذلك أيضاً عن بعض المالكية والله سبحانه وتعالى أعلم.

الباب السابع

قال خالد بن عبد السلام الصدفى جالست الليث بن سعد وشهدت جنازته مع أبى فما رأيت جنازة قط بعدها أعظم منها ورأيت الناس كلهم عليهم الحزن ويعزى بعضهم بعضا فقلت لأبى يا أبت كأن كل واحد من هؤلاء صاحب الجنازة فقال لى يا بنى كان عالما كريما حسن العقل كثير الافضال يا بنى لا ترى مثله أبداً : وقال خليفة بن خياط ومحمد بن سعد والبخارى وغير واحد مات الليث بن سعد سنة خمس وسبعين ومائة زاد ابن سعد يوم الجمعة لاربع عشرة بقيت من شعبان وقال ابن حبان مات فى النصف من شعبان

(قلت) فيكون له منذ مات الى الآن سمائة سنة وستون سنة لم تنقص سنة واحدة وقد وقعت لنا من عوالى حديثه اليه جملة بينى وبينه فيها ثمانية أنفس أكثرها بالسماع المتصل اليه وفي بعضها الاجازة وقد انتقيت منها أربعين حديثا تكلمت على حالها ومن أخرجها من الائمة واذا قسمت المدة المذكورة على عدد الرواة كان قسط كل واحد منهم ثمانين سنة وزيادة وقد عاش هو احدى وثمانين سنة على ما بينت من مولده ووفاته فتناسب الامر بعضه من بعض والله سبحانه وتعالى المستعان .

الباب الثامن

﴿ الحديث الاول ﴾ قرأت على الشيخ أبى اسحق ابراهيم بن احمد بن عبد الواحد التنوخي البعلبكي ثم الدمشقي ثم القاهرى بمنزله بالجامع الاقمر غير مرة ان أحمد ابن ابى طالب بن ابى النعم الصالحي اخبرهم سماعا عليه قال اخبرنا ابو المنجا عبد الله بن عمر ابن على بن يزيد البغدادي قرأت عليه ونحن نسمع بدمشق أخبرنا أبو الوقت عبد الاول بن عيسى بن شعيب الهروى قراءة عليه ونحن نسمع ببغداد اخبرنا ابو عبد الله

محمد بن ابي مسعود عبد العزيز الفارسى اخبرنا ابو محمد عبد الرحمن بن احمد بن محمد بن ابى شريح الانصاري اخبرنا ابو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوى حدثنا أبو الجهم العلاء بن موسي بن عطية الباهلى املاء حدثنا الليث بن سعد المصرى عن نافع عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الرؤية الصالحة قال نافع حسبت ابن عمر قال جزء من سبعين جزأ من النبوة هذا حديث صحيح أخرجه احمد عن أبى النضر هاشم ابن القاسم: وأخرجه مسلم عن قتيبة ومحمد بن رمح ثلاثتهم عن الليث بن سعد فوقع لنا بدلا عاليًا بدرجتين على طريقى المسند والصحيح *

﴿ الحديث الثانى ﴾ وبهذا الاسناد الى ابى الجهم حدثنا الليث بن سعد عن نافع عن عبدالله بن عمر قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى اذا كان ثلاثة نفر ان يتناجى اثنان دون واحد» هذا حديث صحيح أخرجه احمد عن يونس بن محمد المؤدب ومسلم عن قتيبة ومحمد بن رمح ثلاثتهم عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا بدرجتين ايضا واخرجه عوانة عن ابي الاحوص عن قتيبة فوقع لنا بدلا عاليا على طريقه بدرجتين ايضا

﴿ الحديث الثالث ﴾ وبه الى ابى الجهم حدثنا الليث بن سعد عن نافع عن عبدالله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال «لا يقيمن احدكم الرجل من مجالسه ثم يجلس فيه» هذا حديث صحيح اخرجه احمد بن ابى النضر هاشم بن القاسم واخرجه مسلم عن قتيبة ومحمد بن رمح ثلاثتهم عن الليث بن سعد فوقع لنا بدلا عاليا

﴿ الحديث الرابع ﴾ وبه الى أبى الجهم حدثنا الليث بن سعد عن نافع عن عبدالله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « انه قام فقال لا يحلبن أحد ماشية أحد بغير اذنه أيحب أحدكم أن تؤتى مشربته فيكسر باب خزانته فينتقل

طعامه وانما يخزن لهم ضروع مواشيهم أطعمتهم فلايحلبن ماشية امرىء بغير اذنه» هذا حديث صحيح أخرجه مسلم وابن ماجه عن محمد بن رمح وأخرجه مسلم أيضاً عن قتيبة كلاهما عن الليث فوقع لنا بدلا عالياً*

﴿ الحديث الخامس ﴾ قرأت على أبي الحسن على بن محمد بن محمد الخطيب الدمشقي قدم علينا القاهرة وكتب الينا أبوالعباس احمد بن أبى بكر بن احمد المقدسي غير مرة كلاهما عن أبي الفضل سليمان بن أبى طاهر المقدسي قال الاول كتابة والثاني سماعاً قالا أخبرنا عبدالله بن عمر البغدادى أخبرنا أبوالقاسم سعيد ابن احمد البناء أخبرنا أبو نصر محمد بن محمد بن على الزينبي أخبرنا أبو بكر محمد ابن عمر بن دينور حدثنا أبوبكر بن عبدالله بن أبي داود سليمان بن الاشعث السجستانى حدثنا عيسى بن حماد أخبرنا الليث بن سعد عن يزيد بن أبى حبيب عن أبى الخير هو يزيد بن عبدالله عن عقبة هو ابن عامر الجهنى رضى الله عنه «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوماً يصلى على أهل أحد صلاته على الميت ثم انصرف الى المنبر فقال انى فرط لكم وأنا شهيد عليكم واني والله لانظر الى حوضى الآن وانى قد أعطيت مفاتيح خزائن الارض أو مفاتيح الارض وانى والله ما أخاف أن تشركوا بعدى ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها» هذا حديث صحيح أخرجه احمد عن حجاج بن محمد وابي النضر هاشم بن القاسم واخرجه البخارى عن عبدالله بن يوسف وسعيد بن شرحبيل وعمرو بن خالد وأخرجه هو ومسلم وابوداود والنسائي كلهم عن قتيبة الستة عن الليث بن سعد فوقع لنا بدلا عالياً*

﴿ الحديث السادس ﴾ قرأت على زينب بنت العماد أبي بكر بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن جعوان الدمشقية بصالحية دمشق وعلى بن ابراهيم بن احمد القارىء بالقاهرة كلاهما عن ابن العباس الصالحى سماعاً أخبرنا أبوالمنجا بن الليثى

أخبرنا أبو الوقت أخبرنا أبوعبدالله بن أبي سعيد أخبرنا أبومحمد بن أبي شريح حدثنا ابوالقاسم البغوي حدثنا أبو الجهم العلاء بن موسى حدثنا الليث بن سعد عن نافع عن عبدالله بن عمر قال ان امرأة وجدت في بعض مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم مقتولة فأنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل النساء والصبيان: هذا حديث صحيح أخرجه احمد عن أبي النضر هاشم بن القاسم وعلى بن عباس الحمصي ويونس بن محمد المؤدب فرتبهم وأخرجه البخارى عن احمد بن يونس ومسلم عن يحيي بن يحيي وأبوداود عن يزيد بن خالد بن موهب وأخرجه مسلم وأبوداود أيضا والترمذى والنسائى عن قتيبة كلهم عن الليث بن سعد فوقع لنا بدلا عاليا: وأخرجه ابوعوانة عن محمد بن اسحاق الصنعانى عن أبي النضر وعن أبي أمية الطرسوسى عن احمد بن يونس به *

﴿ الحديث السابع ﴾ وبه الى ابى الجهم حدثنا الليث بن سعد عن نافع عن عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية قبل نجد وفيهم عبدالله بن عمر وأن سهمانهم بلغت اثنى عشر بعيرا ونفلوا سوى ذلك بعيراً بعيراً فلم يغيره رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى ذلك » هذا حديث صحيح أخرجه مسلم عن قتيبة ومحمد بن رمح واخرجه أبو داود عن يزيد بن خالد بن موهب والقعنبي اربعتهم عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا *

﴿ الحديث الثامن ﴾ وبه الى ابى الجهم حدثنا الليث بن سعد عن نافع عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « الا كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته فالامير الذى على الناس راع وهو مسؤل عن رعيته والرجل راع على اهل بيته وهو مسؤل عنهم وامرأة الرجل راعية على بيت بعلها وولده وهى مسؤلة عنهم والعبد راع على مال سيده وهو مسؤل عنه الا فكلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته » هذا حديث صحيح اخرجه مسلم

عن قتيبة ومحمد بن رمح واخرجه الترمذي عن قتيبة كلاهما عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا *

﴿ الحديث التاسع ﴾ وبه الى أبي الجهم حدثنا الليث بن سعد عن نافع عن عبدالله بن عمر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مستقبل المنبر يقول «ألا ان الفتنة ههنا مرتين من حيث يطلع قرن الشيطان» هذا حديث صحيح أخرجه احمد عن أبي النضر هاشم بن القاسم وأخرجه البخارى ومسلم جميعاً عن قتيبة وأخرجه مسلم أيضاً عن محمد بن رمح ثلاثتهم عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا وأخرجه أبو عوانة عن الحرث ابن أبي أسامة عن أبي النضر به *

﴿ الحديث العاشر ﴾ وبه الى الليث بن سعد عن نافع عن عبدالله هو ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « الخيل معقود في نواصيها الخير الى يوم القيامة » هذا حديث صحيح أخرجه مسلم والنسائي عن قتيبة ومسلم أيضاً وابن ماجه عن محمد بن رمح كلاهما عن الليث فوقع لنا بدلا عالياً *

﴿ الحديث الحادى عشر ﴾ أنبأنا أبو هريرة عبدالرحمن بن الحافظ أبي عبدالله محمد بن احمد بن عثمان الذهبي اجازة أذن في كتابتها لنا غير مرة عن القاسم بن مظفر بن عساكر وأبي نصر بن الشيرازى سماعاً عليهما ح وقرأت على أم الحسن فاطمة بنت محمد بن احمد بن عثمان بدمشق عن أبي الفضل بن قدامة قالوا أخبرنا محمد بن عبد الواحد المدينى اجازة مكاتبة أخبرنا اسماعيل بن على الحمامي أخبرنا أبو مسلم محمد بن على النحوى حدثنا أبو بكر محمد بن ابراهيم بن على بن عاصم المقرى ح أخبرنا أبو هريرة بن الذهبي اجازة من دمشق وقرأت على أبي الحسن على بن محمد بن أبي المجد بالقاهرة أن أبا القاسم بن مظفر بن عساكر أخبرهم قال الاول سماعاً عليه وأنا أسمع في الرابعة واجازة أخبرنا أبو بكر محمد ابن عبيدالله بن الزغوانى في كتابه أخبرنا أبو القاسم على بن احمد البسرى أخبرنا

أبو طاهر محمد بن عبدالعزيز البغوي حدثنا كامل بن طلحة حدثنا الليث بن سعد عن عقيل بن خالد عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أن أباهريرة رضى الله عنه قال بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم «فقال بينا أنا نائم رأيتنى في الجنة فاذا أنا بامرأة تتوضأ الى جانب قصر فقلت لمن هذا القصر قالت لعمر بن الخطاب فذكرت غيرتك فوليت مدبراً قال أبوهريرة فبكى عمر وقال بأبى وأمى عليك أغار» هذا حديث صحيح أخرجه البخاري عن سعيد بن أبي مريم وسعيد بن كثير بن عفير ويحيي بن عبدالله بن بكير واخرجه ابن ماجه عن محمد ابن الحرث البصرى كلهم عن الليث فوقع لنا بدلا عالياً*

﴿* الحديث الثانى عشر *﴾ قرأت على أبى عبدالله محمد بن بهادر المسعودى عن احمد بن أبى طالب بن الشحنة سماعاً أن عبدالله بن عمر بن على أخبرهم أخبرنا عبدالاول بن عيسى أخبرنا محمد بن عبدالعزيز أخبرنا عبدالرحمن بن احمد أخبرنا عبدالله بن محمد حدثنا العلاء بن موسى حدثنا الليث بن سعد عن أبى الزبير المكي عن جابر بن عبدالله الانصارى قال «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايدخل ممن بايع تحت الشجرة النار» هذا حديث صحيح أخرجه احمد عن يونس بن محمد وحجين بن المثنى وأخرجه ابوداود والترمذى والنسائى جميعا عن قتيبة وأبوداود أيضا عن يزيد بن خالد بن موهب كلهم عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا*

﴿* الحديث الثالث عشر *﴾ وبه الى الليث عن أبى الزبير عن جابر بن عبدالله رضى الله عنهما «ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر رجلا كان يتصدق بالنبل في المسجد أن لايمر بها الاوهو آخذ بنصولها» هذا حديث صحيح أخرجه أحمد عن حجين بن المثنى ويونس بن محمد وأخرجه مسلم أيضا عن محمد بن رمح كلهم عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا*

﴿ الحديث الرابع عشر ﴾ وبه الى أبي الجهم العلاء بن موسى حدثنا الليث عن أبي الزبير عن جابر بن عبدالله رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «خير ماركبت اليه الرواحل مسجدى هذا والبيت العتيق » هذا حديث صحيح أخرجه احمد عن حجين بن المثنى ويونس بن محمد وأخرجه النسائي عن قتيبة ثلاثتهم عن الليث وأخرجه الطبراني في الاوسط عن احمد بن علي الأبار عن أبي الجهم العلاء بن موسى فوقع لنا بدلا عاليا قال الطبراني لم يروه عن الليث الا العلاء بن موسى *

(قلت) ورواية احمد والنسائي واردة عليه وقد رواه أيضا عبدالله بن يزيد المقرى عن الليث رويناه في الجزء الاول من فوائد أبي يحيى بن أبي مصرة فهؤلاء الاربعة رووه عن الليث غير أبي الجهم :

﴿ الحديث الخامس عشر ﴾ وبه الى الليث عن أبي الزبير عن جابر قال جاء سليك الغطفاني يوم الجمعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فقعد قبل أن يصل «فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قم فاركعهما» هذا حديث صحيح أخرجه مسلم والنسائي عن قتيبة وأخرجه مسلم أيضا عن محمد بن رمح كلاهما عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا *

﴿ الحديث السادس عشر ﴾ أخبرنا أبوبكر بن احمد بن عبد الهادى وأبوهريرة الذهبي اجازة مكاتبة قالا أخبرنا عيسى بن عبدالرحمن المطعم ح وأخبرنا علي بن محمد الخطيب فيما قرأت عليه عن التقى سليمان بن حمزة بن أبي عمر قالا أخبرنا أبوالمنجا بن الليثي أخبرنا أبوالقاسم سعيد بن احمد بن البنا. اخبرنا أبو نصر الزينبي أخبرنا أبوبكر محمد بن عمر الوراق حدثنا أبوبكر بن داود حدثنا عيسى حدثنا الليث عن سعيد المقبرى يعنى أبيه عن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «قال في الجنة شجرة يسير الراكب في

ظلها مائة سنة» هذا حديث صحيح أخرجه مسلم والترمذي والنسائى كلهم عن قتيبة عن الليث عن سعيد بن أبي سعيد كيسان المقبرى عن ابيه عن أبى هريرة فوقع لنا بدلا عاليا وسقط من أصل سماعنا قوله في السند عن أبيه ولا بد منه والله اعلم

﴿ الحديث السابع عشر ﴾ وبالسند الماضى الى أبى الجهم العلاء بن موسى حدثنا الليث بن سعد عن أبى الزبير عن جابر الانصاري رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من رآنى فى المنام فقد رآنى فانه لا ينبغى للشيطان أن يتمثل في صورتى » هذا حديث صحيح اخرجه احمد عن يونس بن محمد وحجين بن المثنى وأخرجه مسلم عن قتيبة بن سعيد ومحمد بن رمح كلهم عن الليث فوقع لنا بدلا عالياً *

﴿ الحديث الثامن عشر ﴾ وبه الى أبى الجهم أخبرنا الليث بن سعد عن أبى الزبير عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا احتلم أحدكم فلا يخبر الناس بتلاعب الشيطان به فى المنام» وبه « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاعرابى جاءه انى حلمت ان رأسى قطع وأنا أتبعه فزجره النبي صلى الله عليه وسلم وقال لا تخبر بتلاعب الشيطان بك في المنام» هذا حديث صحيح أخرجه مسلم عن قتيبة ومحمد بن رمح واخرجه النسائي عن قتيبة وابن ماجه عن محمد بن رمح كلاهما عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا *

﴿ الحديث التاسع عشر ﴾ وبه الى أبي الجهم حدثنا الليث عن أبى الزبير عن جابر بن عبد الله الانصارى رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اذا رأى احدكم الرؤيا يكرهها فليبصق عن يساره ثلاثا وليستعذ بالله من الشيطان ثلاثا وليتحول عن جنبه الذى كان عليه» هذا حديث صحيح اخرجه مسلم وابو داود والنسائى عن قتيبة وابو داود أيضا عن يزيد بن خالد ومسلم أيضا وابن ماجه عن محمد بن رمح خمستهم عن الليث فوقع لنا بدلا عالياً *

﴿ الحديث العشرون ﴾ وبه الى أبي الجهم قال حدثنا الليث عن أبي الزبير عن جابر «ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل على ام مبشر الانصارية في نخل لها فقال لها النبي صلى الله عليـه وسلم من غرس هذا النخل أمسلم ام كافر فقالت بل مسلم فقال لا يغرس مسلم غرسا ولا يزرع زرعا فيأكل منه انسان ولا دابة ولا شيء الا كان له صدقة» هذا حديث صحيح أخرجه مسلم عن قتيبة ومحمد بن رمح كلاهما عن الليث فوقع لنا بدلا عاليًا *

﴿ الحديث الحادى والعشرون ﴾ قرأت على فاطمة بنت محمد بن عبد الهادى المقدسية بصالحية دمشق عن أبي نصر محمد بن العماد محمد بن محمد الشيرازى أن محمود بن ابراهيم كتب اليهم أخبرنا مسعود بن الحسن الثقفي أخبرنا أبو عمر عبد الوهاب بن ابي عبد الله بن منده سماعا عليه أخبرنا ابو الحسن احمد بن محمد بن عمر الخفاف اجازة حدثنا ابو العباس محمد بن اسحاق السراج حدثنا قتيبة ابن سعيد حدثنا الليث عن أبي الزبير عن جابر وعن سعيد بن جبير وطاوس عن ابن عباس انه قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا القرآن وكان يقول التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله سلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته سلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله» هذا حديث صحيح أخرجه مسلم وابو داود والترمذى والنسائى جميعاً عن قتيبـة واخرجه ابن ماجه عن بن محمد بن رمح كلاهما عن الليث فوقع لنا بدلا عاليًا *

﴿ الحديث الثانى والعشرون ﴾ وبهذا الاسناد الى السراج حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا الليث عن ابن عجلان عن عبد الرحمن مولى الحرقة عن أبي السائب مولى هشام بن زهرة عن أبي هريرة أنه قال «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما رجل صلى صلاة بغير قراءة فهي خداج فهي خداج غير تمام قال قلت انى

لا أستطيع أن اقرأ مع الامام قال اقرأ في نفسك فان الله عز وجل يقول قسمت الصلاة بيني وبين عبدي فأولها لي وأوسطها بيني وبين عبدي وآخرها لعبدي وله ما سأل قال الحمد لله رب العالمين قال حمدني عبدي قال الرحمن الرحيم قال أثنى عليّ عبدي قال مالك يوم الدين قال مجدني عبدي قال اياك نعبد وإياك نستعين قال اخلص العبادة لي واستعانني عليها فهذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين فهذا له وله ما سأل» هذا حديث صحيح اخرجه احمد ومسلم واصحاب السنن الثلاثة من طرق العلاء بن عبد الرحمن ابن يعقوب مولى الحرقة عن ابى السائب مولى هشام بن زهرة عن أبي هريرة ومنهم من قال عن ابيه وأبي السائب به *

﴿ الحديث الثالث والعشرون ﴾ وبه الى السراج حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا الليث بن سعد عن ابن شهاب عن أنس «قال خر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن فرس فجحش فصلى بنا قاعداً فصلينا معه قعوداً ثم انصرف فقال انما جعل الامام ليؤتم به فاذا كبر فكبروا واذا ركع فاركعوا واذا سجد فاسجدوا واذا صلى قاعداً فصلوا قعوداً أجمعون» هذا حديث صحيح اخرجه البخارى ومسلم والترمذي عن قتيبة عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا *

﴿ الحديث الرابع والعشرون ﴾ وبه الى السراج حدثنا قتيبة حدثنا الليث عن ابى الزبير عن جابر انه قال «اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلينا وراءه وهو قاعد وابو بكر يكبر يسمع الناس تكبيره قال فالتفت الينا فرآنا قياما فأشار الينا فقعدنا فصلينا بصلاته قعوداً فلما سلم قال ان كدتم آنفا لتفعلون فعل فارس والروم يقومون على ملوكهم وهم قعود فلا تفعلوا ائتموا بأئمتكم ان صلى قائما فصلوا قياما وان صلى قاعداً فصلوا قعوداً» هذا حديث صحيح اخرجه مسلم وابو داود والنسائى عن قتيبة عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا *

﴿ الحديث الخامس والعشرون ﴾ اخبرنى الشيخ ابو اسحاق التنوخي اخبرنا ابو العباس الصالحي اخبرنا ابو المنجا الليثى اخبرنا ابوالوقت اخبرنا ابوعبدالله الفارسى اخبرنا ابومحمد الشريحي اخبرنا ابو القاسم البغوي حدثنا العلاء بن موسى حدثنا الليث عن نافع ان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما كان يقول «من صلى من الليل فليجعل آخر صلاته وتراً فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمر بذلك» هذا حديث صحيح اخرجه مسلم والنسائي عن قتيبة واخرجه مسلم ايضا عن محمد ابن رمح كلاهما من الليث فوقع لنا بدلا عاليا *

﴿ الحديث السادس والعشرون ﴾ وبه الي العلاء بن موسى حدثنا الليث ابن سعد عن نافع عن عبد الله بن عمر انه ذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم عاشوراء «فقال صلى الله عليه وسلم كان يوما تصومه اهل الجاهلية فمن احب منكم ان يصومه فليصمه ومن كرهه فليدعه» هذا حديث صحيح اخرجه مسلم والنسائي عن قتيبة واخرجه مسلم ايضا وابن ماجه عن محمد بن رمح كلاهما عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا *

﴿ الحديث السابع والعشرون ﴾ وبه الى الليث عن نافع عن عبدالله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم «أنه أدرك عمر بن الخطاب في ركب وعمر يحلف بأبيه فناداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفاً فليحلف بالله والا فليصمت» هذا حديث صحيح أخرجه البخارى ومسلم عن قتيبة زاد مسلم ومحمد بن رمح كلاهما عن الليث فوقع لنا بدلا عالياً *

﴿ الحديث الثامن والعشرون ﴾ وبه الى الليث عن نافع عن ابن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «أيما مملوك كان بين شركاء فأعتق أحدهم نصيبه فانه يقوم في مال الذى يعتق قيمة عدل فيعتق ان بلغ ذلك ماله» هذا حديث صحيح أخرجه احمد عن أبى النضر هاشم بن القاسم وأخرجه مسلم والنسائي عن

قتيبة زاد مسلم ومحمد بن رمح ثلاثتهم عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا وعلقه البخاري لليث *

﴿ الحديث التاسع والعشرون ﴾ وبه الى الليث عن نافع عن ابراهيم بن عبد الله بن معبد عن ابن عباس أن امرأة اشتكت شكوى فنذرت ان شفاني الله لاخرجن ولاصلين فى بيت المقدس فبرئت وصحت وتجهزت تريد الخروج فلما أتت ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أخبرتها بذلك فقالت انطلقى وكلى ما صنعت وصلى في مسجد الرسول فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «صلاة فيه أفضل من ألف صلاة فيما سواه الا مسجد الكعبة» هذا حديث صحيح أخرجه مسلم والنسائي عن قتيبة وأخرجه مسلم أيضاً عن محمد بن رمح كلاهما عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا وأخرجه الطحاوي من طريق ابن وهب عن الليث واخرجه النسائي من رواية ابن جريج فأدخل بين ابراهيم وميمونة رجلا قال سمعت نافعا يحدث عن ابراهيم بن عبد الله بن معبد أنه حدثه ان ابن عباس حدثه ان ميمونة قالت هكذا أخرجه النسائى من طريق عبد الرزاق عن ابن جريج وأخرجه احمد من طريق ابن المبارك عن ابن جريج كما قال الليث والله أعلم *

﴿ الحديث الثلاثون ﴾ قرأت على فاطمة بنت المنجا عن سليمان بن حمزة أن محمد بن عماد كتب اليهم أخبرنا القاسم بن أبى شريك إذنا وهو آخر من حدث عنه مطلقا أخبرنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن المنقور حدثنا أبو القاسم عيسى بن الجراح قال قرىء على أبي بكر بن أبى داود وسليمان بن الاشعث السجستانى وأنا أسمع فى سنة ٣١٢ اثنتى عشرة وثلثمائة قيل له حدثكم عيسى ابن حماد قال أخبرنا الليث عن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق عن أبيه عن عائشة قالت « طيبت رسول الله صلى الله عليه وسلم لحرمه وحله» هذا حديث صحيح أخرجه باللفظ الاول النسائى عن قتيبة وابن ماجه عن

محمد بن رمح كلاهما عن الليث فوقع لنا بدلا عالياً وأخرجه احمد باللفظ الاول بمعناه من طريق الثورى عن عبد الرحمن بن القاسم بسنده باللفظ الثانى

﴿ الحديث الحادى والثلاثون ﴾ أخبرنى ابن بهادر المسعودى وزينب بنت العماد بن جعوان وابراهيم بن احمد القارىء بقراءتى عليهم متفرقين كلهم عن احمد بن الشحنة سماعا أخبرنا أبو المنجا بن الليثى أخبرنا عبد الاول بن عيسى أخبرنا محمد بن عبد العزيز أخبرنا عبدالرحمن بن احمد أخبرنا عبد الله بن محمد البغوى حدثنا العلاء بن موسى حدثنا الليث عن نافع أن عبد الله بن عمر طلق امرأة له وهي حائض تطليقة واحدة فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض عنده حيضة أخرى ثم يمهلها حتى تطهر من حيضها فان أراد أن يطلقها فليطلقها حين تطهر من قبل أن يجامعها فتلك العدة التى أمر الله تعالى أن يطلق لها النساء وكان عبد الله بن عمر اذا سئل عن ذلك قال أما أنت ان طلقت امرأتك تطليقة أو تطليقتين فان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنى بهذا فان كنت طلقتها ثلاثا فقد حرمت عليك حتى تنكح زوجا غيرك وعصيت الله تعالى فيما أمرك من طلاق إمرأتك هذا حديث صحيح اخرجه احمد عن ابي النضر هاشم بن القاسم واخرجه البخارى ومسلم وابو داود عن قتيبة زاد مسلم ويحيي بن يحيي ومحمد بن رمح اربعتهم عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا وزاد مسلم فى رواية عن محمد بن رمح القصة الاخيرة وعلقها البخاري فقال وقال الليث واخرجه الدارقطنى بتمامه عن البغوى فوقع لنا موافقة عالية *

﴿ الحديث الثانى والثلاثون ﴾ وبه الى الليث عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما ان عمر بن الخطاب سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم «ايرقد احدنا وهو جنب قال نعم اذا توضأ احدكم فليرقد» هذا حديث صحيح اخرجه البخارى عن قتيبة عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا *

﴿ الحديث الثالث والثلاثون ﴾ وبه الى الليث عن نافع عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال « سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اكل الضب فقال لا آكله ولا احرمه » هذا حديث صحيح اخرجه مسلم عن قتيبة ومحمد ابن رمح كلاهما عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا *

﴿ الحديث الرابع والثلاثون ﴾ وبه الى الليث عن نافع عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا يبع بعضكم على بيع بعض » وبه قال « رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يخطب أحدكم على خطبة أخيه » هذا حديث صحيح أخرجه احمد عن يونس بن محمد وأخرجه مسلم والترمذى والنسائي عن قتيبة زاد مسلم ومحمد بن رمح ثلاثتهم عن الليث جمعهما مسلم والترمذى وفرقهما النسائي واقتصر احمد على الاول فوقع لنا بدلا عالياً *

﴿ الحديث الخامس والثلاثون ﴾ وبه الى الليث عن نافع عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما « ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن بيع حبل الحبلة » هذا حديث صحيح أخرجه مسلم والنسائي عن قتيبة وأخرجه مسلم أيضاً عن يحيي بن يحيي ومحمد بن رمح ثلاثتهم عن الليث فوقع لنا بدلا عالياً *

﴿ الحديث السادس والثلاثون ﴾ قرأت على أم الحسن التنوخية عن أبى الفضل بن أبى الطاهر وهي آخر من حدث عنه مطلقاً أخبرنا محمد بن عماد الحرانى في كتابه وهو آخر من حدث عنه عن أبى القاسم هبة الله بن الحسين الحاسب وهو آخر من حدث عنه أخبرنا أبو الحسين أحمد بن المنقور البزار وهو اخر من حدث عنه بالسماع حدثنا أبو القاسم عيسى بن على بن عيسى بن داود حدثنا عبدالله بن سليمان املاء حدثنا عيسى بن حماد أخبرنا الليث عن سعيد المقبرى عن أبيه ان أباهريرة قال « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحل لامرأة مسلمة تسافر مسيرة ليلة الا ومعها رجل ذو محرم منها » هذا حديث صحيح

أخرجه مسلم وأبوداود عن قتيبة عن الليث وأخرجه ابن حبان في صحيحه عن عمر بن محمد الهمدانى عن عيسى بن حماد فوقع لنا بدلا عاليا : وأخرجه البخارى من رواية ابن أبي ذئب عن سعيد عن أبيه كذلك واختلف على مالك فيه فأخرجه مسلم عن يحيى بن يحيى عنه عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة لم يقل عن أبيه وفي بعض النسخ عن أبيه وحكى أبو داود الاختلاف فيه والا كثر لم يقولوا عن أبيه

﴿ الحديث السابع والثلاثون ﴾ قرأت على أبى محمد عمر بن محمد بن احمد ابن سليمان البالسى ثم الصالحي بها عن زينب بنت احمد بن عبدالرحيم المقدسية سماعًا عن عبدالخالق بن الانجب الماردينى أخبرنا أبو بكر وجيه بن طاهر الشحامى ح وأخبرنا عبدالرحمن بن محمد الفارقى اجازة عن احمد بن نعمة سماعا أخبرنا داود بن معمر بن الفاخر عموما قال قرىء على فاطمة بنت محمد البغدادية ونحن نسمع كلاهما عن أبى عثمان سعيد العيار سماعا أخبرنا أبو محمد الحسن بن احمد المجلدى حدثنا أبو العباس محمد بن اسحق السراج حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا الليث عن عقيل عن الزهرى عن سالم عن أبيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يشتمه من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن أخيه كربة فرج الله بها عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة» هذا حديث صحيح أخرجه البخارى عن يحيى بن بكير عن الليث فوقع لنا بدلا عاليًا وأخرجه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي أربعتهم عن قتيبة عن الليث فوقع لنا موافقة عالية للجميع *

﴿ الحديث الثامن والثلاثون ﴾ وبه الى السراج حدثنا قتيبة حدثنا الليث عن ابن شهاب عن سالم عن أبيه قال لم أر رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح من البيت الا الركنين اليمانيين : هذا حديث صحيح أخرجه البخارى وأبو داود جميعا عن أبي الوليد الطيالسى ومسلم عن يحيى بن يحيى كلاهما عن الليث فوقع

لنا بدلا عاليا وأخرجه مسلم أيضاً والنسائى عن قتيبة فوافقناهما فيه بعلوّ وهذا من الامثلة التى قدمت الاشارة اليـه في آخر الترجمة أن الليث كان يحدث عن بعض شيوخه ثم يحدث عنه بواسطة فقد حدث في هذا عن ابن شهاب وحدث في الذى قبله عن عقيل عن الزهرى وهو ابن شهاب و كلا الحديثين صحيحان والله تعالى أعلم

﴿ الحديث التاسع والثلاثون ﴾ وبه الى السراج حدثنا قتيبة حدثنا الليث وبكر بن مضمر كلاهما عن ابن الهاد هو يزيد بن عبد الله بن أسامة عن محمد ابن ابراهيم التيمي عن أبى سلمة بن عبد الرحمن بن أبى هريرة رضى الله عنه « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل كل يوم منه خمس مرات هل يبقى من درنه شيء قالوا لا يا رسول الله قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا » هذا حديث صحيح أخرجه مسلم والترمذى عن قتيبة بن سعيد فوقع لنا موافقة عالية *

﴿ الحديث الاربعون ﴾ قرأت على الشيخ ابى إسحق التنوخى ان احمد ابن أبي طالب أخبرهم سماعا أخبرنا عبد الله بن عمر أخبرنا أبو الوقت أخبرنا عبد الله الفارسى أخبرنا أبو محمد الشريحى أخبرنا أبو القاسم البغوى حدثنا أبو الجهم الباهلى حدثنا الليث عن هشام بن عروة عن عروة عن المسور بن مخرمة أن سبيعة الاسلمية توفي عنها زوجها وهي حبلى فلم تلبث الا ليالى حتى وضعت فلما حلت خطبت فاستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النكاح حين وضعت فأذن لها فنكحت: هذا حديث صحيح أخرجه البخارى ومسلم من طريق مطولا ومختصراً من حديث سبيعة الاسلمية وأخرجه النسائى عن محمد بن وهب الحرانى عن محمد ابن سلمة الحرانى عن أبى عبد الرحمن خالد بن يزيد الحراني عن زيد بن أبي أنيسة عن يزيد بن أبى حبيب عن الزهرى عن عبد الله بن عبد الله بن عبيد عن زفر بن

أوس بن الحدثان عن أبى السنابل عن سبيعة وباعتبار العدد كأن شيخاً سمعه من النسائي وصافحه وبين وفاتيهما أربعمائة سنة الا يسيراً وهذا في غاية العلو

أنشدنا العلامة أبو إسحق ابراهيم بن احمد بن عبد الواحد فيما قرىء عليه ونحن نسمع عن الشهاب أبى الثناء محمود بن سليمان قال أنشدنا العلامة مجد الدين محمد بن احمد بن الظهير لنفسه

أهل الحديث فلذ بهم أعلا الورى قدراً وأغلا
نقلوا لنا سنن الرسو ل وأحسنوا عدلا فعدلا
جابوا لسعيهم لذا لك حسبة حزناً وسهلا
وسروا كما تسري النجو م فأرشدوا من كان ضلا
آيات فضلهم المبين بألسن الحساد تتلا

أنشدنا الشيخ أبو إسحق التنوخى أنشدنا يحيى بن فضل الله العدوى أنشدنا القاضى أبو الفضل يحيى بن محمد القرشى لنفسه اجازة

الهى ان عفوت ففضل جود وان عاقبت قد أوسعت فضلا
فقد خولتنى نعما جساما ولم أك ما علمت لذاك أهلا
ولم يمنعك تقصيرى وجهلى وشر صنائعي قولا وفعلا
من الاحسان بدأ ثم عوداً مع الانفاس اسعافا وفضلا
فتممها بمغفرة بعفو ذنوباً جئتها خطأ وجهلا

وأنشد الشيخ أبو إسحق قال أنشدنا يحيى بن فضل الله قال أنشدنا أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن الانصارى شيخ الشيوخ بحماه اجازة وكتبها عنه الحافظ الدمياطى رحمهم الله تعالى فقال

لا تغفلن أحاديث الرسول ولا تهمل تتبعها معنى وألفاظا
وعد عمن تعداها وضيعها واجعل صحابك طلابا وحفاظا

ولا تغيضن في علم يخالفها فهي النجاة لراويها اذا فاظا

انتهى ما جمعه الامام الحافظ أبو الفضل شهاب الدين احمد بن على بن حجر العسقلانى رحمه الله تعالى وقال فى آخره ما صورته: علقه احمد بن على بن حجر في يومين آخرهما الثالث عشر من شعبان سنة أربع وثلاثين وثمانمائة وحسبنا الله ونعم الوكيل

وصلى الله على سيدنا محمد

وآله وصحبه

وسلم

مما أنشده الامام العلامة الحافظ شهاب الدين احمد بن حجر العسقلانى فى مرضه الذى توفى فيه هذه الابيات

قرب الرحيل الى ديار الآخره فاجعل إلهي خير عمرى آخره

وارحم مبيتى فى القبور ووحدتى وارحم عظامي حين تبقى ناخره

فأنا المسيكين الذى أيامه جاءت بأوزار غدت متواتره

فلئن رحمت فأنت أكرم راحم وبحار جودك يا إلهي زاخره



كتاب شرح الصدر

بذكر ليلة القدر

﴿ تأليف الشيخ الامام العالم العلامة ﴾

﴿ ولي الدين بن الحافظ الزين العراقى عليه الرحمة ﴾



الحمد لله الذي نطقت بشكره الالسنة * وجل عن أن يأخذه نوم أو سنة * وفضل أزمنة كما فضل أمكنة * فجعل ليله القدر خيراً من ثلاث وثمانين سنة * فقال تعالى (إنا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر * تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر * سلام هى حتى مطلع الفجر)[1] *

قال المفسرون ان الضمير في أنزلناه عائد على القرآن الكريم (٦) وان لم يتقدم ذكره لدلالة المعنى عليه كما قال تعالى (حتى توارت بالحجاب)[2] ولم يتقدم للشمس ذكر ثم اختلفوا فقال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما وجماعة آخرون أنزل الله تعالى القرآن ليلة القدر إلى سماء الدنيا جملة واحدة ثم نجمه على محمد عليه الصلاة والسلام فى عشرين سنة فذاك قوله تعالى (فلا أقسم بمواقع النجوم)[3]

---

(٦) هذا قول الجمهور وادعى الامام الرازى في تفسيره انه اجماع المفسرين : ولعله لم يعتد بقول من قال منهم ان الضمير راجع لجبريل عليه السلام و غيره لضعفه : والله اعلم

١ ـ سورة القدر

٢ ـ ص ٣٢

٣ ـ الواقعة ٧٥

وقال الشعبي وجماعة انا ابتدأنا إنزال هذا القرآن اليك ليلة القدر ويؤيده ما ذكره جماعة ان ابتداء مجيء جبريل الى النبي عليه الصلاة والسلام كان في رمضان قيل في سابعه وقيل في سابع عشره * ومنهم من قال ابتداء مجيئه اليه في شهر رجب * ومنهم من قال في ربيع الاول : وقيل في هذه الآية انما جعل الانزال من رمضان لان جبريل كان يعارض النبي عليها الصلاة والسلام بالقرآن فيمحو الله ما يشاء ويثبت * وقال جماعة المعنى انزلنا هذه السورة في شأن ليلة القدر وفضلها فجعلوا في للسببية كقول عمر رضي الله عنه ليلة نزول سورة الفتح لقد خشيت ان ينزل فيّ قرآن * وقول عائشة رضي الله عنها في قصة الافك لانا احقر في نفسي من ان ينزل فيّ قرآن : قالوا ولما كانت سورة من القرآن جاء الضمير للقرآن تفخيما وتجسيما كقوله تعالى (وما أدراك ما ليلة القدر) عبارة تفخيم لها كقوله تعالى (الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة)[1] وقوله (القارعة ما القارعة)[2] ثم ادراه تعالى بعد بقوله تعالى (ليلة القدر خير من الف شهر) * وقد ذكر البخاري في صحيحه عن سفيان بن عيينة انه قال ما كان في القرآن ما ادراك فقد اعلمه وما قال وما يدريك فانه لم يعلمه(١) *

وقد اختلف العلماء في سبب تسميتها ليلة القدر على اقوال أحدها انها سميت بذلك لان الله تعالى يقدر فيها الارزاق والآجال وحوادث العالم كلها ويدفع ذلك الى الملائكة لتمتثله كما قال تعالى (فيها يفرق كل امر حكيم)[3] روى ذلك عن ابن عباس وقتادة وغيرهما وعزاه النووي للعلماء : ومعناه انه يظهر للملائكة والا فتقدير الله تعالى قديم * ثانيها ان هذا من عظم القدر والشرف والشأن كما تقول فلان له قدر : روى عن الزهري * ثالثها سميت بذلك لانها تكسب من أحياها قدراً عظيما لم يكن له قبل ذلك وتزيده شرفاً عند الله تعالى * رابعها

١ ـ الحاقة ١ـ٣
٢ ـ القارعة ١ـ٢
٣ ـ الدخان ٤

---

(١) قال الحافظ في الفتح ومقصود ابن عيينة انه صلى الله عليه وآله وسلم كان يعرف تعيين ليلة القدر : وقد تعقب هذا الحصر بقوله تعالى (لعله يزكى) فانها نزلت في ابن أم مكتوم وقد علم صلى الله عليه وآله وسلم بحاله وانه ممن تزكي ونفعته الذكرى :

لان العمل فيها له قدر عظيم : وقد خص الله تعالى هذه الامة بهذه الليلة

واختلف في سبب ذلك فروى مالك في الموطأ عمن يثق بقوله من أهل العلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرى أعمار الناس قبله[(١)] أو ماشاء الله من ذلك فكأنه تقاصر أعمار أمته أن لايبلغوا من العمل مثل الذى بلغ غيرهم في طول العمر فأعطاه الله ليلة القدر خير من الف شهر» وروى الترمذى في جامعه عن يوسف بن سعد قال « قام رجل الى الحسن بن على بعد مابايع معاوية فقال سودت وجوه المؤمنين أو يامسود وجوه المؤمنين فقال لاتؤذنى رحمك الله فان النبي صلى الله عليه وسلم أرى بنى أمية على منبره فساءه ذلك فنزلت (انا أعطيناك الكوثر)[١] يعنى نهراً في الجنة ونزلت (انا انزلناه في ليلة القدر ومادراك ماليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر)[٢] يملكها بعدك بنو أمية يامحمد قال القاسم بن الفضل أحد رواته فعددناها فاذا هى الف شهر لاتنقص يوماً ولاتزيد يوماً[(٢)] قلت نعم كان من سنة الجماعة الى قتل مروان الجعدي آخر ملوك بنى أمية هذا القدر أعنى الف شهر وهي ثمانون سنة وثلاثة أعوام وثلث عام» وقال الترمذي هذا حديث غريب[(٣)]

١ - سورة الكوثر ١

٢ - سورة القدر ١ - ٢

قوله (تنزل الملائكة والروح) فقيل هو جبريل عليه السلام وقيل هم صنف من

---

(١) قال الباجى فى شرح هذا الحديث: يحتمل ان يريد انه رأى اعمار سائر الامم أطول فخاف ان لاتبلغ امته من العمل فى قصر اعمارها ما بلغه غيرها من الامم فى طول اعمارها فتفضل الله تبارك وتعالى على هذه الامة بليلة القدر وهى تقتضى اختصاص هذه الامة بهذه الليله : والله اعلم

(٢) فى الاصل المنقول منه ما نصه فائدة نقل عن الخليل بن احمد انه قال القدر هو الضيق لانها ليلة تضيق فيها الارض عن الملايكة الذين ينزلون وهذا قول خامس كذا بالهامش

(٣) وطعن القاضى عبد الجبار فى كون الاية اشارة لما ذكر بان ايام بنى امية كانت مذمومة اى باعتبار الغالب فيبعد ان يقال في شأن تلك الليله انها خير من الف شهر مذمومة

الم تر ان السيف ينقص قدره ✽ اذا قيل ان السيف خير من العصا

اجيب بان تلك الايام كانت عظيمة بحسب السعادات الدنيوية :

الملائكة وعلى كلا القولين هو عطف خاص على عام وقيل هم صنف من الخلق سماوى حفظة على الملائكة كما ان الملائكة حفظة على بنى آدم وهم على صفة بنى آدم ولا تراهم الملائكة

وقوله «باذن ربهم» الى آخر ه من قال ان الارزاق تقدر في هذه الليلة جعل نزول الملائكة بسبب ذلك وجعل من سببية التقدير تنزل الملائكة بسبب كل أمر وجعل سلام هى ابتداء كلام اى هي سلام الى طلوع فجر يومها: ومن لم يقل بتقدير الارزاق في هذه الليلة جعل قوله (من كل امر) متعلقاً بقوله سلام اى انها سلام أى سلامة من كل امر * قال مجاهد لا يصيب احداً بها داء : وقال الشعبي ومنصور هي سلام بمعنى التحية اى تسلم فيها الملائكة على المؤمنين: وهذه الآيات مصرحة بشرفها ومنوهة باسمها وذكرها وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال (من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه) وفي سنن النسائى الكبرى (وما تأخر) وكذا في مسند احمد ومعجم الطبرانى من حديث عبادة «وما تأخر» وسيأتي ذكره وهذه فضيلة عظيمة حاضة على طلبها *

وقد أجمع من يعتد به من العلماء على بقائها وأنها لم ترفع بل هى باقية الى آخر الدهر قال القاضى عياض رحمه الله وشك قوم فقالوا رفعت لقوله صلى الله عليه وسلم حين تلاحى الرجلان «فرفعت» وهذا غلط من هؤلاء الشاكين لان آخر الحديث يرد عليهم فانه صلى الله عليه وسلم قال «فرفعت وعسى أن يكون خيراً لكم فالتمسوها في السبع او التسع» هكذا هو فى اول صحيح البخاري (١) وفيه تصريح المراد برفعها رفع بيان علم عينها ولو كان المراد رفع وجودها لم يأمر بالتماسها * قلت وحكاه ابن عطية عن ابى حنيفة وقوم اعنى القول برفعها قال وهذا قول مردود وانما رفع تعيينها انتهى

(١) هكذا الاصل وليس كذلك ولعله في أول باب ليلة القدر في صحيح البخارى

وقد اختلف العلماء في محلها فذهب جمع من العلماء الى انها تلزم ليلة بعينها واختلف هؤلاء في تعيين تلك الليلة على اقوال احدها انها في جميع السنة وهو المشهور عن ابي حنيفة رضى الله عنه ويشهد له قول عبدالله بن مسعود رضى الله عنه ومن يقم الحول يصيبها لكن في صحيح مسلم عن زر ابن حبيش قال سألت أبي بن كعب فقلت ان أخاك ابن مسعود يقول من يقم الحول يصيب ليلة القدر فقال رحمه الله أراد أن لا يغفل الناس أما انه قد علم انها فى رمضان وانها في العشر الاواخر وانها ليلة سبع وعشرين فبهذا فهم أبى من كلام عبدالله » ويشهد له ما في مسند احمد عن أبى عقرب قال «غدوت الى ابن مسعود ذات غداة في رمضان فوجدته فوق بيت جالساً فسمعنا صوته وهو يقول صدق الله وبلغ رسوله فقلنا سمعناك تقول صدق الله وبلغ رسوله فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليلة القدر في السبع الاواخر تطلع الشمس غداة غدها صافية ليس لها شعاع فنظرت فوجدتها كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم» ورواه البزار في مسنده بنحوه: وفي معجم الطبرانى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال «سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر فقال أيكم يذكر ليلة القدر الصهباوات فقال عبدالله أنا بأبى أنت وأمى يارسول الله حين طلع الفجر وذلك ليلة سبع وعشرين » والحديث في عدة كتب لكن لم أر التصريح بليلة سبع وعشرين الا في معجم الطبرانى الكبير فلذلك اقتصرت على عزوه اليه :

الثانى انها في شهر رمضان كله وهو قول ابن عمر رضى الله عنهما وجماعة من الصحابة : وفي سنن أبى داود عن ابن عمر قال «سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر وأنا أسمع قال هي في كل رمضان » قال قال أبو داود وروى موقوفاً عليه قلت الحديث محتمل للتأويل بأن يكون المعنى بأنها تتكرر وتوجد في كل سنة في رمضان لانها وجدت مرة في الدهر فلا يكون له دليل لهذا القول:

الثالث انها أول ليلة من شهر رمضان قاله ابو رزين العقيلي الصحابى رضى الله عنه

الرابع أنها في العشر الاوسط والاواخر ويرده مافى الصحيح عن أبى سعيد من قول جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم لما أن اعتكف العشر الاوسط « ان الذى تطلب أمامك »

الخامس انها فى العشر الاواخر فقط ويدل له قول النبي صلى الله عليه وسلم «التمسوها فى العشر الأواخر» وقوله صلى الله عليه وسلم «انى أعتكف العشر الاول ألتمس هذه الليلة ثم ألتمس العشر الاوسط ثم أتيت قيل لى انها في العشر الأواخر»

السادس أنها تختص بأوتار العشر الأواخر لقوله صلى الله عليه وسلم « التمسوها في العشر الاواخر في وتر» وفي مسند احمد ومعجم الطبرانى الكبير عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان فالتمسوها في العشر الاواخر فانها في وتر في إحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين أو سبع وعشرين أو تسع وعشرين أو في آخر ليلة فمن قامها ابتغاها إيمانا واحتسابا ثم وفقت له غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » فيه عبد الله بن محمد بن عقيل وحديثه حسن يرويه عمر بن عبد الرحمن وقد ذكره ابن حبان في الثقات وقال ليس بابن عوف: وقال الطبرانى أظنه ابن الحارث بن هشام* وفي هذا الحديث فائدتان حسنتان احداهما قوله وما تأخر وقد تقدم التنبيه عليها * الثانية انه انما يترتب الثواب على قيامها بقصد ابتغائها لا على مطلق القيام : وفيه اشكال لقوله « أو آخر ليلة» لانه قال أولا فانها في وتر وآخر ليلة ليست وترا ان كان الشهر كاملا وان كان ناقصا فهى ليلة تسع وعشرين فلا معنى لعطفها عليها لأن العطف يقتضى المغايرة * ويجاب عنه بأن قوله أو في آخر ليلة معطوف

على قوله فانهـا في وتر لا على قوله أو تسع وعشرين فليس تفسيراً للوتر بل معطوف عليه

السابع انها تختص باشفاعه لقول أبيسعيد الخدرى «وقد قيل له ما التاسعة والسابعة والخامسة اما[١] واحد وعشرون فالتى تليها ثنتان وعشرون وهي التاسعة فاذا مضت ثلاث وعشرون فالتي تليها السابعة فاذا مضت خمس وعشرون فالتى تليها الخامسة

الثامن انها ليـلة سبع عشرة وهو مروي عن زيد بن أرقم وابن مسعود أيضاً * ففى معجم الطبراني عن زيد بن أرقم قال ما أشك وما امترى انها ليلة سبع عشرة ليلة أنزل القرآن ويوم التقى الجمعان[٢] * وعن زيد بن ثابت انه كان يحيي ليلة سبع عشرة فقيل له تحيي ليلة سبع عشرة قال ان فيها نزل القرآن وفي صبيحتها فرق بين الحق والباطل وكان يصبح فيهـا مبتهج الوجه قلت : وحكى أيضاً عن الحسن البصري

التاسع انها ليلة تسع عشرة وهو محكى عن على بن أبى طالب وابن مسعود أيضـا[٣]

العاشر انها تطلب ليلة سبع عشرة بتقديم السين أو إحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين حكى عن على وابن مسعود أيضاً ويشهد له ما في سنن أبى داود عن ابن مسعود رضي الله عنه قال « قال لنا رسول الله صلي الله عليه وسلم فى ليلة القدر اطلبوها ليلة سبع عشرة من رمضان وليـلة إحدى وعشرين وليلة ثلاث وعشرين ثم سكت » والله أعلم

---

(١) أقول رواية ابي سعيد فى صحيح مسلم ليس فيها أما ونصها هكذا قال قلت ما التاسعة والسابعة والخامسة قال اذا مضت واحدة وعشرون فالتي تليها الخ ما ذكر هنا : تنبه

(٢) ورواه ابن أبيشيبة عن زيد بن أرقم : وأخرجه أبو داود أيضاً عن ابن مسعود:

(٣) قال الحافظ فى الفتح رواه عبد الرزاق عن على وعزاه الطبرى لزيد بن ثابت وابن مسعود ووصله الطحاوى عن ابن مسعود :

الحادى عشر أنها ليلة احدى وعشرين يدل له حديث أبى سعيد الثابت في الصحيح الذي فيه وانى رأيتها ليلة وترو انى أسجد فى صبيحتها في ماء وطين فأصبح من ليلة إحدى وعشرين وقد قام الى الصبح فمطرت السماء فوكف المسجد فأبصرت الطين والماء فخرج حين فرغ من صلاته وجبينه وأنفه فيهما الماء والطين واذا هي ليلة إحدى وعشرين من العشر الأواخر»

الثاني عشر أنها ليلة ثلاث وعشرين وهو قول جمع كثير من الصحابة وغيرهم ويدل لها ما في صحيح مسلم عن عبد الله بن انيس « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أريت ليلة القدر ثم أنسيتها واذا في صبيحتها اسجد في ماء وطين قال فمطرنا ليلة ثلاث وعشرين فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانصرف وان اثر الماء والطين على جبهته وانفه » وفي صحيح مسلم ايضاً عن أبى هريرة « قال تذاكرنا ليلة القدر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيكم يذكر ليلة طلع القمر وهو مثل شق جفنة[1] » وفي مسند احمد عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم « قال نظرت الى القمر صبيحة ليلة القدر فرأيته كأنه فلق جفنة » قال ابو اسحق السبيعي انما يكون القمر كذلك صبيحة ثلاث وعشرين: ورواه عبد الله بن احمد في زياداته عن على قال « قال النبي صلى الله عليه وسلم خرجت ليلة حين بزغ القمر كأنه فلق جفنة فقال الليلة ليلة القدر » وكذا رواه ابو يعلى الموصلي في مسنده مرفوعا : وفيه ان الصحابى هو على رضى الله عنه *

وفي سنن أبى داود عن عبد الله بن انيس قال قلت « يارسول الله ان لى بادية أكون فيها واصلى فيها بحمد الله فمرنى بليلة انزلها الى هذا المسجد فقال انزل ليلة ثلاث وعشرين» وروى الطبرانى في معجمه الكبير مثله عن عبد الله بن جحش

---

(١) الشق بكسر الشين النصف والجفنة بفتح الجيم وسكون الفاء اناء معروف كالقصعة وهو اشارة الى أنها موجودة متحققة الرؤية :

عن ابيه مرفوعا : وفي مسند احمد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال اتيت وانا نائم في رمضان فقيل لى ان الليلة ليلة القـــدر قال فقمت وانا ناعس فتعلقت ببعض أطناب النبي صلى الله عليه وسلم فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو يصلي فنظرت في تلك الليلة فاذا هى ليـلة ثلاث وعشرين » ورجاله رجال الصحيح * ورواه الطبرانى فى معجمه الكبير ايضا

الثالث عشر انها ليلة اربع وعشرين وهو مروى عن بلال وابن عباس والحسن وقتادة : وفي صحيح البخارى عن ابن عباس موقوفا عليه « التمسوها ليلة القدر فى اربع وعشرين » ذكره عقب حديثه الآتى « هي فى العشر في سبع يمضين أو في سبع بقين » : وظاهره انه تفسير للحديث فيكون عمدة * وفي مسند احمد عن بلال « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليلة القدر ليلة اربع وعشرين »

الرابع عشر انها تكون في ليلة ثلاث وعشرين أو سبع وعشرين وهو محكي عن ابن عباس رضى الله عنه ويدل له مافي صحيح البخاى عن ابن عباس « قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي في العشر في سبع يمضين أو سبع يقين يعنى ليلة القدر » * ومافى مسند البزار باسناد جيد عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال « سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر فقال كنت أعلمتها ثم انفلتت منى اطلبوها في سبع بقين أو ثلاث بقين »

الخامس عشر انها ليلة سبع وعشرين وهذا عليه جمع كثيرون من الصحابة وغيرهم فكان أبى بن كعب رضي الله عنه يحلف لا يستثنى انها ليلة سبع وعشرين كما هو ثابت في الصحيح فقيل له بأي شيء تقول ذلك يا أبا المنذر فقال بالعلامة أو بالآية التى أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشمس تطلع يومئذ لاشعاع لها * وفي سنن أبي داود عن معاوية رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر « قال ليلة سبع وعشرين » * وفي مسند احمد باسناد

على شرط الشيخين عن ابن عمر قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان متحريها فليتحراها ليلة سبع وعشرين وقال تحروها ليلة سبع وعشرين يعني القدر» ورواه الطبراني في معجمه الكبير : وفي معجم الطبراني الاوسط باسناد لا بأس به عن جابر بن سمرة قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم التمسوا ليلة القدر ليلة سبع وعشرين » * واستدل ابن عباس على ذلك بأن الانسان خلق من سبع وجعل رزقه في سبع واستحسن ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه : واستدل بعضهم على ذلك بأن الله سبحانه وتعالى كرر ذكر ليلة القدر في السورة المتقدم ذكرها ثلاث مرات وعدد حروف ليلة القــدر تسعة أحرف والمرتفع من ضرب ثلاثة في تسعة سبع وعشرون فتكريرها ثلاثاً دون غيره اشارة الى ذلك : واستدل أيضاً بأن عدد كلمات السورة الى قوله هي سبع وعشرون كلمة : وفيه اشارة الى ذلك *

ونقل أبو محمد بن عطية في تفسيره نظير ذلك في قول بعضهم ان ملائكة النار الذين قال فيهم الله (عليها تسعة عشر) عددهم كعدد حروف بسم الله الرحمن الرحيم لكل حرف ملك وهم يقولون في كل أفعالهم بسم الله الرحمن الرحيم فيها قوتهم واستغاثتهم: وفي قول بعضهم في عدد الملائكة الذين ابتدروا قول القائل ربنا لك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركا فيه انها بضعة وثلاثون حرفاً فلذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم « لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكا يبتدرونها أيهم يكتبها » قال ابن عطية وهذه من ملح التفسير وليست من متين العلم

السادس عشر انها في آخر ليلة من الشهر : وفي سنن أبي داود عن عبد الله بن أنيس قال « كنت في مجلس بني سلمة وأنا أصغرهم فقالوا من يسأل لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر وذلك صبيحة احدى وعشرين من رمضان فخرجت فوافيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة المغرب وقمت بباب

بيته فمر بى فقال ادخل فدخلت فأتي بعشائه فلقد كنت أكف يدى عنه من قلته فلما فرغ قال ناولنى نعلى فقام وقمت معه فلما خرجنا قال كانت لك حاجة فقلت أجل أرسلنى اليك رهط من بنى سلمة يسئلونك عن ليلة القدر فقال كم الليلة قلت اثنتان وعشرون قال هي الليلة ثم رجع فقال أو القابلة يريد ليلة ثلاث وعشرين » * وفي جامع الترمذى عن أبى بكرة رضي الله عنه « قال ما أنا ملتمسها لشيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا في العشر الأواخر فانى سمعته يقول التمسوها لتسع بقين أو لسبع بقين أو خمس بقين أو ثلاث أواخر ليلة » * قال ت حسن صحيح * وفي صحيح البخارى عن عبادة بن الصامت « قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبر بليلة القدر فتلاحى رجلان من المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني خرجت لاخبركم بليلة القدر فتلاحى رجلان فلان وفلان فرفعت وعسى أن يكون خيراً لكم فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة . » * وفي سنن أبى داود عن ابن عباس « ان النبي صلى الله عليه وسلم قال التمسوها فى العشر الأواخر من رمضان ليلة القدر في تاسعة تبقى في سابعة تبقى في خامسة تبقى » * وفى مسند احمد عن معاذ بن جبل « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ليلة القدر فقال هي في العشر الأواخر قم في الثالثة أو الخامسة » * وفى مسند احمد أيضاً باسناد جيد عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى ليلة القدر انها ليلة سابعة أو تاسعة عشرين ان الملائكة تلك الليلة في الارض اكثر من عدد النجوم » * وفي معجم الطبراني الاوسط عن أبى هريرة « أن النبي صلى الله عليه وسلم قال التمسوا ليلة القدر في سبع عشرة أو تسع عشرة أو احدى وعشرين أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين أو سبع وعشرين أو تسع وعشرين » وفيه أبو المهزم ضعيف

وقد تضمنت هذه الاحاديث أقوالا فى ليلة القدر لم أر أحداً من العلماء

صرح بالقول فيهـا فان عددناها فيكون في المسئلة اثنان وعشرون قولا تقدم بيان ستة عشر منها

السابع عشر ليلة اثنين وعشرين أو ثلاث وعشرين (١)

الثامن عشر ليلة احدى أو ثلاث أو خمس أو سبع وعشرين أو آخر ليلة:

التاسع عشر ليلة احدى أو ثلاث او خمس وعشرين دليله حديث عبادة المتقدم فان الظاهر ان المراد بالتاسعة تبقى لتقديمه التاسعة على السابعة وهي الخامسة.

العشرون ليلة ثلاث او خمس وعشرين دليله حديث معاذ المتقدم اذ الظاهر أن المراد قم في الثالثة بمعنى لتقديمه على الخامسة

الحادي والعشرون ليلة السابع او التاسع والعشرين

الثانى والعشرون انها في أوتار العشر الاخير أو في ليلة سبع عشرة أو تسع عشرة هذا كله تفريع على القول بأنها تلزم ليلة بعينها كما هو مذهب الشافعي والصحيح من مذهبه انها تختص بالعشر الاخير وانها في الاوتار ارجاها في الاشفاع وارجاها ليلة الحادى والعشرين والثالث والعشرين وهذا أيضاً يحسن أن يكون قولا في المسئلة فيكمل به الاقوال ثلاثة وعشرين قولا وتقدم قول من يرى أنها رفعت فيكون اربعة وعشرين قولا

وذهب جماعة من العلماء الى انها تنتقل فتكون سنة في ليلة وسنة في ليلة أخرى وهكذا : وهذا قول مالك وسفيان الثورى واحمد بن حنبل واسحاق بن راهويه وابى ثور وغيرهم وعزاه ابن عبد البر في الاستذكار للشافعي ولا نعرفه عنه ولكن قال به من أصحابه المزنى وابن خزيمة وهو المختـار عند النووى وغيره للجمع بين الاحاديث الواردة في ذلك فانها اختلفت اختلافا لا يمكن معه الجمع بينها الا بما ذكرناه وبه يصير في المسئلة خمسة وعشرون قولا

(١) لحديث عبد الله بن أنيس عند احمد .

وذهب ابن حزم الظاهرى الى انحصارها في اوتار العشر الاخير لكن أول العشرين ليلة العشرين ان كان ناقصاً وليلة الحادي والعشرين ان كان تاماً فهي مترددة بين ليلة الحادى والعشرين ومابعدها من الاوتار ان تم الشهر وبين ليلة العشرين ومابعدها من الأشفاع ان نقص الشهر وهذا قول سادس وعشرون

واعلم ان ليلة القدر موجودة ويريها الله تعالى لمن شاء من بني آدم بحيث يتحققها: واخبار الصالحين برؤيتهم لها كثيرة ولا يلتفت الى قول المهلبة(٢) أى صغيرة لا يمكن رؤيتها حقيقة فانه غلط فاحش كما قاله النووى رحمه الله * وقال بعض العلماء اخفى الله هذه الليلة عن عباده كيلا يتكلوا على فضلها ويقصروا في غيرها فأراد منهم الجد في العمل ابداً فانهم لذلك خلقوا كما قال الله تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) وبهذا يصير في المسئلة سبعة وعشرين قولا *

ويدل لهذا القول ما في معجم الطبراني الكبير باسناد حسن عن عبد الله بن انيس انه قال « يارسول الله اخبرني أى ليلة تبتغى فيها ليلة القدر فقال لو لا أن يترك الناس الصلاة الا تلك الليلة لاخبرتك » * وفي مسند البزار عن الاوزاعي حدثني مرثد او ابو مرثد عن ابيه « قال لقيت أبا ذر عند الجمرة الوسطى فسألته عن ليلة القدر فقال ماكان احد باسأل لهذا مني قلت يارسول الله انزلت على الانبياء بوحى اليهم ثم رفع قال بل هى الى يوم القيامة قلت يارسول الله ايتها هي قال لو أذن لى لأنبأتك بها ولكن التمسها فى التسعين او السبعين ولا تسألنى بعدها قال ثم اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يحدث قلت يارسول الله أي السبعين فغضب علىّ غضبة لم يغضب علىّ قبلها ولا بعدها مثلها ثم قال ألم أنهك عنها لو أذن لى لأنبأتك بها وذكر كلمة ان تكون فى السبع الاواخر*»

فصل

قد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر علامات لليلة القدر تقدم ذكر واحدة منها وهى كون الشمس تطلع في صبيحتها لا شعاع لها وهى اصح العلامات *

(١) هكذا الاصل فلينظر

وفي مسند احمد باسناد جيد عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان امارات ليلة القدر انها صافية بلجة كأن فيها قمراً ساطعاً ساكنة ساجية لا برد فيها ولا حر ولا يحل لكوكب يرمى بها حتى يصبح وان من اماراتها ان الشمس صبيحتها تخرج مستوية ليس لها شعاع مثل القمر ليلة البدر لا يحل للشيطان أن يخرج معها يومئذ»

وقد ذكر القاضى عياض رحمه الله قولين في كونها تطلع لاشعاع لها احدهما انها علامة جعلها الله تعالى ثانيهما ان ذلك لكثرة اختلاف الملائكة فى ليلتها ونزولها الى الارض وصعودها بما تنزل به سترت بأجنحتها وأجسامها اللطيفة ضوء الشمس وشعاعها : وفي معجم الطبراني الكبير عن واثلة بن الاسقع رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال ليلة القدر بلجة لاحارة ولاباردة ولاسحاب فيها ولامطر ولاريح ولايرمى فيها بنجم ومن علامة يومها تطلع الشمس ولاشعاع لها » فيه بشر بن عون وبكار بن تميم وهما ضعيفان* وفي مسند البزار عن ابن عباس قال « قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ليلة القدر طلقة لاحارة ولا باردة » فيه مسلمة بن حبان وغيره وتكلم فيه * فان قلت فقد روى الطبرانى في معجمه الكبير من رواية شريك عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة يرفع الحديث « قال قال رأيت ليلة القدر فأنسيتها فاطلبوها في العشر الاواخر وهى ليلة ريح ومطر ورعد » ورواه البزار بنحوه ويوافقه حديث أبي سعيد الذى فيه « فوكف المسجد فأبصرت عيناي النبي صلى الله عليه وسلم وعلى وجهه أثر الماء والطين » قلت هذا تقرر عندك وما اخترناه من أنها لاتلزم ليلة بعينها بل تنتقل فلعلها كانت في سنة ساكنة ليس فيها ريح ولامطر والله أعلم

تم بحمد الله وعونه وحسن توفيقه * وحسبنا الله ونعم الوكيل * ولاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم * وكان الفراغ من ذلك في يوم الاحد المبارك ثانى عشرين من شهر رمضان المعظم من شهور سنة الف ومابة وسبع وثلاثين من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام والحمد لله وحده

رسالة الحافظ البيهقى

الى

أبى محمد الجوينى والد امام الحرمين [1]

بسم الله الرحمن الرحيم

كتب الىّ أبو عبدالله الحافظ وخلق من مشايخنا عن أبى الفضل بن عساكر عن أبى روح الهروى عن أبي المظفر السمعانى عن أبيه الحافظ أبي سعد قال أنا أبو نصر على بن مسعود محمد الشجاعى اذنا قال حدثنا الامام الحافظ أبو بكر أحمد ابن الحسين البيهقى قال سلام الله ورحمته على الشيخ الامام وانى أحمد اليه الله الذى لا إله الا هو وحده لاشريك له وأصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم :

أما بعد عصمنا الله بطاعته وأكرمنا بالاعتصام بسنة خيرته من بريته صلى الله عليه وسلم وأعاننا على الاقتداء بالسلف الصالحين من أمته وعافانا فى ديننا ودنيانا وكفانا كل هول دون الجنة بفضله ورحمته انه واسع المغفرة والرحمة وبه التوفيق :

---

(١) المقصود من ادراج هذه الرسالة ضمن الجزء الثاني من مجموعة الرسائل المنيرية بيان ماكان عليه الاوائل من الاخلاص والرجوع الى الحق بعد ظهوره والاقرار بالصواب : وأرجو الله أن يوفق علماءنا الى ذلك : ولينظر القارىء الى كيفية الرد واستعمال الادب مع الاكابر ولين الجانب لهم : والحجة انما تكون بالدلائل النقلية والبراهين العقلية لا كما يفعله أهل هذا الزمان من السباب والشتائم وغير ذلك من أنواع الفسوق نسأل الله التوفيق

والعصمة فقلبي للشيخ أدام الله عصمته وأيد أيامه مقتد ولساني له بالخير ذاكر ولله تعالى على حسن توفيقه إياه شاكر والله جل ثناؤه يزيده توفيقا وتأييداً وتسديداً وقد علم الشيخ أدام الله توفيقه اشتغالي بالحديث واجتهادي في طلبه ومعظم مقصودي منه في الابتداء التمييز بين مايصح الاحتجاج به من الاخبار وبين مالايصح حتى رأيت المحدثين من أصحابنا يرسلونها في المسائل على مايحضرهم من ألفاظها من غير تمييز منهم بين صحيحها وسقيمها ثم اذا احتج عليهم بعض مخالفيهم بحديث شق عليهم تأويله أخذوا في تعليله بماوجدوه في كتب المتقدمين من أصحابنا تقليداً ولو عرفوه معرفتهم لميزوا بين صحيح مايوافق أحوالهم من سقيمه ولأمسكوا عن كثير مما يحتجون به وان كان يطابق آراءهم ولاقتدوا في ترك الاحتجاج برواية الضعفاء والمجهولين بامامهم فشرطه فيمن يقبل خبره عند من يعتني بمعرفته مشهور وهو بشرحه في كتاب الرسالة مسطور وماورد من الاخبار بضعف روايته أو انقطاع اسناده كثير والعلم به على من جاهدفيه سهل يسير وقد احتج في ترك الاحتجاج بالمجهولين بما أنبأنا أبوعبدالله محمدبن عبدالله الحافظ قال حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب قال حدثنا الربيع بن سليمان قال حدثنا الشافعي حدثنا سفيان عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «حدثوا عن بني اسرائيل ولاحرج وحدثوا عني ولاتكذبوا علي»

قال الشافعي أحاط العلم ان النبي صلى الله عليه وسلم لايأمر أحداً بحال أن يكذب على بني اسرائيل ولا على غيرهم فاذا أباح الحديث على بني اسرائيل فليس أن يقبلوا الحديث الكذب على بني اسرائيل لانه يروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال «من حدث بحديث وهو يراه كذبا فهو أحد الكذابين» وانما أباح قبول ذلك عمن حدث به ممن يحتمل صدقه وكذبه قال واذا فرق بين

الحديث عنه والحديث عن بنى اسرائيل فقال حدثوا عنى ولا تكذبوا على فالعلم ان شاء الله يحيط ان الكذب الذي نهاهم عنه هو الكذب الخفى وذلك الحديث عمن لا يعرف صدقه ثم حكى الشافعى في رد حديث الضعفاء عن ابن عمر وعن عروة بن الزبير وسعد بن ابراهيم وحكاه في كتاب العمرى عن عطاء بن أبى رباح وطاووس وابن سيرين وابراهيم النخعى ثم قال ولا لقيت ولا علمت أحداً من أهل العلم بالحديث يخالف هذا المذهب قال الشيخ الفقيه احمد وانما يخالفه بعض من لا يعد من أهل الحديث فيرى قبول رواية المجهولين مالم يعلم مايوجب رد خبرهم وقد قال الشافعى رضى الله عنه في أول كتاب الطهارة حين ذكر ما تكون به الطهارة من الماء واعتمد فيه على ظاهر القرآن وقد روى فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثا يوافق ظاهر القرآن فى اسناده من لا اعرفه ثم ذكر حديثه عن مالك عن صفوان بن سليم عن سعيد بن سلمة عن المغيرة بن أبي بردة عن ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في البحر وعسى لم يخطر ببال فقيه من فقهاء عصرنا ريب فى صحة هذا الحديث وامامه يقول في اسناده من لا أعرفه وانما قال ذلك لاختلاف وقع في اسم المغيرة بن ابى بردة ثم في وصله بذكر أبى هريرة مع ايداع مالك بن انس اياه كتابه الموطأ ومشهور فيما بين الحفاظ انه لم يودعه رواية من يرغب عنه الا رواية عبد الكريم بن أمية وعطاء الخراسانى فقد رغب عنهما غير مرة

وتوقف الشافعي في ايجاب الغسل من غسل الميت واعتذر بان بعض الحفاظ أدخل بين ابى صالح وأبى هريرة اسحق مولى زائدة وانه لا يعرفه ولعله ان يكون ثقة وتوقف في اثبات الوقت الثاني لصلاة المغرب مع احاديث صحاح رويت فيه بعد امامة جبريل عليه الصلاة والسلام النبي صلى الله عليه وسلم حين لم يثبت عنده من عدالة رواتها من قبول خبرهم وكأنه وقع لمحمد بن اسماعيل

البخاري رحمه الله بعده ما وقع له حتى لم يخرج شيئا من تلك الاحاديث في كتابه ووقف مسلم بن الحجاج على ما يوجب قبول خبرهم ووثق بحفظ من رفع المختلف في رفعه منها فقبله وأخرجه في الصحيح وهو في حديث ابي موسى وبريرة وعبد الله بن ابى عمر واحتج الشافعي في كتاب احكام القرآن برواية عائشة في ان زوج بريرة كان عبدا وأن بعض من تكلم فيه قال له هل يروون عن غير عائشة انه عبد قال الشافعي في المعتقة وهى أعلم به من غيرها وقد روي من وجهين قد أثبت أنت ما هو أضعف منهما ونحن انما نثبت ما هو أقوى منهما فذكر حديث عكرمة عن ابن عباس وحديث القاسم العمرى عن عبد الله بن دينار عن ابى عمرو ان زوج بريرة كان عبدا وحديث عكرمة عن ابن عباس قد أخرجه البخاري في الصحيح الا ان عكرمة مختلف في عدالته كان أنس بن مالك رحمه الله تعالى وأبان لا يرضاه وتكلم فيه سعيد بن المسيب وعطاء وجماعة من أهل العلم بالحديث ولذلك ترك مسلم بن الحجاج الاحتجاج بروايته في كتابه والقاسم العمري ضعيف عندهم قال الشافعي لخصمه نحن انما نثبت ما هو أقوى منهما وقال في أثرين ذكرهما في كتاب الحدود وهاتان الروايتان وان لم يخالفانا غير معروفتين ونحن نرجو ان لا نكون ممن تدعوه الحجة على من خالفه الى قبول خبر من لا يثبت خبره بمعرفته عنده

وله من هـذا أشياء كثيرة يكتفي باقل من هذا من سلك سبيل النصفة فهذا مذهبه فى قبول الاخبار وهو مذهب القدماء من أهل الآثار: قال البيهقي رضى الله عنه وكنت اسمع رغبة الشيخ رضى الله عنه فى سماع الحديث والنظر في كتب أهله فاشكر اليه واشكر الله تعالى عليه وأقول في نفسى ثم فيما بين الناس قد جاء الله عز وجل بمن يرغب في الحديث ويرغب فيه من بين الفقهاء ويميز فيما يرويه ويحتج به الصحيح من السقيم من جملة العلماء وأرجو من الله ان

يحيى سنة إمامنا المطلبي في قبول الآثار حيث أماتها أكثر فقهاء الامصار بعد من مضى من الائمة الكبار الذين جمعوا بين نوعي العلم والاخبار ثم لم يرض بعضهم بالجهل به حتى رأيته حمل العامل به في الوقوع فيه والازدراء به والضحك منه وهو مع هذا يعظم صاحب مذهبه ويجله ويزعم انه لا يفارق في منصوصاته قوله ثم بدع في كيفية قبول الحديث ورد طريقته ولا يسلك فيها سيرته لقلة معرفته بما عرف وكثرة غفلته عما عليه وقف هلا نظر في كتبه ثم اعتبر باحتياطه في انتقاده لرواة خبره واعتماده فيمن اشتبه عليه حاله على رواية غيره فترى سلوك مذهبه مع دلالة العقل والسمع واجبا على كل من انتصب للفتيا فاما أن يجتهد في تعلمه أو يسكت عن الوقوع فيمن يعلمه ولا يجتمع عليه وزران حيث فاته الاجران والله المستعان وعليه التكلان

ثم ان بعض اصحاب الشيخ أدام الله عزه وقع الى هذه الناحية فعرض علي أجزاء ثلاثة مما أملاه من كتابه المسمى بالمحيط فسررت به ورجوت ان يكون الامر فيما يورده من الاخبار على طريقة من مضى من الائمة الكبار لائقا بما خص به من علم الاصل والفرع موافقا لما ميز به من فضل العلم والورع فاذا أول حديث وقع عليه بصري الحديث المرفوع في النهي عن الاغتسال بالماء المشمس فقلت في نفسي يورده ثم يضعفه ويضعف القول فيه فرأيته قد أملى والخبر فيه ما روى مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة فقلت هلا قال روى عن عائشة أو روى عن ابن وهب عن مالك أو روى عن مالك أو روى عن اسماعيل بن عمرو الكوفي عن ابن وهب عن مالك أو روى خالد بن اسماعيل أو وهب بن وهب ابو البحترى عن هشام بن عروة أو روى عمرو بن محمد الاعسم عن فليح عن الزهرى عن عروة ليكون الحديث مضافا الى مايليق به مثل هذه الرواية ولا يكون فى مثل هذا على مالك بن انس ما أظنه يبرأ الى الله تعالى

من روايته ظنا مقرونا بعلم

ثم انى رأيتــه أدام الله عصمته أول حــديث التسمية وضــعف ما روى عن ربيعة بن ابى عبد الرحمن فى تأويله بحديث شهد به على الاعمش انه رواه عن شقيق بن سلمة عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم فيمن توضأ وسمى وفيمن توضأ ولم يسم وهذا حديث تفرد به يحيى بن هاشم السمسار عن الاعمش ولا يشك أحد في ضعفه ورواه أيضا عبد الله بن حكيم عن ابى بكر الزاهري عن عاصم بن محمد عن نافع بن عمر مرفوعا وابو بكر الزاهرى ضعيف لا يحتج بخبره وروى من وجه آخر مجهول عن ابي هريرة ولا يثبت وحديث التسمية قد روى من أوجه ما وجه من وجوهها الا وهو مثل اسناد من اسانيد ما روى فى مقالته ومع ذلك فاحمد بن حنبل يقول لا أعلم فيه حديثا ثابتا فقلت في نفسى قد ترك الشيخ حرس الله مهجته القوم فيما أحدثوا من المساهلة فى رواية الاحاديث وأحسبه سلك هذه الطريقة فيما حكى له عند مسح وجهه بيديه في قنوت صلاة الصبح واحسن الظن برواية من روى مسح الوجه باليدين بعد الدعاء مع ما اخبرنا ابو عبد الله الحافظ قال اخبرنا ابو بكر الخراجى قال حدثنا سارية حدثنا عبد الكريم السكري قال حدثنا وهب بن زمعة اخبرنا على النسائى قال سألت عبد الله بن المبارك عن الذى إذا دعا مسح وجهه فلم يجب قال على ولم اره يفعل ذلك قال وكان عبد الله يقنت بعد الركوع فى الوتر وكان يرفع يديه فى القنوت واخبرنا ابو على الرويز بادي حدثنا ابو بكر بن داسة قال قال ابو داود السجستاني روى هذا الحديث من غير وجه عن محمد بن كعب وهذا الطريق امثلها وهو ضعيف ايضا يريد به حديث عبد الله بن يعقوب عمن حدثه عن محمد بن كعب القرظى عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم «سلوا الله ببطون اكفكم ولا تسألوه بظهورها فاذا فرغتم فامسحوا بها وجوهكم» وروي ذلك من اوجه اخر

كلها اضعف من رواية من رواها عن ابن عباس وقال احمد بن حنبل ينكرها وحكى عنه انه قال فى الصلاة ولا بأس به فى غير الصلاة وقال هذا لما فى استعماله فى الصلاة من ادخال عمل عليها لم يثبت به اثر وقد يدعو فى آخر تشهده ثم لا يرفع يديه ولا يمسحها بوجهه اذ لم يرد بهما أثر فكذا فى دعاء القنوت يرفع يديه لورود الاثر به ولا يمسح بهما وجهه اذ لم يثبت فيه اثر وبالله التوفيق

وعنـــدي ان من سلك من الفقهاء هذه الطريقة فى المساهلة أنكر عليه قوله مع كثير ممن روى هذه الاحاديث في خلافه واذا كان هذا اختياره فسبيله أدام الله توفيقه على في مثل هذه الاحاديث روى عن فلان ولا يقول روى فلان لئلا يكون شاهدا على فلان بروايته من غير ثبت وهو ان فعل ذلك وجد لفعله متبعا فقد أخبرنا ابو عبد الله الحافظ قال سمعت ابا الوليد الفقيه يقول لما سمع ابو عثمان الحيرى من ابى حنيفة ان كتابه المخرج على كتاب مسلم كان يديم النظر فيه فكان اذا جلس للذكر يقول في بعض ما يذكر من الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول في بعضه روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فنظرنا فاذا به قد حفظ ما في الكتاب حتى ميز بين صحيح الاخبار وسقيمها وأبو عثمان الحيرى يحتاط في هذا النوع من الاحتياط فيما يورد من الاخبار في المواعظ وفي فضائل الاعمال فالذي يوردها في الفرض والنفل ويحتج بها في الحلال والحرام أولى بالاحتياط وأحوج اليه وبالله التوفيق * قال الفقيه قد رأيت بعضا مما أوردت عليه شيئا من هذه الطريقة فزع في ردها الى اختلاف الحفاظ في تصحيح الاخبار وتضعيفها ولو عرف اختلافهم لعرف انه لا فرج له في الاحتجاج به كما لا فرج لمن خالفنا في أصول الديانات في الاحتجاج علينا باختلافنا في المجتهدات واختلاف الحفاظ في ذلك لا يوجب رد الجميع ولا قبول الجميع وكان من سبيله ان يعلم ان الاحاديث المروية على ثلاثة أنواع نوع اتفق أهل العلم

به على صحته ونوع اتفقوا على ضعفه ونوع اختلف في ثبوته فبعضهم يضعف بعض رواته بجرح ظهر له وخفى على غيره أو لم يظهر له من عدالته ما يوجب قبول خبره وقد ظهر لغيره أو عرف منه معنى يوجب عنده رد خبره وذلك المعنى لا يوجبه عند غيره أو عرف أحدهما علة حديث ظهر بها انقطاعه او انقطاع بعض الفاظه أو ادراج لفظ من الفاظ من رواه فى متنه أو دخول اسناد حديث في اسناد غيره خفيت تلك العلة على غيره فاذا عرف هذا وعرف بمعنى رد منهم خبرا أو قبول من قبله منهم هذا الوقوف عليه والمعرفة به الى اختيار أصح القولين قال الفقيه وكنت أدام الله عز الشيخ أنظر فى كتب بعض أصحابنا وحكايات من حكى منهم عن الشافعى رضى الله عنه نصا فانظر اختلافهم في بعضها فيضيق قلبي بالاختلاف مع كراهية الحكايه من غير ثبت فحملني ذلك على نقل مبسوط ما اختصره المزني على ترتيب المختصر ثم نظرت في كتاب التقريب وكتاب جمع الجوامع وعيون المسائل وغيرها فلم أر أحداً منهم فيما حكاه أوثق من صاحب التقريب وهو في النصف الاول من كتابه أكثر حكاية لالفاظ الشافعي منه فى النصف الاخير وقد غفل فى النصفين جميعا مع اجتماع الكتب له أو أكثرها وذهاب بعضها فى عصرنا عن حكاية ألفاظ لا بد لنا من معرفتها لئلا نجرى على تخطئة المزني فى بعض ما يخطئه فيه وهو برىء ولنتخلص بهذا عن كثير من تخريجات أصحابنا

ومثال ذلك من الاجزاء التى رأيتها من كتاب المحيط من أوله الى مسألة التفريق ان اكثر أصحابنا والشيخ أدام الله عزه معهم يوردون الذنب فى تسمية البحر بالمالح الى ابى ابراهيم المزنى ويزعمون انها لم توجد للشافعى رحمه الله تعالى : قد سمى الشافعى البحر مالحا في كتابين قال الشافعى في امالي الحج في مسألة كون المحرم في صيد البحر كالحلال والبحر اما العذب واما المالح

قال الله تعالى (هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج) وقال فى كتاب المناسك الكبير فى الآية دليل ان البحر العذب والمالح

وذكر الشيخ ابقاه الله حدثنا الشيخ الامام ابو بكر رحمه الله قول الشافعى فى اكل الجلد المدبوغ على ما بنى عليه ثم ذكر الشيخ حفظه الله تصحيح القول بمنع الاكل عند نفسه بايراد حجته وقد نص الشافعي فى القديم وفى رواية حرملة على ماهداه اليه خاطره المتين قال الزعفرانى قال ابو عبد الله الشافعى في كلام ذكره يحل ان تتوضأ فى جلدها اذا دبغ وذلك الذى أباح رسول الله صلى الله عليه وسلم منه فابحناه كما أباحه ونهينا عن اكله بحمله انه ميتة ولم يرخص في غير ما رخص فيه خاصة ثم قال وليس ماحل لنا الاستمتاع ببعضه بخبر بالذى يبيح لنا ما نهينا عنه من ذلك الشيء بعينه بخبر الا تري انا لا نعلم اختلافا فى انه يحل شراء الحمر والهر والاستمتاع بها ولا يبيح اكلها وانما نبيح ما يبيح ونحظر ما حظر وقال فى رواية حرملة يحل الاستمتاع به بالحديث ولا يحل أكله باصل انه من ميتة ورأيته ادام الله عصمته اختار فى تحلية الدابة بالفضة جوازها وأظنه علم كلام الشافعى فى كتاب مختصر البويطى والربيع ورواية موسى بن ابى الجارود حيث يقول وان اتخذ رجل أو امرأة آنية من فضة أو من ذهب او ضببا بهما آنية او ركباه على مشجب أو سرج فعليهما الزكاة وكذلك اللجم والركب هذا مع قوله فى روايتهم لا زكاة فى الحلى المباح وحيث لم يخص به الذهب بعينه فالظاهر انه اراد به كليهما جميعا وان كانت الكناية بالتذكير يحتمل ان تكون راجعة الى الذهب دون الفضة كما قال الله عز وجل (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله)[1] فالظاهر عند اكثر أهل العلم انه اراد به كليهما معا وان كانت الكناية بالتأنيث يحتمل أن تكون راجعة الى الفضة دون الذهب

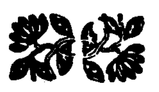
[1] - التوبة ٣٤

وقـد علم الشيخ أبقاه الله ورود التحريم فى ا لاوانى المتخذة من الذهب والفضة عامة ثم وردت الاباحة فى تحلية النساء بهما وتختم الرجال بالفضةخاصة ووقف على اختلاف الصدر الاول رضي الله عنهم فى حلية السيوف واحتجاج كل فريق منهم لقوله بخبر فنحن وان رجحنا قول من قال باباحتها بنوع من وجوه الترجيحات ثم حظرنا تحلية السيف والسرير وسائر الآلات ولم نقسها على التحريم بالفضة ولا على حلية السيوف فتصحيح إباحة تحلية الدابة بالفضة من غير ورود أثر صحيح مما يشق ويتعذر وهو أدام الله توفيقه أهل ان يجتهد ويتخير وما استدل به من الخبر بان ابا سفيان أهدى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعيرا برته من فضة فغير مشتهر وهو ان كان فلا دلالة له في فعل ابى سفيان اذ لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه تركه ثم ركبه أو أركبه غيره وانما الحديث المشهور عندنا ما رواه محمد بن اسحاق بن يسار عن عبد الله بن ابي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال أهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم في هدية جملا لابى جهل في أنفه برة من فضة ليغيظ به المشركين أخبرنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا ابن عبد الجبار حدثنا يونس بن بكير عن ابى اسحاق الحديث وكان على بن المدينى يقول كنت أرى هذا من صحيح حديث بن اسحاق فاذا هو قد دلسه حدثنا يعقوب بن ابراهيم بن سعد عن أبيه عن محمد بن اسحق قال حدثنى من لا أتهم عن ابن ابى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس فاذا الحديث مضطرب اخبرنا بهذه الحكاية محمد ابن عبد الله الحافظ اخبرني محمد بن صالح الهاشمي حدثنا ابو جعفر السبيعى حدثنا عبد الله بن على المدينى قال حدثنى أبى فذكرها وقد روى الحديث عن جرير بن حازم عن ابن ابي نجيح ورواه محمد بن عبد الرحمن بن ابى ليلى عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس وليس بالقوى وقد أخبرنا محمد بن موسى بن الفضل

أخبرنا أبو عبد الله الصفار حدثنا احمد بن محمد المزنى القاضى حدثنا محمد بن المنهال حدثنا يزيد بن زريع حدثنا محمد بن اسحاق عن عبد الله بن ابى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدى جملا لابى جهل يوم الحديبية كان استلبه يوم بدر وفي انفه برة من ذهب وكذلك رواه ابو داود السجستانى في كتاب السنن عن محمد بن المنهال برة من ذهب أخبرنا ابو على الروذبادى أخبرنا ابو بكر بن داسة حدثنا ابو داود فذكره وقال عام الحديبية ولم يذكر قصة بدر وقد أجمعنا على منع تحلية الدابة بالذهب ولم ندع فيه ظاهر الكتاب بايجاب الزكاة فيه وعده اذا لم يخرجها من الكنوز بهذا الخبر وكذلك لاندعه في الفضة وليس في الحديث ان ثبت فى الفضة صريح دلالة في المسألة وبالله التوفيق والعصمة وقد حكى لى عن الشيخ أدام الله عزه انه اختار جواز المكتوبة على الراحلة الواقفة اذا تمكن من الاتيان بشرائطها مع ما في النزول للمكتوبة في غير شدة الخوف من الاخبار والآثار الثابتة وعدم ثبوت ماروي في مقابلتها دون الشرائط التى اعتبرها وقد قال الشافعي رضى الله تعالى عنه فى الاملاء ولا يصلى المسافر المكتوبة بحال أبداً الا حالا واحداً الا نازلا في الارض أو على ما هو ثابت على الارض لا يزول بنفسه مثل البساط والسرير والسفينة في البحر :

﴿ تمت الرسالة وبها تم المجلد الثانى من المجموعة المنيرية ﴾

﴿ والحمد لله أولا وآخرا ﴾





مجموعة الرسائل المنيرية

الجزء الثالث

يشتمل على ١٠ رسائل

(١) شرح حديث « ماذئبان جائعان أرسلا في غنم » الخ للحافظ ابن رجب (٢) المؤمل للرد إلى الأمر الأول للعلامة ابن أبي شامة . (٣) استخراج الجدال من القرآن الكريم لابن الحنبلي . (٤) كفاية التعبد وتحفة التزهد للحافظ المنذري . (٥) ارشاد السائل إلى دلائل المسائل للعلامة الشوكاني . (٦) معنى قول الإمام المطلبي إذا صح الحديث فهو مذهبي للسبكي . (٧) خلاف الأمة في العبادات ومذهب أهل السنة والجماعة . (٨) في توحد الملة وتعدد الشرائع وتنوعها . (٩) رسالة في السماع والرقص والكلام على حديث يولد المولود على الفطرة . (١٠) شرح حديث أبي ذر الأربعة للإمام ابن تيمية .

(عنيت بنشرها وتصحيحها والتعليق عليها للمرة الأولى سنة ١٣٤٦ هـ)

إدارة الطباعة المنيرية

توزيع

مكتبة طيبة — الرياض

دار الكلمة الطيبة — القاهرة

إحكام الأحكام

شرح

عمدة الأحكام

﴿ للعالم العلامة الاصولي المجتهد أبي الفتح الشهير بابن دقيق العيد ﴾
المتوفي سنة ٧٠٢

عمدة الاحكام من تصانيف الامام الحافظ الفقيه الشيخ عبدالغني المقدسي الجاعيلي المتوفي سنة ٥٠٠ ، وهذا الكتاب من أجل كتب الحديث نفعاً وأصحها سنداً ومتناً وهو من تخريج الامامين الجليلين أعني البخاري ومسلماً ابن الحجاج رتبه على حسب أبواب الفقه . وقد شرحه الامام المجتهد الحافظ علامة المعقول والمنقول شيخ الاسلام تقي الدين ابوالفتح الشهير بابن دقيق العيد وهو شرح لم يؤلف مثله ولم تر العيون أحسن منه بين فيه كيفية استنباط الاحكام من الاحاديث وأورد اشكالات عجيبة للعلماء وردماصح رده واعتمد من الاحكام ماتشهد له الادلة الصحيحه وتصحبه الحكم العقلية وبين مآخذ أئمة المذاهب فيها وراجحها من مرجوحها غير متعصب ولامتعسف بل سلك طريق السلف الصالح في ذلك . وفي الجملة هو خير مؤلف ظهر للناس وفضل مؤلفه شهير وقد كستها بحواشي نفيسة ادارة الطباعة المنيرية وعرضتها للاشتراك وجعلت قيمة الاشتراك فيه أربعين قرشاً صاغاً من الورق الكتان العال وقد ظهر منه جزآن وعن قريب سيظهر الجزء الثالث والباقي تحت الطبع فنحث طلاب العلم والعلماء على اقتنائه والمبادرة الى الاشتراك فيه قبل نفاد نسخه

كلمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله * والصلاة والسلام على نبيه ورسوله ومصطفاه * وعلى آله وصحبه ومن عمل لسعادته في دنياه وأخراه *

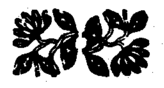
اما بعد فهذا ما وعدت به ادارة الطباعة المنيرية من تتبع نشر اجزاء مجموعة الرسائل المنيرية : وقد تم والحمد لله الجزء الثانى منها واشتمل على ١٠ رسائل نزفه الى قرائها للافادة والاستفادة ونسأل الله التوفيق لاتمام نشر باقى الاجزاء وهو حسبنا ونعم المعين :

مدير

ادارة الطباعة المنيرية

محمد منير الدمشقى

من علماء الازهر الشريف



الرسالة الاولى

شرح حديث «ما ذئبان جائعان أرسلا فى غنم» الخ

للحافظ ابن رجب الحنبلى المتوفى سنة ٧٩٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ☆ وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين☆وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين قال الشيخ الامام العالم العلامة شيخ الاسلام بقية السلف الكرام زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن ابن الشيخ الامام شهاب الدين احمد ابن الشيخ الامام ابن رجب البغدادى الحنبلى رحمه الله تعالى أخرج الامام احمد والنسائى والترمذى وابن حبان في صحيحه من حديث كعب بن مالك الانصارى رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال « ماذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه » قال الترمذى حسن صحيح وروى من وجه آخر عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث ابن عمر وابن عباس وأبى هريرة واسامة بن زيد وجابر وابى سعيد الخدرى وعاصم بن عدى الانصارى رضى الله عنهم أجمعين وقد ذكرناها كلها والكلام عليها في كتاب شرح الترمذى ولفظ حديث جابر رضى الله عنه « ماذئبان ضاريان باتا في غنم غاب رعاؤها بأفسد للناس من حب الشرف والمال لدين المؤمن » وفي حديث ابن عباس رضى الله عنه حب المال والشرف بدل الحرص فهذا مثل عظيم جدا ضربه النبي صلى الله عليه وسلم لفساد دين المسلم بالحرص على المال والشرف في الدنيا وان فساد الدين بذلك ليس بدون فساد الغنم بذئبين جائعين ضاريين باتا في الغنم قد غاب عنها رعاؤها ليلا فهما يأكلان في الغنم ويفترسان فيها ومعلوم انه لاينجو من الغنم من افساد الذئبين المذكورين والحالة هذه الاقليل فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان حرص المرء على المال والشرف افساد لدينه ليس بأقل من افساد الذئبين لهذه الغنم بل إما أن يكون مساويا واما أكثر يشير

الى انه لايسلم من دين المسلم مع حرصه على المال والشرف في الدنيا الا القليل كما انه لا يسلم من الغنم مع افساد الذئبين المذكورين فيها الا القليل فهذا المثل العظيم يتضمن غاية التحذير من شر الحرص على المال والشرف في الدنيا (فاما الحرص) على المال فهو على نوعين أحدهما شدة محبة المال مع شدة طلبه من وجوهه المباحة والمبالغة في طلبه والجد في تحصيله واكتسابه من وجوهه مع الجهد والمشقة وقد ورد ان سبب الحديث كان وقوع بعض أفراد هذا النوع كما أخرجه الطبرانى من حديث عاصم بن عدى رضى الله عنه قال اشتريت مائة سهم من سهام خيبر فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال «ماذئبان ضاريان ضلا في غنم أضاعها ربها بأفسد من طلب المسلم المال والشرف لدينه» قلت ولو لم يكن في الحرص على المال الا تضييع العمر الشريف الذى لا قيمة له وقد كان يمكن صاحبه فيه اكتساب الدرجات العلى والنعيم المقيم فضيعه بالحرص في طلب رزق مضمون مقسوم لايأتى منه الاماقدر وقسم ثم لاينتفع به بل يتركه لغيره ويرتحل عنه فيبقى حسابه عليه ونفعه لغيره فيجمع لمن لا يحمده ويقدم على من لا يعذره لكفاه بذلك ذما للحرص فالحريص يضيع زمانه الشريف ويخاطر بنفسه التى لاقيمة لها في الاسفار وركوب الاخطار لجمع مال ينتفع به غيره كما قيل

ومن ينفق الايام في جمع ماله مخافة فقر فالذى فعل الفقر

قيل لبعض الحكماء ان فلانا جمع مالا فقال فهل جمع أياما ينفقه فيها قيل لا قال ما جمع شيئا☆وفى بعض الآثار الاسرائيلية الرزق مقسوم والحريص محروم ابن آدم اذا أفنيت عمرك في طلب الدنيا فتى تطلب الآخرة

اذا كنت في الدنيا عن الخير عاجزا فما أنت في يوم القيامة صانع؟

قال ابن مسعود رضى الله عنه اليقين أن لاترضى الناس بسخط الله ولاتحسد أحدا على رزق الله ولاتلوم أحدا على مالم يؤتك الله فان الرزق لا يسوقه حرص حريص ولا يرده كراهة كاره فان الله بقسطه جعل الروح والفرح في اليقين والرضى. وجعل الهم والحزن في الشك والسخط . وقال بعض السلف اذا كان القدر حقا فالحرص باطل واذا كان الغدر في الناس طبعا فالثقة بكل أحد عجز واذا كان الموت لكل أحد راصدا فالطمأنينة الى الدنيا حمق . كان عبد الواحد بن زيد يحلف بالله لحرص المرء على الدنيا أخوف عليه عندى من أعدى أعدائه وكان يقول يا أخوتاه لاتغبطوا حريصا على ثروته وسعته في مكسب ولا مال وانظروا له بعين المقت له في اشتغاله اليوم بما يرديه غدا في المعاد ثم يتكبر . وكان يقول الحرص حرصان حرص فاجع وحرص نافع فاما النافع فحرص المرء على طاعة

الله وأما الحرص الفاجع فحرص المرء على الدنيا فالحرص على الدنيا معذب صاحبه مشغول لايسر ولا يلذ بجمعه لشغله فلا يفرغ من محبة الدنيا لاخرته لالتفاته لما يفنى وغفلته عما يدوم ويبقى ولبعضهم في هذا المعنى

لاتغبطن أخاحرص على سعة وانظر اليه بعين الماقت القالى
ان الحريص لمشغول بثروته عن السرور بما يحوى من المال

ولآخر في هذا المعنى

ياجامعا مانعا والدهر يرمقه مفكرا أى باب منه يغلقه
جمعت مالا ففكر هل جمعت له يا جامع المال أياما تفرقه
المال عندك مخزون لوارثه ما المال مالك الا يوم تنفقه
ان القناعة من يحلل بساحتها لم يلق في ظلها هما يؤرقه

وكتب بعض الحكماء الى أخ له كان حريصا على الدنيا أما بعد فانك أصبحت حريصا على الدنيا تخدمها وهي تخرجك عن نفسها بالاعراض والامراض والآفات والعلل كأنك لم تر حريصا محروما ولا زاهدا مرزوقا ولا ميتا عن كثير ولا متبلغا من الدنيا باليسير * عاتب اعرابى أخاه على الحرص فقال له يا أخى أنت طالب ومطلوب يطلبك من لا تفوته وتطلب ما قد كفيته كانك يا أخى لم تر حريصا محروما ولا زاهدا مرزوقا * وقال بعض الحكماء أطول الناس هما الحسود وأهنؤهم عيشا القنوع وأصبرهم على الاذى الحريص وأخفضهم عيشا أرفضهم للدنيا وأعظمهم ندامة العالم المفرط ولبعضهم في هذا المعنى

الحرص داء قد أضـــــر بمن ترى الا قليلا
كم من حريص طامع والحرص صيره ذليلا

غيره

كم أنت للحر ص والامانى عبـد
ليس يجديك الحرص والسعى اذا لم يكن جد
مالما قدره الله من الامر بد

ولابى العتاهية يخاطب سلما الخاسر

تعالى الله يا سلم بن عمرو اذل الحرص اعناق الرجال

ومن كلام المأمون الحرص مفسدة للدين والمروءة وانشد بعضهم

حرص الحريص جنون والصبر حصن حصين
ان قدر الله شيئــــا فانه سيكون

ونازح الدار لاينفك مغتربا عن الاحبة لايدرون بالحال
بمشرق الارض طورا ثم مغربها لايخطر الموت من حرص على بال
ولو قنعت اتاك الرزق في دعة ان القنوع الغنى لا كثرة المال

ولمحمود الوراق

ايها المتعب جهدا نفسه يطلب الدنيا حريصاً جاهدا
لالك الدنيا ولا أنت لها فاجعل الهمين هما واحدا

(النوع الثانى) من الحرص على المال ان يزيد على ماسبق ذكره في النوع الاول حتى يطلب المال من الوجوه المحرمة ويمنع الحقوق الواجبة فهذا من الشح المذموم قال الله تعالى (ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون)١ وفي سنن أبى داود عن عبدالله بن عمر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال « اتقوا الشح فان الشح اهلك من كان قبلكم أمرهم بالقطيعة فقطعوا وامرهم بالبخل فبخلوا وأمرهم بالفجور ففجروا » وفي صحيح مسلم عن جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال « اتقوا الشح فان الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم » قال طائفة من العلماء الشح هو الحرص الشديد الذى يحمل صاحبه على أن يأخذ الاشياء من غير حلها و يمنعها حقوقها. وحقيقته ان تتشوف النفس الى ماحرم الله ومنع منه وان لايقنع الانسان بما احله الله له من مال او فرج أوغيرهما فان الله تعالى احل لنا الطيبات من المطاعم والمشارب والملابس والمناكح وحرم تناول هذه الاشياء من غير وجوه حلها واباح لنا دماء الكفار والمحاربين واموالهم وحرم علينا ماعدا ذلك من الخبائث من المطاعم والمشارب والملابس والمناكح وحرم علينا اخذ الاموال وسفك الدماء بغير حقها فمن اقتصر على ماأبيح له فهو مؤمن ومن تعدى ذلك الى مامنع منه فهو الشح المذموم وهو مناف للايمان ولهذا اخبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم ان الشح يأمر بالقطيعة والفجور وبالبخل والبخل هو امساك الانسان مافي يده والشح تناول ما ليس له ظلما وعدوانا من مال أوغيره حتى قيل انه رأس المعاصى كلها وبهذا فسر ابن مسعود رضى الله عنه وغيره من السلف الشح والبخل ومن هنا يعلم معنى حديث ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه قال « لا يجتمع الشح والايمان في قلب مؤمن » والحديث الآخر عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه قال « افضل الايمان الصبر والسماحة »٢ وفسر الصبر بالصبر عن المحارم والسماحة باداء الواجبات وقد يستعمل

١ ـ الحشر ٩
التغابن ١٦

الشح بمعنى البخل وبالعكس ولكن الاصل هو التفريق بينهما على ماذكرناه ومتى وصل الحرص على المال الى هذه الدرجة نقص بذلك الدين والايمان نقصا بينا فان منع الواجبات وتناول المحرمات ينقص بهما الدين والايمان بلا ريب حتى لايبقى منه الا القليل ☆

(فصل) وأما حرص المرء على الشرف فهو شد إهلاكا من الحرص على المال فان طلب شرف الدنيا والرفعة فيها والرياسة على الناس والعلو فى الارض اضر على العبد من طلب المال وضرره اعظم والزهـد فيه أصعب فان المال يبذل في طلب الرياسة والشرف☆والحرص على الشرف على قسمين احدهما طلب الشرف بالولاية والسلطان والمال وهذا خطر جدا وهو في الغالب يمنع خير الآخرة وشرفها وكرامتها وعزها قال الله تعالى (تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لايريدون علوا في الارض ولافسادا والعاقبة للمتقين) وقل من يحرص على رياسة الدنيا بطلب الولايات فيوفق بل يوكل الى نفسه كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعبد الرحمن بن سمرة رضى الله عنه «ياعبدالرحمن لاتسأل الامارة فانك ان اعطيتها عن مسئلة وكلت اليها وان اعطيتها عن غير مسئلة أعنت عليها» قال بعض السلف ماحرص أحد على ولاية فعدل فيها . وكان يزيد بن عبدالله بن موهب من قضاة العدل والصالحين وكان يقول من احب المال والشرف وخاف الدوائر لم يعدل فيها .وفي صحيح البخارى عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال «انكم ستحرصون على الامارة وستكون ندامة يوم القيامة فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة »وفيه ايضا عن ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه ان رجلين قالا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم يارسول الله أمرنا قال « انا لانولى أمرنا هذا من سأله ولامن حرص عليه» واعلم ان الحرص على الشرف يستلزم ضررا عظيما قبل وقوعه فى السعى في اسبابه وبعد وقوعه بالحرص العظيم الذى يقع فيـه صاحب الولاية من الظلم والتكبر وغير ذلك من المفاسد . وقد صنف ابو بكر الآجرى وكان من العلماء الربانيين في اوائل المـائة الرابعة مصنفا في اخلاق العلماء وآدابهم وهو من أجل ماصنف في ذلك (١) ومن تأمله علم منـه طريقـة السلف من العلمـاء والطرائق التى حدثت بعدهم المخالفة لطريقتهم فوصف فيه عالم السوء بأوصاف طويلة . منها انه قال قد فتنه حب الثناء والشرف والمنزلة عند أهل الدنيا يتجمل بالعلم كما يتجمل بالحلة الحسناء للدنيا ولا يجمل علمه بالعمل به وذكر كلاما طويلا الى أن قال فهذه الاخلاق ومايشبهها تغلب على قلب من لم ينتفع بالعلم فبيناهو مقارب لهذه الاخلاق

(١) سنقوم بطبعه قريبا ان شاء الله تعالى

اذ ذهبت نفسه في حب الشرف والمنزلة فأحب مجالسة الملوك وابناء الدنيا وأحب ان يشاركهم فيما هم فيه من رخاء عيشهم من منظر بهى ومركب هنى وخادم سرى ولباس لين وفراش ناعم وطعام شهى وأحب أن يغشى بابه وان يسمع قوله ويطاع أمره فلم يقدر عليه الا من جهة القضاء فطلبه فلم يمكنه الا ببذل دينه فتذلل للملوك وأتباعهم فخدمهم بنفسه وا كرمهم بماله وسكت عن قبيح ماظهر له من الدخول في ايواناتهم وفي منازلهم من افعالهم ثم قد زين لهم كثيرا من قبيح فعلهم بتأوله الخطأ ليحسن موقفه عندهم فلما فعل هذا مدة طويلة واستحكم فيه الفساد ولوه القضاء فذبح بغير سكين فصارت لهم عليه منة عظيمة ووجب عليه شكرهم فآلم نفسه لئلا يغضبهم عليه فيعزلوه عن القضاء ولم يلتفت الى غضب مولاه فاقتطع اموال اليتامى والارامل والفقراء والمساكين وأموال الوقف على المجاهدين وأهل الشرف بالحرمين واموالا يعود نفعها على جميع المسلمين فارضى بها الكاتب والحاجب والخادم فأكل الحرام واطعم الحرام وكثر الداعي عليه فالويل لمن اورثه علمه هذه الاخلاق وهذا العلم هو الذي استعاذ منه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وامر أن يستعاذ منه وهذا العالم الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم «ان أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه» وكان صلى الله عليه وسلم يقول «اللهم انى أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعاء لا يسمع» وكان عليه السلام يقول «اللهم انى أسئلك علما نافعا وأعوذ بك من علم لا ينفع» هذا كله كلام الامام أبي بكر الآجرى رحمه الله تعالى وكان في أواخر الثلاثمائة ولم يزل الفساد بعده متزايدا على ماذكرناه اضعافا مضاعفة فلاحول ولا قوة الا بالله☆

ومن دقيق آفات حب الشرف طلب الولايات والحرص عليها وهو باب غامض لا يعرفه الا العلماء بالله العارفون به المحبون له الذين يعادون له من جهال خلقه المزاحمين لربوبيته وإلهيته مع حقارتهم وسقوط منزلتهم عند الله وعند خواص عباده العارفين به كما قال الحسن رحمه الله فيهم انهم وان طقطقت بهم البغال وهملجت بهم البراذين فان ذل المعصية في رقابهم أبى الله الا أن يذل من عصاه : واعلم ان حب الشرف بالحرص على نفوذ الامر والنهى وتدبير أمر الناس اذا قصد بذلك مجرد علو المنزلة على الخلق والتعاظم عليهم واظهار صاحب هذا الشرف حاجة الناس وافتقارهم اليه وذلهم له في طلب حوائجهم منه فهذا نفسه مزاحمة لربوبية الله والهيته وربما تسبب بعض هؤلاء الى ايقاع الناس في أمر يحتاجون فيه اليه ليضطرهم بذلك الى رفع حاجاتهم اليه وظهور افتقارهم واحتياجهم اليه ويتعاظم بذلك

ويتكبر به وهذا لايصلح الا لله وحده لاشريك له كما قال تعالى (ولقد أرسلنا الى أمم من قبلك فاخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون) وقال (وما أرسلنا في قرية من نبي الا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون) وفي بعض الآثار ان الله تعالى يبتلي عبده بالبلاء ليسمع تضرعه . وفي الآثار أيضا ان العبد اذا دعا الله تعالى وهو يحبه قال الله تعالى ياجبريل لاتعجل بقضاء حاجته فاني أحب أن أسمع تضرعه فهذه الأمور أصعب وأخطر من مجرد الظلم وأدهى وأمر من الشرك والشرك أعظم الظلم عند الله. وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال «يقول الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني فيهما عذبته» . كان بعض المتقدمين قاضيا فرأى في منامه كأن قائلا يقول له أنت قاض والله قاض فاستيقظ منزعجا وخرج عن القضاء وتركه. وكان طائفة من القضاة الورعين يمنعون الناس أن يدعوهم بقاضي القضاة فان هذا الاسم يشبه ملك الملوك الذي ذم النبي صلى الله عليه وآله وسلم التسمية به وقال «لامالك الا الله» وحاكم الحكام مثله أو أشد منه. ومن هذا الباب أيضا ان يحب ذو الشرف والولاية أن يحمد على أفعاله ويثنى عليه بها ويطلب من الناس ذلك ويتسبب في أذى من لايجيبه اليه وربما كان ذلك الفعل الى الذم أقرب منه الى المدح وربما اظهر أمرا حسنا في الظاهر وأحب المدح عليه وقصد به في الباطن شرا وفرح بتمويه ذلك وترويجه على الخلق وهذا يدخل في قوله تعالى (لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا و يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب) الا يةفان هذه الآية انما نزلت فيمن هذه صفاته وهذا الوصف أعني طلب المدح من الخلق ومحبته والعقوبة على تركه لايصلح الا لله وحده لاشريك له ومن هنا كان أئمة الهدى ينهون عن حمدهم على أعمالهم ومايصدر منهم من الاحسان الى الخلق ويأمرون باضافة الحمد على ذلك لله وحده لاشريك له فان النعم كلها منه .وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله شديد العناية بذلك وكتب مرة الى أهل الموسم كتابا يقرأ عليهم وفيه الامر بالاحسان اليهم وازالة المظالم التي كانت عليهم وفي الكتاب ولاتحمدوا على ذلك الا الله فانه لو وكلني الى نفسي كنت كغيري وحكايته مع المرأة التي طلبت منه أن يفرض لبناتها اليتامى مشهورة فانها كانت لها أربع بنات ففرض لاثنتين منهن وهي تحمد الله ثم فرض للثالثة فشكرته فقال انما كنا نفرض لهن حيث كنت تولين الحمد أهله فمري هذه الثلاث يواسين الرابعة أو كما قال رضي الله عنه أراد ان يعرف ان ذا الولاية انما هو منتصب لتنفيذ أمر الله وآمر العباد بطاعته تعالى وناه

لهم عن محارم الله ناصح لعباد لله بدعائهم الى الله فهو يقصد ان يكون الدين كله لله وان تكون العزة لله وهو مع ذلك خائف من التقصير في حقوق الله تعالى أيضا فالمحبون لله غاية مقاصدهم من الخلق أن يحبوا الله ويطيعوه ويفردوه بالعبودية والالهية فكيف من يزاحمه في شيء من ذلك فهو لايريد من الخلق جزاءا ولا شكورا وانما يرجو ثواب عمله من الله كما قال الله تعالى (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون)[١] وقال صلى الله عليه وآله وسلم « لاتطروني كما أطرت النصارى المسيح بن مريم انما أنا عبد فقولوا عبدالله ورسوله » وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينكر على من لا يتأدب معه في الخطاب بهذا الادب كما قال « لاتقولوا ماشاء الله وشاء محمد بل قولوا ماشاء الله ثم ماشاء محمد » وقال لمن قال ماشاء الله وشئت « أجعلتني لله ندا بل ماشاء الله وحده » فمن هنا كان خلفاء الرسل وأتباعهم من امراء العدل واتباعهم وقضاتهم لايدعون الى تعظيم نفوسهم البتة بل الى تعظيم الله وحده وافراده بالعبودية والالهية ومنهم من كان لايريد الولاية الا للاستعانة بها على الدعوة الى الله وحده وكان بعض الصالحين يتولى القضاء ويقول الا أتولاه لاستعين به على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟ ولهذا كانت الرسل وأتباعهم يصبرون على الاذى في الدعوة الى الله ويتحملون في تنفيذ أوامر الله من الخلق غاية المشقة وهم صابرون بل راضون بذلك فان المحب ربما يتلذذ بما يصيبه من الاذى في رضى محبوبه كما كان عبدالملك بن عمر بن عبدالعزيز رحمه الله يقول لابيه في خلافته اذا حرص على تنفيذ الحق واقامة العدل يا أبت لوددت أني غلت بي وبك القدور في الله عز وجل * وقال بعض الصالحين وددت ان جسمي قرض بالمقاريض وان هذا الخلق كلهم أطاعوا الله عز وجل فعرض قوله على بعض العارفين فقال ان كان اراد بذلك النصيحة للخلق والا فلا ادري ثم غشي عليه * ومعنى هذا ان صاحب هذا القول قد يكون لحظ نصح الخلق والشفقة عليهم من عذاب الله وأحب ان يفديهم من عذاب الله بأذى نفسه وقد يكون لحظ جلال الله وعظمته ومايستحقه من الاجلال والاكرام والطاعة والمحبة فود أن الخلق قاموا بذلك وان حصل له في نفسه غاية الضرر وهذا هو مشهد خواص المحبين العارفين بملاحظته فغشي على هذا الرجل العارف وقد وصف الله تعالى في كتابه ان المحبين له يجاهدون في سبيله ولايخافون لومة لائم. وفي ذلك يقول بعضهم

[١] - ال عمران ٧٩ - ٨٠

أجد الملامة في هواك لذيذة حبا لذكرك فليلمني اللوم

(القسم الثاني) طلب الشرف والعلو على الناس بالامور الدينية كالعلم والعمل والزهد فهذا افحش من الاول واقبح وأشد فساداً وخطرا فان العلم والعمل والزهد انما يطلب به ما عند الله من الدرجات العلى والنعيم المقيم والقرب منه والزلفى لديه . قال الثورى أنما فضل العلم لانه يتقى به الله والا كان كسائر الاشياء فاذا طلب بشيء من هذا عرض الدنيا الفانى فهو ايضا نوعان * احدهما ان يطلب به المال فهذا من نوع الحرص على المال وطلبه بالاسباب المحرمة وفي هذا جاء الحديث عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم «من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه الا ليصيب به عرضا في الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة» يعنى ريحها خرجه الامام احمد وابو داود وابن ماجه وابن حبان في صحيحه من حديث ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم وسبب هذا والله اعلم ان في الدنيا جنة معجلة وهى معرفة الله ومحبته والانس به والشوق الى لقائه وخشيته وطاعته والعلم النافع يدل على ذلك فمن دله علمه على دخول هذه الجنة المعجلة في الدنيا دخل الجنة في الآخرة ومن لم يشم رائحتها لم يشم رائحة الجنة في الآخرة ولهذا كان اشد الناس عذابا في الآخرة عالم لم ينفعه الله بعلمه وهو من أشد الناس حسرة يوم القيامة حيث كان معه آلة يتوصل بها الى أعلى الدرجات وارفع المقامات فلم يستعملها إلا في التوصل الى اخس الامور وادناها واحقرها فهو كمن كان معه جواهر نفيسة لها قيمة فباعها ببعرة اوشيء مستقذر لا ينتفع به فهذا حال من يطلب الدنيا بعلمه بل أقبح واقبح من ذلك من يطلبها باظهار الزهد فيها فان ذلك خداع قبيح جدا . وكان ابو سليمان الدارانى يعيب على من لبس عباءة وفي قلبه شهوة من شهوات الدنيا تساوى اكثر من قيمة العباءة يشير الى ان اظهار الزهد في الدنيا باللباس الدينى أنما يصلح لمن فرغ قلبه من التعلق بها بحيث لا يتعلق قلبه بها باكثر من قيمة ما لبسه في الظاهر حتى يستوى ظاهره وباطنه في الفراغ من الدنيا وما أحسن قول بعض العارفين وقد سئل عن الصوفي فقال الصوفي من لبس الصوف على الصفا * وسلك طريق المصطفى * وذاق الهوى بعد الجفا * وكانت الدنيا منه خلف القفا *

(النوع الثانى) من يطلب بالعلم والعمل والزهد الرياسة على الخلق والتعاظم عليهم وان ينقاد الخلق ويخضعون له ويصرفون وجوههم اليه وان يظهر للناس زيادة علمه على العلماء

ليعلو به عليهم ونحو ذلك فهذا موعده النار لان قصد التكبر على الخلق محرم في نفسه فاذا استعمل فيه آلة الآخرة كان أقبح وأفحش من ان يستعمل فيه آلات الدنيا من المال والسلطان. وفي السنن عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم «من طلب العلم ليماري به السفهاء أو يجاري به العلماء أو يصرف وجوه الناس اليه أدخله الله النار» خرجه الامام أحمد والترمذي من حديث كعب بن مالك. وخرجه ابن ماجه من حديث ابن عمر رضي الله عنه وحذيفة رضي الله عنه وعنده «فهو في النار» وخرج ابن ماجه وابن حبان في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال «لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولا لتماروا به السفهاء ولا لتحيزوا به المجالس فمن فعل ذلك فالنار النار» وخرجه ابن عدي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بنحوه وزاد فيه «ولكن تعلموه لوجه الله والدار الآخرة» وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال «لا تعلموا العلم لثلاث لتماروا به السفهاء أو لتجادلوا به الفقهاء أو لتصرفوا به وجوه الناس اليكم وابتغوا بقولكم وفعلكم ما عند الله فانه يبقى ويفنى ماسواه» وقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ان أول الخلق تسعر بهم النار يوم القيامة ثلاثة منهم العالم الذي قرأ القرآن ليقال قارىء وتعلم العلم ليقال عالم وانه يقال له قد قيل ذلك وامر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار» وذكر مثل ذلك في المتصدق ليقال انه جواد وفي المجاهد ليقال انه شجاع * وعن علي رضي الله عنه قال يا حملة العلم اعملوا به فانما العالم من عمل بما علم فوافق عمله علمه وسيكون اقوام يحملون العلم لايجاوز تراقيهم يخالف علمهم عملهم ويخالف سريرتهم علانيتهم يجلسون حلقا حلقا فيباهي بعضهم بعضاً حتى ان الرجل ليغضب على جليسه اذا جلس إلى غيره ويدعه اولئك لاتصعد أعمالهم في مجالسهم تلك الى الله عز وجل * وقال الحسن لايكون حظ احدكم من علمه ان يقول له الناس عالم. وفي بعض الآثار ان عيسى عليه الصلاة والسلام قال كيف يكون من أهل العلم من يطلب العلم ليحدث به ولا يطلبه ليعمل به : وقال بعض السلف بلغنا أن الذي يطلب الاحاديث ليحدث بها لا يجد ريح الجنة يعني من ليس له غرض في طلبها الا ان يحدث بها دون العمل بها. ومن هذا القبيل كراهة السلف الصالح الجرءة على الفتيا والحرص عليها والمسارعة اليها والاكثار منها. وروى ابن لهيعة عن عبدالله بن جعفر مرسلا عن النبي صلى الله عليه وآله

وسلم قال «اجرؤكم على الفتيا اجرؤكم على النار» وقال علقمة كانوا يقولون اجرؤكم على الفتيا اقلكم علما. وعن البراء قال أدركت عشرين ومائة من الانصار من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسئل أحدهم عن المسئلة مامنهم من رجل الاود أن اخاه كفاه . وفي رواية فيردها هذا الى هذا وهذا الى هذا حتى يرجع الى الاول . وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال ان الذي يفتي الناس في كل ما يستفتونه به لمجنون . وسئل عمر بن عبدالعزيز عن مسئلة فقال ما أنا على الفتيا بجرىء وكتب الى بعض عماله انى والله ما انا بحريص على الفتيا ماوجدت منها بدا وقال ابن عيينة ليس هذا الامر لمن ود أن الناس احتاجوا اليه انما هذا الامر لمن ود أنه وجد من يكفيه . وعنه انه قال اعلم الناس بالفتاوى اسكتهم وأجهلهم بها انطقهم. وقال سفيان الثورى ادركنا الفقهاء وهم يكرهون ان يجيبوا في المسائل والفتيا حتى لا يجدوا بداً من ان يفتوا واذا اعفوا منها كان احب اليهم .وقال الامام احمد من عرض نفسه للفتيا فقد عرضها لامر عظيم الا انه قد تلجىء اليه الضرورة قيل له فايما افضل الكلام ام السكوت قال الامساك احب الى قيل له فاذا كانت الضرورة فجعل يقول الضرورة الضرورة وقال الامساك اسلم له وليعلم المفتى انه يوقع عن الله امره ونهيه وانه موقوف ومسئول عن ذلك . قال الربيع بن خثيم أيها المفتون انظروا كيف تفتون. وقال عمرو بن دينار لقتادة لما جلس للفتيا تدرى في أى عمل وقعت وقعت بين الله وبين عباده وقلت هذا يصلح وهذا لا يصلح . وعن ابن المنكدر قال ان العالم داخل بين الله وبين خلقه فلينظر كيف يدخل بينهم . وكان ابن سيرين اذا سئل عن الشيء من الحلال والحرام تغير لونه وتبدل حتى كأنه ليس بالذى كان . وكان النخعي يسأل فتظهر عليه الكراهة ويقول ماوجدت احدا تسأله غيرى وقال قد تكلمت ولو وجدت بدا ما تكلمت وان زمانا اكون فيه فقيه اهل الكوفة لزمان سوء . وروى عن عمر رضي الله عنه انه قال انكم لتستفتوننا استفتاء نود كأنا لانسئل عما نفتيكم به. وعن محمد بن واسع قال اول من يدعى الى الحساب الفقهاء وعن مالك رضي الله عنه انه كان اذا سئل عن المسئلة كأنه واقف بين الجنة والنار. وقال بعض العلماء لبعض المفتين اذا سئلت عن مسئلة فلا يكن همك تخليص السائل ولكن تخليص نفسك أولا . وقال لآخر اذا سئلت عن مسئلة فتفكر فان وجدت لنفسك مخرجا فتكلم والا فاسكت. وكلام السلف في هذا المعنى كثير جدا يطول ذكره واستقصاؤه .

ومن هذا الباب أيضا كراهة الدخول على الملوك والدنومنهم وهو الباب الذى يدخل منه علماء الدنيا الى نيل الشرف والرياسات فيها . وخرج الامام احمد وأبو داود والترمذى والنسائى من حديث ابن عباس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال « من سكن البادية جفا ومن اتبع الصيد غفل ومن أتى أبواب السلاطين افتتن » وخرج أحمد وأبوداود نحوه من حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه واله وسلم . وفي حديثه « ومازداد أحد من السلطان دنوا الا ازداد من الله بعدا » وخرج ابن ماجه من حديث ابن عباس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال « ان أناسا من أمتى سيتفقهون في الدين ويقرؤون القرآن ويقولون نأتى الامراء فنصيب من دنياهم ونعتزلهم بديننا ولا يكون ذلك كما لا يجتنى من القتاد الا الشوك كذلك لا يجتنى من قربهم الا الخطايا » وخرجه الطبراني ولفظه « ان أناسا من أمتى يقرؤن القرآن ويتعمقون في الدين يأتيهم الشيطان يقول لو أتيتم الملوك فاصبتم من دنياهم واعتزلتموهم بدينكم الا ولا يكون ذلك كما لا يجتنى من القتاد الا الشوك كذلك لا يجتنى من قربهم الا الخطايا » وخرج الترمذى من حديث ابى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه واله وسلم قال « تعوذوا بالله من جب الحزن قالوا وما جب الحزن قال واد في جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم مائة مرة قيل يارسول الله من يدخله قال القراء المراءون بأعمالهم » وخرج ابن ماجه نحوه وزاد فيه « وان من أبغض القراء الى الله الذين يزورون الامراء الجورة » . ويروى من حديث على رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه واله وسلم نحوه . ومن أعظم ما يخشى على من يدخل على الملوك الظلمة أن يصدقهم بكذبهم ويعينهم على ظلمهم ولو بالسكوت عن الانكار عليهم فان من يريد بدخوله عليهم الشرف والرياسة وهو حريص عليهما لا يقدم على الانكار عليهم بل ربما حسن لهم بعض أفعالهم القبيحة تقربا اليهم ليحسن موقفه عندهم ويساعدوه على غرضه. وقد خرج الامام احمد والترمذى والنسائى وابن حبان في صحيحه من حديث كعب بن عجرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه واله وسلم قال « سيكون بعدى أمراء فمن دخل عليهم فصدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس منى ولست منه وليس بوارد على الحوض ومن لم يدخل عليهم ولم يعنهم على ظلمهم ولم يصدقهم بكذبهم فهو منى وأنا منه وهو وارد على الحوض » وخرج الامام احمد معنى هذا الحديث من حديث حذيفة رضى الله عنه وابن عمر رضى الله عنه وخباب بن الارت وأبى سعيد الخدرى والنعمان بن بشير رضى الله عنهم . وقد كان كثير من السلف ينهون عن الدخول على

الملوك لمن أراد أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر أيضا . وممن نهى عن ذلك عمر بن عبد العزيز وابن المبارك والثورى وغيرهم من الائمة . وقال ابن المبارك ليس الآمر الناهى عندنا من دخل عليهم فأمرهم ونهاهم انما الآمر الناهى من اعتزلهم وسبب هذا ما يخشى من فتنة الدخول عليهم فان النفس قد تخيل للانسان اذا كان بعيدا عنهم أنه يأمرهم وينهاهم ويغلظ عليهم فاذا شاهدهم قريبا مالت النفس اليهم لان محبة الشرف كامنة في النفس له ولذلك يداهنهم ويلاطفهم وربما مال اليهم وأحبهم ولا سيما ان لاطفوه وأكرموه وقبل ذلك منهم . وقد جرى ذلك لعبدالله بن طاوس مع بعض الامراء بحضرة أبيه طاوس فوبخه طاوس على فعله ذلك . وكتب سفيان الثورى الى عباد بن عباد وكان في كتابه اياك والامراء أن تدنو منهم أو تخالطهم في شيء من الاشياء واياك أن تخدع ويقال لك لتشفع وتدرء عن مظلوم أو ترد مظلمة فان ذلك خديعة ابليس وانما اتخذها فجار القراء سلما وما كفيت عن المسئلة والفتيا فاغتنم ذلك ولا تنافسهم واياك أن تكون ممن يحب أن يعمل بقوله أو ينشر قوله أو يسمع قوله فاذا ترك ذلك منه عرف فيه واياك وحب الرياسة فان الرجل يكون حب الرياسة أحب اليه من الذهب والفضة وهو باب غامض لا يبصره الا البصير من العلماء السماسرة فتفقد بقلب واعمل بنية واعلم انه قد دنا من الناس أمر يشتهى الرجل ان يموت والسلام . ومن هذا الباب أيضا كراهة أن يشهر الانسان نفسه للناس بالعلم والزهد والدين أو باظهار الاعمال والاقوال والكرامات ليزار وتلتمس بركته ودعاؤه وتقبل يده وهو محب لذلك ويقيم عليه ويفرح به ويسعى فى أسبابه ومن هنا كان السلف الصالح يكرهون الشهرة غاية الكراهة منهم أيوب والنخعى وسفيان وأحمد وغيرهم من العلماء الربانيين وكذلك الفضيل وداود الطائى وغيرهما من الزهاد والعارفين وكانوا يذمون أنفسهم غاية الذم ويسترون أعمالهم غاية الستر . دخل رجل على داود الطائى فسأله ماجاء بك فقال جئت لازورك فقال اما أنت فقد أصبت خيرا حيث زرت في الله ولكن أنا انظر ماذا لقيت غدا اذا قيل لى من أنت حتى تزار من الزهاد أنت لا والله من العباد أنت لا والله من الصالحين أنت لا والله وعدد خصال الخير على هذا الوجه ثم جعل يوبخ نفسه ويقول ياداود كنت في الشبيبة فاسقا فلما شبت صرت مرائيا والمرائى شر من الفاسق . وكان محمد ابن واسع يقول لو أن للذنوب رائحة ما استطاع أحد أن يجالسنى . وكان ابراهيم النخعى اذا دخل عليه أحد وهو يقرأ في المصحف غطاه . وكان أويس وغيره من الزهاد اذا عرفوا في مكان ارتحلوا عنه . وكان كثير من السلف يكره أن يطلب منه الدعاء ويقول لمن يسأله الدعاء

أي شيء أنا . وممن روى عنه ذلك عمر بن الخطاب وحذيفة بن اليمان رضى الله عنهما وكذلك مالك بن دينار . وكان النخعي يكره أن يسأل الدعاء وكتب رجل الى أحمد يسأله الدعاء فقال احمد اذا دعونا نحن لهذا فمن يدعو لنا . ووصف بعض الصالحين اجتهاده في العبادة لبعض الملوك فعزم على زيارته فبلغه ذلك فجلس على قارعة الطريق يأكل فوافاه الملك وهو على تلك الحالة فسلم عليه فرد عليه السلام وجعل يأكل أكلا كثيرا ولا يلتفت الى الملك فقال الملك ما في هذا خير ورجع فقال الرجل الحمد لله الذى رد هذا عني وهو لائم. وهذا باب واسع جدا وهنا نكتة دقيقة وهي ان الانسان قد يذم نفسه بين الناس يريد بذلك أن يرى الناس انه متواضع عند نفسه فيرتفع بذلك عندهم و يمدحونه به وهذا من دقائق أبواب الرياء وقد نبه عليه السلف الصالح قال مطرف بن عبدالله بن الشخير كفى بالنفس اطراء أن تذمها على الملأ لأنك تريد بذمها زينتها وذلك عندالله سفه ☆

(فصل) وقد تبين بما ذكرنا ان حب المال والرياسة والحرص عليهما يفسد دين المرء حتى لايبقى منه الا ما شاء الله كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم . وأصل محبة المال والشرف حب الدنيا وأصل حب الدنيا اتباع الهوى . قال وهب بن منبه من اتباع الهوى الرغبة في الدنيا ومن الرغبة فيها حب المال والشرف ومن حب المال والشرف استحلال المحارم وهذا كلام حسن فانه حب يحمل المال والشرف على الرغبة في الدنيا وانما تحصل الرغبة في الدنيا من اتباع الهوى لان الهوى داع الى الرغبة في الدنيا وحب المال والشرف فيها والتقوى يمنع من اتباع الهوى وتردع عن حب الدنيا . قال الله تعالى (فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هى المأوى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى)[1] وقد وصف الله تعالى أهل النار بالمال والسلطان في مواضع من كتابه فقال تعالى (وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول ياليتني لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه ياليتها كانت القاضية ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه)[2] واعلم ان النفس تحب الرفعة والعلو على أبناء جنسها ومن هنا نشأ الكبر والحسد ولكن العاقل ينافس في العلو الدائم الباقي الذى فيه رضوان الله وقربه وجواره ويرغب عن العلو الفاني الزائل الذى يعقبه غضب الله وسخطه وانحطاط العبد وسفوله وبعده عن الله وطرده عنه فهذا العلو الثاني الذى يذم وهو العتو والتكبر في الارض بغير الحق . واما العلو الاول والحرص عليه فهو محمود قال الله تعالى (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون)[3] وقال

١ ـ النازعات ٣٧ ـ ٤٠
٢ ـ الحاقة ٢٥ ـ ٩
٣ ـ المطففين ٢٦

الحسن اذا رأيت الرجل ينافسك في الدنيا فنافسه في الآخرة . وقال وهيب بن الوردان استطعت أن لا يسبقك الى الله أحد فافعل . وقال محمد بن يوسف الاصبهاني العابد لو أن رجلا سمع برجل أو عرف رجلا أطوع لله منه كان ينبغي له ان يحزنه ذلك وقال غيره لو أن رجلا سمع برجل أو عرف رجلا أطوع لله منه فانصدع قلبه لم يكن ذلك بعجب . وقال رجل لمالك بن دينار رأيت في المنام مناديا ينادي أيها الناس الرحيل الرحيل فما رأيت أحدا ارتحل الا محمد بن واسع فصاح مالك وغشي عليه فني درجات الآخرة الباقية يشرع التنافس وطلب العلو في منازلها والحرص على ذلك بالسعي في أسبابه وان لا يقنع الانسان منها بالدون مع قدرته على العلو وأما العلو الفاني المنقطع الذي يعقب صاحبه غداً حسرة وندامة وذلة وهو انا وصغارا فهو الذي يشرع الزهد فيه والاعراض عنه وللزهد فيه أسباب عديدة . فنها نظر العبد الى سوء عاقبة الشرف في الدنيا بالولاية والامارة لمن لا يؤدي حقها في الآخرة . ومنها نظر العبد الى عقوبة الظالمين والمتكبرين ومن ينازع الله رداء الكبرياء . وفي السنن عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال « يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان يساقون الى سجن في جهنم يقال له بولس (١) تعلوهم نار الانيار يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال » وخرجه الترمذي وغيره من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم . وفي رواية لغيره من وجه آخر في هذا الحديث « يطؤهم الناس بأقدامهم » وفي رواية أخرى من وجه آخر « يطؤهم الجن والانس والدواب بأرجلها حتى يقضي الله بين عباده » واستأذن رجل عمر رضي الله عنه في القصص على الناس فقال له اني أخاف ان تقص عليهم فترفع عليهم في نفسك حتى يضعك الله تحت أرجلهم يوم القيامة ومنها نظر العبد الى ثواب المتواضعين لله في الدنيا بالرفعة في الآخرة فان من تواضع لله رفعه ومنها وليس هو في قدرة العبد ولكنه من فضل الله ورحمته ما يعوض الله عباده العارفين به الزاهدين فيما يفنى من المال والشرف مما يعجله الله لهم في الدنيا من شرف التقوى وهيبة الخلق لهم في الظاهر ومن حلاوة المعرفة والايمان والطاعة في الباطن وهي الحياة الطيبة التي وعدها الله لمن عمل صالحا من ذكر أو انثى وهو مؤمن وهذه الحياة الطيبة لم يذقها الملوك في الدنيا

(١) بضم الباء وفتح اللام كذا ضبطه صاحب القاموس

ولا أهل الرياسات والحرص على الشرف كما قال ابراهيم بن أدهم رحمه الله لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجادلونا عليه بالسيوف. ومن رزقه الله ذلك اشتغل به عن طلب الشرف الزائل والرياسة الفانية . قال الله تعالى (ولباس التقوى ذلك خير)[١] وقال (من كان يريد العزة فلله العزة جميعا)[٢] وفي بعض الآثار يقول الله عز وجل « انا العزيز فمن أراد العزة فليطع العزيز ومن أراد عز الدنيا والآخرة وشرفهما فعليه بالتقوى » وكان حجاج بن ارطاة يقول قتلني حب الشرف فقال له سوار لو اتقيت الله شرفت .وفي هذا المعنى شعر

ألا انما التقوى هي العز والكرم وحبك للدنيا هو الذل والسقم

وليس على عبد تقي نقيصة اذا حقق التقوى وان حاك أو حجم

وقال صالح الباجي الطاعة امرة والمطيع لله أمير مؤمر على الامراء ألا ترى هيبته في صدورهم ان قال قبلوا وان أمر أطاعوا ثم يقول يحق لمن أحسن خدمتك ومننت عليه بمحبتك ان تذلل له الجبابرة حتى يهابوه لهيبته في صدورهم من هيبتك في قلبه وكل الخير من عندك بأوليائك .وقال بعض السلف الصالح من أسعد بالطاعة من مطيع الا وكل الخير في الطاعة الا وان المطيع لله ملك في الدنيا والآخرة .وقال ذو النون من أكرم وأعز ممن انقطع الى من ملك الاشياء بيده. دخل محمد بن سليمان أمير البصرة على حماد بن سلمة وقعد بين يديه يسأله فقال له يا أبا سلمة مالي كلما نظرت اليك ارتعدت فرقا منك قال لان العالم اذا أراد بعلمه وجه الله خافه كل شيء وان أراد ان يكثر به الكنوز خاف من كل شيء . ومن هذا قول بعضهم على قدر هيبتك لله يخافك الخلق وعلى قدر محبتك لله يحبك الخلق وعلى قدر اشتغالك بالله تشتغل الخلق باشغالك. وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يوما يمشي ووراءه قوم من كبار المهاجرين فالتفت فرآهم فخروا على ركبهم هيبة له فبكى عمر رضى الله عنه وقال اللهم انك تعلم اني اخوف لك منهم فاغفر لي . وكان العمري الزاهد قد خرج الى الكوفة الى الرشيد ليعظه وينهاه فوقع الرعب في عسكر الرشيد لما سمعوا بنزوله حتى لو نزل بهم عدو مائة الف نفس لما زادوا على ذلك وكان الحسن لا يستطيع أحد أن يسأله هيبة له وكان خواص أصحابه يجتمعون ويطلب بعضهم من بعض أن يسألوه عن المسئلة فاذا حضروا مجلسه لم يجسروا على سؤاله حتى ربما مكثوا على ذلك سنة كاملة هيبة له .وكذلك كان مالك بن أنس يهاب أن يسأل حتى قال فيه القائل

يدع الجواب ولا يراجع هيبة والسائلون نواكس الاذقان

١ ـ الاعراف ٢٦
٢ ـ فاطر ١٠

نور الوقار وعز سلطان التقى   فهو المهيب وليس ذا سلطان

وكان بديل العقيلي يقول من أراد بعلمه وجه الله تعالى أقبل الله عليه بوجهه وأقبل بقلوب العباد عليه ومن عمل لغير الله صرف الله وجهه عنه وصرف قلوب العباد عنه * وقال محمد بن واسع اذا أقبل العبد بقلبه على الله أقبل الله عليه بقلوب المؤمنين * وقال أبو يزيد البسطامي رحمه الله طلقت الدنيا ثلاثا بتاً لا رجعة لي فيها وصرت الى ربي وحدي وناديته بالاستعانة الهي ادعوك دعاء من لم يبق له غيرك فلما عرف صدق الدعاء من قلبي واليأس من نفسي كان اول ماورد علي من اجابة هذا الدعاء أن انساني نفسي بالكلية ونصب الخلائق بين يدي مع اعراضي عنهم وكان يزار من البلدان فلما رأى ازدحام الناس عليه قال

وليتني صرت شيئا   من غير شيء اعد
اصبحت للكل مولى   لانني لك عبد
وفي الفؤاد امور   ماتستطاع تعد
لكن كتمان حالي   احق بي واسد

كتب وهب بن منبه الى مكحول اما بعد فانك اصبت بظاهر علمك عند الناس شرفا ومنزلة فاطلب بباطن علمك عند الله منزلة وزلفى واعلم ان احدى المنزلتين تمنع من الاخرى . ومعنى هذا ان العلم الظاهر من تعلم الشرائع والاحكام والفتاوى والقصص والوعظ ونحو ذلك مما يظهر للناس يحصل به لصاحبه عندهم منزلة وشرفا والعلم الباطن المودع في القلوب من معرفة الله وخشيته ومحبته ومراقبته والانس به والشوق الى لقائه والتوكل عليه والرضى بقضائه والاعراض عن عرض الدنيا الفاني والاقبال على جوهر الآخرة الباقي كل هذا يوجب لصاحبه عند الله منزلة وزلفى واحدى المنزلتين تمنع من الاخرى فمن وقف مع منزلته عند الخلق واشتغل بما حصل له عندهم بالعلم الظاهر من شرف الدنيا . وكان همه حفظ هذه المنزلة عند الخلق وملازمتها وتربيتها والخوف من زوالها كان ذلك حظه من الله تعالى وانقطع به عنه فهو كما قال بعضهم ويل لمن كان حظه من الله الدنيا . وكان السري السقطي يعجبه ماري من

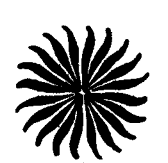
علم الجنيد وحسن خطابه وسرعة جوابه فقال له يوما وقد سأله عن مسألة فاجاب وأصاب أخشى ان يكون حظك من الدنيا لسانك فكان الجنيد لايزال يبكي من هذه الكلمة. ومن اشتغل بتربية منزلته عند الله تعالى بما ذكرن من العلم الباطن وصل الى الله فاشتغل به عما سواه وكان له في ذلك شغل عن طلب المنزلة عند الخلق ومع هذا فان الله يعطيه المنزلة في قلوب الخلق والشرف عندهم وان كان لا يريد ذلك ولا يقف معه بل يهرب منه اشد الهرب ويفر اشد الفرار خشية ان يقطعه الخلق عن الحق جل جلاله قال الله تعالى (ان الذين آمنو وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا)[١] اى فى قلوب عباده. وفي حديث «ان الله اذا احب عبداً نادى ياجبريل انى أحب فلانا فيحبه جبريل ثم يحبه اهل السماء ثم يوضع له القبول في الارض» والحديث معروف وهو مخرج في الصحيح وبكل حال فطلب شرف الآخرة يحصل معه شرف في الدنيا وان لم يرده صاحبه ولم يطلبه وطلب شرف الدنيا لا يجامع شرف الاخرة ولا يجتمع معه والسعيد من آثر الباقي على الفاني كما في حديث ابى موسى رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال «من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته اضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى» خرجه الامام أحمد وغيره ✲ وما أحسن ما قال ابو الفتح البستى

امران مفترقان لست تراهما ... يتشوفان لخلطة وتلاق
طلب المعاد مع الرياسة والعلى ... فدع الذى يفنى لما هو باق

الى هنا تم كلام الحافظ زين الدين ابن رجب على حديث ماذئبان جائعان ارسلا الخ والحمد لله وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه والعاملين بشرعه الى يوم الدين ✲

١ - مريم ٩٦

﴿ تمت الرسالة الاولى والحمد لله أولا وآخرا ﴾



الرسالة الثانية

﴿ مختصر كتاب المؤمل للرد الى الامر الاول ﴾

تصنيف الامام العلامة محيي السنة ناصر الحق شهاب الدين أبي القاسم عبد الرحمن
ابن اسماعيل بن ابراهيم المعروف بابي شامة الشافعي قدس الله روحه
المولود سنة ٥٩٦ المتوفى سنة ٦٦٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين * والعاقبة للمتقين * ولا عدوان الا على الظالمين * والصلاة والسلام على أشرف المرسلين * سيدنا محمد النبي الامين * وعلى آله الطيبين الطاهرين * وأصحابه نجوم الدين *

(وبعد) فهذا مختصر من كتاب ﴿ المؤمل للرد الى الامر الاول ﴾ تصنيف الامام العلامة محيي السنة شهاب الدين أبي القاسم عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم المعروف بابي شامة الشافعي قدس الله روحه قال (أما بعد) فان العلم قد درست أعلامه * وقل في هذه الازمان اتقانه وإحكامه * وأدّي به الاهمال الى أن عدم احترامه * وقل إجلاله وإعظامه * وكاد يجهل حلاله وحرامه * هذا مع حث الشارع عليه ووصف العلماء القائمين بخشيتهم اياه * ورفعه درجاتهم وضمه لهم مع الملائكة في شهادتهم * قال الله تعالى (انما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ)[1] وقال تعالى (شهد الله انه لا إله الا هو والملائكة وأولوا العلم)[2] وقال تعالى (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)[3] الى غير ذلك من الآيات الكثيرة * والاحاديث المستنيرة * وقد كان من مضى من الائمة المجتهدين قائمين بنشر علوم الاجتهاد في جميع الآفاق وهم في ذلك متفاضلون فمنهم المحكم لعلم الكتاب * ومنهم القائم بامر السنة * ومنهم المبرز في العربية * ومنهم الممعن في استنباط

١ ـ فاطر ٢٨
٢ ـ آل عمران ١٨
٣ ـ المجادلة ١١

الاحكام وقل من اجتمع فيه القيام بجميع ذلك وكان من أجمعهم وأقومهم به امامنا أبو عبدالله القرشي المطلبي الشافعي رضى الله عنه جمع النسب الطاهر * والعلم الباهر *وكثرة المآثر *وجل المفاخر *فكان فيه من المناقب والفضائل * ما فرق فى كثير من الأئمة الافاضل *وشهد له بذلك من كل فن سادة أفاضل * قال المزنى سمعت الشافعي يقول ، حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين وحفظت الموطأ وأنا ابن عشر * وقال يونس بن عبد الاعلى كان الشافعي اذا أخذ فى التفسير كأنه شهد التنزيل * وقال أحمد بن محمد بن بنت الشافعي سمعت أبي وعمى يقولان كان سفيان بن عيينة اذا جاءه شيء من التفسير والفتيا يسئل عنها التفت الى الشافعي وقال يقول سلوا هذا * وقال له شيخه مسلم بن خالد وهو مفتى مكة يا أبا عبد الله أفت فقد آن لك أن تفتي وهو ابن خمس عشرة سنة * وقال الربيع كان الشافعي يفتي وهو ابن خمس عشر سنة * وكان يحيي الليل الى أن مات * وقال أبو نعيم الحافظ سمعت سليمان بن احمد يقول سمعت أحمد بن محمد بن بنت الشافعي يقول كانت الحلقة فى الفتيا بمكة فى المسجد الحرام لابن عباس وبعده لعطاء ابن أبى رباح وبعده لعبد الملك بن جريج وبعده لمسلم بن خالد وبعده لسعيد بن سالم * وبعده لمحمد بن ادريس الشافعي وهو شاب * قال ابن مهدى سمعت مالكا يقول ما يأتيني قرشي أفهم من هذا الفتى يعنى الشافعي * قال أبو عبيد بن سلام ما رأيت قط أعقل ولا أورع ولا أفصح من الشافعي * قال هلال بن العلاء الرقى أصحاب الحديث عيال على الشافعي فتح لهم الاقفال * قال اسحق بن راهويه لقيني أحمد ابن حنبل بمكة فقال تعال أريك رجلا لم ترعيناك مثله فارانى الشافعي قال فتناظرنا فى الحديث فلم أر أعلم منه * ثم تناظرنا فى الفقه فلم أر أفقه منه * ثم تناظرنا فى القرآن فلم أر أقرأ منه * ثم تناظرنا فى اللغة فوجدته بيت اللغة * وما رأت عيناى مثله قط * قال فلما فارقناه أخبرنى جماعة من أهل الفهم بالقرآن انه كان أعلم الناس فى زمانه بمعاني القرآن وانه قد كان أوتي فهماً فى القرآن * قال أحمد بن حنبل كان الفقهاء والمحدثون صيادلة فجاء الشافعي طبيبا صيدلانيا ما رأت العيون مثاله * وقال ان الله يقيض للناس فى رأس كل مائة سنة من يعلمهم السنن وينفي عن رسول الله

الـكذب * فنظرنا فاذا فى رأس المائة عمر بن عبد العزيز وفى رأس المائتين الشافعى
وقال اذا سئلت عن مسالة لاأعرف فيها خبرا قلت فيها بقول الشافعى لانه امام
عالم من قريش * وروي عن النبي صلى الله عليه وسـلم انه قال (عالم قريش يملأ
الارض علما) وقال كلام الشافعي فى اللغة حجة * وقال أبو عثمان المازنى الشافعى
عندنا حجة فى النحو * وقال أبو ثور ابراهيم بن خالد كان الشافعى من معادن الفقه
وجهابذة الالفاظ ونقاد المعانى * قال الحسن بن محمد بن الصباح الزعفرانى كان أصحاب
الحديث رقودا حتى جاء الشافعى فايقظهم فتيقظوا * ومناقبه كثيرة قد الفت فيها
المؤلفات العديدة *

* فصل فى صفة أهل العلم *

قال عبد الله بن مسعود ليس العلم بكثرة الحديث ولـكن العلم الخشية *
وقال مالك بن أنس ليس العلم بكثرة الرواية ولـكنه نور يجعله الله فى قلب من
يشاء من خلقه * وفى رواية العلم والحـكمة نور يهدي به الله من يشاء وليس بكثرة
المسائل * وقال الاوزاعى كان هذا العلم كريما يتلقاه الرجال بينهم فلما كتب ذهب
نوره وصار الى غير اهله * وفي رواية كان هذا العلم سنيا شريفا اذ كان الناس
يتلقونه بينهم الخ * وقال اذا أراد الله بقوم شراً فتح عليهم الجدل ومنعهم العمل *
وقال مالك ليس الجدل من الدين فى شيء وقال أيضا المراء فى العلم يقسى القلوب
ويورث الضغائن * وفى جامع الترمذي عن أبى أمامة عنه صلى الله عليه وسـلم قال
« ماضل قوم بعد هدي كانوا عليه الا أوتوا الجدل » ثم تلا رسول الله صـلي الله
عليه وسلم (ماضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون)¹ قال حديث حسن صحيح
قال بل كان العلماء من السلف الصالح أهل نسك وعبادة وورع وزهادة * أرضوا
الله تعالى بعلمهم * وصانوا العلم فصانهم * وتدرعوا من الاعمال الصالحة بما زانهم *
ولم يشنهم الحرص على الدنيا وخدمـة أهلها بل أقبلوا على طاعة الله التى خلقوا
لاجلها فاؤلئك هم الذين عناهم الشافعى بقوله ما أحد أولى بخلقه من الفقهاء وفى
رواية ان لم يكن الفقهاء أولياء الله فما لله ولى * قال ابن عباس لو أن

١ - الزخرف ٥٨

العلماء أخذوا العلم بحقه لاحبهم الله و الملائكة والصالحون من عباده وهابهم الناس لفضل العلم وشرفه * قال وهب بن منبه ان الفقهاء فيما خلا حملوا العلم فأحسنوا حمله فاحتاجت اليهم الملوك وأهل الدنيا و رغبوا فى علمهم فلما كان بأجرة فشت علماء تحملوا العلم فلم يحسنوا حمله فطرحوا علمهم على الملوك وأهل الدنيا فاهتضموهم واحتقروهم * وقال أيضاً كان العلماء قبلنا قد استغنوا بعلمهم عن دنيا غيرهم فكانوا لايلتفتون الى دنياهم وكان أهل الدنيا يبذلون دنياهم في علمهم فاصبح أهل العلم منا اليوم يبذلون لاهل الدنيا علمهم رغبة فى دنياهم وأصبح أهل الدنيا قد زهدوا فى علمهم لما رأوا من سوء موضعه عندهم (اللهم) فجنبنا طريقة قوم لم يقوموا بحق العلم وأرادوا به الدنيا وأعرضوا عما لهم به فى الآخرة من الدرجة العليا فلم يهنؤا بحلاوته * ولم يتمتعوا بنضارته * بل خلقت عندهم ديباجته * ورثت حاله * وعرف مقداره جماعة من السادة فعظموه وبجلوه ووقروه واستغنوا به ورأوه بعد المعرفة أفضل ماأعطي البشر * واحتقروا فى جنبه كل مفتخر * وتلوا (فما آتانى الله خير مما آتاكم)[1] وكيف لا يكون الامر كذلك والعلم حياة والجهل موت فبينهما كما بين الحياة والموت * ولقد أحسن من قال

وفى الجهل قبل الموت موت لاهله وأجسامهم قبل القبور قبور
وان امرأ لم يحى بالعلم ميت وليس له حتى النشور نشور

وقال اسماعيل بن عبد الله عن عبد الله بن عمر من قرأ القرآن فكأنما أدرجت النبوة بين جنبيه الا أنه لا يوحى اليه ومن قرأ القرآن فرأى ان أحدا من الخلق أعطى أفضل مما أعطى فقد حقر ماعظم الله وعظم ماحقر الله *

(فصل) وصح من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان الله لايقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا » (١) وما أعظم حظ من بذل نفسه وجهدها في تحصيل العلم حفظا على الناس لما بقى فى أيديهم منه فان فى هذه الازمنة قد غلب

١ ـ النمل ٣٦

---

(١) رواه البخارى ومسلم والترمذى وابن ماجه والامام أحمد بن حنبل

على أهلها الكسل والملل وحب الدنيا وقد قنع الحريص منهم من علوم القرآن بحفظ سوره ونقل بعض قراءاته وغفل عن علم تفسيره ومعانيه واستنباط أحكامه الشريفة من مبانيه * واقتصر من علم الحديث على سماع بعض الكتب على شيوخ أكثرهم أجهل منه بعلم الرواية فضلا عن الدراية * ومنهم من قنع بزبالة أذهان الرجال وكناسة أفكارهم وبالنقل عن أهل مذهبه وقد سئل بعض العارفين عن معنى المذهب فاجاب ان معناه : دين مبدل: قال تعالى *(ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا)[1] ألا ومع هذا يخيل اليه انه من رؤوس العلماء وهو عند الله وعند علماء الدين من أجهل الجهل بل بمنزلة قسيس النصارى أوحبر اليهود لان اليهود والنصارى ما كفروا الا بابداعهم فى الاصول والفروع * وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم « لتركبن سنن من كان قبلكم »[1] الحديث

(فصل) والعلم بالاحكام واستنباطها كان أولا حاصلا للصحابة رضى الله عنهم فمن بعدهم فكانوا اذا نزلت بهم النازلة بحثوا عن حكم الله تعالى فيها من كتاب الله وسنة نبيه وكانوا يتدافعون الفتوى ويود كل منهم لو كفاه اياها غيره * وكان جماعة منهم يكرهون الكلام فى مسألة لم تقع ويقولون للسائل عنها أكان ذلك فان قال لا قالوا دعه حتى يقع ثم نجتهد فيه * كل ذلك يفعلونه خوفاً من الهجوم على مالا علم لهم به واشتغالا بما هو الاهم من العبادة والجهاد فاذا وقعت المسألة لم يكن بد من النظر فيها * قال الحافظ البيهقي وقد كره بعض السلف للعوام المسألة عما لم يكن ولم يمض به كتاب ولا سنة * وكرهوا للمسئول الاجتهاد فيه قبل أن يقع لان الاجتهاد انما أبيح للضرورة ولا ضرورة قبل الواقعة فلا يغنيهم ما مضى من الاجتهاد واحتج فى ذلك بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم « من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه »[2] وعن طاوس قال قال عمر بن الخطاب رضى الله

[1] - الروم ٣١ - ٣٢

---

(١) وتمامه « شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضب لدخلتموه وحتى لو أن أحدهم جامع امرأته بالطريق لفعلتموه » رواه الحاكم عن ابن عباس

(٢) رواه الترمذى وابن ماجه قال ابن عبد البر هذا الحديث محفوظ عن الزهرى بهذا الاسناد من رواية الثقات

عنه وهو على المنبر احرج الله على كل امرىء مسلم سأل عن شيء لم يكن فانه قد بين ماهو كائن .وفى رواية لا يحل لكم أن تسألوا عما لم يكن فانه قد قضى فيما هو كائن ﴿قلت﴾ وهذا معنى قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا لاتسألوا عن أشياء) [1] الخ وعن عبد الرحمن بن شريح ان عمر بن الخطاب كان يقول اياكم وهذه العضل فانها اذا نزلت بعث الله لها من يقيمها ويفسرها ﴿قلت﴾ انما يضطر الى الاجتهاد فى الاحكام الحكام ولم يأت الاجتهاد لغير الحكام لحديث معاذ ان لم أجد فى كتاب الله تعالى فبسنة رسول الله وان لم أجد فى سنة رسول الله اجتهد برأيي لانه كان حاكما وقوله عليه السلام « أقضى بينكم برأيي فيما لم ينزل على فيه شيء» وهو حاكم وكذلك قوله تعالى (وداود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث) [2] كانا حاكمين فالاجتهاد بمنزلة الميتة قال الثعلبي والشافعي ولا يحل تناولها الا عند المخمصة والذى ليس بحاكم ويجتهد برأيه فمثله كمثل رجل قعد فى بيته ويقول انما جاز أكل الميتة لفلان ويجوز أكلها لى أيضا فكذلك لايجوز لاحد أن يحتج بقول المجتهد لان المجتهد يخطيء ويصيب فاذا كان شيء يحتمل أن يكون صوابا وخطأ فتركه أولى مثل الشبهات من الطعام تركها لها أولى من تناوله (وعن) الصلت بن رشد قال سألت طاووسا عن شيء فقال أكان هذا قلت نعم قال الله الذى لا اله الا هو قلت الله الذى لااله الا هو قال ان أصحابنا حدثونا عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال ياأيها الناس لاتعجلوا بالبلاء قبل نزوله فيذهب بكم ههنا وههنا وان لم تعجلوا قبل نزوله لم ينفك المسلمون أن يكون فيهم من اذا سئل سدد * وعن النبي صلى الله عليه وسلم « لا تستعجلوا بالبلية قبل نزولها فانكم اذا فعلتم ذلك لايزال منكم من يوفق ويسدد وانكم ان استعجلتم بها قبل نزولها تفرقتم » وكان ابن عمر اذا سئل عن الفتوى يقول اذهب الى هذا الامير الذى تقلد أمور الناس وضعها فى عنقه اشارة الى أن الفتوى والقضايا والاحكام من توابع الولاية والسلطنة (قلت) بهذا السبب أخذوا سنن اليهود والنصارى وزادوا عليهم حتى صاروا اثنتين وسبعين فرقة وحكم عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم من أصحاب النار كما شهد للعشرة بانهم من أصحاب الجنة . وقال مسروق سألت أبيّ بن كعب

١ ـ المائدة ١٠١
٢ ـ الأنبياء ٧٨

عن شيء قال أكان بعد قلت لا قال فاصبر حتى يكون فاذا كان اجتهدنا لك رأينا.
وقال عبد الرحمن ابن أبي ليلى أدركت مائة وعشرين من الانصار من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم مامنهم أحد يحدث بحديث الا ود أن أخاه كفاه اياه ولا يستفتي عن شيء الا ود أن أخاه كفاه اياه .وفي رواية يسأل أحدهم المسألة فيردها هذا الى هذا حتي ترجع الى الاول * ثم بعد الصحابة أراد الله أن يصدق نبيه فى قوله « تفترق أمتى على بضع وسبعين فرقة أعظمها فرقة على أمتي قوم يقيسون الامور برأيهم فيحللون الحرام ويحرمون الحلال » رواه البزار في مسنده عن جبير ابن نفير عن عوف بن مالك الاشجعى عنه صلى الله عليه وسلم فكثرت الوقائع والنوازل فى التابعين ومن بعدهم واجتهدوا بآرائهم لمن اضطر ومن لم يضطر ووصلت الى من بعدهم من الفقهاء ففرعوا عليها وقاسوا واجتهدوا فى الحاق غيرها بها فتضاعفت مسائل الفقه وشككهم ابليس ووسوس فى صدورهم * واختلفوا اختلافا كثيرا من غير تقليد * فقد نهى امامنا الشافعى عن تقليده وتقليد غيره كما سنذكره فى فصل وكانت تلك الازمنة مملوءة بالمجتهدين فكل صنف على مارأى وتعقب بعضهم بعضا مستمدين من الاصلين الكتاب والسنة وترجيح الراجح من أقوال السلف المختلفة بغير هوى ولم يزل الامر على ماوصفت الى أن استقرت المذاهب المدونة * ثم اشتهرت المذاهب الاربعة وهجر غيرها فقصرت همم أتباعهم الا قليلا منهم فقلدوا بعد ما كان التقليد لغير الرسل حراما بل صارت أقوال أئمتهم عندهم بمنزلة الاصلين وذلك معنى قوله تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله)[1] فعدم المجتهدون وغلب المقلدون وكثر التعصب وكفروا بالرسول حيث قال « يبعث الله فى كل مائة سنة من ينفى تحريف الغالين وانتحال المبطلين »[(1)] وحجروا على رب العالمين مثل اليهود أن لا يبعث بعد

١ - التوبة ٣١

(١) قال المؤلف في كتابه الباعث على انكار البدع والحوادث ما نصه : روى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مرسلا ومرفوعا من حديث أبى هريرة وعبد الله بن عمرو بن العاص وغيرهما رضى الله عنهم « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين » ولعله هنا نقله بمعناه دون لفظه

أئمتهم ولياً مجتهداً حتى آل بهم التعصب الى أن أحدهم اذا أورد عليه شيء من الكتاب والسنة الثابتة على خلافه يجتهد فى دفعه بكل سبيل من التأويل البعيدة نصرة لمذهبه ولقوله ولو وصل ذلك الى امامه الذى يقلده لقابله ذلك الامام بالتعظيم وصار اليه وتبرأ من رأيه مستعيذاً بالله من الشيطان الرجيم وحمد الله على ذلك * ثم تفاقم الامر حتى صار كثير منهم لا يرون الاشتغال بعلوم القرآن والحديث ويرون أن ماهم عليه هو الذى ينبغى المواظبة عليه فبدلوا بالطيب خبيثاً وبالحق باطلاً واشتروا الضلالة بالهدي فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين * ثم نبغ قوم آخرون صارت عقيدتهم فى الاشتغال بعلوم الاصلين يرون ان الاولى منه الاقتصار على نكت خلافية وضعوها وأشكال منطقية الفوها وقد قال عمر بن الخطاب اتهموا الرأي على الدين * وقال سهل بن حنيف اتقوا الرأي فى دينكم * وقال عبد الله بن مسعود * يحدث قوم يقيسون الامور برأيهم فيهدم الاسلام (قلت) ما عبدت الشمس والقمر الا بالرأى ولا قالت النصارى ثالث ثلاثة ولا أن الله هو المسيح ابن مريم ولا اتخذ الله ولداً الا بالرأى * وكذلك كل من عبد شيئاً من دون الله انما عبده برأيه فانظر الى قول السامرى (وكذلك سولت لى نفسى)[١] وقال عبد الله بن عمر لا يزال الناس على الطريق ما اتبعوا الاثر * وروى الشعبي عن عبد الله ابن عمر إياكم وأصحاب الرأي فانهم أعداء السنن أعيتهم الاحاديث أن يحفظوها فقالوا بالرأى فضلوا وأضلوا : وقال الاوزاعى عليك بآثار من سلف وان رفضك الناس واياك ورأى الرجال وان زخرفوه لك بالقول وقال أيضاً اذا بلغك عن رسول الله حديثاً فاياك أن تقول بغيره فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مبلغاً عن الله تبارك وتعالى * وقال أيضاً العلم ماجاء عن أصحاب محمد ومالم يجيء عن أصحاب محمد فليس بعلم يعنى مالم يجيء أصله منهم * وقال الشعبي اذا جاءك الخبر عن أصحاب محمد فضعه علي رأسك * واذا جاءك عن التابعين فاضرب به أقفيتهم وقال سفيان الثورى العلم كله بالآثار * وقال ابن المبارك ليكن الذى تعتمد عليه الاثر وخذ من الرأى مايفسر لك الحديث * وقال أحمد بن حنبل سألت الشافعي عن القياس فقال عند الضرورات فكان أحسن أمر الشافعي عندي انه اذا سمع

[١] طه ٩٦

الخبر لم يكن عنده قال به وترك قوله * وقال الشعبي القياس كالميتة اذا احتجت اليها فشأنك بها * قلت ما أحسن قول القائل

تجنب ركوب الرأى فالرأي ريبة عليك بآثار النبي محمد
فمن يركب الآراء يعم عن الهدى ومن يتبع الآثار يهدى ويحمد

﴿وقول بعض المغاربة﴾

لاترغبن عن الحديث وأهله فالرأى ليل والحديث نهار

﴿وقول القائل﴾

انظر بعين الهدى ان كنت ذا نظر فانما العلم مبنى على الاثر
لاترض غير رسول الله متبعا مادمت تقدر فى حكم على خبر

ولم يختلف المفسرون فيما وقفت عليه من كتبهم فى ان قوله تعالى (فان تنازعتم فى شيء فردوه الى الله والرسول) تقديره الى قول الله وقول الرسول * فيجب رد جميع ما اختلف فيه الى ذلك فما كان أقرب اليه اعتمد صحته وأخذ به * ولذلك قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ردوا الجهالات الى السنة وفي رواية يرد الناس من الجهالات الى السنة .وهذه كانت طريقة العلماء الاعلام أئمة الدين وهى طريقة امامنا أبى عبد الله الشافعى ولهذا قال ابن حنبل مامن أحد وضع الكتب حتى ظهر خطؤه [1] اتبع للسنة من الشافعى * ثم ان الشافعى رحمه الله احتاط لنفسه وعلم ان البشر لايخلو من السهو والغفلة وعدم الاحاطة فصح عنه من غير وجه انه أمر اذا وجد قوله على مخالفة الحديث الصحيح الذي يصح الاحتجاج به أن يترك قوله ويؤخذ بالحديث * أنبأنا الفاضل أبو القاسم عمن أخبره الحافظ أبو بكر احمد بن الحسين البيهقى أنبأنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب قال سمعت الربيع بن سليمان يقول سمعت الشافعى يقول اذا وجدتم فى كتابى خلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا بسنته ودعوا ماقلت * وقال صاحب الشافعى المزنى فى أول مختصره * اختصرت هذا من علم الشافعى ومن معنى قوله لاقربه على من أراده مع اعلامى نهيه عن تقليده وتقليد غيره لينظر فيه لدينه

١ ـ النساء ٥٩

(١) كذا في الاصل ولعله ثم ظهر خلاف رأيه

ويحتاط فيه لنفسه أى مع اعلامى من أراد علم الشافعى نهى الشافعى عن تقليده وتقليد غيره * قال الماوردى صاحب الحاوى قوله ويحتاط لنفسه أى كطلب السلف الصالح يتبعون الصواب حيث كان ويجتهدون فى طلبه وينهون عن التقليد *

﴿ فصل ﴾ ثم ان المصنفين من أصحابنا المتصفين بالصفات المتقدمة من الاتكال على نصوص امامهم معتمدون عليها اعتماد الائمة قبلهم على الاصلين الكتاب والسنة قد وقع فى مصنفاتهم خلل كثير من وجهين عظيمين (الاول) أنهم يختلفون كثيرا فيما يلقونه من نصوص الشافعى وفيما يصححونه منها وصارت لهم طرق مختلفة خراسانية وعراقية فترى هؤلاء ينقلون عن امامهم خلاف ماينقله هؤلاء والمرجع فى هذا كله الى امام واحد وكتبه مدونة مروية موجودة أفلا كانوا يرجعون اليها وينقون تصانيفهم من كثرة اختلافهم عليها وأجود تصانيف أصحابنا من الكتب فيما يتعلق بنصوص الشافعى كتاب التقريب [1] أثنى عليه أخبر المتأخرين بنصوص الشافعى وهو الامام الحافظ أبو بكر البيهقى ﴿ الوجه الثانى ﴾ مايفعلونه فى الاحاديث النبوية والآثار المروية من كثرة استدلالهم بالاحاديث الضعيفة على مايذهبون اليه نصرة لقولهم وينقصون من الفاظ الحديث وتارة يزيدون فيه وما أكثره فى كتب أبى المعالى وصاحبه أبى حامد نحو اذا اختلف المتبايعان وترادا ومن العجيب ماذكره صاحب المهذب فى أول باب ازالة النجاسة قال وأما الغائط فهو نجس لقوله صلى الله عليه وسلم لعمار انما تغسل ثوبك من الغائط والبول والمنى والدم والقيء ثم ذكر طهارة منى الآدمى ولم يتعرض للجواب عن هذا الحديث الذى هو حجة خصمه ولم يكن له حاجة الى ذكره أصلا فان الغائط لاضرورة الى الاستدلال على نجاسته بهذا الحديث الضعيف المنتهض حجة عليه فى أمر آخر ومن قبيح مايأتى به بعضهم أن يحتج بخبر ضعيف هو دليل خصمه عليه فيوردونه معرضين عما كانوا ضعفوه وفى كتاب الحاوي والشامل وغيرهما شىء كثير من هذا وهم مقلدون لامامهم الشافعى فهلا اتبعوا طريقته فى ترك الاحتجاج

(١) للشيخ الامام قاسم بن محمد القفال الشاشى قال ابن خلكان هو أجل كتب الشافعية بحيث يستغنى من هو عنده عن غيره اهـ

بالضعيف وتعقبه على من احتج به وتبيين ضعفه * ثم ان مذهبه ترك الاحتجاج بالمراسيل الا بشروط ولو ذكر سند الحديث وعرفت عدالة رجاله الى التابعى وسقط من السند ذكر الصحابي كان مرسلا ويورد هؤلاء المصنفون هذه الاحاديث محتجين بها بلا اسناد أصلا فيقولون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويظنون ان ذلك حجة وأمامهم يري أنه لوسقط من السند الصحابي وحده لم يكن حجة وكذا لو سقط غير الصحابى من السند فليتهم اذ عجزوا عن أسانيد الاحاديث ومعرفة رجالها عزوها الى الكتب التى أخذوها منها ولكنهم لم يأخذوا تلك الاحاديث الا من كتب من سبقهم من مشايخهم ممن هو على مثل حالهم فبعضهم يأخذه من بعض فيقع التغيير والزيادة والنقصان فيما صح أصله ويختلط الصحيح بالسقيم وهذا كله غير مستقيم بل الواجب فى الاستدلال على الاحكام وبيان الحلال والحرام ان من يستدل بحديث يذكر مستنده ويتكلم عليه بما يجوز الاستدلال به أو يعزوه الى كتاب مشهور من كتب أهل الحديث المعتبرة فيرجع من يطلب صحة الحديث وسقمه الى ذلك الكتاب وينظر فى سنده وماقال ذلك المصنف أوغيره فيه * وقد يسر الله تعالى وله الحمد الوقوف على مايثبت من الاحاديث وتجنب ماضعف منها بما جمعه علماء الحديث فى كتبهم من الجوامع والمسانيد فالجوامع هى المرتبة على الابواب من الفقه والرقائق والمناقب وغير ذلك فمنها ما اشترط فيه الصحة اذ لايذكر فيه الا حديث صحيح على ماشرطه مصنفه ككتابى البخارى ومسلم وما ألحق بهما واستدرك عليهما وكصحيح امام الائمة محمد بن اسحق بن خزيمة وكتاب أبى عيسى الترمذى وهو كتاب جليل مبين فيه الحديث الصحيح والحسن والغريب والضعيف وفيه عن الائمة فقه كثير * ثم سنن أبى داود والنسائى وابن ماجه ومن بعدهم سنن أبى الحسن الدارقطنى والتقاسيم لابى حاتم بن حبان وغيرهما * ثم مارتبه وجمعه الحافظ أبو بكر البيهقى فى سننه الكبري من الاوسط والصغير التي أتى بها على ترتيب مختصر المزنى وقربها الى الفقهاء بجهده فلا عذر لهم ولاسيما الشافعية منهم فى تجنب الاشتغال بهذه الكتب النفيسة المصنفة فى شروحها وغريبها بل أفنوا زمانهم وعمرهم بالنظر فى أقوال من سبقهم من المتأخرين

وتركوا النظر فى نصوص نبيهم المعصوم من الخطأ وآثار أصحابه الذين شهدوا الوحى وعاينوا المصطفى صلى الله عليه وسلم وفهموا مراد النبي فيما خاطبهم بقرائن الاحوال اذ ليس الخبر كالمعاينة فلا جرم لو حرم هؤلاء رتبة الاجتهاد وبقوا مقلدين *

وقد كانت العلماء في الصدر الاول معذورين فى ترك ما لم يقفوا عليه من الحديث لان الاحاديث لم تكن حينئذ فيما بينهم مدونة انما كانت تتلقى من أفواه الرجال وهم متفرقون فى البلاد ولو كان الشافعي وجد فى زمانه كتابا فى أحكام السنن أكبر من الموطأ لحفظه مضافا الى ماتلقاه من أفواه مشايخه فلهذا كان الشافعي بالعراق يقول لاحمد بن حنبل أعلمونى بالحديث الصحيح أصر اليه * وفى رواية اذا صح الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا حتى اذهب اليه * ثم جمع الحفاظ الاحاديث المحتج بها فى الكتب ونوعوها وقسموها وسهلوا الطريق اليها فبوبوها وترجموها و بينوا ضعف كثير منها وصحته وتكلموا فى عدالة الرجال وجرح المجروح منهم وفى علل الاحاديث ولم يدعوا للمشتغل شيئا يتعلل به * وفسروا القرآن والحديث وتكلموا على غريبها وفقهها وكل ماينعلق بهما من مصنفات عديدة جليلة فالآلات متهيئة لطالب صادق ولذى همة وذكاء وفطنة * وأئمة الحديث هم المعتبرون القدوة فى فنهم فوجب الرجوع اليهم فى ذلك وعرض آراء الفقهاء على السنن والآثار الصحيحة فما ساعده الاثر فهو المعتبر والا فلا نبطل الخبر بالرأى ولا نضعفه ان كان على خلاف وجوه الضعف من علل الحديث المعروفة عند أهله أو باجماع الكافة على خلافه فقد يظهر ضعف الحديث وقد يخفى وأقرب مايؤمر به فى ذلك انك متى رأيت حديثا خارجا عن دواوين الاسلام كالموطأ ومسند أحمد والصحيحين وسنن أبى داود والترمذى والنسائى ونحوها مما تقدم ذكره ومما لم نذكره فانظر فيه فان كان له نظير فى الصحاح والحسان قرب أمره * وان رأيته يباين الاصول وارتبت به فتأمل رجال اسناده واعتبر أحوالهم من الكتب المصنفة فى ذلك وأصعب الاحوال أن يكون رجال الاسناد كلهم ثقات ويكون متن الحديث موضوعا عليهم أو مقلوبا أوقد جرى فيه تدليس ولا يعرف هذا الا النقاد من علماء الحديث فان كنت من أهله فبها والا فاسأل عنه أهله * قال الاوزاعى كنا نسمع

الحديث فنعرضه على أصحابنا كما نعرض الدرهم الزيف فما عرفوا منه أخذناه وما أنكروا تركناه * فالتوصل الى الاجتهاد بعد جمع السنن فى الكتب المعتمدة اذا رزق الانسان الحفظ والفهم ومعرفة اللسان أسهل منه قبل ذلك لولا قلة همم المتأخرين وعدم المعتبرين ومن أكبر أسباب تعصبهم تقيدهم برفق الوقوف وجمود أكثر المتصدرين منهم على ماهو المعروف الذى هو منكر مألوف *

﴿ فصل ﴾ فاذا ظهر هذا وتقرر تبين ان التعصب لمذهب الامام المقلد ليس هو باتباع أقواله كلها كيفما كانت بل الجمع بينهما وبين ماثبت من الاخبار والآثار والامر عند المقلدين أو أكثرهم بخلاف هذا انما هم يؤولونه تنزيلا على نص امامهم ثم الشافعيون كانوا أولى بما ذكرناه لنص امامهم على ترك قوله اذا ظفر بحديث ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على خلافه فالتعصب له على الحقيقة انما هو امتثال أمره فى ذلك وسلوك طريقته فى قبول الاخبار والبحث عنها والتفقه فيها وقد نقلت ماروى عنه فى ترجمته فى تاريخ دمشق قال الربيع قال الشافعى قد أعطيتك جملة تغنيك ان شاء الله تعالى لاتدع لرسول الله حديثا أبدا الا أن يأتي عن رسول الله سنة صح الخبر فيها عند أهل النقل بخلاف ماقلت فتعمل بما قلت لك فى الاحاديث اذا اختلفت * وفى رواية اذا وجدتم عن رسول الله سنة خلاف قولى فخذوا السنة ودعوا قولى فانى أقول بها * وفي رواية اذا وجدتم فى كتابي خلاف سنة رسول الله دعوا ماقلت * وفى رواية كل مسألة تكلمت فيها بخلاف السنة فأنا راجع عنها فى حياتى وبعد مماتى * قال وسمعت الشافعى يقول وروى حديثا قال له رجل تأخذ بهذا ياأبا عبد الله فقال ومتى رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا صحيحا فلم آخذ به فأشهدكم ان عقلى قد ذهب وأشار بيده الى رأسه : وفى رواية روى حديثا فقال له قائل أتأخذ به فقال له أترانى مشركا أو ترى فى وسطى زنارا أو ترانى خارجا من كنيسة نعم آخذ به آخذ به آخذ به وذلك الفرض على كل مسلم * وقال حرملة (قال الشافعى) كل ما قلت وكان قول رسول الله صلى الله عليه وسلم خلاف قولى مما يصح فحديث النبى صلى الله عليه وسلم أولى ولا تقلدونى * وفى كتاب ابن أبى حاتم عن أبى ثور قال سمعت الشافعى

يقول * كل حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم فهو قولي وان لم تسمعوه مني *
وفيه عن الحسين الكرابيسي قال قال لنا الشافعي ان أصبتم الحجة في الطريق
مطروحة فاحكوها عني فاني القائل بها [١] وقال الربيع سمعت الشافعي يقول
ما من أحد الا وتذهب عليه سنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعزب عنه
فمهما قلت من قول أو أصلت من أصل فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
خلاف ماقلت فالقول ماقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قولي : قال وجعل
يردد هذا الكلام قال وقال الشافعي من تبع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وافقته ومن غلط فتركها خالفته صاحبي اللازم الذي لا أفارقه الثابت عن رسول الله *
وقال الزعفراني كنا لو قيل لنا سيان عن منصور عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله
عن النبي صلى الله عليه وسلم قلنا هذا مأخوذ وهذا غير مأخوذ حتى قدم علينا
الشافعي فقال ماهذا اذا صح الحديث عن رسول الله فهو مأخوذ به لا يترك لقول
غيره قال فنبهنا لشيء لم نعرفه يعني نبهنا لهذا المعنى * قال أبو بكر الاثرم كنا
عند البويطي فذكرت حديث عمار في التيمم فأخذ السكين وحته من كتابه وجعله
ضربة وقال هكذا أوصانا صاحبنا اذا صح عندكم الخبر فهو قولي * قال المؤلف *
قلت هذا من البويطي فعل حسن موافق للسنة ولما أمر به امامه * وأما الذين
يظهرون التعصب لاقوال الشافعي كيفما كانت وان جاءت سنة بخلافها فليسوا متعصبين
في الحقيقة لانهم لم يمتثلوا ما أمر به امامهم بل دأبهم وديدنهم اذا ورد عليهم الحديث
الصحيح الذي هو مذهب امامهم والذي لو وقف عليه لقال به أن يحتالوا في دفعه
بمالا ينفعهم لما نقل لهم عن امامهم من قول قد أمر بتركه عند وجدان ما يخالفه
من السنة هذا مع كونهم عاصين بذلك لمخالفتهم ظاهر كتاب الله وسنة رسوله *
والعجب ان منهم من يستجيز مخالفة نص الشافعي لنص له آخر في مسئلة أخري
بخلافه ثم لا يرون مخالفته لاجل نص رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أذن
لهم الشافعي في هذا * قال البويطي سمعت الشافعي يقول لقد ألفت هذه الكتب
ولم آل فيها جهداً ولا بد أن يوجد فيها الخطأ لان الله تعالى يقول (ولو كان من

---

(١) يشير الى قول : الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها التقطها

عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) فما وجدتم فى كتبي هذه مما يخالف الكتاب والسنة فقد رجعت عنه * وفى رواية اني ألفت هذه الكتب مجتهداً بنحو ما قبله وفى آخره فاشهدوا علي انى راجع عن قولى الى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وان كنت قد بليت فى قبرى * وقال ابراهيم بن المنذر الحزامى حدثنا معن بن عيسى القزاز قال سمعت مالكا يقول انما أنا بشر أخطئ وأصيب فانظروا فى رأيى فكل ماوافق الكتاب والسنة فخذوا به وما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه * وذلك الظن بجميع الأئمة وقد كره الامام أحمد أن يكتب فتاويه وكان يقول لاتكتبوا عنى شيئا ولا تقلدونى ولا تقلدوا فلانا وفلانا وخذوا من حيث أخذوا * وقال بعضهم لاتقلدوا دينكم الرجال ان آمنوا آمنتم وان كفروا كفرتم وكان أحمد لا يفتى فى طلاق السكران شيئا ويقول ان أحللناه بقول هذا حرمناه بقول هذا * وقال نعيم بن حماد سمعت أبا عصمة يقول سمعت أبا حنيفة يقول ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس والعين وما جاء عن أصحابه اخترنا وما كان من غير ذلك فنحن رجال وهم رجال * وروى محمد بن الحسن عن أبي حنيفة انه قال أقلد من كان من القضاة من الصحابة كابى بكر وعمر وعثمان وعلى والعبادلة الثلاثة ولا أستجيز خلافهم برأيى الا ثلاثة نفر وفى رواية أقلد جميع الصحابة ولا استجيز خلافهم برأيي الا ثلاثة نفر : أنس بن مالك وأبو هريرة وسمرة بن جندب : فقيل له فى ذلك فقال أما أنس فاختلط فى آخر عمره وكان يفتى من عقله وأنا لاأقلد عقله * وأما أبو هريرة فكان يروى كل ماسمع من غير أن يتأمل فى المعنى ومن غير أن يعرف الناسخ والمنسوخ [1]

(١) قال في مرآة الوصول وشرحها مرقاة الاصول ــ من أصول الحنفية رحمهم الله فى بحث حال الراوى .وهو ان عرف بالرواية فان كان فقيها تقبل منه الرواية مطلقا سواء وافق القياس أو خالفه وان لم يكن فقيها كابى هريرة وأنس رضى الله عنهما فترد روايته ان لم يوافق الحديث الذى رواه قياسا انتهى بحروفه ☆ ولابن القيم في أعلام الموقعين بحث كبير في أنه ليس في الشريعة شيء على خلاف القياس فراجعه *لم يذكر السبب المانع من أخذه عن سمرة ابن جندب قال الامام تقى الدين ابن السبكى وزعمهم ان أبا هريرة ليس بفقيه كلام تقشعر منه الجلود بل هو فقيه كبير

وقال ابن المبارك سمعت أبا حنيفة يقول اذا جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس واذا جاء عن أصحابه نختار من قولهم واذا جاء عن التابعين زاحمناهم * وفى رواية قال آخذ بكتاب الله فان لم أجد فبسنة رسول الله فان لم أجد في كتاب الله وسنة رسول الله آخذ بقول أصحابه ثم آخذ بقول من شئت منهم وأدع قول من شئت منهم ولا أخرج عن قولهم الى قول غيرهم فأما اذا انتهى الامر الى ابراهيم والشعبي وابن سيرين والحسن وعطاء وسعيد بن المسيب وعد رجالا من التابعين فقوم اجتهدوا وأنا أجتهد كما اجتهدوا * قال سفيان الثورى لما بلغه ذلك عن أبي حنيفة نتهم رأينا لريهم وكان سوى بين الصحابة والتابعين فى أنهم اذا أجمعوا فى مسألة على قولين مثلا لم يجز احداث قول ثالث وجوز أبو حنيفة ذلك وأماما أجمع عليه الصحابة فلا كلام فى انه لاتجوز مخالفته فقد وضح لك من أقوال الائمة انه متى جاء حديث ثابت صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فواجب المصير الى مادل عليه الظاهر مالم يعارضه دليل آخر وهذا هو الذى لايسع أحداً غيره قال الله عز وجل (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما)[1] فنفى سبحانه الايمان عمن لم يحكم رسوله فيما وقع التنازع فيه ولم يستسلم لقضائه وقال عز وجل (وان تطيعوه تهتدوا)[2] فضمن الهداية سبحانه فى طاعة رسوله ولم يضمنها فى طاعة غيره وقال تعالى (ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما)[3] وأوعد على مخالفته فقال تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) وقال تعالى (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا)[4] قال يونس بن عبد الاعلى حدثنا سفيان بن عيينة عن أبى نجيح عن مجاهد قال ليس من أحد الا يؤخذ من قوله ويترك الا النبي صلى الله عليه وسلم * وروى أيضا عن مجاهد باسناد آخر وروى معناه عن الشعبي وكذلك روى شعبة عن الحكم بن عتيبة وروى عن مالك بن أنس انه قال الا صاحب هذا القبر وأشار الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم *

١ ـ النساء ٦٥
٢ ـ النور ٥٤
٣ ـ الأحزاب ٧١
٤ ـ الأحزاب ٣٦

﴿ فصل ﴾ كان العلماء من قدماء أصحابنا يعتنون بمختصر المزني وبسببه سهل تصحيح مذهب الشافعي على طلابه في ذلك الزمان وسمعه عن المزني خلق عظيم من الغرباء ورحل اليه بسببه وامتلأت بنسخه البلدان حتى انه بلغني ان المرأة كانت اذا جهزت للدخول على زوجها حمل في جهازها مصحف ونسخة مختصر المزني * ويروى عن المزني انه قال بقيت في تصنيف هذا المختصر ست عشرة سنة وما صليت لله فريضة ولا نافلة الا سألت الله البركة لمن تعلمه ونظر فيه * وكان أبو العباس ابن سريج يقول في المختصر

لصيق فؤادي مذ ثلاثين حجة ... وصيقل ذهني والمفرج عن همي

عزيز على مثلي اضاعة مثله ... لما فيه من نسج بديع ومن نظم

وعلى ترتيبه وضعت الكتب المطولة في مذهب الشافعي * قال الحافظ البيهقي قابلت بتوفيق الله أقوال كل أحد من الأئمة بمبلغ علمي من كتاب الله ثم ما جمعت من السنن والآثار في الفرائض والنوافل والحلال والحرام والحدود والاحكام فوجدت الشافعي أكثرهم اتباعا وأقواهم احتجاجا وأصحهم قياسا وأوضحهم ارشادا وذلك فيما صنف من الكتب القديمة والجديدة في الاصول والفروع بأبين بيان وأفصح لسان (قلت) ثم اشتهر في آخر الزمان على مذهب الشافعي تصانيف الشيخين أبي اسحق الشيرازي وأبي حامد الغزالي فأكب الناس على الاشتغال بها وكثر المتعصبون لها حتى صار المتبحر المرتفع عند نفسه يرى أن نصوصهما كنصوص الكتاب والسنة لا يرى الخروج عنها وان أخبر بنصوص غيرهما من أئمة مذهبه بخلاف ذلك لم يلتفت اليها وقد يقع في بعض مصنفاتهما ما قد خالف المؤلف فيه صريح حديث صحيح أو ساق حديثا على خلاف لفظه أو نقل اجماعا أو حكماً عن مذهب بعض الأئمة وليس كذلك فان ذكر لذلك المتعصب الصواب في مثل ذلك نادى وصاح وزمجر وأخفى العداوة وكان سبيله أن يفرح بوصوله الى ما لم يكن يعرفه ولكن عمى التقليد أصمه عن سماع العلم المفيد ويقول المتحذلق منهم المتصدر في منصب لا يستحقه أما كان هؤلاء الأئمة يعرفون هذا الحديث الصحيح الوارد على خلاف نصهم فيرد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل هذا الهذيان

الذي لوفكر فيه أسكته عنه لان خصمه فى مثل هذا هو الله ورسوله لان الله تعالى افترض علينا طاعة رسوله فقد وصلنا الى حديثه فلا نرده بقول أحد * ثم إن فى ذلك ابطالا لمذهبه وهدما لاصله الذي مهده امامه وأسسه وذلك ان الشافعي انما تعصب على من كان قبله من الائمة بمثل ذلك من دلالات الكتاب والسنة مما ظنه خفى على من سبقه وكان من الممكن أن يقال له أما كان أولئك يعرفون هذا وأولئك المتقدمون أولى بذلك من المتأخرين فلو سمع مثل هذا الهذيان لبطلت المذاهب بل ينبغي للطالب أن يكون أبدا فى طلب ازدياد علم ما لم يعلمه من أى شخص كان فالحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها أخذها وعليه الانصاف وترك التقليد واتباع الدليل فكل أحد يخطىء ويصيب الا من شهدت له الشريعة بالعصمة وهو النبي صلي الله عليه وسلم * قال الشافعي فى كتاب اختلاف الحديث حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن سالم بن عبدالله بن عمر ان عمر بن الخطاب نهى عن التطيب قبل زيارة البيت وبعد الجمرة قال سالم فقالت عائشة طيبت رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى هاتين لاحرامه قبل أن يحرم ولحله قبل أن يطوف بالبيت وسنة رسول الله أحق قال الشافعي فترك سالم قول جده عمر فى امامته وقبل قول عائشة وسنة رسول الله أحق وذلك الذي يجب عليه (قلت) وما زال أكابر الصحابة مثل أبي بكر الصديق ومن بعده يخفى عليهم شيء من السنة كميراث الجدة وتوريث المرأة من دية زوجها ووضع اليدين على الركبتين فى الصلاة خفى الاول على أبي بكر والثانى على عمر والثالث على ابن مسعود حتى نبههم علي ذلك غيرهم ولذلك أمثلة كثيرة (ومن العجب) ان كثيرا منهم اذا ورد على مذهبه أثر عن بعض أكابر الصحابة يقول مبادرا بلا حياء ولا حشمة مذهب الشافعي الجديد ان قول الصحابي ليس بحجة ويرد قول أبي بكر وعمر ولا يرد قول أبي اسحق والغزالي ومع هذا يرون مصنفات أبي اسحق وغيره مشحونة بتخطئة المزنى وغيره من الاكابر فيما خالفوا فيه مذهبهم فلا نراهم ينكرون شيئا من هذا فان اتفق أنهم سمعوا أحدا يقول أخطأ الشيخ أبو اسحق فى كذا بدليل كذا وكذا انزعجوا وغضبوا ويرون أنه ارتكب كبيرا من الاثم فان كان الامر كما ذكروا فالامر الذى ارتكبه أبو اسحاق

أعظم فما بالهم لا ينكرون ذلك ولا يغضبون منـه لولا قلة معرفتهم وكثرة جهلهم بمراتب السلف

﴿ فصل ﴾ قد تقدم ان الشافعي بنى مذهبه بناء محكما وذلك أنه كان اعتماده على كتاب الله وسنة رسوله والنظر الصحيح من الاجتهاد الراجع الى الكتاب والسنة وترجيح أشبه المذاهب بالكتاب والسنة وهذا هو الاصل الصحيح القوي الذي يتم البناء عليه الا أنه قد يعرض له ما يعرض لغيره من البشر ممن ليس بمعصوم من الغفلة والنسيان فاحالنا تصريح قوله على أن ما يصح من أقوال النبي صلى الله عليه وسلم فهو مذهبه فلم يترك لعائب عيبا ولا لمنتقد من حساده انتقادا فرضي الله عنه * ولهذا قال بعض العلماء لولا الشافعي لغير أصحاب الرأى ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم *

﴿ فصل ﴾ هذه الفصول التي ذكرناها حسنة كثيرة الفوائد مجموعة من عدة مصنفات ينبغي لكل من يعتني بالعلم النظر فيها والاطلاع عليها وقد رأيت ان أختمها بفصل هو أهمها وأجلها وأعمها نفعا وأولاها ذكرا وهو ما اعتنى ببيانه الامام أبو حامد رحمه الله في كتاب الاحياء من نصح أهل العلم وبيان العلوم النافعة والتحذير من العلوم الضارة حيث قال (أدلة الطريق هم العلماء الذين هم ورثة الانبياء وقد شغر عنهم الزمان ولم يبق الا المترسمون وقد استحوذ عليهم الشيطان واستغواهم الطغيان وأصبح كل واحد بعاجل حظه مشغوفا فصار يري المعروف منكرا والمنكر معروفاً حتى ظلَّ علم الدين مندرسا ومنار الهدي في أقطار الارض منطمسا ولقد خيلوا الى الخلق انه لا علم الا فتوي حكومة يستعين بها القضاة على فصل الخصام عند تهارش الطغام أو جدل يتذرع به طالب المباهاة الى الغلبة والافحام أو سجع مزخرف يتوصل به الواعظ الى استدراج العوام اذ لم يروا ما سوى هذه الثلاثة مصيدة للحرام وشبكة للحطام * فاما علم طريق الآخرة وما درج عليه السلف الصالح مما سماه الله تعالي في كتابه فقها وحكمة وعلما وضياء ونورا وهداية ورشدا فقد أصبح بين الخلق مطويا وصار نسيا منسيا) ثم أثنى على علم المعاملة وقال (هو علم أحوال القلب كالصبر والشكر والخوف والرجاء والرضاء والزهد

والتقوى والقناعة والسخاء وحسن الخلق والصدق والاخلاص وما يذم كالغل والحقد والحسد والغش والكبر والرياء والبخل والتزين للخلق والمداهنة والخيانة وطول الامل والقسوة وقلة الحياء وقلة الرحمة * فهذه وأمثالها من صفات القلب مغارس الفواحش والاخلاق المحمودة منبع الطاعات) الى أن قال (ولا ينبغى أن يغتر الانسان بقول سفيان تعلمنا العلم لغير الله فأبى أن يكون الا لله وكان علمهم علم الكتاب والسنة وان الفقهاء يتعلمون لغير الله لان مايشتغلون به غير مأمورين به * وانظر الى أعمار الاكثرين منهم واعتبرهم فانهم ماتوا وهم هلكى على طلب الدنيا وليس الخبر كالمعاينة) وقال أبو سليمان الخطابى دع الراغبين فى صحبتك والتعلم منك فليس لك منهم مال ولا جمال * اخوان العلانية أعداء السر اذا لقوك تملقوا لك واذا غبت عنهم سلقوك * من اتاك منهم كان عليك رقيبا واذا خرج كان عليك خطيبا * أهل نفاق ونميمة وغل وحقد وخديعة * ولا تغتر باجتماعهم عليك فما غرضهم العلم بل الجاه والمال وأن يتخذوك سلما الى أوطارهم وحمارا الى حاجاتهم ان قصرت فى غرض من أغراضهم كانوا أشد الاعداء عليك * ثم يعدون ترددهم اليك دالة عليك ويرونه حقا واجبا عليك ويفرضون لك أن تبذل عرضك ودينك وجاهك لهم فتعادي عدوهم وتنصر قريبهم وخادمهم ووليهم وتنتهض لهم سفيها وقد كنت فقيها وتكون لهم تابعا خسيسا بعد أن كنت متبوعا رئيسا * ولذلك قيل (اعتزال العامة مروءة تامة) *

(قال المصنف) وقد رأيت أن أختمه من عبارات أهل المعرفة والتقوي العاملين بالعلم الذى يورث الخوف والهيبة والخشوع والزهد فى الدنيا * روينا عن عبدالله بن حنيف الانطاكى وهو أحد السادة العباد * قال سألت يوسف ابن أسباط هل مع حذيفة المرعشي علم قال معه العلم الاكبر خوف الله * وذكر فى مجلس أحمد بن حنبل معروف الكرخى وقال بعض من حضر هو قليل العلم فقال أحمد وهل يراد من العلم الا ما وصل اليه معروف * وقال عبدالله بن أحمد ابن حنبل ذهب أبي ويحيى بن معين الى معروف فقال ابن معين أيش المعنى فى سجدتي السهو فى الصلاة فقال معروف شرعنا عقوبة للقلب اذا سها

وهو بين يدى الله فقال له أبي ياأبا زكريا هذا من علمك هذا فى كتبك أوكتب أصحابك * وقال الجنيد بن محمد أتدرون مافرض الصلاة قطع العلائق وجمع الهم والحضور بين يدي الله تعالى * قيل له كيف تدخل فى الصلاة قال بالقاء سمع وشهود قلب وحضور عقل وجمع هم وصحة تيقظ وحسن اقبال وتدبر فى ترتيل * وقال أبو حاتم محمد بن ادريس الرازى دخلت دمشق على كتبة الحديث فررت بحلقة قاسم الجرعى فرأيت نفراجلوساحوله وهو يتكلم عليهم فهالني منظرهم فتقدمت اليهم فسمعته يقول * اغتنموا من أهل زمانكم خمسا * ان حضرتم لم تعرفوا وان غبتم لم تفقدوا وان شهدتم لم تشاوروا وان قلتم شيئا لم يقبل قولكم وان عملتم شيئا لم تعطوا به وأوصيكم بخمس أيضا ان ظلمتم لاتظلموا وان مدحتم لاتفرحوا وان ذممتم لاتجزعوا وان كذبتم فلا تغضبوا وان خانوكم فلا تخونوا * قال فجعلت هذا فائدتى من دمشق ﴿ قال المصنف ﴾ رحمه الله تعالى * فهذا وأمثاله هو ثمرة علم العلماء الذين يريدون الله تعالى بطلب العلم النافع جعلنا الله منهم بمنه وفضله وكرمه ووفقنا للسلوك فى منهاجهم برحمته واحسانه والحمد لله رب العالمين * وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين آمين *

﴿تمت الرسالة الثانية بحمد الله تعالى ويتلوها الثالثة بعون الله تعالى وتوفيقه﴾



الرسالة الثالثة

﴿ استخراج الجدال من القرآن الكريم ﴾

(تصنيف الشيخ الامام ناصح الدين أبى الفرج عبد الرحمن الانصارى)

المعروف بابن الحنبلى المتوفي سنة ٦٣٤ هجرية

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم يسر وأعن يا كريم

قال الشيخ الامام ناصح الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب الانصارى بن الحنبلى * الحمد لله الحاوى كتابه أنواع العلوم * الدال أمره على الموجود والمعدوم * المشرف خطابه لذوى العقول والحلوم * الضارب الامثال لارباب الالباب والفهوم * القاضى بالحق والفاصل بين الظالم والمظلوم يوم اجتماع الخصوم * مبرم الامور بقضاء محتوم * منزل الماء بقدر معلوم * ومعلم الانسان البيان فى الامر المظنون والحكم المجزوم * شارع السبيل المأمون من الكتاب المصون على لسان النبي المعصوم * أحمده حمدا غير مبغوض ولا مهضوم * وأؤمن به إيمانا غير مظنون ولا موهوم * وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له شهادة تقى حر نار السموم وتفيء بتكفير ذنب المأثوم * وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الحاكم بشرعه على كل حاكم من البرية ومحكوم * المفضل جسمه على كل مفرد من الخلق وملموم * صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين لا تحصى فضائلهم بمنثور ولا منظوم * ولا تجهل مآثرهم الى يوم الوقت المعلوم *

﴿ وبعد ﴾ فان الفقهاء رضى الله عنهم أرباب النظر والمحررين أدلة العبر قد ألفوا فى مذاهب الجدال ما يتضمن تحرير الاستدلال وتقرير الجواب والسؤال الا أن

الأمر الاصطلاحي منقوض بمثله وربما نسخ اصطلاحا اصطلاح بوعره عند قوم أو بسهله . والمذهب الذى يرسخ ولا ينسخ ويعلو فرعه ويشمخ ما كان مجناه من حبات القلوب * وسقياه من الشراب الطهور المنقى من العيوب * الكاشف لاسرار الغيوب * لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد *

وقد استخرت الله تعالى فى استنباط طريق من طرقه * واسكان بعض القاصدين لهذا الفن غرفة من غرفه * وهذا الكتاب يشتمل على ثمانية أبواب * لكل باب فضل فى فصل الخطاب * ولكنه وقف على ذوى الحلوم والالباب * ومشارع هذه الابواب من الكتاب المعصوم من الزلل والارتياب *

(الباب الاول) فى ذكر الجدل فى الكتاب العزيز والممدوح منه والمذموم (الباب الثانى) أول من سن الجدال (الباب الثالث) جدال الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه للامم (الباب الرابع) ذكر الادلة وأنواعها على وجود الصانع سبحانه (الباب الخامس) ذكر الادلة على أنه واحد (الباب السادس) ذكر أدلة البعث (الباب السابع) ذكر الادلة على رسالة محمد صلى الله عليه وآله وسلم من القرآن العزيز (الباب الثامن) فى السؤال والجواب ونكت من الجدل فهذه ثمانية أبواب * وعلى توفيق الله سبحانه وتعالى الاحالة بالصواب *

﴿ الباب الاول فى ذكر الجدال والحجة ﴾

إعلم أن الله سبحانه ذكر لفظة الجدل وما تصرف منها فى كتابه العزيز فى تسعة وعشرين موضعا ـ ولفظة الحجة وما تصرف منها فى سبعة وعشرين موضعا ولفظة السلطان أيضاً في ثلاثة وثلاثين موضعا الجميع المراد به الحجة سوى موضع واحد فى الحاقة * هلك عنى سلطانيه * وقيل المراد به الحجة فأما الجدل فهو مذموم فى كل موضع ذكر الا فى ثلاثة مواضع (أحدها) فى النحل (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن)[1] (الموضع الثانى) فى العنكبوت (ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن)[2] (الموضع الثالث) فى المجادلة

١ ـ النحل ١٢٥
٢ ـ العنكبوت ٤٦

(قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها ﴾[١] وهذه المرأة هي خولة بنت ثعلبة الانصارية كانت تحت زوجها أوس بن الصامت والقصة مشهورة فإما قوله سبحانه (وجادلهم بالتي هي أحسن)[٢] فيحتمل أن يكون المراد بالاحسن الاظهر من الأدلة . ويحتمل التعجيز عن الاتيان بمثل القرآن لأنه أحسن الأدلة نظاما وبيانا وأكملها حسنا واحسانا وأرجحها من الثواب ميزانا، وأوضحها على اختلاف مدلولاتها كشفا وبرهانا * ويحتمل الاصغاء إلى شبههم والرفق بهم في حلها ودحضها . ويحتمل بترك الغلظة عليهم في حال جدالهم لتكون عليهم الحجة أظهر والجحد منهم أنكد وهى سنة الأنبياء عليهم السلام مع الأمم عند الدعوة والمجادلة . من ذلك لما قالوا لمحمد ﷺ مجنون قال (ومامسنى السوء)[٣] أي جنون من غير ان يقابلهم على ذلك بقول خشن من النخوة العربية والعزة الهاشمية وقالوا لنوح عليه السلام (إن هو إلارجل به جنة فتربصوا به حتى حين . قال رب انصرني بما كذبون)[٤] وقالوا له (إنا لنراك في ضلال مبين قال ياقوم ليس بي ضلالة ولكنى رسول من رب العالمين)[٥] وقالوا لصالح (إن هو إلا رجل افترى على الله كذباً ومانحن له بمؤمنين . قال رب انصرني بما كذبون)[٦] وقالوا لهود (إنا لنراك فى سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين قال ياقوم ليس بى سفاهة ولكنى رسول . من رب العالمين)[٧] فلوقابلهم الأنبياء بغلظة لنفرت طباعهم وانصرفت عقولهم عن التسديد لما قالوا والتدبر لما جاؤا به من البينات فلم تنضح لهم المحجة ولم تقم عليهم الحجة وشاهد هذه الحالة قوله تعالى (واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم)[٨] *

﴿ الباب الثانى ﴾

أول من سن الجدال الملائكة صلوات الله عليهم حيث قالوا (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إنى أعلم مالا تعلمون)[٩] وهذا منهم استدلال بالترجيح والاولوية أى من سبح وقدس لك هو أولى بالايجاد والجعل فيها ممن يفسد فيها ويسفك الدماء وكان جواب الله لهم بالترجيح أيضا من جهة أخرى ولهذا لم يرد عليهم قولهم اذ قد علم سبحانه أن الذى ظنوه

١ ـ المجادلة ١
٢ ـ النحل ١٢٥
٣ ـ الاعراف ١٨٨
٤ ـ المؤمنون ٢٥ ـ ٢٦
٥ ـ الاعراف ٦٠ ـ ٦١
٦ ـ المؤمنون ٣٨ ـ ٣٩
٧ ـ الاعراف ٦٦ ـ ٦٧
٨ ـ البقرة ٢٠٦
٩ ـ البقرة ٣٠

فيهم ووصفوهم به كائن بل عدل الله سبحانه الى أمر مجمل فقال (انى أعلم مالا تعلمون)من ترتيب خلقي وتدبير صنعتي المحوط بالحكمة الدال على القدرة فانى خلقت الملائكة من نور لا ظلمة فيه فكان منهم الخير المحض بارادتي وخلقت الشياطين من ظلمة نار السموم وهو المارج فكان منهم الشر المحض بارادتى وخلقت آدم وذريته من نور وظلمة فكان منهم الخير والشر بارادتي ووضعت فيهم عقلا يرشد الى المصالح ونفسا ميالة الى الهوى المؤذى وأمددت الفريقين بجندين يسوقان العقل والنفس الى ماسبق من التقدير الناشيء عن علم التدبير وكان حكمى فى هذين الفريقين أن من غلب عقله علي هواه فهو من الناجين ومن غلب هواه على عقله فهو من الهالكين وهذا ما اشتمل عليه قوله تعالى (إنى أعلم مالا تعلمون) ومما اشتمل عليه (انى أعلم مالا تعلمون) ان اختلاف الصنايع أول دليل على قدرة الصانع ومما اشتمل عليه (انى أعلم مالا تعلمون) أني ركبت فيهم من الشهوة مالو ركبته فيكم لفعلتم فعلهم أولم تطيقوا صبرهم على أنهم قد أحبونى محبة بذلوا فيها أبدانهم للتمزيق ودماءهم للاراقة وأرواحهم للذهاب ومنهم الصابرون عل أنواع المكاره والصائمون فى الهواجر والعابدون على ضعف القوى . والناهون نفوسهم مع قوة الهوي ويرون ذلك المر حلوا فى رضاى وتسليما لقضائى وقدرى يسابق كل ولى منهم بالعبادة أجله يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة فظهرت حكمة الله عز وجل فى خلقهم ورجحت حجة الله سبحانه عل الملائكة فى قدحهم *

فأما ابليس فهو أول من أظهر الخلاف وركب العناد وسار به في البلاد . والفرق بينه وبين الملائكة أن الملائكة لم يظهر منهم خلاف ولا عصيان بل طلبوا بسؤالهم الايضاح والبيان . وابليس أبى ودل فى مسألته فانقطع فى مجادلته وخسر فى كرته وبيان فساد تعليله . وازاغته عن الصواب فى تأويله . أنه قال (خلقتني من نار وخلقته من طين)[1] ومعناه أن النار جوهر لطيف شفاف له قوة الاشراق وسلطان الاحراق . والطين جسم مظلم كثيف . ليس باللطيف ولا الخفيف . والسجود خدمة يتضمن تعظيم المسجود له والاولى بها الاعلى منهما هذا منتهى كلامه ومضمون قوله وهو مردود عليه من وجوه * منها أنه عارض النص بالقياس

[1] ١ - الاعراف ١٢

وهو فساد فى الاعتبار وعدم استبصار لان العمل بالنص مقدم على القياس لان سهام القياس تصيب مرة وتخطىء أخرى . وكلام المعصوم المنزه عن الغلط والزلل لايخطىء * ومنها أن الماء والتراب والهواء والنار أصول الاجسام ومواد المركبات فلا يقوم جسم الا باجتماعها واذا كانت متكافئة فى التأثير فاختصاص أحدها بالافضلية لادليل عليه * ومنها أن الطين اشتمل على أصلين من الاصول الاربعة وهما الماء والتراب فكيف يكون أصل واحد خيرا من أصلين متكافئين .وعلى تقدير تسليم التفاضل فالماء أفضل لان سلطانه يقهر سلطان النار اذا التقيا * ومنها على تقدير صحة قياسه فالترجيح للسجود من وجهين (أحدهما) أن مصلحة امتثال الامر راجحة على الامتناع لان امتثال الامر أمن من العقاب المرتب على المخالفة (الوجه الثانى)أن الامتناع من السجود بهذا التعليل المذكور من جهته يلزم منه تخطئة الآمر ونسبته الى وضع الشيء فى غير موضعه وذلك فى غاية الجناية على الآله الحكيم . وقد قال بعض المتكلمين ان كل شبهة وقعت فى الملل فاصلها من شبهتى ابليس * قال المصنف بل هى شبهة واحدة مطردة فى كل مذهب فاسد وقد ذكرنا ذلك فى كتاب البروق *

وأما الحجة فهى عبارة عن دليل الدعوي وقد تطلق علي الشبهة أيضا لانها مستند المخالفة . قال الله تعالى (حجتهم داحضة عند ربهم)[1] وقال تعالى (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل)[2] وقوله تعالى (فلله الحجة البالغة)[3] أي الدليل القاطع الذى لا يعارضه معارض وذلك قوله تعالى (وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه)[4] وقد قيل فى قوله تعالى إخبارا عن ابليس (وما كان لى عليكم من سلطان)[5] أي حجة وأنما غرهم بالشبهة فالحجة حقيقة فى الدليل مجاز فى الشبهة *

١ - الشورى ١٦
٢ - النساء ١٦٥
٣ - الأنعام ١٤٩
٤ - الأنعام ٨٣
٥ - إبراهيم ٢٢

الباب الثالث

فى جدال الانبياء عليهم الصلاة والسلام للامم أولهم جدال نوح عليه السلام قال (استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا مالكم لاترجون لله وقارا وقد خلقكم

أطوارا ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا والله أنبتكم من الارض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا والله جعل لكم الارض بساطا لتسلكوا منها سبلا فجاجا)[١] وقال تعالى (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه اني لكم نذير مبين أن لا تعبدوا الا الله انى أخاف عليكم عذاب يوم أليم فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادى الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين)[٢] أجابهم نوح عليه السلام بالحجة العظمى فقال (ياقوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي)[٣] الى هنا هى الحجة العظمى وهذه الحجة العظمى هى التي أضافها الله عزوجل الى نفسه فى قوله (وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه)[٤] وقد أشبعنا القول فيها فى كتاب الحجة العظمى (قالوا يانوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين)[٥]

جدال ابراهيم وحجاجه وله ثلاث مقامات الاول مع نفسه . الثانى مع أبيه . الثالث مع نمرود وقومه ﴿ الاول ﴾ رأى كوكبا قال هذا ربى الى آخر القصة . وجه استدلاله أنه رأى انارة الكوكب وحسنه وعلومكانه ولم ير قبله مثله فقال هذا ربى بناء على أن الرب لاينبغى أن يكون له مثل فلما أفل أدرك نقصه وعيبه لان الافول تغير والتغير حدوث والكامل لايجوز عليه الحدوث لانه صانع الحدوث وطرد القياس فى الاثبات والنفى على باقي الكواكب بالاعتبار الاول ومن حيث علم أنها مكونة مصنوعة علم أنها لا بد لها من صانع هو أكمل منها فقال (وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض)[٦] ليدخل فى ذلك الكواكب التى اعترضته فى طريق الاستدلال ﴿ المقام الثانى مع أبيه ﴾ قال الله تعالى (واذكر فى الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا اذ قال لابيه ياأبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا ياأبت انى قد جاءنى من العلم مالم يأتك فاتبعنى أهدك صراطا سويا ياأبت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا يا أبت انى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا قال أراغب أنت عن آلهتى ياابراهيم لئن لم تنته لارجمنك واهجرنى مليا)[٧] فكان جواب أبيه جواب جاهل لانه قابله على نصحه له بالرجم والهجر أشبه جواب قومه (وما كان جواب قومه الا أن قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم)[٨] ﴿ المقام الثالث ﴾ مع النمرود وقومه وهو

١ ـ نوح ١٠ ـ ٢٠
٢ ـ هود ٢٥ ـ ٢٧
٣ ـ هود ٦٣
٤ ـ الأنعام ٨٣
٥ ـ هود ٣٢
٦ ـ الأنعام ٧٩
٧ ـ مريم ٤١ ـ ٤٦
٨ ـ الأنبياء ٦٨

قوله تعالى (ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك اذ قال ابراهيم ربى الذى يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لايهدى القوم الظالمين)[1] فالصادر من خصمه معارضة الا أنها فاسدة لان حقيقة الاحياء والامانة التى فسرها خصمه غير الذي قصده ابراهيم فلا يخلو حال نمرود اما أن يكون ملفهم حقيقة الاحياء والامانة أوفهم الا أنه قصد المصادمة والمباهتة وكلاهما يوجب العدول الى دليل يفضح معارضته ويقطع حجاجه ومتى كان الخصم بهذه الصفة جاز لخصمه الانتقال الى دليل آخر أقرب الى الفهم وأفلج للحجة وسيأتى نظيره فى قصة موسى عليه السلام قال الله تعالى (وحاجه قومه قال أتحاجونى فى الله وقد هدانى)[2] وذكر الحجة العظمى فقال وكيف أخاف الى قوله (فأي الفريقين أحق بالامن)[3] وقد شرحنا هذا فى كتاب الحجة العظمى * فان قيل ما الحكمة انه جادل الملك بالاحياء والامانة والاتيان بالشمس من المشرق وكل ذلك يمكن دعوى المعارضة له والكلام عليه ولم يدعه بالحجة العظمى وجادل قومه بالحجة العظمى فالجواب أن الملك كان يدعى الربوبية فلا يقال انه لايخلوا اما أن يكون لنا إله أولا بخلاف حال قومه فانهم لم يدعوا ربوبية

﴿ جدال موسى عليه السلام ﴾ قال الله سبحانه (فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين)[4] الى أن قال سبحانه (قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين قال لمن حوله ألا تستمعون قال ربكم ورب آبائكم الاولين قال ان رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون قال لئن اتخذت إلها غيري لاجعلنك من المسجونين قال أولو جئتك بشيء مبين قال فأت به ان كنت من الصادقين فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين)[5] والاشارة الى وجه الدلالة من ذلك ان فرعون لما قال (ومارب العالمين) علم موسى أنه سؤال عن ماهية رب العالمين ورب العالمين لاماهية له لانه الاول فلا شيء قبله فيكون منه بل هو مكون ما تكون الاشياء منه فلم يشتغل موسى برد سؤاله وبيان فساده وكان المقصود تعريف الرب جل وعلا بصفته فقال (رب السموات والارض وما

١ - البقرة ٢٥٨
٢ - الأنعام ٨٠
٣ - الأنعام ٨١
٤ - الشعراء ١٦
٥ - الشعراء ٢٣ - ٣٣

بينهما) فحصر الكائنات فى ثلاث كلمات فلما قال (ألا تستمعون قال ربكم ورب آبائكم الاولين) ردا على فرعون قوله (أنا ربكم الاعلى)[١] فلما قال (ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون) أردف ماذكر بشاهدين آخرين فقال (رب المشرق والمغرب وما بينهما) لان المشرق والمغرب آيتان عظيمتان لا يقدر فرعون على ادعائهما فلما اندحصت حجته قال (لئن اتخذت إلها غيرى لاجعلنك من المسجونين قال أولو جئتك بشىء مبين قال فأت به ان كنت من الصادقين فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين) آيتان عظيمتان فى انقلاب أعيانهما وانما كانت الآية فى العصا لانها أنزلت على آدم بسبب الكلاب لما نبح عليه لما تعاظمت دعوى فرعون قوبل بها اهانة له واستحقارا وكونها ظهرت في صورة ثعبان مناسب لحاله لان مسها لين وفعلها قاتل وفرعون باظهار كرمه وعدله لين وفعله قاتل لنفسه وغيره فأما يده البيضاء فالاشارة فيها جئتك بالشرع المنير الابيض الذى لاظلمة فيه كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « جئتكم بها بيضاء نقية » ولما كانت آية موسى عليه السلام حسية ومعجزاته مرئية لم يخاطبهم بالحجة العظمى لانها عقلية ولما هموا بقتله ألهم الله سبحانه مؤمن آل فرعون الحجة العظمى فقال (أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وان يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم)[٢] وقد شرحنا ذلك فى كتاب الحجة العظمى *

وأما جدال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكفار قريش واليهود فسيأتى فى ذكر الادلة الدالة على صدق رسالته *

* الباب الرابع فى ذكر الادلة على وجود الصانع سبحانه *

اعلم انها لا تحصى لان كل موجود عن عدم فهو دليل على وجود موجده كما قال سبحانه (وان من شىء الا يسبح بحمده)[٣] وذلك التسبيح اذعان لموجده وعبادة لربه كما قيل

وفى كل شيء له آية   تدل على أنه واحد

١ ـ النازعات ٢٤
٢ ـ غافر ٢٨
٣ ـ الاسراء ٤٤

فاما أدلة الكتاب العزيز فمنها قوله تعالى (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت فذكر انما أنت مذكر)[١] وقال تعالى (ألم نجعل الارض مهادا والجبال أوتادا وخلقناكم أزواجا وجعلنا نومكم سباتاً وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا سراجا وهاجا وأنزلنا من المعصرات ماءاً ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجنات ألفافاً)[٢] وصرف سبحانه هذه الكلمات فى كتابه العزيز وصرف هذه الادلة منها الدلالة على وجوده وقدرته وحكمته وانه لا مشارك له ولا معاضد ولا مغالب فقال (أأنتم أشد خلقاأم السماء بناها رفع سمكها فسواهاوأغطش ليلها وأخرج ضحاها والارض بعد ذلك دحاها أخرج منهاماءهاومرعاها والجبال أرساها متاعا لكم ولانعامكم)[٣] وقال تعالى (وهو الذى مد الارض وجعل فيها رواسى وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون وفى الارض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون)[٤] وقال تعالى (ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيى به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون)[٥] وقال تعالى (هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ماخلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون)[٦] وقال تعالى (تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى وترزق من تشاء بغير حساب)[٧] وقال تعالى (ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى ذلكم الله فأنى تؤفكون فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون)[٨]

١ ـ الغاشية ١٧ ـ ٢١
٢ ـ النبأ ٦ ـ ١٦
٣ ـ النازعات ٢٧ ـ ٣٣
٤ ـ الرعد ٤
٥ ـ البقرة ١٦٤
٦ ـ يونس ٥
٧ ـ آل عمران ٢٧
٨ ـ الأنعام ٩٥ ـ ٩٧

وقال تعالى (وهو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموت من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين)[1] وقال تعالى (واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا إياه)[2] وقال تعالى (وآية لهم الارض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن أنفسهم ومما لايعلمون وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذاهم مظلمون والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لاالشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون وآية لهم أنا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون وخلقنا لهم من مثله مايركبون وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون إلا رحمة منا ومتاعا الى حين)[3] وقال تعالى (أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ولهم فيها منافع ومشارب أفلايشكرون) وقال تعالى (أفرأيتم ماتمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون)[4] وقال تعالى (أفرأيتم الماء الذى تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون)[5] وقال (أفرأيتم النار التى تورون أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون)[6] وقال تعالى (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة)[7] الى قوله (فتبارك الله أحسن الخالقين) وقال تعالى (فلينظر الانسان الى طعامه أنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا)[8] الى قوله (متاعا لكم ولانعامكم)[9] فوجه الدلالة من هذه الآيات جلى لمن سبقت له السعادات * قال تعالى (أنظر كيف نصرف الآيات)[10] وقد مدح الله تعالى قوما أدنهم الفكر الى معرفة العبر قال سبحانه وتعالى (ويتفكرون فى خلق السموات والارض ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار)[11]

﴿ فصل ﴾ وقد حصلت معرفة الله سبحانه لقوم مخصوصين من طريق اخر

الاسراء ٦٧
يس ٣٣ ـ ٤٤
يس ٧١ ـ ٧٣
الواقعة ٥٨ ـ ٥٩
الواقعة ٦٨ ـ ٦٩
الواقعة ٧١ ـ ٧٢
المؤمنون ١٢ ـ ١٤
عبس ٢٤ ـ ٢٦
عبس ٣٢
ـ الأنعام ٤٦
ـ آل عمران ١٩١

مخصوص وهم الملائكة وما جرى لهم من سؤال وجواب * وفى قصة ابليس كفاية له عن التنويع فيما يقيس والتجنيس وحصل العلم اليقيني لآدم فيما حدث من أمره وتقادم فاستسلم وسالم . فالانبياء مائة الف نبي وأربعة وعشرون الف نبى الكل عرفوا الصانع معرفة اليقين منهم المرسلون ثلثمائة وثلاثة عشر أغني عيان الآيات عندهم عن الخبر فنى نوح ودعوته ونجاة أهل سفينته وفى ابراهيم وناره وحياة أطياره ويوسف وبراءه بشهادة غلامه واجابته فى قضاء حاجاته واهلاك عدوه من جميع جهاته ويونس وحوته وزكريا وسكوته ومريم وابنها آيات بينات * ويتبع هذا الجمع جموع لاتحد لهم كثرة كلهم أخبر عن وجود إله واحد قادر مريد عالم حي والانبياء وأتباعهم هم حجج الخلق وعلماؤهم وأعيان العلماء ونبلاؤهم ولو لم يكن هناك دليل على وجود الاله سوى اتفاقهم على وجوده بالصفات المذكورة كان ذلك كافيا فى حصول العلم واليقين بخبرهم اذ كانوا جميعا لايتصور التواطؤ منهم على الكذب والله الهادي بفضله *

﴿ الباب الخامس ﴾

ذكر الادلة على أنه واحد سبحانه ومن حيث ثبت أنه موجود بصفة الوجوب ثبت أنه واحد لان الصنعة مفتقرة الى الصانع وليست مفتقرة الى مازاد على الصانع فصار وجود مازاد على الصنعة جائزا والجائز الوجود لا يجوز أن يكون إلها مبدعا قديما وأما أدلة الكتاب العزيز فكثيرة من ذلك قوله تبارك وتعالى (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) وهذا الدليل معتمد أرباب الكلام من أهل الاسلام وقد نقل عن بعض علماء السلف أنه قال نظرت فى سبعين كتابا من كتب التوحيد فوجدت مدارها على قوله تعالى (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا)[1] دليل آخر (فى سورة المؤمنين قوله تعالى (ماتخذ الله من ولد وما كان معه من إله اذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون)[2] وفى الكلام حذف وتقديره ولو كان معه آلهة وانما حذف للايجاز والايجاز مستحسن فى كل مكان وهيهنا أكمل حسنا لئلا يتكرر ذكر الآله لانه ابطال على تقدير وانما

١ - الأنبياء
٢ - المؤمنون ٩١

ذهب كل إله بما خلق لاجل طلب الاستعلاء بالعلو والقدرة وذلك منشأ المخالفة والمنافسة والتغالب والمغلوب لا يكون الهاً « دليل آخر » قوله فى سبحان (قل لوكان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا الى ذى العرش سبيلا)[1] ومعناه أن الآلهة تطلب المنازعة والمخالفة فى المراد فحينئذ يقع الفساد اذ يريد أحدهما حياة شخص والآخر موته أو اسعاده والآخر اشقاءه فان قيل الشبهة على هذه الادلة من وجهين أحدهما يجوز أن يكون اثنان تتفق ارادتهما فلا يقع خلاف فلا يقع فساد * الشبهة الثانية قالوا لما رأينا وجود الشيء وضده من الموت والحياة والنور والظلمة والخير والشر وما يقتضى الحكمة وينافيها من النقض بعد البناء والعجز بعد القوة جاز أن ينسب الى مدبرين اثنين والجواب عن الشبهة الاولى استحالة وجود اثنين لا تنفك ارادة أحدهما عن ارادة الآخر متكافئين فى العلم والقدرة والارادة والحكمة والتدبير على وجه لا تتقدم صفة أحدهما على صفة الآخر فى الاعيان والاذهان فاذاهما واحد سموه اثنين * والجواب عن الشبهة الثانية أن صدور الشيء وضده أدل على قدرة الصانع وقد نبه سبحانه على ذلك فى عدة مواضع من الكتاب العزيز من ذلك قوله تعالى (تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل)[2] *

« الباب السادس ذكر أدلة البعث فى الكتاب العزيز »

وهى كثيرة من ذلك قوله تعالى (ويقول الانسان أإذا مامت لسوف أخرج حيا أولا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا)[3] ومثله (أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين)[4] المراد هاهنا أبي بن خلف . وقيل العاص بن وائل ثم ذكر سبحانه وتعالى شبهة فقال (وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيي العظام وهى رميم)[5] فجاء الجواب من وجهين أحدهما جدلا يتضمن فساد شبهته من جهة أنه استبعد الاعادة والحياة فى عظام وحش وترك نفسه وذلك أهم من احياء الحيوان البهيم لان ايجاد الحيوان البهيم كان لاجل الانسان * الوجه الثانى (قل يحييها الذي أنشأها أول مرة)[6] الى آخر السورة فان ايجاد المبادىء أصعب فى مطرد العرف وحكم العقل من رد شيء كان الى ما كان على ما لا يخفى وقوله سبحانه

١ ـ الاسراء ٤٢
٢ ـ الرعد ٤
٣ ـ مريم ٦٦ ـ ٦٧
٤ ـ يس ٧٧
٥ ـ يس ٧٨
٦ ـ يس ٧٩

(الذى جعل لـكم من الشجر الاخضر نارا)[١] معناه ايجاد شيء مما ينافيه وينافره فلا بد من قوة من خارج تغلب على المتنافرين المتنافين بفعل ذلك ثم قال سبحانه (أوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم)[٢] معنـاه من قدر على خلق السموات والارض قدر على خلق هـذا النوع اللطيف والشكل الضعيف واذا قدر على ايجاده قدر على رده بعد نفاده ثم أخبر سبحانه عن نفسه بماذا تخلق الاشياء وتكون فقال (انمـا أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون)[٣] وفى موضع آخر (انما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون)[٥] وعند ذلك سبح نفسه فقال (فسبحان الذى بيده ملـكوت كل شيء واليه ترجعون)[٤] فعم الموجود والمعدوم والابداء والاعادة وجعل الرجوع خاتمة الـكلام لان الانكار له والادلة أقيمت عليه * ومن أدلة البعث فى سبحان (فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة)[٦] ومن أدله البعث قوله (وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الاعلى فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم)[٧] وانما قال سبحانه وهو أهون عليه ضرب مثل لان المقدورات عندنا متفاوتة فى العسر واليسر باختلاف القدرة التى تزيد وتنقص فى حقنا ولما كان ايجاد شيء لا من شيء مستحيلا منا وايجاد شيء من شيء ممكنا فاستعار له كلمة افعل ضرب ذلك مثلا ولما استحال فى حقه العجز والضعف عن ايجاد شيء لا من شيء قال (وله المثل الاعلى) وذلك مطرد فى سائر صفاته سبحانه من العلم والقدرة والحياة والرحمـة والرضا والغضب وكل صفة وصف بها الانسان من ذلك مثاله قولنا عالم والواحد منا عالم ولـكن يطلق على المخلوق باعتبار معلوم ما وان علمه من جهة جهله من جهات ثم علمه إما بطريق الخبر والنظر أو الاضطرار والله سبحانه عالم بما كان وما يكون على وجه لا يخفى عليه شيء ولا يداخله الشك ولا الذهول ولا النسيان ولا يتقدم اين ما ولا مكان ولا نظير ولا حين ولا اضطرار قال تعالى (ألا يعلم من خلق)[٨] فهـذا معنى قوله (وله المثل الاعلى) ومن أدلة البعث قوله تعالى (قل سيروا فى الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشيء النشأة الآخرة ان الله على كل شيء قدير)[٩] ومن أدلة البعث قوله تعالى (ومن اياته أنك تري الارض خاشعة فاذا أنزلنا عليها

١ - يس ٨٠
٢ - يس ٨١
٣ - يس ٨٢
٤ - يس ٨٣
٥ - النحل ٤٠
٦ - الاسراء ٥١
٧ - الروم ٢٧
٨ - الملك ١٤
٩ - العنكبوت ٢٠

الماء اهتزت وربت ان الذى أحياها لمحيي الموتي إنه على كل شيء قدير)[١] ومن أدلة البعث فى سورة الواقعة قوله تعالى (أفرأيتم ما تمنون أفرأيتم ما تحرثون أفرأيتم الماء الذى تشربون أفرأيتم النار التى تورن) ووجه دلالة النار على البعث أن النار تكمن فى الشجر والحجر ثم تظهر بالقدح وتشب بالنفخ فالحجر والشجر كالقبر والقدح والنفخ كالنفخة فى الصور وانما ذكر الله سبحانه فى هذه السورة هذه الادلة الاربعة متوالية لانه بدأ السورة بالواقعة وهى القيامة وقال (ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة)[٢] وان الجاحدين كما قال كانوا يقولون (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أوآباؤنا الاولون)[٣] فكان الجواب (قل ان الأولين والاخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم)[٤] ومن أدلة البعث فى سورة الاحقاف (أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن بقادر علي أن يحيي الموتى بلى انه على كل شيء قدير)[٥] ومن أدلة البعث (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة)[٦] قال المصنف والادلة على البعث جوازا ووجوبا . أما الجواز فالنظائر الحسية وأما الوجوب فما وعد الله تعالى به من البعث والاعادة واكرام الطائعين بجنته واهانة المجرمين بعقوبته وما اقتنع للخلق بتكرير وعده الصادق حتى حلف على ذلك فى عدة مواضع من ذلك (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم)[٧] ومن ذلك (فورب السماء والارض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون)[٨] ومن ذلك (ويستنبئونك أحق هو قل إى وربى انه لحق)[٩] *

(فصل) ولم يكن لمنكر شبهة الامجرد تعجب واستبعاد قال الله تعالى (وان تعجب فعجب قولهم أئذا كنا ترابا أئنا لفى خلق جديد)[١٠] معناه ان كان لك عجب من شيء فمن انكارهم البعث فاعجب لان العجب ماندر وجوده وخفي سببه وليس هذا مما ندر وهم يشاهدون احياء الارض بعد موتها واكتساء الاشجار بعد عريها وعود النهار بعد زواله والليل بعد ذهابه واخراج الحى من الميت والميت من الحى ولا مما خفي سببه فان الله سبحانه هو الفاعل لذلك والمخترع له والقادر عليه وحكمته اظهار ما استتر عن خلقه من تدبيره وما النشأة الثانية بأعجب من الاولى وقد قال بعض الحكماء ثبت أن الله عز وجل حكيم والحكيم لا ينقض ما بنى الا لحكمة أتم من حكمة

١ - فصلت ٣٩
٢ - الواقعة ٢ - ٣
٣ - الواقعة ٤٧ - ٤٨
٤ - الواقعة ٤٩ - ٥٠
٥ - الاحقاف ٣٣
٦ - الحج ٦٣
٧ - التغابن ٧
٨ - الذاريات ٢٣
٩ - يونس ٥٣
١٠ - الرعد ٥

النقص ولا يجوز أن يكون أنقص ولا مماثله على مالا يخفى

﴿ الباب السابع ﴾

ذكر أدلة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب العزيز والكتاب العزيز كله دليل على صدق رسالته بل كل سورة منه دليل عليه لمكان العجز عن الاتيان بمثلها وقد ورد التحدى بذلك فى الكتاب العزيز فى خمسة مواضع من ذلك قوله تعالى (وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين)[١] الموضع الثانى قوله عز وجل (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا)[٢] الثالث (أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين)[٣] الموضع الرابع (أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعو من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين)[٤] الموضع الخامس (أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين[٥] ﴾

﴿ فصل ﴾ قد توجه القرآن العظيم على مائة دليل وأربعة عشر دليلا عدد سوره فالتحدى بالطوال منه كالتحدى بالقصار فعلى هذا السور القصار اذا أخذت عدلها كلمات علي ترتيبها كانت معجزة ويقع بهذا التحدى أو سورة سورة من القصار وعدلها من أى القرآن من أي سورة كان كانت معجزة فاذن تبلغ أدلة التعجيز منه مبلغا يزيد على الالف دليل وهذا من أسرار الكتاب العزيز وعجائب التنزيل « دليل آخر » قوله (فان لم تفعلوا ولن تفعلوا)[٦] أخبر أن المنكرين نبوته لم يقدروا على معارضته وكذلك جرى (دليل آخر)قوله تعالى (إنا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون)[٧] وهذا خبر لم يسمع الا من الرسول وكان الامر كما أخبر (دليل اخر) أخبر أنه (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه)[٨] فكان الامر كما أخبر بحمد الله ومنه (دليل اخر) (الم غلبت الروم فى أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين)[٩] وقصة مبايعة أبى بكر الصديق رضى الله عنه لابى ابن خلف مشهورة « دليل اخر » (لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين

١ - البقرة ٢٣
٢ - الاسراء ٨٨
٣ - هود ١٣
٤ - يونس ٣٨
٥ - الطور ٣٣ - ٣٤
٦ - البقرة ٢٤
٧ - الحجر ٩
٨ - فصلت ٤٢
٩ - الروم ١ - ٤

محلقين رؤوسكم ومقصرين لاتخافون فعلم مالم تعلموا)[١] فكان كذلك (دليل اخر) المباهلة قوله تعالى (فمن حاجك فيه من بعد ماجاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم)[٢] الآية وهذا دليل يدل بسياقه وبخصوصه على نصارى نجران « دليل اخر » يخص اليهود وهو قوله تعالى (قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين)[٣] وهذا دليل واضح وحجة قاطعة على اليهود فلولم يعلموا أنهم إن تمنوه ماتوا والا كانوا تمنوه فيحاجوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبطلوا نبوته وكان ذلك أهم الاشياء عندهم « دليل اخر » (قل ياأيها الذين هادوا ان زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين)[٤] فلو لم يعلموا أنه رسول الله وأن خبره حق وصدق لبادروا الى مايبطل دعواه ويكذب خبره « دليل اخر » خاص باليهود والنصارى والعرب قوله تعالى (الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل)[٥] وقد علموا أنه لا يعرف الكتابة ولا النظر فى الكتب ولم يكن من شأنه « دليل اخر » قوله تعالى (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل)[٦] الى آخر الآية فالدلالة من ذلك من وجهين أحدهما ان هذه الصفات لا تكون الا فى الصادقين اذ كانت أعدل السمات وأكمل الصفات الثانى ذكرهم فى التوراة والانجيل كما سبق « دليل آخر » مختص باليهود قوله تعالى (والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين)[٧] فلولا يعلم أنهم يعلمون ذلك لما استجاز أن يخبرهم بأمر يدعى معرفتهم به وهم لايعرفونه « دليل آخر » قوله تعالى (وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم)[٨] قال ابن عبد البر كان بين الأوس والخزرج من العداوة مالم يكن بين أحد من بنى ادم فألف الله

١ ـ الفتح ٢٧
٢ ـ آل عمران ٦١
٣ ـ البقرة ٩٤ ـ ٩٥
٤ ـ الجمعة ٦ ـ ٧
٥ ـ الاعراف ١٥٧
٦ ـ الفتح ٢٩
٧ ـ الأنعام ١١٤
٨ ـ الانفال ٦٣

قلوبهم لاجل نصرة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فساروا يدا واحدة وقلبا واحدا « دليل اخر » قوله تعالى (هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون)[1] وهذا خبر عن الغيب وكان كما أخبر « دليل اخر » قوله تعالى (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا) ومعلوم أن هذه سيرة أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فى خوفهم أولا وأمنهم ثانيا وتمكينهم واستخلافهم فى الارض وهذا ظاهر الدلالة « دليل اخر » قوله تعالى (وإنك لتهدى الى صراط مستقيم صراط الله الذى له مافى السموات وما فى الارض)[2] فنظرنا فيما دعا اليه فكانت مكارم الاخلاق ومحاسن الشيم صراط العقلاء ومختار النبلاء وهى الاخلاق المأمور بها فى سبحان (وقضى ربك أن لا تعبدوا الا إياه وبالوالدين احسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا ربكم أعلم بما فى نفوسكم إن تكونوا صالحين فانه كان للاوابين غفورا وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل انه كان منصورا ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤلا وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا ولا تقف ماليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ولا تمش فى الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا كل ذلك كان

١ ـ الصف ٩
٢ ـ الشورى ٥٢ ـ ٥٣

سيئه عند ربك مكروها ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى فى جهنم ملوما مدحورا)[١] وكذلك قوله تعالى (إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون)[٢] ومثل هذه السير العادلة والمكارم المستحسنة لاتجرى على لسان نجران « دليل آخر » علي اليهود قوله تعالى (كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ماحرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين فمن افتري على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون)[٣] روى أن اسرائيل أخذه وجع العرق الذى يقال له النسا فنذر لان شفاه الله تعالى منه ليحرمن أحب الطعام والشراب اليه وكان أحب ذلك اليه لحوم الابل وألبانها فشفي فوفى بنذره وادعت اليهود ان ذلك كان حراما على نوح حتى انتهى الامر اليهم فبين الله تعالى بطلان دعواهم وأمر أن يحاجهم بالتوراة فلم يجسروا على اخراجها وفى ذلك الدلالة الظاهرة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم « دليل آخر » قوله تعالى(فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين)[٤] وهى السنون التى دعا النبى صلى الله عليه وسلم بها على أهل مكة والدخان الجدب سمى دخانا لان الغبار يزيد فى الجدب فيكون كالدخان « دليل آخر » قوله تعالى (قل للمخلفين من الأعراب ستدعون الى قوم أولى بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون)[٥] وأصحاب البأس الشديد مسيلمة وأصحابه يوم اليمامة وقيل فارس والروم وأيما كان فقد أخبر عن الغيب فيه فكان الامر كذلك « دليل آخر » قوله تعالى (ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبدا وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون لئن أخرجوا لايخرجون معهم ولئن قوتلوا لاينصرونهم)[٦] وفى هذا دليل ظاهر على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم لانه من الغيب الذى لايعلمه الا الله فانهم أخرجوا فلم يخرجوا معهم وقوتلوا فلم ينصروهم « دليل آخر » قوله تعالى (هو الذي بعث فى الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين وآخرين منهم لما يلحقوا بهم)[٧] قيل هم من بعد الصحابة وقيل هم الاعاجم

١ ـ الاسراء ٢٣ ـ ٣٩
٢ ـ النحل ٩٠
٣ ـ آل عمران ٩٣ ـ ٩٤
٤ ـ الدخان ١٠
٥ ـ الفتح ١٦
٦ ـ الحشر ١١ ـ ١٢
٧ ـ الجمعة ٢ ـ ٣

وعلى كلا الامرين فقد وقع الخبر موافقا للمخبر به « دليل آخر » قوله تعالى (والله يعصمك من الناس)[١] وقوله (له معقبات من بين يديه ومن خلفه)[٢] وكان يحرس فقال اذهبوا فان الله قال قد عصمنى فاخبر بعصمته فما قدر احد على قتله مع كثرة أعدائه والقاصدين له بذلك كما عرف « دليل آخر » قوله تعالى أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها)[٣] (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا)[٤] ولا خلف في خبره صلى الله عليه وسلم وقد أخبر كما تقدم من القصص واليهود يعرفون صحة ما أخبر من كتابهم هذا ولم يكن صاحب كتابة ولا مشتغلا بالكتب وأخبر عن أمور منها ما كان ومنها ما سيكون ومن أنعم النظر فى الكتاب العزيز استنبط من أدلة صدق محمد صلى الله عليه وسلم أكثر مما ذكرناه فاما أدلة رسالته من غير الكتاب العزيز فهى أكثر من أن تحصى وقد الف فى دلائل النبوة جماعة من العلماء منهم أبو نعيم الحافظ الاصبهانى ومنهم أبو بكر ابن فورك ومنهم الحافظ أبو بكر البيهقى ﴿ فصل ﴾ ومن فهم مذهب الفصاحة والبلاغة وأرشده الله تعالى ووفقه أمكنه أن يختار من الاخبار النبوية الصحاح الف حديث فما زاد تبلغ مرتبة التعجيز عن الاتيان بمثلها فيكون الف دليل على النبوة مستمرة التعجيز مشهودا لها بالتمييز واذا تقررت هذه الادلة التي ذكرناها فكل دليل دل على رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وعلى رسالة من سبقه من الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه فهو دليل على وجود الصانع سبحانه *

﴿ الباب الثامن ﴾

فى ذكر الاسئلة والاجوبة الجدلية من الكتاب العزيز سؤال المنع (واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الارض قالوا انما نحن مصلحون)[٥] معناه لا نسلم انا مفسدون لان الاصلاح ضد الافساد فاذا ادعوا الاصلاح فقد أنكروا الافساد ثم منعوا هذه الدعوى بقوله تعالى (ألا إنهم هم المفسدون)[٦] وفى هذا دليل على جواز المنع من طريق المعنى وفيه الرد على من يقول هذا بغير توجيه لاهمال مراعاة صيغة لفظ المجادل وهذا يطرد فى كل موضع هذا سبيله ومثله قول الله تعالى عن الكفار

١ ـ المائدة ٦٧
٢ ـ الرعد ١١
٣ ـ محمد ٢٤
٤ ـ النساء ٨٢
٥ ـ البقرة ١١
٦ ـ البقرة ١٢

حيث قالوا لرسل عيسى بن مريم (انا تطيرنا بكم) قالوا لهم طائركم معكم أي شؤمكم منكم لامنا ودليله أنكم جعلتم التذكير بالله و بعبادته علة الشؤم أي أإن ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون[1] سؤال النقض في قوله تعالى (الذين قالوا ان الله عهد الينا أن لا نؤمن لرسول حتي يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات و بالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين)[2] . معناه العلة التي توجب عندكم الايمان بالرسل قد وجدت فلم قتلتموهم فدل على أن التعليل بما ذكرتم غير صحيح وهذا النقض وارد على معنى كلامهم فدل على جواز ايراد مايهدم كلام الخصم على أي وجه كان * ومن صور النقض قوله تعالى (واذا قيل لهم اتبعوا ماأنزل الله قالوا بل نتبع ماألفينا عليه آباءنا)[3] النقض في قوله (أولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون) ومن صور النقض أيضا فى قوله تعالى (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعدماتبين لهم أنهم أصحاب الجحيم)[4] النقض بابراهيم عليه السلام لانه استغفر لابيه وهو مشرك فى قوله تعالى (سأستغفر لك ربي انه كان بى حفيا)[5] فكان الجواب (وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلماتبين له أنه عدو لله تبرأ منه ان ابراهيم لاواه حليم)[6] ومن صور النقض قوله تعالى (فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتي مثل ماأوتى موسى أولم يكفروا بما أوتى موسى من قبل قالوا ساحران تظاهرا وقالوا انا بكل كافرون)[7] سؤال القول بالموجب فى قوله تعالى (قالوا ان أنتم الا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين)[8] القول بالموجب (قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم) تقديره (يريد أن يصدكم عما كان يعبد اباؤكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان الا باذن الله)[9] القول بالموجب فى قوله تعالى (الذين يؤذون النبي و يقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين)[10] « سؤال المعارضة » في قوله تعالى (فأتوا بسورة من مثله فأتوا بعشر سور مثله مفتريات فليأتوا بحديث مثله)[11] وذلك بأنه جعله دليلا على نبوته والدليل متى عورض بمثله بطل عمله فيسقط الاحتجاج به

﴿ فصل ﴾ الحكم تارة يعلل بعلة واحدة منفردة كقوله تعالى (ولكم في القصاص

١ - يس ١ٸ
٢ - آل عمران ١ٸ٣
٣ - البقرة ١٧٠
٤ - التوبة ١١٣
٥ - مريم ٤٧
٦ - التوبة ١١٤
٧ - القصص ٤ٸ
ٸ - إبراهيم ١٠
٩ - إبراهيم ١١
١٠ - التوبة ٦١
١١ - البقرة ٢٣
هود ١٣
الطور ٣٤

حياة)[١] وتارة بعلتين كقوله تعالى (وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا واثما مبينا وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا)[٢] فان قيل بل هى علة واحدة مركبة من وصفين فالجواب أن الافضاء علة فى استحقاق المهر فى الصحيح من النكاح والفاسد لقول النبى صلى الله عليه وسلم «فلها المهر بما استحل من فرجها» والميثاق الغليظ هو عقدة النكاح وهى كلمة الله عز وجل وهو قوله بما استحللتم من كلمة الله فهو قد يثبت بمجرده دون الافضاء جميع المهر بالموت ونصفه بالطلاق *

﴿ فصل ﴾ وقد يعلل الحكم بعلل كل علة تستقل بالحكم كقوله تعالى (وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم الا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون)[٣] *

﴿ فصل ﴾ تعليق الحكم على علة يقتضى النقيض كقوله تعالى (وتأتون فى ناديكم المنكر فما كان جواب قومه الا أن قالوا إئتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين)[٤] وكقوله تعالى (أخرجوهم من قريتكم انهم أناس يتطهرون)[٥] وكقوله تعالى (وإذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم)[٦] ومثله (فأسقط علينا كسفا من السماء ان كنت من الصادقين)[٧] *

﴿ فصل ﴾ أجوبة الاسئلة على التفصيل كقوله تعالى (أما السفينة فكانت لمساكين . وأما الجدار . وأما الغلام)[٨] *

﴿ فصل ﴾ وقد تذكر صورة القياس وليس بقياس دلالة كقوله تعالى (فورب السماء والارض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون)[٩] فالحكم المقيس عليه أمر وجودى وهو النطق والذى وعدهم به هو الحياة بعد الموت والبعث بعد الدفن وهو أمر معدوم وليس بينه وبين النطق مناسبة ومجرد وجود حقيقة شيء لا يدل على وجود حقيقة أخرى فعند ذلك يعلم أنه ما أراد الا تحقيق الوعد بايجاد على وجه لا يشك فيه كوجود النطق كقول النبى صلى الله عليه وسلم «أنكم لترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون فى رؤيته» ومعلوم انه ما أراد أن رؤية القمر مقتضية لرؤية

١ ـ البقرة ١٧٩
٢ ـ النساء ٢٠ ـ ٢١
٣ ـ التوبة ٥٤
٤ ـ العنكبوت ٢٩
٥ ـ الاعراف ٨٢
٦ ـ الأنفال ٣٢
٧ ـ الشعراء ١٨٧
٨ ـ الكهف ٧٩
الكهف ٨٢
الكهف ٨٠
٩ ـ الذاريات ٢٣

الله تعالى بل أراد أنه كائن كوجود هذا القمر ورؤيته ولو قيل فان فيه شبهية اقتضت القياس على النطق صح من جهة أن الكلام يغور ويعود فهو كالميت له غيبة بالدفن والبلى ثم حضور بالبعث فعلى هذا قياس الشبه صحيح *

﴿ فصل ﴾ ومثال قياس الشبه قوله تعالى (يابني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة)[1] وفيه دلالة على جواز اقامة اللازم للحكم أو السبب مقام نفس الحكم لان فتنته سبب الخروج من الجنة وهي سبب المنع من دخولها وذلك كله توسعة على المستدل *

﴿ فصل ﴾ في الترجيح وهو دليل معتبر في الشرع قد تكرر وجوده في الكتاب العزيز في مواضع من ذلك قوله عز وجل (ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله مالا يرجون)[2] ومعناه التحريض على القتال والتسلية لما أصاب من مكروه بالتساوي في الالم والمزية لكم عليهم بما ترجون من ثواب الله تعالى فأنتم أولى بطلبهم وأحرى بالصبر على المكروه من جهتهم ومن الترجيح قوله تعالى (أفمن يهدي الى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي الا أن يهدي فما لكم كيف تحكمون)[3] ومن الترجيح أيضا قوله تعالى (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أما يشركون)[4] في خمس مرات أمّن ومن الترجيح قوله تعالى (أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أمن أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين)[5] ومن الترجيح قوله تعالى (ياصاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار)[6] وذلك لما تقرر أن الاثنين لا بد من وجود الفساد منهما لو قوع الاختلاف بينهما ومن الترجيح المذكور في الحجة العظمى (فأي الفريقين أحق بالامن)[7]

﴿ فصل ﴾ في المفهوم وهو ينقسم قسمين مفهوم الموافقة ومفهوم المخالفة فالموافقة متفق عليه لقوله تعالى (فلا تقل لهما أف)[8] فمفهومه تحريم الضرب والسب لان التأفيف دون ذلك وكذلك قوله تعالى (ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا مادمت عليه قائما)[9] ولا يخفى أن من يؤدي القنطار يؤدى مادونه ومن يخون في دينار يخون فيما فوقه

١ ـ الاعراف ٢٧
٢ ـ النساء ١٠٤
٣ ـ يونس ٣٥
٤ ـ النمل ٥٩
٥ ـ التوبة ١٠٩
٦ ـ يوسف ٣٩
٧ ـ الأنعام ٨١
٨ ـ الاسراء ٢٣
٩ ـ آل عمران ٧٥

ويسمى ذلك لحوى الخطاب . ومفهوم المخالفة كقوله تعالى (مادمت عليه قائما) فمفهومه ان لم تكن عليه قائما لم يؤده اليك ومن الناس من يقول ليس هو بحجة[1] لقوله تعالى (فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون) ومعلوم أن من افترى علي الله الكذب فهو من الظالمين قبل الرسالة و بعدها وقبل نزول الكتاب و بعده *

* فصل * وقد سمى الله سبحانه الشُبَه التى أوردها الكفار أمثالا فقال تعالى (وقالوا مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقي اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن تتبعون الا رجلا مسحورا)[2] فكان الجواب (انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا)[3] وهذا جواب جدل يتضمن فساد ما تمسكوا به من الشبه المذكورة لأنهم قالوا انه مسحور والمسحور مبلبل الفكر ذاهب الرأى فكيف يكون معه ملك أو يلقي اليه كنز ثم جاء الجواب الآخر (وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق)[4] فأما ما اقترحوه من الآيات فى هذا الموضع وفى غيره فالجواب عنه مذكور فى عدة مواضع منها قوله تعالى(وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الاولون)[5] وقال فى موضع آخر (وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الامر ثم لاينظرون)[6] ومثله قوله تعالى (ولما وقع عليهم الرجز قالوا ياموسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل فلما كشفنا عنهم الرجز الى أجل هم بالغوه اذا هم ينكثون فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين)[7] والفرق بين الآيات الدالة على صدق الرسل عليهم السلام المقترحات من الامم وبين الآيات التي تبتكرها الانبياء أن المقترحات لم تبق لهم عذرا فى ترك الايمان بعد الاتيان بها اذ هى بمنزلة المشاهد الذى أجاز الخصم شهادته عليه فاذا رد وجحد فقد عاند وصد فاستحق تعجيل الانزال به بخلاف سائر الآيات فانها وان كانت أدلة الا أن للناظر فيها فسحة النظر ومهلة التأمل فلهذا لم يعجل عقابه وهذا المعنى دل عليه قوله تعالى (ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا

١ - ال عمران ٩٤
٢ - الفرقان ٧ - ٨
٣ - الفرقان ٩
٤ - الفرقان ٢٠
٥ - الاسراء ٥٩
٦ - الأنعام ٨
٧ - الأعراف ١٣٤ -

ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى)[١] *

(فصل) فى ذم التقليد والمقلدين وقد عابهم الله عز وجل فى كتابه العزيز فى عدة مواضع منها قوله تعالى (واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولوا كانوا آباؤهم لايعقلون شيئا ولا يهتدون)[٢] ومن ذلك في المائدة (واذا قيل لهم تعالوا الى ماأنزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ماوجدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لايعلمون شيئا ولا يهتدون)[٣] ومن ذلك فى حم الزخرف (بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون)[٤] ثم ذكر سبحانه أن هذه الشبهة تمسك بها جميع الامم قال سبحانه(وكذلك ماأرسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمةوانا على آثارهم مقتدون)[٥] فكان الجواب عن شبههم من وجهين أحدهما قوله تعالى (أولو كان آباؤهم لايعقلون شيئا ولا يهتدون)[٦] الوجه الثانى (قل أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم)[٧] وههنا نكتتان احداهما قوله (بأهدى) ولا هداية لابائهم وانما ذكر ذلك توطئة لاستماع حجته وتلطفا فى الدعاية الى هدايته النكتة الثانية أعرضوا عن الجواب الملزم لهم الى استماع ما هو أهدى الى قولهم (انا بما أرسلتم به كافرون)[٨] *

(فصل) فى جواز التجوز وفى الكتاب العزيز من ذلك كثير من ذلك قوله تعالى (ان الذين يكتمون ماأنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون فى بطونهم الا النار)[٩] وقد علم أنهم فى الحالة الحاضرة لايأكلون النار والشراء والصبر على النار

(فصل) يجوز عطف الواجب على غير الواجب كقوله تعالى (كلوا من ثمره اذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده)[١٠] وكقوله (كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون)[١١] *

(فصل) والانكار بعدالاعتراف لايسمع دليله قوله تعالى (ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا كذلك يضل الله الكافرين) فعاقبهم على ضلالهم الاول بضلال هو الانكار بعدالاعتراف

(فصل) ومن لطائف الاجوبة الجدلية لما قال فرعون لموسى (ألم نربك فينا

١ - طه ١٣٤
٢ - البقرة ١٧٠
٣ - المائدة ١٠٤
٤ - الزخرف ٢٢
٥ - الزخرف ٢٣
٦ - البقرة ١٧٠
٧ - الزخرف ٢٤
٨ - الزخرف ٢٤
٩ - البقرة ١٧٤
١٠ - الأنعام ١٤١
١١ - البقرة ١٧٢

وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين)[١] كان جواب موسى عليه السلام (وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بنى اسرائيل)[٢] فالذى اعده فرعون نعمة جعلها موسى نقمه هو جواب على معنى الكلام لا على لفظه *

﴿ فصل ﴾ ومن أنواع التجوز قوله تعالى (وعليها وعلي الفلك تحملون)[٣] والانعام ثلاثة أنواع إبل و بقر وغنم والمركوب منها الابل خاصة *

﴿ فصل ﴾ فى المباكتة بالتشنيع منها قوله تعالى (ياأهل الكتاب هل تنقمون منا الا أن آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل من قبل وان أكثركم فاسقون قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل)[٤] فاذا وقع التشنيع على مذهب بسبب حكم خالف فيه الفقهاء أو قول فيه نفرة مثل المخلوقة من ماء الزنا وجواز المخصصة على مذهب الامام أحمد أو ما كان للخصم أن يشنع على مذهبه بما هو من هذا القبيل وقد صح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لليهود يا اخوان القردة

﴿ فصل ﴾ ومما يجرى مجرى المقابلة فى الاذى و الجناس فى الجزاء (وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا)[٥] واللعن هو الطرد والبعد ولما كانت يد الله مبسوطة بالقدرة على الايجاد والاعدام والاشقاء والاسعاد كان القول بغلول يده سبحانه أبعد المحالات فى نظر العقل فاستحقوا الا بعاد *

﴿ فصل ﴾ التخصيص بالذكر لا يدل على الاختصاص فى الحكم كقوله سبحانه (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم)[٦] وقال سبحانه بعدها لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة)[٧] *

﴿ فصل ﴾ يتضمن ثلاث شبه والجواب عنها الاول أنه تارة تحدى بجملة القرآن وتارة بعشر سور وتارة بسورة والجواب انه ذكر الاحاد والعقود ونفاها ليعلم العجز عن كله و بعضه فان قيل القديم لا يوصف بكل ولا بعض قيل هذا كقولنا عالم مريد قادر هذه بعض صفات القديم ولا يريد ببعضه التجزى و كما تقول القرآن مائة وأربع عشرة سورة والسورة كذا وكذا آية *

الشبهة الثانية ما الحكمة ان هذا الكتاب العزيز لم ينزل جملة واحدة وسائر

١ ـ الشعراء ١٨
٢ ـ الشعراء ٢٢
٣ ـ المؤمنون ٢٢
٤ ـ المائدة ٥٩ ـ ٦٠
٥ ـ المائدة ٦٤
٦ ـ المائدة ١٧
٧ ـ المائدة ٧٣

الكتب نزلت جملة جملة قال تعالى (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا)[1] *

الجواب الثانى قال أهل المعاني القوم كانوا قبلنا عمالا فكتبت كتب عهودهم ووصلت اليهم جملة وهذه الامة احباب ورسائل الاحباب لا تنقطع *

الشبهة الثالثة شبهة القدرية قالوا كيف الجمع بين ارادة خلق الفعل والعقاب عليه والجواب ثبت بالاجماع انه حكيم عادل والحكيم العادل غير متهم كيف وقد ذكر الظلم فى الكتاب العزيز فى مائتى موضع وثمانين موضعا وذمه وذم الظالمين ونفى الظلم عن نفسه فى ثمانية وعشرين موضعا منها ويستحيل أن يحرم شيئا على نفسه ويقبحه من غيره ثم يفعله وهو أعدل العادلين وأجل المنعمين والخوض فى هذا منهى عنه لانه بحر مغرق ولكشفه ميعاد يوم تبلى السرائر *

﴿ فصل ﴾ والدليل على أن توبة الزنديق لا تقبل قوله عز وجل (ان الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون)[2] والمعنى فيه أن قليل الكفر وكثيره سواء فى استحقاق القتل واستيجاب النار والتوبة مقبولة فى قليله وكثيره فلا معنى لزيادة الكفر الا ابطان الكفر واظهار الايمان والله تعالى أعلم بكتابه وأسرار خطابه *

وجد بآخر النسخة الخطية ما نصه .

علقه من خط نسخة مسمعه أقضى القضاة شمس الدين عبد الله محمد بن احمد بن ابراهيم القرشى لشيخه العلامة مسمعه صلاح الدين المرحوم عبدالله

١ ـ الفرقان ٣٢ ـ ٣٣
٢ ـ آل عمران ٩٠

تمت الرسالة الثالثة ويليها الرسالة الرابعة

الرسالة الرابعة

« كفاية التعبد وتحفة التزهد »

«للشيخ الامام الحافظ عبد العظيم المنذري رحمه الله تعالى»

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه الطاهرين*

قال الشيخ الفقيه العالم المحدث بقية الحفاظ زكى الدين أبو محمد عبد العظيم ابن عبد القوى المنذرى رضى الله عنه * الحمد لله الموفق لصالح الاعمال المحقق لراجيه نهاية الآمال * أحمده على نعمه فى الحال والمآل * وأشهد أن لا آله الا هو الكبير المتعال * وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المنقذ به من الضلال صلى الله عليه وآله وأصحابه وأزواجه الجدراء بالاحسان والافضال دائمة الاتصال*

(وبعد) فان أخى أبا أحمد عبد الكريم صرف الله عنه كل شيطان رجيم سألنى أن أجمع له كتابا في ثواب الاعمال وفضائلها محذوف الاسانيد ليسهل عليه حفظه ويقرب تناوله فأجبته الى ذلك لماله من الحق اللازم وليكون باعثا له ان شاء الله تعالى على ملازمة ما نورده فيه فاستخرت الله تعالى وجمعت له هذا الكتاب وسميته « كفايه التعبد وتحفة التزهد » وجعلته أربعة أبواب (الباب الاول) فى ذكر الصلاة (الباب الثاني) فى الصيام (الباب الثالث) فى الصدقة (الباب الرابع) فى الدعاء والذكر والله تعالى المسئول فى أن ينفعنا به وسائر المسلمين ويجعله خالصا لوجهه مقرباً من رحمته بفضله ومنه*

الباب الاول فى الصلاة

روى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول« انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرىء مانوى »الحديث متفق عليه *

(ماجاءفي فضل الصلاة) * روى أبو هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة كفارات لما بينهن مالم يغش الكبائر » وفي لفظ « رمضان الى رمضان » اخرجه مسلم * روى معدان بن أبي طلحة قال لقيت ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت «أخبرني بعمل أعمله يدخلني الله به الجنة او قال قلت باحب الاعمال الى الله تعالى فسكت ثم سألته فسكت ثم سألته الثالثة فقال سألت عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليك بكثرة السجود لله تعالى فانك لاتسجد لله عز وجل سجدة الارفعك الله عز وجل بها درجة وحط عنك بها خطيئة» قال معدان ثم لقيت ابا الدرداء فسألته فقال لي مثل ما قال ثوبان أخرجه مسلم * وروى ربيعة بن كعب الاسلمي قال« كنت ابيت مع النبي صلى الله عليه وسلم فأتيته بوضوئه وحاجته فقال لي سل فقلت أسألك مرافقتك في الجنة قال أو غير ذلك قلت هو ذاك قال فاعني على نفسك بكثرة السجود» انفرد به مسلم وليس لربيعة بن كعب في الصحيح غيره . وروى ابو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من تطهر في بيته ومشى الى بيت من بيوت الله تعالى ليقضي فريضة من فرائض الله تعالى كانت خطواته احدهما تحط خطيئة والاخرى ترفع درجة » أخرجه مسلم * وروى أبو هريرة رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «ارأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء قالوا لايبقى من درنه قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا » متفق عليه. والدرن بفتح الدال والراء الوسخ * وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من غدا الى المسجد او راح أعد الله له في الجنة نزلا كلما غدا أو راح » متفق عليه . والنزل بضم النون والزاي الطعام والنزل أيضا الريع والفضل * وروى أبو مالك الاشعري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال« الطهور شطر الايمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ مابين السموات والارض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر

ضياء والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها او موبقها»
أخرجه مسلم واسم أبي مالك عمرو ويقال عبيد ويقال كعب *

(ماجاء فى فضل الصلاة لاول وقتها) روي عبد الله بن مسعود رضى الله
عنه قال «سألت النبي صلى الله عليه وسلم أي العمل أحب الى الله عز وجل قال
الصلاة على وقتها قلت ثم أى قال بر الوالدين قلت ثم أي قال الجهاد فى سبيل الله قال
حدثني بهن ولو استزدته لزادنى» متفق عليه *

(ماجاء فى فضل الجماعة) روى أبو هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال «صلاة الجماعة أفضل من صلاة أحدكم وحده بخمسة وعشرين
جزءا» متفق عليه * وروى عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله
عليه وسلم قال «صلاة الجماعة افضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة» متفق
عليه. قال أبو عيسى الترمذى رحمه الله تعالى وعامة من روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انما قالوا خمسا وعشرين الا ابن عمر فانه قال بسبع وعشرين
قلت واختلف العلماء فى تأويله فقيل الدرجة أصغر من الجزء. والفذ المنفرد
المصلى وحده *

(ماجاء فى ركعتى الفجر من الفضل) روى سعيد بن هشام عن عائشة رضى
الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ركعتا الفجر خير من الدنيا وما
فيها» انفرد به مسلم وروت عائشة رضى الله عنها قالت «مارأيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم في شيء من النوافل اسرع منه الى الركعتين قبل الفجر»
متفق عليه *

(ماجاء فى فضل المحافظة على الفجر والعصر) روي ابو بكر بن عمارة بن
رؤيبة عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «لن يلج النار احد
صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها يعنى الفجر والعصر» الحديث انفرد به مسلم *
وروى أبو بكر بن أبي موسى الاشعرى عن أبيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال «من صلى البردين دخل الجنة» متفق عليه والبردان الفجر والعصر وقال
على بن المديني ابو بكر راوى هذا الحديث هو ابن عمارة رؤيبة والصحيح انه ابن

أبي موسى وقد تكلمنا عليه في غير هذا الموضع *

(ماجاء في صلاة الضحى) روى أبو الدرداء رضى الله عنه قال « أوصاني حبيبي بثلاث ان لا أدعهن ماعشت بصيام ثلاثة أيام من كل شهر وصلاة الضحى وبان لا أنام حتى أوتر » انفرد به مسلم * وروى ابو هريرة رضى الله عنه قال « أوصاني خليلي بثلاث بصيام ثلاثة ايام من كل شهر وركعتي الضحى وان أوتر قبل أن أرقد » متفق عليه * وروي ابو ذر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة فكل تسبيحة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة وكل تكبيرة صدقة وأمر بالمعروف صدقة ونهى عن المنكر صدقة ويجزىء من ذلك ركعتان يركعها من الضحى » انفرد به مسلم واتفقا على نحوه من حديث أبي هريرة وقوله كل سلامى اى على كل عظم ومفصل . واصله عظام الكف والا كارع *

(ماجاء في عدد صلاة الضحى) قد تقدم انها ركعتان وروت معاذة عن عائشة قالت « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى اربعا ويزيد ماشاء الله » نفرد به مسلم * وروى عبد الرحمن بن ابي ليلى قال ماأخبرني احد انه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الضحي الا أم هاني فانها حدثت ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل بيتها يوم فتح مكة فصلى ثماني ركعات مارأيته صلى صلاة قط أخف منها غير أنه كان يتم الركوع والسجود » متفق عليه *

(ماجاء في الصلاة ارتفاع الضحى واستحرار الشمس) روى القاسم بن عوف الشيباني ان زيد بن أرقم رأى قوما يصلون من الضحى فقال اما لقد علموا ان الصلاة في غير هذه الساعة أفضل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « صلاة الاوابين حين ترمض الفصال » انفرد به مسلم والاواب قيل هو الكثير الرجوع الى الله وقيل المطيع وقيل المسبح وقيل الراحم وقيل الفقيه . وقوله ترمض بفتح التاء والميم وضاد معجمة هو احتراق اظلافها بالرمضاء عند ارتفاع الضحى واستحرار الشمس . والرمضاء ممدود الرمل اذا استحر بالشمس . والفصال جمع فصيل وهو صغار الابل *

(ماجاء فى الصلاة قبل الظهر وبعدها) روت ام حبيبة رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من حافظ على أربع ركعات قبل الظهر واربع بعدها حرمه الله على النار » اخرجه أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه وقال الترمذى حسن صحيح *

(ماجاء فيمن صلى فى يوم ثنتى عشرة ركعة) روت أم حبيبة انها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مامن عبد مسلم يصلى لله تعالى كل يوم ثنتى عشرة ركعة تطوعا من غير الفريضة الا بنى الله له بيتا فى الجنة » انفرد به مسلم *

(جامع ماجاء فى صلاة الليل) * روى أبو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم وأفضل الصلاة بعد الفريضه صلاة الليل » انفرد به مسلم * وروى أبو هريرة يبلغ به النبى صلى الله عليه وسلم قال « يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم ثلاث عقد اذا نام بكل عقدة يضرب عليك ليل طويل فاذا استيقظ فذكر الله تعالى انحلت عقدة واذا توضأ انحلت عنه عقدتان فاذا صلى انحلت العقد فاصبح نشيطا طيب النفس والا أصبح خبيث النفس كسلان » متفق عليه. قوله يعقد الشيطان اختلفت العلماء فى تأويله فقيل هو مثل واستعاذة من عقد بني آدم وقيل بل هو على ظاهره وأن الشيطان يفعل من ذلك نحو مايفعله السواحر من عقدها ونفثها . وقوله قافية احدكم أى قفاه ومنه قافية الشعر وهو آخر البيت * وروى مسروق قال قلت لعائشة أى الاعمال أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الدائم قلت فأى الليل كان يقوم قالت اذا سمع الصارخ : متفق عليه والصارخ الديك قاله أبو عبيد الهروى * وروى عبد الله بن عمرو قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم « ياعبد الله لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل » متفق عليه * وروت عائشة رضى الله عنها قالت ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيد فى شهر رمضان ولا فى غيره على احدى عشرة ركعة يصلى أربعا فلا تسل عن حسنهن وطولهن ثم يصلى أربعا فلا تسل عن حسنهن وطولهن ثم يصلى ثلاثا فقالت عائشة فقلت يارسول الله أتنام قبل أن توتر قال ياعائشة ان عينى تنامان ولا ينام قلبي » متفق عليه * وروى

أبو القاسم قال سمعت عائشة رضى الله عنها تقول « كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل عشر ركعات ويوتر بسجدة ويركع ركعتى الفجر فتلك ثلاث عشرة ركعة » متفق عليه *

(دعاء الاستخارة) * روي جابر رضى الله عنه قال « كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة فى الامور كلها كالسورة من القرآن اذا هم أحدكم بالامر فليركع ركعتين ثم يقول اللهم انى أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم ان هذا الامر خير لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى أو قال فى عاجل أمرى وآجله فاقدره لى وان كنت تعلم أن هذا الامر شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى أو قال فى عاجل أمرى وآجله فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لى الخير حيث كان ثم رضني به ويسمى حاجته » انفرد به البخارى *

﴿ الباب الثانى فى الصيام ﴾

روى أبو هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال الله عز وجل كل عمل ابن آدم له الا الصيام فانه لى وأنا أجزى به والصيام جنة فاذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فان سابه أحد أو قاتله فليقل انى صائم والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله تعالى يوم القيامة من ريح المسك وللصائم فرحتان يفرحهما اذا أفطر فرح بفطره واذا لقى ربه فرح بصومه » متفق عليه . وقوله فلا يرفث بضم الفاء وكسرها أي لا يأتى برفث الكلام وفحشه * قال الازهرى هى كلمة جامعة لكل مايريده الرجل من المرأة ويكون الرفث الجماع ويكون ذلك الجماع والحديث به وقيل هو مذاكرة ذلك مع النساء ولا يصخب الصخب الصياح واختلاط الاصوات ويقال بالسين والصاد. وخلوف فم الصائم بضم الخاء هو مايخلف بعد الطعام فى الفم من ريح كريهة * روى سهيل بن سعد رضى الله عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم « ان فى الجنة بابا يقال له الريان لايدخل منه الا الصائمون يوم القيامة لايدخل معهم أحد غيرهم يقال

أين الصائمون فيدخلون منه فاذا أدخل آخرهم أغلق فلم يدخل منه أحد » متفق عليه * قوله باب الريان واختصاص الصائمين به قيل هو مشتق من الرى لما ينال الصائم من العطش فسمى هذا الباب بما أعد فيه من النعيم المجازى به على الصوم * وروى أبو سعيد الخدري رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مامن عبد يصوم يوما فى سبيل الله تعالى الا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفا » متفق عليه والخريف السنة *

(ماجاء فى صوم المحرم) روى أبو هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم » انفرد به مسلم *

(ماجاء فى صيام عاشوراء) سئل عبد الله بن عباس رضى الله عنهما عن صيام يوم عاشوراء فقال ماعلمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صام يوما يطلب فضله على الايام الا هذا اليوم يعنى يوم عاشوراء ولا شهراً الا هذا الشهر يعنى رمضان . متفق عليه * روى أبو قتادة الانصاري رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن صومه فذكر الحديث الى قوله وسئل عن صوم يوم عاشوراء قال يكفر السنة الماضية انفرد به مسلم *

(ماجاء فى صيام شعبان) روت عائشة رضى الله عنها قالت « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم وما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استكمل صيام شهر قط الا رمضان وما رأيته فى شهر أكثر منه صياما فى شعبان » متفق عليه * وفى مسلم قالت عائشة « ولم أره صائما من شهر قط أكثر من صيامه فى شعبان كان يصوم شعبان كله كان يصوم شعبان الا قليلا » * وروى عمران بن حصين رضى الله عنه « ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل هل صمت من سرر هذا الشهر شيئا يعنى شعبان قال لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا أفطرت من رمضان فصم يومين مكانه » متفق عليه . سرر الشهر سراره قال الفراء الفتح أجود وسرره ثلاث لغات قال ابو عبيد سرار الشهر آخره وقال غيره هو وسطه وقيل آخره *

(ماجاء فى صيام رمضان) * روى أبو هريرة رضى الله عنه أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال « اذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين » متفق عليه وقوله صفدت الشياطين أى غلت وأوثقت باغلال الحديد * وروى أبو هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه » متفق عليه *

(ماجاء فى صيام ستة أيام من شوال) روى أبو أيوب الانصارى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من صام رمضان ثم اتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر » انفرد به مسلم *

(ماجاء فى العمل فى عشر ذي الحجة) روى ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مامن أيام العمل الصالح فيهن احب الى الله تعالى من هذه الايام العشر فقالوا يارسول الله ولا الجهاد فى سبيل الله تعالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا الجهاد فى سبيل الله تعالى الا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء » أخرجه البخاري *

(ماجاء فى صيام يوم عرفة وثلاثة ايام من كل شهر ويوم الاثنين) روى ابو قتادة رضى الله عنه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم سئل عن صومه قال فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضى الله عنه رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا وببيعتنا بيعة قال فسئل عن صيام الدهر قال لاصام ولا افطر وما صام وما أفطر قال فسئل عن صيام يومين وافطار يوم قال ومن يطيق ذلك قال وسئل عن صوم يوم وافطار يومين قال ليت الله عز وجل قوانا لذلك قال وسئل عن صوم يوم وافطار يوم قال ذلك صوم أخي داود قال وسئل عن صيام يوم الاثنين فقال ذلك يوم ولدت فيه ويوم بعثت وانزل علي فيه قال فقال فصوم ثلاثة أيام من كل شهر ورمضان الى رمضان صوم الدهر قال فسئل عن صوم عاشوراء فقال يكفر السنة الماضية » انفرد به مسلم. وروت معاذة رضى الله عنها انها سألت عائشة رضى الله عنها زوج النبى صلى الله عليه وسلم أ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم من كل شهر ثلاثة ايام قالت نعم فقلت لها من أى شهر كان يصوم قالت لم يكن يبالى من أى أيام الشهر

يصوم » انفرد به مسلم وقد تقدم فى صلاة الضحى حديث أبي هريرة اوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بثلاث صيام ثلاثة أيام من كل شهر » الحديث وهو متفق عليه وحديث ابى الدرداء فى ذلك وهو من أفراد مسلم *

﴿ الباب الثالث فى الصدقة ﴾

روي ابو هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مامن يوم يصبح العباد فيه الا ملكان ينزلان فيقول احدهما اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم اعط ممسكا تلفا » متفق عليه وروى ابو هريرة رضى الله عنه « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يتصدق احدكم بتمرة من كسب طيب الا أخذها الله تعالى بيمينه فيربيها كما يربى أحدكم فلوه أو قلوصه حتي تكون مثل الجبل أو أعظم » متفق عليه * الفلو المهر والقلاص فتيان الابل وأحدها قلوص * وروى حارثة بن وهب رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « تصدقوا فيوشك الرجل يمشي بصدقته فيقول الذى أعطيها لو جئت بها بالامس قبلتها وأما الآن فلا حاجة لى بها فلا يجد من يقبلها » متفق عليه * وروى عدى ابن حاتم رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « انه ذكر النار فتعوذ منها وأشاح بوجهه ثلاث مرات ثم قال اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة » متفق عليه قوله أشاح أى جد وانكمش على الوصية باتقاء النار وقيل حذر من ذلك والمشيح الحذر وقيل الهارب وقيل أشاح أقبل وقيل قبض وجهه قال الحربى أحسن ماقيل فيه التنحية وهو موافق للاعراض * وروى أبو هريرة رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « ما يسرنى ان لى أحداً ذهبا تأتى على ثالثة وعندي منه دينار الا دينارا أرصده لدين علي » متفق عليه * وروى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله الامام العادل وشاب نشأ بعبادة الله عز وجل ورجل قلبه معلق فى المساجد ورجلان تحابا فى الله تعالى اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال انى أخاف الله تعالى ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله ماتنفق يمينه ورجل ذكر الله تعالى خاليا ففاضت عيناه » متفق عليه * وروي

أبو هريرة رضى الله عنه قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فقال «يارسول الله أى الصدقة أعظم قال أن تتصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنا ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا الا وقد كان لفلان» متفق عليه * وروى أبو امامة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يا ابن آدم انك ان تبذل الفضل خير لك وان تمسكه شر لك ولا تلام على كفاف وابدأ بمن تعول واليد العليا خير من اليد السفلى» أخرجه مسلم واليد العليا هى المنفقة كذا جاء مفسرا فى الحديث * وقال الخطابى روى فى بعض الحديث انها المتعففة والسفلى السائلة * وروى عن الحسن انها الممسكة المانعة وذهبت المتصوفة الى أن اليد العليا هى الآخذة لانها نائبة عن الله تعالى وماجاء فى الحديث الصحيح أولى * وروى أبو موسى الاشعري رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال «على كل مسلم صدقة فقالوا يارسول الله فمن لم يجد قال يعين ذا الحاجة الملهوف قالوا فان لم يجد قال فليعمل بالمعروف وليمسك عن الشر فانها له صدقة» متفق عليه * وروى أبو هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من أنفق زوجين فى سبيل الله تعالى نودي فى الجنة ياعبد الله هذا خير فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الريان قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه يارسول الله ماعلى أحد يدعى من تلك الابواب كلها من ضرورة فهل يدعى أحد من تلك الابواب كلها قال رسول الله صلي الله عليه وسلم نعم وأرجو أن تكون منهم» * متفق عليه. قوله من أنفق زوجين قال الحسن البصري يعنى اثنين من كل شيء درهمين دينارين ثوبين وقال غيره يريد شيئين درهما ودينارا درهما وثوبا خفا ولجاما ونحو هذا * قال الباجي يحتمل أن يريد بذلك العمل من صلاتين أوصيام يومين [1] * وروى أنس بن مالك رضى الله عنه أن أبا طلحة كان اكثر الانصار

(١) المتبادر للذهن المعلوم من أحاديث أخر أن المراد بالزوجين هو مقدار مايملأ الراحتين من قمح او شعير أوما اشبههما (قاله المصحح)

بالمدينة مالا وكان أحب أمواله اليه بيرحاء وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب قال أنس فلما نزلت هذه الآية (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) قام أبو طلحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله عز وجل يقول فى كتابه لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وان أحب أموالي الي بيرحاء وانها صدقة لله عز وجل أرجو برها وذخرها عند الله تعالى فضعها يارسول الله حيث شئت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بخ ذلك مال رابح ذلك مال رابح قد سمعت ماقلت فيها وانى أرى أن تجعلها فى الاقربين فقسمها أبو طلحة فى أقاربه وبنى عمه » متفق عليه. قوله بيرحاء هوموضع بقرب المسجد وقيل حاء اسم رجل اليه نسب البئر واختلف فى تقييده فروى بفتح الراء فى كل حال وروى بضم الراء فى الرفع وفتحها فى النصب وكسرها فى الجر * وقوله بخ يقال بالتسكين وبالكسر مع التنوين قال الخليل يقال ذلك للشيء اذا رضيته ويقال ليعظم الامر وقوله مال رابح يروي بالباء الموحدة من الربح بالاجر وجزيل الثواب أي ذو ربح ويروي بالياء المثناة من الرواح عليه بالاجر على الدوام مابقيت أصوله وثماره * وقال الهروى رابح أى ذي ربح ومن رواه رائح أراد انه قريب الفائدة *

﴿ الباب الرابع فى الدعاء والذكر ﴾

روى النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي صلي الله عليه وسلم قال « الدعاء هو العبادة ثم قرأ (وقال ربكم ادعونى أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين) أخرجه أبو داود والترمذى وابن ماجه *

(مايقال عند القيام من النوم) * روى ابن عباس رضى الله عنهما قال « كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل يتهجد قال اللهم لك الحمد أنت نور السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق وقولك الحق ولقاؤك الحق والجنة حق والنار حق والساعة حق ومحمد حق اللهم لك أسلمت وعليك توكلت وبك آمنت واليك أنبت وبك خاصمت واليك حاكمت فاغفر لى ماقدمت وما أخرت وما أسررت وماأعلنت أنت المقدم وأنت المؤخر لاإله الا

أنت ولا إله غيرك » متفق عليه * قوله أنت نور السموات و الارض معناه ذو نور راي خالقه قيل نور الدنيا فى الشمس و القمر و قيل منور قلوب عباده المؤمنين بالهداية و المعرفة و قوله قيوم السموات والارض أى القائم بامر هما * روى عبادة بن الصامت رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « من تعار من الليل فقال لا إله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير الحمد لله وسبحان الله والله أ كبر ولا حول ولا قوة الا بالله ثم قال اللهم اغفرلى ودعا استجيب له فان توضأ وصلى قبلت صلاته » اخرجه البخارى وقوله تمار بتشديد الواء قيل استيقظ وقيل تكلم وتمطى وأنَّ وقيل انتبه وقال بعضهم تمطى بصوت قال البعض وهو ابين وأشبه بالمعنى *

(مايقال عند دخول الخلاء) روى أنس بن مالك رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل الخلاء قال « اللهم انى اعوذ بك من الخبث والخبائث » متفق عليه . الخبث بضم الخاء جمع خبيث والخبائث جمع خبيثة يريد ذكور الشياطين واناثهم وعامة المحدثين يسكنون الباء وغلطهم الخطابى فيه وصوب ذلك غيره

(مايقال بعد الفراغ من الوضوء) روى عقبة بن عامر رضى الله عنه قال كانت علينا رعاية الابل فجاءت نوبتى فروحتها بعشى فادركت رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يحدث الناس فادركت من قوله « مامن مسلم يتوضأ فيحسن الوضوء ثم يقوم فيصلى ركعتين مقبلا عليهما بقلبه ووجهه الا وجبت له الجنة قال فقلت ما أجود هذه فاذا قائل بين يديه يقول الذي قبلها اجود فنظرت فاذا عمر قال انى قد رأيتك حين جئت آنفا قال مامنكم من أحد يتوضأ فيبلغ او فيسبغ الوضوء ثم يقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله الا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء » انفرد به مسلم *

(مايقول عند الخروج الى الصلاة) روى على بن عبد الله بن عباس رضى الله عنهم عن أبيه انه رقد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستيقظ رسول الله وتوضأ وهو يقول ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولى الالباب فقرأ هؤلاء الايات حتى ختم السورة ثم قام فصلى ركعتين فاطال فيهما القيام والركوع والسجود ثم انصرف فنام حتى نفخ ثم فعل ذلك ثلاث مرات بست ركعات كل

ذلك يستاك ويتوضا ويقرأ هؤلاء الآيات ثم أوتر بثلاث فاذن المؤذن فخرج الى الصلاة وهو يقول اللهم اجعل فى قلبي نورا وفى لسانى نورا واجعل فى سمعى نورا واجعل فى بصري نورا واجعل من خلفى نورا ومن امامى نورا واجعل من فوقى نورا ومن تحتى نورا اللهم اعطنى نورا » انفرد به مسلم. قوله واجعل في قلبي نورا وفى بصرى نورا وفى سمعى نورا الحديث النور الهداية والبيان وضياء الحق وقيل يحتمل ان يريد الرزق الحلال وقوة هذا الاعطاء به الطاعة * روى الشعبي عن أم سلمة رضى الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا خرج من بيته قال « بسم الله توكلت على الله اللهم انا نعوذ بك من أن نزل أو نضل او نظلم اونظلم اونجهل أو يجهل علينا » اخرجه أبو داود والترمذي والنسائى وابن ماجه وقال الترمذى حسن صحيح *

(مايقال عند الصباح) روى شداد بن أوس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « سيد الاستغفار اللهم انت ربى لا إله الا انت خلقتنى وأنا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر ماصنعت ابوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبى فاغفر لى فانه لايغفر الذنوب الا أنت اذا قالها حين يمسى فمات دخل الجنة أو كان من أهل الجنة واذا قالها حين يصبح فمات يومه مثله » انفرد به البخارى وغيره وقوله ابوء لك بنعمتك قال الهروى اقربها والزمها نفسى وأصل البوء اللزوم وأبوء لك بذنبي اي أعترف طوعا اي رجعت الي الاقرار بعد الانكار * وروى ابان بن عثمان قال سمعت عثمان بن عفان رضى الله عنهما يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مامن عبد يقول فى صباح كل يوم ومساء كل ليلة بسم الله الذي لايضر مع اسمه شيء فى الارض ولا فى السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات فلم يضره شيء » وكان ابان قد اصابه طرف فالج فجعل الرجل ينظر اليه فقال له ابان ماتنظر اما ان الحديث كما حدثتك ولكنى لم أقله يومئذ ليمضى الله على قدره »[1] اخرجه ابو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه وقال الترمذى حسن

---

(١) قوله طرف فالج أى بعضه بفتح اللام علة معروفة وقوله فجعل الرجل ينظر اليه اى تعجبا وانكارا بانك كنت تقول هذه الكلمة في كل مساء وصباح فكيف اصابك الفالج ان كان الحديث صحيحا فقال له ابان رفعا لتعجبه بطريق الاستفهام الانكاري ماتنظر الخ.

صحيح * وروى أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قال حين يصبح وحين يمسى سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بافضل مما جاء به الا أحد قال مثل ما قال او زاد عليه » انفرد به مسلم *

(مايقال عند سماع الاذان) روى سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من قال حين يسمع المؤذن أشهد أن لا أله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالاسلام دينا غفر الله ذنبه » انفرد به مسلم *

(مايقال بعد التسليم من الصلاة) روى ثوبان قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثا وقال اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام » * قال الوليد قلت للاوزاعى كيف الاستغفار قال تقول استغفر الله استغفر الله انفرد به مسلم * وروى المغيرة بن شعبة قال سمعت رسول الله صلى عليه وسلم يقول « اذا قضى الصلاة لا اله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد » متفق عليه * وقوله لا ينفع ذا الجد منك الجد بفتح الجيم اي لا ينفع ذا الغنى منك غناه انما ينفعه العمل بطاعتك وقيل الجد والبخت الحظ ورواه بعضهم بكسر الجيم وحمله على الحرص فى الامور وانكر ذلك ابو عبيد وروى عطاء بن زيد الليثى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبح الله فى دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد الله ثلاثا وثلاثين وكبر الله ثلاثا وثلاثين فتلك تسعة وتسعون وقال تمام المائة لا اله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر » انفرد به مسلم واتفقا على معناه من رواية ابى صالح عن أبى هريرة وروى عبد الله بن الزبير انه كان يقول فى دبر كل صلاة حين يسلم لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا حول ولا قوة الا بالله ولا نعبد الا إياه له النعمة والفضل وله الثناء الحسن لا اله الا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يهلل بهن فى دبر كل صلاة

انفرد به مسلم *

(ما يسبح به فى الايام وفضل التسبيح) روى ابو هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير فى كل يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه حتى يمسى ولم يأت أحد يوم القيامة افضل مما جاء به الا احد عمل اكثر من ذلك ومن قال سبحان الله وبحمده ماية مرة حطت خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر » متفق عليه قوله عدل عشر رقاب العدل بالفتح المثل وما عادل الشىء من غير جنسه وبالكسر ما عادله من جنسه وكان نظيره وقال البصريون العدل والعدل لغتان وهما المثل * وروى موسى الجهنى عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم الف حسنة فسأله سائل من جلسائه كيف يكسب أحدنا الف حسنة قال يسبح مائة تسبيحة فيكتب له الف حسنة أو يحط عنه الف خطيئة » انفرد به مسلم قال الحميدي هكذا هو في كتاب مسلم فى جميع الروايات عن موسى أو يحط قال البرقانى ورواه شعبة وأبو عوانة ويحيى ابن سعيد القطان فقالوا ويحط بغير الف * وروى أبو هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم » متفق عليه * وروى أبو صالح عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لان أقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر أحب الى مما طلعت عليه الشمس » انفرد به مسلم وروى أبو ذر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا أخبرك باحب الكلام الى الله تعالى قلت يا رسول الله أخبرنى بأحب الكلام الى الله تعالي فقال ان أحب الكلام الى الله تعالى سبحان الله وبحمده » انفرد به مسلم * وروى أبو موسى الاشعرى رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم « مثل الذى يذكر الله والذي لا يذكره مثل الحي والميت» متفق عليه *

(مايقال عند القيام من المجلس) * روي أبو هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا أنت أستغفرك وأتوب اليك الا غفر له ما كان في مجلسه ذلك » أخرجه الترمذى والنسائى قال الترمذى حسن صحيح قلت وقال البخارى له علة وقد جمعت طرقه في جزء مفرد واللغط اختلاف الاصوات فى الكلام حتي لا يفهم *

(مايقال عند المساء) * روي عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال « كان نبي الله صلى الله عليه وسلم اذا أمسينا قال أمسينا وأمسى الملك لله والحمد لله لا اله الا الله وحده لا شريك له أراه قال فيهن له الملك وله الحمد وهو علي كل شيء قدير رب أسألك خير مافى هذه الليلة وخير ما بعدها وأعوذ بك من شر هذه الليلة وشر مابعدها رب أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر أعوذ بك من عذاب فى النار وعذاب فى القبر واذا أصبح قال ذلك أيضا أصبحنا وأصبح الملك لله » أخرجه مسلم وقوله وسوء الكبر روى بسكون الباء بمعنى التعظم على الناس وبفتحها بمعنى كبر السن والخرف وذكر الخطابى الوجهين ورجح الفتح * روى أبو هريرة رضى الله عنه قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال للنبي صلى الله عليه وسلم يارسول الله مالقيت من عقرب لدغتنى البارحة قال « أما انك لو قلت حين أمسيت أعوذ بكلمات الله التامات من شر ماخلق لم يضرك » انفرد به مسلم وقوله بكلمات الله قال الهروي هى القرآن والتامات قيل هى الكاملة وقيل هى النافعة الكافية الشافية مما يتعوذ منه *

(مايقال عند النوم وأخذ المضجع) روى أبو ذر الغفارى رضى الله عنه قال « كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا أخذ مضجعه من الليل قال باسمك اللهم أموت وأحيا واذا استيقظ قال الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا واليه النشور » انفرد به البخارى * وروى البراء بن عازب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أمر رجلا إذا أخذ مضجعه من الليل أن يقول اللهم أسلمت نفسى اليك ووجهت وجهى

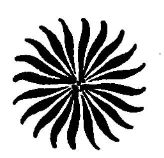
اليك والجأت ظهري اليك وفوضت أمري اليك رغبة ورهبة اليك لا ملجأ ولا منجى الا اليك آمنت بكتابك الذى أنزلت و برسولك الذى أرسلت فان مات مات علي الفطرة » وروى بنبيك متفق عليه * وروى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما «أنه أمر رجلا اذا أخذ مضجعه أن يقول اللهم خلقت نفسي فانت تتوفاها لك مماتها ومحياها اذا حييتها فاحفظها وان أمتها فاغفر لها اللهم أسألك العافية فقال له رجل أسمعت هذا من أحد قال من عمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم» انفرد به مسلم * وروي أنس بن مالك رضى الله عنه « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا أوى الى فراشه قال الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا فكم ممن لا كافى له ولا مأوى» انفرد به مسلم *

﴿ فصل فى الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ﴾

روى أبو هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشرا » انفرد به مسلم والصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة والنبي عليهم السلام استغفار ودعاء قاله الهروي * وروى عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال « كنت أصلي والنبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر معه فلما جلست بدأت بالثناء على الله تعالى ثم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثم دعوت لنفسي فقال النبي صلى الله عليه وسلم سل تعطه سل تعطه » أخرجه الترمذى وابن ماجه وقال الترمذى حسن صحيح * وقال عبد الرحمن ابن أبي ليلى لقيت كعب بن عجرة فقال الا أهديك هدية خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا قد عرفنا كيف نسلم عليك فكيف نصلى عليك فقال «قولوا اللهم صلى علي محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم إنك حميد مجيد» متفق عليه * روي أبو مسعود الانصارى رضى الله عنه أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن فى مجلس سعد بن عبادة فقال له البشير بن سعد « أمرنا الله عز وجل أن نصلي عليك يارسول الله فكيف نصلى عليك قال فسكت

رسول الله صلى الله عليه وسلم حتي تمنينا أنه لم يساله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وعلي آل محمد كما باركت على ابراهيم إنك حميد مجيد والسلام كماقد علمتم » انفرد به مسلم. وأبومسعود اسمه عقبة بن عمر وقوله كما قد علمتم يروى بفتح العين وتخفيف اللام وبضم العين وتشديد اللام ويعنى بذلك فى التحيات فى قوله السلام عليك أيها النبي ورحمة الله الي آخره وقيل فى قوله تعالى وسلموا تسليما * وروى أبو حميد الساعدى رضى الله عنه« أنهم قالوا يا رسول الله كيف نصلى عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته كما صليت على آل ابراهيم وبارك على محمد وعلى أزواجه وذريته كما باركت على ابراهيم إنك حميد مجيد» متفق عليه وأبو حميد الساعدى اسمه المنذر وقيل عبدالرحمن بن سعد بن المنذر وقيل غير ذلك * روى أبو سعيدالخدرىرضى الله عنه قال« قلنا يارسول الله هذا السلام عليك فكيف نصلى قال قولوا اللهم صل على محمدعبدك ورسولك كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيموآل ابراهيم» انفرد به البخارى *

﴿ تمت بحمد الله تعالي وحسن توفيقه ويليها الرسالة الخامسة انشاء الله تعالى ﴾



الرسالة الخامسة

ارشاد السائل الى دلائل المسائل

للعلامة خاتمة الحفاظ الحجة عز الانام القاضي البدر محمد بن على الشوكانى رحمه الله صاحب نيل الاوطار

المتوفي سنة ١٢٥٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده • وبه نستعين . ونعوذ بالله من شرور أنفسنا . وسيئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل له * ومن يضلل فلا هادى له * وأشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له * وأشهد أن محمدا عبده ورسوله *

(أما بعد) فانه أرسل الىّ بعض الاعلام بأسئلة يذكر انها من المخلاف اللياني [1] وانه حصل الاختلاف بين أهله فى شأنها وحاصل السؤال الاول هل الراجح جواز قضاء المقلد أم لا فاقول الاوامر القرآنية ليس فيها الا أمر الحاكم بان يحكم بالعدل والحق وما أنزل الله وما أراه الله ومن المعلوم لكل عارف أنه لا يعرف هذه الامور الا من كان مجتهدا اذ المقلد انما هو قائل بقول الغير دون حجته وليس الطريق الى العلم بكون الشيء حقا أو عدلا الا الحجة والمقلد لا يعقل الحجة اذا جاءته فكيف يهتدي للاحتجاج بها . وهكذا لاعلم عنده بما أنزل الله انما عنده علم بقول من هو مقلده فلو فرض انه يعلم بما أنزل الله وما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم علما صحيحا لم يكن مقلدا بل هو مجتهد وهكذا لا نظر للمقلد فاذا حكم بشيء فهو لم يحكم بما أراه الله بل بما أراه امامه ولا يدري أذلك القول الذي قاله أمامه موافق للحق أم مخالف له وبالجملة فالقاضي هو من يقضي بين المسلمين بما

---

(١) قوله المخلاف الليمانى هو من وادى حلى الى زبيد ولفظ المخلاف مستعمل في اليمن بمعنى القطر

جاء عن الشارع كما جاء فى حديث معاذ عند أبي داود والترمذى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يبعث معاذا الى اليمن قال : كيف تقضى اذا اعترض لك القضاء قال اقضى بكتاب الله قال فان لم تجد فى كتاب الله قال فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فان لم تجد فى سنة رسول الله قال اجتهد رأيى ولا آلوه قال فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره وقال الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم لما يرضى رسول الله . وهذا الحديث وان كان فيه مقال فقد جمع طرقه وشواهده الحافظ ابن كثير فى جزء وقال هو حديث حسن مشهور اعتمد عليه أئمة الاسلام وقد أخرجه أيضا أحمد وابن عدى والطبرانى ولائمة الحديث كلام طويل فى هذا الحديث فبعضهم يقول باطل لا أصل له وبعضهم يقول حسن معمول به وبعضهم يقول ضعيف والحق انه من الحسن لغيره وهو معمول به وقد دل هذا الحديث على انه يجب على القاضي أن يقدم القضاء بكتاب الله ثم اذا لم يجد فيه قضى بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اذا لم يجد اجتهد رأيه والمقلد لا يتمكن من القضاء بما فى كتاب الله لانه لا يعرف الاستدلال ولا كيفيته ولا يمكنه القضاء بما فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك ولانه لا يميز بين الصحيح والموضوع والضعيف المعل باى علة ولا يعرف الاسباب ولا يدري بالمتقدم والمتأخر والعام والخاص والمطلق والمقيد والمجمل والمبين والناسخ والمنسوخ بل لا يعرف مفاهيم هذه الالفاظ ولا يتعقل معانيها فضلا عن أن يمكن من أن يعرف اتصاف الدليل بشيء منها وبالجملة فالمقلد اذا قال صح عندى فلا عند له وان قال صح شرعا فهو لا يدرى ما هو الشرع وغاية مايمكنه أن يقول صح هذا من قول فلان وهو لا يدوى هل هو صحيح فى نفس الامر أم لا فهو بلا ريب أحد قضاة النار لانه اما أن يصادف حكم الحق فهو حكم بالحق ولا يعلم انه الحق أو يحكم بالباطل وهو لا يعلم أنه باطل وكلا الرجلين فى النار كما ورد بذلك النص عن المختار . وأما قاضى الجنة فهو الذي يحكم ويعلم أنه الحق ولا شك أن من يعلم بالحق مجتهد لا مقلد هذا يعرفه كل عارف فان قال المقلد أنه يعلم ان ماحكم به من قول امامه حق لان كل مجتهد مصيب فنقول له هل أنت مقلد فى هذه

المسأله أعني أن كل مجتهد مصيب أم مجتهد فان قال كنت مقلدا فى هذه المسألة فقد جعلت ماهو محل النزاع دليلا لك وهو مصادرة باطلة فانك لا تعلم بانها حق في نفسها فضلا عن أن تعلم بزيادة على ذلك وان كنت مجتهدا في هـذه المسألة فـكيف خفي عليك ان المراد بكون كل مجتهد مصيبا هو من الصواب لا من الاصابة كما أقر بذلك القائلون بتصويب المجتهدين وحرروه فى مؤلفاتهم المعروفة الموجودة بأيدى الناس واذا كان ذلك من الصواب لامن الاصابة فلا يستفاد من المسألة ماتزعمه من كونه مذهب امامك حقا فانه لاينافى الخطأ ولهذا صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « اذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وان اجتهـد فاخطأ فله أجر » وهذا لايخفى الا على أعمى واذا لم تتعقل الفرق بين الصواب والاصابة فاستر نفسك بالسكوت ودع عنك الـكلام فى المباحث العلمية وتعلم ممن يعلم حتى تذوق حلاوة العلم فهذا حاصل مالدى فى هذه المسألة وان كانت طويلة الذيل والخلاف فيها مدون فى الاصول والفروع ولـكن السائل لم يسأل عن أقوال الرجال انمـا سئل عن تحقيق الحق فان قلت اذا كان التخاصم ببلد لايوجد فيها مجتهد هـل يجوز للخصمين الترافع الى من بها من القضاة المقلدين قلت اذا كان يمكن وصولها الى قاض مجتهد لم يجز للمقلد أن يقضى بينهما بل يرشدهما الى القاضي المجتهد أو يرفع القضية اليه ليحكم فيها بما أراه الله فان كان الوصول الى القاضى المجتهد متعذرا أو متعسرا فلا بأس بان يتولى ذلك القاضى المقلد فصـل خصوماتهما لـكن يجب عليه أن لا يدعى علم ماليس فيه من شانه فلا يقول صح له ولا صح شرعا بل يقول قال امامي كذا ويعرف الخصمين انه لم يحكم بينهما الا بما قاله الامام الفلانى وفى الحقيقة هو محكم لا حاكم وقد ثبت التحكيم في هذه الشريعة المطهرة كما جاء ذلك فى القرآن فى شأن الزوجين وأنه يوكل الامر الى حكم من أهل الزوج وحكم من أهـل الزوجة كما فى قوله تعالى (يحكم به ذوا عدل منكم) وكما وقع في زمن النبوة ومع الصحابة في غير قضية ومن لم يجد ماء تيمم بالتراب والرمد أهون من العمى ولا يغتر العاقل بما يزخرفه المقلدون ويموهون به على العامة من تعظيم شان من يقلدونه وينشر فضائله ومناقبه والموازنة بينه وبين من يبلغ رتبة الاجتهاد فى عصر هؤلاء المقلدين

١ ـ المائدة ٩٥

فان هذا خروج عن محل النزاع ومغالطة قبيحة وما أسرع نفاقها عند العامة لان أفهامهم قاصرة عن ادراك الحقائق والحق عندهم بالرجال و للاموات فى صدورهم جلالة وفخامة وطبائع المقلدين قريبة من طبائعهم فهم الى قبول أقوالهم أقرب منهم الى قبول أقوال العلماء المجتهدين لان المجتهدين قد باينوا العامة وارتفعوا الى رتبة تضيق أذهان العامة عن تصورها فاذا قال المقلد مثلا أنا أحكم بمذهب الشافعى وهو أعلم من هذا المجتهد المعاصر له وأعرف بالحق منه كانت العامة الى تصديق هذه المقالة والاذعان لها أسرع من السيل المنحدر وتنفعل أذهانهم كذلك اكمل انفعال *

فاذا قال المجتهد مجيبا على ذلك المقلد إن محل النزاع هو الموازنة بينى وبينك لا بينى و بين الشافعى فانى أعرف العدل والحق وما أنزل الله واجتهد برأيى اذا لم أجد فى كتاب الله وسنة رسوله نصا وأنت لا تعرف شيئا من ذلك ولا تقدر على أن تجتهد برأيك اذ لا رأي لك ولا اجتهاد لان اجتهاد الرأى هو ارجاع الحكم الى الكتاب والسنة بالمقايسة أو بعلاقة يسوغها الاجتهاد وانت لا تعرف كتابا ولا سنة فضلا عن ان تعرف كيفية الارجاع اليهما بوجوه مقبولة كان الجواب الذى جاء به المجتهد مع كونه حقا بحتا بعيدا عن ان يفهم العامة أو تذعن لصاحبه *

ولهذا نرى فى هذه الازمان الغريبة الشان ماينقله المقلد عن امامه أوقع فى النفوس مما ينقله المجتهد من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وان جاء من ذلك بالكثير الطيب وقد رأينا وسمعنا مالا يشك بانه من علامات قيام القيامة على أن كثيرا من المقلدين قد ينقل فى حكمه أو فتواه عن مقلد مثله قد صار تحت اطباق الثرى وأمامه عنه براء فيجول ويصول و ينسب ذلك الى مذهب الامام وينسب من يأتى بما يخالفه من كتاب أو سنة الى الابتداع ومخالفة المذهب ومباينة أهل العلم وهو لو ارتفعت رتبته عن هذا الحضيض قليلا لعلم أنه هو المخالف لامامه لا الموافق له ولنوضح هذا بشيء يعرفه المقلدون فى ديارنا هذه فنقول اذا قال الحاكم للمجتهد فى مسألة من المسائل بخلاف ما فى متن الازهار

فلا يعدم جماعة من المقلدين ينكرون عليه هذه المخالفة لما فى الازهار ويتقربون الى العامة بانهم يحافظون على العمل بما فى هذا الكتاب وانهم مشيدون للمذهب قائمون بنشره وإن ذلك المجتهد يخالف ولو انصفوا لعلموا أنهم هم المخالفون لما فى الازهار وان ذلك المجتهد أسعد منهم بموافقته فان فى أول فصل من فصول الازهار ان التقليد جائز لغير المجتهد لا له ولو وقف على نصه أعلم منه وقاله بعد ذلك بعد الالتزام بحرمة الانتقال الا الى ترجيح نفسه فهذا الازهار مصرح فى أوائله بان عمل المجتهد بما فى مسائله تقليداً غير جائز له فالمقلد المسكين يريد من هذا المجتهد أن لا يعمل باجتهاده ولا يرجع الى ترجيح نفسه بل يقلد مؤلف الازهار فى المسائل الفرعية التى فيه فيوقفه فيما لا يجوز بنص الازهار ثم هذا المقلد الذي يريد أن يكون قاضيا ويعتقد صحة قضائه هو أيضا مخالف للازهار فانه مصرح فى باب القضاء أن من شروط القاضى أن يكون مجتهدا فانه قال والاجتهاد فى الاصح فهذا المقلد ليس بقاض بنص الازهار كما انه مخطىء فى انكاره على من يخالف الازهار من المجتهدين بنص الازهار فانه قال فى كتاب السير فى فصل انكار المنكر (ولا فى مختلف فيه على من هو مذهبه) وهذا المقلد قد نصب نفسه لانكار اجتهادات المجتهدين تلبيسا على العوام وترويجا لقصوره على غير ذوى الافهام *

وبيان ذلك أنه ان كان عالما بهذه النصوص التى ذكرناها فى الازهار فهو فى انكاره وترسيخه لنفسه بما ليس من أهله مخالف لما يعتقد أنه الحق بل لما يقصر الحق عليه وان كان جاهلا بهذه النصوص فهو تهمة لانه يدعو الناس الى ما لا يعرفه ويرشدهم الى ما ليس عنده وينصب نفسه للانكار على أكابر العلماء وهو لا يعرف التقليد فضلا عن ان يعرف ما فوقه ومن كان بهذه المنزلة فهو صاحب الجهل المركب الذى لا يستحق أن يخاطب بل على كل صاحب علم أن يرفع نفسه عن مجادلته ويصون لسانه عن مقاولته الا أن يطلب منه أن يعلمه مما علمه الله *

﴿ السؤال الثانى ﴾ حاصله ما حكم الاعراب سكان البادية الذين لا يفعلون شيئا من الشرعيات الا مجرد التكلم بالشهادة هل هم كفار أم لا وهل على المسلمين غزوهم أم لا . أقول من كان تاركا لاركان الاسلام وجميع فرائضه ورافضا لما يجب

عليه من ذلك من الاقوال والافعال ولم يكن لديه الا مجرد التكلم بالشهادتين فلا شك ولا ريب ان هذا كافر شديد الكفر حلال الدم وصيانة الاموال انما تكون بالقيام باركان الاسلام فالذي يجب على من يجاور هذا الكافر من المسلمين فى المواطن والمساكن أن يدعوه الى العمل باحكام الاسلام والقيام بما يجب عليه القيام به على التمام ويبذل تعليمه ويلين له القول ويسهل عليه الامر ويرغبه فى الثواب ويخوفه من العقاب فان قبل منه ورجع اليه وعول عليه أكدها أو يوصله الى من هو أعلم منه بأحكام الاسلام وان أصر ذلك الكافر على كفره وجب على من يبلغه أمره من المسلمين أن يقاتلوه حتي يعمل بأحكام الاسلام على التمام فان لم يعمل فهو حلال الدم والمال حكمه حكم أهل الجاهلية وما أشبه الليلة بالبارحة وقد أبان لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا مانعتمده فى قتال الكافرين والآيات القرآنية والاحاديث النبوية فى هذا الشأن كثيرة معلومة لكل فرد من أهل العلم بل هذا الامر هو الذى بعث الله سبحانه به رسوله وأنزل لاجله كتبه والتطويل فى شأنه والاشتغال بنقل برهانه من باب ايضاح الواضح وتبيين البين فاذا صح الاصرار على الكفر فالدار دار حرب بلا شك ولا شبهة والاحكام الاحكام وقد اختلف المسلمون فى غزو الكفار الى ديارهم هل يشترط فيه الامام الاعظم أم لا والحق الحقيق بالقبول أن ذلك واجب علي كل فرد من أفراد المسلمين والآيات القرآنية والاحاديث النبوية مطلقة غير مقيدة *

(السؤال الثالث) حاصله ما قيل فى العصاة من أهل بيت النبوة أنهم لا يعاقبون على ما يرتكبون من الذنوب بل هم من أهل الجنة على كل حال تكريما وتشريفا هل ذلك صحيح أم لا أقول لاشك ولا ريب أن أهل البيت النبوى المطهر لهم من المزايا والخصائص والمناقب ماليس لغيرهم وقد جاءت الآيات القرآنية والاحاديث النبوية شاهدة لهم بما خصهم الله به من التشريف والتكريم والتبجيل والتعظيم . وأما القول برفع العقوبات عن عصاتهم وأنهم لا يخاطبون بما اقترفوه من المآثم ولا يطالبون بما جنوه من المظالم فهذه مقالة باطلة ليس عليها

أثارة من علم ولم يصح فى ذلك عن الله ولا عن رسوله حرف واحد وجميع ما أورده علماء السوء المتقربون الى المتعلقين بالرياسات من أهل هذا البيت الشريف فهو باطل موضوع أو خارج عن محل النزاع بل القرآن أعدل شاهد وأصدق دليل على زجر قول كل مكابر جاحد فانه قال عز وجل فى نساء النبى صلى الله عليه وسلم (من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين)[1] وليس ذلك الا لما لهن من رفعة القدر وشرافة المحل بالقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم وذريته الاطهار هم أحق منهن بهذا المضمار فانهم أقرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشرف قدرا وأعلى محلا وأكرم عنصرا وأفخم ذكرا ولو كان الامر كما زعم هذا الزاعم لم يكن لقوله تعالى (وأنذر عشيرتك الاقربين)[2] معنى ولا كبير فائدة واذا كان المصطفى صلى الله عليه وسلم يقول لفاطمة البتول التى هى بضعة منه يغضبه ما يغضبها ويرضيه ما يرضيها « يافاطمة بنت محمد لا أغنى عنك من الله شيئا » فليت شعرى من هذا من أولادها الذى خصه الله بما لم يخصها ورفعه الى درجة قصرت عنها فابعد الله علماء السوء وقلل عددهم فان العاصى من أهل هذا البيت الشريف المطهر اذا لم يكن مستحقا على معصية مضاعفة العقوبة فأقل الاحوال أن يكون كسائر الناس فيامن شرفه الله بهذا النسب الشريف اياك أن تغتر بما ينمقه لك أهل التبديل والتحريف *

(السؤال الرابع) حاصله الاستفهام عن مذهب أهل الحق فى شأن ما شجر بين الصحابة فى الخلافة وما يترتب عليها * أقول ان كان هذا السائل طالبا للنجاة مستفهما عن أقرب الاقوال الى مطابقة مراد مولاه كما يشعر بذلك تصرفه فى سؤاله فليدع الاشتغال بهذا الامر ويترك المرور فى هذا المضيق الذى تاهت فيه الافكار وتحيرت عنده أفكار أهل الانظار فان هؤلاء الذين تبحث عن حوادثهم وتتطلع لمعرفة ماشجر بينهم قد صاروا تحت أطباق الثرى ولقوا ربهم فى المائة الاولى من البعثة وهانحن الآن فى المائة الثالثة عشر فما لنا والاشتغال بهذا الشأن الذى لا يعنينا ومن حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه . وأى فائدة لنا فى الدخول فى الامور التى فيها ريبة وقد أرشدنا الى أن ندع ما يريبنا الى مالا يريبنا ويكفينا من تلك القلاقل

[1] ـ الأحزاب ٣٠
[2] ـ الشعراء ٢١٤

والزلازل أن نعتقد انهم خير القرون وأفضل الناس وان الخارجين على أمير المؤمنين رضوان الله عليهم المحاربين له المصريين على ذلك الذين لم تصح توبتهم بغاة وانه المحق وهم المبطلون . وما زاد على هذا المقدار فهو من الفضول الذي يشتغل به من لايبالى بدينه وقد تلاعب الشيطان بكثير من الناس فأوقعهم فى الاختلاف فى خير القرون الذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شأنهم لبعض من هو من جملتهم لكنه تأخر اسلامه عنهم « لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا مابلغ مد أحدهم ولا نصيفه » فاذا كان مثل أحد ذهبا من المتأخرين من الصحابة المخاطبين بهذا الخطاب لايبلغ مد أحد متقدميهم ولا نصيفه فما أظنه يبلغ بمثل أحد ذهبا منا مقدار حبة من أحدهم ولا نصفها فرحم الله امرأ اشتغل بما أوجبه الله عليه وطلبه منه وترك مالا يعود عليه بنفع لافى الدنيا ولا فى الآخرة بل يعود عليه بالضر ولو لم يكن من الضر الا مجرد ماأرشدنا اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله « من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه » لكفى فهذا والله ممالا يعنينا ومن ظن خلاف هذا فهو مغرور مخدوع قاصر الباع عن ادراك الحقائق ومعرفة الحق على وجهه كائنا من كان والله لو جاء أحدهم يوم القيامة بما يملأ الدنيا من الحسنات ما كان لنا من ذلك شيء ولو جاء أحدهم (وصانهم الله) من السيئات بمثل ذلك ما كان علينا من ذلك شيء ففيم التعب وعلام نضيع الاوقات فى هذه الترهات *

(السؤال الخامس) حاصله الاستفهام عن العادات الجارية فى بعض البلدان من الاجتماع فى المساجد لتلاوة القرآن على الاموات وكذلك فى البيوت وسائر الاجتماعات التى لم ترد فى الشريعة هل يجوز ذلك أم لا * أقول لا شك ان هذه الاجتماعات المبتدعة ان كانت خالية عن معصية سليمة من المنكرات فهى جائزة لان الاجتماع ليس بمحرم فى نفسه لاسيما اذا كان لتحصيل طاعة كالتلاوة ونحوها ولا يقدح فى ذلك كون تلك التلاوة مجعولة للميت فقد ورد جنس التلاوة من الجماعة المجتمعين كما فى حديث « اقرأوا على موتاكم يس » وهو حديث حسن ولا فرق بين تلاوة يس من الجماعة الحاضرين عند الميت أو على قبره وبين تلاوة جميع القرآن أو بعضه لميت فى مسجده أو بيته . وبالجملة فالاجتماعات العرفية التى

لم يرد جنسها فى الشريعة ان كانت لاتخلو عن منكر فلا يجوز حضورها ولا يحل ولاتطيب نفس مسلم بحضور موقف المنكرات والمعاصى وان كانت خالية عن ذلك وليس فيها الا مجرد التحدث بما هو مباح فهذا لا نسلم انه لم يرد جنسه فى الشريعة المطهرة فقد كان الصحابة الراشدون يجتمعون فى بيوتهم ومساجدهم وبينهم نبيهم صلى الله عليه وسلم ويتناشدون الاشعار ويتذاكرون الاخبار ويأكلون ويشربون فمن زعم ان الاجتماع الخالى عن الحرام بدعة فقد أخطأ فان البدعة هى التى تبتدع في الدين وليس هذا من ذلك *

(السؤال السادس) حاصله الاستفهام عن الحلف بغير الله كالحلف بالسلطان والاولياء والقرآن من دون قصد تعظيم المخلوق به بل لاجل الاعتياد بذلك فى المحاورة * أقول هذا لايحل لمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر . وقد ورد النهى عنه فى الاحاديث الصحيحة وورد أيضا فى الاحاديث مايفيد ان فاعل ذلك يكفر اذا كان حلفه باللات والعزى ونحو ذلك من الطواغيت و ورد أن من فعل ذلك لم يرجع الى الاسلام سالما وهذه أحاديث صحيحة ثابتة فى دواوين الاسلام فان سبق لسان الحالف الى شيء من ذلك لاجل تمرنه عليه فعليه أن يتدارك نفسه بالاستغفار ويعود لسانه ونفسه الخير ما استطاع ولايقع فيما نهى عنه الشارع وتوعد عليه فان النفس قابلة للتعليم اذا عودت غير ماقد اعتادته عادت الى الموافقة ولو بعد حين *

(السؤال السابع) عن تبقية شعر الرأس هل هو مسنون اذا علم من نفسه النقص عن تخليله بالماء عند وجوب الغسل أم يجب عليه ازالته «أقول»

وخير الامور السالفات على الهدى وشر الامور المحدثات البدائع

قد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جمة الى شحمة اذنيه وكذلك المشاهير من الصحابة الذين نقلت الينا حليتهم وقد جاءت الاحاديث الصحيحة الصريحة بذلك فمن أراد الاقتداء بالهيئة التى كان عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فليترك له جمة كالجمة التى كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم من دون أن يحلق بعض شعر الرأس و يبقى بعضه كما يعتاده البدو فى الجهات المتصلة بصنعاء فان ذلك منهى

عنه لان التحليق ان كان بموضع الحلاقة فقد ورد عنه النهى الصحيح وان كان بموضع من الرأس فهو القزع المنهى عنه بالحديث الصحيح وهكذا حلق البعض وترك البعض وأما حلق الرأس كله فلم يرد مايدل على النهى عنه وان كانت خلاف السنة اذا كان لغير النسك وقد ثبت ان التحليق سيما الخوارج ولعلهم يفعلون ذلك معتقدين مشروعيته نعم ورد الامر النبوى لمن أسلم بأن يحلق عنه شعر الكفر فمن دخل بالاسلام بعد الكفر فعليه أن يحلق شعره الذى كان على بدنه فى الكفر وهو شعر الرأس لاشعر اللحية ونحوه مما لايرد الشرع بحلقه هذا على تسليم أن أمره صلى الله عليه وسلم لهذا الفرد من أفراد الكفار يكون أمراً لكل فرد منهم والخلاف فى المسألة معروف فى الاصول ولم ينقل الينا أنه صلى الله عليه وسلم أمر أحدا ممن أسلم من أكابر الصحابة أن يحلق شعره ولا من غيرهم من متأخرى الاسلام غير هذا الرجل ومع هذا فالحديث المذكور فى حلق الرأس ضعيف كما أوضح ذلك علماء هذا الشأن *

(السؤال الثامن) حاصله الاستفهام عن أرض فيها آثار ملك متقادمة ولا يد عليها فى الحال ولا يعرف مالكها ولبعض الناس أوضاع شرعية تفيد أن له ملكا فيها ولكنه غير معين فى جهة من جهاتها فهل يجوز احياؤها أم لا *

أقول ان الارض التي فيها آثار ملك لمالك غير معروف ان كانت فى البلاد الامامية فهى لبيت المال ويكون أمرها الى الامام يجعلها لمصلحة من مصالح المسلمين أو يبيعها أو يؤجرها وان كانت فى أرض غير امامية كان أمرها الى أصلح أهل تلك البلد يجعلها فى مصالح المسلمين واذا كان لاحد الناس أوضاع صحيحة تفيد أنه يملك مقدارا معلوما غير معين فى جهة من جهاتها كان له ذلك المقدار من أوسط بقاعها الذى يكون متوسطا بين أعلاها وأدناها اذا كانت مختلفة وان كانت متحدة فللامام أو الحاكم عن جهة أو حاكم المصالح أن يعين لصاحب الوضع ما اشتمل عليه وضعه فى أى جهة من جهاتها والمفروض أنه لاثبوت ليد عليها حتي تعارض لقوم معروفين وهى منسوبة اليهم نسبة تفيد الملك فان كان نصيب كل واحد منهم معلوما غير معين فى جهة قسمت بينهم على قدر الانصباء وان كان النصيب مجهولا قسمت

بينهم على الرؤوس مع عدم البرهان الشرعي بوجه من الوجوه *

(السؤال التاسع) حاصله هل يجوز التأديب بالمال اذا حصل من أحد الرعايا قتل أو نحوه أولا يجوز وان كانوا لايقومون في الغالب بما أوجبه الله عليهم من صلاة وصيام ونحوهما وهل فى أموالهم حق غير الزكاة * أقول قد شرع الله لعباده الشرائع وحد لهم الحدود وجعل لكل ذنب عقوبة فالقاتل يقتل أو يسلم الدية ان لم يكمل شروط القصاص أو كملت ورضى الورثة بالدية والجانى يقتص منه فيما يجب فيه القصاص ويسلم الارث فى الجناية التى لاقصاص فيها والزانى والسارق والقاذف والسكران قد جاءت الشريعة بعقوبات مقدرة فى كل واحد منهم . وتارك أركان الاسلام أو بعضها اذا أصر على الترك ولم يتب وجب قتاله بحسب الاستطاعة وهكذا جاءت الشريعة المطهرة بما يلزم كل من فعل محرما أو ترك واجبا ولم يأت في شيء من هذه الامور الشرعية التأديب بالمال وان ورد شيء من ذلك فى الشريعة كتضعيف الغرامة فى بعض المسائل وأخذ شطر من لم يسلم الزكاة وأخذ ثياب من يقطع أشجار حرم المدينة ونحو ذلك فهو مقصور على محله لايجوز مجاوزته الى غيره وقد استوفيت الكلام على ذلك فى رسالة مستقلة وسردت فيها المواضع التى وردت وأوضحت هنا ان الاصل المعلوم بالضرورة الدينية هو تحريم مال المسلم وعصمته وعدم تسويغه الا بطيب من نفسه وان تلك المواضع التى فيها التأديب بالمال كالمخصصة لهذا العموم فيقتصر عليها ولايجوز مجاوزتها الى غيرها وانه لايجوز ذلك فى هذه المواضع التى وردت الا لأئمة المسلمين المتبحرين فى معرفة أحكام الدين ولا يجوز لافرادهم كائنا من كان ولا يشك عالم أن تلك المواضع اليسيرة واردة على خلاف الاصل في هذه الشريعة فان الاصل المعلوم بالضروة هو ماورد فى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من العقوبات المقدرة للعصاة وقد تهافتت الظلمة فى هذه المسألة تهافتا شنيعا حتى عطلوا الحدود الواجبة واستحلوا أموال المسلمين بغير حقها فأخذوا ما حرم الله عليهم أخذه وهو مال المسلم وأهملوا ما أخذ الله عليهم القيام به وهو الحدود فجمعوا بين خطيئتين شنيعتين هما استحلال أموال المسلمين وأكلها بالباطل وتعطيل حدود الله التي شرعها لعباده

وأعانهم على ذلك علماء السوء فأفتوهم بما وجدوه فى نصوص أهل العلم من الكلام على التأديب بالمال فضلوا وأضلوا وكانوا شركاء لهم فى المظلمة مع أن نصوص أهل العلم مقيدة بقيود مشروطة بشروط وكذلك الادلة الواردة فى ذلك فانها فى مواطن خاصة مباينة لما يفعله أهل الظلم مبنية على مصالح عامة وخاصة لا يقف على وجه الحكمة فيها الا أفراد العلماء وأما ماسأل عنه السائل (هل فى المال حق سوي الزكاة)

فأقول قد تكلم علماء التفسير والحديث والفقه فى ذلك بكلام طويل والراجح أن حديث ليس فى المال حق سوا الزكاة عام مخصص بمثل وجوب الضيافة وسد رمق محترم الدم كما وردت بذلك الادلة الخاصة وبمثل قوله تعالى (وآتوا حقه يوم حصاده)[1] وقوله تعالى (وجاهدوا باموالكم وأنفسكم)[2] ونحو ذلك مما وردت به الشريعة المطهرة لا مالا ترد به مما ابتدعه أهل الظلم وجعلوه ذريعة الى أكل أموال الناس بالباطل *

(السؤال العاشر) عن العمائر المستجدة فى الحرم الشريف كالمقامات والمنارات وكذلك التعلية في البيوت زيادة على الحاجة أقول عمارة المقامات بدعة باجماع المسلمين أحدثها أشر ملوك الشراكسة فرج بن برقوق فى أوائل المائة التاسعة من الهجرة وانكر ذلك أهل العلم فى ذلك العصر ووضعوا فيه مؤلفات وقد بينت ذلك فى غير هذا الموضع ويالله العجب من بدعة يحدثها من هو من شر ملوك المسلمين فى خير بقاع الارض كيف لم يغضب لها من جاء بعده من الملوك المائلين الى الخير لاسيما وقد صارت هذه المقامات سببا من أسباب تفريق الجماعات وقد كان الصادق المصدوق ينهى عن الاختلاف والفرقة ويرشد الى الاجتماع والائتلاف كما فى الاحاديث الصحيحة بل نهى عن تفريق الجماعات فى الصلوات وبالجملة فكل عاقل متشرع يعلم انه حدثت بسبب هذه المذاهب التى فرقت الاسلام فرقا مفسدة اصيب بها الدين واهله وأن من أعظمها خطراً وأشدها على الاسلام ماوقع الآن فى الحرم الشريف من تفرق الجماعات ووقوف كل طائفة فى مقام من هذه المقامات كأنهم اهل أديان وشرائع مختلفة فانا لله وانا اليه راجون واما رفع المنارات فاصل وضعها لمقصد صالح وهو اسماع البعيد عن محل الاذان وهذه مصلحة مسوغة اذا لم تعارضها

١ ـ الأنعام ١٤١
٢ ـ التوبة ٤١

مفسدة فان عارضتها مفسدة من المفاسد المخالفة للشريعة فدفع المفاسد مقدم على جلب المصالح كما تقرر ذلك فى الاصول . واما تشييد البنيان ورفعه فوق حاجة الانسان فقد ورد النهى عنه والوعيد عليه وثبت انه صلى الله عليه وسلم أمر بهدم بعض الابنية وليس ذلك بمجرد بدعة بل خلاف ماارشد اليه الشارع *

﴿ السؤال الحادى عشر ﴾ عن شجرة التنباك هل يجوز استعمالها على الصفة التى يستعملها كثير من الناس الآن ام لا * اقول الاصل الذي يشهد له القرآن الكريم والسنة المطهرة هو ان كل مافى الارض حلال ولايحرم شيء من ذلك الا بدليل خاص كالمسكر والسم القاتل وما فيه ضرر عاجل أو آجل كالتراب ونحوه ومالم يرد فيه دليل خاص فهو حلال استصحابا بالبراءة الاصلية وتمسكا بالادلة العامة كقوله تعالى (خلق لكم مافى الارض جميعا) (قل لاأجد فيما أوحى الىّ محرما) الآية وهكذا الراجح عندى أن الاصل فى جميع الحيوانات الحل ولا يحرم شيء منها الا بدليل يخصصه كذى الناب من السباع والمخلب من الطير والكلب او الخنزير وسائر ماورد فيه دليل يدل علي تحريمه اذا تقرر هذا علمت ان هذه الشجرة التي سماها بعض الناس التنباك وبعضهم التوتون لم يأت فيها دليل يدل على تحريمها وليست من جنس المسكرات ولامن السموم ولامن جنس مايضر آجلا أوعاجلا فمن زعم أنها حرام فعليه الدليل ولا يفيد مجرد القال والقيل وقد استدل بعض أهل العلم على حرمتها بقوله تعالى (يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث) وأدرج هذه الشجرة تحت الخبائث بمسلك من مسالك العلة المدونة فى الاصول وقد غلط فى ذلك غلطا بينا فان كون هذه الشجرة من الخبائث هو محل النزاع والاستدلال بالآية الكريمة على ذلك فيه شوب مصادرة على المطلوب والاستخباث المذكور ان كان بالنسبة الى من يستعملها ومن لا يستعملها فهو باطل فان من يستعملها هي عنده من الطيبات لامن المستخبثات وان كان بالنسبة الى بعض هذا النوع الانسانى فقد وجد منهم من استخبث العسل وهو من أطيب الطيبات وقد صح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأكل الضب وقال اجدنى أعافه . فأكله بعض الصحابة بمرأى ومسمع منه صلى الله عليه وسلم ومن أنصف

من نفسه وجد كثيرا من الامور التى أحلها الشارع من الحيوانات وغيرها وكانت حلالا بالبراءة الاصلية وعموم الادلة فى هذا النوع الانسانى من يستخبث بعضها وفيهم من يستطيب ما يستخبثه غيره فلو كان مجرد استخباث البعض مقتضيا لتحريم ذلك الشيء عليه وعلى غيره لكان العسل ولحوم الابل والبقر والدجاج من المحرمات (١) لان فى الناس من يستخبث ذلك ويعافه واللازم باطل فالملزوم مثله فتقرر بهذا ان الاستدلال على تحريم التوتون لكون البعض يستخبثه غلط أو مغالطة وقد انقضى الجواب على سؤالات السائل مع المبالغة فى الاختصار ليسهل الانتفاع بذلك على طالب الفائدة ولو بسطنا الجواب بعض البسط لجاء جواب بعض هذه الاسئلة على انفراده في كراريس فما الظن بجميعها والحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم *

---

(١) هذه مغالطة ظاهرة فان هذه الاشياء ثابت حلها بنص الكتاب والسنة وأن عافها أكثر الناس وشجرة التنباك ليست مما ثبت حله بل نص على تحريمه كافة علماء الحكمة من مسلم وغيره بسبب ضرره وأنه يحدث ضررا كثيرا في جميع جسم الانسان حتى ان من يشربه ويستعمله يقر على نفسه بانه يحصل عنده ضرر بسببه وأن صحته تضعف وتأخذ في الانحطاط وليس يثبت أن كل حكم جزئى منصوص عليه نصا صريحا بخصوصه بل بعض الاشياء ثابت حكمه بدليل خاص وبعضه بدليل عام يندرج ذلك الجزئى تحته وهذا لا يخفى على من له أدنى ادراك بعلم الاصول وقواعد الشريعة * فيعلم العاقل أنه اسراف وقد قال تعالى (ولا تسرفوا) وتبذير وقال سبحانه (إن المبذرين كانوا اخوان الشياطين) ومفتر وقد نهى النبى صلى الله عليه وآله وسلم عن كل مسكر ومفتر فلذلك اذا استعمله الانسان في بادىء أمره يحصل عنده غثيان وتفتير يشعر به ويشكو . ومهلك وقد قال تعالى (ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة) وضرر وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « لا ضرر ولا ضرار » والله أعلم

﴿ تمت بحمد الله تعالى وحسن توفيقه ويليها الرسالة السادسة ان شاء الله تعالى ﴾

الرسالة السادسة

معنى قول الامام المطلبي اذا صح الحديث فهو مذهبي

﴿ لشيخ الاسلام تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي رحمه الله ﴾

(المتوفى سنة ٧٥٦)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وبه نستعين وعليه التوكل ﴾

قال الشيخ الامام شيخ الاسلام بقية المجتهدين تقي الدين السبكي رحمه الله سألت وفقك الله عن قول امامنا الشافعي رضي الله عنه اذا صح الحديث فهو مذهبي وهو قول مشهور عنه لم يختلف الناس في أنه قاله وروى عنه معناه أيضا بألفاظ مختلفة * قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي قال سمعت حرملة يقول قال الشافعي كل ما قلت فكان عن النبي صلى الله عليه وسلم خلاف قولي مما يصح فحديث النبي صلى الله عليه وسلم أولى ولا تقلدوني * وقال الاصم سمعت الربيع يقول سمعت الشافعي يقول اذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا بها ودعوا ماقلته * قال وسمعت الشافعي روى حديثا فقال له رجل ياأباعبدالله تأخذ بهذا فقال متى رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا صحيحا فلم آخذ به فأشهدكم أن عقلي قد ذهب .وقال الحميدي روى الشافعي يوما حديثا فقلت أتأخذ به فقال رأيتني خرجت من كنيسة عليّ زنار حتى اذا سمعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا لاأقول به * وقال الربيع سمعت الشافعي وسأله رجل عن مسألة فقال له يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم فيها كذا وكذا فقال له السائل تقول به فرأيته أرعد وانتفض وقال ياهذا أي أرض تقلني وأي سماء تظلني اذا رويت

عن رسـول الله صلى الله عليه وسلم حديثا فلم أقل به نعم على السمع والبصر * وقال ابن أبي حاتم اخبرني أبو محمد السجستاني فيما كتب الى عن أبي ثور سمعت الشافعي يقول كل حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم فهو قولي وان لم تسمعوه مني * وقال دعلج حدثنا ابو محمد الجارودي قال سمعت الربيع قال سمعت الشافعي يقول اذا وجدتم سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلاف قولي فخذوا بها ودعوا قولي فاني أقول بها * وقال ابن أبي حاتم كتب الي عبد الله بن الامام احمد سمعت أبي يقول كان الشافعي اذا ثبت عنده الحديث قلده وخير خصلة كانت فيه لم يكن يشتهي الكلام انما همته الفقه * وروى الطبراني عن عبد الله ابن الامام احمد قال سمعت ابي يقول قال محمد بن أدريس الشافعي أنت أعلم بالاخبار الصحاح منا فاذا كان خبر صحيح فاعلمني حتى اذهب اليه كوفيا كان أو بصريا أو شاميا فانظر انصاف الشافعي رحمه الله وقوله لأحمد واحمـد من اصحابه وقد قال ابراهيم الحربي قال استاذ الأستاذين قالوا من هو قال الشافعي اليس هو استاذ احمد بن حنبل * وقال ابو أيوب حميد بن احمد البصري كنت عند احمـد بن حنبل نتذاكر في مسألة فقال رجل لأحمد ياأبا عبد الله لايصح فيه حديث فقال ان لم يصح فيه حديث ففيه قول الشافعي . وحجته اثبت شيء فيه ثم قال قلت للشافعي ماتقول في مسألة كذا وكذا قال فأجاب فيها فقلت من اين قلت هل فيه حديث أو كتاب قال فنزع في ذلك حديثا للنبي صلى الله عليه وسلم وهو حديث نص * وروى البيهقي بسنده الى الربيع المرادي قال سمعت الشافعي يقـول اذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوا ماقلت * وعن الربيع بن سليمان أيضا قال سمعت الشافعي يقول كل مسألة تكلمت فيها صح الخبر فيها عن النبي صلى الله عليه وسلم عند أهل النقل بخلاف ماقلت فأنا راجع عنها في حياتي وبعد موتي * وعن الربيع بن سليمان قال سمعت الشافعي يقول مامن احـد الا ويذهب عليه سنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعرف عنه فمهما قلت من قول او أصلت من أصل فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله خلاف ماقلت فالقول ماقال رسول الله صلى الله عليـه وعلى اله

وسلم وهو قولى وجعل يردد هذا الكلام * وسئل ابو بكر بن خزيمة هل تعرف سنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحلال والحرام لم يودعها الشافعى كتابه قال لا * وقال الشافعى لاتترك الحديث عن رسول الله صلي الله عليه وسلم بان يدخله القياس ولا موضع للقياس مع السنة * وقال الشافعى فى حديث بروع بنت واشق ان ثبت عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فهو أولى الأمور بنا ولا حجة فى قول احد دون النبي صلي الله عليه وعلى آله وسلم ولا فى قياس ولا شىء فى قوله الا طاعة الله بالتسليم له ولم احفظه من وجه يثبت مثله هو مرة يقال عن معقل بن يسار ومرة عن معقل بن سنان ومرة عن بعض اشجع لا يسمى * وقال الشافعى فيماروى عن على بن معبد باسناده عن النبى صلى الله عليه وسلم وعلى آله انه أجاز بيع القمح فى سنبله اماهو فغرر لانه مجهول دونه لا يرى فان ثبت الخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم قلنا به وكان هذا خاصا مستخرجا من عام لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن بيع الغرر وأجاز هذا وكذا اجاز بيع الشقص من الدار فجعل فيه الشفعة لصاحب الشفعة وان كان فيه غرر وكان خاصا مخرجا من عام * وللشافعى رضى الله عنه كثير من هذا * وقد روينا منها باسانيده شيئا كثيرا لم نر التطويل بذكرها ولا بذكر الأسانيد * وقال أبو الوليد موسى بن ابي الجارود قال الشافعى اذا صح الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت قولا فانى راجع عن قولى وقائل بذلك * وقال الزعفرانى عن الشافعى اذا وجدتم لرسول الله صلى الله عليه وسلم سنة فاتبعوها ولا تلتفتوا الى قول احد * وحكى الأمام فى النهاية عن الصيدلانى عن بعض اصحابنا المحققين القطع باستحباب التثويب وقال نحن نعلم على قطع انه لو بلغه يعنى الشافعى الحديث على خلاف مااعتقده وصح على شرطه لرجع الى موافقة الحديث * وفى المهذب فى الغسل من غسل الميت ان الشافعى قال فى البويطى ان صح الحديث قلنا به * وفى البحر فى الاشتراط عن الشافعى فى الجديد ان صح حديث ضباعة قلت به * ورجح جماعة من أصحابنا ان وقت المغرب موسع والصوم عن الميت كذلك ولأجله قال الماوردي ان الصلاة الوسطى العصر مع نص الشافعى على انها الصبح قال ولا يكون فى ذلك قولان كما وهم بعض اصحابنا

* وقال في وطء الحائض فيه وجوب دينار أو نصف دينار * روى هذا الحديث الشافعي وكان اسناده ضعيفا فقال ان صح قلت به * وحكي الربيع عن الشافعي أنه قال ما ورد من سنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بخلاف مذهبي فاتركوا له مذهبي فان ذلك مذهبي واختار ابن المنذر أن الصلاة الوسطى العصر كما اختاره الماوردى ونسبه ابن عبد البر والقاضي عياض الى الشافعي *

(فصل) قال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح رضي الله عنه في كتاب الفتوى ممن حكى عنه أنه أفتي بالحديث في مثل ذلك أبو يعقوب البويطي وأبو القاسم الداركي وهو الذى قطع به أبو الحسن الكيا الطبرى وليس هذا بالهين فليس كل فقيه يسوغ له أن يستقل بالعمل بما رآه حجة من الحديث وفيمن سلك هذا المسلك من الشافعية من عمل بحديث تركه الشافعي عمدا على علم منه بصحته لمانع اطلع عليه وخفي على غيره كأبي الوليد موسى بن أبي الجارود ممن صحب الشافعي * روي أنه روى عن الشافعي أنه قال اذا صح عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث وقلت قولا فانا راجع عن قولي قائل بذلك * قال أبو الوليد وقد صح حديث أفطر الحاجم والمحجوم فرد على أبي الوليد ذلك من حيث أن الشافعي تركه مع صحته لكونه منسوخا عنده وقد دل على ذلك رضي الله عنه رتبته * وروينا عن ابن خزيمة الامام البارع في الحديث والفقه أنه قال قيل له هل تعرف سنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الحلال والحرام لم يودعها الشافعي كتابه قال لا قال ابن الصلاح [1] وعند هذا قول من وجد من الشافعيين حديثا يخالفه مذهبه نظر فان كملت آلات

---

(١) هكذا عبارة ابن الصلاح في النسختين وفي التركيب ركاكة. وقد ذكر الامام النووى كلام العلامة ابن الصلاح في مقدمة المجموع شرح المهذب وهاك نصه. قال الشيخ أبو عمرو فمن وجد من الشافعية حديثا يخالف مذهبه نظر أن كملت آلات الاجتهاد فيه مطلقا أو في ذلك الباب أو المسألة كان له الاستقلال بالعمل به وان لم يكمل وشق عليه مخالفة الحديث بعد ان بحث فلم يجد لمخالفته عنه جوابا شافيا فله العمل به ان كان عمل به امام مستقل غير الشافعي ويكون هذا عذرا له في ترك مذهب امامه هنا اه قال النووى وهذا الذى قاله حسن متعين

الاجتهاد فيه اما مطلقا وأما في ذلك الباب او في تلك المسألة كان له الاستقلال بالعمل بذلك الحديث وان لم تكمل فيه آلته ووجد حرارة في قلبه من مخالفة الحديث بعد أن بحث فلم يجد لمن لفته عنه جوابا شافيا فلينظر هل عمل بذلك الحديث إمام مستقل فان وجده فله ان يتمذهب بمذهبه في العمل بذلك الحديث ويكون ذلك عذرا له في ترك مذهب أمامه في ذلك وسكت ابن الصلاح عن القسم الآخر وهو ان لا يجد من يتمذهب بمذهبه في العمل بذلك الحديث وكأنه لان ذلك انما يكون حيث يكون اجماع ولكن قد يفرض مع الاختلاف وقد يفرض في مسألة لا نقل فيها عن غير الشافعي فماذا يصنع والاولى عندي اتباع الحديث وليفرض الانسان نفسه بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وقد سمع ذلك منه ايسعه التأخر عن العمل به لا والله وكل أحد مكلف بحسب فهمه وقد تبع النووي أبا عمرو بن الصلاح فيما قاله وقال مثله في خطبة شرح المهذب وقال انما هذا يعني كلام الشافعي فيمن له رتبة الاجتهاد في المذهب وشرطه ان يغلب على ظنه أن الشافعي رحمه الله لم يقف على هذا الحديث أو لم يعلم بصحته وهذا انما يكون بعد مطالعة كتب الشافعي كلها ونحوها من كتب الاصحاب الاخذين عنه وما اشبهها وهذا شرط صعب قل من يتصف به وانما اشترطوا ما ذكرناه لان الشافعي رحمه الله ترك العمل بظاهر أحاديث كثيرة رآها وعلمها لكن قام الدليل عنده على طعن فيها او نسخها أو تخصيصها أو تأويلها أو نحو ذلك *

وحكى الذي قاله ابن الصلاح وقال انه حسن متعين وهذا الذي قالاه رضي الله عنهما ليس ردا لما قاله الشافعي ولا لكونه فضيلة امتاز بها عن غيره ولكنه تبيين لصعوبة هذا المقام حتى لا يغتر به كل أحد والافتاء في الدين كه كذلك لا بد من البحث والتنقير عن الادلة الشرعية حتى ينشرح الصدر للعمل بالدليل الذي يحصل عليه فهو صعب وليس بالهين كما قالاه رضي الله عنهما ومع ذلك ينبغي الحرص عليه وطلبه * وأما قصة ابن الجارود فالرد فيها على ابن الجارود لتقصيره في البحث لا على حسن كلام الشافعي في نفسه وامكان اتباعه * وممن وافق ابن الجارود عليه أبو الوليد النيسابوري حسان بن محمد من ذرية سعيد بن العاص من أكابر أئمة

أصحابنا توفى سنة تسع وأربعين وثلثمائة كان يحلف بالله ان مذهب الشافعي أنه يفطر الحاجم والمحجوم استنادا الى ذلك وغلطه الاصحاب بما سبق كما غلطوا ابن الجارود وهو كمسألة يغلط فيها بعض المجتهدين لكن تغليط ذلك صعب لاتساع المدارك * وقد سهل تغليط هذا الرجل من جهة معرفة مدركه وغلطه فيه * وقد يمكن مثله فى غيره وقد يتهيأ معرفة صواب من يصيب فيه * وقد حكى عن أبى الحسن محمد بن عبد الملك الكرجى الشافعى وكان فقيها محدثا أنه كان لا يقنت فى صلاة الصبح يقول صح عندي ان النبى صلى الله عليه وسلم ترك القنوت فى صلاة الصبح وقال رأيت ليلة الشيخ أبا اسحق الشيرازى فى النوم فسلمت عليه وأردت أن أقبل يده فاعرض عنى وامتنع فقلت ياسيدى أنا من جملة غلمانك واذكر المهذب من تصنيفك فى الدروس فقال لى لم تركت القنوت فى صلاة الصبح . فقلت له ان الشافعى قال اذا صح الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتركوا قولي وخذوا بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ذلك قولي فهذا أيضا قول الشافعى وشرعت معه في شرح الحديث وهو يصغى الى أن تبسم في وجهي أو كما قال وذكر هذه الحكاية عنه ابن السمعانى وذكرها شيخنا الحافظ الدمياطى فى الصلاة الوسطى ولما قرأتها عليه تركت القنوت في صلاة الصبح مدة ثم علمت ان الذى صح من قوله صلى الله عليه وسلم القنوت في صلاة الصبح هو الدعاء على رعل وذكوان وفى غير صلاة الصبح أما ترك الدعاء مطلقا بعد القيام فى صلاة الصبح ففيه حديث عيسى بن ماهان * وفيه من الكلام ماعرف وليس هذا موضع تحريره فرجعت الى القنوت وأما الآن أقنت وليس فى شيء من ذلك اشكال على كلام الشافعي وانما قصور يعرض لنا فى بعض النظر * ولما ذكر شيخنا الدمياطى محمد بن عبد الملك الكرجى قال انه من أكابر أصحاب الشيخ أبي إسحاق الشيرازي فقال لى ابنى عبد الوهاب ليس من أصحاب الشيخ أبى اسحق ولكن من أصحاب أصحابه وكان يدرس كتابه * وأما قول ابن خزيمة انه لا يعرف لرسول الله صلى الله عليه وسلم سنة فى الحلال والحرام لم يودعها الشافعى كتبه فقد يكون أودعها كتبه وفى بعضها لم يتبين له صحتها فيتبين بعد ذلك أولا يكون فى الحلال والحرام كما فى الصلاة

الوسطى أو يكون سنة لم يعلمها ابن خزيمة أو يكون الشافعي قال ذلك على سبيل الفرض والتقدير * وأما ماقام الدليل عند الشافعي على طعن فيها أو نسخها أو تخصيصها أو تأويلها أو نحو ذلك فليس الكلام فيه وليس هذا تركا لها وإنما الترك للحديث أن لا يعمل به أصلا كما يقوله من يترك الحديث لعمل أهل المدينة أو للقياس أو لعدم فقه الراوى أو لعمله أو عمل صحابي بخلافه ونحو ذلك هذا هو الترك * وأما الطعن فى اسناد الحديث أو بسبب علة أو شذوذ فذلك يمنع من الحكم بصحة الحديث وكلامنا انما هو اذا صح الحديث والنسخ ليس تركا فالنسخ قد يوجد فى القرآن والتخصيص ليس تركا بل جمع بينه وبين العام * وقد تكلم الشافعي فى الاحاديث المختلفات والجمع بينها فى كتاب اختلاف الحديث أحسن كلام وكذلك العلماء كلهم فهذا ليس هو المراد هنا وأما المراد الترك المطلق ولم يقع ذلك للشافعي أصلا ولا تقتضيه أصوله وقد تكلم الاصوليون فى العمل بالعام قبل طلب المخصص والذي أقوله ان المبادرة الى امتثال الامر مطلوبة كمن سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم لارخصة له فى تركه * والمبادرة الى طلب وجوه التأويل والتخصيص والتقييد وعدم النسخ مطلوبة فلا رخصة فى ارتكاب الهوينا بل عليه المبادرة ويمهل بقدر ماينظر غير مهمل ولا مؤخر عن الوقت الذي يتعين فيه العمل والا فينقضي العمر ولا يعمل والمكلف بذلك كل من هو من أهل الفهم بحسب ماتصل اليه قدرته من العلم والمبالغة في الطلب واشتراط رتبة الاجتهاد الكامل والتوقف عن العمل حتى يحصل الى أقصى غاية ليس مما يقتضيه سير السلف رضى الله عنهم * واذا كان لابد من العمل فالعمل بما اقتضاه الحديث أولى من العمل بما اقتضاه كلام صاحب المذهب الذى يقلده اذا كان المقلد من أهل الفهم * أما العامى فلا كلام معه الا أن يقال له هذا حكم الله أو هذا مذهب فلان * وقال الربيع قال الشافعي قد أعطيتك جملة تغنيك ان شاء الله لاتدع لرسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا أبدا الا أن يأتي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلافه فتعمل بما قلت لك فى الاحاديث اذا اختلفت * قال أبو ثور سمعت الشافعي رضى الله عنه يقول كل حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم فهو قولي وان لم تسمعوه منى

وقال الزعفراني كنا ولو قيل لنا سفيان عن منصور عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قلنا هذا مأخوذ هذا غير مأخوذ حتى قدم علينا الشافعي فقال لنا ماهذا اذا صح الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مأخوذ لايترك لقول غيره * وقال الاثرم كنا عند البويطي فذكرت حديث عمار في التيمم فأخذ السكين وحته من كتابه وصيره ضربة وقال هكذا أوصى صاحبنا اذا صح عندكم الخبر فهو قولي * حكى ذلك أبو شامة في كتابه المؤمل في الرد الى الامر الاول *

(فصل) قال معن سمعت مالكا يقول انما أنا بشر أخطىء وأصيب فانظروا فى رأيي فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوا به وما لم يوافقهما فاتركوه قال نعيم بن حماد سمعت أبا عصمة يقول سمعت أبا حنيفة يقول ماجاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس والعين وما جاء عن أصحابه اخترنا وما كان غير ذلك فهم رجال ونحن رجال * وقال نعيم سمعت ابن المبارك يقول سمعت أباحنيفة يقول اذا جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس والعين واذا جاء عن الصحابة اخترنا واذا جاء عن التابعين زاحمناهم * قال الثوري لما بلغه ذلك عن أبي حنيفة منهم رأينا كرأيهم كأنه سوى بين التابعين والصحابة فى انهم اذا أجمعوا فى مسألة على قولين مثلا لم يجز لنا احداث قول ثالث * وجوز أبو حنيفة ذلك وهذه مسألة خلافية بين الاصوليين وهذا الكلام عن مالك وابي حنيفة رضى الله عنهم يقرب من كلام الشافعي ولكن ليس فيه تعليق القول بمقتضى كل حديث على صحته كما فعله الشافعي رضى الله عنه وانما قال مالك ان رأيه ينظر فيه فماوافق الكتاب والسنة يؤخذ به وما لم يوافقها يترك ولا شك فى ذلك عند كل امام وامتاز الشافعي بزيادة وهو ان قوله هو الحديث ففى كلام مالك زيادة على كلام ابى حنيفة بالامر بالترك وفى كلام الشافعي زيادة على كلام مالك بالقول به وأنه هو مذهب فيقلده فيه من يسوغ تقليده له ويريده وكلهم مشتركون فى أنه متى جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث ثابت فواجب المصير اليه * قال مجاهد والشعبي والحكم ومالك ليس من أحد ألا يؤخذ من قوله ويترك الا النبي صلى الله عليه وسلم *

﴿فصل﴾ قال أبو شامة رحمه الله تلميذ ابن الصلاح وشيخ النووي وهو من المبالغين في اتباع الحديث ان الشافعي بنى مذهبه بناء محكما على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والنظر الصحيح الراجع اليهما الا أني ليس بمعصوم من النسيان فاحالنا بصريح قوله على أن ما صح عن النبي صلي الله عليه وسلم هو قوله وجميع ذلك مذهبه منه ماهو منصوص له وصحح الاصحاب خلافه لنص آخر له كصوم الولي عن الميت أو يكون النص لا خلاف عنه فيه لكنه على مخالفة حديث ثابت كاختياره قول المأموم سمع الله لمن حمده كالامام قلت لا مخالفة في ذلك *قال أو يكون علق قوله على ثبوت الحديث فوجد ثابتا كاخراج الاقط في الفطرة أو دل عليه حديث آخر ثابت أو يكون الشافعي تمسك في الباب بحديث وفي الباب حديث أثبت منه كحديث التيمم ضربة يمسح بها وجهه وكفيه أو يكون الحديث دل على حكم في مسألة لم يعلم فيها نص للشافعي بنفي ولا اثبات كرفع اليدين عند القيام من التشهد أو يكون تمسك بظاهر حديث ودل الدليل على أن ذلك ليس على ظاهره كالزام من يفرق زكاة نفسه بالاصناف الثمانية أو من قدر عليه منهم وكنقض الطهارة بمس الفرج فللنظر فيه مجال فلا نقوله ما لم يقل لكن ننبه على الدليل المقتضى خلافه ونرجح وكل ماصح عن الرسول صلى الله عليه وسلم ودل على حكم لا نص للشافعي على خلافه فهو مذهبه لا شك فيه أخذا من قوله ومما أمر به أما ماله نص على خلافه فقسمان أحدهما ما لم يكن بلغه فيه الحديث فهذا كالقسم الاول يترك نصه ويصار الى الحديث وهو مذهبه هذا اذا وضحت دلالة الحديث على ذلك الحكم أما اذا خفيت وأمكن الجمع وتنزيل الحديث على قوله فلا والثاني ان يكون قد بلغه الحديث وعرف ثبوته وأوله وتكلم عليه فينظر في كلامه فان كان ظاهرا متوجها لادفع له لم يخالف وحمل الحديث على ما حمله هو عليه كاختياره الجهر بالبسملة وتأويله لحديث أنس رضى الله عنه الظاهر الدلالة علي نفي الجهر ومن ذلك افطار الصائم بالحجامة فانه لم يره وقال حديث أفطر الحاجم والمحجوم منسوخ وان كان لكلامه مدفع صير الى الحديث لان ذلك يتناوله قوله ودعوا ما قلت كما في التيمم الى المرفقين ولا

يتأتى النهوض بهذا الامن عالم معلوم الاجتهاد وهو الذي خاطبه الشافعي بقوله اذا وجدتم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم على خلاف قولى فخذوا به ودعوا ما قلت وليس هذا لكل أحد فكم فى السنة من حديث صحيح العمل على خلافه إما اجماعا واما اختيارا المانع منع نحو كان الثلاث واحدة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر * صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعا جميعا وثمانيا جميعا فى غير خوف ولا مطر *غسل الجمعة واجب على كل محتلم * فالامر فى ذلك ليس بالسهل * قال ابن عيينة الحديث مضلة الا للفقهاء قلت لسنا نوافق ابن عيينة ولا ابا شامة على ذلك وليس فى الاحاديث الصحيحة ما أجمع العلماء على تركه وحديث كان الثلاث واحدة مؤول وكذلك صليت مع رسول الله صلي الله عليه وسلم سبعا جميعا وثمانيا جميعا وليس هذا موضع تأويلها لاجل الطول وغسل الجمعة واجب معناه متأكد ولم يجمعوا على عدم الوجوب ومما قاله أبو شامة ان الله يسر وله الحمد الوقوف على ما ثبت من الاحاديث وتجنب ماضعف منها مما جمعه الحفاظ كالصحيحين والمستدرك عليهما وابن خزيمة والترمذى وأبى داود والنسائى وابن ماجه وابن حبان والدارقطنى والبيهقى فلاعذر فى ترك الاشتغال بها وكذلك المسائل المثبتة الفقهية المبنية على اللغة كل ذلك الى علماء اللسان فالتوصل الى الاجتهاد ميسور وأسهل منه قبل اليوم لولا قلة همم المتأخرين وعدم المتبحرين ومن أكبر أسبابه تعصبهم وتقيدهم برفق الوقوف * قلت وتضييع كثير من زمانهم بالتوسع في علوم غير علوم الشريعة أو فى علوم الشريعة بالجدل والتعمق في التفريعات الدقيقة فيشغلهم ذلك عن فهم نفس الشريعة والاطلاع على قواعدها الكلية وأسرارها التى هى أكثر نفعا وبذلك وصل المتقدمون الى الاجتهاد وبتركه حرمه المتأخرون *

(فصل) قال الشيخ شهاب الدين أحمد بن ادريس القرافى المالكى رحمه الله فى كتابه التنقيح وشرحه * ومما شنع على مالك رضى الله عنه رده لحديث بيع الخيار مع روايته له وهو مهيع متسع ومسلك غير ممتنع فلا نجد عالما الاوقدخالف من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم أدلة كثيرة *ولكن لمعارض

راجح عليها عند مخالفها * وكذلك رحمه الله ترك هـذا الحديث لمعارض راجح عنده وهو عمل أهل المدينة * فليس هذا بابا اخترعه ولا بدعا اقترعه * ومن هذا الباب ما يروى عن الشافعي رضى الله عنه أنه قال اذا صح الحديث فهو مذهبي أو فاضربوا بمذهبي عرض الحائط فان كان مراده مع عدم المعارض فهومذهب العلماء كافة وليس خاصا به وان كان مع وجود المعارض فهو خلاف الاجماع فليس هذا القول خاصا به كما ظنه بعضهم هذا كلامه في التنقيح وقال فى شرحه كثيرمن فقهاء الشافعية يعتمدون على هذا ويقولون مذهب الشافعي كذا لان الحديث صح فيه وهو غلط لانه لابد من انتفاء المعارض والعلم بعدم المعارض يتوقف على من له أهلية استقراء الشريعة حتي يحسن أن يقال المعارض لهذا الحديث * أما استقراء غير المجتهد المطلق فلا عبرة به فهذا القائل من الشافعية ينبغي أن يحصل لنفسه أهلية الاستقراء قبل أن يصرح بهذه الفتيا لكنه ليس كذلك فهم مخطئون في هـذا القول انتهى كلام القرافى رحمه الله تعالى * ومثل هذا الكلام الذى قاله القرافى قاله جماعة غيره وسير الىَّ ابنى أبو حامد بارك الله فيه يسألنى عنـه فقلت هيهات ولنا كلامان أحدهما مختصر مع كل من يقول مثل هذا الكلام * وهو منع ماقاله فى طرفى الترديد الذى ذكره فان قوله ان كان مراده مع عدم المعارض فهو مذهب العلماء كافة وليس خاصا به ممنوع لان المعلوم من مذهب العلماء كافة اتباعهم للحديث رضى الله عنهم فانهم اذا بلغهم حديث لامعارض له قالوا به واذا لم يبلغهم هم فى أوسع العذر فهم مشتركون فى ذلك مع الشافعي ويمتـاز الشافعي بانه عاق القول به على صحته * فاذا صح كان قائلا به وجازت نسبته اليه بخلاف غيره لايجوز أن ينسب اليه انه قاله ولكن لو اطلع عليه لقال به وشتان بين المقامين * وقوله وان كان مع وجود المعارض فهو خلاف الاجماع ان أراد مع وجود المعارض عنده فليس خلاف الاجماع لما سنبين ان مالكا وأبا حنيفة وغيرهما قالوا بمعارضته بأمور لا يوافقهم عليها الشافعي وان أراد مع وجود معارض مجمع على انه معارض فسنبين ان هـذا القسم مستحيل وانه ليس فى الاحاديث الصحيحة حديث أجمع العلماء على أنه معارض فهذا القسم منتف لانتفاء المعارض وبذلك يتبين ان كلا من طرفى الترديد ممنوع *

الكلام الثانى مبسوط نشرح فيه ماأشرنا اليه فى أول الكلام الاول فنقول فى كلام الشافعى هذا فوائد قد امتاز بها . احداها الفائدة التى قدمناها من جواز نسبته اليه وفيها ثلاثة أشياء أحدها مجرد جواز نقله عنه والثانى انه اذا أراد أحد تقليده فيه جاز له ذلك اذا كان ممن يجوز له التقليد والثالث اذا كان العلماء كلهم الا الشافعى على مقتضى حديث والشافعى بخلافه لعدم اطلاعه فاذا صح صارت المسئلة اجماعية لانه لم يكن خالف فيها الشافعى و يبين بالحديث ان قوله مرجوع فيه اولا حقيقة له فلا ينسب اليه بل ينسب اليه خلافه موافقة لبقية العلماء فيكون اجماعا فينقض قضاء القاضى بخلافه لمخالفة النص والاجماع ولو اتفق ذلك لغير الشافعى ممن لم يقل مثل قوله كان نقض قضاء القاضى به لمخالفته النص فقط لا لمخالفته الاجماع فهذه أشياء فى هذه الفائدة الواحدة ولا امتناع من تعليق القول بصحة الحديث مجملا ومفصلا فالمفصل مثل قوله فى حديث بروع ان صح قلت به والمجمل مثل قوله اذا صح الحديث فهو مذهبي وكما يصح الايمان بكل ما أنزل الله جملة كذلك يصح القول بكل ماقاله رسول الله صلى الله عليه وسلم جملة فهذه فائدة قول الشافعى اذا صح الحديث فهو مذهبي اذا لم يكن معارض ولا يقدر أحد أن ينسب هذا الى أحد من العلماء غيره وان كنا نعتقد فيهم أنهم لو اطلعوا عليه لقالوا به ولكن المعلق بالوعد عدم عند عدمه وهو معدوم والمعلق باذا وجود عند وجوده وهو موجود * واعلم ان فى قول الشافعى اذا صح الحديث فهو مذهبي ثلاثة الفاظ أحدها اذا وهى وان كانت مطلقة الا أن المراد بها العموم فيصح فيها على كل الاحوال وسنبين صحة العموم فى ذلك وانه لا معارض له أصلا * والثانى صحة الحديث وعموم الالف واللام فيه سواء كان حجازيا أم كوفيا أم بصريا أم شاميا كما أشار اليه الشافعى فى كلامه لأحمد لأن من الناس من لا يأخذ باحاديث العراق * الثالث قوله فهو مذهبي ودلالته على قوله به ويدل له ماقدمناه من رواية الربيع عليه من قوله فخذوا بها ودعوا قولى فانى اقول بها فانظر تصريحه بقوله بها واذنه فى الاخذ بها ولم يوجد ذلك لأمام غيره * الفائدة الثانية ان الاحاديث الصحيحة ليس فيها شىء له معارض متفق عليه والذى يقوله الأصوليون من ان خبر الواحد اذا عارضه خبر

متواتر اوقرآن او اجماع او عقل انما هو فرض وليس شيء من ذلك واقعا ومن ادعى ذلك فليبينه حتى نرد عليه وكذلك لا يوجد خبران صحيحان من أخبار الآحاد متعارضان بحيث لايمكن الجمع بينهما والشافعي قد استقرأ الاحاديث وعرف ان الامر كذلك وصرح به في غير موضع من كلامه فلم يكن عنده مايتوقف عليه العمل بالحديث الا صحته فمتى صح وجب العمل به لانه لامعارض له فهذا بيان للواقع والذى يقوله الاصوليون مفروض وليس بواقع وهذه فائدة عظيمة واليها الأشارة بقوله اذا صح حيث اطلقه ولم يجعل معه شرطا آخر * الفائدة الثالثة ان العلماء رضوان الله عليهم لكل منهم اصول وقواعد بنى مذهبه عليها لاجلها رد بعض الأحاديث كما سنبين ذلك من مذهب مالك في عمل أهل المدينة وغيره ومنه مذهب ابى حنيفة فى عدة مسائل واما الشافعي فليس له قاعدة يرد بها الحديث فمتى صح الحديث قال به والمعارض الذي لو وقع كان معارضا عنده وعند غيره هو المعقول او الاجماع او القرآن او السنة المتواترة لم يقع أصلا وقد صان الله شريعته عن ذلك فكان فى قول الشافعى اذا صح الحديث فهو مذهبي اشارة الى ذلك * الفائدة الرابعة فى عموم الألف واللام من قوله الحديث سواء كان حجازيا أم عراقيا ام شاميا خلافا لمن لم يقبل الا احاديث الحجاز كما اشار الى ذلك فى قوله الذى حكيناه فهذه اربع فوائد فى الفائدة الأولى ثلاثة اشياء فصارت ستة لم توجد فى كلام بقية الأئمة وها نحن نبين من كلام العلماء وقول الحنفية والمالكية مانبين ان عندهم معارضات يرد بها الحديث الصحيح ليست عند الشافعي وليس عند الشافعي معارض لم يقولوا هم به بل لامعارض واقع عنده اصلا فلنذكر كلام الائمة من الحنفية والمالكية ليتبين به ذلك ونكتفى بكلام الائمة من المذهبين عن كلام من وافقهم من بقية العلماء رضى الله عن الجميع فكلهم قصد الخير والأجر وبذل الجهد والوسع اما الحنفية رضى الله عنهم فنقول *

﴿فصل﴾ من كلام الائمة الحنفية وهو مذهبهم نقلته من كتاب التحقيق فى اصول الفقه لعبد العزيز شرح الأخشيكثي واختصرت منه * خبر الواحد وجوب العمل به متعلق بشروط ثمانية الأول ان لا يكون مخالفا للكتاب قال الشارح ان

ورد مخالفا لنص الكتاب ان أمكن تأويله من غير تعسف يقبل وان لم يمكن تاويله الا بتعسف لم يقبل بلا خلاف * قال على السبكي (هو المصنف رحمه الله) هذا فرض ولكنه ليس بواقع والله اعلم * قالوا فان خالف خبر الواحد عموم الكتاب او ظاهره فكذلك عندنا حتى لا يجوز تخصيص العموم وعلى الظاهر على المجازية قال على السبكي بل يجوز ومحل تقرير ذلك اصول الفقه والله اعلم * قالوا وعند الشافعي وعامة الأصوليين يجوز تخصيص الأصول به ويثبت التعارض بينه وبين ظاهر الكتاب بناء على انها لا توجب اليقين عندهم * قال على اما جواز التخصيص فهو الحق ونحن لا نسميه معارضا ومن سماه فعلى سبيل المجاز وانما هو بيان واليقين مع الظهور محال والله اعلم قالوا وعند العراقيين من مشايخنا والقاضى ابى زيد ومن تابعه فى افادتها اليقين لا يجوز تخصيصها بمعارضتها به اما عند من جعلها ظنية من مشايخنا كابى منصور ومن تابعه من مشايخ سمرقند فيحتمل ان يجوز تخصيصها والاصح لا يجوز عندهم ايضا لأن الاحتمال فى خبر الواحد فوق الاحتمال في العام والظاهر * قال على السبكي لكن فيه ابطال دليل كامل والتخصيص انما فيه مخالفة ذلك القدر الزائد من الظهور والله اعلم * قالوا مسألة حديث مس الذكر مخالف للكتاب لأن الله مدح المتطهرين بالماء بقوله عز اسمه (يحبون ان يتطهروا) والاستنجاء بالماء لا يتصور الا بمس الفرجين وثبت بالنص انه من التطهير فلو جعل المس حدثا لم يكن الاستنجاء تطهيرا * قال على السبكى مثل هذا الكلام لا يرد عليه لعلم كل أحد بضعفه والله اعلم * قالوا ومثل قوله عليه الصلاة والسلام الحرم لا يعيذ عاصيا يخالف (ومن دخله كان آمنا) وقوله صلى الله عليه وسلم لا صلاة الا بفاتحة الكتاب يخالف (فاقرؤوا ماتيسر منه) (أي من القرآن) وحديث التسمية فى الوضوء يخالف فاغسلوا ايديكم الآيه قال على السبكي لا مخالفة فى ذلك وبتقدير تسليم المخالفة هى مخصصة والله أعلم قالوا الثانى أن لا يخالف السنة المشهورة فلا يترك الاقوى بالاضعف * قال على السبكي ليس لنا خبران صحيحان متعارضان بحيث يكون العمل بأحدهما الغاء للآخر من كل وجه لا مشهور ولا غير مشهور ومن ادعى فليبرزه حتى نحاوره والله أعلم * قالوا وحديث قضى بشاهد ويمين يخالف قوله البينة على المدعي واليمين على من أنكر

قالوا والمخالفة من وجهين أحدهما الشرع جعل الايمان كلها فى جانب المنكر والثانى ان الشرع جعل الخصوم قسمين مدعيا ومنكراً والحجة قسمين بينة ويمينا والبينة على المدعي واليمين على المنكر والعمل بالشاهد واليمين يوجب ترك هذا » قال علي السبكي الـكلام فى ذلك ليس هذا موضعه والمقصود انهم يتركون الحديث لمعارض بلا تخصيص ولا تأويل وهو الذى خالفهم الشافعي فيه ودعوى كون البينة على المدعى واليمين على من أنكر أشهر من القضاء بالشاهد واليمين ممنوعة والله أعـلم * قالوا وثالثها أن لا يكون فى حادثة تعم بها البلوى وهذا مختار الكرخي وجميع المتأخرين وهو ماروى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجهر بالبسملة وحديث مس الذكر الذى يرويه صح ومذهب الشافعي وجميع أصحاب الحديث يقبل اذا صح سنده * قال علي السبكي هذا وأمثاله الذى تميز به الشافعي والله أعلم ولا يجب اذا كان مما تعم به البلوى أن يرد فيه خبر متواتر ولا مشهور بل يكفي أن يكون صحيحا والله أعلم قالوا ورابعها أن متروك الحاجة به عند ظهور الاختلاف مثاله عن زيد بن ثابت عن النبي صلي الله وسلم أنه قال الطلاق بالرجال فان الصحابة اختلفوا ذهب عمر وعثمان وزيد وعائشة رضى الله عنهم الى أن الطلاق معتبر بحال الرجال فى الرق والحرية كما هو قول الشافعي وذهب علي وابن مسعود الى أنه يعتبر بحال المرأة كما هو مذهبهم وعن ابن عمر أنه يعتـبر بمن رق منهما حتي لا يملك الزوج عليها ثلاث طلقات الا اذا كانا حرين ثم أنهم تكلموا فى هذه المسألة بالرأى وأعرضوا عن الاحتجاج بهذا الحديث ورواية فيهم فدل علي أنه غير ثابت أو منسوخ وان ثبت فهو مؤول بان يقال ان ايقاع الطـلاق الى الرجال * قال على السبكي ان صح الحديث فالواجب تأويله ولا نقول انه متروك وأيضا من أين يثبت لنا انهم انما تكلموا بالرأى * ثم ذكروا الاربعة الاخرى التى ترجع الى حال الراوي لاحاجة بنا الى ذكرها والله أعلم * قالوا ويسقط العمل بالحديث اذا ظهرت مخالفته قولا وعملا من الراوي أو من غيره من أئمة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعـين على تفصيل ذكروه وهو أن المخالفة ان كانت قبل الرواية وقبل بلوغه اياه لم يوجب جرحا فى الحديث لان الظاهر أن ذلك كان مذهبه وانه تركه للحديث وكذا ان لم

يعرف التاريخ لان الحديث حجة بيقين فى الاصل وشك فى سقوطه فوجب العمل بالاصل حملا على أحسن الوجوه واحسانا للظن وكذا ان كان بعد الرواية ولم يكن خلافا بيقين فان كان اللفظ عاما يعمل بخصوصه دون عمومه وان كان مشتركا أو بمعنى المشترك يعمل بأحد وجوهه لان ظاهر الحديث احتماله للمعانى لغة لا تتغير بتأويله وعمله وتأويله لا يكون حجة وان كان بعد الرواية أو بعد بلوغه اياه وهو خلاف بيقين أى لا يحتمل أن يكون مرادا من الخبر فذلك يوجب جرحا فى الحديث لان خلافه ان كان لانه منسوخ أو غير ثابت بطل الاحتجاج به وان كان لقلة مبالاته سقطت روايته لانه لا يصير فاسقا ولا يقال انما صار فاسقا بالخلاف لانا نقول الحديث وصل الينا منه فاذا ثبت فسقه لم يقبل بخلاف ما اذا روى ثم مات أو جن لان الحياة والعقل كانا ثابتين بيقين والعدالة ليست كذلك ومثاله حديث أبى هريرة رضى الله عنه فى الغسل من الولوغ سبعا وكان يغسل ثلاثاً وحديث عائشة رضى الله عنها أيما امرأة نكحت بغير اذن وليها فنكاحها باطل وصح انها زوجت حفصة بنت أخيها عبد الرحمن المنذر بن الزبير حين كان أخوها عبد الرحمن غائبا واذا انعقد بعبارة غير المزوجة من النساء فبعبارتها أولى وأما اذا خالف غير الراوى وغير أئمة الصحابة فلا يضر الا اذا طعن بما يوجب الجرح بالاتفاق ممن هو معروف بالعدالة والنصيحة والاتقان فيقبل وهذا كله اذا كان الحديث ظاهرا فان كان مما يخفى على المخالف كالترخيص للحائض فى ترك طواف الصدر وصح عن ابن عمر رضى الله عنهما انها تقيم حتى تطهر فتطوف لانه قد يكون خفى عليه وحديث البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة والرجم من حديث عبادة وصح عن الخلفاء انهم لم يجمعوا بين الجلد والرجم فعرفنا انه انتسخ وصح عن عمر رضى الله عنه انه قال والله لا أنفى أبداً بعد ما نفى رجلا فلحق بالروم مرتدا * قال على السبكي ملتلخص من هذا فى القسم الذى يقولون بترك الحديث نحن لا نوافقهم فيه ولا يلزم فسق الراوى ولا بطلان الاحتجاج لاحتمال أن يخالف لما ظنه دليلا وليس بدليل عندنا وكل أحد مكلف بظنه وما يعتقده دليلا واذا كان الراوى من

غير الصحابة وقد خالف فاطلاقهم وما سبق من كلام الحنفية يقتضي جريان الخلاف فيه وقال القرافى عندى ينبغي أن يخصص ببعض الرواة فيحمل علي الراوى المباشر للنقل عن رسول الله صلي الله عليه وسلم حتى يحسن أن يقال هو أعلم بمراد المتكلم أما مثل مالك ومخالفته لحديث بيع الخيار الذى رواه وغيره من الاحاديث فلا يندرج فى هذه المسألة وهذا الذى قاله القرافى فى كلام الحنفية الذى قدمناه يخالفه وقد عللوا بما لم يعلل به فالحاصل ان الراوى متى خالف اقتضى عند الحنفيـة رد الحديث سواء كان الراوى صحابيا أو غير صحابي ومخالفة غير الراوى لا توجب رد الحديث عند الحنفية الا اذا كان صحابيا فتوجب رده مطلقا أو كان غير صحابي ورده بما يقتضى الجرح على ماسبق *

* (فصل) * وأما المالكية فقالوا بتقديم عمل أهل المدينة على الحديث فردوا حديث « المتبايعان بالخيار » وبذلك لم يوافقهم على هذا أحد غيرهم واشترط مالك رحمه الله فقه الراوى مطلقا واشترط أبو حنيفة فيما يخالف القياس وقاله بعض الحنفية مطلقا كما قاله مالك ومثله الحنفية بحديث المصراة فردوه لزعمهم انه مخالف للقياس ولانه من قول أبي هريرة وزعمهم ان أبا هريرة ليس بفقيه وهو كلام تقشعر منـه الجلود وأبو هريرة فقيه كبير وليس هذا موضع الـكلام على هذا وانما المقصود ان لـكل واحد من الائمة أصولا اقتضت له رد الاحاديث والشافعي ليس له كثير شيء من ذلك وقالت المالـكية بقبول خبر الواحد وان كان مما تعم به البلوي كما قلنا نحن به وبان مخالفة الراوى لا تقدح فيه كما قلنا نحن به *

* (فصل) * وقال آخرون اجماع أهل الـكوفة حجـة فعلى مقتضاه يرد من الاحاديث ماخالفهم *

* (فصل) * قد بان بما ذكرناه امتياز الشافعي بقوله اذا صح الحديث فهو مذهبي وما وافقه من كلامه الذى هذا معناه وانه أمر ذخره الله وخصه به فلم يبلغنا ذلك عن غيره من الائمة وان كان كلهم قائلا بالحديث غير خارج عنه ورضى الله عن الجميع والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين تمت الرسالة والحمد لله

الرسالة السابعة

﴿ خلاف الامة فى العبادات ومذهب اهل السنة والجماعة ﴾

(لشيخ الاسلام وعلم الاعلام الامام تقى الدين
احمد بن تيمية رضى الله عنه المتوفي سنة ٧٢٨)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قاعدة ﴾

فى صفات العبادات الظاهرة التي حصل فيها تنازع بين الامة في الرواية والرأى مثل الاذان والجهر بالبسملة والقنوت فى الفجر والتسليم في الصلاة ورفع الايدى فيها ووضع الاكف فوق الاكف ومثل التمتع والافراد والقران فى الحج ونحو ذلك فان التنازع فى هذه العبادات الظاهرة والشعائر أوجب أنواعا من الفساد الذى يكرهه الله ورسوله وعباده المؤمنون *

(أحدها) جهل كثير من الناس أو اكثرهم بالامر المشروع المسنون الذي يحبه الله ورسوله والذى سنه رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته والذى أمرهم باتباعه

(الثانى) ظلم كثير من الأمة أو اكثرهم بعضهم لبعض وبغيهم عليهم تارة بنهيهم عما لم ينه الله عنه وبغضهم على من لم يبغضهم الله عليه وتارة بترك ماأوجب الله من حقوقهم وصلتهم لعدم موافقتهم له على الوجه الذى يؤثرونه حتى يقدمون فى الموالاة والمحبة واعطاء الاموال والولايات من يكون مؤخرا عند الله ورسوله ويتركون من يكون مقدما عند الله ورسوله لذلك *

(الثالث) اتباع الظن وما تهوى الانفس حتى يصير كثير منهم مدينا باتباع الاهواء في هذه الامور المشروعة وحتى يصير فى كثير من المتفقهة والمتعبدة من الاهواء من جنس مافي أهل الاهواء الخارجين عن أهل السنة والجماعة كالخوارج

والروافض والمعتزلة ونحوهم وقد قال تعالى في كتابه (ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب)[١] وقال فى كتابه (لاتتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل)[٢] *

(الرابع) التفرق والاختلاف المخالف للاجتماع والائتلاف حتى يصير بعضهم يبغض بعضا ويعاديه ويحب بعضا ويواليه على غير ذات الله وحتى يفضى الامر ببعضهم الى الطعن واللعن والهمز واللمز وببعضهم الى الاقتتال بالايدى والسلاح وببعضهم الى المهاجرة والمقاطعة حتى لايصلى بعضهم خلف بعض وهذا كله من أعظم الامور التى حرمها الله ورسوله والاجتماع والائتلاف من اعظم الامور التى أوجبها الله ورسوله قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولاتموتن الا وانتم مسلمون * واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)[٣] الى قوله (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم * يوم تبيض وجوه وتسود وجوه)[٤] قال ابن عباس تبيض وجوه أهل السنة والجماعة وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة وكثير من هؤلاء يصير من أهل البدعة بخروجه عن السنة التى شرعها رسول الله صلى الله عليه وسلم لامته ومن أهل الفرقة بالفرقة المخالفة للجماعة التى أمر الله بها رسوله وقال تعالى (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شيء)[٥] وقال تعالى (وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات)[٦] وقال تعالى (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ماجاءتهم البينة * وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة)[٧] وقال تعالى (ان الدين عند الله الاسلام * وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم)[٨] وقال تعالى (وآتيناهم بينات من الامر فما اختلفوا الا من بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم)[٩] وقال تعالى (فما اختلفوا حتى جاءهم العلم إن ربك يقضى بينهم يوم القيامة)[١٠] وقال تعالى (فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم)[١١] وقال (انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين أخويكم)[١٢] وقال (الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس)[١٣] وهذا

١ - ص ٢٦
٢ - المائدة ٧٧
٣ - آل عمران ١٠٢ - ١٠٣
٤ - آل عمران ١٠٥ - ١٠٦
٥ - الأنعام ١٥٩
٦ - البقرة ٢١٣
٧ - البينة ٤ - ٥
٨ - آل عمران ١٩
٩ - الجاثية ١٧
١٠ - يونس ٩٣
١١ - الأنفال ١
١٢ - الحجرات ١٠
١٣ - النساء ١١٤

الاصل العظيم وهو الاعتصام بحبل الله جميعا وان لا يتفرق هو من أعظم أصول الاسلام ومما عظمت وصية الله تعالى به فى كتابه ومما عظم ذمه لمن تركه من أهل الكتاب وغيرهم ومما عظمت به وصية النبى صلى الله عليه وسلم فى مواطن عامة وخاصة مثل قوله « عليكم بالجماعة فان يد الله على الجماعة » وقوله « فان الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد » وقوله « من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه فان من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه » وقوله « ألا أنبئكم بافضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة والامر بالمعروف والنهى عن المنكر؟ » قالوا بلى يارسول الله قال « صلاح ذات البين فان فساد ذات البين هى الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين » وقوله « من جاءكم و أمركم على رجل واحد منكم يريد ان يفرق جماعتكم فاضربوا عنقه بالسيف كائنا من كان » وقوله « يصلون لكم فان أصابوا فلكم وان اخطئوا فلكم وعليهم » وقوله « ستفترق هذه الامة على ثلاث وسبعين فرقة منها واحدة ناجية واثنتان وسبعون فى النار ـ قيل ومن الفرقة الناجية قال ـ هى الجماعة يد الله على الجماعة » وباب الفساد الذي وقع في هذه الامة بل وفى غيرها هو التفرق والاختلاف فانه وقع بين أمرائها وعلمائها من ملوكها ومشايخها وغيرهم من ذلك ما الله به عليم وان كان بعض ذلك مغفورا لصاحبه لاجتهاده الذى يغفر فيه خطؤه أو لحسناته الماحية أو توبته أو لغير ذلك لكن يعلم ان رعايته من أعظم أصول الاسلام ولهذا كان امتياز أهل النجاة عن أهل العذاب من هذه الامة بالسنة والجماعة ويذكرون فى كثير من السنن والآثار في ذلك ما يطول ذكره وكان الاصل الثالث بعد الكتاب والسنة الذى يجب تقديم العمل به هو الاجماع فان الله لا يجمع هذه الامة على ضلالة *

(النوع الخامس) هو شك كثير من الناس وطعنهم فى كثير مما أهل السنة والجماعة عليه متفقون بل وفى بعض ما عليه أهل الاسلام بل وبعض ما عليه سائر أهل الملل متفقون وذلك من جهة نقلهم وروايتهم تارة ومن جهة تنازعهم ورأيهم أخرى أما الاول فقد علم الله الذكر الذى أنزله على رسوله وأمر أزواج نبيه بذكره حيث يقول (واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة)[1]

[1] ١ ـ الأحزاب ٣٤

حفظه من ان يقع فيه من التحريف ما وقع فيما أنزل قبله كما عصم هذه الامة أن نجتمع علي ضلالة فعصم حروف التنزيل ان يغير وحفظ تأويله ان يضل فيه أهل الهدى المتمسكون بالسنة والجماعة وحفظ أيضا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم عما ليس فيها من الكذب عمدا أو خطأ بما أقامه من علماء أهل الحديث وحفاظه الذين فحصوا عنها وعن نقلتها ورواتها وعلموا من ذلك ما لا يعلم غيرهم حتى صاروا مجتمعين على ما تلقوه بالقبول منها اجماعا معصوما من الخطأ لاسباب يطول وصفها فى هذا الموضع وعلموا هم خصوصا وسائر علماء الامة بل وعامتها عموما ما صانوا به الدين عن ان يزاد فيه أو ينقص منه مثلما علموا أنه لم يفرض عليهم فى اليوم والليلة الا الصلوات الخمس وأن مقادير ركعاتها ما بين الثنائي والثلاثى والرباعى وأنه لم يفرض عليهم من الصوم الا شهر رمضان ومن الحج الا حج البيت العتيق ومن الزكاة الا فرائضها المعروفة الى نحو ذلك وعلموا كذب أهل الجهل والضلالة فيما قد يأثرونه عن النبي صلى الله عليه وسلم لعلمهم بكذب من يزعم من الرافضة ان النبي صلى الله عليه وسلم نص على علي بالخلافة نصا قاطعا جليا وزعم آخرين انه نص على العباس وعلموا أكاذيب الرافضة والناصبة التي يأثرونها فى مثل الغزوات التى يروونها عن علي وليس لها حقيقة كما يرويها المكدون الطرقية مثل أكاذيبهم الزائدة فى سيرة عنترة والبطال حيث علموا مجموع مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم وان القتال فيها كان فى تسعة مغاز فقط ولم يكن عدة المسلمين ولا العدو فى شيء من مغازى القتال عشرين الفا ومثل الفضائل المروية ليزيد بن معاوية ونحوه والاحاديث التى يرويها كثير من الكرامية فى الارجاء ونحوه والاحاديث التى يرويها كثير من النساك فى صلوات أيام الاسبوع وفى صلوات أيام الاشهر الثلاثة والاحاديث التى يروونها فى استماع النبي صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه وتواجده وسقوط البردة عن ردائه وتمزيقه الثوب وأخذ جبريل لبعضه وصعوده به الى السماء وقتال أهل الصفة مع الكفار واستماعهم لمناجاته ليلة الاسراء والاحاديث المأثورة فى نزول الرب الى الارض يوم عرفة وصبيحة مزدلفة ورؤية النبى صلى الله عليه وسلم له في الارض بعين رأسه وأمثال هذه الاحاديث المكذوبة التى يطول

وصفها فان المكذوب من ذلك لايحصيه أحد الا الله تعالى لان الكذب يحدث شيئا فشيئا ليس بمنزلة الصدق الموروث عن النبي صلى الله عليه وسلم الذى لايحدث بعده وانما يكون موجودا فى زمنه صلى الله عليه وسلم وهو محفوظ محروس بنقل خلفاء الرسول وورثة الانبياء وكان من الدلائل على انتفاء هذه الامور المكذوبة وغيرها وجوه (١)

(أحدها) ان ماتوفرت همم الخلق ودواعيهم على نقله واشاعته يمتنع فى العادة كتمانه فانفراد العدد القليل به يدل على كذبهم كما يعلم كذب من خرج يوم الجمعة وأخبر بحادثة كبيرة فى الجامع مثل سقوط الخطيب وقتله وامساك أقوام فى المسجد اذا لم يخبر بذلك الا الواحد والاثنان ويعلم كذب من أخبر أن فى الطرقات بلادا عظيمة وأمما كثيرين ولم يخبر بذلك السيارة وانما انفرد به الواحد والاثنان ويعلم كذب من أخبر بمعادن ذهب وفضة متيسرة لمن أرادها بمكان يعلمه الناس ولم يخبر بذلك الا الواحد والاثنان وأمثال ذلك كثيرة فباعتبار العقل وقياسه وضربه الامثال يعلم كذب ماينقل من الامور التى مضت سنة الله بظهورها وانتشارها لو كانت موجودة كما يعلم أيضا صدق مامضت سنة الله فى عباده انهم لا يتواطؤون فيه على الكذب من الامور المتواترة والمنقولات المستفيضة فان الله جبل جماهير الامم على الصدق والبيان في مثل هذه الامور دون الكذب والكتمان كما جبلهم علي الاكل والشرب واللباس فالنفس بطبعها تختار الصدق اذا لم يكن لها فى الكذب غرض راجح وتختار الاخبار بهذه الامور العظيمة دون كتمانها والناس يستخبر بعضهم بعضا ويميلون الى الاستخبار والاستفهام مما يقع وكل شخص له من يؤثر أن يصدقه ويبين له دون أن يكذبه ويكتمه والكذب والكتمان يقع كثيرا فى بني آدم فى قضايا كثيرة لاتنضبط كما يقع منهم الزنا وقتل النفوس والموت جوعا وعريا ونحو ذلك لكن ليس الغالب على انسابهم الا الصحة وعلى أنفسهم الا البقاء فالغرض هنا ان الامور المتواترة يعلم أنهم لم يتواطؤا فيها على الكذب

(١) ذكر ابن تيمية عين هذا الكلام فى رسالة له اسمها توحد الملة وتعدد الشرائع وتنوعها وتوحد الدين وهي تتلو هذه الرسالة بالطبع ان شاء الله تعالى

والاخبار الشاذة يعلم أنهم لم يتواطئوا فيها على الكتمان *

(الوجه الثانى) ان دين الامة يوجب عليهم تبليغ الدين واظهاره وبيانه ويحرم عليهم كتمانه ويوجب عليهم الصدق ويحرم عليهم الكذب فتواطؤهم على كتمان مايجب بيانه كتواطئهم على الكذب وكلاهما من أقبح الامور التى تحرم فى دين الامة وذلك باعث موجب الصدق والبيان *

(الثالث) انه قدعلم من عدل سلف الامة ودينها وعظيم رغبتها فى تبليغ الدين واظهاره وعظيم مجانبتها للكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم مايوجب أعظم العلوم الضرورية بأنهم لم يكذبوا فيما نقلوه عنه ولا كتموا ما أمرهم بتبليغه وهذه العادة الحاجية الخاصة الدينية لهم غير العادة العامة المشتركة بين جنس البشر *

(الرابع) ان العلماء الخاصة يعلمون من نصوص رسول الله صلى الله عليه وسلم الموجبة عليهم التبليغ ومن تعظيمهم لامر الله ورسوله ومن دين آحادهم مثل الخلفاء ومثل ابن مسعود وأبي ومعاذ وأبى الدرداء الى ابن عمر وابن عباس وابن عمرو وغيرهم يعلمون علما يقينا لايتخالجه ريب امتناع هؤلاء من كتمان قواعد الدين التى يجب تبليغها الى العامة كما يعلمون امتناعهم من الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعلم أيضا أهل الحديث مثل أحوال المشاهير بمعرفة ذلك مثل الزهرى وقتادة ويحيى ابن أبى كثير ومثل مالك والثورى وشعبة وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وغيرهم أمورا يعلمون معها امتناعهم من الكذب وامتناعهم عن كتمان تبليغ هذه الامور العظيمة التى تأبى أحوالهم كتمانها لوكانت موجودة ولهم فى ذلك أسباب يطول شرحها وليس الغرض هنا تقرير ذلك وانما الغرض التنبيه على ماوقع من الشبهة لبعض الناس من أهل الاهواء *

قالوا هذا الذى ذكرتموه معارض بأمر الاذان والاقامة فانه كان يفعل على عهد النبى صلى الله عليه وسلم كل يوم خمس مرات ومع هذا فقد وقع الاختلاف فى صفته وكذلك الجهر بالبسملة والقنوت فى الفجر وحجة الوداع من أعظم وقائعه وقد وقع الاختلاف فى نقلها وذكروا نحو هذه الامور التى وقعت فيها الشبهة والنزاع عند بعض الناس وجعلوا هذا معارضا لما تقدم ليسوغوا أن يكون من أمور الدين مالم ينقل بل كتم لاهواء وأغراض وأماجهة

الرأى والتنازع فان تنازع العلماء واختلافهم فى صفات العبادات بل وفى غير ذلك من أمور الدين صار شبهة لكثير من أهل الاهواء من الرافضة وغيرهم وقالوا ان دين الله واحد والحق لايكون فى جهتين (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) فهذا التفرق والاختلاف دليل على انتفاء الحق فيما عليه أهل السنة والجماعة ويعبرون عنهم بعبارات تارة يسمونهم الجمهور وتارة يسمونهم الحشوية وتارة يسمونهم العامة ثم صار أهل الاهواء لما جعلوا هذا مانعا من كون الحق فيما عليه أهل السنة والجماعة كل ينتحل سبيلا من سبل الشيطان فالرافضة تنتحل النقل عن أهل البيت لما لاوجود له وأصل من وضع ذلك لهم الزنادقة مثل رئيسهم الاول عبد الله بن سبأ الذي ابتدع لهم الرفض ووضع لهم ان النبى صلى الله عليه وسلم نص على عليّ بالخلافة وانه ظلم ومنع حقه وقال انه كان معصوما وغرض الزنادقة بذلك التوصل الى هدم الاسلام ولهذا كان الرفض باب الزندقة والالحاد فالصابئة المتفلسفة ومن أخذ ببعض أمورهم أو زاد عليهم من القرامطة والنصيرية والاسماعيلية والحاكمية وغيرهم أنما يدخلون إلى الزندقة والكفر بالكتاب والرسول وشرائع الاسلام من باب التشيع والروافض والمعتزلة ونحوهم تنتحل القياس والعقل وتطعن فى كثير مما ينقله أهل السنة والجماعة ويعللون ذلك بما ذكر من الاختلاف ونحوه وربما جعل ذلك بعض أرباب الملة من أسباب الطعن فيها وفى أهلها فيكون بعض هؤلاء المتعصبين ببعض هذه الامور الصغار ساعيا فى هدم قواعد الاسلام الكبار *

فصل

اذا تبين بعض ماحصل فى هذا الاختلاف والتفرق من الفساد فنحن نذكر طريق زوال ذلك ونذكر ماهو الواجب فى الدين فى هذه المنازعات وذلك ببيان الاصلين اللذين هما السنة والجماعة المدلول عليهما بكتاب الله فانه اذا اتبع كتاب الله وما تضمنه من اتباع رسوله والاعتصام بحبله جميعا حصل الهدى والفلاح وزال الضلال والشقاء *

اما الاصل الاول وهو الجماعة وبدأنا به لانه اعرف عند عموم الخلق ولهذا

يجب عليهم تقديم الاجماع على مايظنونه من معانى الكتاب والسنة فنقول عامة هذه التنازعات انمـا هى فى أمور مستحبات ومكروهات لافى واجبات ومحرمات فان الرجل اذا حج متمتعا او مفردا أو قارنا كان حجه مجزئا عند عامة علماء المسلمين وان تنازعوا فى الافضل من ذلك ولكن بعض الخارجين عن الجماعة يوجب او يمنع ذلك فمن الشيعة من يوجب المتعة ويحرم ماعداها ومن الناصبة من يحرم المتعة ولا يبيحها بحال *

وكذلك الاذان سواء رجع فيه أولم يرجع فانه اذان صحيح عند جميع سلف الامة وعامة خلفها وسواء ربع التكبير فى أوله أو ثناه وانما يخالف فى ذلك بعض شواذ المتفقهة كما خالف فيه بعض الشيعة فاوجب له الحيعلة بحى على خـير العمل وكذلك الاقامة يصح فيها الافراد والتثنية بأيتها قام صحت اقامته عند عامة علماء الاسلام الاماتنازع فيه شذوذ الناس *

وكذلك الجهر بالبسملة والمخافتة كلاهما جائز لا يبطل الصلاة وان كان من العلماء من يستحب احدهما أو يكره الآخر أو يختار ان لا يقرأ بها فالمنازعة بينهم فى المستحب والا فالصـلاة باحدهما جائزة عند عامة العلماء فانهم وان تنازعوا بالجهر والمخافتة فى موضعهما هل هما واجبان أم لا وفيه نزاع معروف فى مذهب مالك وأحمـد وغـيرهما فهذا فى الجهر الطويل بالقدر الكثير مثـل المخافتة بقرآن الفجر والجهر بقراءة صلاة الظهر فاما الجهر بالشيء اليسير أو المخافتة به فيما لاينبغى لاحد أن يبطل الصلاة بذلك وما اعلم احدا قال به فقد ثبت فى الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان فى صلاة المخافتة يسمعهم الآية احيانا وفى صحيح البخاري عن رفاعة بن رافع الزرقى قال كنا نصـلى وراء النبى صلى الله عليـه وسلم فلما رفع رأسه من الركعة قال سمع الله لمن حمده قال رجل وراءه ربنا ولك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه فلما انصرف قال «من المتكلم؟» قال أنا قال «رأيت بضعة وثلاثين ملـكا يبتدرونها ايهم يكتبها اول» ومعلوم انه لولا جهره بها لماسمعه النبي صلى الله عليه وسلم ولا الراوي ومعلوم أن المستحب للمأموم المخافتة بمثل ذلك، وكذلك ثبت فى الصحيح عن عمر انه كان يجهر بدعاء

الاستفتاح . سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا آله غيرك
وهذا فعله بين المهاجرين والانصار والسنة الراتبة فيه المخافتة وكذلك كان من
الصحابة من يجهر بالاستعاذة وفى الصحيح عن ابن عباس أنه جهر بقراءة الفاتحة
على الجنازة وقال لتعلموا أنها السنة ولهذا نظائر وايضا فلا نزاع أنه كان من الصحابة
من يجهر بالبسملة كابن الزبير ونحوه ومنهم من لم يكن يجهر بها كابن مسعود وغيره
وتكلم الصحابة في ذلك ولم يبطل أحد منهم صلاة أحد فى ذلك وهذا مما لم أعلم
فيه نزاعا وان تنازعوا فى وجوب قراءتها فتلك مسئلة أخري *

وكذلك القنوت فى الفجر انما النزاع بينهم فى استحبابه أو كراهيته وسجود
السهو لتركه أو فعله والا فعامتهم متفقون على صحة صلاة من ترك القنوت وأنه
ليس بواجب وكذلك من فعله اذ هو تطويل يسير للاعتدال ودعاء الله فى هذا
الموضع ولو فعل ذلك في غير الفجر لم تبطل صلاته باتفاق العلماء فيما أعلم *

وكذلك القنوت فى الوتر هل هو فى جميع الحول أو النصف الآخر من
رمضان انما هو فى الاستحباب اذ لا نزاع أنه لا يجب القنوت ولا تبطل الصلاة
به وكذلك كونه قبل الركوع أو بعده *

وكذلك التسليمة الثانية هل هى مشروعة فى الصلاة الكاملة والناقصة
أو فى الكاملة فقط أم ليست مشروعة هو نزاع فى الاستحباب لكن عن احمد
رواية أن التسليمة الثانية واجبة فى الصلاة الكاملة اما وجوب الاركان أو وجوب
ما يسقط بالسهو على نزاع فى ذلك والرواية الاخرى الموافقة للجمهور أنها مستحبة
فى الصلاة الكاملة

وكذلك تكبيرات العيد الزوائد انما النزاع فى المستحب منها والا فلا نزاع
فى أنه يجزىء ذلك كله وكذلك أنواع التشهدات كلها جائز ما أعلم فى ذلك خلافا
الا خلافا شاذا وانما النزاع فى المستحب *

وكذلك أنواع الاستفتاح فى الصلاة وأصل الاستفتاح انما النزاع فى استحبابه
وفى أى الانواع أفضل والخلاف فى وجوبه خلاف قليل نذكر قولا فى مذهب
الامام أحمد *

واذا كان النزاع انما هو فى الاستحباب علم الاجماع على جواز ذلك وإجزائه ويكون ذلك بمنزلة القراآت فى القرآن فان جميعها جائز وان كان من الناس من يختار بعض القراآت على بعض وبهذا يزول الفساد المتقدم فانه اذا علم ان ذلك جميعه جائز مجزيء فى العبادة لم يكن النزاع فى الاختيار ضارا بل قد يكون النوعان سواء وان رجح بعض الناس بعضها ولو كان أحدهما أفضل لم يجز أن يظلم من يختار المفضول ولا يذم ولا يعاب باجماع المسلمين بل المجتهد المخطيء لايجوز ذمه باجماع المسلمين ولا يجوز التفرق بذلك بين الامة ولا أن يعطى المستحب فوق حقه فانه قد يكون من أتى بغير ذلك المستحب من أمور أخرى واجبة ومستحبة أفضل بكثير ولا يجوز أن تجعل المستحبات بمنزلة الواجبات بحيث يمتنع الرجل من تركها ويرى أنه قد خرج من دينه أو عصى الله ورسوله بل قد يكون ترك المستحبات لمعارض راجح أفضل من فعلها بل الواجبات كذلك ومعلوم أن ائتلاف قلوب الامة أعظم فى الدين من بعض هذه المستحبات فلو تركها المرء لائتلاف القلوب كان ذلك حسنا وذلك أفضل اذا كان مصلحة ائتلاف القلوب دون مصلحة ذلك المستحب وقد أخرجا فى الصحيحين عن عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لها « لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية لنقضت الكعبة ولالصقتها بالارض وجعلت لها بابا يدخل الناس منه وبابا يخرجون منه » وقد احتج بهذا الحديث البخاري وغيره على ان الامام قد يترك بعض الامور المختارة لاجل تأليف القلوب ودفعها لنفرتها ولهذا نص الامام أحمد على انه يجهر بالبسملة عند المعارض الراجح فقال يجهر بها اذا كان بالمدينة قال القاضي لان أهلها اذ ذاك كانوا يجهرون فيجهر بها للتأليف وليعلمهم أنه يقرأ بها وقال غيره بل لانهم كانوا لا يقرؤنها بحال فيجهر بها ليعلمهم أنه يقرأ بها وان قراءتها سنة كما جهر ابن عباس بقراءة الفاتحة فى صلاة الجنازة فهذا أصل عظيم ينبغى مراعاته وبهذا يزول الشك والطعن فان الاتفاق اذا حصل على جواز الجميع واجزائه علم انه داخل فى المشروع فالتنازع فى الرجحان لا يضر كالتنازع في رجحان بعض القراآت وبعض العبادات و بعض العلماء ونحو ذلك بل قد أمر النبي صلى الله عليه وسلم كلا من القراء أن يقرأ كما

يعلم ونهاهم عن الاختلاف فى ذلك فمن خالف فى ذلك كان ممن ذمه الله ورسوله فأما أهل الجماعة فلا يختلفون فى ذلك *

وأما الاصل الثانى فنقول السنة المحفوظة عن النبى صلى الله عليه وسلم فيها من السعة والخير مايزول به الحرج وانما وقعت الشبهة لاشكال بعض ذلك على بعض الناس أما الاذان فقد ثبت في الاحاديث الصحيحة ان النبى صلى الله عليه وسلم سن فى الاقامة الايتار والشفع فى الصحيحين أنه أمر بلالا أن يشفع الاذان ويوتر الاقامة وفى صحيح مسلم أنه علم أبا محذورة الاقامة مثنى مثني مثل الاذان فاذا كان كل واحد من مؤذنى رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمره النبى صلى الله عليه وسلم بأحد النوعين صار ذلك مثل تعليمه القرآن لعمر بحرف ولهشام بن حكيم بحرف آخر وكلاهما قرآن أذن الله أن يقرأ به *

وكذلك الترجيع فى الاذان هو ثابت فى أذان أبى محذورة وهو محذوف من أذان بلال الذى رووه في السنن وكذلك الجهر بالبسملة والمخافتة بها صح الجهر بها عن طائفة من الصحابة وصحت المخافتة بها عن أكثرهم وعن بعضهم الامران جميعا وأما المأثور عن النبى صلى الله عليه وسلم فالذى في الصحاح والسنن يقتضى أنه لم يكن يجهر بها كما عليه عمل أكثر الصحابة وأمته ففى الصحيح حديث أنس وعائشة وأبى هريرة يدل على ذلك دلالة بينة لاشبهة فيها وفى السنن أحاديث أخر مثل حديث ابن مغفل وغيره وليس فى الصحاح والسنن حديث فيه ذكر جهره بها والاحاديث المصرحة بالجهر عنه كلها ضعيفة عند أهل العلم بالحديث ولهذا لم يخرجوا فى أمهات الدواوين منها شيئا ولكن فى الصحاح والسنن أحاديث محتملة وقد روى الطبرانى باسناد حسن عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يجهر بها اذ كان بمكة وانه لما هاجر الى المدينة ترك الجهر بها حتى مات ورواه أبو داود فى الناسخ والمنسوخ وهذا يناسب الواقع فان الغالب على أهل مكة كان الجهر بها وأما أهل المدينة والشام والكوفة فلم يكونوا يجهرون بها وكذلك أكثر البصريين وبعضهم كان يجهر بها ولهذا سألوا أنسا عن ذلك ولعل النبى صلى الله عليه وسلم كان يجهر بها بعض الاحيان أو جهرا خفيفا اذا كان ذلك محفوظا واذا

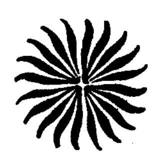
كان في نفس كتب الحديث انه فعل هذا مرة وهذا مرة زالت الشبهة *

وأما القنوت فامره بين لاشبهة فيه عند التأمل التام فانه قد ثبت في الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قنت في الفجر مرة يدعو على رعل وذكوان وعصية ثم تركه ولم يكن تركه نسخا له لانه ثبت عنه في الصحاح انه قنت بعد ذلك يدعو للمسلمين مثل الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام والمستضعفين من المؤمنين ويدعو على مضر وثبت عنه أنه قنت أيضا في المغرب والعشاء وسائر الصلوات قنوت استنصار فهذا في الجملة منقول ثابت عنه لكن اعتقد بعض العلماء من الكوفيين أنه تركه ترك نسخ فاعتقد ان القنوت منسوخ واعتقد بعضهم من المكيين انه مازال يقنت في الفجر القنوت المتنازع فيه حتى فارق الدنيا والذي عليه أهل المعرفة بالحديث انه قنت لسبب وتركه لزوال السبب فالقنوت من السنن العوارض لا الرواتب لانه ثبت انه تركه لما زال العارض وثبت في الصحاح انه لم يقنت بعد الركوع الا شهرا هكذا ثبت عن أنس وغيره ولم ينقل أحد قط عنه انه قنت القنوت المتنازع فيه لاقبل الركوع ولا بعده ولا في كتب الصحاح والسنن شيء من ذلك بل قد أنكر ذلك الصحابة كابن عمر وأبي مالك الاشجعي وغيرهما ومن المعلوم قطعا ان الرسول صلى الله عليه وسلم لو كان كل يوم يقنت قنوتا يجهر به لكان له فيه دعاء ينقله بعض الصحابة فانهم نقلوا ما كان يقوله في القنوت العارض وقنوت الوتر فالقنوت الراتب أولى أن ينقل دعاؤه فيه فاذا كان الذى نستحبه انما يدعو فيه لقنوت الوتر علم انه ليس فيه شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم وهذا مما يعلم باليقين القطعي كما يعلم عدم النص على هذا وأمثاله فانه من الممتنع أن يكون الصحابة كلهم أهملوا نقل ذلك فانه مما يعلم بطلانه قطعا وكذلك المأثور عن الصحابة مثل عمر وعلي وغيرهما هو القنوت العارض قنوت النوازل ودعاء عمر فيه وهو قوله اللهم عذب كفرة أهل الكتاب الخ يقتضي انه دعا به عند قتاله للنصاري وكذلك دعاء عليّ عند قتاله لبعض أهل القبلة والحديث الذى فيه عن أنس انه لم يزل يقنت حتى فارق الدنيا مع ضعف في اسناده وانه ليس في السنن انما فيه القنوت قبل الركوع وفي الصحاح عن أنس انه قال لم يقنت رسول الله

صلى الله عليه وسلم بعد الركوع الاشهرا والقنوت قبل الركوع هو القيام الطويل اذ لفظ القنوت معناه دوام الطاعة فتارة يكون فى السجود وتارة يكون فى القيام كما قد بيناه فى غير هذا الموضع *

وأما حجة الوداع وان اشتبهت على كثير من الناس فانما أتوا من جهة الالفاظ المشتركة حيث سمعوا بعض الصحابة يقول انه تمتع بالعمرة الى الحج وهؤلاء أيضا يقولون انه أفرد الحج ويقول بعضهم انه قرن العمرة الى الحج ولا خلاف فى ذلك فانهم لم يختلفوا أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يحل من احرامه وانه كان قد ساق الهدى ونحره يوم النحر وانه لم يعتمر بعد الحجة فى ذلك العام لاهو ولا أحد من أصحابه الا عائشة أمر أخاها أن يعمرها من التنعيم أدنى الحل وكذلك الاحاديث الصحيحة عنه فيها أنه لم يطف بالصفا والمروة الا مرة واحدة مع طوافه الاول فالذين نقلوا أنه أفرد الحج صدقوا لانه أفرد أعمال الحج لم يقرن بها عمل العمرة كما يتوهم من يقول ان القارن يطوف طوافين ويسعى سعيين ولم يتمتع تمتعا حل به من احرامه كما يفعله المتمتع الذى لم يسق الهدى بل قد أمر جميع أصحابه الذين لم يسوقوا الهدى أن يحلوا من احرامهم ويجعلوها عمرة ويهلوا بالحج بعد قضاء عمرتهم *

انتهت الرسالة السابعة والحمد لله رب العالمين ويليها الرسالة الثامنة



الرسالة الثامنة

﴿ قاعدة ﴾

فى توحد الملة وتعدد الشرائع وتنوعها وتوحد الدين الملى دون الشرعي

﴿ لشيخ الاسلام تقى الدين أحمد بن تيميه ﴾

(المتوفى سنة ٧٢٨)

فصل

فى توحد الملة وتعدد الشرائع وتنوعها وتوحد الدين الملى دون الشرعى وما فى ذلك من اقرار ونسخ وجريان ذلك فى أهل الشريعة الواحدة بنوع من الاعتبار قال الله تعالى (وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إنى جاعلك للناس اماماً)[١] فهذا نص فى أنه امام الناس كلهم وقال (ان ابراهيم كان أمة)[٢] وهو القدوة الذى يؤتم به وهو معلم الخير وقال (ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه فى الدنيا وإنه فى الآخرة لمن الصالحين إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد إلهك وإله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق إلها واحدا ونحن له مسلمون تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون)[٣] فقد بين أنه لا يرغب عن ملة ابراهيم الا من هو سفيه

١ ـ البقرة ١٢٤
٢ ـ النحل ١٢٠
٣ ـ البقرة ١٣٠ ـ ١٣٤

وانه أمر بالاسلام فقال أسلمت لرب العالمين وأن هذه وصية الى نبيه ووصية اسرائيل الى بنيه وقد اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ثم قال (وقالوا كونوا هودا أونصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين)[١] فأمر باتباع ملة ابراهيم ونهى عن التهود والتنصر وأمر بالايمان الجامع كما أنزل على النبيين وما أوتوه والاسلام له وأن نصبغ بصبغة الله وأن نكون له عابدين ورد على من زعم أن ابراهيم و بنيه واسرائيل و بنيه كانوا هودا أو نصارى وقد قال قبل هذا (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل ان هدى الله هو الهدى ولن اتبعت أهواءهم[٢]) الآية والمعنى ولن ترضى عنك اليهود حتى تتبع ملتهم ولا النصارى حتى تتبع ملتهم وقد يستدل بهذا على أن لكل طائفة ملة لقوله تعالى (وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء)[٣] وقال تعالى فى آخر السورة (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه)[٤] الى آخر السورة كما قال فى أولها (والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون)[٥] ففتحها بالايمان الجامع وختمها بالايمان الجامع ووسطها بالايمان الجامع ونبينا صلى الله عليه وسلم أعطي فواتح الكلم وخواتمه وجوامعه وقال تعالى فى آل عمران بعد أن قص أمر المسيح ويحيى (قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون)[٦] وهي التي كتبها النبي صلى الله عليه وسلم الى هرقل عظيم الروم لما دعاهم الى الاسلام وقال (ياأهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده أفلا تعقلون هاأنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولى المؤمنين)[٧] الى قوله (واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة)[٨] الى قوله (وله أسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها)[٩] فانكر على من يبغي غير دين الله كما قال فى أول السورة (شهد الله أنه لا اله الا هو

١ - البقرة ١٣٥
٢ - البقرة ١٢٠
٣ - البقرة ١١٣
٤ - البقرة ٢٨٥
٥ - البقرة ٤
٦ - آل عمران ٦٤
٧ - آل عمران ٦٥ - ٦٨
٨ - آل عمران ٨١
٩ - آل عمران ٨٣

والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم)[١] فاخبر أن الدين عند الله الاسلام وأن الذين اختلفوا من أهل الكتاب وصاروا على ملل شتى مااختلفوا الا من بعد ماجاءهم العلم وفيه بيان أن الدين واحد لااختلاف فيه وقال تعالى (قل إنني هداني ربي الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين)[٢] هذا بعد أن ذكر الانبياء فقال (اؤلئك الذين هدي الله فبهداهم اقتده)[٣] وذكر في الاعراف دعوة المرسلين جميعهم واتفاقهم على عبادة الله وحده لاشريك له وقال (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)[٤] الآية وقال (إن ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم وآتيناه في الدنيا حسنة وانه في الآخرة لمن الصالحين ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين)[٥] وقال (ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذى فيه يمترون)[٦] الى قوله (مشهد يوم عظيم)[٧] وقال في سورة الانبياء (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لااله الا أنا فاعبدون)[٨] وقال بعد أن قص قصصهم (إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون)[٩] وقال في آخرها (قل إنما يوحى الىّ أنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون)[١٠] وقال في سورة المؤمنين (يأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا انى بما تعملون عليم وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون)[١١] وقال في آخر سورة الحج التي ذكر فيها الملل الست وذكر ما جعل لهم من المناسك والمعابد وذكر ملة ابراهيم خصوصا (وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل)[١٢] وقال (شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا اليك)[١٣] الآية وقال (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب)[١٤] الى قوله (وذلك دين القيمة)[١٥] وهذا في القرآن مذكور في مواضع كثيرة وكذلك في الاحاديث الصحيحة مثل ماترجم عليه البخارى فقال باب ما جاء في أن دين

١ ـ آل عمران ١٨ ـ
٢ ـ الأنعام ١٦١ ـ
٣ ـ الأنعام ٩٠
٤ ـ النحل ٣٦
٥ ـ النحل ١٢٠ ـ
٦ ـ مريم ٣٤
٧ ـ مريم ٣٧
٨ ـ الأنبياء ٢٥
٩ ـ الأنبياء ٩٢
١٠ ـ الأنبياء ١٠٨
١١ ـ المؤمنون ٥١ ـ
١٢ ـ الحج ٧٨
١٣ ـ الشورى ١٣
١٤ ـ البينة ١
١٥ ـ البينة ٥

الانبياء واحد وذكر الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «انا معاشر الانبياء اخوة لعلات» ومثل صفته في التوراة لن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء فافتح به أعينا عميا وأذانا صما وقلوبا غلفا ولهذا وحد الصراط والسبيل في مثل قوله تعالى (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين)[١] ومثل قوله تعالى (وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل)[٢] ومثل قوله (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور)[٣] وقوله (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله وجاهدوا في سبيل الله) وقوله (وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله)[٤] والاسلام دين جميع المرسلين قال نوح عليه السلام (فان توليتم فما سألتكم من أجر ان أجري الا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين)[٥] وقال الله عن ابراهيم وبنيه ماتقدم * وقال الله عن السحرة (ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين)[٦] وعن فرعون (آمنت أنه لا اله الا الذي آمنت به بنوا اسرائيل وأنا من المسلمين)[٧] وقال الحواريون (آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون)[٨] وفي السورة الاخرى (واشهد بأننا مسلمون)[٩] وقال يوسف الصديق (توفني مسلما وألحقني بالصالحين)[١٠] وقال موسى (إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين)[١١] وقالت بلقيس (رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين)[١٢] وقال في التوراة (يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار)[١٣] قال شيخ الاسلام وقد قررت في غير هذا الموضع الاسلام العام والخاص والايمان العام والخاص كقوله (إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون)[١٤] وأما تنوع الشرائع وتعددها فقال تعالى لما ذكر القبلة بعد الملة بقوله (فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون)[١٥] الى قوله (ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات)[١٦] فأخبر أن لكل أمة وجهة ولم يقل جعلنا لكل أمة وجهة بل قد يكون هم ابتدعوها كما ابتدعت النصارى وجهة المشرق بخلاف ماذكره في الشرع والمناهج فانه قال

١ ـ الفاتحة ٥ ـ ٧
٢ ـ الأنعام ١٥٣
٣ ـ البقرة ٢٥٧
٤ ـ الأنفال ٣٩
٥ ـ يونس ٧٢
٦ ـ الاعراف ١٢٦
٧ ـ يونس ٩٠
٨ ـ آل عمران ٥٢
٩ ـ المائدة ١١١
١٠ ـ يوسف ١٠١
١١ ـ يونس ٨٤
١٢ ـ النمل ٤٤
١٣ ـ المائدة ٤٤
١٤ ـ البقرة ٦٢
١٥ ـ البقرة ١٤٤
١٦ ـ البقرة ١٤٨

(يا أيها الرسول لايحزنك الذين يسارعون فى الـكفر)[١] الى قوله (ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون)[٢] وهذه الآيات نزلت بسبب الحـكم فى الحدود والقصاص والديات أخبر أن التوراة يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا وهذا عام فى النبيين جميعهم والربانيين والاحبار ثم لما ذكر الانجيل قال وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه فأمر هؤلاء بالحـكم لان الانجيل بعض مافى التوراة وأقر الاكثر والحـكم بما أنزل الله فيـه حكم بما فى التوراة أيضا ثم قال (فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لـكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا)[٣] فأمره أن يحكم بما أنزل الله على من قبله لـكل جعلنا من الرسولين والـكتابين شرعة ومنهاجا أى سنة وسبيلا فالشرعه الشريعة وهي السنة والمنهاج الطريق والسبيل وكان هذا بيان وجه تركه لما جعل لغيره من السنة والمنهاج الى ماجعل له ثم أمره أن يحكم بينهم بما أنزل الله اليه فالاول نهى له أن يأخذ بمنهاج غيره وشرعته والثانى وان كان حكما غير الحـكم الذى أنزل نهى له أن يترك شيئا مماانزل فيها اتباع محمد صلى الله عليه وسلم الذى يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل فمن لم يتبعه لم يحكم بما أنزل الله وان لم يكن من اهل الـكتاب الذين أمروا أن يحكموا بما فيها مما يخالف حكمه وقال تعالى فى الحج (ولـكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على مارزقهم من بهيمة الانعام)[٤] ولـكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه فلا ينازعنك فى الامر)[٥] وذكر فى أثناء السورة (لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا)[٦] فبين أنه هو جعل المناسك وذكر مواضع العبادات كما ذكر فى البقرة الوجهة التى يتوجهون اليها وقال فى سورة الجاثية بعد أن ذكر بنى اسرائيل (ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لايعلمون)[٧] الآية وقال فى النسخ ووجوب اتباعهم للرسول (واذ أخذ نا ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة)[٨] الى قوله (وأنا معكم من الشاهدين) وقال (فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة)[٩] الآية والتى بعدها وقد تقدم مافى البقرة وآل عمران من أمرهم بالايمان بما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك فى سورة النساء وهو كثير فى القرآن *

١ - المائدة ٤١
٢ - المائدة ٥٠
٣ - المائدة ٤٨
٤ - الحج ٣٤
٥ - الحج ٦٧
٦ - الحج ٤٠
٧ - الجاثية ١٨
٨ - آل عمران ٨١
٩ - الاعراف ١٥٦

﴿ فصل ﴾

قال الله تعالى لنا (ياأيها الذين أمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا)[1] الى قوله تعالى (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات)[2] إلى قوله (كنتم خير أمة اخرجت للناس)[3] فامرنا بملازمة الاسلام الى الممات كماأمر الأنبياء جميعهم بالاسلام وأن نعتصم بحبله جميعا ولا نتفرق ونهانا أن نكون كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات وذكر انه تبيض وجوه وتسود وجوه قال ابن عباس تبيض وجوه أهل السنة والجماعة وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة وذكر انه يقال لهم (أكفرتم بعد ايمانكم)[4] وهذا عائد الى قوله (ولا تموتن الا وانتم مسلمون) فأمر بملازمة الاسلام و بين أن المسودة وجوههم أهل التفرق والاختلاف يقال لهم أكفرتم بعد ايمانكم وهذا دليل على كفرهم وارتدادهم وقد تأولها الصحابة فى الخوارج وهذا نظير قوله للرسل (أن أقيموا الدين ولا تفرقوا فيه)[5] وقد قال فى البقرة (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه)[6] الآية وقال أيضا (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء)[7] وقال تعالى(فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون)[8] وقال تعالى (وان أقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون) وقال تعالى (إن الدين عند الله الاسلام وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الامن بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم)[9] الآية(وماتفرق الذين أوتوا الكتاب الامن بعد ماجاءتهم البينة)[10] الآية ونظيرها فى الجاثية وقال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم فان تنازعتم فى شيء فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا)[11] وقال تعالى (والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم)[12] *

١ ـ آل عمران ١٠٢ ـ ١٠٣
٢ ـ آل عمران ١٠٥
٣ ـ آل عمران ١١٠
٤ ـ آل عمران ١٠٦
٥ ـ الشورى ١٣
٦ ـ البقرة ٢١٣
٧ ـ الأنعام ١٥٩
٨ ـ المؤمنون ٥٣
٩ ـ آل عمران ١٩
١٠ ـ البينة ٤
١١ ـ النساء ٥٩
١٢ ـ الحشر ١٠

﴿ فصل ﴾

إذا كان الله تعالى قد أمرنا بطاعة الله وطاعة رسوله وأولى الامر منا وامرنا عند التنازع فى شىء أن نرده الى الله والى الرسول وأمرنا بالاجتماع والائتلاف ونهانا عن التفرق والاختلاف وأمرنا أن نستغفر لمن سبقنا بالايمان وسمانا المسلمين وأمرنا أن ندوم عليه الى المات فهذه النصوص وما كان في معناها توجب علينا الاجتماع فى الدين كاجتماع الأنبياء قبلنا فى الدين وولاة الأمور فيناهم خلفاء الرسول قال النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح « إن بنى اسرائيل كانت تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي قام نبي وأنه لانبي بعدى وسيكون خلفاء ويكثرون قالوا فما تأمرنا يارسول الله قال أوفوا بيعة الأول فالاول وأدوا لهم الذى لهم فأن الله سائلهم عما استرعاهم » وقال أيضا « العلماء ورثة الانبياء » وروى عنه أنه قال « وددت أنى قد رأيت خلفائى قالوا ومن خلفاؤك قال الذين يحيون سنتى يعلمونها الناس » فهؤلاء هم ولاة الأمر بعدهم وهم الأمراء والعلماء وبذلك فسرها السلف ومن تبعهم من الائمة كالامام أحمد وغيره وهو ظاهر قد قررناه فى غير هذا الموضع فالأصول الثابتة بالكتاب والسنة والاجماع هى بمنزلة الدين المشترك بين الانبياء ليس لأحد خروج عنها ومن دخل فيها كان من أهل الاسلام المحض وهم أهل السنة والجماعة وما تنوعوا فيه من الأعمال والأقوال المشروعة فهو بمنزلة ماتنوعت فيه الأنبياء قال الله تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهديهم سبلنا)[1] وقال تعالي (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام)[2] وقال (ياأيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة)[3] والتنوع قد يكون فى الوجوب تارة وفى الاستحباب أخرى فالأول مثل مايجب على قوم الجهاد وعلى قوم الزكاة وعلى قوم تعليم العلم وهذا يقع فى فروض الأعيان وفى فروض الكفايات ففروض الأعيان مثل مايجب على كل رجل إقامة الجماعة والجمعة فى مكانه مع أهل بقعته ويجب عليه زكاة نوع ماله بصرفه إلى مستحقه لجيران ماله ويجب عليه استقبال الكعبة من ناحيته والحج إلى بيت الله من طريقه ويجب عليه بر والديه وصلته ذوى رحمه والأحسان إلى جيرانه وأصحابه ومماليكه ورعيته ونحو ذلك من الامور

١ - العنكبوت ٦٩
٢ - المائدة ١٦
٣ - البقرة ٢٠٨

التى تتنوع فيها أعيان الوجوب وان اشتركت الامة فى جنس الوجوب وتارة تتنوع بالقدرة والعجز كتنوع صلاة المقيم والمسافر والصحيح والمريض والآمن والخائف وفروض الكفايات تتنوع بتنوع فروض الاعيان ولها تنوع يخصها وهوانها تتعين على من لم يقم بها غيره فقد تتعين فى وقت ومكان وعلى شخص أوطائفة وفى وقت آخر أو مكان آخر على شخص آخر أو طائفة أخرى كما يقع مثل ذلك فى الولايات والجهاد والفتيا والقضاء وغير ذلك وأما فى الاستحباب فهو أبلغ فان كل تنوع يقع فى الوجوب فانه يقع مثله فى المستحب ويزداد المستحب بان كل شخص انما يستحب له من الاعمال التى يتقرب بها الى الله تعالى التى يقول الله فيها وما يزال عبدي يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه ما يقدر عليه ويفعله وينتفع به والافضل له من الاعمال ما كان أنفع له وهذا يتنوع تنوعا عظيما فاكثر الخلق يكون المستحب لهم ماليس هو الافضل مطلقا اذ أكثرهم لايقدرون على الافضل ولا يصبرون عليه اذا قدروا عليه وقد لا ينتفعون به بل قد يتضررون اذا طلبوه مثل من لا يمكنه فهم العلم الدقيق اذا طلب ذلك فانه قد يفسد عقله ودينه أو من لا يمكنه الصبر على مرارة الفقر ولا يمكنه الصبر على حلاوة الغنى أولا يقدر على دفع فتنة الولاية عن نفسه والصبر علي حقوقها ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه عز وجل «ان من عبادى من لا يصلحه الا الفقر ولو أغنيته لافسده ذلك وان من عبادى من لا يصلحه الا الغني ولو أفقرته لافسده ذلك» وقال النبي صلى الله عليه وسلم لابى ذر لما سأله الامارة «يا أبا ذر أنى أراك ضعيفا وإني أحب لك ما أحب لنفسى لا تأمرن على اثنين ولاتولين مال يتيم» وروى عنه أنه قال للعباس عمه نفس تنجيها خير من امارة لا تحصيها ولهذا اذا قلنا هذا العمل أفضل فهذا قول مطلق ثم المفضول يكون أفضل فى مكانه ويكون أفضل لمن لا يصلح له الافضل مثال ذلك أن قراءة القرآن أفضل من الذكر بالنص والاجماع والاعتبار أما النص فقوله صلى الله عليه وسلم «أفضل الكلام بعد القرآن أربع وهي من القرآن سبحان الله والحمد لله ولااله الا الله والله أكبر» وقوله صلى الله عليه وسلم «فضل القرآن علي سائر الكلام كفضل

الله على خلقه» وقوله عن الله «من شغله قراءة القرآن عن ذكري ومسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين» وقوله «ما تقرب العباد الى الله بمثل ما خرج منه» وقول الاعرابي له انى لا أستطيع أن آخذ شيئا من القرآن فعلمني ما يجزيني في صلاتي فقال «قل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر» وأما الاجماع على ذلك فقد حكاه طائفة ولا عبرة بخلاف جهال المتعبدة وأما الاعتبار فان الصلاة يجب فيها القراءة فان عجز عنها انتقل الى الذكر ولا يجزيه الذكر مع القدرة على القراءة والمبدل منه أفضل من البدل الذي لا يجوز إلا عند العجز عن المبدل وأيضا فالقراءة يشترط لها الطهارة الكبرى كما يشترط للصلاة الطهارتان والذكر لا يشترط انه الكبرى ولا الصغري فعلم أن أعلى أنواع ذكر الله هو الصلاة ثم القراءة ثم الذكر المطلق ثم الذكر في الركوع والسجود أفضل بالنص والاجماع من قراءة القرآن وكذلك كثير من العبادات قد ينتفع بالذكر في الابتداء مالا ينتفع بالقراءة اذ الذكر يعطيه ايمانا والقرآن يعطيه العلم وقد لا يفهمه ويكون الى الايمان أحوج منه لكونه في الابتداء والقرآن مع الفهم لاهل الايمان أفضل بالاتفاق فهذا وأمثاله يشبه تنوع شرائع الانبياء فانهم متفقون على أن الله أمر كلا منهم بالدين الجامع وان نعبده بتلك الشرعة والمنهاج كما أن الامة الاسلامية متفقة علي ان الله أمر كل مسلم من شريعة القرآن بما هو مأمور به اما ايجابا وأما استحبابا وان تنوعت الافعال فى حق أصناف الامة فلم يختلف اعتقادهم ولا معبودهم ولا اخطأ أحد منهم بل كلهم متفقون علي ذلك يصدق بعضهم بعضا *

﴿ فصل ﴾

وأما ما يشبه ذلك من وجه دون وجه فهو ما تنازعوا فيه مما أقروا عليه وساغ لهم العمل به من اجتهاد العلماء والمشايخ والامراء والملوك كاجتهاد الصحابة في قطع النخل وتركها واجتهادهم فى صلاة العصر لما بعثهم النبي صلى الله عليه وسلم الى بني قريظة وأمرهم ان لا يصلوا العصر الا فى بنى قريظة فصلى قوم في الطريق فى الوقت وقالوا انما أراد التعجل لا تفويت الصلاة وأخرها قوم الى أن وصلوا وصلوها بعد الوقت تمسكا بظاهر لفظ العموم فلم يعنف النبي صلى الله عليه وسلم

واحدة من الطائفتين وقال صلى الله عليه وسلم «إذا اجتهد الحاكم فاصاب فله أجران وإذا اجتهد فاخطاء فله أجر» وقد اتفق الصحابة فى مسائل تنازعوا فيها على أن اقرار كل فريق للفريق الآخر على العمل باجتهادهم كمسائل فى العبادات والمناكح والمواريث والعطاء والسياسة وغير ذلك وحكم عمر أول عام في الفريضة الحمارية بعدم التشريك وفى العام الثانى بالتشريك فى واقعة مثل الأولى ولما سئل عن ذلك قال تلك على ماقضينا وهذه على مانقضى وهم الأئمة الذين ثبت بالنصوص أنهم لايجتمعون على باطل ولا ضلالة ودل الكتاب والسنة على وجوب متابعتهم وتنازعوا فى مسائل علمية اعتقادية كسماع الميت صوت الحى وتعذيب الميت ببكاء أهله ورؤية محمد صلى الله عليه وسلم ربه قبل الموت مع بقاء الجماعة والالفة وهذه المسائل منها ماأحد القولين خطأ قطعا ومنها ماالمصيب فى نفس الامر واحد عند الجمهور اتباع السلف والآخر مؤد لما وجب عليه بحسب قوة ادراكه وهل يقال له مصيب أو مخطىء فيه نزاع ومن الناس من يجعل الجميع مصيبين ولا حكم فى نفس الأمر ومذهب أهل السنة والجماعة أنه لاإثم على من اجتهد وإن اخطأ فهذا النوع يشبه النوع الأول من وجه دون وجه أما وجه المخالفة فلأن الانبياء عليهم السلام معصومون عن الاقرار على الخطأ بخلاف الواحد من العلماء والأمراء فانه ليس معصوما من ذلك ولهذا يسوغ بل يجب أن نبين الحق الذى يجب اتباعه وإن كان فيه بيان خطأ من اخطأ من العلماء والأمراء وأما الأنبياء فلا يبين أحدهما مايظهر به خطاء الآخر وأما المشابهة فلأن كلا مأمور باتباع مابان له من الحق بالدليل الشرعى كامر النبي صلى الله عليه وسلم باتباع ماأوحى إليه وليس لأحدهما ان يوجب على الآخر طاعته كما ليس ذلك لأحد النبيين مع الآخر وقد يظهر له من الدليل ما كان خافيا عليه فيكون انتقاله بالاجتهاد عن الاجتهاد ويشبه النسخ فى حق النبى لكن هذا رفع للاعتقاد وذاك رفع للحكم حقيقة وعلى الاتباع اتباع من ولى أمرهم من الأمراء والعلماء فيما ساغ له اتباعه وأمر فيه باتباع اجتهاده كما على الأمة اتباع أى نبى بعث اليهم وان خالف شرعه شرع الأول لكن

تنوع الشروع لهؤلاء وانتقاله لم يكن لتنوع نفس الأمر النازل على الرسول ولكن تنوع أحوالهم وهو ادراك هذا لما بلغه من الوحي سمعا وعقلا وعجز الآخر عن ادراك ذلك البلاغ إما سمعا لعدم تمكنه من سماع ذلك النص وإما عقلا لعدم فهمه لما فهمه الأول من النص وإذا كان عاجزا سقط عنه الاثم فيما عجز عنه وقد يتبين لأحدهما عجز الآخر وخطاؤه وتعذره فى ذلك وقد لايتبين له عجزه وقد لايتبين لكل منهما أيهما الذى أدرك الحق واصابه ولهذا امتنع من امتنع من تسمية مثل هذا خطأ قال لان التكليف مشروط بالقدرة فما عجز عنه من العلم لم يكن حكم الله فى حقه فلا يقال اخطأه وأما الجمهور فيقولون أخطأه كما دلت عليه السنة والاجماع لكن خطؤه معذور فيه وهو معنى قوله عجز عن ادراكه وعلمه لكن هذا لايمنع أن يكون ذاك هو مراد الله ومأموره فان عجز الانسان عن فهم كلام العالم لايمنع أن يكون قد أراد بكلامه ذلك المعنى وأن يكون الذي فهمه هو المصيب الذي له الأجران ولهذا تنازع أصحابنا فيمن لم يصب الحكم الباطن هل يقال إنه مصيب فى الظاهر لكونه أدى الواجب المقدور عليه من اجتهاده واقتصاره أولا يطلق عليه اسم الاصابة بحال وإن كان له أجر على اجتهاده وقصده الحق على قولين هما روايتان عن أحمد وذلك لانه لم يصب الحكم الباطن ولكن قصد الحق وهل اجتهد الاجتهاد المأمور به التحقيق أنه اجتهد الاجتهاد المقدور عليه فهو مصيب من هذا الوجه من جهة المأمور المقدور وإن لم يكن مصيبا من جهة إدراك المطلوب وفعل المأمور المطلق يوضح ذلك أن السلطان نوعان سلطان الحجة والعلم وهو اكثر ماسمى فى القرآن سلطانا حتى روى عن ابن عباس، أن كل سلطان فى القرآن فهو الحجة والثانى سلطان القدرة : والعمل الصالح لايقوم إلا بالسلطانين فاذا ضعف سلطان الحجة كان الأمر بقدره واذا ضعف سلطان القدرة كان الامر بحسبه والأمر مشروط بالقدرة على السلطانين فالاثم ينتفى عن الأمر بالعجز عن كل منهما وسلطان الله فى العلم هو الرسالة وهو حجة الله على خلقه كما قال تعالى (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل)[1] وقال تعالى (ان هي الا اسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان)[2] وقال (أم أنزلنا

١ - النساء ١٦٥
٢ - النجم ٢٣

عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون)[١] ونظائره متعددة فالمذاهب والطرائق والسياسات للعلماء والمشايخ والامراء اذا قصدوا بها وجه الله تعالى دون الاهواء ليكونوا مستمسكين بالملة والدين الجامع الذى هو عبادة الله وحده لاشريك له واتبعوا ماأنزل اليهم من ربهم من الكتاب والسنة بحسب الامكان بعد الاجتهاد التام هى لهم من بعض الوجوه بمنزلة الشرع والمناهج للانبياء وهم مثابون علي ابتغائهم وجه الله وعبادته وحده لاشريك له وهو الدين الاصلى الجامع كما يثاب الانبياء على عبادتهم الله وحده لاشريك له ويثابون على طاعة الله ورسوله فيما تمسكوا به لامن شرعة رسوله ومنهاجه كما يثاب كل نبى على طاعة الله فى شرعه ومنهاجه ويتنوع شرعهم ومناهجهم مثل أن يبلغ أحدهم الاحاديث بألفاظ غير الالفاظ التى بلغت الآخر وتفسر له بعض آيات القرآن بتفسير يخالف لفظه لفظ التفسير الآخر ويتصرف فى الجمع بين النصوص واستخراج الاحكام منها بنوع من الترتيب والتوفيق ليس هو النوع الذى سلكه غيره وكذلك فى عباداته وتوجهاته وقد يتمسك هذا بآية أو حديث وهذا بحديث أو آية أخرى وكذلك في العلم من العلماء من يسلك بالاتباع طريقة ذلك العالم فتكون هى شرعهم حتى يسمعوا كلام غيره ويروا طريقته فيرجح الراجح منهما فتتنوع في حقهم الاقوال والافعال السالفة لهم من هذا الوجه وهم مأمورون بأن يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه كما أمرت الرسل بذلك ومأمورون بان لايفرقوا بين الامة بل هى أمة واحدة كما أمرت الرسل بذلك وهؤلاء آكد فان هؤلاء تجمعهم الشريعة الواحدة والكتاب الواحد وأما القدر الذي تنازعوا فيه فلا يقال ان الله أمر كلامنهم باطنا وظاهرا بالتمسك بما هو عليه كما أمر بذلك الانبياء وان كان هذا قول طائفة من أهل الكلام فانما يقال ان الله أمر كلا منهم أن يطلب الحق بقدر وسعه وامكانه فان أصابه والا فلا يكلف الله نفسا الا وسعها وقد قال المؤمنون (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا)[٢] وقال الله قد فعلت وقال تعالى (ولا جناح عليكم فيما أخطأتم به) فمن ذمهم ولامهم على مالم يؤاخذهم الله عليه فقد اعتدى ومن أراد أن يجعل أقوالهم وأفعالهم بمنزلة قول المعصوم وفعله وينتصر لها بغير هدى من الله فقد اعتدى

١ ـ الروم ٣٥
٢ ـ البقرة ٢٨٦

واتبع هواه بغير هدى من الله ومن فعل ما أمر به بحسب حاله من اجتهاد يقدر عليه أو تقليد اذا لم يقدر على الاجتهاد وسلك فى تقليده مسلك العدل فهو مقتصد اذ الامر مشروط بالقدرة (لا يكلف الله نفسا الا وسعها)[١] فعلى المسلم فى كل موطن أن يسلم وجهه لله وهو محسن ويدوم على هذا الاسلام فاسلام وجهه اخلاصه لله واحسان فعله الحسن فتدبر هذا فانه أصل جامع نافع عظيم *

قاعدة

فى صفات العبادات الظاهرة التى حصل فيها نزاع بين الامة فى الرواية والرأى مثل الاذان والجهر بالبسملة والقنوت فى الفجر والتسليم فى الصلاة ورفع الايدي فيها ووضع الاكف فوق الاكف ومثل التمتع والافراد والقران فى الحج ونحو ذلك فان التنازع في هذه العبادات الظاهرة والشعائر أوجب أنواعا من الفساد الذى يكرهه الله ورسوله وعباده المؤمنون أحدها جهل كثير من الناس او اكثرهم بالأمر المشروع المسنون الذى يحبه الله ورسوله والذى سنه رسول الله صلى الله عليه وسلم لامته والذى أمرهم باتباعه * الثانى ظلم كثير من الامة أو أكثرهم بعضهم لبعض وبغيهم عليهم تارة بنهيهم عما لم ينه الله عنه وبغضهم على مالم يبغضهم الله عليه وتارة بترك ماأوجب الله من حقوقهم وصلتهم لعدم موافقتهم لهم على الوجه الذي يؤثرونه حتى يقدمون فى الموالاة والمحبة واعطاء الاموال والولايات من يكون مؤخراً عند الله ورسوله ويتركون من يكون مقدما عند الله ورسوله لذلك * الثالث اتباع الظن وما تهوي الانفس حتي يصير كثير منهم متدينا باتباع الاهواء فى هذه الامور المشروعة وحتى يصير فى كثير من المتفقهة والمتعبدة من الاهواء من جنس مافى أهل الاهواء الخارجين عن السنة والجماعة كالخوارج والروافض والمعتزلة ونحوهم وقد قال الله فى كتابه (ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب)[٢] وقال فى كتابه (لا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل)[٣] * الرابع التفرق والاختلاف المخالف للاجتماع والائتلاف حتى يصير بعضهم يبغض بعضا ويعاديه

١ - البقرة ٢٨٦
٢ - ص ٢٦
٣ - المائدة ٧٧

ويحب بعضا ويواليه على غير ذات الله وحتى يفضي الامر ببعضهم الى الطعن واللعن والهمز واللمز وببعضهم إلى الاقتتال بالأيدى والسلاح وببعضهم الى المهاجرة والمقاطعة حتى لا يصلى بعضهم خلف بعض وهذا كله من أعظم الأمور التى حرمها الله ورسوله والاجتماع والائتلاف من أعظم الامور التى أوجبها الله ورسوله قال الله تعالى (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)[1] الى قوله (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه)[2] قال ابن عباس تبيض وجوه أهل السنة والجماعة وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة وكثير من هؤلاء يصير من أهل البدعة بخروجه عن السنة التى شرعها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته من أهل الفرقة بالفرقة المخالفة للجماعة التى أمر الله بها ورسوله وقال تعالى (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء)[3] وقال تعالى (وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ماجاءتهم البينات)[4] وقال تعالى (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ماجاءتهم البينة وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة)[5] وقال تعالى (ان الدين عند الله الاسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم)[6] وقال تعالى (وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا إلا من بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم)[7] وقال (فما اختلفوا حتى جاءهم العلم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة)[8] وقال (فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم)[9] وقال (إنما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم)[10] وقال (إلا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس)[11] وهذا الأصل العظيم وهو الاعتصام بحبل الله جميعا وأن لا نتفرق هو من أعظم أصول الاسلام ومما عظمت وصية الله به في كتابه ومما عظم ذمه لمن تركه من أهل الكتاب وغيرهم ومما عظمت به وصية النبى صلى الله عليه وسلم فى مواطن عامة وخاصة مثل قوله « عليكم بالجماعة فأن يد الله على الجماعة » وقوله « فان الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد » وقوله « من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر عليه فان من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الأسلام من عنقه » وقوله « ألا أنبؤكم بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة والأمر بالمعروف

[1] آل عمران ١٠٢ ـ ١٠٣
[2] آل عمران ١٠٦
[3] الأنعام ١٥٩
[4] البقرة ٢١٣
[5] البينة ٤ ـ ٥
[6] آل عمران ١٩
[7] الجاثية ١٧
[8] يونس ٩٣
[9] الأنفال ١
[10] الحجرات ١٠
[11] النساء ١١٤

والنهي عن المنكر قالوا بلى يارسول الله قال صلاح ذات البين فأن فساد ذات البين هى الحالقه لاأقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين » وقوله « من جاءكم وأمركم على رجل واحد يريد أن يفرق جماعتكم فاضربوا عنقه بالسيف كائنا من كان » وقوله « يصلون لكم فان أصابوا فلكم ولهم وان اخطاؤا فلكم وعليهم » وقوله « ستفترق هذه الامة على ثلاث وسبعين فرقة منها واحدة ناجية وثنتان وسبعون في النار قيل ومن الفرقة الناجية قال هى الجماعة يد الله على الجماعة » وباب الفساد الذى وقع فى هذه الامة بل وفى غيرها هو التفرق والاختلاف فانه وقع بين أمرائها وعلمائها من ملوكها ومشايخها وغيرهم من ذلك ماالله به عليم وإن كان بعض ذلك مغفورا لصاحبه لاجتهاده الذى يغفر فيه خطاؤه أو لحسناته الماحية أو لتوبته أو غير ذلك لكن يعلم الله أن رعايته من أعظم أصول الأسلام ولهذا كان امتياز أهل النجاة عن اهل العذاب من هذه الأمة بالسنة والجماعة ويذكرون في كتب السنة والجماعة من السنن والآثار فى ذلك مايطول ذكره وكان الأصل الثالث بعد الكتاب والسنة التي يجب تقديم العمل به هو الاجماع فان الله لايجمع هذه الأمة على ضلالة (النوع الخامس) هو شك كثير من الناس وطعنهم فى كثير مما أهل السنة والجماعة عليه متفقون بل وفى بعضها ماعليه أهل الأسلام بل وبعض ماعليه سائر أهل الملل متفقون وذلك من جهة نقلهم وروايتهم تارة ومن جهة تنازعهم ورأيهم أخرى أما الاول فقد علم أن الله حفظ هذا الدين كما قال (إنا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون)[1] فحفظ الله الذكر الذي انزله على رسوله وأمر أزواج نبيه بذكره حيث يقول (واذكرن مايتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة)[2] حفظه من أن يقع فيه من التحريف ماوقع فيما أنزل قبله كما عصم هذه الأمة أن تجتمع على ضلالة فعصم حروف التنزيل أن تغير وحفظ تأويله أن يضل فيه أهل الهدى المتمسكون بالسنة والجماعة وحفظ أيضا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم عما ليس فيها من الكذب عمدا أو خطأ بما أقامه من علماء الحديث وحفاظه الذين فحصوا عنها وعن نقلها ورواتها وعلموا من ذلك مالم يعلمه غيرهم حتى صاروا مجتمعين على ماتلقوه بالقبول منها اجماعا معصوما من الخطأ لأسباب يطول وصفها فى هذا الموضع وعلموا هم

١ ـ الحجر ٩
٢ ـ الأحزاب ٣٤

خصوصا وسائر علماء الأمة بل وعامتها عموما ماصانوا به الدين عن أن يزاد فيه أو ينقص منه مثل ماعلموا أنه لم يفرض عليهم في اليوم والليلة إلا الصلوات الخمس وأن مقادير ركعاتها مابين الثنائي والثلاثي والرباعي وانه لم يفرض عليهم من الصوم إلا شهر رمضان ومن الحج إلا حج البيت العتيق ومن الزكاة إلا فرائضها المعروفة إلى نحو ذلك وعلموا كذب أهل الجهل والضلالة فيما قد يؤثرونه عن النبي صلى الله عليه وسلم بكذب من يزعم من الرافضة أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على علي بالخلافة نصا قاطعا جليا وزعم آخرين أنه نص على العباس وعلموا أحاديث الرافضة والناصبة التي يؤثرونها في مثل الغزوات التي يروونها عن علي وليس لها حقيقة كما يرويها المكذبون الطرقية مثل اكاذيبهم الزائدة في سيرة عنترة والبطال حيث علموا مجموع مغازي رسول الله صلي الله عليه وسلم وان القتال فيها كان في تسع مغاز فقط ولم يكن عدد المسلمين ولا العدو في شيء من مغازي القتال عشرين الفا ومثل الفضائل المروية ليزيد بن معاوية ونحوه والأحاديث التي يرويها كثير من الكرامية في الارجاء ونحوه والأحاديث التي يرويها كثير من النساك في صلوات ايام الاسبوع وفي صلوات أيام الأشهر الثلاثة والأحاديث التي يروونها في استماع النبي صلى الله عليه وسلم هو واصحابه وتواجده وسقوط البردة عن ظهره وتمزيقه الثوب وأخذ جبريل لبعضه وصعوده به إلى السماء وقتال أهل الصفة مع الكفار واستماعهم لمناجاته ليلة الاسراء والأحاديث المأثورة في نزول الرب الى الأرض يوم عرفة وصبيحة مزدلفة ورؤية النبي صلى الله عليه وسلم له في الارض بعيني رأسه وأمثال هذه الاحاديث المكذوبة التي يطول وصفها فان المكذوب من ذلك لايحصيه أحد إلا الله لأن الكذب يحدث شيئا فشيئا ليس بمنزلة الصدق المورروث عن النبي صلى الله عليه وسلم الذي لايحدث بعده وانما يكون موجودا في زمنه صلى الله عليه وسلم وهو محفوظ محروس بنقل خلفاء الرسول وورثة إلأنبياء وكان من الدلائل علي انتفاء هذه الأمور المكذوبة وغيرها وجوه * أحدها أن ماتوفرت همم الخلق ودواعيهم على نقله واشاعته يمتنع في العادة كتمانه فانفراد العدد القليل به يدل على كذبهم كما يعلم كذب من خرج يوم

الجمعة وأخبر بحادثة كبيرة فى الجامع مثل سقوط الخطيب وقتله وإمساك أقوام فى المسجد إذا لم يخبر ذلك إلا الواحد والاثنان ويعلم كذب من أخبر أن فى الطرقات بلادا عظيمة وأمما كثيرين ولم يخبر بذلك السيارة وانما انفرد به الواحد والاثنان ويعلم كذب من أخبر بمعادن ذهب وفضة ظاهرة متيسرة لمن أرادها بمكان يعلمه الناس ولم يخبر بذلك إلا الواحد والاثنان وأمثال ذلك كثيرة فباعتبار العقل وقياسه وضربه الأمثال يعلم كذب ماينقل من الأمور التى مضت سنة الله بظهورها وانتشارها لو كانت موجودة كما يعلم أيضا صدق مامضت سنة الله فى عباده أنهم لايتواطئون فيه على الكذب من الأمور المتواترة والمنقولات المستفيضه فان الله جبل جماهير الأمم على الصدق والبيان فى مثل هذه الأمور دون الكذب والكتمان كما جبلهم على الأكل والشرب واللباس فالنفس بطبعها تختار الصدق إذا لم يكن لها فى الكذب غرض راجح وتختار الاخبار بهذه الأمور العظيمة دون كتمانها والناس يستخبر بعضهم ويميلون الى الاستخبار والاستفهام عما يقع وكل شخص له من يؤثر ان يصدقه ويبين له دون أن يكذبه ويكتمه والكذب والكتمان يقع كثيرا في بنى آدم فى قضايا كثيرة لاتنضبط كما يقع منهم الزنا وقتل النفوس والموت جوعا وعريا ونحو ذلك لكن ليس الغالب على أنسابهم الا الصحة وعلى أنفسهم الا البقاء فالغرض هنا ان الامور المتواترة تعلم انهم لم يتواطئوا فيها على الكذب والاخبار الشاذة تعلم أنهم لم يتواصوا فيها على الكتمان * الوجه الثانى أن دين الامة يوجب عليهم تبليغ الدين واظهاره وبيانه ويحرم عليهم كتمانه ويوجب عليهم الصدق ويحرم عليهم الكذب فتواطؤهم على ما يجب بيانه كتواطئهم على الكذب وكلاهما من أقبح الامور التى تحرم في دين الامة وذلك باعث يوجب الصدق والبيان * الثالث أنه قد علم من عدل سلف الامة ودينها وعظيم رغبتها فى تبليغ الدين واظهاره وعظيم مجانبتها للكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم مايوجب أعظم العلوم الضرورية بأنهم لم يكذبوا فيما نقلوه عنه ولا كتموا ماأمرهم بتبليغه وهذه العادة الخاصة الدينية لهم غير العادة العامة المشتركة بين جنس البشر * الرابع أن العلماء الخاصة يعلمون من نصوص رسول الله صلى

الله عليه وسلم الموجبة عليهم التبليغ ومن تعظيمهم لامر الله ورسوله ومن دين آحادهم مثل الخلفاء ومثل ابن مسعود وأبى ومعاذ وأبى الدرداء الى ابن عمر وابن عباس وابن عمرو وغيرهم يعلمون علما يقينيا لايتخالجه ريب امتناع هؤلاء من كتمان قواعد الدين التى يجب تبليغها الى العامة كما يعلمون امتناعهم من الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعلم أيضا أهل الحديث مثل أحوال المشاهير بمعرفة ذلك مثل الزهرى وقتادة ويحيى بن أبى كثير ومثل مالك والثورى وشعبة وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وغيرهم أمورا يعلمون معها امتناعهم عن الكذب وامتناعهم عن كتمان تبليغ هذه الامور العظيمة التى تأبى أحوالهم كتمانها لو كانت موجودة ولهم في ذلك الباب مايطول شرحه وليس الغرض هنا تقرير ذلك وانما الغرض التنبيه على ماوقع من الشبهة لبعض الناس من أهل الاهواء قالوا هذا الذى ذكرتموه معارض بامر الاذان والاقامة فانه كان يفعل على عهد النبى صلى الله عليه وسلم كل يوم خمس مرات ومع هذا فقد وقع الاختلاف فى صفته وكذلك الجهر بالبسملة والقنوت فى الفجر وحجة الوداع من أعظم وقائعه وقد وقع الاختلاف فى نقلها وذكروا نحو هذه الامور التى وقعت فيها الشبهة والنزاع عند بعض الناس وجعلوا هذا معارضا لما تقدم ليسوغوا أن تكون من امور الدين مالم ينقل بل كتم لاهواء وأغراض وأما جهة الرأى والتنازع فان تنازع العلماء واختلافهم فى صفات العبادات بل وفى غير ذلك من أمور الدين صار شبهة لكثير من أهل الاهواء من الرافضة وغيرهم وقالوا ان دين الله واحد والحق لايكون فى جهتين (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا)[1] فهذا التفرق والاختلاف دليل على انتفاء الحق فيما عليه أهل السنة والجماعة ويعبرون عنهم بعبارات تارة يسمونهم الجمهور وتارة يسمونهم الحشوية وتارة يسمونهم العامة ثم صار أهل الاهواء لما جعلوا هذا مانعا من كون الحق فيما عليه أهل السنة والجماعة كل ينتحل سبيلا من سبل الشيطان فالرافضة تنتحل النقل عن أهل البيت لكن لا وجود له وأصل من وضع ذلك لهم زنادقة مثل رئيسهم الاول عبد الله بن سبأ الذى ابتدع لهم الرفض ووضع لهم أن النبى صلى الله عليه وسلم نص على على بالخلافة وأنه ظلم ومنع حقه وقال انه كان معصوما وغرض الزنادقة

[1] ١ ـ النساء ٨٢

بذلك التوسل الى هدم الاسلام ولهذا كان الرفض باب الزندقة والالحاد فالصابئة المتفلسفة ومن أخذ ببعض أمورهم أوزاد عليهم من القرامطة والنصيرية والاسماعيلية والحاكمية وغيرهم انما يدخلون الى الزندقة والكفر بالكتاب والرسول وشرائع الاسلام من باب التشيع والرفض والمعتزلة ونحوهم تنتحل القياس والعقل ويطعن فى كثير مما ينقله أهل السنة والجماعة ويعللون ذلك بما ذكر من الاختلاف ونحوه وربما جعل ذلك بعض أعداء الملة من أسباب الطعن فيها وفى أهلها فيكون بعض هؤلاء المتعصبين ببعض هذه الامور الصغار داعيا فى هدم قواعد الاسلام الكبار *

﴿فصل﴾ اذا تبين بعض ماحصل فى هذا الاختلاف والتفرق من الفساد فنحن نذكر طريق زوال ذلك ونذكر ماهو الواجب فى الدين فى هذه المنازعات وذلك ببيان الأصلين الذين هما السنة والجماعة المدلول عليهما بكتاب الله فانه اذا اتبع كتاب الله وما تضمنه من اتباع رسوله والاعتصام بحبله جميعا حصل الهدى والفلاح وزال الضلال والشقاء أما الاصل الاول وهو الجماعة وبدأنا به لانه أعرف عند عموم الخلق ولهذا يجب عليهم تقديم الاجماع على ما يظنونه من معانى الكتاب والسنة فنقول عامة هذه التنازعات انما هى فى أمور مستحبات ومكروهات لافى واجبات ومحرمات فان الرجل اذا حج متمتعا أو مفردا أو قارنا كان حجه مجزئا عند عامة علماء المسلمين وان تنازعوا فى الافضل من ذلك ولكن بعض الخارجين عن الجماعة يمنع ذلك فمن الشيعة من يوجب المتعة ويحرم ماعداها ومن الناصبة من يحرم المتعة ولا يبيحها بحال وكذلك الاذان سواء رجع فيه أولم يرجع فانه أذان صحيح عند جميع سلف الامة وعامة خلفها وسواء ربع التكبير فى أوله أو ثناه وانما يخالف فى ذلك بعض شواذ المتفقهة كما خالف فيه بعض الشيعة فأوجب فيه الحيعلة بحيّ على خير العمل وكذلك الاقامة يصح فيها الافراد والتثنية بأيها أقام صحت اقامته عند عامة علماء الاسلام الا ماينازع شذوذ الناس وكذلك الجهر بالبسملة والمخافتة كلاهما جائز لايبطل الصلاة وان كان من العلماء من يستحب أحدهما ويكره الآخر ويختار أن لايقرأ بها فالمنازعة بينهم فى المستحب والافالصلاة بأحدهما جائزة عند عوام العلماء فانهم وان تنازعوا فى الجهر والمخافتة فى موضعهما

هل هما واجبان أم لا وفيه نزاع معروف في مذهب مالك واحمد وغيرهما فهذا في الجهر والطويل بالقدر الكثير مثل المخافتة بقرآن الفجر والجهر بقراءة صلاة الصبح فأما الجهر بالشيء اليسير أو المخافتة به فما ينبغي لاحد أن يبطل الصلاة بذلك وما أعلم أحدا قال به فقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان في صلاة المخافتة يسمعهم الآية أحيانا وفي صحيح البخاري عن رفاعة ابن رافع الزرقي قال كنا نصلي وراء النبي صلى الله عليه وسلم فلما رفع رأسه من الركعة قال سمع الله لمن حمده قال رجل وراءه ربنا ولك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه فلما انصرف قال من المتكلم قال أنا قال رأيت بضعة وثلاثين ملكا يبتدرونها أيهم يكتبها أول ومعلوم أنه لولا جهره بها لماسمعه النبي صلى الله عليه وسلم ولا الراوي ومعلوم أن المستحب للمأموم المخافتة بمثل ذلك وكذلك ثبت في الصحيح عن عمر انه كان يجهر بدعاء الاستفتاح سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك وهذا فعله بين المهاجرين والانصار .والسنة الراتبة فيه المخافتة وكذلك كان من الصحابة من يجهر بالاستعاذة .وفي الصحيح عن ابن عباس أنه جهر بقراءة الفاتحة على الجنازة وقال لتعلموا أنها السنة .ولهذا نظائر .وأيضا فلا نزاع أنه كان من الصحابة من يجهر بالبسملة كابن الزبير ونحوه ومنهم من لم يكن يجهر بها كابن مسعود وغيره وتكلم الصحابة فى ذلك ولم يبطل أحد منهم صلاة أحد في ذلك وهذا مما لم أعلم فيه نزاعا وان تنازعوا فى وجوب قراءتها فتلك مسألة أخرى وكذلك القنوت في الفجر وانما النزاع بينهم في استحبابه أو كراهته وسجود السهو لتركه أو فعله والا فعامتهم متفقون على صحة صلاة من ترك القنوت وانه ليس بواجب وكذلك من فعله اذهو تطويل يسير للاعتدال ودعاء لله في هذا الموضع ولو فعل ذلك فى غير صلاة الفجر لم تبطل صلاته باتفاق العلماء فيما أعلم وكذلك القنوت فى الوتر هل هو في جميع الحول أو فى النصف الاخر من رمضان انما هو في الاستحباب اذلا نزاع أنه لا يجب القنوت ولا تبطل الصلاة وكذلك كونه قبل الركوع أو بعده وكذلك التسليمة الثانية هل هى مشروعة فى الصلاة الكاملة والناقصة أو فى الكاملة فقط أم ليست مشروعة انما هو نزاع فى

الاستحباب لكن عن أحمد رواية أن التسليمة الثانية واجبة في الصلاة الكاملة إما وجوب الاركان أو وجوب مايسقط بالسهو على نزاع فى ذلك والرواية الأخرى الموافقة للجمهور أنها مستحبة فى الصلاة الكاملة وكذلك تكبيرات العيد الزوائد انما النزاع فى المستحب فيها والا فلا نزاع فى أنه يجزىء ذلك كله وكذلك أنواع التشهدات كلها جائز ماأعلم فى ذلك خلافا الا خلافا شاذا وانما النزاع فى المستحب وكذلك أنواع الاستفتاح فى الصلاة وأصل الاستفتاح انما النزاع فى استحبابه وفى أي الانواع أفضل والخلاف فى وجوبه خلاف قليل يذكر قولا فى مذهب الامام احمد واذا كان النزاع انما هو فى الاستحباب علم الاجماع على جواز ذلك وأجزائه ويكون ذلك بمنزلة القرا آت فى القرآن فان جميعها جائز وان كان من الناس من يختار بعض القرا آت علي بعض وبهذا يزول الفساد المتقدم فانه اذا علم أن ذلك جميعه جائز مجزىء فى العبادة لم يكن النزاع فى الاختيار ضارا بل قد يكون النوعان سواء وان رجح بعض الناس بعضها ولو كان أحدهما أفضل لم يجز أن يظلم من يختار المفضول ولا يذم ولا يعاب باجماع المسلمين بل المجتهد المخطىء لا يجوز ذمه باجماع المسلمين ولا يجوز التفريق بذلك بين الامة ولا أن يعطي المستحب فوق حقه فانه قد يكون من أتى بغير ذلك المستحب من أمور أخرى واجبة ومستحبه أفضل بكثير ولا يجوز أن يجعل المستحبات بمنزلة الواجبات بحيث يمنع الرجل من تركها ويرى أنه قد خرج من دينه أو عصى الله ورسوله بل قد يكون ترك المستحبات لمعارض راجح أفضل من فعلها بل الواجبات كذلك ومعلوم أن ائتلاف قلوب الامة واجتماعهم أعظم فى الدين من بعض هذه المستحبات فلو تركها المرء لائتلاف القلوب كان ذلك حسنا وذلك أفضل اذا كان مصلحة ائتلاف القلوب دون مصلحة ذلك المستحب. وقد أخرجا فى الصحيحين عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها «لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية لنقضت الكعبة ولالصقتها بالارض ولجعلت لها بابين بابا يدخل الناس منه و بابا يخرجون منه» وقد احتج بهذا الحديث البخارى وغيره على أن الامام قد يترك بعض الامور المختارة لاجل تأليف القلوب ودفعا لنفرتها ولهذا نص الامام أحمد على أنه يجهر بالبسملة عند

المعارض الراجح فقال يجهر بها اذا كان بالمدينة قال القاضي لان أهلها اذ ذاك كانوا يجهرون فيجهر بها للتأليف وليعلمهم أنه يقرأ بها وقال غيره بل لانهم كانوا لا يقرؤنها بحال فيجهر بها ليعلمهم أنه يقرأ بها وان قراءتها سنة كما جهر ابن عباس بقراءة الفاتحة فى صلاة الجنازة فهذا أصل عظيم ينبغى مراعاته وبهذا يزول الشك والطعن فان الاتفاق اذا حصل على جواز الجميع واجزائه علم أنه داخل فى المشروع فالتنازع فى الرجحان لا يصير كالتنازع فى رجحان بعض القراآت وبعض العبادات وبعض العلماء ونحو ذلك بل قد أمر النبي صلى الله عليه وسلم كلا من القراء أن يقرأ كما يعلم ونهاهم عن الاختلاف في ذلك فمن خالف فى ذلك كان ممن ذمه الله ورسوله فأما أهل الجماعة فلا يختلفون فى ذلك *

وأما الاصل الثانى فنقول السنة المحفوظة عن النبى صلى الله عليه وسلم فيها من السعة والخير ما يزول به الحرج وانما وقعت الشبهة لاشكال بعض ذلك على بعض الناس أما الاذان فقد ثبت فى الاحاديث الصحيحة أن النبى صلى الله عليه وسلم سن في الاقامة الايتار والشفع فى الصحيحين أنه أمر بلالا أن يشفع الاذان ويوتر الاقامة * وفى صحيح مسلم أنه علم أبا محذورة الاقامة مثنى مثنى مثل الاذان فاذا كان كل واحد من مؤذنى رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمره النبى صلى الله عليه وسلم بأحد النوعين صار ذلك مثل تعليمه القرآن لعمر بحرف ولهشام بن حكيم بحرف آخر وكلاهما قرآن أذن الله أن يقرأ به وكذلك الترجيع فى الأذان هو ثابت فى أذان أبى محذرة وهو محذوف من أذان بلال الذى رووه فى السنن وكذلك الجهر بالبسملة والمخافتة بها صح الجهر بها عن طائفة من الصحابة وصحت المخافتة بها عن أكثرهم وعن بعضهم الأمران جميعا وأما المأثور عن النبى صلى الله عليه وسلم فالذى فى الصحاح والسنن يقتضى أنه لم يكن يجهر بها كما عليه أكثر الصحابة وأمته ففى الصحيح حديث أنس وعائشة وأبى هريرة يدل على ذلك دلالة بينة لاشبهة فيها : وفى السنن أحاديث أخر مثل حديث ابن معقل وغيره وليس فى الصحاح والسنن حديث فيه ذكر جهره بها والاحاديث المصرحة بالجهر عنه كلها ضعيفة عند أهل العلم بالحديث ولهذا لم يخرجوا فى

أمهات الدواوين منها شيئا ولكن فى الصحاح والسنن احاديث محتملة وقد روى الطبرانى باسناد حسن عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجهر بها إذ كان بمكة وأنه لما هاجر إلى المدينة ترك الجهر بها حتى مات . ورواه أبو داود فى الناسخ والمنسوخ وهذا يناسب الواقع فان الغالب على أهل مكة كان الجهر بهاوأماأهل المدينة والشاموالكوفةلم يكونوا يجهرونوكذلكاكثرالبصريين وبعضهم كان يجهر بها ولهذا سألوا أنسا عن ذلك ولعل النبى صلى الله عليه وسلم كان يجهر بها بعض الأحيان أو جهرا خفيا إذا كان ذلك محفوظا وإذا كان فى نفس كتب الحديث أنه فعل هذا مرة وهذا مرة زالت الشبهة * وأما القنوت فأمره بين لاشبهة فيه عند التأمل التام فأنه قد ثبت في الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قنت فى الفجر مرة يدعو على رعل وذكوان وعصية ثم تركه ولم يكن تركه نسخا لانه ثبتعنه فى الصحاحانه قنت بعد ذلك يدعو للمسلمين مثل الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام والمستضعفين من المؤمنين ويدعو علىمضر وثبت عنه أنه قنت أيضا فى المغرب والعشاء وسائر الصلوات قنوت استنصار فهذا فى الجملة فنقول ثابت عنه لكن اعتقد بعض العلماء من الكوفيين أنه تركه ترك نسخ فاعتقد أن القنوت منسوخ واعتقد بعضهم من المكيين أنه مازاليقنت فى الفجر القنوت المتنازع فيه حتى فارق الدنيا والذى عليه أهل المعرفة بالحديث أنه قنت لسبب ثم تركه لزوال السبب فالقنوت من السنن العوارض لاالرواتب لانه ثبت أنه تركه لما زال العارض ثم عاد اليه مرةأخرى ثم تركه لمازال العارض وثبت فىالصحاحانه لم يقنت بعد الركوع إلا شهرا هكذا ثبت عن أنس وغيره ولم ينقل أحد قط عنه انه قنت القنوت المتنازع فيه لاقبل الركوعولا بعدهولافى كتب الصحاح والسنن شىء من ذلك بل قد أنكر ذلك الصحابة كابن عمر وأبي مالك الأشجعى وغيرهما ومن المعلوم قطعا أن الرسول صلى الله عليه وسلم لو كان كل يوم يقنت قنوتا يجهر به لكان له فيه دعاء ينقله بعض الصحابة فانهم نقلوا ما كان يقوله فى القنوت العارضوقنوت الوتر فالقنوتالراتب أولىأن ينقل دعاؤه فيه فاذا كان الذى يستحبه إنما يدعو فيه بقنوت الوتر علم أنه ليس فيه

شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم وهذا مما يعلم باليقين القطعي كما يعلم عدم النص على هذا وأمثاله فأنه من الممتنع أن يكون الصحابة كلهم أهملوا نقل ذلك فأنه مما يعلم بطلانه قطعا وكذلك المأثور عن الصحابة مثل عمر وعلي وغيرهما هو القنوت العارض قنوت النوازل ودعا عمر فيه وهو قوله اللهم عذب كفرة أهل الكتاب إلى آخره يقتضي أنه دعا به عند قتاله للنصارى وكذلك دعا علي عند قتاله لبعض أهل القبلة والحديث الذي فيه عن أنس انه لم يزل يقنت حتى فارق الدنيا مع ضعف في اسناده وانه ليس في السنن إنما فيه القنوت قبل الركوع وفي الصحاح عن أنس أنه قال لم يقنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الركوع إلا شهرا والقنوت قبل الركوع هو القيام الطويل إذ لفظ القنوت معناه دوام الطاعة فتارة يكون في السجود وتارة يكون في القيام كما قد بيناه في غير هذا الموضع وأما حجة الوداع وان اشتبهت على كثير من الناس فأنما أتوا من جهة الألفاظ المشتركة حيث سمعوا بعض الصحابة يقول إنه تمتع بالعمرة إلى الحج وهؤلاء يقولون إنه أفرد الحج ويقول بعضهم انه قرن العمرة الى الحج ولا خلاف في ذلك فانهم لم يختلفوا أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يحل من احرامه وأنه كان قد ساق الهدى ونحره يوم النحر وأنه لم يعتمر بعد الحجة في ذلك العام لا هو ولا أحد من أصحابه إلا عائشة أمر أخاها أن يعمرها من التنعيم أدنى الحل وكذلك الأحاديث الصحيحة عنه فيها أنه لم يطف بالصفا والمروة الا مرة واحدة مع طوافه الأول فالذين نقلوا أنه أفرد الحج صدقوا لانه أفرد أعمال الحج لم يقرن بها عمل العمرة كما يتوهم من يقول أن القارن يطوف طوافين ويسعى سعيين ولم يتمتع تمتعا حل به من احرامه كما يفعله المتمتع الذى لم يسق الهدى بل قد أمر جميع أصحابه الذين لم يسوقوا الهدى أن يحلوا من احرامهم ويجعلوها عمرة ويهلوا بالحج بعد قضاء عمرتهم *

﴿ قاعدة في أن الاعتقادات قد تؤثر في الأحكام ﴾

هذه قاعدة عظيمة جامعة متشعبة وللناس في تفاصيلها اضطراب عظيم حتى منهم من صار في طرف نقيض في كلا نوعي الأحكام العلمية الشرعية والأحكام العينية النظرية وذلك أن كل واحد من العلوم والاعتقادات والاحكام والكلمات بل

والمحبة والاردات إما أن يكون تابعا لمتعلقه مطابقا له وإما أن يكون متبوعه تابعا له مطابقا له ولهذا اقسمت الحق والحقائق والكلمات إلي موجود ومقصود إلى كونى ودينى الى قدرى وشرعى كما قد بينته فى غير هذا الموضع وقد تنازع النظار فى العلم هل هو تابع للمعلوم غير مؤثر فيه بل هو انفعالى كما يقوله كثير من أهل الكلام أو المعلوم تابع له والعلم مؤثر فيه وهو فعلى كما يقوله كثير من أهل الفلسفة والصواب أن العلم نوعان أحدهما تابع والثانى متبوع والوصفان يجتمعان فى العلم غالبا أو دائما فعلمنا بمالا يفتقر الى علمنا كعلمنا بوجود السموات والارض وكذلك علمنا بالله وأسمائه وصفاته وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والنبيين وغير ذلك علم تابع انفعالى وعلمنا بما يقف على علمنا مثل ما يريده من أفعالنا علم فعلى متبوع وهو سبب لوجود المعلوم وكذلك علم الله بنفسه المقدسة تابع غير مؤثر فيها وأما علمه بمخلوقاته فهو متبوع وبه خلق الله الخلق كما قال تعالى (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) فان الارادة مستلزمة للعلم فى كل مريد كما أن هذه الصفات مستلزمة للحياة فلا ارادة الا بعلم ولا ارادة وعلم الا بحياة وقد يجوز أن يقال كله علم فهو تابع للمعلوم مطابق سواء كان سببا فى وجود المعلوم أو لم يكن فيكون اطلاق المتكلمين أحسن وأصوب من اطلاق المتفلسفة ان كل علم فهو فعلى متبوع وما أظن العقلاء من الفريقين الا يقصدون معنى صحيحا وهو أن يشيروا الى ماتصوروه فينظر هؤلاء فى أن العلم تابع لمعلومه مطابق له ويشيروا هؤلاء الى مافى حسن العلم فى الجملة من أنه قد يؤثر فى المعلوم وغيره ويكون سببا له وأن وجود الكائنات كان بعلم الله وعلم الانسان بما هو حق أو باطل وهدى أو ضلال ورشاد أو غي وصدق أو كذب وصلاح أو فساد من اعتقاداته وارادته وأقواله وأعماله ونحو ذلك يجتمع فيه الوصفان بل غالب العلم أو كله يجتمع فيه الامران ولهذا كان الايمان قولا أو عملا قول القلب وعمله وقول الجسد وعمله فانه من عرف الله أحبه فعمله بالله تابع للمعلوم ومتبوع لحبه لله ومن عرف الشيطان أبغضه فمعرفته به تابعة للمعلوم ومتبوعة لبغضه وكذلك عامة العلم لابد أن يتبعه أثر مافى العالم من حب أو غيره حتى علم الرب سبحانه بنفسه المقدسة يتبعه

١ ـ الملك ١٤

صفات وكلمات وأفعال متعلقة بنفسه المقدسة فما من علم إلا ويتبعه حال ما وعمل ما فيكون متبوعا مؤثرا فاعلا بهذا الأعتبار وما من علم إلا وهو مطابق لمعلومه موافق له سواء كان المعلوم مستغنيا عنه أو كان وجود المعلوم بوجوده فيكون تابعا منفعلا مطابقا بهذا الأعتبار لكن كل علم وان كان له تأثير فلا يجب أن يكون تأثيره في معلومه فان من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فأحب الله وملائكته وأنبياءه والجنة وأبغض النار لم يكن علمه بذلك مؤثرا فى المعلوم وإنما أثر فى محبة المعلوم وارادته او فى بغضه وكراهته كذلك وإن كان كل علم فانه مطابق للمعلوم لكن قد يكون ثبوت المعلوم فى ذهن العالم وتصوره قبل وجوده في الخارج كتصور الأنسان لأقواله وأعماله وقد يكون وجوده في الخارج قبل تصور الأنسان له وعلمه أو بدون تصور الأنسان له فلهذا التفريق حصل التقسيم الذي قدمناه من أنه ينقسم إلى مؤثر فى المعلوم وغير مؤثر فيه وإلى تابع للمعلوم وغير تابع له وان كان كل علم فان له أثرا فى نفس العالم وإن كان كل علم فانه تابع تبع المطابقة والموافقة وإن لم يكن بعضه تابعا تبع التأخر والتأثر والأفتقار والتعلل فهذه مقدمة جامعة نافعة جدا فى أمور كثيرة إذا تبين هذا فى جنس العلم ظهر ذلك فى الأعتقاد والرأى والظن ونحو ذلك الذى قد يكون علما وقد لا يكون علما بل يكون اعتقادا صحيحا أو غير صحيح او ظنا صحيحا أو غير صحيح أو غير ذلك من أنواع الشعور والأحساس والأدراك فان هذا الجنس هو الأصل فى الحركات والأفعال الروحانية والجسمانية ما كان من جنس الحب والبغض وغير ذلك وما كان من جنس القيام والقعود وغير ذلك فان جميع ذلك تابع للشعور مفتقر اليه مسبوق به والعلم أصل العمل مطلقا وإن كان قد يكون فرعا لملوم غير العمل كما تقدم. فالأعتقاد تارة يكون فرعا للمعتقد تابعا له كاعتقاد الأمور الخارجة عن كسب العبد كاعتقاد المؤمنين والكفار فى الله تعالى وفى اليوم الآخر وقد يكون أصلا للمعتقد متبوعا له كاعتقاد المنتقد وظنه إن هذا العمل يجلب له منفعة أو يدفع عنه مضرة إما فى الدنيا وإما فى الآخرة مثل إعتقاده أن أكل هذا الطعام يشبعه وأن

تناول هذا السم يقتله وأن هذه الرمية تصيب هذا الغرض وهذه الضربة تقطع هذا العنق وهذا البيع والتجارة يورثه ربحا أو خسارة وأن صلاته وزكاته وحجه وبره وصدقه ونحو ذلك من الأعمال الصالحة يورثه السعادة في الدنيا والآخرة وأن كفره وفسوقه وعصيانه يورثه الشقاوة فى الدنيا والآخرة. وهذا باب واسع تدخل فيه الديانات والسياسات وسائر الأعمال الدينية والدنيوية ويشترك فيه الدين الصحيح والفاسد لكن هذا الاعتقاد العملى لابد أن يتعلق ايضا بأمور غير العمل فان اعتقاده أن هذا العمل ينفعه فى الدنيا والآخرة أو يضره يتعلق أيضا بصفات ثابتة الأعيان لا يتعلق باعتقاده كما أن الاعتقاد النظرى وإن كان معتقده غير العمل فانه يتبعه عمل كما تقدم أن كلا من الأعتقادين تابع متبوع والأحكام أيضا من جنس الأعتقادات فانه أيضا ينقسم قسمين: أحكام عينية تابعة للمحكوم فيه كالحكم بما يستحقه الله تعالي من الحمد والثناء وما يتقدس عنه من الفقر والشركاء وأحكام عملية يتبعها المحكوم فيه كالحكم بان هذا العمل حسن أو قبيح صالح او فاسد خير أو شر نافع أو ضار واجب او محرم مأمور به أو منهى عنه رشاد أوغى عدل أو ظلم. وكذلك الكلمات فانها تنقسم إلى خبرية وانشائية فالكلمات الخبرية تطابق المخبر عنه وتتبعه وهى موافقة للعلم التابع والأعتقاد التابع والحكم التابع. والكلمات الانشائية مثل الأمر والنهى والاباحة تستتبع المتكلم فيه المأمور به والمنهى عنه والمباح ويكون سببا فى وجوده أو عدمه كالعلم المتبوع والاعتقاد المتبوع وهو الحكم العملى. إذا عرف هذان النوعان فمن الناس من يسمى العلم والأعتقاد والحكم والقول الخبرى التابع علم الأصول وأصول الدين أو علم الكلام أو الفقه الأكبر ونحو ذلك من الاسماء المتقاربة وإن اختلفت فيها المقاصد والاصطلاحات. ويسمى النوع الآخر علم الفروع وفروع الدين وعلم الفقه والشريعة ونحو ذلك من الأسماء. وهذا اصطلاح كثير من المتفقهة والمتكلمة المتأخرين ومن الناس من يجعل أصول الدين اسما لكل ما اتفقت فيه الشرائع مما لا ينسخ ولا يغير سواء كان علميا أو عمليا سواء كان من القسم الأول أو الآخر حتى يجعل عبادة الله وحده ومحبته وخشيته ونحو ذلك من أصول الدين وقد يجعل بعض الأمور

الاعتقادية الخبرية من فروعه ويجعل اسم الشريعة ينتظم العقائد والأعمال ونحو ذلك وهذا اصطلاح غلب على أهل الحديث والتصوف وعليه أئمة الفقهاء وطائفة من أهل الكلام *

فصل

إذا تبين هذا فمن الناس من صار فى طرفى نقيض فحكى عن بعض السوفسطائية أنه جعل جميع العقائد هى المؤثرة فى الاعتقادات ولم يجعل للأشياء حقائق ثابتة فى نفسها يوافقها الاعتقاد تارة ويخالفها أخري بل جعل الحق فى كل شيء مااعتقده المعتقد وجعل الحقائق تابعة للعقائد وهذا القول على اطلاقه وعمومه لايقوله عاقل سليم العقل وإنما هو من جنس مايحكى أن السوفسطائية أنكروا الحقائق ولم يثبتوا حقيقة ولا علما بحقيقة وأن لهم مقدما يقال له سوفسطا كما يذكره فريق من أهل الكلام .وزعم آخرون أن هذا القول لايعرف أن عاقلا قاله ولا طائفة تسمى بهذا الأسم وإنما هى كلمة معربة من اللغة اليونانية ومعناها الحكمة المموهة يعنون الكلام الباطل الذى قد يشبه الحق كما قد يتخيله الأنسان لفساد عقله أو مزاجه أو اشتباه الأمر عليه وجعلوا هـذا نوعا من الكلام والرأى يعرض للنفوس لاأنه صنف من الآدميين. وبكل حال فمعلوم أن التخيلات الفاسدة كثيرا ماتعرض لبنى آدم بل هى كثيرة عليهم وهم يجحدون الحق إما عنادا واما خطأ فى أمور كثيرة وفي أحوال كثيرة وإن كان الجاحد قد يقر بحق آخر أو يقر بذلك الحق فى وقت آخر فالجهل والعناد الذى هو السفسطة هو فيهم خاصا مقيدا إلا أنه عام مطلق قد يبتلى به بعضهم مطلقا وان لم يستمر به الأمر وقد يبتلى به فى شيء بعينه على سبيل الدوام واما ابتلاء الشخص المعين به فقد يكون امامع فساد العقل المسقط للتكليف وهو الجنون وأما مع صحة العقل المشروط فى التكليف فما أعلم شخصا جاهلا بكل شيء معاندا لكل شيء حتى يكون سوفسطائيا. ومما يبين أن هذا لم يقع عند المتكلمة أيضا أن كثيرا من متكلمة أهل الحديث والسنة وغيرهم يقولون إن العقل المشروط فى التكليف نوع من العلوم الضرورية كالعلم بوجوب الواجبات وجواز الجائزات

وامتناع الممتنعات. واستدلوا على ذلك بأن العاقل لايخلو من علم شيء من ذلك وهذا قول القاضي أبي بكر وابن الباقلاني وأبي الطيب الطبري والقاضي أبي يعلى وابن عقيل وغيرهم فمن كان هذا قوله لم يصح أن يحكي عن عاقل أنه أنكر العلوم جميعها إلا على سبيل العناد ومعلوم أن العناد لا يكون إلا لغرض وليس لأحد غرض أن يعاند في كل شيء ويجحده على سبيل الدوام ومن الناس بازاء هؤلاء من قد يتوهم أنه لا تأثير للعقائد في المعتقدات ولا تختلف الأحكام باختلاف العقائد بل يتخيل أنه إذا اعتقد وجوب فعل أو تحريمه كان من خرج عن اعتقاده مبطلا مرتكبا للمحرم أو تاركا للواجب وأنه يستحق من الذم والعقاب مايستحقه جنس من ترك الواجب أو فعل المحرم وإذا عورض بأنه متأول أو مجتهد لم يلتفت الى هذا وقال هو ضال مخطيء مستحق للعقاب وهذا أيضا على اطلاقه وعمومه لا يعتقده صحيح العقل والدين ماأعلم قائلا به على الاطلاق والعموم كالطرف الأول وإنما أعلم أقواما وطوائف يبتلون ببعض ذلك ولوازمه في بعض الأشياء فان من غالب من يقول بعصمة الأنبياء والأئمة الأثنى عشر عن الخطأ في الأقوال والأعمال من قد يرى أنه لو أخطأ الإمام في فعل لكان ذلك عيبا وذما وبين هذين الطرفين المتباعدين أطراف أيضا نشأ عنها اختلاف الناس في تصويب المجتهدين وتخطئتهم في الأصول والفروع كما سننبه عليه إن شاء الله *

فصل

والمتحقق أن الأحكام والأقوال والاعتقادات كما تقدم نوعان: عيني وعملي تابع للمعتقد ومتبوع للمعتقد فرع للمعتقد وأصل له. فأما الأول وهو العيني التابع للمعتقد المتفرع عليه فهذا لا تؤثر فيه الاعتقادات ولا يختلف باختلافها فان حقائق الموجودات ثابتة في نفسها سواء اعتقدها الناس أولم يعتقدوها وسواء اتفقت عقائدهم فيها أو اختلفت وإذ اختلف الناس فيها على قولين متناقضين لم يكن كل مجتهد مصيبا بمعنى أن قوله مطابق للمعتقد موافق له لايقول ذلك عاقل كما تقدم ومن حكى عن أحد من علماء المسلمين سواء كان عبيد الله بن الحسن العنبري أو

غيره أنه قال كل مجتهد فى الاصول مصيب بمعنى أن القولين المتناقضين صادقان مطابقان . فقد حكى عنه الباطل بحسب وهمه وإذا رد هذا القول وأبطله فقد أحسن فى رده وابطاله وإن كان هذا القول المردود لاقائل به ولكن المنازعات والمخالفات فى هذا الجنس تشتمل علي أقسام وذلك أن التنازع إما أن يكون فى اللفظ فقط أو فى المعني فقط أو فى كل منهما أو فى مجموعهما .فان كان فى المعنى مع اللفظ أو بدونه فلا يخلو اما أن يتناقض المعنيان أو يمكن الجمع بينهما فان كان النزاع فى المعنيين المتناقضين فأحد القولين صواب والآخر خطأ وأما بقية الاقسام فيمكن فيها أن يكون القولان صوابا ويمكن أن يكون الجميع خطأ ويمكن أن يكون كل منهما أو أحدهما صوابا أو من وجه خطأ دون وجه وحيث كان القولان خطأ وقد لا يكون وإذا لم يكن كفرا فقد يكون فسوقا وقد لا يكون .فمن قال ان المتنازعين كل منهما صواب بمعنى الاصابة فى بعض الأقسام المتقدمة أو بمعنى أنه لا يعاقب على ذلك فهذا ممكن وأما تصويب المتناقضين فمحال. فانه كثيرا ما يكون النزاع فى المعنى نزاع تنوع لا نزاع تضاد وتناقض فيثبت أحدهما شيئا وينفى الآخر شيئا آخر ثم قد لا يشتركان فى لفظ ما نفاه أحدهما وأثبته الآخر وقد يشتركان فى الالفاظ فيكون التناقض والاختلاف فى اللفظ وأما المعنى فلا يختلفان فيه ولا يتناقضان. ثم قد يكونان متفقين عليه يقوله كل منهما وقد يكون أحدهما قاله أو يقوله والآخر لا يتعرض له بأثبات ولا نفى وقد يكون النزاع اللفظى مع اتحاد المعنى لا تنوعه وكثير من تنازع الأئمة فى دينهم هو من هذا الباب فى الأصول والفروع والقرآن والحديث وغير ذلك .مثال التنوع الذى ليس فيه نزاع لفظى أن يقول أحدهما الصراط المستقيم هو الأسلام ويقول الآخر هو السنة والجماعة ويقول الآخر هو القرآن ويقول الآخر هو طريق العبودية فان هذا تنوع فى الاسماء والصفات التى تبين بها الصراط المستقيم بمنزلة اسماء الله واسماء رسوله وكتابه وليس بينها تضاد لا فى اللفظ ولا فى المعنى وكذلك إذا قال بعضهم فى السابق والمقتصد والظالم أقوالا يذكر فيها كل قوم نوعا من المسلمين ويكون الاسم متناولا للجميع من غير منافاة. ومثال التنوع الذى فيه نزاع لفظى لأجل اشتراك اللفظ كما قيل: أكثر اختلاف العقلاء

من جهة اشتراك الاسماء تنازع قوم فى ان محمدا رأى ربه فى الدنيا أوفى الآخرة فقال قوم رآه فى الدنيا لأنه رآه قبل الموت وقال آخرون بل فى الآخرة لانه رآه وهو فوق السموات ولم يره وهو فى الارض والتحقيق أن لفظ الآخرة يراد به الحياة الدنيا والحياة الآخرة ويراد به الدار الدنيا والدار الآخرة ومحمد رأى ربه فى الحياة الدنيا فى الدار الآخرة وكذلك كثير ممن يتنازعون فى أن الله فى السماء أوليس فى السماء فالمثبتة تطلق القول بان الله فى السماء كما جاءت به النصوص ودلت عليه بمعنى أنه فوق السموات على عرشه بائن من خلقه وآخرون ينفون القول بان الله فى السماء ومقصودهم أن السماء لاتحويه ولا تحصره ولا تحمله ولا تقله ولا ريب أن هذا المعنى صحيح أيضا فان الله لاتحصره مخلوقاته بل وسع كرسيه السموات والارض والكرسي في العرش كحلقة ملقاة بأرض فلاة وكذلك ليس هو مفتقرا الى غيره محتاجا اليه بل هو الغنى عن خلقه الحى القيوم الصمد فليس بين المعنيين تضاد ولكن هؤلاء أخطأوا فى نفى اللفظ الذى جاء به الكتاب والسنة وفى توهم أن اطلاقه دال على معنى فاسد وقد يعذر بعضهم اذا رأى من أطلق هذا اللفظ وأراد به أن السماء تقله أو تظله واذا أخطأ من عنى هذا المعنى فقد أصاب وأما الاول فقد أصاب في اللفظ لاطلاقه ما جاء به النص وفى المعنى الذى تقدم لانه المعنى الحق الذى دل عليه النص لكن قد يخطىء بعضهم فى تكفير من يطلق اللفظ الثانى اذا كان مقصوده المعنى الصحيح فان من عنى المعني الصحيح لم يكفر باطلاق لفظ وان كان مسيئا أو فاعلا أمرا محرما وأما من فسر قوله انه ليس فى السماء بمعنى أنه ليس فوق العرش وانما فوق السموات عدم محض فهؤلاء هم الجهمية الضلال المخالفون لاجماع الانبياء ولفطرة العقلاء *

فصل

ونحن نذكر من ذلك أصولا (أحدها) تأثير الاعتقادات فى رفع العذاب والحدود فنقول: ان الاحكام الشرعية التي نصبت عليها أدلة قطعية معلومة مثل الكتاب والسنة المتواترة والاجماع الظاهرة كوجوب الصلاة والزكاة والحج

والصيام وتحريم الزنا والخمر والربا اذا بلغت هذه الادلة للمكلف بلاغا يمكنه من اتباعها فخالفها تفريطا في جنب الله وتعديا لحدود الله فلا ريب أنه مخطىء آثم وان هذا الفعل سبب لعقوبة الله فى الدنيا والآخرة فان الله أقام حجته على خلقه بالرسل الذين بعثهم اليهم مبشرين ومنذرين (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل)[1] قال تعالى عن أهل النار (كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شىء ان أنتم الا فى ضلال كبير)[2] وقال تعالى (وسيق الذين كفروا الى جهنم زمراً حتى اذا جاؤها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين). وأما اذا كان فى الفعل والحادثة والمسئلة العملية نص لايتمكن المكلف من معرفته ومعرفة دلالته مثل أن يكون الحديث النبوى الوارد فيها عند شخص لم يعلم به المجتهد ولم يشعر بما يدله عليه أو تكون دلالته خفية لايقدر المجتهد على فهمها أولم يكن فيها نص بحال فهذا مورد نزاع فذهب فريق من أهل الكلام مثل أبى على وأبى هاشم والقاضى ابى بكر والغزالى الى قول مبتدع يشبه فى المجتهدات قول الزنادقة الاباحية فى المنصوصات وهو أنه ليس لهذه الحادثة حكم عند الله فى نفس الامر وانما حكمه فى حق كل مكلف يتبع اجتهاده واعتقاده فمن اعتقد وجوب الفعل فهو واجب عليه ومن اعتقد تحريمه فهو حرام عليه وبنوا ذلك على مقدمتين احداهما أن الحكم انما يكون بالخطاب فما لاخطاب فيه لاحكم لله فيه فاذا لم يكن للعقل فيه حكم اما لعدم الحكم العقلى مطلقا أو فى هذه الصورة علم انه لاحكم فيه يكون من أصابه مصيبا ومن أخطأه مخطئا (الثانى) انه قد علم أن من اعتقد وجوب شىء فعليه فعله ومن اعتقد تحريمه فعليه اجتنابه فالحكم فيه يتبع الاعتقاد. قالوا والاحكام الشرعية تختلف باختلاف أحوال المكلفين فى اجتهاداتهم وغير اجتهاداتهم بدليل اتفاق الفقهاء وأهل السنة على أن الاجتهاد والاعتقاد يؤثر فى رفع الاثم والعقاب كما جاءت به النصوص وأن الوجوب والتحريم يختلف بالاقامة والسفر والطهارة والحيض والعجز والقدرة وغير ذلك فيجوز أن تختلف الاحكام باختلاف الاعتقادات

١ - النساء ١٦٥
٢ - الملك ٨ - ٩

ويكون الحكم فى حق المجتهد عند عدم النص ما اعتقده .هذا ملخص قولهم .وأما السلف والفقهاء والصوفية والعامة وجمهور المتكلمين فعلى انكار هذا القول وانه مخالف للكتاب والسنة واجماع السلف بل هو مخالف للعقل الصريح حتى قال أبو اسحاق الاسفرايني وغيره هذا المذهب أوله سفسطة وآخره زندقة يعنى أن السفسطة جعل الحقائق تتبع العقائد كما قدمناه فمن قال ان الايجاب والتحريم يتبع الاعتقادات فقد سفسط فى الاحكام العملية وان لم يكن مسفسطا فى الاحكام العينية وقد قدمنا أنه لم تجر العادة بان عاقلا يسفسط فى كل شيء لا خطأ ولا عمدا الاضلالا لا ولا عنادا الاجهلا ولا تجاهلا .وأما كون آخره زندقة فلأنه يرفع الامر والنهي والايجاب والتحريم والوعيد فى هذه الاحكام ويبقى الانسان ان شاء أن يوجب وان شاء أن يحرم وتستوى الاعتقادات والافعال وهذا كفر وزندقة .وجماع الكلام على هؤلاء فى مقامين (أحدهما) امتناع هذا القول فى نفسه واستحالته وذلك معلوم بالعقل (والثانى) أنه لو كان جائزا فى العقل لكن لم يرد به الشرع بل هو مخالف له وتعرف مخالفته للنص والاجماع . أما الاول فمن وجوه: (أحدها) أنه قد تقدم أن كل علم واعتقاد وحكم لا بد له من معلوم معتقد محكوم به يكون الاعتقاد مطابقا له موافقا سواء كان للاعتقاد تأثير فى وجوده أو لم يكن فان الاعتقادات العملية المؤثرة فى المعتقد مثل اعتقاد أن أكل هذا الخبز يشبع واعتقاد أن أكل هذا السم يقتل.وان كان هذا الاعتقاد يؤثر في وجود الاكل مثلا فلا بد له من معتقد ثابت بدونه وهو كون أكل ذلك الخبز موصوفا بتلك الصفة. والاكل فان كان معدوما قبل وجوده فان محله وهو الخبز والاكل موجود ان فان لم يكن الخبز متصفا بالاشباع اذا أكل والاكل متصفا بانه يشبع اذا أكله لم يكن الاعتقاد صحيحا بل فاسدا كما لو اعتقد فى شيء أنه رغيف فأكله فاذا هو جص أو جبصين فان اعتقاده وان أقدم به على الاكل فانه لا يشبعه لفساد الاعتقاد وهكذا من اعتقد فى شيء أنه ينفعه أو يضره فان الاعتقاد يدعوه الى الفعل أو الترك ويبعثه على ذلك فان كان مطابقا حصلت المنفعة واندفعت المضرة اذا انتفت الموانع والا فمجرد الانتفاع بالفعل أو الضرر به لا يوجب حصول المنفعة والمضرة وانما هذا قول بعض جهال

الكفار)لوأحسن أحدكم ظنه بحجر لنفعه الله فيجعلون الانتفاع بالشيء تبعا لظن المنفعة فيه وقد اعتقد المشركون الانتفاع بالاصنام التى قال الله فيها (يدعو لمن ضره أقرب من نفعه) فاذا اعتقد المعتقد أن هذا الفعل مأمور به أمر استحباب يثيب الله عليه ثواب الفعل المستحب أو أمرا يجاب يعاقب من تركه عقوبة العاصي أو اعتقد أن الله نهى عنه كذلك فهو معتقد اما صفة في ربه فقط من الامر والنهى وهى صفة اضافية للفعل كما يقوله طائفة من المتكلمة والفقهاء من أصحابنا وغيرهم واما صفة فى الفعل فقط من الحسن والقبيح والامر والنهى كاشفة لذلك كما يقوله طائفة من المتكلمة والفقهاء من أصحابنا وغيرهم. وإما ثبوت الصفتين جميعا للامر والمأمور به كما عليه جمهور الفقهاء وهو انما يعتقد وجود تلك الصفة التى هى الحكم الشرعى لاعتقاده أنها ثابتة فى نفسها موجودة بدون اعتقاده لأنه يطلب باعتقاده أن يثبت للامر والفعل صفة لم تكن له قبل ذلك اذ ليس لاحد من المجتهدين غرض في أن يثبت للافعال أحكاما باعتقاده ولا أن يشرع دينا لم يأذن به الله وانما مطلوبه أن يعتقد حكم الله ودينه ولاله مقصود أن يجيء الى الافعال المتساوية فى ذواتها وفى أمر الله فيعتقد فى أحدها الوجوب على نفسه وفى الآخر التحريم من غير سبب تختص به الافعال فهذا موضع ينبغى تدبره فان المؤمن الطالب لحكم الله إذا علم أن تلك الافعال عند الله سواء لم يميز بعضها عن بعض بامر ولا نهى وهى فى أنفسها سواء لم يميز بعضها عن بعض بحسن ولا سوء ولا مصلحة ولا مفسدة فان هذا الاعتقاد منه موجب لاستوائها وتماثلها فاعتقاده بعد هذا أن هذا واجب يذم تاركه وهذا حرام يعاقب فاعله متناقض فى العقل وسفسطة وكفر فى الدين وزندقة : أما الاول فلأن اعتقاد التساوى والتماثل ينافى اعتقاد الرجحان والتفضيل فضلا عن وجوب هذا وتحريم هذا فكيف يجمع العاقل بين الاعتقادين المتناقضين الا أن يكون أخرق كافرا فيقول أنا اوجب هذا وأحرم هذا بلا أمر من الله ولا مرجح لاحدهما من جهة العقل فاذا فعل هذا كان شارعا من الدين ما لم يأذن به الله وهو مع هذا دين معلوم الفساد بالعقل حيث جعل الافعال المستوية بعضها

١ - الحج ١٣

واجب وبعضها محرم بلا سبب يوجب التخصيص الا محض التحكم الذى لا يفعله حيوان أصلا لا عاقل ولا مجنون اذ لو فرض اختصاص أحد الفعلين لشهوة أو لذة أمكن أن يقال تلك جهة توجب الترجيح وهى جهة حسن عند من يقول بالتحسين العقلى فيجب لذلك والغرض انتفاء ذلك جميعه وإذا انتفى ذلك كله علم أن اعتقاد حسن الفعل وقبحه ووجوبه وتحريمه يتبع أمرا ثابتا فى نفسه يكون مطابقا له أو غير مطابق واذا كان كذلك فالاعتقاد المطابق صواب والاعتقاد المخالف ليس بصواب لا ان الحكم يتبع الاعتقاد من كل وجه (الثانى) أن الطالب المستدل بالدليل ليستبين له الأحكام هو يطلب العلم بمدلول الدليل فان لم يكن للدليل مدلول وانما مدلول الدليل يحصل عقب التأمل لم يكن مطلوبه العلم بالمدلول وانما مطلوبه وجود المدلول وليس هذا شأن الادلة التى تبين المدلولات وانما هو شأن الأسباب والعلل توجد المسببات وفرق كثير بين الدليل المقتضى للعلم القائم بالقلب وبين العلم المقتضى للوجود القائم فى الخارج فان مقتضى الأول الاعتقاد الذهنى ومقتضى الثانى الوجود الخارجى وأحد النوعين مباين الآخر *

فصل

وأما الأحكام والأعتقادات والأقوال العملية التى يتبعها المحكوم فهى الامر والنهى والتحسين والتقبيح واعتقاد الوجوب والتحريم ويسميها كثير من المتفقهة والمتكلمة الاحكام الشرعية وتسمى الفروع والفقه ونحو ذلك وهذه تكون فى جميع الملل والاديان وتكون فى الأمور الدنيوية من السياسات والصناعات والمعاملات وغير ذلك وهى التى قصدنا الكلام عليها فى هذه القاعدة حيث قلنا إن الاعتقادات قد تؤثر فى الأحكام الشرعية فهذه أيضا للناس فيها طرفان ووسط : الطرف الاول طرف الزنادقة الاباحية الكافرة بالشرائع والوعيد والعقاب فى الدار الآخرة الذين يرون أن هذه الأحكام تتبع الاعتقاد مطلقا والأعتقاد هو المؤثر فيها فلا يكون الشىء واجبا إلا عند من اعتقد تحريمه ويرون ان الوعيد الذى يلحق هؤلاء هو عذاب نفوسهم بما اعتقدوه من الأمر والنهى

والايجاب والتحريم وما اعتقدوه من أنهم إذا فعلوا المحرمات وتركوا الواجبات عذبوا وعوقبوا فيبقى في نفوسهم خوف وتألم وتوهم للعذاب وتخيل له فيزعمون أن هذا الالم الناشيء عن هذا الاعتقاد والتخيل هو عقابهم وعذابهم وذاك ناشيء عما اعتقدوه كمن اعتقد أن هنا أسدا أو لصا أو قاطع طريق من غير أن يكون له وجود فيتألم ويتضرر بخوفه من هذا المحذور الذى اعتقده.فاجتمع اعتقاد غير مطابق ومعتقد يؤلم وجوده فتألمت النفس بهذا الاعتقاد والتخيل وقد يقول حذاق هؤلاء من الاسماعيلية والقرامطة وقوم يتصوفون أو يتكلمون وهم غالية المرجئة ان الوعيد الذى جاءت به الكتب الالهية انما هو تخويف للناس لتنزجر عما نهيت عنه من غير أن يكون له حقيقة بمنزلة مايخوف العقلاء الصبيان والبله بما لا حقيقة له لتأديبهم وبمنزلة مخادعة المحارب لعدوه اذا أوهمه أمرا يخافه لينزجر عنه أو ليتمكن هو من عدوه وغير ذلك.وهؤلاء هم الكفار برسل الله وكتبه واليوم الآخر المنكرون لامره ونهيه ووعده ووعيده وما ضرب به الله فى القرآن من الامثال وقصه من أخبار الامم المكذبة للرسل فهو متناول لهؤلاء ويكفى ما عاقب الله به أهل الكفر والفسوق والعصيان فى الدنيا من أنواع المثلات فانه أمر محسوس مشاهد لا يمكن دفعه وما من أحد الا قد سمع من ذلك أنواعا أو رأى بعضه وأهل الارض متفقون على أن الصادق البار العادل ليس حاله كحال الكاذب الفاجر الظالم بل يرون من ثواب الحسنات وعقوبة السيئات مافيه عبرة ومزدجر كما كانوا عليه فى الجاهلية قبل الرسل فلما جاءت الرسالة بوعيد الآخرة بين ذلك ما كان الناس عنه غافلين . الطرف الثاني طرف الغالية المتشددين الذين لا يرون للاعتقاد أثرا فى الافعال بل يقول غاليتهم كقوم من متكلمة المعتزلة ان لله حكما فى كل فعل من أخطأه كان آثما معاقبا فيرون المسلم العالم المجتهد متى خفي عليه دليل شرعى وقد اجتهد واستفرغ وسعه فى طلب حكم الله أنه آثم معاقب على خطئه فهذا قولهم فى الاجتهاد والاعتقاد ثم اذا ترك واجبا أو فعل محرما قالوا بنفوذ الوعيد فيه فيوجبون تخليد فساق أهل الملة فى النار وهذا قول جمهور المعتزلة والخوارج ولكن الخوارج يكفرون بالذنب الكبير أو الصغير عند بعضهم.وأما المعتزلة فيقولون

هو في منزلة بين منزلتين لامؤمن ولا كافر .وأما الامة الوسط فعلى ان الاعتقاد قد يؤثر فى الاحكام وقدلا يؤثر بحسب الادلة والاسباب كما ان ذلك هو الواقع فى الامور الطبيعية فالاغذية والادوية قد يختلف حكمها بحسب اعتقاد الطبيب والمتداوى وقد لا يختلف وقد يعتقد الانسان فى الشيء صفة نافعة أو ضارة فينتفع به أو يتضرر وان لم يكن كذلك وقد يعتقد ذلك فلا يؤثر فلو اعتقد في الخبز واللحم أنه غير مشبع لم يؤثر ذلك بل هو مشبع ولو اعتقد ضد ذلك *

﴿ فصل ﴾

مذاهب الأئمة تؤخذ من أقوالهم .وأما أفعالهم فقد اختلف أصحابنا فى فعل الامام أحمد هل يؤخذ منه مذهبه على وجهين (أحدهما) لا لجواز الذنب عليه أو أن يعمل بخلاف معتقده أو يكون عمله سهوا أو عادة أو تقليدا أو لسبب ما غير الاعتقاد الذى يفتى به فان عمل المرء بعمله فى كل حادثة والا يعمل الا بعلم يفتى به فى كل حادثة تفتقر الى أن يكون له فى ذلك رأى وأن يذكره وأن يكون مريدا له من غير صارف اذ الفعل مع القدرة يقف على الداعى والداعى هو الشعور وميل القلب (والثانى) بل يؤخذ منه مذهبه لما عرف من تقوى أبى عبد الله وورعه وزهده فانه كان من أبعد الناس عن تعمد الذنب وان لم ندع فيه العصمة لكن الظاهر والغالب أن عمله موافق لعلمه فيكون الظاهر فيما عمله أنه مذهبه وهكذا القول فيمن تغلب عليه التقوى والورع وبعضهم أشد من بعض فكل ما كان الرجل أتقى لله وأخشى له كان ذلك أقوي فيه.وأبو عبد الله من أتقي الامة وأعظمهم زهدا وورعا بل هو فى ذلك سابق ومقدم كما تشهد به سيرته وسيرة غيره المعروفة عند الخاص والعام وكذلك أصحاب الشافعي لما رأوا نصه أنه لا يجوز بيع الباقلا الاخضر ثم انه اشتراه فى مرضه فاختلف أصحابه هل يخرج له فى ذلك مذهب على وجهين وقد ذكروا مثل هذا فى اقامة جمعتين فى مكان واحد لما دخل بغداد فاذا قلنا هو مذهب الامام احمد فهل يقال فيما فعله انه كان أفضل عنده من غيره هذا أضعف من الاول فان فعله يدل على جوازه فيما ليس من

تعبداته واذا كان متعبدا به دل على انه مستحب عنده أو واجب. أما كونه أفضل من غيره عنده فيفتقر الى دليل منفصل وكثيرا ما يعدل الرجل عن الافضل الى الفاضل لما فى الافضل من الموانع وما يفتقر اليه من الشروط أو لعدم الباعث واذا كان فعله جائزا أو مستحبا أو أفضل فانه لاعموم له فى جميع الصور بل لايتعدى حكمه الا الى ما هو مثله فان هذا شأن جميع الافعال لاعموم لهـا حتى فعل النبى صلى الله عليه وسلم لاعموم له. ثم يقال فعل الأئمة وتركهم ينقسم كما تنقسم أفعال النبى صلى الله عليه وسلم تارة يفعله على وجه العبادة والتدين فيدل على استحبابه عنده وأما رجحانه ففيه نظر. وأما على غير وجه التعبد ففى دلالته الوجهان فعلى هذا مايذكر عن الأئمة من أنواع التعبدات والتزهدات والتورعات يقف على مقدمات (أحـداها) هل يعتقد حسنها بحيث يقوله ويفتى به أو فعله بلا اعتقاد لذلك بل تأسيا بغيره أو تأسيا على الوجهين كالوجهين فى المباح (والثانية) هل فيه ارادة لها توافق اعتقاده فكثيرا ما يكون طبع الرجل يخالف اعتقاده (والثالثة) هل يرى ذلك أفضل من غيره أو يفعل المفضول لاغراض أخري مباحة والاول أرجح (والرابعة) أن ذلك الرجحان هل هو مطلق أو فى بعض الاحوال والله أعلم *

تمت الرسالة الثامنة ويليها الرسالة التاسعة انشاء الله تعالى



الرسالة التاسعة

﴿ فى السماع والرقص ﴾

جمعه الشيخ محمد بن محمد المنيجى الحنبلى من كلام الأئمة والعلماء المفسرين

وقد نقلت هذه النسخة عن أصل مسودته رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

سئل شيخ الاسلام بحر العلوم تقى الدين أبو العباس أحمد بن تيمية رضى الله عنه عن صفة سماع الصالحين ماهو وهل سماع القصائد الملحنة بالآلات المطربة هو من القرب والطاعات أم هو محرم أو مباح *

فاجاب: الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله الا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم * أصل هذه المسئلة أن يفرق بين السماع الذى ينتفع به فى الدين وبين مايرخص فيه رفعا للحرج وبين سماع المتقربين وسماع المتلعبين. فأما السماع الذى شرعه الله لعباده وكان سلف الامة من الصحابة والتابعين وتابعيهم يجتمعون عليه لصلاح قلوبهم وزكاة نفوسهم فهو سماع آيات الله وهو سماع النبيين والمؤمنين وأهل العلم وأهل المعرفة فان الله تعالى لما ذكر من ذكره من الانبياء عليهم السلام في قوله (أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية ابراهيم واسرائيل وممن هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا)[1] وقوله تعالى (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون)[2] وقوله تعالى (ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم

١ - مريم ٥٨
٢ - الأنفال ٢

يخرون للاذقان سجدا و يقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للاذقان يبكون و يزيدهم خشوعا)[١] وقوله تعالى (واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق)[٢] وبهذا السماع أمر الله تعالى في قوله (واذا قريء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون)[٣] وعلى أهله أثنى تعالى كما فى قوله تعالى (فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه)[٤] وقال تعالى فى الاخرى (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها)[٥] فالقول الذى أمروا بتدبره هو الذى أمروا بسماعه وقال تعالى (كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته)[٦] وكما أثنى تعالى على هذا السماع ذم تعالى المعرضين عن هذا السماع فقال تعالى (واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن فى أذنيه وقرا)[٧] وقال تعالى (وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون)[٨] وقال تعالى (وقال الرسول يارب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا)[٩] وقال تعالى (فما لهم عن التذكرة معرضين كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة)[١٠] وقال تعالى (وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب)[١١] وقال تعالى (واذا قرأت القرآن جعلنا بينك و بين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا)[١٢] وهذا هو السماع الذى شرعه الله للمسلمين فى صلواتهم وخطبهم كصلاة الفجر وصلاة العشاءين وفى غير ذلك .وعلى هذا السماع كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتمعون وكانوا اذا اجتمعوا أمروا واحدا منهم يقرأ والباقى يستمعون وكان عمر يقول لابى موسى ذكرنا ربنا فيقرأ وهم يستمعون*

وهذا هو السماع الذى كان النبى صلى الله عليه وسلم يشهده مع أصحابه ويستدعيه منهم كما في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له « اقرأ علي قال قلت أقرأ عليك وعليك أنزل قال اني أحب أن أسمعه من غيري فقرأت عليه سورة النساء حتى وصلت الى هذة الآية (فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا)[١٣] قال حسبك فاذا عيناه تذرفان»*

١ ـ الاسراء ١٠٧ ـ ١٠٩
٢ ـ المائدة ٨٣
٣ ـ الاعراف ٢٠٤
٤ ـ الزمر ١٧ ـ ١٨
٥ ـ محمد ٢٤
٦ ـ صٓ ٢٩
٧ ـ لقمان ٧
٨ ـ فصلت ٢٦
٩ ـ الفرقان ٣٠
١٠ ـ المدثر ٤٩ ـ ٥١
١١ ـ فصلت ٥
١٢ ـ الاسراء ٤٥ ـ ٤٦
١٣ ـ النساء ٤١

وهذا هو الذى كان النبى صلى الله عليه وسلم يسمعه وأصحابه كما قال تعالى (لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) والحكمة هى السنة وقال تعالى (قل انما أمرت أن أعبد رب هـذه البلدة الذى حرمها وله كل شىء وأمرت أن أكون من المسلمين وان أتلو القرآن فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فقل انما أنا من المنـذرين)[٢] وكذلك غيره من الرسل صلوات الله عليهم قال تعالى (يابنى ادم اما يأتينكم رسل منكم يقصـون عليكم آياتى فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون)[٣] وكذلك يحتج عليهم يوم القيامة كما قال تعـالى (يامعشر الجن والانس ألم يأتكم رسـل منكم يقصون عليكم آياتى وينذرونكم لقاء يومكم هـذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا)[٤] الآية * وقال تعالى (وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاؤها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم[٥] رسل منكم يتلون عليكم ايات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى) الآية *

وقد أخبر الله تعالى ان المعتصم بهذا السماع مهتد مفلح والمعرض ضال شقى قال الله تعالى (فاما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هـداى فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضـنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتنى أعمى)[٦] الآية * وقال تعالى (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين)[٧] *

وذكر الله يراد به تارة ذكر العبد ربه ويراد به الذكر الذى أنزله الله كما قال تعالى (وهذا ذكر مبارك أنزلناه)[٨] وقال تعالى (أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم)[٩] وقال (ياأيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون)[١٠] وقال تعالى (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون)[١١] وقال تعالى (وانه لذكر لك ولقومك)[١٢] وقال تعـالى (إن هو الا ذكر للعالمين)[١٣] وقال تعالى (وما علمناه الشعر وما ينبغى له ان هو الا ذكر وقرآن مبين)[١٤] وهذا السماع له اثار ايمانية من المعارف القدسية والاحوال الزكية مايطول شرحها ووصفها وله فى الجسـد آثار محمودة من خشوع القلب ودموع العين واقشعرار الجلد وهـذا

٢ ـ النمل ٩١ ـ ٩٢
٣ ـ الاعراف ٣٥
٤ ـ الأنعام ١٣٠
٥ ـ الزمر ٧١
٦ ـ طه ١٢٣ ـ ١٢٥
٧ ـ الزخرف ٣٦
٨ ـ الأنبياء ٥٠
٩ ـ الأعراف ٦٣
١٠ ـ الحجر ٦
١١ ـ الأنبياء ٢
١٢ ـ الزخرف ٤٤
١٣ ـ التكوير ٢٧
١٤ ـ يس ٦٩

مذكورة فى القرآن وهذه الصفات موجودة فى الصحابة ووجدت بعدهم آثار ثلاثة من الاضطراب الصراخ والاغماء والموت فى التابعين ٭

وبالجملة فهذا السماع هو أصل الايمان فان الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم الى الخلق أجمعين ليبلغهم رسالات ربهم فمن سمع مابلغه الرسول فآمن به واتبعه اهتدى وأفلح ومن أعرض عن ذلك ضل وشقى ٭

وأما سماع المكاء والتصدية فالتصدية هى التصفيق بالايدي والمكاء مثل الصفير ونحوه فهذا سماع المشركين الذى ذكره الله تعالى في قوله (وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية)[1] فأخبر الله تعالى عن المشركين أنهم كانوا يتخذون التصفيق باليد والتصويت باليد قربة ودينا ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يجتمعون على مثل هذا السماع ولا حضروه قط ومن قال ان النبي صلى الله عليه وسلم حضر ذلك فقد كذب عليه باتفاق أهل المعرفة بحديثه وسننه والحديث الذى ذكره محمد بن طاهر المقدسى فى مسئلة السماع فى صفة التصوف ورواه من طريقه الشيخ أبو حفص عمر السهروردى صاحب عوارف المعارف ان النبي صلى الله عليه وسلم أنشده اعرابى

قد لسعت حية الهوى كبدى ٭ فلا طبيب لها ولا راقى
الا الحبيب الذى شغفت به ٭ فعنده رقيتى وترياقى

فتواجد حتى سقطت البردة عن منكبيه فقال معاوية ما أحسن لهوكم فقال مهلا يامعاوية ليس بكريم من لم يتواجد عند ذكر الحبيب هو حديث مكذوب موضوع باتفاق أهل العلم بهذا الشأن وأظهر منه كذبا حديث آخر يذكرون فيه انه لما بشر الفقراء بسبقهم للاغنياء الى الجنة تواجدوا وخرقوا أثوابهم وان جبريل نزل من السماء فقال يامحمد ان ربك يطلب نصيبه من هذه الخروق فأخذ منه خرقة فعلقها بالعرش وان ذلك هو زيق الفقراء ٭ وهذا وأمثاله انما يرويه من هو من أجهل الناس بحال النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومن بعدهم بمعرفة الايمان والاسلام وهو شبيه برواية من روى ان اهل الصفة قاتلوا مع الكفار لما انكسر المسلمون يوم

[1] ١ ـ الأنفال ٣٥

حنين أو غير يوم حنين وانهم قالوا نحن مع الله من كان معه كنا معه . ومن روى ان صبيحة المعراج وجد أهل الصفة يتحدثون بشيء كان الله أمر نبيه أن يكتمه فقال لهم من أين لكم هذا فقالوا الله علمنا إياه فقال يارب ألم تأمرنى أن لاأفشيه فقال أمرتك أنت أن لاتفشيه ولكن أنا أعلمتهم به ونحو هذه الأحاديث التى يرويها طوائف منتسبون الى الدين مع فرط جهلهم بدين الاسلام ويبنون عليها من النفاق والبدع مايناسبها تارة يسقطون التوسط بالرسول وانهم يصلون الى الله من غير طريق الرسول مطلقا وهذا أعظم من كفر اليهود والنصارى فان أولئك أسقطوا وساطة رسول واحد ولم يسقطوا وساطة الرسل مطلقا وهؤلاء اذا أسقطوا وساطة الرسل مطلقا عن أنفسهم كان هذا أغلظ من كفر أولئك لكنهم يقولون لاتسقط الوساطة الا عن الخاصة لاعن العامة فيكونون أكفر من أهل الكتاب من جهة اسقاط السفارة مطلقا عنهم وفى بعض الاحوال وأهل الكتاب أكفر من جهة اسقاط السفارة مطلقا بل أهل الكتاب الذين يقولون انه رسول الى الاميين دون أهل الكتاب خير من هؤلاء فان أولئك أخرجوا عن رسالته من له كتاب وهؤلاء يخرجون عن رسالته من لايبقى معه الا خيالات ووساوس وظنون القاها اليه الشيطان مع ظنه انه من خواص أولياء الله وهو من أشد أعداء الله وتارة يجعلون هذه الآثار المختلفة حجة فيما يفترونه من أمور تخالف دين الاسلام ويدعون انها من أسرار الخواص كما يفعله الملاحدة والقرامطة والباطنية وتارة يجعلونه حجة فى الاعراض عن كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ما ابتدعوه من اتخاذ دينهم لهوا ولعبا*

وبالجملة قد علم بالاضطرار من دين الاسلام ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يشرع لصالحى أمته وعبادهم وزهادهم أن يجتمعوا على استماع الابيات الملحنة مع ضرب بالاكف أو ضرب بالقضيب أو الدف كما لم يبح لاحد أن يخرج عن متابعته واتباع ماجاء به من الكتاب والحكمة لافى باطن الأمر ولا فى ظاهره لا لعامى ولا لخاص ولكن رخص النبى صلى الله عليه وسلم فى انواع من اللهو فى العرس ونحوه كما رخص للنساء أن يضربن بالدف فى الاعراس والافراح وأما

الرجال على عهده فلم يكن أحد منهم يضرب بدف ولا يصفق بكف بل قد ثبت عنه فى الصحيح انه قال انما التصفيق للنساء والتسبيح للرجال .ولعن المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء ولما كان الغناء والضرب بالدف والكف من عمل النساء كان السلف يسمون من يفعل ذلك مخنثا ويسمون الرجال المغنين مخانيث وهذا مشهور فى كلامهم ﴿ومن هذا الباب﴾ حديث عائشة رضى الله عنها لما دخل عليها أبو بكر فى أيام العيد وعندها جاريتان من الأنصار تغنيان بما تقاولت به الانصار يوم بعاث فقال أبو بكر أبمزمور الشيطان فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان النبى صلى الله عليه وسلم معرضا عنه مقبلا بوجهه الى الحائط فقال دعهما ياأبا بكر فان لكل قوم عيدا وهذا عيدنا أهل الاسلام ففى هذا الحديث بيان ان هذا لم يكن من عادة النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه الاجتماع عليه ولهذا سماه الصديق أبو بكر رضى الله عنه مزمور الشيطان والنبي صلي الله عليه وسلم أقر الجوارى عليه معللا ذلك بانه يوم عيد والصغار يرخص لهم فى اللعب فى الاعياد كما جاء فى الحديث ليعلم المشركون ان فى ديننا فسحا وكما كان لعائشة لعب تلعب بهن وتجيء صواحباتها من صغار النسوة يلعبن معها وليس فى حديث الجاريتين أن النبى صلى الله وسلم استمع الى ذلك والامر والنهى انما يتعلق بالاستماع لا بمجرد السماع كما فى الرؤية فانه انما يتعلق بقصد الرؤية لانها يحصل منها بغير الاختيار كذلك فى اشتمام الطيب انما ينهى المحرم عن قصد الشم فاما اذا شم مالا يقصده فانه لا اثم عليه وكذلك فى مباشرة المحرمات كالحواس الخمس من السمع والبصر والشم والذوق واللمس انما يتعلق الأمر والنهى فى ذلك بما للعبد فيه قصد وعمل وأما مايحصل بغير اختياره فلا أمر فيه ولا نهى وهذا مما وجه به الحديث الذى فى السنن حديث ابن عمر انه كان مع النبى صلى الله عليه وسلم فسمع صوت زمارة راع فعدل عن الطريق وقال هل تسمع حتى انقطع الصوت فان من الناس من يقول بتقدير صحة الحديث لم يأمر ابن عمر بسد أذنه فيجاب بان ابن عمر لم يكن يستمع وانما كان يسمع وهذا لا اثم فيه وانما النبى صلى الله عليه وسلم عدل طلبا للأكمل والافضل كمن اجتاز بطريق فسمع قوما يتكلمون

بكلام محرم فسد أذنه كيلا يسمعه فهذا حسن ولو لم يسد أذنه لم يأثم بذلك اللهم الا أن يكون فى سماعه ضرب ديني لا يندفع الا بالسد *

وبالجملة فهذه مسئلة السماع تكلم فيها كثير من المتأخرين فى السماع هل هو محظور أو مكروه أو مباح وليس المقصود بذلك رفع الحرج بل مقصودهم بذلك أن يتخذ طريقا الى الله يجتمع عليه أهل الربابات لصلاح القلوب والتشويق الى المحبوب والتخويف من المرهوب والتحزين على فوات المطلوب يستنزل به الرحمة ويستجلب به النعمة ويحرك به مواجيد أهل الايمان و يستجلى به مشاهد أهل العرفان حتى يقول بعضهم انه أفضل لبعض الناس أو للخاصة من سماع القرآن من عدة وجوه وحتى يجعلونه قوتا للقلوب وغذاء للارواح وحاديا للنفوس يحدوها على المسير الي الله عز وجل ويحثها على الأقبال عليه ولهذا يوجد من اعتاده واغتذى به لا يحب القرآن ولا يفرح به ولا يجد فى سماع الآيات كما يجدى في سماع الابيات بل اذا سمعوا القرآن سمعوه بقلوب لاهية وألسن لاغية واذا سمعوا سماع أهل المكاء والتصدية خشعت الأصوات وسكنت الحركات وأصغت القلوب وتعاطت المشروب فمن تكلم فى هذا هل هو مكروه أو مباح وشبهه بما كان النساء يغنين به فى الأعياد والأفراح لم يكن قد اهتدي الى الفرق بين طريق أهل الخسارة والفلاح ومن لم يتكلم فى هذا هل هو من الدين ومن سماع المتقين ومن أحوال المقربين والمقتصدين ومن أعمال أهل اليقين ومن طريق المحبين المحبوبين ومن أفعال السالكين الى رب العالمين كان كلامه فيه من وراء وراء بمنزلة من سئل عن علم الكلام المختلف فيه هل هو محمود أو مذموم فاخذ يتكلم فى جنس الكلام وانقسامه الى الاسم والفعل والحرف أو يتكلم في مدح الصمت أوفى أن الله أباح الكلام والنطق وأمثال ذلك مما لا يمس المحل المشتبه المتنازع فيه واذا عرف هذا

فاعلم أنه لم يكن فى القرون الثلاثة المفضلة لا بالحجاز ولا بالشام ولا باليمن ولا بمصر والمغرب والعراق وخراسان من أهل الدين والصلاح والزهد والعبادة من يجتمع على مثل سماع المكاء والتصدية لا بدف ولا بكف ولا بقضيب وانما حدث هذا بعد ذلك فى أواخر المائة الثانية فلما رآه الائمة أنكروه فقال الشافعى

خلفت ببغداد شيئا أحدثته الزنادقة يسمونه التغبير يصدون به الناس عن القرآن وقال يزيد بن هرون مايغبر الا فاسق ومتى كان التغبير وسئل عنه أحمد فقال أكرهه هو محدث قيل أنجلس معهم قال لا وكذلك سائر أئمة الدين كرهوه واكابر الشيوخ الصالحين لم يحضروه فلم يحضره مثل ابراهيم بن أدهم ولا الفضيل ابن عياض ولا معروف الكرخي ولا أبو سليمان الداراني ولا أحمد بن أبي الحواري ولا السري السقطي وأمثالهم والذين حضروه من الشيوخ من المحمودين تركوه في آخر أمرهم وأعيان المشايخ عابوا أهله كما ذكر ذلك الشيخ عبد القادر والشيخ أبو البيان وغيرهما من الشيوخ وما ذكره الامام الشافعي رضي الله عنه انه من إحداث الزنادقة من كلام امام خبير باصول الاسلام فان هذا السماع لم يرغب فيه ويدع اليه في الاصل الا من هو متهم بالزندقة كابن الراوندي والفارابي وابن سينا وأمثالهم كما ذكر أبو عبد الرحمن السلمي في مسئلة السماع عن ابن الراوندي أنه قال اختلف الفقهاء في السماع فاباحه قوم وكرهه قوم وأنا أوجبه أو قال آمر به فخالف اجماع العلماء في الامر به وأبو نصر الفارابي كان بارعا في الغناء الذي يسمونه الموسيقا وله فيه طريقة معروفة عند أهل صناعة الغناء وحكايته مع ابن حمدان مشهورة لما ضرب فابكاهم ثم أضحكهم ثم نومهم ثم خرج . وابن سينا ذكر في اشاراته في مقامات العارفين من الترغيب فيه وفي عشق الصور ما يناسب طريقة أسلافه الصابئين المشركين الذين كانوا يعبدون الكواكب والأصنام كارسطو وشيعته من اليونان ومن اتبعه كبرقلس وثامسطيوس والاسكندر الافروديسي وكان ارسطو وزير الاسكندر بن فيلفوس المقدوني الذي تؤرخ له اليهود والنصارى وكان قبل المسيح بنحو ثلاثمائة سنة وأما ذو القرنين المذكور في القرآن الذي بنى السد فكان قبل هؤلاء بزمان طويل وأما الاسكندر الذي وزر له ارسطو فانه انما بلغ بلاد خراسان ونحوها في دولة الفرس لم يصل الى السد وهذه الأمور مبسوطة في غير هذا الموضع وابن سينا أحدث فلسفة ركبها من كلام سلفه اليوناني ومما أخذه من أهل الكلام المبتدعين الجهمية ونحوهم وسلك طريق الملاحدة الاسماعيلية في كثير من أمورهم العلمية والعملية ومزجه بشيء من كلام الصوفية

حقيقته تعود الى كلام اخوانه الاسماعيلية القرامطة الباطنية فان أهل بيته كانوا من أتباع الحاكم الذى كان بمصر وكانوا فى زمانه ودينهم دين أصحاب رسائل اخوان الصفا وأمثالهم من أئمة منافقى الأمم الذين ليسوا مسلمين ولا يهود ولا نصارى وكان الفارابى قد حذق فى حروف اليونانى التى هى تعاليم ارسطو واتباعه من الفلاسفة المشائين وفى أصولهم صناعة الغناء ففى هذه الطوائف من يرغب لله ويجعله مما تزكو به النفوس وترتاض به وتهذب به الاخلاق *

وأما الحنفاء أهل ملة ابراهيم الخليل الذى جعله الله للناس إماما وأهل دين الاسلام لايقبل الله من أحد دينا غيره المتبعون لشريعة خاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم تسليما فهؤلاء ليس منهم من يرغب فى ذلك ولا يدعو اليه وهؤلاء هم أهل القرآن والايمان والهدى والرشاد والسعد والفلاح وأهل المرونة والعلم واليقين والأخلاص لله والحب له والتوكل عليه والخشية منه والانابة اليه *

ولكن قد حضره أقوام من أهل الارادة وممن له نصيب فى المحبة لما فيه من التحريك لهم ولم يعلموا غائلته ولا عرفوا مغبته كما أدخل قوم من الفقهاء أهل الايمان بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم في انواع من كلام الفلاسفة المخالف لدين الاسلام ظنا منهم أنه حق موافق ولم يعلموا غائلته ولا عرفوا مغبته فان القيام بحقائق الدين علما وقولا وعملا وذوقا وخبرة لايستقل به أكثر الناس ولكن الدليل الجامع هو الأعتصام بالكتاب والسنة فان الله عز وجل بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا وقد قال تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا)[1] وقال تعالى (وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله)[2] قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا وخط خطوطا عن يمينه وشماله ثم قال هذا سبيل الله وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم قرأ (وان هذا صراطى مستقيما) ومن كان له خبرة بحقائق الدين وأحوال القلوب ومعارفها وأذواقها ومواجيدها عرف أن سماع المكاء والتصدية لايجلب للقلب منفعة ولا مصلحة الا وفى ضمن ذلك من

١ ـ المائدة ٣
٢ ـ الأنعام ١٥٣

الضلال والمفسدة ماهو أعظم منه فهو للروح كالخمر للجسد يفعل فى النفوس أعظم ماتفعله حميا الكؤوس ولهذا يورث أصحابه سكرا أعظم من سكر الخمر فيجدون لذة كما يجد شارب الخمر بل يحصل لهم أكثر وأكبر مما يحصل لشارب الخمر ويصدهم ذلك عن ذكر الله أعنى الصلاة أعظم مما يصدهم الخمر ويوقع بينهم العداوة والبغضاء أعظم من الخمر حتى يقتل بعضهم بعضا من غير مس بيد بل بما يقترن بهم من الشياطين فانه يحصل لهم أحوال شيطانية بحيث تتنزل عليهم الشياطين فى تلك الحال ويتكلمون على ألسنتهم كما يتكلم الجنى على لسان المصروع اما بكلام من جنس كلام الاعاجم الذين لا يفقه كلامهم كلسان الترك أو الفرس أو غيرهم ويكون الانسان الذى لبسه الشيطان عربياً لا يحسن أن يتكلم بذلك بل يكون الكلام من جنس كلام من تكون تلك الشياطين من إخوانهم واما بكلام لا يعقل ولا يفهم له معنى وهذا يعرفه أهل المكاشفة شهودا وعيانا وهؤلاء الذين يدخلون النار مع خروجهم عن الشريعة هم من هذا النمط فان الشياطين تلبس أحدهم بحيث يسقط احساس بدنه حتى ان المصروع يضرب ضربا عظيما وهو لا يحس ولا يؤثر فى بدنه فكذلك هؤلاء تلبسهم الشياطين فتدخل بهم النار وقد تطير بهم فى الهواء وانما يلبس أحدهم الشيطان مع تغيب عقله كالمصروع وبالمغرب ضرب من الزط يقال لاحدهم المصل يلبسه الشياطين ويدخلها ويطير فى الهواء ويفعل أشياء أبلغ مما يفعله هؤلاء وهم من الزط الذين لاخلاق لهم والجن تخطف كثيرا من الانس وتغيبه عن أبصار الناس وتطير به فى الهواء وقد باشرنا من هذه الأمور مايطول وصفه وكذلك هؤلاء المتولهون المنتسبون الى بعض الشيوخ اذا حصل لهم وجد سماعى عند سماع المكاء والتصدية منهم من يصعد فى الهواء ومنهم من يدخل النار ويأخذ الحديد المحمى بالنار يضعه على بدنه وأنواع من هذا الجنس ولا تحصل لهم هذه الأفعال عند الصلاة ولا عند الذكر ولا عند قراءة القرآن لان هذه عبادات شرعية ايمانية اسلامية نبوية محمدية تطرد الشياطين وتلك عبادات بدعية شركية شيطانية فلسفية تستجلب الشياطين *

وبالجملة فعلى المؤمن أن يعلم أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يترك شيئا يقرب

الى الجنة الا وقد حدث به ولا شيئا يبعد عن النار الا وقد حدث به وان هذا السماع لو كان مصلحة لشرعه الله ورسوله فان الله يقول (اليوم أكملت لكم دينكم) الآية. واذا وجد السامع به منفعة لقلبه ولم يجد شاهد ذلك من كتاب الله ولا من سنة رسوله لم يلتفت اليه كما ان الفقيه اذا رأى قياسا لا يشهد له الكتاب والسنة لم يلتفت اليه *

وفصل النزاع فى حكم مسئلة السماع ثلاث قواعد من أهم قواعد الايمان والسلوك فمن لم يبن عليها فبناؤه على شفا جرف هار *

* (القاعدة الأولى) * ان الذوق والحال والوجد هل هو حاكم أو محكوم عليه بحاكم آخر أو متحاكم اليه فهذا منشأ ضلال من ضل من المفسدين لطريق القوم الصحيحة حيث جعلوه حاكما يتحاكمون اليه فيما هو صحيح فاسد فجعلوه حكما بين الحق والباطل فنبذوا الكتاب والسنة ولم يحكموا العلم والنصوص وحكموا الأذواق والحال والمواجيد فعظم الفساد وطمست معالم الايمان والسلوك المستقيم والعجب أنهم دخلوا فى الرياضات والمجاهدات والزهد ليتجردوا عن شهوات النفوس وحظوظها فانتقلوا من شهوات الى شهوات أكبر منها ومن حظوظ الى حظوظ أعظم منها وكان حالهم فى الشهوات التى انتقلوا عنها أكمل وخير من هؤلاء لانهم لم يعارضوا بها العلم ولا قدموها على النصوص ولا جعلوها قربة ودينا واقفون مع حظوظهم من الله فانون بها عن مراد الله وانما زهدوا فى حظ الى حظ أعلا منه وتركوا شهوة بشهوة فليتدبر اللبيب هذا فى نفسه وفى غيره فكل ماخالف مراد الله الديني من العبد فهو حظه وشهوته ذوقا كان أو حالا أو وجدا أولا أو صورة ونحو ذلك فمن قدمه على مراده فهو أسوأ حالا ممن يعترف انه يعصى ويحبه وان مراد الله أولى بالتقديم منه وانه ذنب تجب التوبة منه *

* (القاعدة الثانية) * انه إذا وقع النزاع فى حكم فعل من الأفعال أوحال أو ذوق هل هو صحيح أو فاسد أو حق أو باطل وجب الرجوع فيه الى الحجة المقبولة عند الله من كتاب الله وسنة رسوله فهذا هو الأساس ومن لم يبن على هذا الأصل فعلمه وسلوكه ليس على شيء *

(القاعدة الثالثة) * اذا أشكل على الناظر أو السالك حكم شيء هل هو الاباحة أو التحريم فلينظر الى مفسدته وثمرته وغايته فان كان مشتملا على مفسدة راجحة ظاهرة فانه يستحيل على الشارع الامر به أو اباحته بل يقطع ان الشرع يحرمه لاسيما اذا كان طريقه مفضيا الى مايبغضه الله ورسوله فكيف يظن بالحكيم الخبير أن يحرم مثل رأس الابرة من المسكر لانه يشوق النفس الى المسكر الذى يشوقها الى المحرمات ثم يبيح ماهو أعظم منها شوقا للنفوس الى المحرم بكثير فان الغناء كما قال ابن مسعود هو رقية الزنا وقد شاهد الناس أنه ماعاناه صبى الا وفسد ولا امرأة الا وبغت ولا شاب ولا شيخ الا وقع في محذور

وقال شيخ الاسلام بن تيمية فصل الخطاب فى هذا الباب ينبغى أن ينظر في ماهية الشيء ثم يطلق عليه التحريم أو الكراهة أو غير ذلك والغناء اسم يطلق على أشياء منها غناء الحجيج فانهم ينشدون أشعارا يصفون فيها الكعبة وزمزم والمقام وغير ذلك فسماع تلك الاشعار مباح وفى معنى هؤلاء الغزاة فانهم ينشدون اشعارا يحرضون بها على الغزو وفى هذا المعنى انشاد المتبارزين للقتال وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم لحاديه رويدك سوقا بالقوارير . وقال عبدالله بن رواحة يمدح النبى صلى الله عليه وسلم

وفينا رسول الله يتلو كتابه ... اذا انشق معروف من الفجر ساطع
يبيت يجافى جنبه عن فراشه ... اذا استثقلت بالمشركين المضاجع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا ... به موقنات أن ما قال واقع

وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه خرج على أهل الصفة وفيهم واحد يقرأ والباقى يستمعون فجلس معهم *

وقال الشيخ فى موضع ولكن تكلموا فى الغناء المجرد عن آلات اللهو هل هو حرام أو مكروه أو مباح وذكر أصحاب أحمد لهم فى ذلك ثلاثة أقوال وذكرنا عن الشافعى قولين ولم يذكروا عن أبى حنيفة ومالك فى ذلك نزاعا وذكر زكريا ابن يحيى الساجي وهو أحد الائمة المتقدمين من المائلين الى مذهب الشافعى انهم

يخالف من الفقهاء المتقدمين الا ابراهيم بن سعد من أهل المدينة وعبيد الله بن الحسن العنبري من أهل البصرة وما ذكره أبو عبد الرحمن السلمي وأبو القاسم القشيري وغيرهما عن مالك وأهل المدينة في ذلك فغلط وانما وقعت به لان بعض أهل المدينة كان يحضر السماع الا أن هذا ليس قول أئمتهم وفقهائهم *

وقال شيخ الاسلام أيضا وجماع الامر فى ذلك أنه اذا كان الكلام فى السماع وغيره هل هو طاعة وقربة فلابد من دليل شرعي يدل على ذلك واذا كان الكلام هل هو محرم أو غير محرم فلابد من دليل شرعي يدل على ذلك اذ لاحرام الا ما حرمه الله ولا دين الا ماشرعه الله والله تعالى سبحانه ذم المشركين على انهم ابتدعوا فى الدين مالم يأذن به الله وانهم حرموا مالم يحرمه الله قال الله تعالى (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله)[1] وقال تعالى (واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها)[2] الآية *

قال أبو سليمان الداراني انه لتمر بى النكتة من نكت القوم فلا أقبلها الا بشاهدين الكتاب والسنة وقال أيضا ليس لمن ألهم شيئا من الخير أن يفعله حتى يسمع فيه بأثر فاذا سمع بأثر كان نورا على نور وقال الجنيد علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لايصلح له أن يتكلم فى علمنا. وقال سهل بن عبد الله التسترى كل وجد لايشهد له الكتاب والسنة فهو باطل وقال كل عمل على اقتداء فهو عذاب على النفس وكل عمل بلا اقتداء فهو عيش النفس وقال أبو عثمان النيسابورى من أمر السنة عل نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن أمر الهوي على نفسه قولا وفعلا نطق بالبدعة *

وقال أبو الفرج بن الجوزى اعلم ان سماع الغناء يجمع شيئين أحدهما أن يلهى القلب عن التفكر فى عظمة الله تعالى والقيام بخدمته والثانى أن يميله الى اللذات العاجلة ويدعو الى استيفائها من جميع الشهوات الحسية ومعظمها النكاح وليس تمام لذته الا فى المتجددات ولا سبيل الى كثرة المتجددات من الحل فلذلك يحث على الزنا فبين الغناء والزنا تناسب من جهة أن الغناء لذة الروح والزنا أكبر لذات النفس *

١ - الشورى ٢١
٢ - الأعراف ٢٨

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية في موضع من كلامه في السماع وأما أبو حنيفة ومالك والثوري ونحوهم فهم أعظم كراهة وانكارا لذلك من الشافعي وأحمد

وقال في موضع آخر ولم يحضره مثل ابراهيم بن أدهم ولا الفضيل بن عياض ولا معروف الكرخي ولا السري السقطي ولا أبو سليمان الداراني ولا مثل الشيخ عبد القادر والشيخ عدي والشيخ أبي البيان والشيخ حياة وغيرهم بل في كلام طائفة من هؤلاء مثل الشيخ عبدالقادر وغيره النهي عنه وكذلك أعيان المشايخ وقد حضره من المشايخ جماعة وشرطوا المكان والامكان والخلان والشيخ الذي يحرس من الشيطان وأكثر الذين حضروه من المشايخ الموثوق بهم رجعوا عنه في آخر عمرهم كالجنيد فانه كان يحضره وهو شاب وتركه في آخر عمره وكان يقول من تكلف السماع فتن به ومن صادف السماع استراح به فقد ذم من يجتمع له ورخص فيمن يصادفه من غير قصد ولا اعتماد للجلوس له وسبب ذلك انه مجمل ليس فيه تفصيل فان الابيات المتضمنة لذكر الحب والوصل والهجر والقطيعة والشوق والصبر على العزل واللوم ونحو ذلك هو قول مجمل يشترك فيه محب الرحمن ومحب الاوثان ومحب الصلبان ومحب الاخوان ومحب الاوطان ومحب النسوان ومحب الصبيان فقد يكون فيه منفعة اذا هيج القاطن أثار الساكن وكان ذلك مما يحبه الله ورسوله لكن تكون فيه مضرة راجحة على نفعه كما في الخمر والميسر فان فيهما اثما كبيرا ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما فلهذا لم تأت به الشريعة فان الشريعة لم تأت الا بالمصلحة الخالصة أو الراجحة وأما ما تكون مفسدته غالبة على مصلحته فهو بمنزلة من يأخذ درهما بدينار أو يسرق خمسة دراهم يتصدق منها بدرهمين وذلك انه يهيج الوجد المشترك فيثير من النفس كوامن تضره آثارها ويغذي النفس ويقيتها به فتعتاض به عن سماع القرآن حتى لا يبقى فيها محبة لسماع القرآن ولا يلتذ به ولا يستطيبه بل قد يبقى في النفس بغض لذلك واستثقال به كمن يستثقل نفسه بتعلم التوراة والانجيل وعلوم أهل الكتاب والصابئين واستفادة العلم والحكمة منها فأعرض بذلك عن كتاب الله وسنة رسوله الى أشياء أخر يطول ذكرها

فلما كان هذا السماع لا يعطي بنفسه ما يحبه الله ورسوله من الاحوال والمعارف

بل قد يصد عن ذلك ويعطي مالا يحبه الله ورسوله بل ما يبغضه الله ورسوله لم يأمر الله به ولا رسوله ولا سلف الامة ولا أعيان مشايخها *

والصوت يؤثر فى النفس بحسب الاوقات تارة فرحا وتارة حزنا وتارة غضبا وتارة رضا واذا قوى السكر بصوت اللذة المطربة من غير تمييز كما يحصل للنفس اذا سكرت بالصور والجسد اذا سكر بالطعام والشراب فان السكر هو الطرب الذى يورث لذة بلا عقل فلا تقوم منفعة تلك اللذة بما يحصل من غيبة العقل الذى صد عن ذكر الله وعن الصلاة وأورث العداوة والبغضاء*

وأما الرقص فلم يأمر الله عز وجل به ولا رسوله ولا أحد من الائمة بل قال الله تعالى (ولا تمش في الارض مرحا)[1] والرقص شيء من هذا وقال تعالى (واقصد فى مشيك)[2] وقال تعالى (وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا)[3] أي بسكينة ووقار *

وانما عبادة المسلمين الركوع والسجود بل الزفن والرقص فى الطريق لم يأمر الله به ولا رسوله ولا أحد من سلف الامة بل أمروا فى الصلاة بالسكينة والوقار ولو ورد على الانسان حال يغلب فيها حتى يخرج الى حالة خارجة عن المشروع وكان ذلك الحال بسبب مشروع كسماع القرآن الكريم ونحوه لسلم اليه ذلك كما تقدم فاما الذى اذا تكلف من الاسباب مالم يؤمر به مع علمه بانه يوقعه فيما لا يصلح له فهو بمنزلة من شرب الخمر مع علمه انها تسكره واذا قال ورد على حال وأنا سكران قيل له اذا كان السبب محظورا لم يكن صاحبه معذورا فهذه الاحوال الفاسدة من كان فيها صادقا فهو مبتدع ضال من جنس خفر التتر وأعوان الظلمة من ذوى الاحوال الفاسدة الذين ضاهوا عبادة النصارى والمشركين ببعض مالهم من الاحوال ومن كان كاذبا فهو منافق ضال*

﴿ فصل ﴾ وقد استدل قوم على اباحة السماع بامور أخصها ثلاث: منها انه مستلذ طيب تلتذ به النفوس وتستريح اليه وان الطفل يسكن الى الصوت الطيب بل بعض الصغار لا ينام حتى تحدوله القائمة بامره والابل تقاسى تعب السير ومشقة الحمولة فيهون عليها بالحداء*

١ ـ الاسراء ٣٧
٢ ـ لقمان ١٩
٣ ـ الفرقان ٦٣

ومنها أن الصوت الطيب نعمة من الله على صاحبه وزيادة في خلقه وقد يستدلون عليه بقوله تعالى (يزيد في الخلق مايشاء)[١] وبان الله تعالى ذم الصوت الفظيع فقال (ان أنكر الاصوات لصوت الحمير)[٢] *

ومنها ان الله وصف أهل الجنة انهم في روضة يحبرون وان ذلك هو السماع الطيب فكيف يكون حراما وهو في الجنة *

ومنها ما ثبت ان الله تعالى ماأذن لشيء كاذنه أي كاستماعه لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن *

ومنها أن أبا موسى الاشعري استمع النبي صلى الله عليه وسلم لصوته وأثنى على حسن الصوت وقال لقد أوتي هذا مزمارا من مزامير آل داود وقال له أبو موسى لو أعلم انك استمعت لحبرته لك تحبيرا أي زينته وحسنته *

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم زينوا القرآن بأصواتكم وقوله ليس منا من لم يتغن بالقرآن. والصحيح انه من التغني وهو تحسين الصوت به كذا ذكره العلامة ابن القيم وصححه ويعضده مافسره الامام أحمد فقال يحسن صوته ما استطاع *

ومنها أن النبي صلى الله عليه وسلم أقر عائشة على غناء القينتين يوم العيد وقال لابي بكر دعهما فان لكل قوم عيدا وهذا عيدنا أهل الاسلام *

ومنها أنه صلى الله عليه وسلم أذن في العرس بالغناء وسماه لهوا *

ومنها أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الحداء وأذن فيه *

ومنها أنه كان يسمع انشاد الصحابة وكانوا يرتجزون بين يديه في حفر الخندق

نحن الذين بايعوا محمدا   على الجهاد مابقينا أبدا

ودخل مكة والمرتجز يرتجز بين يديه بشعر عبد الله بن رواحة وحدا به الحادي في منصرفه من خيبر فجعل يقول

والله لولا الله مااهتدينا   ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا   وثبت الاقدام ان لاقينا
ان الاولى قد بغوا علينا   اذا أرادوا فتنة أبينا

فدعا لقائله

١ - فاطر ١
٢ - لقمان ١٩

ومنها أنه سمع قصيدة كعب بن زهير وأجازه

ومنها انه استنشد الاسود بن سريع قصائد حمد بها ر به واستنشد من شعر أمية ابن أبي الصلت مائة قافية وأنشد الاعشى شيئا من شعره فسمعه

ومنها أنه صدق لبيدا فى قوله

ألا كل شيء ماخلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

ودعا لحسان أن يؤيده الله بروح القدس ما دام ينافح عنه وكان يعجبه شعره وقال له اهجهم وروح القدس معك وأنشدت عائشة رضى الله عنها قول أبي كثير الهذلى *

واذا نظرت الى أسرة وجهه برقت كبرق العارض المتهلل

وقالت أنت أحق بهذا البيت فسر بقولها *

ومنها انهم ادعوا انه رخص فيه عبد الله بن عمر وعبد الله بن جعفر وأهل المدينة وبان كذا وكذا ولى لله حضروه وسمعوه فمن حرمه فقد قدح فى هؤلاء السادة القدوة الاعلام *

ومنها ان اجماع العلماء منعقد على اباحة أصوات الطيور المطربة الشجيه فلذة سماع صوت الآدمى أولى بالاباحة أو مساوية وبان السماع يحدو روح السامع وقلبه الى نحو محبو به فان كان محبو به حراما كان السماع معينا له على الحرام وهو حرام فى حقه وان كان مباحا كان السماع فى حقه مباحا وان كانت محبته رحمانية كان السماع فى حقه قربة وطاعة لانه يحرك المحبة الرحمانية ويهيجها وبان التذاذ الاذن بالصوت الطيب كالتذاذ العين بالمنظر الحسن والشم بالروائح الطيبة والذوق بالطعم الطيب فاذا كان هذا حراما كانت هذه اللذات والادراكات محرمة *

والجواب عن ذلك وبالله التوفيق فيما تقدم من كلام شيخ الاسلام ابن تيمية والعلامة ابن القيم وغيرهما كفاية وماذكر حيد عن المقصود وروغان عن محل النزاع فان جهة كون الشيء مستلذا للحاسة ملائما لها لا يدل على اباحته ولا تحريمه ولا كراهته ولا استحبابه فان هذه اللذة تكون فى أحكام التكليف الخمسة فكيف يستدل بها على الاباحة من يعرف شروط الدليل ومواقع الاستدلال

وهل هذا الا بمنزلة من يستدل على اباحة الزنا بما يجد به فاعله من اللذة ولذته لا ينكرها ذو طبع سليم وهل يستدل بوجود اللذة الملائمة على حل اللذيذ الملائم أحد وهل خلت غالب المحرمات من اللذات وهل أصوات المعازف التى صح عن النبي صلى الله عليه وسلم تحريمها وان فى أمته من يستحلها باصح الاسانيد وأجمع أهل العلم على تحريم بعضها وقال بعضهم بتحريم جملتها وقد حكى ابن الصلاح الاجماع على تحريم الغناء مع الدف والشبابة يعنى اذا كان معه آلة لهو وهل فى التذاذ الابل والطفل بالصوت الطيب دليل شرعى من اباحة أو تحريم . وأعجب من هذا الاستدلال علي الاباحة بان الله تعالى خلق الصوت الطيب وهو زيادة نعمة منه لصاحبه فيقال والصورة الحسنة الجميلة أليست زيادة فى النعمة والله تعالى خالقها ومعطى حسنها أفيدل ذلك على اباحة التمتع بها والالتذاذ بها على الاطلاق وهل هذا الا مذهب أهل الاباحة الجارين على رسوم الطبيعة ولعل فى ذم الله لصوت الحمار مايدل على اباحة الاصوات المطربات بالنغمات الموزونات والالحان اللذيذات من الصور المستحسنات بأنواع القصائد المستحسنات بالدفوف والشبابات هذا من المضحكات المعجبات . وأعجب من هذا الاستدلال على الاباحة بسماع أهل الجنة أنهم فى روضة يحبرون فما يخاف صاحب هذا الاستدلال فان هذا كمن يستدل على اباحة الخمر بان فى الجنة خمرا وعلى اباحة لبس الحرير بان لباس أهل الجنة الحرير وعلى حل أوانى الذهب والفضة والتحلي بها للرجال فان هذا كله مباح لاهل الجنة *

فان قيل قام الدليل علي تحريم هذا ولم يقم على تحريم السماع قيل هذا الآن استدلال آخر على الاستدلال على اباحته لاهل الجنة فعلم ان استدلالك باباحته لاهل الجنة استدلال باطل وقولك لم يقم دليل على تحريم السماع فيقال أى السماعات تعنى وأي المسموعات تريد فان منهما المحرم والمكروه والمباح والواجب والمستحب فعين نوعا يقع الكلام فيه نفيا واثباتا *

فان قلت سماع القصائد ما مدح الله به ورسوله وكتابه وهجى به أعداؤه فهذه لم يزل المسلمون يروونها ويسمعونها ويدرسونها وهى التي سمعها الرسول وأصحابه وأثاب عليها وحرض حسان عليها وهى التى غرت أصحاب السماع الشيطانى

فقالوا تلك قصائد ويكفى هذا والسنة كلام والبدعة كلام والتسبيح كلام والغيبة كلام ولكن هل سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه سماعكم هذا المشتمل على قريب من مائة مفسدة ونظير هذا مااستدلوا به على ان الرسول استحسن الصوت الحسن وأذن فيه كما تقدم من حديث أبي موسى الاشعرى وغيره فنقلوا هذا الاستحسان الى صوت النسوان والمردان وغيرهم بالغناء المقرون بالدفوف بالصنوج والشبابات والاوتار وغير ذلك من المعازف وذكر القدود والنهود والخصور ووصف فواتر العيون وسوادها وسواد الشعور ومحاسن الشباب وحمرة الخدود وذكر الوصل والصد والتجنى والهجران والعتاب والاستعطاف والاشتياق والقلق والفراق وما أشبه ذلك مما هو أفسد للقلب من سكر الخمر وأى نسبة لسكر يوم ونحوه الى سكرة العشق التى لا يستفيق صاحبها الا في عسكر الهالكين أسيرا قتيلا حزينا. وهل تقاس سكرة الشراب الى سكرة الارواح بالسماع فان نازع منازع فى سكر السماع وتأثيره فى العقول والارواح خرجوا عن الذوق والحس فظهرت مكابرة القوم فكيف يحمى الطبيب والمريض عما يشوش عليه صحته ويبيح له مافيه أعظم السقم والكلام مع من وجد لامن فقد وأعجب من هذا من استدل على اباحة السماع المركب من الهيئة الاجتماعية اجتماع البنتين الصغيرتين وهما دون البلوغ عند امرأة صبية فى يوم عيد وفرح بابيات للعرب فى وصف الشجاعة والحروب ومكارم الاخلاق والشيم فأين هذا من هذا والعجب أن هذا من أكبر الحجج عليهم فان الصديق سمى ذلك مزمار الشيطان واقره على هذه التسمية مرخصافيه لجويرتين غير مكلفتين ولا مفسدة فى إنشاده ولا في استماعه أفيدل هذا على اباحة مايفعلونه من السماع اليوم وأعجب من هذا كله الاستدلال على اباحته بما سمعه الرسول من الحدو المشتمل على الحق والتوحيد وهل حرم أحد مطلق الشعر وقوله واستماعه وأعجب استدلالهم باباحته على اباحة أصوات الطيور اللذيذة وهل هذا الامن جنس قياس الذين قالوا انما البيع مثل الربا وأين أصوات الطيور الى نغمات النسوان والمردان والاوتار والعيدان والغناء منهن بما يحدو الارواح والقلوب الى مواصلة كل محبوبة ومحبوب وأين

الفتنة بمن هو من جنسك الى الفتنة بصوت القمرى والبلبل والهزار والشحرور ونحوها وأعجب من هذا من قال انه من أنكره فقد أنكر على كذا كذا ولىّ لله فحجة عامية نعم ينكر أولياء الله على أولياء الله فقد أنكر عليهم من أولياء الله من هو أكثر منهم عددا وأعظم عند الله وعند المؤمنين وقد تقاتل أولياء الله فى صفين بالسيوف ولما سار بعضهم الى بعض كان يقال سار أهل الجنة الي الجنة وكون ولىّ الله يرتكب المكروه أو المحظور متأولا أو عاصيا لايمنع ذلك الانكار عليه ولا يخرجه عن أصل ولايته لله وهيهات هيهات أن يكون أحد من أولياء الله المتقدمين حضر هذا السماع المحدث المشتمل على هذه الهيئة التى تفتن القلوب أعظم فتنة *

وذكر شيخ الاسلام ابن تيمية فى موضع من كلامه قال اسحق بن موسى الطباع سألت مالكا عما يترخص فيه أهل المدينة من الغناء فقال انما يفعله عندنا الفساق وهذا النص عن مالك معروف فى كتب أصحاب مالك مشهور وهم أعرف بمذهبه وأضبط ممن ينقل عنه الغلط وعن أهل المدينة من طائفة بالمشرق لاعلم لهم بمذاهب الفقهاء ومن ذكر عن مالك انه ضرب بعود فقد افترى عليه وانما نبهت على هذا لان فيما جمعه أبو عبد الرحمن السلمى ومحمد بن طاهر المقدسى فى ذلك حكايات وآثارا يظن من لاخبرة له بالعلم وأحوال السلف انها صدق وكان الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى فيه من الخير والزهد والدين والتصوف مايحمله على أن يجمع من كلام الشيوخ والآثار التى توافق مقصوده كل مايجده ولهذا يوجد فى كتبه من الآثار الصحيحة والكلام ما ينتفع به فى الدين ويوجد فيها من الاثار السقيمة والكلام المردود مايضر من لاخبرة له وبعض الناس توقف فى روايته حتى ان البيهقى كان اذاروى عنه يقول حدثنا أبو عبد الرحمن من أصل سماعه وأكثر الحكايات التى يرويها أبو القاسم القشيرى صاحب الرسالة عنه فانه كان أجمع شيوخه لكلام الصوفية ومحمد بن طاهر له فضيلة جيدة فى معرفة الحديث ورجاله وهو من حفاظ وقته لكن كثير من المتأخرين أهل الحديث وأهل الزهد وغيرهم اذا صنفوا

فى باب ذكروا ماروى من غث وثمين ولم يميزوا بين ذلك اه كلامه *

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله فى موضع آخر ذكر من صنف فى السماع ومن روى فيه من الاحاديث الموضوعة والمكذوبة ثم قال وكثير من المتأخرين أهل الحديث وأهل الزهد وأهل الفقه والتصوف وغيرهم اذا صنفوا فى باب ذكروا ماروى فيه من غث وثمين ولم يميزوا ذلك كما يوجد فى كثير ممن يصنف فى الابواب مثل المصنفين فى فضائل الشهور والاوقات وفضائل الاعمال والعبادات وفضائل الاشخاص وغير ذلك من الابواب مثل ماصنف بعضهم فى فضائل صيام رجب وغيره وفى فضائل صلوات الايام والليالى صلاة يوم الاحد وصلاة يوم الاثنين والثلاثاء وصلاة أول جمعة فى رجب والتى أول رجب ونصف شعبان وإحياء ليلة العيدين وصلاة يوم عاشوراء وكل هذا كذب باتفاق أهل العلم بالحديث وأجود حديث روي عن النبى صلى الله عليه وسلم فى صيام رجب ما رواه ابن ماجه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن صيام رجب وقد ثبت بالاسناد الصحيح عن عمر بن الخطاب أنه كان يضرب أيدى الناس فى رجب حتى يفطروا ويقول لاتشبهوه برمضان وكذا كره افراده بالصوم غير واحد من السلف والائمة وأجود مايروى من هذه الصلوات حديث صلاة التسبيح وقد رواه أبو داود والترمذى وغيرهما ومع هذا فلم يقل به أحد من الائمة الاربعة بل الامام أحمد ضعف الحديث وقال لايصح ولم يستحب هذه الصلاة. وأما ابن المبارك والمنقول عنه فشىء مثل الصلاة المرفوعة فان تلك فيها قعدة طويلة بعد السجدة الثانية وهذا يخالف الاصول فلا يجوز أن يثبت بمثل هذا الحديث ومن تدبر الاصول علم انه موضوع . وأماسائر هذه الاحاديث فانها كلها أحاديث موضوعة مكذوبة باتفاق أهل المعرفة مع انها توجد فى مثل كتاب أبى طالب وكتاب أبى حامد وكتاب الشيخ عبد القادر وتوجد فى مثل أمالى أبى القاسم بن عساكر وفيما صنفه أبو حفص ابن شاهين وعبد العزيز الكنانى وأبو على بن البناء وأبو الفضل بن ناصر وغيرهم وكذلك أبو الفرج ابن الجوزى ذكر مثل هذا فى كتاب فضائل الشهور ويذكر فى الموضوعات انه كذب موضوع *

والذين جمعوا الاحاديث فى الزهد والرقائق يذكرون ماروى فى هـذا الباب ومن أجل ماصنف فى هذا الباب كتاب الزهد لعبد الله بن المبارك وفيه أحاديث واهية وكذلك كتاب الزهد لهناد بن السرى ولوكيع وكذلك الزهد لاسـد بن موسى وغيرهم وأجود ماصنف في ذلك كتاب الزهد للامام احمد لـكنه مرتب على الاسماء وزهد ابن المبارك على الابواب وهذه الـكتب يذكر فيها زهد الانبياء والصحابة والتابعين. ثم ان المتأخرين على صنفين منهم من ذكر زهد المتقـدمين والمتأخرين كابى نعيم فى الحلية وأبى الفرج فى صفوة الصفوة ومنهم من اقتصر على ذكر المتأخرين من حين حدث اسم الصوفية كما فعل أبو عبـد الرحمن السلمى فى طبقات الصوفية وصاحبه أبو القاسم القشيرى في رسالته ثم الحـكايات التى يذكرها هؤلاء ونحوهم كابن خميس الموصلي وأمثاله يذكرون حكايات مرسلة بعضها صحيح وبعضها باطل قطعا والله أعلم *

وقال الشيخ رحمه الله والمقصود هنا ان المذكور عن سلف الامة وأئمتها من المنقولات ينبغى للانسان أن يميز بين صحيحه وسقيمه كما ينبغى مثـل ذلك فى المعقولات والنظريات وكذلك فى الاذواق والمواجيد والمـكاشفات والمخاطبات فان كل صنف من هذه الاصناف الثلاثة فيها حق وباطل فلا بد من التمييز بين هذا وهذا وجميع ذلك أن ماوافق كتاب الله وسنة رسوله الثابتة عنه وما كان عليه أصحابه فهو حق وما خالف ذلك فهو باطل فان الله تعالى يقول (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم)[1] الآية. *

﴿ فصل ﴾ وأما من زعم ان الملائكة أو الانبياء تحضر سماع المكاء والتصدية محبة له ورغبة فيه فهو كاذب مفتر بل انما تحضره الشياطين وهى التى تتنزل عليهم وتنفخ فيهم كما روى الطبرانى وغيره عن ابن عباس مرفوعا ان الشـيطان قال يارب اجعل لى بيتا قال بيتك الحمام قال اجعل لى قرآنا قال قرآنك الشعر قال اجعل لى مؤذنا قال مؤذنك المزمار وقد قال الله تعالى مخاطبا للشيطان (واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك)[2] وقد فسر ذلك بصوت الغناء. وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال انما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين صوت

١ - النساء ٥٩
٢ - الاسراء ٦٤

لهو ولعب ومزامير الشيطان وصوت لطم خدود وشق جيوب ودعاء بدعوى الجاهلية وقد كوشف جماعات من أهل المكاشفات بحضور الشياطين في مجامع السماعات الجاهلية ذات المكاء والتصدية وكيف يدور الشيطان عليهم حتى يتواجدوا الوجد الشيطاني حتى ان بعضهم صار يرقص فوق رؤس الحاضرين ورأي بعض المشايخ المكاشفين أن شيطانه قد حمله حتى رقص به فلما صرخ شيطانه هرب وسقط ذلك الرجل وهذه الامور لها أسرار وحقائق لا يشهدها الا أهل البصائر الايمانية والمشاهد الايقانية ولكن من اتبع ماجاءت به الشريعة وأعرض عن السبل المبتدعة فقد حصل له الهدى وخير الدنيا والآخرة وان من لم يعرف حقائق الامور فهو بمنزلة من سلك السبيل الي مكة خلف الدليل الهادى فانه يصل الى مقصوده ويجد الزاد والماء فى مواطنه وان لم يعرف كيف حصل ذلك وسببه ومن سلك خلف غير الدليل الهادى كان ضالا عن الطريق فاما أن يهلك واما أن يشقى مدة ثم يعود الى الطريق والدليل الهادى هو الرسول الذى بعثه الله الى الناس بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وهاديا الى صراط مستقيم صراط الله الذى له مافى السموات وما فى الارض وآثار الشيطان تظهر على أهل السماع الجاهلى مثل الازباد والارغاء والصراخات المنكرة ونحو ذلك مما يضارع أهل الصرع الذين يصرعهم الشيطان وكذلك يجدون فى نفوسهم من ثوران مراد الشيطان بحسب الصوت اما وجد فى الهوي المذموم واما غضب وعدوان على من هو مظلوم واما لطم وشق ثياب وصياح كصياح المحزون المحروم الى غير ذلك من الآثار الشيطانية التى تعترى أهل الاجتماع على شرب الخمر اذا سكروا بها فان السكر بالاصوات المطربة قد يصير من جنس السكر بالاشربة المطربة فتصدهم عن ذكر الله وعن الصلاة وتمنع قلوبهم حلاوة القرآن وفهم معانيه واتباعه فيصيرون مضارعين للذين يشترون لهو الحديث ليضلوا عن سبيل الله ويوقع بينهم العداوة والبغضاء حتى يقتل بعضهم بعضا بأحواله الفاسدة الشيطانية كما يقتل العائن من أصابه بعينه ولهذا قال من قال من العلماء ان هؤلاء يجب عليهم القود والدية اذا عرف انهم قتلوا بالاحوال الفاسدة لانهم ظالمون وهم انما يغتبطون بما ينفذونه من مراداتهم المحرمة كما يغتبط الظلمة المسلطون. ومن

هذا الجنس حال فقراء الكافرين والمبتدعين والظالمين فانهم قد يكون لهم زهد وعبادة وهمة كما يكون للمشركين وأهل الكتاب وكما كان للخوارج المارقين الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم «يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم يقرؤون القرآن لايجاوز حناجرهم» الحديث وقد يكون لهم مع ذلك أحوال باطنة كما يكون لهم مملكة ظاهرة فان سلطان الباطن مضاه لسلطان الظاهر ولا يكون من أولياء الله الا من كان من الذين آمنوا وكانوا يتقون وما فعلوه من الاعانة على الظلم يستحقون العقاب عليه بقدر الذنب وباب القدرة والتمكن ظاهرا وباطنا ليس مستلزما لولاية الله بل قد يكون ولى الله متمكنا ذا سلطان وقد يكون مستضعفا الى أن ينصره الله وقد يكون عدو الله مستضعفا وقد يكون مسلطا الى أن ينتقم الله منه فخفراء السر في الباطن من جنس التتر في الظاهر هؤلاء في العباد بمنزلة هؤلاء في الاجناد وأما الغلبة فان الله قد يديل الكافرين كما كان يكون لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عدوهم لكن العاقبة للمتقين فان الله يقول (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد)[1] واذ كان في المسلمين ضعف وكان العدو مستظهرا عليهم كان ذلك لسبب ذنوبهم وخطاياهم اما لتفريطهم في أداء الواجبات باطنا وظاهرا واما لعدوانهم بتعدي الحدود باطنا وظاهرا قال الله تعالى (ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا)[2] وقال تعالى (أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم)[3] وقال تعالى (ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور)[4] *

وقال الشيخ في موضع آخر وأما اتخاذ التصفيق والغناء والضرب بالدفوف والنفخ في الشبابات والاجتماع على ذلك دينا وطريقا الى الله وقربة فهذا ليس من دين الاسلام وليس مما شرعه لهم نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم ولا أحد من خلفائه ولا استحسن ذلك أحد من أئمة المسلمين بل ولم يكن أحد من أهل الدين يفعل ذلك على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عهد أصحابه ولا تابعيهم

١ ـ غافر ٥١
٢ ـ آل عمران ١٥٥
٣ ـ آل عمران ١٦٥
٤ ـ الحج ٤٠ ـ ٤١

باحسان ولا تابعي التابعين بل لم يكن أحد من أهل الدين من الاعصار الثلاثة لا بالحجاز ولا بالشام ولا باليمن ولا العراق ولا خراسان ولا المغرب ولا مصر يجتمع على مثل هذا السماع وانما ابتدع في الاسلام بعد القرون الثلاثة ولهذا قال الشافعي لما رأى ذلك خلفت ببغداد شيئاً أحدثته الزنادقة *

وسئل شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله عن رجل يحب السماع والرقص فانكر عليه رجل فقال هذه الابيات

أنكروا رقصا وقالوا حرام — فعليهم من أجل ذاك سلام
اعبد الله يا فقيه وصل — والزم الشرع فالسماع حرام
بل حرام عليك ثم حلال — عند قوم أحوالهم لا تلام
مثل قوم صفوا وبان لهم من — جانب الطور جذوة وكلام
فاذا قوبل السماع بلهو — فحرام على الجميع حرام

أجاب الحمد لله رب العالمين هذا الشعر يتضمن منكرا من القول وزورا بل أوله يتضمن مخالفة الشريعة وآخره يفتح باب الزندقة والالحاد المخالفة للحقيقة الالهية الدينية النبوية .وذلك أن قول القائل مثل قوم صفوا وبان لهم من جانب الطور جذوة وكلام يتضمن تمثيل هؤلاء بموسى بن عمران الذي نودى من جانب الطور ولما رأى النار قال لاهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بقبس أو جذوة من النار لعلكم تصطلون. وهذا قول طائفة من الناس يسلكون طريق الرياضة والتصفية ويظنون انهم بذلك يصلون الى أن يخاطبهم الله كما خاطب موسى بن عمران وهؤلاء ثلاثة أصناف صنف يزعمون انهم يخاطبون بأعظم مما خوطب به موسى بن عمران كما يقول ذلك من يقوله من أهل الوحدة والاتحاد القائلين بأن الوجود واحد كصاحب الفصوص وأمثاله فان هؤلاء يدعون أنهم أعلى من الانبياء وان الخطاب الذى يحصل لهم من الله أعلى مما يحصل لابراهيم وموسى وعيسى ومحمد * ومعلوم ان هذا الكفر أعظم من كفر اليهود والنصارى الذين يفضلون الانبياء على غيرهم لكن يؤمنون ببعض الانبياء ويكفرون ببعض *

والنوع الثانى من يقول ان الله يكلمه مثل كلام موسى بن عمران كما يقول ذلك من يقوله من المتفلسفة ومتصوفتهم الذين يقولون ان تكليم موسى فيض فاض على قلبه من العقل الفعال ويقولون ان النبوة مكتسبة *

والنوع الثالث الذين يقولون ان موسى أفضل لكن صاحب الرياضة قد يسمع الخطاب الذى سمعه موسى ولكن موسى مقصود بالتكليم دون هذا كما يوجد هذا فى اخبار صاحب مشكاة الانوار وكذلك سلك مسلكه صاحب خلع النعلين وأمثالها وأما قوله فى أول الشعر لمن يخاطبه الزم الشرع يافقيه وصل يشعر بانك أنت تبع الشرع وأما نحن فلنا الى الله طريق غير الشرع ومن ادعى أن له الى الله طريقا يوصله الى رضوان الله وكرامته وثوابه غير الشريعة التى بعث الله بها رسوله فانه أيضا كافر يستتاب فان تاب والا ضربت عنقه كطائفة اسقطوا التكليف وزعموا ان العبد يصل الى الله بلامتابعة الرسل وطائفة يظنون ان الخواص من الاولياء يستغنون عن متابعة محمد صلي الله عليه وسلم كما استغنى الخضر عن متابعة موسى وجهل هؤلاء ان موسى لم يكن مبعوثا الى الخضر ومحمد صلى الله عليه وسلم رسول الى كل أحد ظاهرا وباطنا مع أن قضية الخضر لم تخالف شريعة موسى بل وافقتها ولكن الاسباب المبيحة للفعل لم يكن موسى علمها فلما علمها تبين أن الافعال توافق شريعته لا تخالفها *

وسئل شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله عن مؤذن يصعد الى المأذنة ينشد أبياتا يذكر فيها الفراق والبين وتفرق الاحباب فانكر عليه رجل فقال له لاتفعل هذا وعليك بالتسبيح والتحميد والقصائد الربانية فهل أصاب أم لا *

أجاب رضى الله عنه الحمد لله نعم ينهى المؤذن أن ينشد الابيات التى هى من جنس النياحة والمراثى وكذلك ما كان من جنس الغزل فان فى ذلك مفاسد كثيرة وليس ذلك من ذكر الله المشروع للمؤذن ولا بأس بالابيات المتضمنة لذكر الآيات والاخبار والتوبة والاستغفار والله أعلم *

(فصل)

نافع ان شاء الله لمن تدبره في قوله تعالى (فطرة الله التي فطر الناس عليها) قال العلماء من المفسرين والنحاة معناه الزموا واتبعوا دين الله الذى خلق الناس له ولهذا نصب على المصدر ومعى ذلك فطر الله الناس على ذلك فطرة وفطر الناس عليها أى لها وهذه الفطرة أضافها الله اليه اضافة مدح لا اضافة ذم فعلم أنها فطرة محمودة لا مذمومة يبين ذلك قوله (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها) ولهذا نصب على المصدر الذي دل عليه الفعل الاول عند سيبويه وأصحابه فدل على أن اقامة الوجه للدين حنيفا هو فطرة الله التى فطر الناس عليها مثل قوله كتاب الله عليكم وسنة الله فهو عندهم منصوب بفعل مضمر لازم اضماره دل عليه الفعل المتقدم كأنه قال كتب الله عليكم وسن الله ذلك لكم وكذلك وفطر الله الناس على ذلك *

ثم اختلف العلماء والمفسرون فى تفسير الفطرة على أقوال وكذلك الخلاف فى قول النبي صلى الله عليه وسلم «كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ثم يقول أبو هريرة اقرؤا ان شئتم (فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله» رواه البخارى ومسلم فالفطرة المراد بها الاسلام قاله أبو هريرة وابن شهاب * وسئل مجاهد عن الفطرة فقال هى الاسلام وكذلك قاله قتادة ثم قال مجاهد (لا تبديل لخلق الله)[١] قال لا تبديل لدين الله وقاله سعيد بن جبير وقتادة والنخعي وروي عن ابن عباس وعكرمة فى احدى الروايتين عنهما والقول بان الفطرة الاسلام هو احدي الروايات عن الامام أحمد وقاله ابن عبد البر فى التمهيد وقال آخرون والفطرة ههنا الاسلام قال وهو المعروف عند عامة السلف وأهل التأويل قاله فى تفسير هذا الحديث المتقدم * ثم قال وأما قوله فطرة الله التى فطر الناس عليها فقد أجمعوا علي أن قالوا دين الاسلام انتهى: وليس كما قال وذكر القرطبي فى تفسيره أقوالا فى الفطرة منها دين الاسلام وهو المعروف عند عامة السلف الى

١ - الروم ٣

ان قال ومعنى هذا أن الطفل خلق سليما من الكفر على الميثاق الذى أخذه الله على ذرية آدم حين أخرجهم من صلبه وانهم اذا ماتوا قبل أن يدركوا فى الجنة أولاد مسلمين كانوا أو أولاد كفار انتهى *

وقال أبو بكر النقاش اختلف أهل التأويل فى الفطرة فقيل على ملة ابراهيم ثم ذكر قريبا مما ذكره القرطبي *

وقد احتج لهذا القول بادلة *

منها حديث أبى هريرة الذى فى الصحيحين وقد تقدم *

ومنها ماثبت فى صحيح مسلم عن عياض بن حمار المجاشعى عن النبى صل الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل: خلقت عبادى حنفاء مسلمين فاجتالتهم الشياطين وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بى مالم انزل به سلطانا *

ومنها مارواه الترمذى عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «كل مولود يولد من ولد كافر أو مسلم يولد على فطرة الاسلام ولكن الشياطين أتتهم فاجتالتهم عن دينهم فهودتهم و نصرتهم ومجستهم وأمرتهم أن يشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا *

ومنها ما فى الصحيحين خمس من الفطرة أى من فطرة الاسلام وفى مسلم ورواه أحمد وأبو داود عشر من الفطرة وفى لفظ عشر من سنن الاسلام *

وقال جماعة من الفقهاء والمفسرين كل مولود يولد على الفطرة التي خلق عليها فى المعرفة بربه عز وجل معرفة مخالفة لخلقة البهائم التى لا تصل بخلقتها الى معرفته والفاطر الخالق وقوله تعالى (ومالي لا أعبد الذي فطرنى)[1] يعنى الذي خلقني ووجهوا هذا بقوله كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء يعنى سليمة هل تحسون فيها من جدعاء مقطوعة الاذن قالوا ففى هذا الحديث تمثيل أولاد بنى آدم وأولاد البهائم لا نقص فيهم *

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية يرد على من قال كل مولود يولد على ماسبق له فى علم الله أنه سائر اليه *

قال الشيخ ومعلوم ان جميع المخلوقات بهذه المثابة فجميع البهائم هى مولودة على

[1] يس ٢٢

ماسبق فى علم الله لها وحينئذ فيكون كل مخلوق مخلوقا على الفطرة وأيضا فلو كان المراد بذلك لم يكن لقوله فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه معنى فانهما فعلا به ماهو الفطرة التى ولد عليها فلافرق بين التهويد والتنصير *

ثم قال بعد أسطر فتمثيله صلى الله عليه وسلم بالبهيمة التى ولدت جمعاء ثم جدعت يبين ان أبويه غيرا ماولد عليه *

ثم قال بعد ذلك وقولكم خلقوا خاليين من المعرفة والانكار من غير أن يكون الفطرة تقتضى واحدا منها بل يكون القلب كاللوح الذى يقبل كتابة الايمان والكفر وليس هو لاحدهما أقبل منه للآخر فهذا قول فاسد جدا فحينئذ لا فرق بالنسبة الى الفطرة بين المعرفة والانكار والتهويد والتنصير والاسلام وانما ذلك بحسب الاسباب فكان ينبغى أن يقال فابواه يسلمانه ويهودانه وينصرانه فلما ذكر أن أبويه يكفرانه وذكر الملل الفاسدة دون الاسلام علم ان حكمه فى حصول سبب مفصل غير حكم الكفر *

ثم قال بعد ذلك ففى الجملة كل ما كان قابلا للمدح والذم على السواء لا يستحق مدحا ولا ذما والله تعالى يقول (فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها)[1] فأمره بلزوم فطرته التي فطر الناس عليها *

وأيضا فالنبي صلى الله عليه وسلم شبهها بالبهيمة المجتمعة الخلق وشبه مايطرأ عليها من الكفر بجدع الانف ومعلوم ان كمالها محمود ونقصها مذموم فكيف تكون قبل النقص لامحمودة ولامذمومة اه *

وقد ذكر الخلال فى جامعه فى كتاب أحكام الملل باب الحكم المترتب على الفطرة *

(أنبأ) المروزى أن أبا عبد الله قال فى سبى أهل الحرب انهم مسلمون اذا كانوا صغارا وان كانوا مع أحد الابوين ويحتج بالحديث وذكر عنه نصوصا كثيرة فى هذا الباب *

وقد سئل الزهرى عن رجل عليه رقبة مؤمنة أيجزيه رضيع يعتقه قال نعم لانه ولد على الفطرة وهى الاسلام وقال الزهرى يصلى على كل مولود متوفى وان كان

[1] ١ - الروم ٣٠

اقية لانه ولد على فطرة الاسلام والاسلام هو قول لااله الاالله وذلك فى قوله تعالى (أفمن شرح الله صدره للاسلام)[١] قال ابن عباس وأكثر المفسرين لقول لا اله الا الله ولهذا كان معلوما بالفطرة أنه لابد لكل موجود من موجد ولكل مصنوع من صانع كما قال تعالى (أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون)[٢] يقول أخلقوا من غير خالق خلقهم أم خلقوا أنفسهم مع اعترافهم (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولون الله)[٣]*(قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله)[٤] الآيات الثلاث *

ولما كان علم النفوس بحاجتهم وفقرهم الى الرب قبل علمهم بحاجتهم الى الاله المعبود وقصدهم لدفع حاجاتهم العاجلة قبل الآجلة كان اقرارهم بالله اقرارا فطريا من جهة ربوبيته أسبق من اقرارهم به من جهة ألوهيته ولهذا انما بعثت الرسل تدعوهم الى عبادة الله وحده لاشريك له فتفاصيل الامر والنهى انما تعرف من جهة الرسل *

وأما الرب تعالى فهو معروف بالفطرة (قالت رسلهم أفى الله شك)[٥] فالمشركون من عباد الاصنام وغيرهم من أهل الكتاب معترفون بالله مقرون به انه ربهم وخالقهم ورازقهم وانه رب السموات والارض والشمس والقمر وانه المقصود الاعظم ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لابى عمران بن حصين كم تعبد اليوم الها قال ستة فى الارض وواحد فى السماء قال فأيهم تعدلرغبتك ورهبتك قال الذى فى السماء رواه الترمذي . فالله تعالى فطر الخلق كلهم على معرفته فطرة توحيده حتى من خلق مجنونا مطبقا مصطلما لايفهم شيئا مايحلف الا به ولا يلهج بلسانه بأكثر من اسمه المقدس فطرة بالغة *

ولقد حدثنا شيخنا ابن قاضى الجبل عن بعض العلماء لا استحضره قال لو ترك طفل رضيع في بيت لا يكلم وله من يقوم بأمره لعرف ربه ونطق بالسريانية وكونه نطق بفطرته التي فطر عليها لم يستبعد. فنوع الانسان أشرف من كثير من المخلوقات قال ابن عباس من جميع المخلوقات قاله فى قوله (ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا

١ ـ الزمر ٢٢
٢ ـ الطور ٣٥
٣ ـ لقمان ٢٥
٤ ـ المؤمنون ٨٦ ـ ٨٧
٥ ـ إبراهيم ١٠

تفضيلا) ولا شك انه أفضل من الجمادات وقد فطر الله الجمادات على تسبيحه وتحميده وتنزيهه نطقا لا يفهمه الا الذى أنطقها به قال تعالى (تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا)[١] قال شيخنا ابن قاضي الجبل فى هذه الآية قال تسبيحها تسبيح حقيقى ولهذا قال انه كان حليما غفورا أي اذا كانت الجمادات التى لا تتنعم تسبح بحمد خالقها فهو حليم غفور اذ لم يعاجل المقصرين الذين كملت النعمة فى حقهم بالعقوبة وقال تعالى (ألم تر أن الله يسبح له من فى السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه)[٢] الآية. وقال تعالى (سبح لله مافى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم)[٣] وقال تعالى (يسبح لله ما في السموات وما فى الارض)[٤] والآيات كثيرة فى هذا الباب وقد أتى بلفظ الماضى الدال على وقوع التسبيح وصدوره بلفظ المضارع الدال على استمرار التسبيح وتجدده كل وقت ولا يستنكر معرفتها بخالقها وتسبيحها بحمده اذ قد فطرها عليه كما فطر بنى ادم على الاقرار بربوبيته ألست بربكم قالوا بلى لم يتخلف منهم أحد وكما أخبر الله عن عباده أنهم يسبحونه بكرة وعشيا فى قوله تعالى (فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال)[٥] وقال تعالى (فأوحي اليهم أن سبحوا بكرة وعشيا)[٦] وقال تعالى (اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا)[٧] وكذلك أخبر سبحانه عن الجبال فقال تعالى فى حق داود (انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق)[٨] قال أبو هريرة كان داود اذا سبح أجابته الجبال والطير بالتسبيح والذكر .وقال أبو الفرج ابن الجوزى قد روي أن داود كان اذا وجد فترة أمر الجبال فسبحت حتى يشتاق هو فيسبح وقد ثبت في صحيح مسلم أن النبي صلي الله عليه وسلم مر بجبل جمدان فقال هذا جمدان سبق المفردون قالوا وما المفردون يارسول الله قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات فهذا جبل سبق المفردين بذكر الله الى ذكر الله بل قد أخبر سبحانه أنه خاطب الجمادات فقال تعالى (ولقد آتينا داود منا فضلا ياجبال أوبي معه والطير)[٩] والتأويب هو ترجيع التسبيح وأخبر سبحانه عن الحجارة ان

١ ـ الاسراء ٤٤
٢ ـ النور ٤١
٣ ـ الحشر ١ الصف ١
٤ ـ الجمعة ١ التغابن ١
٥ ـ النور ٣٥ ـ ٣٦
٦ ـ مريم ١١
٧ ـ الأحزاب ٤١ ـ ٤٢
٨ ـ ص ١٨
٩ ـ سبأ ١٠

منها لما يهبط من خشية الله وهذا يدل على انها تعرف ربها معرفة تليق بها فان الخشية تستلزم العلم بالمخشي وكذلك قوله (ثم استوي الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين)[١] وهذا خطاب من يعرف ربه ويعقل أمره وليس هذا خطاب تكوين لمعدوم فانه خاطبهما بعد وجودهما وكذلك قوله (اذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت)[٢] ومعنى أذنت أصغت واستمعت لقوله وأمره وكذلك أخباره عن الارض يوم القيامة انها يومئذ تحدث أخبارها وفي الترمذي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال أتدرون ما أخبارها قالوا الله ورسوله أعلم قال أن تشهد على كل عبد بما عمل على ظهرها من خير أو شر وهذه شهادة نطق لما تحملته من الشهادة فى هذه الدار لما أوحى لها فانه تعالى قال (بأن ربك أوحى لها)[٣] وكذلك أخبر سبحانه وتعالى عن سجود المخلوقات له فقال تعالى (ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب)[٤] ولو كان سجودها هو مجرد دلالتها على الصانع كما يقوله بعض المفسرين لما اختص بكثير من الناس بل جميع العالم دال على صانعه وأمثال هذا كثير فى القرآن وما كان بهذه المثابة كيف يستنكر معرفته لربه وسجوده له وتسبيحه بحمده. ولو لم يكن فى هذه الآيات الا قوله تعالى (سبح لله مافى السموات ومافى الارض وهو العزيز الحكيم)[٥] في أوائل هذه السور فانه سبحانه أتى بلفظ ما المتناولة لغير أولى العلم قطعا اما اختصاصا واما تغليبا ولا يصح حمل ماذكرنا من الآيات على أولى العلم وتخصيصها بهم اذ لو أريد ذلك لجيء بلفظ من المختصة بمن يعقل وان كان قد وقع فى القرآن ما لمن يعقل ومن لما لا يعقل ففيه بحث ليس هذا محل ذكره *

والمقصود اذا كانت هذه الجمادات قد فطرت على معرفة ربها وتسبيحه وتنزيهه والانسان أشرف منها فلأن يفطر هو على معرفته بربه بطريق الاولى والاحرى لما ركب الله فيه من العقل والتمييز والفطنة لاسيما وقد نطق الكتاب والسنة بأنه فطره على الاسلام والاسلام كلمة التوحيد كما تقدم وان كان الاسلام فى الاصل هو الاستسلام والانقياد *

١ ـ فصلت ١١
٢ ـ الانشقاق ١ ـ ٢
٣ ـ الزلزلة ٥
٤ ـ الحج ١٨
٥ ـ الحشر ١
الصف ١

﴿ فصل ﴾ ومن تمام الكلام على ان معرفة الله تعالى فطرية وتقدم الاستدلال بالآية والحديث فان أول مايبدأ به فى الاستدلال الكتاب والسنة ثم أقوال العلماء والمفسرين وان كان في أصل المسئلة الناس متنازعون فى أصل المعرفة بالصانع هل هى فطرية أو نظرية وان شيخ الاسلام ابن تيمية يفصل فيقول يختلف باختلاف الناس ولكن الصحيح انها فطرية لانه قد ثبت ان النبى صلى الله عليه وسلم قال كل مولود يولد على الفطرة ولكن قد يعرض للفطرة مايفسدها فتحتاج حينئذ الى النظر فهى في الاصل ضرورية وقد تكون نظرية. ثم المعرفة الواجبة لاتتعلق بنظر خاص بل قد تحصل ضرورية فتصفية النفس ورياضتها من أعظم الاسباب فى حصول المعرفة الضرورية ولكن قد تحتاج الى أمور يجب الايمان بها فيتوقف على النظر فيجب النظر لماطرأ على الفطرة من الفساد فان كون هذا العالم لا بدله من صانع وخالق ومدبر فهذا ضرورى فكونه لا يعرف هذا الا بطريق النظر فيه نظر وأى نظر بل هو معلوم عقلا وواجب عقلا وقد أركزه الله تعالى فى فطرة مخلوقاته متحركها وساكنها ناطقها وصامتها حيوانها وجمادها كما تقدم أنها مسبحة بحمده عارفة به ٭

فقي كل شئ له آية تدل على انه واحد

ومع دلالتها على الوحدانية مسبحة بحمده معترفة به تسجد له وان جميع المخلوقات خلا كفار الثقلين تسبح بحمده وتسبيح كل شئ بحسبه فلولا ان كل شئ يسبح بحمده وينزهه ويعظمه بما لانفهمه نحن ولا يعلمه الا الذى أنطقه بهلما أخبرنا به وانه دال على عظمته ٭

وقد روينا في جزء الفريابى في كتاب الذكر له باسناده عن ابن مسعود رضى الله عنه قال ان الجبل لينادى الجبل مقابله باسمه هل مر بك اليوم ذاكر الله عز وجل فان قال نعم فيقول هنيئالك لكن مامر على اليوم أحد يذكر الله ٭

وروى أيضا باسناده عن أنس رضى الله عنه قال مامن صباح ولارواح الاتنادى بقاع الارض بعضها بعضا ياجارة هل مربك اليوم عبد فصلى عليك لله أوذكر الله عليك فمن قائلة لا ومن قائلة نعم فاذ لقالت نعم رأت بذلك لها فضلا .فكل فطرة سليمة لم تجتالها

الشياطين ولم تفسد عليها فطرتها تصدق بذلك وتقر به وتزداد ايمانا ولا يقول هذه أخبار آحاد وآثار لا تفيد شيئا في هذا الباب وانما هذه من باب الفرجة والمطالعة

قلنا يكفينا ما تقدم لنا من أخبار الله تعالى في القرآن من الدليل القطعي عن الحجارة ان منها لما يهبط من خشية الله وهذا يدل على أنها تعرف ربها معرفة تليق بها والا لما هبطت من خشيته فان الخشية تستلزم العلم بالمخشي. قد تقدم ذلك *

قال ابن عبد السلام للعلماء في الحجارة وانها تهبط من خشية الله ثلاثة مذاهب قالت الصوفية هي حيوان وفيها جزء حي تسبح الله تعالى وتخر له وتسجد له وقال آخرون هذا من مجاز التشبيه وقال الاشعري الله تعالى يخلق لها حياة عند ارادة ذلك منها نحو جبل الطور انتهى كلامه ذكره في النكت *

قلت ما ذكره من هذه الاقوال * أما القول الاول فهو قول بعض جهلة الصوفية والافكون الحجارة حيوانا انما يعلم بالفطرة بطلانه * وأما القول الثاني كونه من مجاز التشبيه فان هذا انما يشهد الكتاب والسنة ببطلانه. أما الكتاب فما تقدم لنا من الايات على تسبيح كل شيء بحمده وأما السنة فتسبيح الحصى في كف النبي صلى الله عليه وسلم ثم في كف غيره من الصحابة تسبيحا يسمعه الحاضرون. وقال النبي صلى الله عليه وسلم اني لاعرف حجرا كان يسلم علي قبل أن أبعث فهذا الحجر عرف ربه وعرف رسوله ولو لم ينطق بكلام مسموع مفهوم مخصوص بذكر معين لما أخبر عنه ولهذا أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن جبل جمدان فقال هذا جمدان يحبنا ونحبه وكذلك أخبر عن أحد أنه يحبنا ونحبه وهذا جبل يبغضنا ونبغضه *

قال ابن عباس لما أراد الله تعالى أن يتجلى لموسى تطاولت الجبال ليتجلى لها وتواضع زبير يعني الطور فتجلى له وهذا يدل على أنها تعرف ربها

وروى ابن الجوزي عن معاوية بن قرة عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله وجعله دكا قال صار لعظمته ستة أجبال فوقعت ثلاثة بالمدينة: أحد وورقان ورضوى ووقعت بمكة ثلاثة: ثبير وحراء وثور

بل هو سبحانه وتعالى قد خاطب الجمادات فقال تعالى (انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان)[1] فهذا

١ - الأحزاب ٧٢

الاباء والاستعفاء بعد أن عقلت خطابه وفهمته وعلمت عجزها *

وليس المقصود ذلك وانما المقصود ان الانسان أشرف عند الله وأعظم من الجبال حتى من البيت لما روى ابن ماجه عن ابن عمر قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يطوف بالكعبة ويقول ما أطيبك وأطيب ريحك وأعظم حرمتك والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك *

فمع شرف الانسان لا يركب الله في فطرته وعقله ما يعرفه ربه من غير دليل نظرى يحتاج فهمه الى عسر وقد ينتقض عليه أو يشككه فيه من هو ألحن بحجته منه *

هذا الهدهد طير من الطيور وفي نظرنا عديم العقل يصيح كغيره من الطيور قد خاطب سليمان بأعظم التوحيد وأعلمه بغير ذلك فقال (أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين)[1] الى قوله (الله لا اله الا هو رب العرش العظيم)[2] هذا كله كلام الهدهد كما اتفق على ذلك المفسرون فمعرفة الله تعالى فطرية قد فطر الله تعالى عليها جميع المخلوقات

فان أريد بالمعرفة المعرفة التامة وهي معرفته بصفات الكمال ونعوت الجلال فيما لم يزل ولا يزال ومعرفة أسمائه وما أمر به وما نهى عنه وما أخبر به وما أراده من عباده شرعا وما كرهه منهم ولم يرضه ولم يرد وقوعه فهذا ما يعلم الا بالسمع من جهة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. فعبادة الله تعالى والايمان به انما يجب بالسمع ويلزم بالبلاغ

قال الامام احمد في رواية المروزي معرفة الله تعالى في القلب تتفاضل وتزيد وهذا يدل على أن المعرفة أصلها في القلب فطرية ثم انها تزيد وتتمكن بتظاهر الادلة والقاضى أبو يعلى في المعتمد استدل بهذه الرواية على أنها كسبية وقال لانها لو كانت فطرية لم تزد وقال في رواية يعقوب ان المعرفة لا تزيد ولا تنقص وهذه الرواية عكس الاولى وحملها القاضى على انه أراد بالمعرفة ههنا الاقرار بالاسلام وهو لا يزيد ولا ينقص لانه موقوف على الشهادتين وفيما قاله نظر لانه صدر في أول المسألة فقال معرفة الله تحصل بادلته الظاهرة وحججه القاهرة وهي أنفسنا والسموات والارض وما بينهما وذلك ان آثار الصنعة لازمة لهذه الاشياء تدل على صانع صنعها ومنشئ انشأها ذكره في المعتمد

قال شيخ الاسلام ابن تيمية في الكلام علي سورة القلم وذكر أن أول ما أوجب الله على نبيه وأمره به اقرأ باسم ربك الذي خلق ثم قال بعد كلام كثير

[1] - النمل ٢٢
[2] - النمل ٢٦

فقد بين أن الاقرار بالاعتراف بالخالق فطري ضروري فى نفوس الناس وان كان بعض الناس قد يحصل له ما يفسد فطرته حتى يحتاج الى نظر يحصل له به المعرفة وهذا قول جمهور الناس وعليه حذاق النظار أن المعرفة تحصل بالضرورة وقد تحصل بالنظر لمن فسدت فطرته كما اعترف بذلك خلائق من أئمة المتكلمين انتهى *

وقال الشيخ أيضاً فى شرح الاصفهانية وأما طريقة القرآن فى اثبات الصانع فانا قد بينا فى غير هذا الموضع اختلاف الناس في الاقرار بالصانع هل هو فطرى أو نظرى و بينا قول من قال انه فطرى وأن كل مولود يولد على الفطرة وأنه قد يصير نظرياً لبعض الناس لما يعرض له من الشبه ويستدل على ذلك بالادلة الكثيرة انتهى فاذا قلنا هذا محدث وكل محدث فلا بد له من محدث أو هذا ممكن وكل ممكن فلا بد له من موجب أو هذا موجود وكل موجود فلا بد له من موجد أو هذا مخلوق وكل مخلوق فلا بد له من خالق أو هذا مصنوع وكل مصنوع فلا بد له من صانع ونحو ذلك فهذا صحيح معلوم بالفطرة وقد يقول من يتحذلق بذهنه و يتهم أذهان الناس بالفساد ويركن الى ذهنه وعقله فيقول هذا يدل علي محدث مطلق وواجب مطلق وواحد مطلق لا يمتنع تصوره من وقوع الشركة فيه فلهذا يكله الله تعالى الى ذهنه وفهمه وعقله فما يرشده الله الى الصواب ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً فمن يهد الله فهو المهتد *

فمن طلب الهداية من الله عز وجل واعترف بالعجز وعرف ربه بالقدرة ونفسه بالعجز وعلم أنه لا بد أن ينتهى الى فاعل قديم لا يكون الا واحداً وواجب بنفسه لا يكون الا واحداً فهو واحد مطلق عندنا أليس هو معيناً فى نفس الامر وآيات الله سبحانه وتعالى دالة على نفسه المقدسة الشريفة فهذا وأمثاله ممن فسدت فطرته لا سيما فى معرفة ربه فلا بد من النظر ولهذا قدمنا أنها فطرية وأن الشيخ رحمه الله قال وقد يعرض لبعض الناس من الشبه ما يفسد فطرته فلا بد له من النظر وهذا الذى عرض هو ما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم فى نفس الحديث أن كل مولود يولد على فطرة الاسلام ولكن الشياطين أتتهم فاجتالتهم عن دينهم

فنهم من هودته ومنهم من نصرته ومنهم من مجسته وتقول ومنهم من وسوست له بما تشككه فى خالقه وقد أخبر فقال عن رسله انهم قالوا لقومهم أفي الله شك فاطر السموات والارض يعني خالق السموات والارض ومالى لا أعبد الذي فطرنى أى خلقنى أفى الخالق شك وقد قال هل من خالق غير الله *

قال شيخ الاسلام ابن تيمية ذهب طوائف من النظار الى أن معرفة الله واجبة ولا طريق اليها الا بالنظر فأوجبوا النظر على كل أحد وهذا القول انما اشتهر فى الامة عن المعتزلة ونحوهم ولهذا قال أبو جعفر السمنانى وغيره ايجاب الاشعري النظر فى المعرفة بقية بقيت عليه من الاعتزال وقد دخل في هذا القول طوائف من الفقهاء من أصحاب الأئمة الاربعة كالقاضي أبي يعلى وأتباعه مثل أبي الفرج الشيرازى وأبى الخطاب وابن عقيل وغيرهم ومع هذا فقد اختلف كلام الاشعرى واصحابه فى ايجاب النظر فقال أبو اسحاق الاسفرايني من اعتقد ما يجب اعتقاده هل يكتفى به اختلف الاصحاب فيه ثم ذكر كلامه وكلام الاشعرى وأصحابه مطولا وذكر في المسألة قولين عنهم حتى ان أبا اسحاق نفسه اختلف كلامه ثم قال واختلفوا أيضاً فى النظر فى قواعد الدين هل هو من فروض الاعيان أو من فروض الكفايات والذين أوجبوا النظر منهم من قال لا يصح الايمان الا به ومنهم من قال يصح الايمان بدونه لكن تاركه عاص وهذه الاقوال كلها ما يقوم الدليل من الكتاب والسنة الا على بعضها *

ورأيت بخط بعض الفضلاء من أصحابنا وقال طوائف من العلماء النظر لا يجب على أحد إما لان الواجب الاعتقاد الجازم دون المعرفة وذلك لا يحتاج الى نظر واما لان المعرفة لها طرق غير النظر فتحصل ضرورة وقد تحصل الهاماً وقد تحصل بالتصفية وهو قول طوائف من النظار والفقهاء وأهل الحديث والصوفية وغيرهم وهو قول طائفة من أصحاب احمد والشافعى وغيرهما والله أعلم *

وقال بعض العلماء يجب النظر فى حال دون حال وعلى شخص دون شخص فوجوبه من العوارض التى تجب على بعض الناس فى بعض الاحوال لا من اللوازم العامة فيقال كل علم وجب ولم يحصل الا بالنظر وجب النظر وأما اذا حصل

ضرورة أو حصل العلم بدون النظر أو لم يكن العلم واجباً لم يكن النظر واجباً *

وذكر شيخ الاسلام ابن تيمية فى موضع من مصنفاته هذا الكلام وقال هذا أعدل الاقوال وكلام الائمة والسلف انما يدل عليه والذين أوجبوا النظر ليس معهم ما يدل على عموم وجوبه انما يدل على أنه قد يجب فانهم قالوا الواجب لا يحصل الا به لقوله تعالى (قل انظروا ماذا في السموات والارض وما تغنى الآيات والنذر) الآية . وقوله (قل انما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى) وقوله (فلينظر الانسان مما خلق) فهذه النصوص خطاب مع المتكبرين الجاحدين فأمروا بالنظر ليعرفوا الحق ويقروا به ولا ريب أن النظر يجب على هؤلاء والذين خالفوا فى وجوب النظر ومنعوا قالوا لا نسلم وجوب المعرفة ولا نسلم انحصار طريقها فى النظر *

والمقصود ان الذين أوجبوا الله علي عباده أن يؤمنوا بالله ورسوله وأن يطيعوا الله ورسوله فهذا فرض على كل أحد ووجوب الايمان بالله معلوم بالاضطرار من دين الاسلام ونصوص القرآن متظاهرة به فالعلم بمعرفة الله ضرورى والا لو كان نظريا لكان يجب علي الرسل أول مايدعونهم الى النظر وهذا مما علم فساده من دين الاسلام فان كل كافر اذا أراد الدخول فى دين الاسلام أول مايؤمن بالشهادتين فلو قال أنا أقر بالخالق لم يكن بذلك مسلما ولو قال أنا أعرف الله انه رب العالمين ورازقهم ومدبرهم لم يصر بذلك مسلما فمعرفة الله فطرية حاصلة لجمهور الخلق *

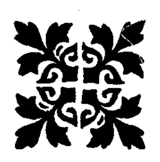
فان قيل اذا كانت معرفته تعالى فطرية ضرورية وهى ثابتة في فطرة كل أحد وكيف ينكر ذلك كثير من النظار نظار المسلمين أو غيرهم وفي زعمهم انهم الذين يقيمون الادلة العقلية علي المطالب الالهية *

فيقال أول من عرف فى الاسلام بانكار هذه المعرفة هم أهل الكلام الذين اتفق السلف على ذمهم من الجهمية والقدرية وهم عند سلف الامة من أضل الطوائف وأجهلهم هذا معنى ماذكر شيخ الاسلام ابن تيمية وكذلك ما أركزه الله فى فطرة كل أحد انه اذا دعا لم يلتفت يمنة ولا يسرة بل يجد فى قلبه ضرورة تطلب العلو ولهذا قال امام الحرمين لما أورد عليه معنى هذا قال حيرني الهمداني *

وأما العلم الذى لايحصل الا بالنظر فيجب لاجله النظر لفهم القرآن الذى لايحصل الا بتدبره والنظر فيه وكذلك يجب النظر فى مسائل النزاع التى لا يعلم الحق فيها الا بالنظر فاذا أراد معرفة الحق فيها وجب عليه النظر فاذا اجتهد غاية الاجتهاد و بذل وسعه وأداه النظر الى غير الحق فيها فخطؤه مغفور له وله أجر اجتهاده وان أصاب الحق فله أجران *

فالله تعالى يلهمنا الرشاد *ويوفقنا للسداد * فى أقوالنا وأفعالنا مما يحبه ربنا ويرضاه ويفعل ذلك باخواننا من المؤمنين آمين انه ولى ذلك والقادر عليه والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد النبى الامى وآله وصحبه وسلم *

﴿ تمت الرسالة التاسعة ويليها الرسالة العاشرة ان شاء الله تعالى ﴾



الرسالة العاشرة

فى شرح حديث ابى ذر رضى الله عنه

لشيخ الاسلام تقى الدين أبى العباس احمد بن تيمية الحرانى
المتوفى سنة ٧٢٨

بسم الله الرحمن الرحيم

سئل شيخ الاسلام احمد بن عبد الحليم بن تيمية عن معنى حديث أبى ذر رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن الله تبارك وتعالى انه قال « ياعبادى انى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا ياعبادى كلكم ضال الا من هديته فاستهدونى أهدكم . ياعبادى كلكم جائع الا من أطعمته فاستطعمونى أطعمكم . ياعبادى كلكم عار الا من كسوته فاستكسونى أكسكم . ياعبادى انكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفرونى أغفر لكم ياعبادى انكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى . ياعبادي لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم مازاد ذلك فى ملكي شيئا . ياعبادى لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم مانقص ذلك من ملكي شيئا . ياعبادي لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى فأعطيت كل انسان منهم مسألته مانقص ذلك مما عندى الا كما ينقص المخيط اذا دخل البحر . ياعبادى انما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله عز وجل

ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه »

فأجاب رضي الله عنه الحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة الا بالله *

أما قوله تعالى يا عبادى انى حرمت الظلم على نفسى ففيه مسألتان كبيرتان كل منهما ذات شعب وفروع. احداهما فى الظلم الذى حرمه الله على نفسه ونفاه عن نفسه بقوله (وماظلمناهم)[1] وقوله (ولا يظلم ربك أحدا)[2] وقوله (وما ربك بظلام للعبيد)[3] وقوله (ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها)[4] وقوله (قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا)[5]. ونفى ارادته بقوله (وما الله يريد ظلما للعالمين)[6] وقوله (وما الله يريد ظلما للعباد)[7] ونفى خوف العباد له بقوله (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما)[8]. فان الناس تنازعوا فى معنى هذا الظلم تنازعا صاروا فيه بين طرفين متباعدين ووسط بينهما وخيار الامور أوساطها وذلك بسبب البحث فى القدر ومجامعته للشرع اذ الخوض فى ذلك بغير علم تام أوجب ضلال عامة الامم ولهذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه عن التنازع فيه فذهب المكذبون بالقدر القائلون بأن الله لم يخلق أفعال العباد ولم يرد أن يكون الا ما أمر بأن يكون وغلاتهم المكذبون بتقدم علم الله وكتابه بما سيكون من أفعال العباد من المعتزلة وغيرهم الى أن الظلم منه هو نظير الظلم من الآدميين بعضهم لبعض وشبهوه ومثلوه فى الافعال بأفعال العباد حتى كانوا هم ممثلة الافعال وضربوا لله الامثال ولم يجعلوا له المثل الاعلى بل أوجبوا عليه وحرموا مارأوا انه يجب على العباد ويحرم بقياسه على العباد واثبات الحكم فى الاصل بالرأى وقالوا عن هذا اذا أمر العبد ولم يعنه بجميع مايقدر عليه من وجوه الاعانة كان ظالما له والتزموا انه لايقدر أن يهدي ضالا كما قالوا انه لا يقدر أن يضل مهتديا وقالوا عن هذا اذا أمر اثنين بأمر واحد وخص أحدهما باعانته على فعل المأمور كان ظالما الى أمثال ذلك من الامور التى هي من باب الفضل والاحسان جعلوا تركه لها ظلما وكذلك ظنوا أن التعذيب لمن كان فعله مقدرا ظلم له ولم يفرقوا بين التعذيب لمن قام به سبب استحقاق ذلك ومن لم يقم وان كان ذلك الاستحقاق خلقه لحكمة أخرى عامة أو خاصة وهذا الموضع زلت فيه أقدام وضلت فيه افهام

١ - هود ١٠١
٢ - الكهف ٤٩
٣ - فصلت ٤٦
٤ - النساء ٤٠
٥ - النساء ٧٧
٦ - آل عمران ١٠٨
٧ - غافر ٣١
٨ - طه ١١٢

فعارض هؤلاء آخرون من أهل الكلام المثبتين للقدر فقالوا ليس للظلم منه حقيقة يمكن وجودها بل هو من الامور الممتنعة لذاتها فلا يجوز أن يكون مقدورا ولا أن يقال انه هو تاركه باختياره ومشيئته وانما هو من باب الجمع بين الضدين وجعل الجسم الواحد فى مكانين وقلب القديم محدثا والمحدث قديما والا فهما قدر فى الذهن وكان وجوده ممكنا والله قادر عليه فليس بظلم منه سواء فعله أو لم يفعله وتلقى هذا القول عن هؤلاء طوائف من أهل الاثبات من الفقهاء واهل الحديث من اصحاب مالك والشافعى واحمد وغيرهم ومن شراح الحديث ونحوهم وفسروا هذا الحديث بما ينبنى على هذا القول وربما تعلقوا بظاهر من أقوال مأثورة كما روينا عن إياس بن معاوية انه قال ما ناظرت بعقلى كله احدا الا القدرية قلت لهم ما الظلم قالوا ان تأخذ ماليس لك او ان تتصرف فيما ليس لك قلت فلله كل شيء وليس هذا من اياس الا ليبين ان التصرفات الواقعة هى فى ملكه فلا يكون ظلما بموجب حدهم وهذا مما لا نزاع بين اهل الاثبات فيه فانهم متفقون مع الايمان بالقدر على ان كل ما فعله الله فهو عدل وفى حديث الكرب الذى رواه الامام احمد عن عبدالله ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أصاب عبدا قط هم ولا حزن فقال اللهم انى عبدك ابن عبدك بن أمتك ناصيتى بيدك ماض فىّ حكمك عدل فىّ قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همى وغمى الا أذهب الله همه وغمه وابدله مكانه فرحا . قالوا يارسول الله أفلا نتعلمهن قال بلى ينبغى لمن سمعهن أن يتعلمهن فقد بين أن كل قضائه فى عبده عدل (ولهذا يقال كل نعمة منه فضل وكل نقمة منه عدل ويقال أطعتك بفضلك والمنة لك وعصيتك بعلمك أو بعدلك والحجة لك فاسألك بوجوب حجتك على انقطاع حجتى الا ماغفرت لى) وهذه المناظرة من اياس كما قال ربيعة بن أبى عبد الرحمن لغيلان حين قال له غيلان نشدتك الله أترى الله يحب أن يعصى فقال نشدتك الله أتري الله يعصى قسرا يعني قهرا فكأنما القمه حجرا (فان قوله يحب أن يعصى لفظ فيه اجمال

وقد لايتأتى في المناظرة تفسير المجملات خوفا من لدد الخصم فيؤتي بالواضحات فقال افتراه يعدى قسرا فان هذا الزام له بالعجز الذى هو لازم للقدرية ولمن هو شر منهم من الدهرية الفلاسفة وغيرهم وكذلك اياس رأى ان هذا الجواب المطابق لحدهم خاصم لهم ولم يدخل معهم في التفصيل الذى يطول) و بالجملة فقوله تعالى (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلايخاف ظلما ولا هضما)[1] قال أهل التفسير من السلف لايخاف أن يُظلم فيحمل عليه سيئات غيره ولايهضم فينقص من حسناته ولا يجوز ان يكون هذا الظلم هو شيء ممتنع غير مقدور عليه فيكون التقدير لايخاف ماهو ممتنع لذاته خارج عن الممكنات والمقدورات فان مثل هذا اذاً لم يكن وجوده ممكنا حتى يقولوا انه غير مقدور ولو أراده كخلق المثل له فكيف يعقل وجوده فضلا ان يتصور خوفه حتى ينفي خوفه ثم أى فائدة فى نفى خوف هذا وقد علم من سياق الكلام ان المقصود بيان أن هذا العامل المحسن لايجزي على احسانه بالظلم والهضم (فعلم أن الظلم والهضم المنفي يتعلق بالجزاء كما ذكره أهل التفسير * وان الله لايجزيه الا بعمله ولهذا كان الصواب الذي دلت عليه النصوص ان الله لايعذب فى الآخرة الا من أذنب كما قال لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين . فلو دخلها أحد من غير أتباعه لم تمتلئ منهم ولهذا ثبت فى الصحيحين في حديث تحاج الجنة والنار من حديث أبي هريرة وأنس أن النار تمتلئ ممن ألقي فيها حين ينزوي بعضها الى بعض وتقول قط قط بعد قولها هل من مزيد وأما الجنة فيبقى فيها فضل عمن يدخلها من اهل الدنيا فينشىء الله لها خلقا آخر ولهذا كان الصواب الذى عليه الأئمة فيمن لم يكلف في الدنيا من أطفال المشركين ونحوهم ماصح به الحديث وهو أن الله اعلم بما كانوا عاملين فلا نحكم لكل منهم بالجنة ولا لكل منهم بالنار بل هم ينقسمون بحسب مايظهر من العلم فهم اذا كلفوا يوم القيامة فى العرصات كما جاءت بذلك الآثار وكذلك قوله تعالى (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد)[2] يدل الكلام على أنه لايظلم محسنا فينقصه من احسانه أو يجعله لغيره ولا يظلم مسيئا فيجعل عليه سيئات غيره بل لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وهذا كقوله لآدم

١ - طه ١١٢
٢ - فصلت ٤٦

لم ينبأ بما في صحف موسى وابراهيم الذي وفى ألاتزر وازرة وزر أخرى وان ليس الانسان الا ماسعي)[1] . فاخبر انه ليس على أحد من وزر غيره شيء وأنه لايستحق الا ماسعاه وكلا القولين حق على ظاهره

وان ظن بعض الناس أن تعذيب الميت ببكاء أهله عليه ينافى الاول فليس كذلك اذ ذلك النائح يعذب بنوحه لايحمل الميت وزره ولكن الميت يناله ألم من فعل هذا كما يتألم الانسان من أمور خارجة عن كسبه وان لم يكن جزاء الكسب والعذاب أعم من العقاب كما قال صلى الله عليه وسلم « السفر قطعة من العذاب » .

وكذلك ظن قوم انتفاع الميت بالعبادات البدنية من الحى ينافى قوله (وان ليس للانسان الا ماسعى) فليس الامر كذلك فان انتفاع الميت بالعبادات البدنية من الحى بالنسبة الى الآية كانتفاعه بالعبادات المالية ومن ادعى أن الآية تخالف أحدهما دون الاخر فقوله ظاهر الفساد بل ذلك بالنسبة الى الآية كانتفاعه بالدعاء والاستغفار والشفاعة وقد بينا فى غير موضع نحوا من ثلاثين دليلا شرعيا يبين انتفاع الانسان بسعى غيره اذ الآية انما نفت استحقاق السعي وملكه وليس كل مالا يستحقه الانسان ولا يملكه لايجوز أن يحسن اليه مالكه ومستحقه بما ينتفع به منه فهذا نوع وهذا نوع وكذلك ليس كل مالا يملكه الانسان لايحصل له من جهته منفعة فان هذا كذب فى الامور الدينية والدنيوية وهذه النصوص النافية للظلم تثبت العدل فى الجزاء وانه لايبخس عامل عمله وكذلك قوله فيمن عاقبهم . (وماظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتهم التى يدعون من دون الله من شىء)[2]:وقوله(وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين)[3] بين أن عقاب المجرمين عدلا لذنوبهم لالأنا ظلمناهم فعاقبناهم بغير ذنب والحديث الذى فى السنن لو عذب الله أهل سماواته وأرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ولو رحمهم لكانت رحمته لهم خيرا من أعمالهم . يبين أن العذاب لووقع لكان لاستحقاقهم ذلك لالكونه بغير ذنب وهذا يبين أن من الظلم المنفى عقوبة من لم يذنب وكذلك قوله

١ ـ النجم ٣٦ ـ ٣٩
٢ ـ هود ١٠١
٣ ـ الزخرف ٧٦

تعالى (وقال الذى آمن ياقوم انى أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلما للعباد)[١]. يبين ان هذا العقاب لم يكن ظلما لاستحقاقهم ذلك وان الله لايريد الظلم والامر الذى لايمكن القدرة عليه لايصلح أن يمدح الممدوح بعدم ارادته وانما يكون المدح بترك الافعال اذا كان الممدوح قادرا عليها فعلم ان الله قادر على مانزه نفسه عنه من الظلم وانه لايفعله وبذلك يصح قوله (انى حرمت الظلم على نفسى) وان التحريم هو المنع وهذا لايجوز أن يكون فيما هو ممتنع لذاته فلا يصلح أن يقال حرمت على نفسى أو منعت نفسي من خلق مثلى أو جعل المخلوقات خالقة ونحو ذلك من المحالات

وأكثر مايقال فى تأويل ذلك مايكون معناه انى أخبرت عن نفسى بأن مالا يكون مقدوراً لايكون منى وهذا المعني مما يتيقن المؤمن انه ليس مراد الرب وأنه يجب تنزيه الله ورسوله عن إرادة مثل هذا المعنى الذي لايليق الخطاب بمثله اذ هو مع كونه شبه التكرير وإيضاح الواضح ليس فيه مدح ولا ثناء ولا مايستفيده المستمع فعلم أن الذى حرمه على نفسه هو أمر مقدور عليه لكنه لايفعله لانه حرمه على نفسه وهو سبحانه منزه عن فعله مقدس عنه يبين ذلك أن ماقاله الناس فى حدود الظلم يتناول هذا دون ذلك كقول بعضهم الظلم وضع الشيء فى غير موضعه كقولهم من أشبه أباه فما ظلم أى فما وضع الشبه غير موضعه ومعلوم أن الله سبحانه حكم عدل لا يضع الاشياء الا مواضعها ووضعها غير مواضعها ليس ممتنعاً لذاته بل هو ممكن لكنه لا يفعله لانه لا يريده بل يكرهه ويبغضه اذ قد حرمه على نفسه *

وكذلك من قال الظلم اضرار غير مستحق فان الله لا يعاقب أحداً بغير حق وكذلك من قال هو نقص الحق وذكر أن أصله النقص كقوله (كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئاً)[٢] وأما من * قال التصرف فى ملك الغير فهذا ليس بمطرد ولا منعكس فقد يتصرف الانسان فى ملك غيره بحق ولا يكون ظالما وقد يتصرف فى ملكه بغير حق فيكون ظالما وظلم العبد نفسه كثير فى القرآن وكذلك من قال فعل المأمور خلاف ما أمر به ونحو ذلك ان سلم صحة مثل هذا الكلام فالله سبحانه قد كتب على نفسه الرحمة وحرم على نفسه الظلم فهو لا يفعل

[١] ـ غافر ٣٠ ـ ٣١
[٢] ـ الكهف ٣٣

خلاف ما كتب ولا يفعل ما حرم وليس هـذا الجواب موضع بسط هذه الامور التي نبهنا عليها فيه وانما نشير الى النكت *

وبهـذا يتبين القول المتوسط وهو أن الظلم الذى حرمه الله على نفسه مثـل أن يترك حسنات المحسن فلا يجزيه بها ويعاقب البرىء على ما لم يفـعل من السيئات ويعاقب هـذا بذنب غـيره أو يحكم بين الناس بغـير القسط ونحو ذلك من الافعال التى ينزه الرب لقسطه وعدله وهو قادر عليها وانما استحق الحمد والثناء لانه ترك هذا الظلم وهو قادر عليـه وكما أن الله منزه عن صـفات النقص والعيب فهو أيضاً منزه عن أفعال النقص والعيب وعلى قول الفريق الثانى ما ثم فعل يجب تنزيه الله عنه أصلا والـكتاب والسنة واجماع سلف الامة وأئمتها يدل على خلاف ذلك ولـكن متـكلمو الاثبات لما ناظروا متـكلمة النفى ألزموهم لوازم لم ينفصلوا عنها الا بمقابلة الباطل بانباطل وهذا مما عابه الأئمة وذموه كما عاب الاوزاعى والزبيدى والثورى واحمد بن حنبل وغيرهم مقابلة القـدرية بالغلو فى الاثبات وأمروا بالاعتصـام بالـكتاب والسـنة وكما عابوا أيضاً على من قابل الجهمية نفات الصفات بالغلو فى الاثبات حتى دخل فى تمثيل الخالق بالمخلوق وقد بسطنا الـكلام فى هذا وهـذا وذكرنا كلام السلف والأئمة فى هذا فى غـير هذا الموضع ولو قال قائل هـذا مبنى على مسئلة تحسـين العقل وتقبيحه فمن قال العقل يعلم به حسن الافعال وقبحها فانه ينزه الرب عن بعض الافعال ومن قال لا يعلم ذلك الا بالسمع فانه يجوز جميع الافعال عليه لعدم النهى فى حقه قيل له ليس بناء هـذه على تلك بلازم وبتقدير لزومها ففى تلك تفصـيل وتحقيق قد بسطناه فى موضعه *

وذلك أنا فرضنا أنا نعلم بالعقل حسن بعض الافعال وقبحها لـكن العقل لا يقول ان الخالق كالمخلوق حتى يكون ما جعله حسناً لهذا أو قبيحاً له جعـله حسناً للآخر وقبيحاً له كما يفعل مثل ذلك القدرية لما بين الرب والعبد من الفروق الـكثيرة

وان فرضنا أن حسن الافعال وقبحها لا يعلم الا بالشرع فالشرع قـد دل على

ان الله قد نزه نفسه عن أفعال واحكام فلا يجوز ان يفعلها تارة بخبره مثنيا على نفسه بأنه لا يفعلها وتارة بخبره أنه حرمها على نفسه وهذا يبين المسألة الثانية (فنقول الناس لهم فى افعال الله باعتبار مايصلح منه ويجوز ومالا يجوز منه ثلاثة اقوال طرفان ووسط فالطرف الواحد طرف القدرية وهم الذين حجروا عليه ان يفعل الا ماظنوا بعقلهم أنه الجائز له حتى وضعوا له شريعة التعديل والتجويز فأوجبوا عليه بعقلهم امورا كثيرة وحرموا عليه بعقلهم امورا كثيرة لا بمعنى ان العقل آمر له وناه فان هذا لا يقوله عاقل بل بمعنى ان تلك الافعال مما علم بالعقل وجوبها وتحريمها ولكن ادخلوا فى ذلك المنكرات مابنوه على بدعتهم فى التكذيب بالقدر وتوابع ذلك والطرف الثانى طرف الغلاة فى الرد عليهم وهم الذين قالوا لا ينزه الرب عن فعل من الافعال ولا نعلم وجه امتناع الفعل منه الا من جهة خبره أنه لا يفعله المطابق لعلمه بأنه لا يفعله وهؤلاء منعوا حقيقة ما أخبر به من أنه كتب على نفسه الرحمة وحرم على نفسه الظلم قال الله تعالى (واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة)[١]. وفي الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال «ان الله لما قضى الخلق كتب على نفسه كتاباً فهو موضوع عنده فوق العرش أن رحمتى تغلب غضبى» ولم يعلم هؤلاء ان الخبر المجرد المطابق للعلم لا يبين وجه فعله وتركه اذ العلم يطابق المعلوم فعلمه بأنه يفعل هذا وأنه يفعل هذا ليس فيه تعرض لانه كتب هذا على نفسه وحرم هذا على نفسه كما لو أخبر عن كائن من كان أنه يفعل كذا ولا يفعل كذا لم يكن فى هذا بيان لكونه محموداً ممدوحاً على فعل هذا وترك هذا ولا فى ذلك ما يبين قيام المقتضى لهذا والمانع من هذا (فان الخبر المحض كاشف عن المخبر عنه ليس فيه بيان ما يدعو الى الفعل ولا الى الترك) بخلاف قوله كتب على نفسه الرحمة وحرم على نفسه الظلم فان التحريم مانع من الفعل وكتابته على نفسه داعية الى الفعل وهذا بين واضح اذ ليس المراد بذلك مجرد كتابته أنه يفعل وهو كتابة التقدير كما قد ثبت فى الصحيح أنه قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء فانه قال كتب على نفسه الرحمة ولو أريد

١ ـ الأنعام ٥٤

كتابة التقدير لكان قد كتب علي نفسه الغضب كما كتب على نفسه الرحمة اذا كان المراد مجرد الخبر عما سيكون ولكان قد حرم على نفسه كل ما لم يفعله من الاحسان كما حرم الظلم وكما أن الفرق ثابت فى حقنا بين قوله (كتب عليكم القصاص فى القتلي)[١] و بين قوله (وكل شيء فعلوه في الزبر)[٢] وقوله (ما أصاب من مصيبة فى الارض ولا فى أنفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها)[٣] وقوله «فيبعث اليه الملك فيؤمر بأربع كلمات فيقال له أكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد» فهكذا الفرق أيضا ثابت في حق الله ونظير ما ذكره من كتابته على نفسه كما تقدم قوله تعالى (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين)[٤] وقول النبي صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح «يامعاذ أتدرى ما حق الله على عباده . قلت الله ورسوله أعلم قال حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً أتدري ما حق العباد على الله اذا فعلوا ذلك . قلت الله ورسوله أعلم قال حقهم عليه ألا يعذبهم» ومنه قوله فى غير حديث «كان حقاً على الله أن يفعل به كذا» فهذا الحق الذى عليه هو أحقه على نفسه بقوله ونظيره تحريمه على نفسه وايجابه على نفسه ما أخبر به من قسمه ليفعلن وكلمته السابقة كقوله (ولولا كلمة سبقت من ربك)[٥] وقوله (لأملأن جهنم)[٦] (ولنهلكن الظالمين)[٧] فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار[٨] (فلنسئلن الذين أرسل اليهم)[٩] ونحو ذلك من صيغ القسم المتضمنة معنى الايجاب والمنع بخلاف القسم المتضمن للخبر المحض ولهذا قال الفقهاء اليمين اما أن توجب حقا أو منعا أو تصديقا أو تكذيبا واذا كان معقولا فى الانسان انه يكون آمرا مأمورا كقوله (ان النفس لأمارة بالسوء)[١٠] وقوله (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوي)[١١] مع أن العبد له آمر وناه فوقه والرب الذى ليس فوقه أحد لأن يتصور أن يكون هو الآمر الكاتب على نفسه الرحمة والناهى المحرم على نفسه الظلم أولي وأحرى وكتابته على نفسه ذلك تستلزم ارادته لذلك ومحبته له ورضاه بذلك وتحريمه الظلم على نفسه يستلزم بغضه لذلك وكراهته له وارادته ومحبته للفعل توجب وقوعه منه وبغضه له وكراهته لان يفعله يمنع وقوعه منه *

[١] ـ البقرة ١٧٨
[٢] ـ القمر ٥٢
[٣] ـ الحديد ٢٢
[٤] ـ الروم ٤٧
[٥] ـ يونس ١٩ ، هود ١١٠
[٦] ـ الاعراف ١٨ ، هود ١١٩
[٧] ـ إبراهيم ١٣
[٨] ـ آل عمران ١٩٥
[٩] ـ الاعراف ٦
[١٠] ـ يوسف ٥٣
[١١] ـ النازعات ٤٠

فأما مايحبه ويبغضه من أفعال عباده فذلك نوع آخر ففرق بين فعله هو وبين ماهو مفعول مخلوق له وليس فى مخلوقه ماهو ظلم منه وان كان بالنسبة الى فاعله الذي هو الانسان هو ظلم كما أن أفعال الانسان هي بالنسبة اليه تكون سرقة وزنا وصلاة وصوما والله تعالى خالقها بمشيئته وليست بالنسبة اليه كذلك اذ هذه الاحكام هى للفاعل الذى قام به هذا الفعل كما أن الصفات هى صفات للموصوف الذي قامت به لا للخالق الذي خلقها وجعلها صفات *

والله تعالى خلق كل صانع وصنعته كما جاء ذلك فى الحديث وهو خالق كل موصوف وصفته ثم صفات المخلوقات ليست صفات له كالالوان والطعوم والروائح لعدم قيام ذلك به وكذلك حركات المخلوقات ليست حركات له ولا أفعالا له بهذا الاعتبار لكونها مفعولات هو خلقها وبهذا الفرق تزول شبه كثيرة والامر الذى كتبه على نفسه يستحق عليه الحمد والثناء وهو مقدس عن ترك هذا الذى لو ترك لكان تركه نقصا وكذلك الامر الذي حرمه على نفسه يستحق الحمد والثناء على تركه وهو مقدس عن فعله الذى لو كان لاوجب نقصا وهذا كله بين ولله الحمد عند الذين اوتو العلم والايمان وهو أيضا مستقر فى قلوب عموم المؤمنين ولكن القدرية شبهوا على الناس بشبههم فقابلهم من قابلهم بنوع من الباطل كالكلام الذى كان السلف والائمة يذمونه وذلك ان المعتزلة قالوا قد حصل الاتفاق على أن الله ليس بظالم كما دل عليه الكتاب والسنة والظالم من فعل الظلم كما أن العادل من فعل العدل هذا هو المعروف عند الناس من مسمى هذا الاسم سمعا وعقلا قالوا ولو كان الله خالقا لافعال العباد التى هى الظلم لكان ظالما فعارضهم هؤلاء بأن قالوا ليس الظالم من فعل الظلم بل الظالم من قام به الظلم وقال بعضهم الظالم من اكتسب الظلم وكان منهيا عنه وقال بعضهم الظالم من فعل محرما عليه او ما نهى عنه ومنهم من قال من فعل الظلم لنفسه وهؤلاء يعنون ان يكون الناهى له والمحرم عليه غيره الذي يجب عليه طاعته ولهذا كان تصور الظلم منه ممتنعا عندهم لذاته كامتناع ان يكون فوقه آمر له وناه ويمتنع عند الطائفتين ان يعود الى الرب من أفعاله حكم لنفسه وهؤلاء لم يمكنهم أن ينازعوا أولئك فى أن العادل من فعل العدل بل سلموا

ذلك لهم وان نازعهم بعض الناس منازعة عنادية والذي يكشف تلبيس المعتزلة أن يقال لهم الظالم والعادل الذى يعرفه الناس وان كان فاعلا للظلم والعدل فذلك يأتم به أيضا ولا يعرف الناس من يسمى ظالما ولم يقم به الفعل الذي به صار ظالما بل لا يعرفون ظالما الامن قام به الفعل الذي فعله وبه صار ظالما وان كان فعله متعلقا بغيره وله مفعول منفصل عنه لكن لا يعرفون الظالم الا بأن يكون قدقام بهذلك فكونكم أخذتم فى حد الظالم انه من فعل الظلم وعيتم بذلك من فعله فى غيره فهذا تلبيس وافساد للشرع والعقل واللغة كما فعلتم فى مسمى المتكلم حيث قلتم هو من فعل الكلام ولو فى غيره وجعلتم من أحدث كلاما منفصلا عنه قائما بغيره متكلما وان لم يقم به هو كلام أصلا وهذا من أعظم البهتان والقرمطة والسفسطة ولهذا ألزمهم السلف أن يكون ما أحدثه من الكلام فى الجمادات وكذلك أيضا ماخلقه فى الحيوانات ولا يفرق حينئذ بين نطق وأنطق وانما قالت الجلود أنطقنا الله الذى أنطق كل شيء ولم تقل نطق الله بذلك ولهذا قال من قال من السلف كسليمان بن داود الهاشمى وغيره ما معناه انه على هذا يكون الكلام الذى خلق فى فرعون حتي قال أنا ربكم الاعلى كالكلام الذي خلق فى الشجرة حتي قالت (اننى أنا الله لااله الا أنا) فاما أن يكون فرعون محقا أو تكون الشجرة كفرعون والى هذا المعنى ينحو الاتحادية من الجهمية وينشدون ٭

وكل كلام في الوجود كلامه ... سواء علينا نثره ونظامه

وهذا يستوجب أنواع الكفر ولهذا كان من الامر البين للخاصة والعامة ان من قال المتكلم لا يقوم به كلام أصلا فان حقيقة قوله انه ليس بمتكلم اذ ليس المتكلم الا هذا ولهذا كان أولوهم يقولون ليس بمتكلم ثم قالوا هو متكلم بطريق المجاز وذلك لما استقر فى الفطر ان المتكلم لا بد أن يقوم به كلام وان كان مع ذلك فاعلا له كما يقوم بالانسان كلامه وهو كاسب له اما ان يجعل مجرد احداث الكلام فى غيره كلاما له فهذا هو الباطل وهكذا القول فى الظلم فهب ان الظالم من فعل الظلم فليس هو من فعله فى غيره ولم يقم به فعل أصلا بل لا بد ان يكون قد قام به فعل وان كان متعديا الى غيره فهذا جواب ٭

ثم يقال لهم الظلم فيه نسبة واضافة فهو ظلم من الظالم بمعنى أنه عدوان وبغى منه وهو ظلم للمظلوم بمعنى أنه بغى واعتدي عليه وأما من لم يكن متعدى عليه به ولا هو منه عدوان على غيره فهو فى حقه ليس بظلم لا منه ولا له والله سبحانه اذا خلق أفعال العباد فذلك من جنس خلقه لصفاتهم فهم الموصوفون بذلك فهو سبحانه اذا جعل بعض الاشياء أسود وبعضها أبيض أو طويلا أو قصيرا او متحركا او ساكنا او عالما او جاهلا أو قادرا او عاجزا او حيا أو ميتا او مؤمنا او كافرا او سعيدا أو شقيا او ظالما او مظلوما كان ذلك المخلوق هو الموصوف بأنه الابيض والاسود والطويل والقصير والحى والميت والظالم والمظلوم ونحو ذلك والله سبحانه لا يوصف بشيء من ذلك وأما احداثه للفعل الذي هو ظلم من شخص وظلم لآخر بمنزلة احداثه الاكل والشرب الذي هو أكل من شخص وأكل لآخر وليس هو بذلك آكلا ولا مأكولا ونظائر هذا كثيرة وان كان فى خلق أفعال العباد لازمها او متعديها حكم بالغة كما له حكمة بالغة فى خلق صفاتهم وسائر المخلوقات لكن ليس هذا موضع تفصيل ذلك وقد ظهر بهذين الوجهين تدليس القدرية *

وأما تلك الحدود التى عورضوا بها فهى دعاو ومخالفة أيضا للمعلوم من الشرع واللغة والعقل أو مشتملة على نوع من الاجمال فان قول القائل الظالم من قام به الظلم يقتضى انه لا بد أن يقوم به لكن يقال له وان لم يكن فاعلا له آمرا له لا بد أن يكون فاعلا له مع ذلك فان أراد الاول كان اقتصاره على تفسير الظالم بمن قام به الظلم كاقتصار أولئك على تفسير الظالم في فعل الظلم *

والذى يعرفه الناس عامهم وخاصهم ان الظالم فاعل للظلم وظلمه فعل قائم به وكل من الفريقين جحد بعض الحق وأما قولهم من فعل محرما عليه أو منهيا عنه ونحو ذلك فالاطلاق صحيح لكن يقال قد دل الكتاب والسنة على أن الله تعالى كتب على نفسه الرحمة وكان حقا عليه نصر المؤمنين وكان حقا عليه أن يجزى المطيعين وأنه حرم الظلم على نفسه فهو سبحانه الذى حرم بنفسه على نفسه الظلم كما أنه هو الذى كتب بنفسه على نفسه الرحمة لا يمكن ان يكون غيره محرما عليه أو موجبا عليه فضلا عن أن يعلم ذلك بعقل او غيره واذا كان كذلك فهذا الظلم الذى حرمه على نفسه هو ظلم بلا ريب وهو أمر ممكن

مقدور عليه وهو سبحانه يتركه مع قدرته عليه بمشيئته واختياره لانه عادل ليس بظالم كما يترك عقوبة الانبياء والمؤمنين وكما يترك أن يحمل البرىء ذنوب المعتدين *

(فصل)

قوله « وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا » . ينبغى أن يعرف أن هذا الحديث شريف القدر عظيم المنزلة ولهذا كان الامام احمد يقول هو أشرف حديث لاهل الشام وكان أبو ادريس الخولانى اذا حدث به جثا علي ركبتيه. وراويه أبو ذر الذى ماأظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة منه وهو من الاحاديث الالهية التى رواها الرسول صلى الله عليه وسلم عن ربه وأخبر أنها من كلام الله تعالى وان لم تكن قرآنا. وقد جمع فى هذا الباب زاهر السحامى وعبد الغنى المقدسى وأبو عبد الله المقدسى وغيرهما وهذا الحديث قد تضمن من قواعد الدين العظيمة فى العلوم والاعمال والاصول والفروع فان تلك الجملة الاولى وهى قوله « حرمت الظلم على نفسى » يتضمن جل مسائل الصفات والقدر اذا أعطيت حقها من التفسير وانما ذكرنا فيها مالا بد من التنبيه عليه من أوائل النكت الجامعة وأما هذه الجملة الثانية وهي قوله « وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا » فانها تجمع الدين كله فان مانهي الله عنه راجع الى الظلم وكل ماأمر به راجع الى العدل ولهذا قال تعالى (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط[١] وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب) فاخبر أنه ارسل الرسل وانزل الكتاب والميزان لاجل قيام الناس بالقسط وذكر انه أنزل الحديد الذى به ينصر هذا الحق فالكتاب يهدي والسيف ينصر وكفى بربك هاديا ونصيرا ولهذا كان قوام الناس باهل الكتاب واهل الحديد كما قال من قال من السلف صنفان اذا صلحوا صلح الناس الأمراء والعلماء .وقالوا فى قوله تعالى (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم)[٢] أقوالا تجمع العلماء والامراء ولهذا نص الامام احمد وغيره علي دخول الصنفين فى هذه الآية اذ كل منهما

١ ـ الحديد ٢٥
٢ ـ النساء ٥٩

تجب طاعته فيما يقوم به من طاعة الله وكان نواب رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته كعلي ومعاذ وأبي موسى وعتاب بن اسيد وعثمان بن أبي العاص وامثالهم يجمعون الصنفين وكذلك خلفاؤه من بعده كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي ونوابهم ولهذا كانت السنة أن الذي يصلي بالناس هو صاحب الكتاب والذي يقوم بالجهاد هو صاحب الحديد . الى أن تفرق الامر بعد ذلك فاذا تفرق صار كل من قام بأمر الحرب من جهاد الكفار وعقوبات الفجار يجب أن يطاع فيما أمر به من طاعة الله فيذلك وكذلك من قام بجمع الاموال وقسمها يجب ان يطاع فيما يأمر به من طاعة الله في ذلك وكذلك من قام بالكتاب بتبليغ أخباره وأوامره وبيانها يجب أن يصدق ويطاع فيما أخبر به من الصدق في ذلك وفيما يأمر به من طاعة الله في ذلك *

والمقصود هنا أن المقصود بذلك كله هو أن يقوم الناس بالقسط ولهذا لما كان المشركون يحرمون أشياء ما انزل الله بها من سلطان ويأمرون باشياء ما انزل الله بها من سلطان أنزل الله في سورة الأنعام والأعراف وغيرهما يذمهم على ذلك وذكر ما أمر به هو وما حرمه هو فقال (قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين)[1] وقال تعالى (قل انما حرم ربي الفواحش ماظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وان تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله مالا تعلمون)[2] وهذه الآية تجمع أنواع المحرمات كما قد بيناه في غير هذا الموضع وتلك الآية تجمع أنواع الواجبات كما بيناه أيضا. وقوله (أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين) أمر مع القسط بالتوحيد الذي هو عبادة الله وحده لاشريك له وهذا أصل الدين وضده هو الذنب الذي لا يغفر قال تعالى (ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء)[3] وهو الدين الذي أمر الله به جميع الرسل وأرسلهم به الى جميع الامم قال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون)[4] وقال تعالى (واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون)[5] وقال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)[6] وقال تعالى (شرع

١ - الاعراف ٢٩
٢ - الاعراف ٣٣
٣ - النساء ١١٦
٤ - الأنبياء ٢٥
٥ - الزخرف ٤٥
٦ - النحل ٣٦

لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه)[١] وقال تعالى (ياأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا انى بما تعملون عليم وان هذه أمتكم أمه واحدة وأنا ربكم فاتقون)[٢] ولهذا ترجم البخاري فى صحيحه باب ما جاء فى ان دين الانبياء واحد وذكر الحديث الصحيح في ذلك وهو الاسلام العام الذي اتفق عليه جميع النبيين قال نوح عليه السلام (وأمرت أن اكون من المسلمين)[٣] وقال تعالى فى قصة ابراهيم (اذ قال له ربه أسلم قال اسلمت لرب العالمين ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يابنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون)[٤] وقال موسى (ياقوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين)[٥] وقال تعالى (قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بانا مسلمون)[٦] وقال فى قصة بلقيس (رب انى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين)[٧] وقال (انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا)[٨] وهذا التوحيد الذى هو أصل الدين هو أعظم العدل وضده وهو الشرك أعظم الظلم كما أخرجا فى الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال لما نزلت هذه الآية (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم)[٩] شق ذلك على اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وقالوا أينا لم يظلم نفسه فقال ألم تسمعوا الى قول العبد الصالح ان الشرك لظلم عظيم: وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال « قلت يارسول الله أى الذنب أعظم قال أن تجعل لله نداً وهو خلقك قلت . ثم أى قال ثم ان تقتل ولدك خشية أن يطعم معك قلت ثم أى قال أن تزانى بحليلة جارك » فانزل الله تصديق ذلك (والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون)[١٠] الآية وقد حاء عن غير واحد من السلف وروي مرفوعا « الظلم ثلاثة دواوين فديوان لايغفر الله منه شيئا وديوان لايترك الله منه شيئا وديوان لا يعبأ الله به شيئا » فاما الديوان الذى لايغفر الله منه شيئا فهو الشرك فان الله لايغفر ان يشرك به وأما الديوان الذي

[١] ـ الشورى ١٣
[٢] ـ المؤمنون ٥١ ـ ٥٢
[٣] ـ يونس ٧٢
[٤] ـ البقرة ١٣١ ـ ١٣٢
[٥] ـ يونس ٨٤
[٦] ـ آل عمران ٥٢
[٧] ـ النمل ٤٤
[٨] ـ المائدة ٤٤
[٩] ـ الأنعام ٨٢
[١٠] ـ الفرقان ٦٨

لايترك الله منه شيئا فهو ظلم العباد بعضهم بعضا فان الله لا بد أن ينصف المظلوم من الظالم وأما الديوان الذى لايعبأ الله به شيئا فهو ظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه أى مغفرة هذا الضرب ممكنة بدون رضى الخلق فان شاء عذب هذا الظالم لنفسه وان شاء غفر له وقد بسطنا الكلام فى هذه الابواب الشريفة والاصول الجامعة في القواعد وبينا أنواع الظلم وبينا كيف كان الشرك أعظم أنواع الظلم ومسمى الشرك جليله ودقيقه فقد جاء فى الحديث « الشرك فى هذه الامة أخفى من دبيب النمل » وروى أن هذه الآية نزلت فى أهل الرياء (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا [١]) وكان شداد بن أوس يقول يابقايا العرب يابقايا العرب انما أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية قال ابوداود السجستانى صاحب السنن المشهورة الخفية حب الرياسة وذلك ان حب الرياسة هو أصل البغي والظلم كما ان الرياء هو من جنس الشرك أو مبدأ الشرك والشرك أعظم الفساد كما ان التوحيد أعظم الصلاح ولهذا قال تعالى (ان فرعون علا فى الارض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم انه كان من المفسدين [٢]) الى أن ختم السورة بقوله (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لايريدون علواً فى الارض ولا فساداً [٣]) وقال (وقضينا الى بني اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الارض مرتين ولتعلن علواً كبيراً [٤]) وقال (من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس او فساد فى الارض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيى الناس جميعا [٥]) وقالت الملائكة (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء [٦]) فاصل الصلاح التوحيد والايمان وأصل الفساد الشرك والكفر كما قال عن المنافقين (واذا قيل لهم لاتفسدوا فى الارض قالوا انما نحن مصلحون ألا انهم هم المفسدون ولكن لايشعرون [٧]) وذلك ان صلاح كل شيء ان يكون بحيث يحصل له وبه المقصود الذى يراد منه ولهذا يقول الفقهاء العقد الصحيح ماترتب عليه أثره وحصل به مقصوده والفاسد مالم يترتب عليه أثره ولم يحصل به مقصوده والصحيح المقابل للفاسد في اصطلاحهم هو الصالح وكان يكثر فى كلام السلف هذا لايصلح او يصلح كما كثر فى كلام المتأخرين يصح ولا

١ - الكهف ١١ٰ
٢ - القصص ٤
٣ - القصص ٨٣
٤ - الاسراء ٤
٥ - المائدة ٣٢
٦ - البقرة ٣٠
٧ - البقرة ١١

يصح والله تعالى انما خلق الانسان لعبادته وبدنه تبع لقلبه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح « ألا ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح لها سائر الجسد واذا فسدت فسد لها سائر الجسد ألا وهي القلب » وصلاح القلب في أن يحصل له وبه المقصود الذي خلق له من معرفة الله ومحبته وتعظيمه وفساده في ضد ذلك فلا صلاح للقلوب بدون ذلك قط والقلب له قوتان العلم والقصد كما ان للبدن الحس والحركة الارادية فكما اذا التي خرجت قوي الحس والحركة عن الحال الفطرى الطبيعي فسدت فاذا خرج القلب عن الحال الفطرية التي يولد عليها كل مولود وهي ان يكون مقرا لربه مريدا له فيكون هو منتهى قصده وارادته وذلك هي العبادة اذ العبادة كمال الحب بكمال الذل فمتى لم تكن حركة القلب ووجهه وارادته لله تعالى كان فاسدا اما بأن يكون معرضا عن الله وعن ذكره غافلا عن ذلك مع تكذيب او بدون تكذيب أو بان يكون له ذكر وشعور ولكن قصده وارادته غيره لكون الذكر ضعيفا لم يجتذب القلب الى ارادة الله ومحبته وعبادته والا فمتى قوى علم القلب وذكره أوجب قصده وعلمه قال تعالى (فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم)[1] فأمر نبيه بأن يعرض عمن كان معرضا عن ذكر الله ولم يكن له مراد الا مايكون في الدنيا وهذه حال من فسد قلبه ولم يذكر ربه ولم ينب اليه فيريد وجهه ويخلص له الدين ثم قال (وذلك مبلغهم من العلم) فاخبر أنهم لم يحصل لهم علم فوق مايكون في الدنيا فهي أكبر همهم ومبلغ علمهم وأما المؤمن فأكبر همه هو الله واليه انتهى علمه وذكره وهذا الآن باب واسع عظيم قد تكلمنا عليه في مواضعه واذا كان التوحيد أصل صلاح الناس والاشراك أصل فسادهم والقسط مقرون بالتوحيد إذ التوحيد أصل العدل وارادة العلو مقرونة بالفساد اذ هو أصل الظلم فهذا مع هذا وهذا مع هذا كالمتلازمين في قرن فالتوحيد وما يتبعه من الحسنات هو صلاح وعدل ولهذا كان الرجل الصالح هو القائم بالواجبات وهو البر وهو العدل والذنوب التي فيها تفريط أو عدوان في حقوق الله تعالى وحقوق عباده وهي فساد وظلم ولهذا سمي قطاع الطريق مفسدين وكانت عقوبتهم حقا لله تعالى

١ - النجم ٢٩ - ٣٠

لاجتماع الوصفين والذي يريد العلو على غيره من أبناء جنسه هو ظالم له باغ اذليس كونك عاليا عليه باولى من كونه عاليا عليك وكلاهما من جنس واحد فالقسط والعدل أن يكونوا أخوة كما وصف الله المؤمنين بذلك والتوحيد وان كان أصل الصلاح فهو أعظم العدل ولهذا قال تعالى (قل ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون)[1] ولهذا كان تخصيصه بالذكر فى مثل قوله (قل أمر ربى بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين)[2] لايمنع أن يكون داخلا فى القسط كما أن ذكر العمل الصالح بعد الايمان لايمنع أن يكون داخلا في الايمان كما فى قوله (وملائكته وجبريل وميكال) (ومن النبيين ميثاقهم ومنك)[3] هذا اذا قيل إن اسم الايمان يتناوله سواء قيل انه في مثل هذا يكون داخلا فى الاول فيكون مذكورا مرتين أو قيل بل عطفه عليه يقتضى انه ليس داخلا فيه هنا وان كان داخلا فيه منفردا كما قيل مثل ذلك فى لفظ الفقراء والمساكين وأمثال ذلك مما تتنوع دلالته بالافراد والاقتران *

لكن المقصود ان كل خير فهو داخل فى القسط والعدل وكل شر فهو داخل فى الظلم ولهذا كان العدل أمرا واجبا فى كل شيء وعلى كل أحد والظلم محرما فى كل شيء ولكل أحد فلا يحل ظلم أحد أصلا سواء كان مسلما أو كافرا أو كان ظالما بل الظلم انما يباح أو يجب فيه العدل عليه أيضا قال تعالى (ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن)[4] أى يحملنكم شنآن أي بغض قوم وهم الكفار على عدم العدل (قوم على أن لاتعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى) وقال تعالى (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل مااعتدى عليكم)[5] وقال تعالى (وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به)[6] وقال تعالى (وجزاء سيئة سيئة مثلها)[7] وقد دل على هذا قوله فى الحديث « ياعبادى انى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلاتظالموا » فان هذا خطاب لجميع العباد ان لا يظلم أحد أحدا وأمر العالم فى الشريعة مبني على هذا وهو العدل فى الدماء والأموال والابضاع والانساب والاعراض ولهذا جاءت السنة بالقصاص فى ذلك ومقابلة العادي بمثل فعله لكن المماثلة قد

١ ـ آل عمران ٦٤
٢ ـ الأعراف ٢٩
٣ ـ الأحزاب ٧
٤ ـ المائدة ٨
٥ ـ البقرة ١٩٤
٦ ـ النحل ١٢٦
٧ ـ الشورى ٤٠

يكون علمها أو عملها متعذرا ومتعسرا ولهذا يكون الواجب مايكون أقرب اليها بحسب الامكان ويقال هذا أمثل وهذا أشبه وهذه الطريقة المثلى لما كان أمثل بما هو العدل والحق فى نفس الامر اذذاك معجوز عنه ولهذا قال تعالى (وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لانكلف نفسا الا وسعها)[1] فذكر أنه لم يكلف نفسا الا وسعها حين أمر بتوفية الكيل والميزان بالقسط لان الكيل لابد له أن يتفضل احد المكيلين على الآخر ولو بحبة أو حبات وكذلك التفاضل فى الميزان قد يحصل بشيء يسير لايمكن الاحتراز منه فقال تعالى (لانكلف نفسا الا وسعها) ولهذا كان القصاص مشروعا اذ أمكن استيفاؤه من غير جنف كالاقتصاص فى الجروح التي تنتهى الي عظم وفى الاعضاء التى تنتهى الى مفصل فاذا كان الجنف واقعا فى الاستيفاء عدل الى بدله وهو الدية لانه أشبه بالعدل من اتلاف زيادة فى المقتص منه وهذه حجة من رأي من الفقهاء انه لاقود الا بالسيف فى العنق قال لان القتل بغير السيف وفي غير العنق لانعلم فيه المماثلة بل قد يكون التحريق والتغريق والتوسيط ونحو ذلك أشد ايلاما لكن الذين قالوا يفعل به مثل مافعل قولهم اقرب الى العدل فانه مع تحرى التسوية بين الفعلين يكون العبد قد فعل مايقدر عليه من العدل وما حصل من تفاوت الالم خارج عن قدرته وأما اذا قطع يديه ورجليه ثم وسطه فقوبل ذلك بضرب عنقه بالسيف أو رض رأسه بين حجرين فضرب بالسيف فههنا قد تيقنا عدم المعادلة والمماثلة وكنا قد فعلنا ماتيقنا انتفاء المماثلة فيه وأنه يتعذر معه وجودها بخلاف الاول فان المماثلة قد تقع اذ التفاوت فيه غير متيقن وكذلك القصاص فى الضربة واللطمة ونحو ذلك عدل عنه طائفة من الفقهاء الى التعزير لعدم امكان المماثلة فيه والذى عليه الخلفاء الراشدون وغيرهم من الصحابة وهو منصوص أحمد ماجاءت به سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثبوت القصاص به لان ذلك أقرب الى العدل والمماثلة فانا اذا تحرينا أن نفعل به من جنس فعله ونقرب القدر من القدر كان هذا أمثل من أن نأتى بجنس من العقوبة تخالف عقوبته جنسا وقدرا وصفة وهذا النظر أيضا فى ضمان الحيوان والعقار ونحو ذلك بمثله تقريبا أو بالقيمة كما نص أحمد على ذلك فى مواضع ضمان الحيوان وغيره ونص

[1] ـ الأنعام ١٥٢

عليه الشافعي فيمن حرب حائط غيره أنه يبنيه كما كان وبهذا قضى سليمان عليه السلام فى حكومة الحرث التى حكم فيها هو وأبوه كما قد بين ذلك فى موضعه فجميع هذه الابواب المقصود للشريعة فيها تحري العدل بحسب الامكان وهو مقصود العلماء لكن أفهمهم من قال بما هو أشبه بالعدل فى نفس الامر وان كان كل منهم قد أوتى علما وحكما لانه هو الذى أنزل الله به الكتب وأرسل به الرسل وضده الظلم كما قال سبحانه « ياعبادى انى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا » ولما كان العدل لابد أن يتقدمه علم اذ من لا يعلم لا يدرى ما العدل والانسان ظالم جاهل الا من تاب الله عليه فصار عالما عادلا صار الناس من القضاة وغيرهم ثلاثة أصناف العالم العادل والجاهل والظالم فهذان من أهل النار كما قال النبي صلى الله عليه وسلم « القضاة ثلاثة قاضيان فى النار وقاض في الجنة رجل علم الحق وقضي به فهو فى الجنة ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار ورجل علم الحق وقضى بخلافه فهو فى النار » فهذان القسمان كما قال من قال فى القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ ومن قال فى القرآن برأيه فاخطأ فليتبوأ مقعده من النار وكل من حكم بين اثنين فهو قاض سواء كان صاحب حرب أو متولى ديوان أو منتصبا للاحتساب بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر حتى الذي يحكم بين الصبيان فى الخطوط فان الصحابة كانوا يعدونه من الحكام ولما كان الحكام مأمورين بالعدل بالعلم وكان المفروض انما هو بما يبلغه جهد الرجل قال النبي صلى الله عليه وسلم « اذا اجتهد الحاكم فاصاب فله أجران واذا اجتهد فاخطأ فله أجر »

﴿ فصل ﴾

فلما ذكر فى أول الحديث ماأوجبه من العدل وحرمه من الظلم على نفسه وعلى عباده ذكر بعد ذلك احسانه الى عباده مع غناه عنهم وفقرهم اليه وانهم لا يقدرون على جلب منفعة لانفسهم ولا دفع مضرة الا أن يكون هو الميسر لذلك وأمر العباد ان يسألوه ذلك وأخبر انهم لا يقدرون على نفعه ولا ضره مع عظم من يوصل اليهم

من النعماء ويدفع عنهم من البلاء وجلب المنفعة ودفع المضرة اما ان يكون فى الدين أو فى الدنيا ٭

فصارت أربعة أقسام الهداية والمغفرة وهما جلب المنفعة ودفع المضرة فى الدين والطعام والكسوة وهما جلب المنفعة ودفع المضرة فى الدنيا وان شئت قلت الهداية والمغفرة يتعلقان بالقلب الذى هو ملاك البدن وهو الاصل فى الاعمال الارادية والطعام والكسوة يتعلقان بالبدن الطعام لجلب المنفعة واللباس لدفع المضرة وفتح الامر بالهداية فانها وان كانت الهداية النافعة هى المتعلقة بالدين فكل أعمال الناس تابعة لهدي الله اياهم كما قال سبحانه (سبح اسم ربك الاعلى الذى خلق فسوى والذي قدر فهدى)[1] وقال موسى (ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدي)[2] وقال تعالى (وهديناه النجدين)[3] وقال (انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا)[4] ولهذا قيل الهدى أربعة أقسام أحدها الهداية الى مصالح الدنيا فهذا مشترك بين الحيوان الناطق والاعجم و بين المؤمن والكافر والثانى الهدى بمعنى دعاء الخلق الى ماينفعهم وأمرهم بذلك وهو نصب الادلة وارسال الرسل وانزال الكتب فهذا أيضا يشترك فيه جميع المكلفين سواء آمنوا أو كفروا كما قال تعالى (وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى)[5] وقال تعالى (انما أنت منذر ولكل قوم هاد)[6] وقال تعالي (وانك لتهدى الى صراط مستقيم)[7] فهذا مع قوله (انك لاتهدى من أحببت)[8] يبين أن الهدى الذى أثبته هو البيان والدعاء والامر والنهى والتعليم ومايتبع ذلك ليس هو الهدى الذى نفاه وهو القسم الثالث الذى لايقدر عليه الا الله والقسم الثالث الهدى الذي هو جعل الهدى فى القلوب وهو الذي يسميه بعضهم بالالهام والارشاد و بعضهم يقول هو خلق القدرة على الايمان كالتوفيق عندهم ونحو ذلك وهو بناء على أن الاستطاعة لاتكون الا مع الفعل فمن قال ذلك من أهل الاثبات جعل التوفيق والهدى ونحو ذلك خلق القدرة على الطاعة وأما من قال انهما استطاعتان احداهما قبل الفعل وهى الاستطاعة المشروطة فى التكليف كما قال تعالى (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا)[9] وقال النبي

[1] ـ الأعلى ١ ـ ٣
[2] ـ طه ٥٠
[3] ـ البلد ١٠
[4] ـ الانسان ٣
[5] ـ فصلت ١٧
[6] ـ الرعد ٧
[7] ـ الشورى ٥٢
[8] ـ القصص ٥٦
[9] ـ آل عمران ٩٧

صلى الله عليه وسلم لعمران بن حصين «صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب» وهذه الاستطاعة يقترن بها الفعل تارة والترك أخرى وهى الاستطاعة التى لم تعرف القدرية غيرها كما أن أولئك المخالفين لهم من أهل الاثبات لم يعرفوا الا المقارنة وأما الذى عليه المحققون من أئمة الفقه والحديث والكلام وغيرهم فاثبات النوعين جميعا كما بسطناه فى غير هذا الموضع فان الادلة الشرعية والعقلية تثبت النوعين جميعا والثانية المقارنة للفعل وهي الموجبة له وهى المنفية عمن لم يفعل فى مثل قوله (ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون)[1] وفى قوله (لا يستطيعون سمعا)[2] وهذا الهدى الذى يكثر ذكره في القرآن فى مثل قوله (اهدنا الصراط المستقيم)[3] وقوله (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا)[4] وفى قوله (من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا) وأمثال ذلك وهذا هو الذى تنكر القدرية ان يكون الله هو الفاعل له ويزعمون أن العبد هو الذي يهدى نفسه وهذا الحديث وأمثاله حجة عليهم حيث قال «ياعبادى كلكم ضال الا من هديته فاستهدوني أهدكم» فأمر العباد بأن يسألوه الهداية كما أمرهم بذلك في أم الكتاب فى قوله (اهدنا الصراط المستقيم) وعند القدرية ان الله لا يقدر من الهدى الا على مافعله من ارسال الرسل ونصب الادلة وازاحة العلة ولا مزية عندهم للمؤمن على الكافر فى هداية الله تعالى ولا نعمة له على المؤمن اعظم من نعمته على الكافر فى باب الهدى وقد بين الاختصاص فى هذه بعد عموم الدعوة فى قوله (والله يدعو الى دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم)[6] فقد جمع الحديث تنزيهه عن الظلم الذى يجوزه عليه بعض المثبتة وبيان انه هو الذى يهدى عباده رداً على القدرية فأخبر هناك بعدله الذى ينكره بعض المثبتة واخبر هنا باحسانه وقدرته الذى تنكره القدرية وان كان كل منهما قصده تعظيما لا يعرف مااشتمل عليه قوله

والقسم الرابع الهدى فى الآخرة كما قال تعالى (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد)[7]

١ - هود ٢٠
٢ - الكهف ١٠١
٣ ٣ - الفاتحة ٥
٤ - الأنعام ١٢٥
٦ - يونس ٢٥
٧ - الحج ٢٣ - ٢٤

وقال (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجري من تحتهم الانهار في جنات نعيم)[١] فقوله يهديهم ربهم بايمانهم كقوله (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء)[٢] على أحد القولين في الآية وهذا الهدى ثواب الاهتداء في الدنيا كما أن ضلال الآخرة جزاء ضلال الدنيا وكما أن قصد الشر في الدنيا جزاؤه الهدى الى طريق النار كما قال تعالى (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم)[٣] وقال (ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا)[٤] وقال (فاما يأتينكم مني هدي فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى)[٥] وقال (من يهدي الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما)[٦] الآية فاخبر أن الضالين في الدنيا يحشرون يوم القيامة عميا وبكما وصما فان الجزاء أبداً من جنس العمل كما قال صلى الله عليه وسلم « الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء » وقال « من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل له الله به طريقا الى الجنة ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه » وقال « من سئل عن علم يعلمه فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار » وقد قال تعالى (وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم)[٧] وقال (ان تبدوا خيرا أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فان الله كان عفوا قديرا)[٨] وأمثال هذا كثير في الكتاب والسنة ولهذا أيضا يجزى الرجل في الدنيا على ما فعله من خير الهدى بما يفتح عليه من هدي آخر ولهذا قيل من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وقد قال تعالى (ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا الى قوله مستقيما)[٩] وقال (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام)[١٠] وقال (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم)[١١]

[١] ـ يونس ٩
[٢] ـ الطور ٢١
[٣] ـ الصافات ٢٢
[٤] ـ الاسراء ٧٢
[٥] ـ طه ١٢٣ ـ ١٢٦
[٦] ـ الاسراء ٩٧
[٧] ـ النور ٢٢
[٨] ـ النساء ١٤٩
[٩] ـ النساء ٦٦ ـ ٦٨
[١٠] ـ المائدة ١٦
[١١] ـ الحديد ٢٨

وقال (ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا)[١] فسروه بالنصر والنجاة كقوله (يوم الفرقان)[٢] وقد قيل نور يفرق به بين الحق والباطل ومثله قوله (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب)[٣] وعد المتقين بالمخارج من الضيق ويرزق المنافع ومن هذا الباب قوله (والذين اهتدوا زادهم هدي وآتاهم تقواهم)[٤] وقوله (انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى)[٥] ومنه قوله (انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا)[٦] وبازاء ذلك ان الضلال والمعاصى تكون بسبب الذنوب المتقدمة كما قال الله (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم وقالوا قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم)[٧] وقال (فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية)[٨] وقال (وأقسموا بالله جهد أيمانهم)[١٠] الى قوله (لايؤمنون) الى قوله (يعمهون) وهذا باب واسع ولهذا قال من قال من السلف ان من ثواب الحسنة الحسنة بعدها وأن من عقوبة السيئة السيئة بعدها وقدشاع في لسان العامة ان قوله (اتقوا الله ويعلمكم الله) من الباب الأول حيث يستدلون بذلك على أن التقوي سبب تعليم الله وأكثر الفضلاء يطعنون فى هذه الدلالة لانه لم يربط الفعل الثانى بالاول ربط الجزاء بالشرط فلم يقل واتقوا الله ويعلمكم ولا قال فيعلمكم وانما أتى بواو العطف وليس من العطف مايقتضى ان الاول سبب الثاني وقد يقال العطف قد يتضمن معنى الاقتران والتلازم كما يقال زرني وازورك وسلم علينا ونسلم عليك ونحو ذلك مما يقتضى اقتران الفعلين والتعاوض من الطرفين كما لو قال لسيده اعتقنى ولك على ألف أوقالت المرأة لزوجها طلقنى ولك ألف أو اخلعنى ولك ألف فان ذلك بمنزلة قولها بألف أو على ألف وكذلك أيضا لو قال أنت حر وعليك ألف أو أنت طالق وعليك ألف فانه كقوله على ألف أو بالف عند جهور الفقهاء والفرق بينهما قول شاذ ويقول أحد المتعاوضين للآخر أعطيك هذا وآخذ هذا ونحو ذلك من العبارات فيقول الآخر نعم وان لم يكن أحدهما هو السبب الاخر دون العكس فقوله واتقوا الله ويعلمكم الله قد يكون من هذا الباب فكل من تعليم الرب وتقوى العبد يقارب الآخر ويلازمه ويقتضيه فمتى علمه الله العلم النافع اقترن به التقوي بحسب ذلك ومتي اتقاه زاده من العلم وهلم جرا

١ ـ الانفال ٢٩
٢ ـ الانفال ٤١
٣ ـ الطلاق ٢
٤ ـ محمد ١٧
٥ ـ الكهف ١٣
٦ ـ الفتح ١ ـ ٣
٧ ـ الصف ٥
٨ ـ النساء ١٥٥
٩ ـ المائدة ١٣
١٠ ـ الأنعام ١٠٩

﴿ فصل ﴾

واما قوله « ياعبادي كلكم جائع الا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم وكلكم عار الا من كسوته فاستكسوني أكسكم » . فيقتضي أصلين عظيمين أحدهما وجوب التوكل على الله في الرزق المتضمن جلب المنفعة كالطعام ودفع المضرة كاللباس وانه لايقدر غير الله على الأطعام والكسوة قدرة مطلقة وانما القدرة التي تحصل لبعض العباد تكون على بعض أسباب ذلك ولهذا قال (وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف)[1] وقال (ولاتؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم)[2]. فالمأمور به هو المقدور للعباد وكذلك قوله (أو اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة)[3] وقوله (واطعموا القانع والمعتر)[4] وقوله (فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير)[5] وقال (واذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه)[6] . فذم من يترك المأمور به اكتفاء بما يجري به القدر ومن هنا يعرف ان السبب المأمور به أو المباح لاينافي وجوب التوكل على الله في وجود السبب بل الحاجة والفقر الى الله ثابتة مع فعل السبب اذ ليس في المخلوقات ماهو وحده سبب تام لحصول المطلوب ولهذا لايجب ان تقترن الحوادث بما قد يجعل سببا الا بمشيئة الله تعالى فانه ما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن فمن ظن الاستغناء بالسبب عن التوكل فقد ترك ما أوجب الله عليه من التوكل وأخل بواجب التوحيد ولهذا يخذل أمثال هؤلاء اذا اعتمدوا على الاسباب فمن رجا نصراً أو رزقا من غير الله خذله الله كما قال علي رضي الله عنه « لايرجون عبد الا ربه ولا يخافن الا ذنبه » وقد قال تعالى (مايفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم)[7] وقال تعالى (وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده)[8] وقال (قل أرأيتم ماتدعون من دون الله ان أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون)[9] . وهذا كما ان من أخذ يدخل في التوكل تاركا لما أمر به

١ ـ البقرة ٢٣٣
٢ ـ النساء ٥
٣ ـ البلد ١٤ ـ ١٦
٤ ـ الحج ٣٦
٥ ـ الحج ٢٨
٦ ـ يس ٤٧
٧ ـ فاطر ٢
٨ ـ هود ١٠٧
٩ ـ الزمر ٣٨

من الاسباب فهو أيضا جاهل ظالم عاص لله بترك ماأمره فان فعل المأمور به عبادة الله وقد قال تعالى (فاعبده وتوكل عليه)[١] وقال (إياك نعبد وإياك نستعين)[٢] وقال (قل هو ربي لااله الاهو عليه توكلت واليه متاب)[٣] وقال شعيب عليه السلام (عليه توكلت واليه أنيب)[٤] وقال (وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله ذلكم الله ربي عليه توكلت واليه أنيب)[٥] وقال (قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتي تؤمنوا بالله وحده الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير)[٦] فليس من فعل شيئا أمر به وترك ماأمر به من التوكل بأعظم ذنبا ممن فعل توكلا ماأمر به وترك فعل ماأمر به من السبب اذ كلاهما مخل ببعض ماوجب عليه وهما مع اشتراكهما فى جنس الذنب فقد يكون هذا ألوم وقد يكون الآخر مع أن التوكل فى الحقيقة من جملة الاسباب وقد روي أبو داود فى سننه أن النبي صلى الله عليه وسلم « قضى بين رجلين فقال المقضى عليه حسبي الله ونعم الوكيل فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يلوم على العجز ولكن عليك بالكيس فان غلبك أمر فقل حسبي الله ونعم الوكيل » وفى صحيح مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير أحرص على ماينفعك واستعن بالله ولا تعجز فان أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت لكان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فان اللوم يفتح عمل الشيطان » ففي قوله صلى الله عليه وسلم « احرص على ماينفعك واستعن بالله ولا تعجز » أمر بالتسبب المأمور به وهو الحرص على المنافع وأمر مع ذلك بالتوكل وهو الاستعانة بالله فمن اكتفى بأحدهما فقد عصى أحد الامرين ونهى عن العجز الذي هو ضد الكيس كما قال فى الحديث الآخر « ان الله يلوم على العجز ولكن عليك بالكيس » وكما فى الحديث الشامي « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله » فالعاجز فى الحديث مقابل الكيس ومن قال العاجز الذي هو مقابل البر فقد حرف

١ ـ هود ١٢٣
٢ ـ الفاتحة ٤
٣ ـ الرعد ٣٠
٤ ـ هود ٨٨
٥ ـ الشورى ١٠
٦ ـ الممتحنة ٤

الحديث ولم يفهم معناه ومنه الحديث « كل شيء بقدر حتى العجز والكيس »ومن ذلك ماروى البخاري في صحيحه عن ابن عباس قال « كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون يقولون نحن المتوكلون فاذا قدموا سألوا الناس فقال الله تعالى (وتزودوا فان خير الزاد التقوى)[١] فمن فعل ماأمر به من التزود فاستعان به على طاعة الله وأحسن منه الى من يكون محتاجا كان مطيعا لله في هذين الامرين بخلاف من ترك ذلك متلفتا الى ازواد الحجيج كلا على الناس وان كان مع هذا قلبه غير ملتفت الى معين فهو ملتفت الى الجملة لكن ان كان المتزود غير قائم بما يجب عليه من التوكل على الله ومواساة المحتاج فقد يكون في تركه لما أمر به من جنس هذا التارك للتزود المأمور به وفي هذه النصوص بيان غلط طوائف طائفة تضعف أمر السبب المأمور به فتعده نقصا أو قدحا في التوحيد والتوكل وان تركه من كمال التوكل والتوحيد وهم في ذلك ملبوس عليهم وقد يقترن بالغلط اتباع الهوى في اخلاد النفس الى البطالة ولهذا تجد عامة هذا الضرب التاركين لما أمروا به من الاسباب يتعلقون باسباب دون ذلك فاما ان يعلقوا قلوبهم بالخلق رغبة ورهبة واما أن يتركوا لاجل ماتبتلوا له من الغلو في التوكل واجبات أو مستحبات انفع لهم من ذلك كمن يصرف همته في توكله الى شفاء مرضه بلا دواء أو نيل رزقه بلاسعي فقد يحصل ذلك لكن كان مباشرة الدواء الخفيف والسعي اليسير وصرف تلك الهمة والتوجه في عمل صالح انفع له بل قد يكون أوجب عليه من تبتله لهذا الامر اليسير الذي قدره درهم أو نحوه وفوق هؤلاء من يجعل التوكل والدعاء أيضا نقصا وانقطاعا عن الخاصة ظنا أن ملاحظة مافرغ منه في القدر هو حال الخاصة وقد قال في هذا الحديث « كلكم جائع الا من اطعمته فاستطعموني أطعمكم وقال فاستكسوني أكسكم » وفي الطبراني وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ليسئل احدكم ربه حاجته كلها حتى شسع نعله اذا انقطع فانه ان لم ييسره لم يتيسر » وهذا قد يلزمه أن يجعل أيضا استهداء الله وعمله بطاعته من ذلك. وقولهم يوجب دفع المأمور به مطلقا بل دفع المخلوق والمأمور وانما غلطوا من حيث ظنوا سبق التقدير يمنع ان يكون بالسبب المامور به كمن يتزندق فيترك

[١] - البقرة ١٩٧

الاعمال الواجبة بناء على ان القدر قد سبق باهل السعادة وأهل الشقاوة ولم يعلم ان القدر سبق بالامور علي ماهي عليه فمن قدره الله من اهل السعادة كان مما قدره الله بتيسيره لعمل اهل السعادة ومن قدره من اهل الشقاوة كان مماقدره انه ييسره لعمل أهل الشقاء كما قد أجاب النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا السؤال فى حديث علي بن ابى طالب وعمران بن حصين وسراقة بن جعشم وغيرهم ومنه حديث الترمذى حدثنا ابن عمر حدثنا سفيان عن الزهرى عن أبى خزامة عن أبيه قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله أرأيت أدوية نتداوي بها ورقى نسترقى بها وتقاة نتقيها هل ترد من قدر الله شيئا «فقال هى من قدر الله» وطائفة تظن أن التوكل انما هو من مقامات الخاصة المتقربين الى الله بالنوافل وكذلك قولهم فى أعمال القلوب وتوابعها كالحب والرجاء والخوف والشكر ونحو ذلك وهذا ضلال مبين بل جميع هذه الامور فروض على الاعيان باتفاق أهل الايمان ومن تركها بالكلية فهو اما كافر واما منافق لكن الناس هم فيها كما هم فى الاعمال الظاهرة فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات ونصوص الكتاب والسنة طافحة بذلك وليس هؤلاء المعرضون عن هذه الامور علما وعملا بأقل لوما من التاركين لما أمروا به من أعمال ظاهرة مع تلبسهم ببعض هذه الاعمال بل استحقاق الذم والعقاب يتوجه الى من ترك المأمور من الامور الباطنة والظاهرة وان كانت الامور الباطنة مبتدا الامور الظاهرة وأصولها والامور الظاهرة كمالها وفروعها التى لاتتم الا بها ٭

فصل

وأما قوله «ياعبادى انكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا» وفى رواية «وأنا أغفر الذنوب ولاأبالى فاستغفرونى أغفر لكم» فالمغفرة العامة لجميع الذنوب نوعان أحدهما المغفرة لمن تاب كما فى قوله تعالى (قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله) الى قوله (ثم لاتنصرون فهذا) السياق مع سبب نزول الآية يبين أن المعنى لاييأس مذنب من مغفرة الله ولوكانت ذنوبه

١ - الزمر ٥٣

ما كانت فان الله سبحانه لايتعاظمه ذنب أن يغفره لعبده التائب وقد دخل فى هذا العموم الشرك وغيره من الذنوب فان الله تعالى يغفر ذلك لمن تاب منه قال تعالى (فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين)[١] الى قوله (فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتو الزكاة فخلوا سبيلهم)[٢] وقال فى الآية الاخرى (فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم فى الدين)[٣] وقال (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة)[٤] الى قوله (أفلايتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم)[٥] وهذا القول الجامع بالمغفرة لكل ذنب للتائب منه كما دل عليه القرآن والحديث هو الصواب عند جماهير أهل العلم وان كان من الناس من يستثنى بعض الذنوب كقول بعضهم ان توبة الداعية الى البدع لاتقبل باطنا للحديث الاسرائيلى الذى فيه فكيف من أضللت وهذا غلط فان الله قد بين فى كتابه وسنة رسوله أنه يتوب على أئمة الكفر الذين هم أعظم من أئمة البدع وقد قال تعالى (ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق)[٦] قال الحسن البصرى انظروا الى هذا الكرم عذبوا أولياءه وفتنوهم ثم هو يدعوهم الى التوبة وكذلك توبة القاتل ونحوه وحديث أبي سعيد المتفق عليه فى الذى قتل تسعة وتسعين نفساً يدل على قبول توبته وليس فى الكتاب والسنة ماينافي ذلك ولا نصوص الوعيد فيه وفى غيره من الكبائر بمنافية لنصوص قبول التوبة فليست آية الفرقان بمنسوخة بآية النساء اذ لامنافاة بينهما فانه قد علم يقينا أن كل ذنب فيه وعيد فان لحوق الوعيد مشروط بعدم التوبة اذ نصوص التوبة مبينة لتلك النصوص كالوعيد فى الشرك وأكل الربا وأكل مال اليتيم والسحر وغير ذلك من الذنوب ومن قال من العلماء توبته غير مقبولة فحقيقة قوله التي تلائم أصول الشريعة أن يراد بذلك أن التوبة المجردة تسقط حق الله من العقاب وأما حق المظلوم فلا يسقط بمجرد التوبة وهذا حق ولا فرق فى ذلك بين القاتل وسائر الظالمين فمن تاب من ظلم لم يسقط بتوبته حق المظلوم لكن من تمام توبته أن يعوضه بمثل مظلمته وان لم يعوضه في الدنيا فلا بد له من العوض فى الآخرة فينبغى للظالم التائب أن يستكثر من الحسنات

١ - التوبة ٥
٢ - التوبة ٥
٣ - التوبة ١١
٤ - المائدة ٧٣
٥ - المائدة ٧٤
٦ - البروج ١٠

حتي اذا استوفى المظلومون حقوقهم لم يبق مفلسا ومع هذا فاذا شاء الله أن يعوض المظلوم من عنده فلا راد لفضله كما اذا شاء أن يغفر مادون الشرك لمن يشاء ولهذا في حديث القصاص الذى ركب فيه جابر بن عبد الله الي عبد الله بن أنيس شهرا حتي شافهه به وقد رواه الامام احمد وغيره واستشهد به البخارى فى صحيحه وهو من جنس حديث الترمذى صحاحه أو حسانه قال فيه « اذا كان يوم القيامة فان الله يجمع الخلائق فى صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب انا الملك انا الديان لاينبغي لاحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولا لاحد من أهل النار قبله مظلمة ولا ينبغي لاحد من أهل النار أن يدخل النار ولا لاحد من اهل الجنة حتي أقصه منه » فبين فى الحديث العدل والقصاص بين أهل الجنة وأهل النار . وفى صحيح مسلم من حديث أبي سعيد « أن أهل الجنة اذا عبروا الصراط وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض فاذا هذبوا ونقوا أذن لهم فى دخول الجنة » وقد قال سبحانه لما قال (ولا يغتب بعضكم بعضا). والاغتياب من ظلم الاعراض قال (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم)[1]. فقد نبههم على التوبة من الاغتياب وهو من الظلم وفى الحديث الصحيح « من كان عنده لاخيه مظلمة فى دم أو مال أو عرض فليأته فليستحل منه قبل أن يأتي يوم ليس فيه درهم ولا دينار الا الحسنات والسيئات فان كان له حسنات والا أخذ من سيئات صاحبه فطرحت عليه ثم يلقى فى النار » أو كما قال وهذا فيما علمه المظلوم من العوض فاما اذا اغتابه أو قذفه ولم يعلم بذلك فقد قيل من شرط توبته اعلامه وقيل لايشترط ذاك وهذا قول الاكثرين وهما روايتان عن أحمد لكن قوله مثل هذا أن يفعل مع المظلوم حسنات كالدعاء له والاستغفار وعمل صالح يهدي اليه يقوم مقام اغتيابه وقذفه قال الحسن البصري كفارة الغيبة أن تستغفر لمن اغتبته وأما الذنوب التي يطلق الفقهاء فيها نفى قبول التوبة مثل قول أكثرهم لاتقبل توبة الزنديق وهو المنافق وقولهم اذا تاب المحارب قبل القدرة عليه تسقط عنه حدود الله وكذلك قول كثير منهم أو أكثرهم فى سائر الجرائم كما هو أحد

[1] ـ الحجرات ١٢

قولى الشافعى وأصح الروايتين عن أحمد وقولهم فى هؤلاء اذا تابوا بعد الرفع الى الامام لم تقبل توبتهم فهذا انما يريدون به رفع العقوبة المشروعة عنهم أى لاتقبل توبتهم بحيث يخلى بلا عقوبة بل يعاقب اما لان توبته غير معلومة الصحة بل يظن به الكذب فيها واما لان رفع العقوبة بذلك يفضى الى انتهاك المحارم وسد باب العقوبة على الجرائم ولا يريدون بذلك أن من تاب من هؤلاء توبة صحيحة فان الله لايقبل توبته فى الباطن اذ ليس هذا قول أحد من أئمة الفقهاء بل هذه التوبة لاتمنع الا اذا عاين أمر الآخرة كما قال تعالى (انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال انى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار)[١] الآية قال أبو العالية سألت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقالوا لى كل من عصى الله فهو جاهل وكل من تاب قبل الموت فقد تاب من قريب وأما من تاب عند معاينة الموت فهذا كفرعون الذي قال الله فيه (فلما أدركه الغرق قال آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين)[٢] قال الله (آلان وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين)[٣] وهذا استفهام انكار بين به ان هذه التوبة ليست هى التوبة المقبولة المأمور بها فان استفهام الانكار اما بمعنى النفى اذ قابل الاخبار واما بمعنى الذم والنهى اذ قابل الانشاء وهذا من هذا ومثله قوله تعالى (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا)[٤] . الآية بين ان التوبة بعد رؤية البأس لاتنفع وان هذه سنة الله التى قد خلت فى عباده كفرعون وغيره وفى الحديث «ان الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر» وروى مالم يعاين وقد ثبت فى الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم « عرض على عمه التوحيد فى مرضه الذى مات فيه وقد عاد يهوديا كان يخدمه فعرض عليه الاسلام فاسلم فقال الحمد لله الذى أنقذه بى من النار ثم قال لاصحابه آووا اخاكم» ومما يبين أن المغفرة العامة فى الزمر هى للتائبين انه قال فى سورة النساء (ان الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون

١ ـ النساء ١٧ ـ ١٨
٢ ـ يونس ٩٠
٣ ـ يونس ٩١
٤ ـ غافر ٨٣ ـ ٨٥

ذلك لمن يشاء)[١] فقيد المغفرة بما دون الشرك وعلقها على المشيئة وهناك أطلق وعمم فدل هذا التقييد والتعليق على أن هذا فى حق غير التائب ولهذا استدل أهل السنة بهذه الآية على جواز المغفرة لاهل الكبائر فى الجملة خلافا لمن أوجب نفوذ الوعيد بهم من الخوارج والمعتزلة وان كان المخالفون لهم قد أسرف فريق منهم من المرجئة حتى توقفوا فى لحقوق الوعيد باحد من أهل القبلة كما يذكر عن غلاتهم انهم نفوه مطلقا ودين الله وسط بين الغالى فيه والجافى عنه ونصوص الكتاب والسنة مع اتفاق سلف الامة وأئمتها متطابقة على أن من أهل الكبائر من يعذب وانه لا يبقى فى النار من في قلبه مثقال ذرة من ايمان . النوع الثانى من المغفرة العامة التى دل عليها قوله «ياعبادي انكم تخطؤن بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا» المغفرة بمعنى تخفيف العذاب أو بمعنى تأخيره الى أجل مسمى وهذا عام مطلقا ولهذا شفع النبي صلى الله عليه وسلم فى أبى طالب مع موته على الشرك فنقل من غمرة من نار حتى جعل ضحضاح من نار فى قدميه نعلان من نار يغلي منهما دماغه قال ولولا أنا لكان فى الدرك الاسفل من النار ، وعلى هذا المعنى دل قوله سبحانه (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ماترك على ظهرها من دابة)[٢] (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ماترك عليها من دابة)[٣] (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير)[٤] *

فصل

وأما قوله عز وجل «ياعبادى انكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى» فانه هو بين بذلك انه ليس هو فيما يحسن به اليهم من اجابة الدعوات وغفران الزلات بالمستعيض بذلك منهم جلب منفعة أو دفع مضرة كما هى عادة المخلوق الذي يعطي غيره نفعا ليكافئه عليه بنفع أو يدفع عنه ضررا ليتقى بذلك ضرره فقال انكم لن تبلغوا نفعى فتنفعونى ولن تبلغوا ضري فتضرونى فلست اذاً أجسكم بهداية المستهدي وكفاية المستكفى المستطعم والمستكسى بالذى أطلب

١ ـ النساء ٤٨ ، ٦...
٢ ـ فاطر ٤٥
٣ ـ النحل ٦١
٤ ـ الشورى ٣٠

ان تنفعونى ولا أنا اذا غفرت خطايا كم بالليـل والنهار أنتى بذلك أن تضروني فانكم لن تبلغوا نفعى فتنفعونى ولن تبلغوا ضري فتضرونى اذهم عاجزون عن ذلك بل مايقدرون عليه من الفعل لايقدرون عليه الا بتقديره وتدبيره فكيف بما لايقدرون عليه فكيف بالغني الصمد الذى يمتنع عليه أن يستحق من غيره نفعا أو ضرا وهذا الـكلام كما بين أن مايفعله بهم من جلب المنافع ودفع المضار فانهم لن يبلغوا ان يفعلوا به مثل ذلك فـكذلك يتضمن ان مايامرهم به من الطاعات وما ينهاهم عنه من السيئات فانه لا يتضمن استجلاب نفعهم كامر السيد لعبده أو الوالد لولده والامير لرعيته ونحو ذلك ولا دفع مضرتهم كنهي هؤلاء أو غيرهم لبعض الناس عن مضرتهم فان المخلوقين يبلغ بعضهم نفع بعض ومضرة بعض وكانوا فى أمرهم ونهيهم قد يكونون كذلك والخالق سبحانه مقدس عن ذلك فبين تنزيهه عن لحوق نفعهم وضرهم فى احسانه اليهم بما يكون من أفعاله بهم وأوامره لهم قال قتادة ان الله لم يامر العباد بما أمرهم به لحاجته اليهم ولا نهاهم عما نهاهم عنه بخلا به عليهم ولـكن أمرهم بما فيه صلاحهم ونهاهم عما فيه فسادهم *

فصل

ولهذا ذكر هذين الاصلين بعد هذا فذكر أن برهم وفجورهم الذي هو طاعتهم ومعصيتهم لايزيد فى ملـكه ولا ينقص وان اعطاءه اياهم غاية مايسألونه نسبته الى ماعنده أدنى نسبة وهذا بخلاف الملوك وغيرهم ممن يزداد ملـكه بطاعة الرعية وينقص ملكه بالمعصية واذا أعطى الناس مايسألونه أنفذ ماعنده ولم يغنهم وهم فى ذلك يبلغون مضرته ومنفعته وهو يفعل مايفعله من احسان وعفو وأمر ونهى لرجاء المنفعة وخوف المضرة فقال ياعبادى لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل منكم مازاد ذلك فى ملـكى شيئا ياعبادى لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم مانقص ذلك من ملكى شيئا اذ ملـكه وهو قدرته على التصرف فلا تزداد بطاعتهم ولا تنقص بمعصيتهم

كما تزداد قدرة الملوك بكثرة المطيعين لهم وتنقص بقلة المطيعين لهم فان ملكه متعلق بنفسه وهو خالق كل شيء وربه ومليكه وهو الذي يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء والملك قد يراد به القدرة علي التصرف والتدبير و يراد به نفس التدبير والتصرف ويراد به المملوك نفسه الذى هو محل التدبير ويراد به ذلك كله وبكل حال فليس بر الابرار وفجور الفجار موجبا لزيادة شيء من ذلك ولا نقصه بل هو بمشيئته وقدرته يخلق مايشاء فلوشاء أن يخلق مع فجور الفجار ماشاء لم يمنعه من ذلك مانع كما يمنع الملوك فجور رعاياهم التى تعارض أوامرهم عما يختارونه من ذلك ولو شاء ان لايخلق مع بر الابرار شيئا مما خلقه لم يكن برهم محوجا له الى ذلك ولا معينا له كما يحتاج الملوك ويستعينون بكثرة الرعايا المطيعين *

فصل

ثم ذكر حالهم فى النوعين سؤال بره وطاعة أمره اللذين ذكرهما فى الحديث حيث ذكر الاستهداء والاستطعام والاستكساء وذكر الغفران والبر والفجور فقال لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا فى صعيد واحد فسألونى فأعطيت كل انسان منهم مسألته مانقص ذلك مما عندى الا كما ينقص المخيط اذا دخل البحر *

والخياط والمخيط مايخاط به اذ الفعال والمفعل والمفعال من صيغ الآلات التى يفعل بها كالمسعر والحلاب والميشار *

فبين أن جميع الخلائق اذا سألوا وهم فى مكان واحد وزمان واحد فأعطى كل انسان منهم مسألته لم ينقصه ذلك مما عنده الا كما ينقص الخياط وهى الابرة اذا غمس فى البحر. وقوله لم ينقص مما عندى فيه قولان أحدهما أنه يدل على أن عنده أمورا موجودة يعطيهم منها ماسألوه اياه وعلى هذا فيقال لفظ النقص على حاله لان الاعطاء من الكثير وان كان قليلا فلا بد أن ينقصه شيئا ما ومن رواه لم ينقص من ملكى يحمل على ماعنده كما فى هذا اللفظ فان قوله مما عندى فيه

تخصيص ليس هو فى قوله من ملكي وقد يقال المعطى اما ان يكون أعيانا قائمة بنفسها أو صفات قائمة بغيرها فأما الاعيان فقد تنقل من محل الى محل فيظهر النقص فى المحل الاول وأما الصفات فلا تنقل من محلها وان وجد نظيرهافى محل آخر كما يوجد نظير علم المعلم في قلب المتعلم من غير زوال علم المعلم وكمايتكلم المتكلم بكلام المتكلم قبله من غير انتقال كلام المتكلم الاول الى الثانى وعلى هذا فالصفات لاتنقص مما عنده شيئا وهى من المسئول كالهدي وقد يجاب عن هذا بانه هو من الممكن فى بعض الصفات ان لايثبت مثلها فى المحل الثانى حتى تزول عن الاول كاللون الذى ينقص وكالروائح التى تعبق بمكان وتزول كما دعا النبي صلى الله عليه وسلم على حمى المدينة أن تنقل الى مهيعة وهى الجحفة وهل مثل هذا الانتقال بانتقال عين العرض الاول أو بوجود مثله من غير انتقال عينه فيه للناس قولان اذ منهم من يجوز انتقال الاعراض بل من يجوز أن تجعل الاعراض أعيانا كما هو قول ضرار والنجار وأصحابهما كبرغوث وحفص الفرد لـكن ان قيل هو بوجود مثله من غير انتقال عينه فذلك يكون مع استحالة العرض الأول وفنائه فيعدم عن ذلك المحل ويوجد مثله فى المحل الثانى والقول الثانى أن لفظ النقص هنا كلفظ النقص فى حديث موسى والخضر الذى فى الصحيحين من حديث ابن عباس عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه أن الخضر قال لموسى لما وقع عصفور على قارب السفينة فنقر فى البحر فقال ياموسى مانقص علمى وعلمك من علم الله الا كما نقص هذا العصفور من هذا البحر ومن المعلوم ان نفس علم الله القائم بنفسه لايزول منه شيء بتعلم العباد وانما المقصود أن نسبة علمى وعلمك الى علم الله كنسبة ماعلق بمنقار العصفور الى البحر ومن هذا الباب كون العلم يورث كقوله العلماء ورثة الانبياء ومنه قوله (وورث سليمان داود)[1] ومنه توريث الـكتاب أيضا كقوله(ثم أورثنا الـكتاب الذين اصطفينا من عبادنا)[2] ومثل هذه العبارة من النقص ونحوه تستعمل فى هذا وان كان العلم الاول ثابتا كما قال سعيد بن المسيب لقتادة وقد أقام عنده أسبوعا سأله فيه مسائل عظيمة حتى عجب من حفظه وقال نزفتني ياأعمى وانزاف القليب ونحوه هو رفع مافيه

١ ـ النمل ١٦
٢ ـ فاطر ٣٢

بحيث لا يبقى فيه شيء ومعلوم أن قتادة لو تعلم جميع علم سعيد لم يزل علمه من قلبه كما يزول الماء من القليب لكن قد يقال التعليم انما يكون بالكلام والكلام يحتاج الى حركة وغيرها مما يكون بالمحل ويزول عنه ولهذا يوصف بأنه يخرج من المتكلم كما قال تعالى (كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون الا كذبا)[1] ويقال قد أخرج العالم هذا الحديث ولم يخرج هذا فاذا كان تعليم العلم بالكلام المستلزم زوال بعض ما يقوم بالمحل وهذا نزيف وخروج كان كلام سعيد بن المسيب على حقيقته ومضمونه أنه فى تلك السبع الليالى من كثرة ما أجابه وكلمه ففارقه أمور قامت به من حركات وأصوات بل ومن صفات قائمة بالنفس كان ذلك نزيفا ومما يقوى هذا المعنى أن الانسان وان كان علمه فى نفسه فليس هو أمرا لازما للنفس لزوم الألوان للمتلونات بل قد يذهل الانسان عنه ويغفل وقد ينساه ثم يذكره فهو شيء يحضر تارة ويغيب أخرى واذا تكلم به الانسان وعلمه فقد تكل النفس وتعيي حتى لا يقوى على استحضاره الا بعد مدة فتكون فى تلك الحال خالية عن كمال تحققه واستحضاره الذى يكون به العالم عالما بالفعل وان لم يكن نفس ما زال هو بعينه القائم فى نفس السائل والمستمع ومن قال هذا يقول كون التعليم يرسخ العلم من وجه لا ينافى ما ذكرناه واذا كان مثل هذا النقص والنزيف معقولا فى علم العباد كان استعمال لفظ النقص في علم الله بناء على اللغة المعتادة فى مثل ذلك وان كان هو سبحانه منزها عن اتصافه بضد العلم بوجه من الوجوه أو عن زوال علمه عنه لكن فى قيام أفعال به وحركات نزاع بين الناس من المسلمين وغيرهم وتحقيق الأمر أن المراد ما أخذ علمي وعلمك من علم الله وما نال علمي وعلمك من علم الله وما أحاط علمي وعلمك من علم الله كما قال (ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء)[2] الا كما نقص أو أخذ أو نال هذا العصفور من هذا البحر أى نسبة هذا الى هذا كنسبة هذا الى هذا وان كان المشبه به جسما ينتقل من محل الى محل ويزول عن المحل الاول وليس المشبه كذلك فان هذا الفرق هو فرق ظاهر يعلمه المستمع من غير التباس كما قال صلى الله عليه وسلم «انكم سترون ربكم كما ترون الشمس والقمر» فشبه الرؤية بالرؤية وهى وان كانت متعلقة بالمرئى فى الرؤية المشبهة والرؤية المشبه بها

١ - الكهف ٥
٢ - البقرة ٢٥٥

لكن قد علم المستمعون أن المرئى ليس مثل المرئى فكذلك هنا شبه النقص بالنقص وان كان كل من الناقص والمنقوص والمنقوص منه المشبه ليس مثل الناقص والمنقوص والمنقوص منه المشبه به ولهذا كل أحد يعلم أن المعلم لايزول علمه بالتعليم بل يشبهونه بضوء السراج الذى يحدث يقتبس منه كل أحد ويأخذون ماشاءوا من الشهب وهو باق بحاله وهذا تمثيل مطابق فان المستوقد من السراج يحدث الله في فتيلته أو وقودة نارا من جنس تلك النار وان كان قد يقال انها تستحيل عن ذلك الهواء مع أن النار الاولى باقية . كذلك المتعلم يجعل فى قلبه مثل علم المعلم مع بقاء علم المعلم ولهذا قال على رضي الله عنه العلم يزكو على العمل أو قال على التعليم والمال ينقصه النفقة وعلى هذا فيقال في حديث أبى ذر ان قوله مما عندي وقوله من ملكى هو من هذا الباب وحينئذ فله وجهان أحدهما ان يكون ماأعطاهم خارجا عن مسمى ملكه ومسمى ماعنده كما أن علم الله لا يدخل فيه نفس علم موسى والخضر والثانى أن يقال بل لفظ الملك وما عنده يتناول كل شيء وما أعطاهم فهو جزء من ملكه ومما عنده ولكن نسبت الى الجملة هذه النسبة الحقيرة ومما يحقق هذا القول الثانى أن الترمذى روى هذا الحديث من طريق عبد الرحمن بن غنم عن أبى ذر مرفوعا فيه «لوأن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم ورطبكم ويابسكم سألونى حتى تنتهى مسألة كل واحد منهم فأعطيتهم ماسألونى مانقص ذلك مما عندى كمغرز إبرة لوغمسها أحدكم فى البحر وذلك انى جواد ماجد واجد عطائى كلام وعذابي كلام انما أمرى لشيء اذا أردته أن أقول له كن فيكون » فذكر سبحانه أن عطاءه كلام وعذابه كلام يدل على أنه هو أراد بقوله من ملكى ومما عندي أي من مقدورى فيكون هذا فى القدرة كحديث الخضر فى العلم والله أعلم و يؤيد ذلك أن فى اللفظ الآخر الذى فى نسخة أبى مسهر لم ينقص ذلك من ملكى شيئا الا كما ينقص البحر وهذا قد يقال فيه انه استثناء منقطع أى لم ينقص من ملكى شيئا لكن يكون حاله حال هذه النسبة وقد يقال بل هو تام والمعنى على ماسبق *

﴿ فصل ﴾

ثم ختمه بتحقيق ما بينه فيه من عـدله واحسانه فقال « ياعبادى انما هى أعمالـكم أحصيها لـكم ثم أوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غـير ذلك فلا يلومن الا نفسه فبين أنه محسن الى عباده فى الجزاء على أعمالهم الصالحة احسانا يستحق به الحمد لانه هو المنعم بالامر بها والارشاد اليها والاعانة عليها ثم احصأها ثم توفية جزائها فـكل ذلك فضل منه واحسان اذ كل نعمة منه فضل وكل نقمة منه عدل وهو وان كان قد كتب على نفسه الرحمة وكان حقا عليه نصر المؤمنين كما تقدم بيانه فليس وجوب ذلك كوجوب حقوق الناس بعضهم على بعض الذي يكون عدلا لا فضلا لان ذلك انما يكون لـكون بعض الناس أحسن الي البعض فاستحق المعاوضة وكان احسانه اليه بقدرة المحسن دون المحسن اليه ولهذا لم يكن المتعاوضان ليخص أحدهما بالتفضل على الآخر لتكافئهما وهو قد بين فى الحديث أن العباد لم يبلغوا ضره فيضرره ولن يبلغوا نفعه فينفعوه فامتنع حينئذ أن يكون لاحد من جهة نفسه عليه حق بل هو الذى أحق الحق على نفسه بكلماته فهو المحسن بالاحسان وباحقاقه وكتابته على نفسه فهو فى كتابة الرحمة على نفسه واحقاقه نصر عباده المؤمنين ونحو ذلك محسن احسانا مع احسان فليتدبر اللبيب هذه التفاصيل التى يتبين بها فصل الخطاب فى هذه المواضع التى عظم فيها الاضطراب فمن بين موجب على ربه بالمنع أن يكون محسنا متفضلا ومن بين مسوى بين عدله واحسانه وما تنزه عنه من الظلم والعدوان وجاعل الجميع نوعا واحدا وكل ذلك حيد عن سنن الصراط المستقيم والله يقول الحق وهو يهدى السبيل *

وكما بين أنه محسن فى الحسنات متم احسانه باحصائها والجزاء عليها بين أنه عادل فى الجزاء على السيئات فقال « ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه » كما تقدم بيانه فى مثل قوله (وما ظلمناهم ولـكن ظلموا أنفسهم)[١] وعلى هذا الاصل استقرت الشريعة الموافقة لفطرة الله التى فطر الناس عليها كما فى الحديث الصحيح الذى رواه البخارى عن شداد بن أوس عن النبى صلى الله عليـه وسلم أنه

١ ـ هود ١٠١

قال « سيد الاستغفار أن يقول العبد اللهم أنت ربى لا اله الا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ماصنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لى فانه لا يغفر الذنوب الا أنت » ففي قوله أبوء لك بنعمتك على اعتراف بنعمته عليه فى الحسنات وغيرها وقوله وأبوء بذنبي اعتراف منه بأنه مذنب ظالم لنفسه وبهذا يصير العبد شكورا لربه مستغفرا لذنبه فيستوجب مزيد الخير وغفران الشر من الشكور الغفور الذي يشكر اليسير من العمل ويغفر الكثير من الزلل .

وهنا انقسم الناس ثلاثة أقسام فى اضافة الحسنات والسيئات التي هى الطاعات والمعاصى الى ربهم والى نفوسهم فشرهم الذي اذا أساء أضاف ذلك الى القدر واعتذر بان القدر سبق بذلك وأنه لاخروج له عن القدر فركب الحجة على ربه فى ظلمه لنفسه وان أحسن أضاف ذلك الى نفسه ونسي نعمة الله عليه فى تيسيره لليسرى وهذا ليس مذهب طائفة من بنى آدم ولكنه حال شرار الجاهلين الظالمين الذين لاحفظوا حدود الامر والنهى ولا شهدوا حقيقة القضاء والقدر . كما قال فيهم الشيخ ابو الفرج بن الجوزى أنت عند الطاعة قدرى وعند المعصية جبرى أى مذهب وافق هواك تمذهبت به وخير الاقسام وهو القسم المشروع وهو الحق الذي جاءت به الشريعة أنه اذا أحسن شكر نعمة الله عليه وحمده اذا أنعم عليه بان جعله محسنا ولم يجعله مسيئا فانه فقير محتاج فى ذاته وصفاته وجميع حركاته وسكناته الى ربه ولا حول ولا قوة الا به فلو لم يهده لم يهتد كما قال أهل الجنة (الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق)[1] واذا أساء اعترف بذنبه واستغفر ربه وتاب منه وكان كابيه آدم الذى (قال ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين)[2] ولم يكن كابليس الذي قال (بما أغويتنى لأزينن لهم فى الارض ولأغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين)[3] ولم يحتج بالقدر على ترك مأمور ولا فعل محظور مع ايمانه بالقدر خيره وشره وان الله خالق كل شيء وربه ومليكه وأنه ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وأنه يهدي من يشاء ويضل من يشاء ونحو ذلك وهؤلاء هم الذين أطاعوا الله فى قوله فى هذا

١ ـ الاعراف ٤٣
٢ ـ الاعراف ٢٣
٣ ـ الحجر ٣٩ ـ ٤٠

الحديث الصحيح « فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه » ولكن بسط ذلك وتحقيق نسبة الذنب الى النفس مع العلم بان الله خالق أفعال العباد فيه أسرار ليس هذا موضعها ومع هذا فقوله تعالى (وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ماأصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك)[١] ليس المراد بالحسنات والسيئات فى هذه الاية الطاعة والمعاصى كما يظنه كثير من الناس حتى يحرف بعضهم القرآن ويقرأ فمن نفسك ومعلوم أن معنى هذه القراءة يناقض القراءة المتواترة وحتي يضمر بعضهم القول على وجه الانكار له وهو قول الله الحق فيجعل قول الله الصدق الذي يحمد و يرضى قولا للكفار يكذب به ويذم و يسخط بالاضمار الباطل الذى يدعيه من غيرأن يكون فى السياق مايدل عليه *

ثم ان من جهل هؤلاء ظنهم أن فى هذه الاية حجة للقدرية واحتجاج بعض القدرية بها وذلك أنه لاخلاف بين الناس في أن الطاعات والمعاصى سواء من جهة القدر . فمن قال ان العبد هو الموجد لفعله دون الله أو هو الخالق لفعله وأن الله لم يخلق أفعال العباد فلا فرق عنده بين الطاعة والمعصية . ومن أثبت خلق الافعال وأثبت الجبر أو نفاه أو أمسك عن نفيه واثباته مطلقا وفصل المعنى أو لم يفصله فلا فرق عنده بين الطاعة والمعصية فتبين أن ادخال هذه الآية فى القدر في غاية الجهالة وذلك ان الحسنات والسيئات فى الآية المراد به المسار والمضار دون الطاعات والمعاصى كما فى قوله تعالى (وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون)[٢] وهو الشر والخير فى قوله (ونبلوكم بالشر والخير فتنة)[٣] وكذلك قوله (ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها)[٤] وقوله تعالى (ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عنى)[٥] وقوله تعالى (وما أرسلنا فى قرية من نبي الا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فاخذناهم بغتة وهم لايشعرون)[٦] وقوله تعالى (واذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم

١ ـ النساء ٧٨ ـ ٧٩
٢ ـ الاعراف ١٦٨
٣ ـ الأنبياء ٣٥
٤ ـ آل عمران ١٢٠
٥ ـ هود ١٠
٦ ـ الاعراف ٩٤ ـ ٩٥

سيئة يطيروا بموسى ومن معه)[1] فهذه حال فرعون وملائه مع موسى ومن معه كحال الكفار والمنافقين والظالمين مع محمد وأصحابه « اذا أصابهم نعمة وخير قالوا لنا هذه أو قالوا هذه من عند الله وان أصابهم عذاب وشر تطيروا بالنبي والمؤمنين وقالوا هذه بذنوبهم » وانما هو بذنوب أنفسهم لا بذنوب المؤمنين وهو سبحانه ذكر هذا فى بيان حال الناكلين عن الجهاد الذين يلومون المؤمنين على الجهاد فاذا أصابهم نصر ونحوه قالوا هذا من عند الله وان أصابتهم محنة قالوا هذه من عند هذا الذي جاءنا بالامر والنهي والجهاد قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم)[2] الي قوله (وان منكم لمن ليبطئن)[3] الى قوله (ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال الى قوله أينما تكونوا يدرككم الموت)[4] وان تصبهم حسنة هؤلاء المذمومين يقولون هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك أى بسبب أمرك ونهيك قال الله تعالى (فما لهؤلاء القوم لايكادون يفقهون حديثا[5] ماأصابك من حسنة) من نعمة (فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك)[6] أى فبذنبك كما قال (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم)[7] وقال(وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم)[8] وأما القسم الثالث فى هذا الباب فهم قوم لبسوا الحق بالباطل وهم بين أهل الايمان أهل الخير و بين شرار الناس وهم الخائضون فى القدر بالباطل فقوم يرون أنهم هم الذين يهدون أنفسهم ويضلونها و يوجبون لها فعل الطاعة وفعل المعصية بغير إعانة منه وتوفيق للطاعة ولا خذلان منه فى المعصية وقوم لايثبتون لانفسهم فعلا ولا قدرة ولا أمراء ثم من هؤلاء من يبخل عن الامر والنهى فيكون أكفر الخلق وهم فى احتجاجهم بالقدر متناقضون اذ لابد من فعل يحبونه وفعل يبغضونه ولا بد لهم ولكل أحد من دفع الضرر الحاصل بأفعال المعتدين فاذا جعلوا الحسنات والسيئات سواء سيئة لم يمكنهم أن يذموا أحدا ولا يدفعوا ظالما ولا يقابلوا مسيئا وان يبيحوا للناس من أنفسهم كل مايشتهيه مشته ونحو ذلك من الامور التي لايعيش عليها بنو آدم اذ هم مضطرون الى شرع فيه أمر ونهي أعظم من

١ ـ الاعراف ١٣١
٢ ـ النساء ٧١
٣ ـ النساء ٧٢
٤ ـ النساء ٧٧
٥ ـ النساء ٧٨
٦ ـ النساء ٧٨ ـ ٧٩
٧ ـ الشورى ٣٠
٨ ـ الروم ٣٦

اضطرارهم الى الاكل واللباس وهذا باب واسع لشرحه موضع غير هـذا وانما نبهنا على مافي الحـديث من الـكلمات الجامعة والقواعد النافعة بنكت مختصرة تنبه الفاضل على مافي الحقائق من الجوامع والفوارق التي تفصل بين الحق والباطل في هـذه المضايق بحسب مااحتملته أوراق السائل والله ينفعنا وسائر اخواننا المؤمنين بما علمناه و يعلمنا ماينفعنا و يزيدنا علما ولا حول ولا قوة الا بالله ولا ملجأ منه الا اليـه له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن واستغفر الله العظيم لى ولجميع اخواننا المؤمنين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليما *

بحمد الله وحسن توفيقه قد تم الجزء الثالث من مجموعة الرسائل
المنيرية لجامعها وناشرها إدارة الطباعة المنيرية لصاحبها
ومديرها محمد منير الدمشقي من علماء الازهر
المعمور وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم



(تمت الرسالة العاشرة والحمد لله)



شرح

جامع بيان العلم وفضله

وما ينبغي في روايته وحمله

(للامام الحافظ أبي عمر يوسف بن عبد البر النمرى)

(القرطبي الأندلسى)



للامام العلامة الحافظ الفقيه الاصولى المجتهد القدوة شيخ
الاسلام تقى الدين أبي الفتح الشهير بابن دقيق العيد

ارشاد الفحول

الى تحقيق الحق من علم الأصول

للامام المجتهد العلامة الربانى قاضى قضاة القطر اليمانى

محمد بن على بن محمد الشوكانى

(صاحب نيل الأوطار وغيره)

تهذيب الأسماء واللغات

(للامام الورع المتقن أبى زكريا محى الدين النووى جزء ٤)





للامام المحدث الحافظ الفقيه المجتهد

ابى بكر احمد بن الحسين البيهقى

صاحب السنن الكبرى

المتوفى سنة ٤٥٨

﴿ تأليف ﴾

الشيخ الامام أبى جعفر عمر القزوينى المتوفى سنه ٦٩٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين * والسلام (١) على سيد المرسلين * وخاتم النبيين * وقائد الغر المحجلين * محمد المبعوث الى الخلق أجمعين * وعلى آله الطيبين * وصحبه الطاهرين * وأمته المتقين * وأزواجه أمهات المؤمنين *

وبعد فقد تكرر من سيدنا ومولانا نادر بلاده * وناصح عباده * وعلامة زمانه * وأعجوبة أوانه * شمس الملة والدين * محمد بن القاسم بن أبي البدر بن الملحي المزى الفقيه * المحدث الواعظ * أدام الله توفيقه * وجعل السعادتين صاحبه ورفيقه * عدة مكتوبات من واسط الى بغداد فى السؤال عن عدد شعب الايمان حيث ورد فى صحيح البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال (٢) الايمان

---

(١) هكذا بحذف الصلاة ولعلها سقطت من أيدى النساخ

(٢) اعلم أن هذا الحديث رواه البخارى فى صحيحه بلفظ الايمان بضع وستون شعبة والحياء شعبة من الايمان ولم تختلف الطرق عن أبى عامر شيخ شيخ البخارى فى ذلك :وتابعه الحمانى عن سليمان بن بلال :وأخرجه أبو عوانة من طريق بشر بن عمرو عن سليمان بن بلال فقال بضع وستون أو بضع وسبعون وهكذا وقع التردد أيضا فى رواية مسلم من طريق سهيل: ورواه أصحاب السنن

بضع (١) وستون أو بضع وسبعون شعبة (٢) أعلاها أو فأرفعها أو فأفضلها على اختلاف الروايات. قول لااله الاالله وأدناها إماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان * وانه بصدد احاطة علمه بتفصيلها عددا : وتأخر الجواب لأسباب وعوارض *

فحين طال الزمان * وكثر التكرار * أحضر كتاب شعب الايمان للامام الحافظ الفقيه أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ست مجلدات لنقلها بذاتها فوجدتها متفرقة فى جميعها لم يجمعها أولا فى الخطبة ولا فى المجلد الاول : ثم اعتنى بتفاصيل شروحها لكن فرقها فى جميع الكتاب .فدعته الضرورة الى أن يجمعها من مجموعها . ويجعلها مختصرة كرؤس المسائل : ويقنع باستدلال آية من كتاب الله : أو بحديث

الثلاثة من طريقه. فقالوا بضع وسبعون من غير شك * ولأبى عوانة فى صحيحه من طريق ست وسبعون أو سبع وسبعون .وترجح رواية البخارى بأن العدد فيها متيقن وما عداها فمشكوك فيه . وعلى الرواية الثانية درج المصنف .

(١) والبضع بكسر الباء وحكى فتحها لغة * عدد مبهم مقيد بما بين الثلاث الى التسع كما جزم به القزاز ورجحه الحافظ ابن حجر * وقال ابن سيده الى العشر وقيل من واحد الى تسعة .

(٢) والشعبة بضم الشين هى القطعة والفرقة وهي واحدة الشعب أى أغصان الشجرة والمراد منها فى الحديث الخصلة أو الجزء أى ان الأيمان ذو خصال متعددة * قال القاضى عياض تكلف جماعة حصر هذه الشعب بطريق الاجتهاد. وفى الحكم بكون ذلك هو المراد صعوبة ولا يقدح عدم معرفة حصر ذلك على التفصيل فى الايمان اه . وقد لخصها الحافظ ابن حجر وأوردها فى الفتح لولا التطويل لذكرتها .

من أصح ماروى فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : وربما زاد فى بعض الشعب آية أو آيات : أوحديثا أو كلمات : أوحكاية أو حكايات : أو بيتا أو أبيات : لم يذكرها * وقد بوبها سبعة وسبعين بابا *

أنبأنا بجميعها وجميع الكتاب المنقول هذا منه جماعة : منهم الشيخ العالم سيد العراق أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عمر المقرى البغدادى بها : والقاضى أبو الفضل سليمان بن حمزة بن أحمد المقدسى من دمشق قالوا جميعاً أنبأ الشيوخ الرواة أبو محمد الانجب بن أبى السعادات بن محمد بن عبد الرحمن الجامى وأبو العباس أحمد بن يعقوب بن عبد الله المارستانى * وأبو القاسم على ابن الحافظ أبى الفرج عبدالرحمن بن على ابن محمد الجوزى * قالوا جميعا * أنبأ أبو حفص عمر بن احمد بن عمر الزنجانى فى سفر (١) سنة اثنتين وستين وخمس مائة * قال أخبرنى الشيخ أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن الامام الحافظ أبى بكر أحمد ابن الحسين بن على البيهقى قال اخبرنى جدى الامام أبو بكر

ح (٢) وأخبرناها عاليا عدداً مسند الوقت أبو الحسن على بن أحمد بن عبدالواحد المقدسي أجازة عامة ان لم يكن خاصة .قال أخبرنا حافظ بغداد أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد الجوزى ومفتى خراسان أبو سعد عبد الله ن أحمد بن عمر الصفار النيسابورى أجازة خاصة : قالا أنبأنا أبو القاسم زاهر بن طاهر بن محمد الشحامى

---

(١) سفر بالتحريك اسم مكان (٢) هذا الحرف علامة التحويل كما فى كتب الحديث

وجماعة : قالوا أنبأنا الامام الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقى رحمة الله عليهم أجمعين

قال(**الاول**)الايمان بالله عز وجل لقوله تعالى(والمؤمنون كل آمن بالله)[1](يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله)[2] ثم ساق فيه حديث أبي هريرة رضى الله عنه المتفق عليه فى الصحيحين * أمرت (١) أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قال لا اله الا الله فقد عصم منى نفسه وماله الا بحقه وحسابه على الله *وحديث عثمان بن عفان رضى الله عنه فى صحيح مسلم * من مات وهو يعلم ان لا اله الا الله دخل الجنة .

(**الثانى**) الايمان برسل الله عز وجل صلى الله عليهم أجمعين وسلم لقوله تعالى(والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله)

ولحديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى الصحيحين فى سؤال جبرائيل * الايمان ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله . الحديث

(**الثالث**) الايمان بالملائكة للآية والحديث المذكورين

(**الرابع**) الايمان بالقرآن لقوله تعالى(يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله) والآية والحديث المذكورين أيضاً

١ ـ البقرة ٢٨٥
٢ ـ النساء ١٣٦

---

(١) بصيغة المجهول فالآمر هو الله تعالى واذا قال الصحابى ذلك فهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره وضمير بحقه راجع الى الاسلام المفهوم من قوله لا اله الا الله . وفى رواية لمسلم الا بحقها أى الشهادة وقوله وحسابه على الله . معناه فيما يُسر به من الكفر والمعاصى . فانا نحكم عليه بالاسلام ونؤاخذه بحقوقه بحسب مايقتضيه ظاهر حاله والله سبحانه وتعالى يتولى حسابه

(الخامس) الايمان بأن القدر خيره وشره من الله عز وجل لقوله تعالى (قل كل من عند الله)[1] ولحديث أبى هريرة فى الصحيحين * احتج آدم وموسى فقال موسى يا آدم أنت أبونا خيبتنا (١) وأخرجتنا من الجنة فقال له آدم ياموسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده (٢) أتلومنى على أمر قدره الله علىّ قبل أن يخلقنى بأربعين سنة قال فحج آدمُ موسى *

وبالاسناد المذكور انشدنا الامام أبو بكر البيهقى قال انشدنى أبو الفوارس جنيد بن أحمد الطبرى

العبد ذو ضجر والرب ذو قدر * والدهر ذو دول والرزق مقسوم
والخير أجمع فيما اختار خالقنا * وفى اختيار سواه اللوم والشوم

(السادس) الايمان باليوم الآخر لقول الله تعالى (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر)[2] .قال الحليمى ومعناه تصديق

---

(١) أى أوقعتنا فى الخيبة وهى الحرمان

(٢) هذه الكلمة وما شابهها مما يوهم الجارحة الحسية يجب أن تبقى على ظاهرها بدون تأويل ولا تصحيف ولا تحريف. وتؤمنَ بما جاء فى الكتاب والسنة من هذا القبيل . وتفوض معناه الى البارى تعالى. وأنه ليس كمثله شئ واقتد بسلفك الصالح ولا تكن مجسما فتشبه. ولا معطلا فتنفى. ولا جهميا فتأول ولا تبحث فى هذا وتجعله شركا تصيد به من أغررته بطلاوة كلامك وشقشقة لسانك لتلبيس ابليس عليك وتحسينه لك وتبتغى بذلك إضلال الناس وتشكيكهم فى دينهم قال الله تعالى (فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ومايعلم تأويله إلا الله * والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا)

١ ـ النساء ٧٨
٢ ـ التوبة ٢٩

بأن لأيام الدنيا آخراً . وانها منقضية . وهـذا العالم منقض يوماً . فنى الاعتراف بانتفائه .اعتراف بابتدائه. اذ القـديم لا يفنى ولا يتغير . وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة. والذى نفس محمد بيده لتقومن الساعة وثوبهما بينهما لا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن الساعة وقد أنصرف الرجل بلبن لقحته (١) من تحتها لا يطعمها : الحديث

(السابع) الايمان بالبعث (٢) بعد الموت لقوله تعالى(زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن)[١] ولقوله تعالى(قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيامة لا ريب فيه)[٢] * ولحديث عمر بن الخطاب فى الصحيح فى حديث الايمان*الايمان ان تؤمن بالله وملائكته ورسله وبالبعث من بعد الموت وبالقدر كله

(الثامن) الايمان بحشر(٣) الناس بعدما يبعثون من قبورهم الى الموقف لقوله تعالى (الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين)[٣] * ولحديث عبدالله بن عمر فى صحيح مسلم .يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم فى رشحه (٤) الى انصاف اذنيه

(التاسع) الايمان فى ان دار المؤمنين ومأواهم الجنة .ودار الكافرين ومأواهم النار.لقوله تعالى(من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته

---

(١) اللقحة بكسر اللام وفتحها الناقة القريبة العهد بالنتاج

(٢) البعث إحياء الموتى واخراجهم من قبورهم بعد جمع الاجزاء الاصلية

(٣) الحشر سوق الناس جميعاً الى الموقف

(٤) الرشح بفتح فسكون العرق لا نه يخرج من البدن شيئا فشيئا كما يرشح الاناء المتخلل الاجزاء

١ ـ التغابن ٧
٢ ـ الجاثية ٢٦
٣ ـ المطففين ٤ ـ ٦

فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)[1] * ولحديث ابن عمر فى الصحيحين * ان(١) احدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى ان كان من أهل الجنة فمن اهل الجنة وان كان من أهل النار. فمن أهل النار . يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله تعالى اليه يوم القيامة .

(العاشر)الايمان بوجوب محبة الله عز وجل لقوله تعالى(ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا(٢)يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله)[2] * ولحديث انس بن مالك فى الصحيحين. ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما . وان يحب المرء لا يحبه الا لله. وان يكره أن يعود فى الكفر كما يكره ان توقد له نار فيقذف فيها *

وبه أنبأنا البيهقى قال سمعت أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت ابا نصر الطوسى يقول سمعت جعفر الخلدى يقول سمعت الجنيد يقول قال رجل لسرى السقطى كيف انت فأنشأ يقول

من لم يبت والحب حشو فؤاده * لم يدر كيف تفتت الاكباد

وبه أنبأ أبو عبد الرحمن السلمى قال سمعت أبا نصر محمد بن محمد اسمعيل قال سمعت ابا القاسم الشيرازى الواعظ قال سمعت ابادجانة يقول كانت رابعة اذا غلب عليها حال الحب تقول

تعصى الاله وأنت تظهر حبه * هذا (٣) محال فى الفعال بديع

[1] ١ ـ البقرة ٨١
[2] ٢ ـ البقرة ١٦٥

---

(١) هذه رواية مسلم

(٢) الانداد جمع ند بالكسر المثل والشريك

(٣) هذه رواية والرواية الأخرى هذا لعمرى فى القياس بديع وهذه أظهر

لو كان حبك صادقاً لاطعته * ان المحب لمن يحب مطيع

(الحادى عشر) الايمان بوجوب الخوف(١) من الله عز وجل لقوله تعالى (فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين)[١] (فلا تخشوا الناس واخشون)[٢] (واياى فارهبون)[٣] (وهم من خشيته مشفقون)[٤] (ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين)[٥] (ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب)[٦] (ولمن خاف مقام ربه جنتان)[٧] (ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد)[٨] *

ولحديث عدى بن حاتم رضى الله عنه فى الصحيحين. اتقوا النار ولو بشق تمرة * ولحديث انس رضى الله عنه فيهما * لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً

وعاتب رجل بعض اخوانه على طول بكائه فبكى ثم قال:

بكيت على الذنوب لعظم جرمى * وحق لكل من يعصى البكاء

ولو كان البكاء يرد همى * لأسعدت الدموع معا دماء

وكان عمر بن عبد العزيز لا يجف فوه من هذا البيت

ولا خير فى عيش امرىء لم يكن له * من الله فى دار القرار نصيب

وسمع أبو الفتح البغدادى هاتفاً يهتف بالشونيزية

وكيف تنام العين وهى قريرة * ولم تدر فى أى المحلين تنزل

فذهب عنه النوم

---

(١) الخوف غم يلحق لتوقع المكروه، والحزن غم يلحق من فوات نافع أو حصول ضار. والرهب الخوف والخشية خوف مع تعظيم ولذلك خصت بالعلماء فى قوله تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماءُ)

١ - آل عمران ١٧٥
٢ - المائدة ٤٤
٣ - البقرة ٤٠
٤ - الأنبياء ٢٨
٥ - الأنبياء ٩٠
٦ - الرعد ٢١
٧ - الرحمن ٤٦
٨ - إبراهيم ١٤

(الثانى عشر) الايمان بوجوب الرجاء (١) من الله عزوجل لقوله تعالى (يرجون رحمته ويخافون عذابه)[١] ان رحمة الله قريب من المحسنين)[٢] (قل ياعبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم)[٣] (ان الله لا يغفر ان يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء)[٤]

ولحديث أبى هريرة فى الصحيحين.لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ماطمع بجنته أحد .ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد *ولحديث جابر فى صحيح مسلم،لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بالله * وحديث أبى هريرة فى الصحيحين : يقول الله عز وجل انا (٢) عند ظن عبدى بى وأنا معه حين يذكرنى ، وذكر الحديث* انشد ابو عثمان سعيد بن اسماعيل

ما بال دينك ترضى أن تدنسه * وان ثوبك مغسول من الدنس
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها * ان السفينة لا تجرى على اليبس

(الثالث عشر) الايمان بوجوب التوكل على الله عز

---

(١) الرجاء بالمد الامل وهو تعلق القلب بمرغوب فى حصوله مع الاخذ فى الاسباب.فان لم يأخذ فى الاسباب فطمع وهو مذموم شرعاً ، قال الحافظ ابن الجوزى ان مثل الراجى مع الاصرار على المعصية ، كمثل من رجا حصاد وما زرع . وولدا وما نكح ، نسئل الله التوفيق

(٢) اعلم أن الذكر ليس قاصراً على ذكر اللسان فقط بل يعم الجوارح كلها فذكر اللسان بالثناء *وذكر العينين بالبكاء *وذكر اليدين بالعطاء .وذكر الاذنين بالاصغاء . وذكر البدن بالوفاء . وذكر القلب بالخوف والرجاء . وذكر الروح بالتسليم والرضا

[١] ـ الاسراء ٥٧
[٢] ـ الاعراف ٥٦
[٣] ـ الزمر ٥٣
[٤] ـ النساء ٤٨

وجـل لقوله تعالى (وعلى الله فليتوكل المؤمنون)[١] (حسبنا الله ونعم الوكيل)[٢] (وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين)[٣] (ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره)[٤] *

ولحديث ابن عباس رضى الله عنهما فى الصحيحين فى سؤال أصحابه له عن السبعين الفاً الذين يدخلون الجنـة يرزقون فيها بغير حساب فى حـديث طويل . فقال رسول الله صلى الله عليه وسـلم هم الذين لا يكتوون (١) ولا يسترقون(٢) ولا يتطيرون (٣)وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن الاسدى فقال أنا منهم يا رسول الله .فقال أنت

---

(١) أى يكتوى بالنار للمرض وقد جاء النهى عنه فى أحاديث كثـيرة قال ابن الاثير انما نهى عنه من أجل انهم كانوا يعظمون أمره ويرون انه يحسم الداء واذا لم يكو العضو عطب وبطل،فنهاهم اذا كان على هذا الوجه.واباحه اذا جعل سبباً للشفاء لا علة له .فان الله هو الذى يبرئه ويشفيه لا الكى والدواء وهذا أمر يكثر فيـه شكوك الناس يقولون لو شرب الدواء لم يمت ولو أقام ببلده لم يقتل وقيل غير ذلك

(٢) أى يستعملون الرقية وهى العوذة التى يرقى بها صاحب الآفة وقد جاء فى بعض الاحاديث جوازها،وفى بعضها النهي ،وقد جمع بينهما ان الرقى يكره منها ما كان بغـير أسماء الله تعالى وصفاته وكلامه فى كتبه المنزلة .وان يعتقد انها نافعة لا محالة.فيتـكل عليها. وعليه يحمل قوله صلى الله عليه وسلم ما توكل من استرقي وما كان بخلاف ذلك لا يكره وقد أمر صلى الله عليه وسلم غير واحد من أصحابه بالرقية.وسمع بجماعة يرقون فلم ينكر عليهم

(٣) الطيرة بكسر الطاء وفتح الياء وقد تسكن هى التشاؤم بالشئ وقد ورد النهى عنه فأعلمنا الشرع انه ليس له تأثير فى جلب نفع أو دفع ضر .

[١] ـ التوبة ٥١
[٢] ـ آل عمران ١٧٣
[٣] ـ المائدة ٢٣
[٤] ـ الطلاق ٣

منهم . ثم قام رجل آخر فقال أنا منهم يا رسول الله فقال سبقك بها عكاشة *وجملة التوكل (١) تفويض الأمر الى الله تعالى والثقة به مع ما قدر له من التسبب، فى الصحيحين أيضاً من حديث الزبير رضى الله عنه لأن يأخذ أحدكم حبله ثم يأتى الجبل فيأتى بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيستغنى بها خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه

وفى صحيح البخارى من حديث المقدام بن معدى كرب رضى الله عنه ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يديه (٢) قال وكان داود لا يأكل الا من عمل يديه وبه أنبأنا البيهقى قال أنبأنا أبو عبد الله الحافظ قال أخبرنى جعفر بن محمد بن نصير قال حدثنى الجنيد قال سمعت السرى يذم الجلوس فى مسجد الجامع ويقول جعلوا مسجد الجامع حوانيت ليس لها أبواب. وبه أنبأنا البيهقى باسناده عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال دينك لمعادك، ودرهمك لمعاشك ولا خير فى أمرىء بلا درهم *وبه أنبأنا البيهقى قال أنبأنا أبو عبد الله الحافظ قال جعفر بن محمد الخواص قال أنبأنا ابراهيم بن نصر المنصورى قال سمعت ابراهيم بن بشار خادم ابراهيم بن أدهم قال سمعت أبا على الفضيل ابن عياض يقول لابن المبارك أنت تأمرنا بالزهد والتقلل والبلغة ونراك

---

(١) التوكل عمل القلب فلا ينافى حركة الجوارح خلافا لقوم مافهموا معنى التوكل وزعموا أنه ترك الكسب وتعطيل الجوارح عن العمل . وللحافظ ابن الجوزى كلام نفيس في التوكل ذكر فى كتاب تلبيس إبليس فعليك به فانه انفس كتاب يقتنى. وقد طبعناه حديثا

(٢) وفى رواية بالافراد أى يده

تأتى بالبضائع من بلاد خراسان الى البلد الحرام .كيف ذا وأنت تأمرنا بخلاف ذا فقال ابن المبارك ياأبا على أنا افعل ذا لأصون بها وجهى واكرم بها عرضى .وأستعين بها على طاعة ربى. لا أرى لله حقاً الا سارعت اليه حتى أقوم به فقال له الفضيل يا ابن المبارك ما أحسن ذا! ان تم ذا

(الرابع عشر) الايمان بوجوب محبة(١) النبى صلى الله عليه وسلم لحديث انس المتفق على صحته .لايؤمن أحدكم حتى اكون أحب اليه من والده وولده والناس أجمعين *

ولحديث انس فى الصحيحين . ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما الحديث * ولحديثه فيهما أيضاً قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله متى الساعة فقال ماأعددت لها فقال يارسول الله ما أعددت لها كثير صيام ولا صدقة الا انى أحب الله ورسوله قال أنت مع من أحببت *

(الخامس عشر) الايمان بوجوب تعظيم النبى صلى الله عليه وسلم وتبجيله وتوقيره لقوله تعالى (وتعزوره وتوقروه)[١] وقوله (فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه)[٢] والتعزير ههنا التعظيم * وقوله

---

(١) قال القاضى عياض اعلم ان من أحب شيئاً آثره وآثر موافقته. والا لم يكن صادقاً فى حبه وكان مدعياً ، فالصادق فى حب النبى صلى الله عليه وسلم من تظهر علامة ذلك عليه وأولها الاقتداء به واستعمال سنته واتباع اقواله وأفعاله وامتثال أوامره واجتناب نواهيه والتأدب بآدابه فى عسره ويسره ونشطه ومكرهه ، وشاهد هذا قوله تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) م؟

١ - الفتح ٩
٢ - الاعراف ١٥٧

(لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً)[١] أى لا تقولوا له يا محمد يا أبا القاسم بل يا رسول لله يا نبي الله. ولقوله (لا تقدموا (١) بين يدى الله ورسوله)[٢] * وقوله (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى)[٣] الايات

وبه قال البيهق وهـذه منزلة فوق منزلة المحبة اذ ليس كل محب معظماً. كمحبة الأب لولده والسيد لعبده من غير تعظيم بخلاف العكس

(السادس عشر) (٢) شح المرء بدينه حتى يكون القذف فى النار أحب اليه من الكفر * لحديث انس المتفق عليه. ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ثم قال وان يكره أن يلقى فى النار أحب اليه من أن يرجع الى الكفر بعد ان انقذه الله منه *

ولحديث أيضاً فى صحيح مسلم. ان رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم فأعطاه غنما بين جبلين فأتى قومه فقال اسلموا فوالله ان محمداً ليعطى عطاء رجل لا يخاف الفاقة * وان كان الرجل يجيء الى النبي صلى الله عليه وسلم ما يريد الا الدنيا. فما يمسى حتى يكون دينه أحب اليه وأعز من الدنيا بما فيها

(السابع عشر) طلب العلم وهو معرفة البارى تعالى. وما جاء من عند الله وعلم النبوة وما يميز به النبي صلى الله عليه وسلم عن غيره

١ - النور ٦٣
٢ - الحجرات ١
٣ - الحجرات ٢

---

(١) قال سهل بن عبد الله لا تقولوا قبل أن يقول واذا قال فاستمعوا له وأنصتوا وقوله (لا ترفعوا أصواتكم)، قال: أبو محمد مكى أى لا تسابقوه بالكلام وتغلظوا له بالخطاب،

(٢) أى تمسكه بدينه وشدة حرصه عليه

وعلم أحكام واقضية . ومعرفة ما تطلب الأحكام منه كالكتاب والسنة والقياس . وشروط الاجتهاد

والقرآن والحديث مشحونان بفضيلة العلم والعلماء . قال الله تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء)[1] (شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط)[2] (وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً)[3] (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات)[4] (هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون)[5] (انما يتذكر أولو الألباب)[6]

وفى الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما . ان الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا

وفى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة * من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة . ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة . ومن ستر مسلماً ستره الله فى الدنيا والآخرة والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً الى الجنة . وما أجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم ، الا نزلت عليهم السكينة ، وحفتهم الملائكة . وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده ، ومن بطاء به عمله لم يسرع به نسبه

١ ـ فاطر ٢٨
٢ ـ آل عمران ١٨
٣ ـ النساء ١١٣
٤ ـ المجادلة ١١
٥ ـ الزمر ٩
٦ ـ الرعد ١٩

(**الثامن عشر**) نشر العلم لقوله تعالى (لتبيننـه للناس ولا تـكتمونه)[١] وقوله (ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم)[٢]

ولحديث أبي بكر في الصحيحين انه قال في خطبته بمنى. الا ليبلغن الشاهد منكم الغائب فلعل من يبلغه يكون أوعى له من بعض من سمعه * وحديث أبي هريرة في سنن أبي داود من سئل عن علم فكتمه الجمه الله بلجام من النار يوم القيامة *

وروى البيهقي باسناد عن الامام عمر بن عبـد العزيز الاموى انه قال من لم يقل كلامه عن علمه كثرت خطاياه ومن عمل بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح * وعن الحارث المحاسبي العلم يورث الخشية والزهد يورث الراحة. والمعرفة تورث الأنابة * وعن ابن سعد أن من عمل بعلم الرواية ورث علم الدراية ومن عمل بعلم الدراية ورث علم الرعاية ومن عمل بعلم الرعاية هدى الى سبيل الحق *

وعن مالك بن دينار اذا طلب العبد العلم ليعمل به كسره (١) علمه واذا طلبه لغير العمل زاده كبرا * وعن معروف الكرخي اذا اراد الله بعبد خيرا فتح عليه باب العمل واغلق عليه باب الجدل. واذا أراد الله بعبد شراً أغلق عليه باب العمل وفتح عليه باب الجدل * وعن أبي بكر الوراق من اكتفى بالـكلام من العلم دون الزهـد والفقه تزندق. ومن اكتفى بالزهد دون الفقه والكلام ابتدع ومن اكتفى بالفقه دون الزهد والورع تفسق • ومن تفنن في الأمور كلها تخلص.

١ - آل عمران ١٨٧
٢ - التوبة ١٢٢

---

(١) ى لينه وهذبه وزاده تواضعا

وعن الحسن البصرى رحمه الله . أنه مر عليه رجل فقيل هذا فقيه فقال او تدرون من الفقيه انما الفقية العالم فى دينه الزاهد فى دنياه القائم على عبادة ربه * وعن مالك بن دينار قال قرأت فى التوراة ان العالم اذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته من القلوب كما يزل القطر (١) عن الصفا. وأنشد عن أبى بكر بن أبى داود لنفسه

من غص داوى بشرب الماء غصته * فكيف يصنع من قد غص بالماء

وعن أبى عثمان الحيرى الزاهد

وغير تقىٍّ يأمر الناس بالتقى * طبيب يداوى والطبيب مريض

نسأل الله التوفيق للعلم والعمل ونعوذ بجلال وجهه من الخذلان والحرص والأمل

(التاسع عشر) تعظيم القرآن المجيد بتعلمه وتعليمه . وحفظ حدوده وأحكامه . وعلم حلاله وحرامه . وتبجيل أهله وحفاظه. واستشفارها يهيج الى البكاء من مواعيد الله ووعيده . قال الله تعالى (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله)[1] . وقال (انه لقرآن كريم فى كتاب مكنون لايمسه الا المطهرون تنزيل من رب العالمين)[2] * وقال (ولو ان قرآناً سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعاً)[3] ،

وقال النبى صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخارى عن عثمان بن

١ ـ الحشر ٢١
٢ ـ الواقعة ٧٧ ـ ٨٠
٣ ـ الرعد ٣١

---

(١) القطر بفتح القاف وسكون الطاء المطر واحده قطرة والصفا جمع صفاة وهى الصخرة والحجر الأملس * فانظر الى هذا التشبيه ما أبلغه ولا تكن ممن علم ولم يعمل

عفان رضى الله عنه افضلكم أوخيركم من تعلم القرآن وعلمه ، وقال فيما رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن أبى موسى الأشعرى. تعاهدوا القرآن فوالذى نفس محمد بيــده لهو أشــد تفلتاً من الأبل فى عقلها ، وقال فيماروياه عن عبد اللهبن عمر رضى الله عنهما .لا حسد (١) الا فى اثنتين رجل آتاه الله هذا الكتاب فقام به أناءالليل والنهار ورجل آتاه الله مالا فهو يتصدق به آناء الليل والنهار

وقال فيما رواه مسلم عن عمر رضى الله عنــه * ان الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين ،

(العشرون) الطهارات(٢) لقوله تعالى (إذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق)[١] الآية

ولحديث أبى مالك الأشعرى رضى الله عنه فى صحيح مسلم *الطهور شطر الايمان والحمدلله تملأ الميزان . وسبحان الله والله أكبر تملآن أو تملأ مابين السماء والارض والصلوة نور . والصدقة برهان . والصبر ضياء . والقرآن حجة لك أوعليك كل الناس يغدو فبائع نفسه ، فمعتقها أو موبقها

ولحديث ابن عمر رضى الله عنهما فى مسـلم أيضا * لايقبل الله عز وجل صلوة بغير طهور ولاصدقة من غُلول (٣) *

١ ـ المائدة ٦

---

(١) أى ليس حسد لايضر الا الخ وهو المسمى غبطة وهى أن يتمنى أن يكون له مثلها ولا يتمنى زوالها عنه

(٢) جمع طهارة وهى مصدر جمعها باعتبار أنواعها

(٣) الغل الخيانة فى المغنم. والسرقة من الغنيمة قبل القسمة. وقد يراد به معنى أعم من ذلك كالحقد والشحناء

ولحديث حسن عن أبي كبشة السلوني عن ثوبان رضى الله عنه * استقيموا ولن تحصوا ، واعلموا أن خير أعمالكم الصلوة ولا يحافظ على الوضوء إلامؤمن * روى الحليمى عن يحي بن آدم فى قوله * الطهور شطر الايمان * لأن الله تعالى سمى الصلوة ايمانا فقال (وما كان الله ليضيع إيمانكم) أى صلوتكم الى بيت المقدس ولايجوز الصلوة الا بالوضوء فهما شيئان . كل واحد منهما نصف الاخر .

(الحادى والعشرون) الصلوات الخمس لقوله تعالى (وما كان الله ليضيع إيمانكم)[١] أى صلوتكم وقوله (وأقيموا الصلوة وآتوا الزكاة)[٢] وقوله (إن الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا)[٣]

ولحديث جابر رضى الله عنه فى صحيح مسلم * ان بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك (١) الصلوة *

---

(١) دل هذا الحديث وأمثاله على خروج تاركي الصلاة من الدين وعدم اتصافهم به * وانظر الى غالب أهل زماننا كيف ترك الصلاة ولا أظن أنه كسل منهم . بل اعتقاد أنها ليست من الدين * ولربما سخروا من فاعليها وهزؤا به ، ولاسيما من تخرج من المدارس العالية . ودرس كتب الطبيعة ومذهب الماديين فانه أشد سخطا . وأسرع تجاهراً بعداوته . واللوم كله فى ذلك يرجع الي علماء الدين وأئمته . لانهم لو تقربوا الى الأمراء وبينوا لهم ما ينشأ عن ترك الصلاة من المفاسد المضرة بالهيئة الاجتماعية والمصالح العمومية . بدليل قوله تعالى (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) وطلبوا المساعدة منهم ، لأخذوا بيدهم وأعانوهم على مطلبهم . ولو اعتنى رؤساء العلم والدين بارسال خطباء ووعاظ الى البلاد والقرى يرشدون الناس الى ذلك . ويحثونهم على التمسك بدينهم وإظهار شعائره . ويلقنونهم العقائد الصحيحة . والمسائل الراجحة . والدلائل

١ - البقرة ١٤٣
٢ - البقرة ٤٣
٣ - النساء ١٠٣

وحديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنـه فى الصحيحين ، قال سألت النبى صلى الله عليه وسلم ، أى الاعمال أحب الى الله ، قال الصلوة لوقتها ، قلت ثم أى ، قال * بر الوالدين ، قلت ثم أى ، قال الجهاد فى سبيل الله ، قال وحدثنى بهن ولواستزدته لزادنى *

وحديث ابن عمر فيهما * صلوة الجماعة أفضل من صلوة الفذ (١) بسبع وعشرين درجة *

وحديث عثمان رضى الله عنه فى صحيح مسلم * ما من امرئ مسلم تحضره صلوة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها الا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ، مالم يأت كبيرة وذلك الدهر كله ،

وبه قال البيهقى وليس فى العبادات بعد الايمان بالله الرافع للكفر عبادة جل وعلا (٢) ايمانا . وسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم تركها كفرا الا الصلوة

(الثانى والعشرون) الزكاة ، لقوله تعالى (وماأمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكاة وذلك

الشرعية والعقلية . لساد الدين وظهرت معالمه. لكنهم تساهلوا . وعن الأمر أعرضوا ، والى الوظائف والمرتبات جنحوا ، والى الذين ظلموا ركنوا . أنى يظهر الدين والعلماء ساكتون ، نسأل الله السلامة

(١) الفذ المنفرد

(٢) هكذا الاصـل والتركيب غير منتظم والصواب أجل وأعلى إيمانا سمى الخ

دين القيمة) وقوله تعالى (والذين يكنزون(١) الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم. يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون)[2] وقوله (ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة)[3]

ولحديث ابن عباس رضى الله عنهما في الصحيحين ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذاً الى اليمن ، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « انك تأتى قوماً اهل كتاب فادعهم الى شهادة أن لا اله الا الله فان هم أجابوك لذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة . فان هم أجابوك لذلك . فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم .

---

(١) انظر الى هذه الآية الشريفة ونظائرها الدالة على توبيخ مانعى الزكاة وتقريعه وتعذيبه العذاب الاليم ، والاحاديث الواردة في ذلك مما يحمل الانسان على إخراجه زكاة ماله وبدنه واعطائها مستحقيها لانها تربى المال وتزيده حسا ومعنى كما هو مشاهد لمخرجيها من حفظ مالهم من الآفات وعدم تضييعه في المهلكات

ولكن كيف تنفع تجربة، وتعظ وقعة . أو يحجر إسلام وإيمان، أو يفيد بيان وقد استحوذ على أغنياء زماننا الشيطان، واستبطنهم، فخالط اللحم والدم، والعصب والمسامع ، والاطراف ، ثم أفضى الى الافخاخ والاصماخ ، ثم ارتفع حتى باض وفرخ ، فشاهم نفاقا وشقاقا، وأشعرهم خروجا وخلافا أخذوه قائدا يطيعونه ودليلا يتبعونه ومؤآمرا يستشيرونه ، متى الى الكتاب والسنة يرجعون وبآثار السلف يقتدون. انا لله وإنا اليه راجعون

١ ـ البينة ٥
٢ ـ التوبة ٣٤ ـ ٣٥
٣ ـ آل عمران ١٨٠

فان هم أجابوك لذلك فاياك وكرائم أموالهم . وإياك ودعوة المظلوم . فانه ليس بينها وبين الله حجاب ،

وحديث أبى هريرة فى صحيح البخارى * من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مُثل ماله يوم القيامة شجاعاً (١) اقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ، ثم يأخذ بلهزمتيه يعنى شدقيه ، ثم يقول أنا مالك أنا كنزك ثم تلا هذه الآية (ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوّقون ما بخلوا به يوم القيامة)[١]

(**الثالث والعشرون**) الصيام لقوله تعالى (كُتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم)[٢] ...

ولحديث عبدالله بن عمر رضى الله عنهما فى الصحيحين بُنى الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله وان محمداً عبـده ورسوله . وأقام الصلوة وأيتاء الزكاة . وصوم رمضان وحج البيت *

وحديث أبى هريرة فيهما كل عمل ابن آدم يضاعف . الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف قال الله عز وجـل . الا الصوم فانه لى وأنا أجزى به يدع طعامه وشهوته من أجلى * للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه * ولخلوف (٢) فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك * الصوم جُنة

١ ـ آل عمران ١٨٠
٢ ـ البقرة ١٨٣

---

(١) الشجاع بالضم والكسر الحية الذكر وقيل مطلقا والاقرع الذى لاشعر على رأسه لكثرة سمه وطول عمره

(٢) الخلوف بالضم تغير ريح الفم

(الرابع والعشرون) الاعتكاف (١) لقـوله تعالى (وعهـدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود) ..

ولحديث عائشة فى الصحيحين ، ان النبى صلى الله عليه مسلم كان يعتكف العشر الاواخر من رمضان حتى توفاه الله ثم اعتكف أزواجه من بعده * ولما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم . قال : من اعتكف فواق (٢) ناقة فكأنما اعتق نسمة أو رقبة

(الخامس والعشرون) الحج (٣) لقوله تعالى (ولله على

---

(١) الاعتكاف لغـة لزوم الشيء وحفظ النفس عليها وشرعا اللبث فى المسجد على هيئة مخصوصة وهذه السنة قد أضاعها المسلمون ولم توجد الا فى باطن الكتب حتى المتشرعون والمنتسبون الى السنة مع ان النبى صلى الله عليه وسـلم داوم عليها حتى توفاه الله . اللهم اهـد علمائنا واصلح حالهم ووفقهم للعمل بالسنة

(٢) الفواق بضم الفاء وفتحها وهو مابين الحلبتين من الراحة

(٣) الحج قصد بيت الله الحرام لايقاع العبادة المخصوصة فيه من طواف وسعى ووقوف بعرفة . وهو من أهم أركان الاسـلام وهو لايجب الاعلى المستطيع وقد تناسى الآن وترك . فجعلوا كعبتهم أوروبا يقصدونها لأخذ علوم الفلسفة والطبيعة وعلوم الجدل وفنون الغش وأنواع المكر والخداع ويُلقنون المذاهب المنافيـة لروح الاسلام ومدنيته ، ويأتون ساخطين على الدين وأهله ويعيبون على من تمسك بقواعـد الدين الحنيف ، وينقمون على عادات أقاربهـم وأهاليهم .من صـلاة وصيام وهذا ما جلبته أوروبا علينا بخيلها ورجلها : وهم يدعون أنهم وطنيون لا وقطع الله الوطنية التى تؤدى الى ازدراء الدين وتقويض دعائمه ومحاربة أهله . ومجانبة أهم أركانه

١ ـ البقرة ١٢٥

الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا)[١] وقوله (واذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق)[٢] وقوله (وأتموا الحج والعمرة لله)[٣]

ولحديث ابن عمر رضى الله عنهما فى الصحيحين ، بُنى الاسلام على خمس ، شهادة ان لا اله الا الله ، وان محمدا عبده ورسوله ، وأقام الصلوة ، وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت)

وحديث عمر رضى الله عنه فى صحيح مسلم ، قال بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاء رجل فقال يا محمد ما الاسلام قال ان تشهد ان لا اله الا الله ، وان محمدا رسول الله . وان تقيم الصلوة . وتؤتىَ الزكوة ، وتحج البيت ، وتعتمر وتغتسل من الجنابة ، وتتم الوضوء ، وتصوم رمضان ، قال فان فعلت هذا فأنا مسلم قال نعم ، قال صدقت . فذكر الحديث *

وروى عن أبى امامة الباهلى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من لم يحبسه مرض أو حاجة ظاهرة أو سلطان جائر ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا أو نصرانياً

(السادس والعشرون) الجهاد (١) لقوله تعالى (وجاهدوا فى الله حق جهاده)[٤] ، (يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم)[٥] ، (قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة)[٦] ،

١ ـ آل عمران ٩٧
٢ ـ الحج ٢٧
٣ ـ البقرة ١٩٦
٤ ـ الحج ٧٨
٥ ـ المائدة ٥٤
٦ ـ التوبة ١٢٣

(١) الكلام على الجهاد وما يليه يطول والزمن قصير والوقت حرج نسأل الله الثبات

(يأأيها النبى حرض المؤمنين على القتال)[1]

* ولحديث أبى هريرة فى الصحيحين ، سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الاعمال أفضل ، قال الايمان بالله ورسوله . فقيل ثم ماذا قال الجهاد فى سبيل الله ، قيل ثم ماذا قال حج مبرور *

* وحديث عبد الله بن أبى أوفى فى صحيح البخارى ، لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية فاذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف ،

(السابع والعشرون) المرابطة (١) فى سبيل الله عز وجل لقوله تعالى ، (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله)[2]

* ولحديث سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه فى صحيح البخارى . رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا ومافيها ، وموضع

لكن لا بأس من ان نتكلم على حقيقته . فنقول الجهاد لغة المشقة وشرعاً الجهد فى قتال المعتدين على الدين ومجاهدة النفس والشيطان والفساق ، فجاهدة المعتدين معلومة ومجاهدة الفساق فباليد . ثم اللسان . ثم القلب * ومجاهدة الشيطان فعلى دفع مايأتى به من الشبهات . ومايزينه من الشهوات . قال ابن دقيق العيد القياس يقتضى ان يكون الجهاد افضل الاعمال التى هى وسائل لان الجهاد وسيلة الى اعلان الدين ونشره واخماد الكفر ودحضه ففضيلته بحسب فضيلة ذلك

(١) المرابطة الملازمة فى نحو العدو وحفظ ثغور الاسلام وصيانتها عن دخول الاعداء الى بلاد المسلمين

١ ـ الأنفال ٦٥
٢ ـ آل عمران ٢٠٠

سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها (١)

والمرابطة تنزل من الجهاد والقتال منزلة الاعتكاف فى المساجد من الصلوة، لان المرابط يقيم فى وجه العدو مثل قيامه مستمدا له(٢)

(الثامن والعشرون) الثبات للعدو أو ترك الفرار من الزحف لقوله تعالى (واذا لقيتم فئة فأثبتوا)، (اذا لقيتم (٣) الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا

---

(١) هذا قطعة من الحديث وتمامه والروحة يروحها العبد فى سبيل الله والغدوة خير من الدنيا وما عليها، وفائدة العدول عن قوله وما فيها هو أن معنى الاستعلاء أعم من الظرفية وأقوى فقصده زيادة المبالغة

(٢) وبيان التعليل ان المرابط يقيم فى وجه العدو متأهباً مستمداً حتى اذا أحس من العدو بحركة أو عمل نهض فلا يفوته بالتأهب والاتيان من بُعد فرصُه كما أن المعتكف يكون فى موضع الصلاة مستمدا، فاذا دخل الوقت وحضر الامام قام الى الصلاة ولم يشغله عن اتيان المساجد شاغل. ولاحال بينه وبين الصلاة مع الامام حائل ولا شك أن المرابطة أشق من الاعتكاف كما لا يخفى

(٣) ومعنى الآية فاذا لقيتم أيها المؤمنون الذين كفروا واعتدوا وخرجوا عليكم زاحفين وماشين لقتالكم. ومتوجهين لحاربتكم. فلا تدبروا. بل اثبتوا واصبروا واعتمدوا على ربكم ومن يدبر يوم اللقاء ووقته فضلا عن الفرار فقد باء أى رجع بغضب عظيم من الله تعالى ومأواه الذى يزعم انه ينجيه من القتل جهنم وبئس المصير، الا اذا أدبر تاركا موقفه الى موقف أصلح للقتال منه، أومتوجها الى قتال طائفة أخرى، أومنحازاً الى جماعة أخرى من المؤمنين ومنضما اليهم وملحقا بهم ليقاتل معهم العدو فلا شئ عليه. ولا يدخل فى هذا الوعيد. ولايخفى مافى ايقاع البوء فى موقع جواب الشرط الذى هو التولية مقروناً بذكر المأوى والمصير من الجزالة التى لا مزيد عليها

١ ـ الأنفال ٤٥

لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير[١]) (يأأيها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين[٢]) الآية

* ولحديث عبد الله بن أبي أوفى فى صحيح البخارى ، لاتتمنوا لقاء العدو واسئلوا الله العافية فاذا لقيتموهم فاثبتوا واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف ـ

(التاسع والعشرون) اداء الخُمس من المغنم الى الامام وعماله على الغانمين لقوله (واعلموا انما غنمتم من شئ فان لله خمسه[٣]) الى قوله (ان كنتم أمنتم بالله وما أنزلنا) الاية وقوله (وما كان لنبى ان يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة[٤])

* ولحديث ابن عباس رضى الله عنهما فى الصحيحين عن وفد عبد القيس، آمركم باربع وأنهاكم عن أربع . آمركم بالايمان بالله وحده اتدرون ما الايمان بالله . قالوا الله ورسوله اعلم . قال شهادة ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله . وأقام الصلوة وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان، وحج البيت . وان تعطوا من المغنم الخمس وانهاكم عن الحنتم(١) والدباء والنقير والمزفت قال احفظوهن وأخبروا بهن من ورائكم

---

(١) ألحنتم جرار مدهونة كانت تحمل الخمر فيها الي المدينة * والدباء القرع واحدها دباءة * والنقير أصل النخل ينقر وسطه ثم ينبذ فيه التمر والمزفت اناء يطلى بالزفت وهو نوع من القار ثم ينبذ فيه

وهـذا النهى كان في أول الاسلام ثم نسخ لما أخرجه مسلم وغيره من حديث بريدة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت نهيتكم عن

١ ـ الأنفال ١٥ ـ ١٦
٢ ـ الأنفال ٦٥
٣ ـ الأنفال ٤١
٤ ـ آل عمران ١٦١

(الثلاثون) العتق بوجه التقرب الى الله عز وجل به لقوله تعالى (فلا اقتحم العقبة وما ادراك ما العقبة فك رقبة (١)) * ولحديث أبي هريرة رضى الله عنه فى الصحيحين، من أعتق رقبة أعتق الله بكل عضو منها عضوا من اعضائه من النار حتى فرجه بفرجه (٢)

(الحادى والثلاثون) الكفارات (٣) الواجبات بالجنايات وهى بالكتاب والسنة أربع كفارات كفارة القتل ، وكفارة الظهار، وكفارة اليمين ، وكفارة المسيس فى صوم رمضان ، ومما يقرب منها ما يجب باسم الفدية لانها أما عن ذنب سبق أو يراد به التقرب الى الله يعنى أثر أمر قد وقع ذنباً كان أو غير ذنب

(الثانى و الثلاثون) * الا يفاء بالعقود لقوله تعالى (أوفوا بالعقود) . وقال ابن عباس رضى الله عنهما يعنى ما أحل وما حرم وما فرض وما وجد فى القرآن * وقوله (يوفون بالنذر) ، (وليوفوا

الاشربة الا فى ظروف الادم فاشربوا فى كل وعاء غير أن لا تشربوا مسكراً وفى الباب أحاديث مصرحة بنسخ ما قد كان وقع منه صلى الله عليه وسلم وذهب قوم الى بقاء الحظر فيها وبه قال مالك واحمد

(١) قال المصنف قوله فلا اقتحم العقبة . كلام انكار واستبطاء وهو كقوله فهلا اقتحم العقبة . أى هلا عمل ما يسهل عليه اقتحامها . أى من عتق الرقبة وعمل البر

(٢) هذه رواية مسلم

(٣) جمع كفارة وهى الخصلة التى من شأنها أن تكفر الخطيئة أي تسترها وتمحوها. وتختلف باختلاف متعلقها

١ ـ البلد ١١ ـ
٢ ـ المائدة ١
٣ ـ الانسان ٧

نذورهم)[١] ، (ومنهم من عاهد الله)[٢] ، (وأوفوا بعهدكم اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها)[٣]

* ولحديث عبد الله بن مسعود * فى صحيح البخارى لكل غادر لواء يوم القيامة يقال هذه غدرة فلان ،

* وحديث عبد الله بن عمر فى الصحيحين . أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها * اذا حدث كذب * واذا عاهد غدر * واذا وعد اخلف * * واذا خاصم فجر *

* وحديث عبد الله بن عامر الجهنى فى صحيح مسلم ان أحق الشروط أن يوفى به ما استحللتم به الفروج ،

(الثالث والثلاثون) تعدد نعم الله عز وجل وما يجب من شكرها لقوله تعالى قل الحمد لله (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها)[٤] (وأما بنعمة ربك فحدث)[٥] ، (فأذكرونى أذكركم وأشكروا لى ولا تكفرون)[٦] ، وغير ذلك مما منّ الله تعالى على عباده وذكرهم بها فى كتابه ،

* ولحديث أُبى رضى الله عنه فى صحيح البخارى . قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أخذ مضجعه من الليل قال باسمك أموت وأحيي وإذا استيقظ قال الحمد لله الذى أحيانى بعد ما أماتنى . واليه النشور ،

* وحديث صهيب رضى الله عنه فى صحيح مسلم عجباً لامر المؤمن

١ ـ الحج ٢٩
٢ ـ التوبة ٧٥
٣ ـ النحل ٩١
٤ ـ ابراهيم ٣٤
٥ ـ الضحى ١١
٦ ـ البقرة ١٥٢

ان أمره كله خير ، وليس ذاك لاحد الا للمؤمن ، ان اصابته سراء شكر فكان خيرا له وان أصابته ضراء صبر فكان خيرا له

* وبه قال البيهقى . قال أنا الحافظ أبو عبد الله . قال أنشدنى عبد الله بن أبى ذهل . قال انشد أبو الحسن الكندى القاضى

اذا كنت فى نعمة فارعها * فان المعاصى تزيل النعم

* قال أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمى قال سمعت الحسين بن يوسف القزوينى قال سمعت أبا بكر أحمد بن اسحاق . قال سمعت البراء أوالمرء يقول ، الشكر نعمة ، والشكر على النعم نعمة الى ان لا يتناهى الشكر الى قرار

وقد قال الامام الشافعى رحمه الله فى أول كتاب الرسالة ، الحمد لله الذى لا يؤدى شكر نعمة من نعمه الا بنعمة منه توجب على مؤدى ذلك الشكر *

أنبأ أبو القاسم أنبأ أحمد بن سليمان أنا ابن أبى الدنيا ألخ

وبه انا البيهقى . قال فأنشدنا محمود الوراق

ان كان شكرى نعمة الله نعمة * علىّ له فى مثلها يجب الشكر

فكيف يصح الشكر الا بفضله * وان طالت الأيام واتصل العمر

اذا مس بالسرّاء عم سرورها * اذا مس بالضرّاء اعقبها الاجر

وما منهما الا له فيه منة * يضيق بها الأوهام والبر والبحر

وأخبرنا من غير رواية البيهقى جماعة ببتين

اذا كان شكرى نعمة الله نعمة * علىّ لى فى مثلها يجب الشكر

فمالى عذر غير انى مقصر * وعذر أى بأن ليس لى عذر(١)

* (الرابع والثلاثون) ، حفظ اللسان عما لا يحتاج اليه ويدخل فيه الكذب (٢) والغيبة والنميمة والفحش اذا القرآن والسنة مشحونان بذلك كقوله تعالى والصادقين والصادقات[١] * اتقوا الله وكونوا مع الصادقين[٢] * ولا تقف ما ليس لك به علم[٣] * فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه[٤] والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون)[٥] الآية * (ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع فى الدنيا)[٦] ،

---

(١) أى وعذري فى ذلك . ليس لى عـذر .

(٢) قال البيهقى وللكذب مراتب . فاعلاها فى القبح والتحريم الكذب على الله عز وجل . ثم على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ثم كذب المرء على عينيه وعلى لسانه وسائر جوارحه . وكذبه على والديه ثم كذبه على الاقرب فالاقرب من المسلمين ، وأغلظ ذلك كله ما يضر به أحداً فى نفسه وماله وأهله أو ولده . ثم الكذب الموبق باليمين أغلظ من الكذب المتجرد عن اليمين ويتلو الكذب فى الكراهة الملق والافراط فى مدح الرجل وأقبح من ذلك ما كان فى وجهه ويتلوه الخوض فيما لا يعنى ولا يرجع الى الخائض فيه منه نفع ولا يعود عليه من السكوت ضرر، ويتلوهذه كثرة الكلام واطالته مع الاكتفاء ببعضه وترديده وتكريره مع الاستغناء بالمرة الواحدة منه اه *وقد وردت أحاديث كثيرة فى قبح الكذب. وأنه مجانب للايمان، وأكثر ما يكون فى السوقة والتجار . روى البيهقى بسنده عن عبد الرحمن بن شبل قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول، ان التجار هم الفجار. قالوا يارسول الله اليس قد احل الله البيع، قال بلى ولكنهم يحلفون فيأثمون ويحدثون فيكذبون

[١] ـ الاحزاب ٣٥
[٢] ـ التوبة ١١٩
[٣] ـ الاسراء ٣٦
[٤] ـ الزمر ٣٢
[٥] ـ الزمر ٣٣
[٦] ـ النحل ١١٦ ـ ١١٧

* ولحديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه فى الصحيحين ان الصدق يهدى الى البر وان البر يهدى الى الجنة وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً ، وان الكذب يهدى الى الفجور وان الفجور يهدى الى النار ، وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذّاباً *

* وحديث سهل بن سعد رضى الله عنه فى صحيح مسلم(١) من يضمن لى مابين لحْييه ومابين فخذيه أضمن له الجنة * وحديث أبى شريح الخزاعى فيه(٢) أيضاً (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليفعل خيراً أو ليصمت)

* (الخامس والثلاثون) ، الامانات ، وما يجب فيها من اداءها الى أهلها * لقوله تعالى (ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها) . وقوله تعالى (فليؤد الذى أئتمن أمانته)[٢]

---

(١) الصواب فى صحيح البخارى والضمان بمعنى الوفاء بترك المعصية فاطلق وأريد لازمه وهو اداء الحق الذى عليه ، قال في الفتح والمعنى من أدى الحق الذى على لسانه من النطق بما يجب عليه . أوالصمت عمالا يعنيه وأدى الحق الذى على فرجه من وضعه فى الحلال وكفه عن الحرام اهـ

ولحييه هما العظمان اللذان في جانبى الفم. والمراد بما بينهما اللسان وما يتأتى به النطق، وما بين الفخذين الفرج. فالحديث دل على ان أعظم البلاء على المرء فى الدنيا لسانه وفرجه فمن وقى شرهما وقى أعظم الشر . ولذلك ورد فى صحيح البخارى عن أبى هريرة يرفعه ان العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها فى النارا بعد ما بين المشرق * وفى رواية لا يلقى لها بالا يهوى بها فى جهنم * وفى الباب أحاديث كثيرة المقام لايسعها نرجو الله العافية

(٢) صوابه أيضا فى الصحيحين .

٢ ـ البقرة ٢٨٣

*ولحديث أبي هريرة اد الامانة (١) الى من أئتمنك ، ولاتخن من خانك * ولحديث فى الصحيحين ، ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم . اذا حدث كذب . واذا وعد أخلف . واذا ائتمن خان .

* (السادس والثلاثون)، تحريم قتل النفوس والجنايات عليها لقوله تعالى (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاءه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه)[١] الآية

* ولحديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه فى الصحيحين قتل المسلم كفر(٢) وسبابه فسوق .

---

(١) الامانة تأتى بمعانى كثيرة منها الطاعة والعبادة والوديعة والثقة والاماذ ولامانع من ارادة الجميع هنا ،وقدعظم الشارع أمر الامانة ووردت أحاديث كثيرة فى هذا الباب ،منها ما رواه الطبرانى عن ابن عمر .لا ايمان لمن لا أمانة له والبزار، لا دين لمن لا أمانة له ولا صلاة له ولا زكاة له

وقوله ولا تخن من خانك فيه اشارة الى مزايا هذا الدين وبيان لطائفه وهوان الانسان لايقابل من أساء اليه بالمثل بل يعفو ويصفح ويتناسى ذلك

(٢) الحديث فيه تقديم وتأخير وما فى صحيح البخارى ومسلم هكذا سباب المسلم فسوق . وقتاله كفر، والسباب بكسر السين وفتح الباء بمعنى السب وهو الشتم والتكلم فى عرض الانسان بما يعيبه . والفسق الفجور والخروج عن الحق . والترك لامر الله تعالى . والقتال المقاتلة والمخاصمة . والكفر كفران النعم . لا الخروج عن الملة والدين . لان الاجماع من أهل السنة منعقد على ان المؤمن لا يكفر بالقتال ولا بفعل معصية اخرى غير الشرك واستحلال المحرم المعلوم بالضرورة من الدين ،وانما اطلق عليه الكفر مبالغة فى التحذير .

[١] ـ النساء ٩٣

* وحديثه فى صحيح البخارى ، أول مايقضى بين الناس يوم القيامة فى الدماء (١) ،

* ولحديث ابن عمر رضى الله عنهما فى الصحيحين لا يزال المسلم فى فسحة من دينه مالم يصب دماً حراماً

* (السابع والثلاثون) تحريم الفروج وما يجب فيها من التعفف لقوله تعالى (ويحفظن فروجهن)[١] ، (والذين هم لفروجهم حافظون)[٢] * (ولا تقربوا الزنا (٢) انه كان فاحشة وساء سبيلاً)[٣]

---

(١) يعنى أن أول القضايا القضاء فى الدماء . أو أول ما يقضى فيه الامر الكائن فى الدماء ، وهذا لا يعارض ما رواه أبو هريرة مرفوعاً ان أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلاته * لان الاول محمول على ما يتعلق بمعاملات الخلق والثانى فيما يتعلق بعبادة الخالق ، وفى الحديث تعظيم أمر الدم لان البداءة انما تكون بالاهم ، والذنب يعظم بحسب عظم المفسدة وتفويت المصلحة . واعدام البنية الانسانية غاية فى ذلك

(٢) ويدخل تحت النهى من يأتى الغلمان ويعمل عمل قوم لوط ، ويدل له ماروواه البيهقى بسنده عن ابن عباس مرفوعاً فى حديث طويل . قال ولعن الله من عمل عمل قوم لوط ثلاث مرات * وبسند آخر عن جابر بن عبد الله مرفوعاً ان من أخوف ما أخاف على أمتى أو على هذه الامة عمل قوم لوط وبسند آخر عن ابن عباس مرفوعاً يقتل الفاعل والمفعول به . قال عطاء وابن المسيب أى يحدان حد الزانى . وقد لاط رجل فى زمن أبى بكر الصديق رضى الله عنه فجمع أبو بكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم على ابن أبى طالب فقال لهم هذا الذنب لم يعمل به الا أمة واحدة ففعل الله بهم ماقد علمتم أرى أن نحرقه بالنار فاجتمع رأى الصحابة على احراقه بالنار فأمر

١ ـ النور ٣١
٢ ـ المؤمنون ٥
٣ ـ الاسراء ٣٢

* ولحديث أبي هريرة رضى الله عنه فى الصحيحين ، لايزنى الزانى حين يزني وهو مؤمن (١) ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن . ولاينتهب نهبة ذات شرف يرفع المؤمنون اليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن .

* (الثامن والثلاثون) ، قبض اليد عن الاموال

به وأحرق وقد أمر بذلك أيضاً ابن الزبير وهشام بن عبد الملك

وقال بعض التابعين ما أنا بأخوف على الشاب الناسك من سبع ضارمن الغلام الامرد يقعد اليه * وقد انتشرت هذه البدعة الشنيعة وعم فسادها . ولذلك وقع الخسف والقحط وعم البلاء . وارتفعت الرحمة والبركة . هلا من نذير * غفرانك ربنا واليك المصير

(١) قال . النووى هذا الحديث مما اختلف العلماء فى معناه . فالقول الصحيح الذى قاله المحققون ان معناه لا يفعل هذه المعاصى وهو كامل الايمان وهذه من الالفاظ التى تطلق على نفى الشئ ويراد نفى كماله كما يقال لا علم الا مانفع . ولاعيش الاعيش الاخرة ، وانما تأولناه على ما ذكرنا لحديث أبى ذر وغيره من قال لا اله الا الله دخل الجنة وان زنى وان سرق . وحديث عبادة بن الصامت انهم بايعوه صلى الله عليه وآله وسلم على ان لا يسرقوا ولا يزنوا الى آخره . ثم قال لهم صلى الله عليه وعلى آله وسلم فمن وفى منكم فأجره على الله . ومن فعل شيئاً من ذلك فعوقب فى الدنيا فهو كفارته ومن فعل شيئاً ولم يعاقب فهو الى الله تعالى ان شاء عفا عنه وان شاء عذبه . فهذان الحديثان مع نظائرهما فى الصحيح . مع قول الله تعالى (ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) مع اجماع أهل الحق على ان الزانى والسارق والقاتل وغيرهم من اصحاب الكبائر غير الشرك لايكفرون بذلك انتهى المقصود منه ببعض تصرف

ويدخل فيها تحريم السرقة وقطع الطريق وأكل الرشا وأكل مالا يستحقه شرعاً (١) لقوله تعالى (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل)[١] وقوله (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم)[٢] الى قوله (وأكلهم أموال الناس بالباطل)[٣] (ويل للمطففين)[٤]. (وأوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم)[٥]

* ولحديث عبد الرحمن بن أبي بكر فى الصحيحين عن أبيه رضى الله عنهما . قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى ، فقال * ان دمائكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام . الحديث ،

* (التاسع والثلاثون) : وجوب التورع فى المطاعم والمشارب والاجتناب عما لا يحل منها لقوله تعالى (حُرمت عليكم الميتةُ والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله والمنخنقة)[٦] الاية ، (قل لا أجد فيما أوحي الىّ محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فانه رجس أو فسقا أهل لغير الله به)[٧] ، (انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه)[٨] الآيات ،

١ ـ البقرة ١٨٨
٢ ـ النساء ١٦٠
٣ ـ النساء ١٦١
٤ ـ المطففين ١
٥ ـ الاسراء ٣٥
٦ ـ المائدة ٣
٧ ـ الأنعام ١٤٥
٨ ـ المائدة ٩٠

---

(١) اعلم أن الله تعالى حرم دفع المال الى الحكام ليأخذ بحكمه مالا يستحقه آثماً بأخذه ظالما بالابطال من نفسه فقال (ولا تأكلوا أموالكم بينكم) الآية ، وقال فى الاخذ باليمين الفاجرة (ان الذين يشترون بعهد الله) الآية وقال فى ذم اليهود (وأخذهم الربا وقد نهوا عنه) وعظم أمر التطفيف فقال (ويل للمطففين) الآية وقال (أوفوا الكيل) وقال فى السرقة (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) الآية وقال فى المحاربة (انما جزاء الذين يحاربون الله) الآية وغير ذلك من الآيات الدالة على تحريم أكل أموال الناس بالباطل

(يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير)[١] الاية فاثبت فيها الاثم وقال فى آية أخرى (قل انما حرم ربى الفواحش ماظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير حق)[٢] فحرم الاثم نصا . ويقال ان الاثم اسم من اسماء الخمر وينشده

* شربت الاثم حتى ضل عقلى * كذاك الاثم يذهب بالعقول *

ولحديث عائشة رضى الله عنها فى الصحيحين سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البتع (١) فقال كل شراب أسكر فهو حرام

* وحديث ابن عمر رضى الله عنهما فى صحيح مسلم كل مسكر حرام وكل خمر حرام * وحديثه فى الصحيحين من شرب الخمر فى الدنيا ثم لم يتب منها حرمها فى الآخرة

* وحديث أبى هريرة رضى الله عنه فيهما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به بايلياء بقدحين خمر ولبن فنظر اليهما ثم أخذ اللبن فقال له جبريل عليه السلام . الحمد لله الذى هداك للفطرة لو أخذت الخمر لغوت أمتك

* ولحديث فيهما ولا يشرب الخمر الشارب حين يشربها وهو مؤمن الحديث * وبه أنا البيهقى باسناده عن الحسن قال جاء رجل بنبيذ الى أحب خلق الله اليه حتى أفسده (٢) يعنى العقل * وقيل لبعض العرب

١ ـ البقرة ٢١٩
٢ ـ الاعراف ٣٣

---

(١) البتع بكسر فسكون وقد تحرك التاء نبيذ العسل وهو خمر أهل اليمن
(٢) وقال عباد لو كان العقل علقا يشترى لتغالى الناس فى شرائه فالعجب من أقوام يشترون بأموالهم ما يذهب بعقولهم . وقال بعضهم

لاتشرب النبيذ فقال والله ما ارضى عقلى صحيحا فكيف ادخل اليه مايفسده * وعن الحكم بن هشام أنه قال لابن له يابنى اياك والنبيذ . فانه قىء فى شدقك . وسلح على عقبك ، وحد فى ظهرك ، وتكون ضحكة للصبيان وأسير اللديان * وعن بعض الحكماء انه قال لابنه يابنى مايدعوك الى النبيذ قال يهضم طعامى قال والله بنى هو لدينك اهضم * وعن عبد الله بن ادريس

كل شراب مسكر كثيره * من تمرة أو عنب عصيره
وأنه محرم يسيره * انى لكم من شره نذيره

وعن أبى بكر بن أبى الدنيا انشده أبواه

واذ النبيذ على النبيذ شربته * ازرى بدينك مع ذهاب الدرهم

وانشدنا الحسين بن عبد الرحمن.

ارى كل قوم يحفظون حريمهم * وليس لاصحاب النبيذ حريم
اذا جئتهم حيوك الفا ورحبوا * وان غبت عنهم ساعة فذميم
اخاهم(١) اذا مادارت الكأس بينهم * وكلهم رث الوصال سؤم
فهذا ثناثى لم اقل بجهالة * ولكن بحال الفاسقين عليم

(فصل) فى صحيح مسلم وغيره من حديث أبى هريرة رضى الله عنه

تركت النبيذ لأهل النبيذ * وصرت حليفا لمن عابه
شرابا يدنس عرض الفتى * ويفتح للشر أبوابه

(١) هكذا الاصل ولعله معمول لفعل محذوف تقديره يروك والاولى الرفع فيكون مرفوعاً على الخبرية

يا أيها الناس ان الله طيب (١) لايقبل الاطيبا وان الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين (فقال يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم) وقال (يا أيها الناس كلوا مما فى الارض حلالا طيبا) وقال (يا ايها الناس كلوا من طيبات مارزقناكم * ثم ذكر الرجل يطيل السفر اشعث أغبر يمد يديه الى السماء يارب يارب ومطعمه حرام وملبسه حرام ومشربه حرام وغذى بالحرام فاني يستجاب له

وفى الصحيحين من حديث النعمان بن بشير، ان الحلال(١) بين والحرام بين وبين ذلك مشتبهات لايعلمها كثير من الناس فمن اتقى

---

(١) الطيب هنا معناه الطاهر أى ان الله تعالي مقدس منزه عن النقائص والعيوب كلها لا يقبل من الاعمال الاما كان طيباً طاهراً من المفسدات والخبائث كلها كالرياء والعجب ولامن الاموال الا ما كان حلالا ، وقد بين المولى جل وعلا ان الرسل واممهم مأمورون بالأكل من الطيبات التى هى الحلال وبالعمل الصالح . وذكر الدعاء بعد ذلك بيان لاستبعاد قبول الاعمال مع التغذية بالحرام * والعلماء فيمن صلى فى ثوب حرام أو حج بمال حرام هل يسقط فرض الصلاة والحج بذلك أم لا قولان .وهذا يدل على انه لايتقبل العمل مع مباشرة الحرام والله أعلم

(١) الشارع ان نص على طلب الشئ مع الوعيد على تركه فالحلال البين وان نص على تركه مع الوعيد على فعله فالحرام البين .وان لم ينص على واحد منهما فالمشتبه ، وينبغى اجتنابه ،والمعنى ان الحلال المحض بين لا اشتباه فيه وكذلك الحرام المحض ولكن بين الامرين أمور تشتبه على كثير من الناس هل هى من الحلال أم من الحرام . وأما الراسخون فى العلم فلا يشتبه عليهم ذلك * ومن أراد تحقيق ذلك وأمثلة كل فعليه بكتاب كشف الشبهات عن المشتبهات للامام الشوكانى وقد طبعناه حديثاً

ـ المؤمنون ٥١
ـ البقرة ١٦٨

الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه ، ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه الاوان لكل ملك حمى وحمى الله فى الارض محارمه

وفي الصحيحين من حديث أبى هريرة ،اني لانقلب الى اهلي فأجد التمرة ساقطة على فراشى أوفى بيتى فارفعها لآكلها ثم اخشي ان تكون من الصدقة فالقيها

وفى صحيح البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت كان لابى بكر غلام يخرج له الخراج . وكان ابو بكر ياكل من خراجه فجاءيوما بشيء فاكل منه أبو بكر ، فقال له الغلام اتدرى ماهذا فقال أبو بكر رضى الله عنه وما هو قال تكهنت (١) لانسان فى الجاهلية وما أحسن الكهانة الا انى خدعته فلقينى فأعطانى بذلك . فهذا الذى اكلت منه قالت فأدخل ابو بكر يده فقاء كل شيء في بطنه

وعن زيد بن اسلم ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه . شرب لبنا فاعجبه فقال للذى سقاه من أين لك هذا اللبن فاخبره انه ورد على ماء قد سماه فاذا نعم من نعم الصدقة وهم يسقون فحلبوه لى من البانها فجعلته فى سقائى وهو هذا فأدخل عمر يده فاستقاه * وعن على رضى الله عنه فى طيب مطعمه أنه كان يجاء بخبزه فى جراب من المدينة

* أنبأنا البيهقى باسناده عن بشر بن الحارث قال قال يوسف

---

(١) الكاهن الذى يتعاطي الخبر عن الكائنات فى مستقبل الزمان . ويدعى معرفة الاسرار . والعرب تسمى كل من يتعاطى علماً دقيقاً كاهنا . كالمنجم والطبيب . وقد كان فى العرب كهنة كشق وسطيح وغيرهما

ابن اسباط اذا تعبد الشاب ،يقول إبليس انظروا من أين مطعمه فان كان مطعمه مطعم سوء ، قال دعوه لاتشتغلوا به .دعوه يجتهد ويتعب فقد كفاكم نفسه * وعن حذيفة المرعشى أنه نظر الى الناس يتبادرون الى الصف الأول ، فقال ينبغى أن يتبادروا الى أكل خبز الحلال

* وعن الفضيل بن عياض قال . سئل سفيان الثورى عن فضل الصف الأول فقال انظر كسرتك التى تأكل من أين تأكلها ، وصل فى الصف الأخير * وعنه أيضاً انظر درهمك من أين هو . وصل فى الصف الأخير

وعن سرى السقطى أنه كان لا يأكل من بقل السواد ولا من ثمره ولا من شئ يعلم أنه منه ويشدد فى ذلك وكان غاية فى الورع (١) ومع ذلك قال كنت بطرسوس وكان معى فى الدار فتيان يتعبدون وكان فى الدار تنور يخبزون فيه ، فانكسر التنور فعملت بدله من مالى فتورعوا أن يخبزوا فيه

---

(١) الورع اختلف فى حقيقته على أقوال قال ابن أدهم ، الورع ترك كل شبهة. وقال يحيي بن معاذ، الورع الوقوف على حد العلم من غير تأويل * وسأل الحسن البصرى غلاماً فقال له . ما ملاك الدين، قال الورع . قال فما آفته . قال الطمع . وقال بعض السلف لا يبلغ العبد حقيقة التقوى حتى يدع ما لا بأس به حذراً مما به بأس *وقال بعض الصحابة. كنا ندع سبعين باباً من الحلال مخافة أن نقع فى باب من الحرام ، وقد جمع النبي صلى الله عليه وسلم الورع كله فى كلمة واحدة فقال ، من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه * وترك ما لا يعنى هو ترك الفضلات كلها وفقنا الله لذلك

وعنه قال فكان أبو يوسف الغسولى يلزم الثغر ، ويغزو فكان اذا غزا مع الناس ودخلوا بلاد الروم ، أكل أصحابه من ذبائحهم وفوا كههم وهو لا يأكل ، فيقال له يا أبايوسف أتشك أنه حلال، فيقول لا، فيقال له فكل من الحلال فيقول انما الزهد فى الحلال

* وعن السرى قال رجعت من بعض المغازى فرأيت فى طريق ماء صافياً، وحوله عشب من حشيش قد نبت فقلت فى نفسى ياسرى ان كنت يوماً أكلت أكلة حلال وشربت شربة حلال فاليوم فنزلت عن دابتى ، فأكلت من ذلك الحشيش ، وشربت من ذلك الماء فهتف بى هاتف سمعت الصوت ولم أر الشخص ، ياسرى بن المغلس فالنفقة التى بلغتك الى ههنا من أين هى ،فقصر الىّ نفسى

* وعن عبد الله بن الخلاء قال أعرف من أقام بمكة ثلاثين سنة لم يشرب من ماء زمزم الا ما استقاه بركوته ورشائه ولم يتناول من طعام جلب من مصر شيئا

وعن بشر بن الحارث الحافى بن عمر قال سمعت المعافى بن عمران يقول ، كان عشرة فيمن مضى من أهل العلم ينظرون فى الحلال النظر الشديد ،لايدخلون بطونهم الا مايعرفون أنه من الحلال ،والا استفوا التراب ، ثم عد بشر ، ابراهيم بن أدهم . وسليمان الخواص * وعلى بن فضيل بن عياض * وأبا معاوية الاسود ، ويوسف بن أسباط * ووهيب بن الورد ، وحذيفة شيخا من أهل حران . وداود الطائى. وعد بشر عشرة وعن يحي بن معين المحدث

المال يذهب حله وحرامه * يوما ويبقى فى غد آثامه

وعن محمد بن عبد الكريم المروزى لماولى يحيى بن أكثم القضاء كتب اليه أخوه عبد الله بن أكثم من مرو وكان من الزهاد

ولقمة بجريش الملح تأكلها * ألذ من تمرة تحشى بزنبور

وأكلة قربت للملك صاحبها * كحبة الفخ دقت عنق عصفور

وعن ابراهيم بن هثيم أنه استوصاه صاحب له عند وداعه فقال أوصيك أن تكون لقمتك صالحا . وتأكل طيبا

ليس التقىّ بمتق لألهه * حتى يطيب شرابه وطعامه

ويطيب مايجنى ويكسب أهله * ويكون فى حسن الحديث كلامه

نطق النبى لنا به عن ربه * فعلى النبى صلاته وسلامه

* (الاربعون) ، تحريم الملابس والزى والأوانى وما يكره منها * لحديث أنس بن مالك فى الصحيحين * من لبس الحرير فى الدنيا فان يلبسه فى الآخرة (١)

---

(١) وفى الباب أحاديث كثيرة منها عن عمر رضى الله عنه قال سممت صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول لا تلبسوا الحرير فأنه من لبسه في الدنيا لم يلبسه فى الآخرة، متفق عليه فالاحاديث تدل على تحريم لبس الحرير لما فيها من النهى وتعليل ذلك بان من لبسه فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة ، والظاهر أنه كناية عن عدم دخول الجنة .ولذلك قال ابن عمر ،والله لايدخل الجنة،واستدل على ذلك بقوله تعالى ولباسهم فيها حرير . ويشهد له أيضا مارواه الشيخان عنه . انما يلبس الحرير فى الدنيا من لاخلاق له فى الآخرة . والخلاق كما فى شروح الحديث وكتب اللغة النصيب ، وقد أجمع المسلمون على التحريم وهذه

* وحديث حذيفـة لاتلبسوا الحرير ولا الديباج ولاتشربوا في آنية الفضة والذهب، ولا تأكلوا في صحافها ، فانها لهم في الدنياوهي لـكم في الآخرة

* وحديث ابن مسعود رضي الله عنه في صحيح مسلم * ان الله جميل يحب الجمال . الـكبر بطر الحق وغَمط الناس(١)

* وحديث أبي بردة في الصحيحين * قال أخرجت الينا عائشة

الاحاديث اذا لم تفد التحريم فليس في الدنيا محرم، ولم تنحصر الزينة عندابناء الدنيا على الحرير فلهم ان يتزينوا بالجوخ والصوف والـكشمير وغـير ذلك من المباح النفيس ، ولا تلتفت الى قول في المذهب أو رأى لبعض العلماء فان ذلك من اتباع الهوى ، ودسائس الشيطان ، والعادات القومية المخالفـة للشريعةالمحمدية.وأصرح منه في الدلالةعلى المنع مطلقاً. مارواه البيهقي بسنده عن أبي اسحق قال دخلنا على عبد الله بن عمر وهو بالبطحاء، فقلنا يا أبا عبد الرحمن ان ثيابنا هذه قد خالطها الحرير وهو قليل. قال اتركوا قليله وكثيره . ويدل على صحة هذا ماروى عن علي رضي الله عنه قال أهدى الى النبي صلى الله عليه وآله وسـلم حلة سداها حرير ولحمتها مسـترة فأرسل بها الىّ فقلت ما أصنع بها ألبسها قال اني لا أرضى لك ما لا أرضى لنفسي اجعلها خمرا بين فاطمة أمك وفاطمة ابنتي ، ومسيرة هو من السيراء برود اليمن

وهذا بالنسبة للذكور دون الاناث لقوله صلى الله عليه وآله وسلم أحل الذهب والحرير للاناث من أمتي وحرم على ذكورها رواه احمـد والنسائي والترمذي وصححه

(١) البطر الطغيان عند النعمة.وهو أن يجعل ما جعله الله حقاً من توحيده وعبادته باطلا : أو يمتنع عن الحق فلا يقبله * والغمط الاستهانة والاستحقار

كساء ملبداً وازاراً غليظا فقالت قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين

* وحديث عبد الله بن عمر فيهما * لا ينظر الله تعالى يوم القيامة الى من جر ثوبه خيلاء .

* (الحادى والاربعون)، تحريم الملاعب والملاهى المخالفة للشريعة لقوله تعالى (قل ما عندالله خيرمن اللهو ومن التجارة)[1]

* ولحديث سليمان بن بريدة في صحيح مسلم عن أبيه رضى الله عنه * من لعب بالنردشير(١) فكأنما صبغ يده فى لحم خنزير ودمه

* (الثانى والاربعون)، الاقتصاد فى النفقة وتحريم أكل المال بالباطل لقوله تعالى (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولاتبسطها كل البسط)[2](والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما)[3]

* ولحديث المغيرة بن شعبة رضى الله عنه فى صحيح مسلم * ونهى عن ثلاث قيل وقال وإضاعة المال والحاف السؤال (٢)

---

١ ـ الجمعة ١١
٢ ـ الاسراء ٢٩
٣ ـ الفرقان ٦٧

(١) النردشير هو النرد وهذا الحديث حجة فى تحريم اللعب بالنرد ويلحق به الشطرنج قال الامام مالك هو شر من النرد ومعنى صبغ يده فى لحم الخنزير ودمه أنه فى حال أكله منهما وهو تشبيه لتحريمه بتحريم أكلهما والله الموفق

(٢) يرويان بغير تنوين حكاية للفظ الفعل ورويا منونين وهى رواية البخارى قيلا وقالا على النقل من الفعلية الى الاسمية والاول أكثر . والمراد بهما نقل الكلام الذى يسمعه الى غيره فيقول قيل كذا وكذا بغير تعيين القائل وقال فلان كذا وكذا . وانما نهى عنه لانه من الاشتغال بما لا يعنى المتكلم

*(الثالث والاربعون)، ترك الغل والحسد (١) ونحوهما لقوله تعالى (ومن شر حاسد اذا حسد)[١]، (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله)[٢]

* ولحديث أنس فى صحيح مسلم * لاتحاسدوا، ولاتباغضوا، ولاتقاطعوا، وكونوا عباد الله إخوانا.

* وحديث أنس بن مالك فى صحيح البخارى * لاتباغضوا، ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا، ولا يحل لمسلم (٢) أن

ولانه قد يتضمن الغيبة والنميمة والكذب لاسيامع الاكثار من ذلك قلما من يخلو عنه. ويؤيد هذا ما أخرجه مسلم. كفى بالمرء اثماً أن يحدث بكل ما سمع * وقوله واضاعة المال. المراد به ما أنفق فى غير وجهه المأذون فيه شرعاً سواء كان دينياً أو دنيويا لان الله جعل المال قياما لمصالح العباد وفى التبذير تفويت تلك المصالح * وإلحاف السؤال كثرته اما للمال، أو المشكلات من المسائل والتعميم أولى

(١) الحسد أن يرى الرجل لاخيه نعمة فيتمنى أن تزول وتكون له دونه. فالحسد حسدان محمود ومذموم. فالمحمود أن ترى عالما عاملا فتشتهى أن تكون مثله أو زاهداً فتشتهي مثل فعله وهو المسمي غبطة وقد تقدم. والمذموم، أن ترى عالما عاملا، أو فاضلا، فتشتهي أن يموت. فالمؤمن يغبط والمنافق يحسد. وهو خلق ذميم مضر بالبدن مفسد للدين. وهو مركوز فى طباع البشر لان الانسان يكره أن يفوقه أحد من جنسه فى شيء من الفضائل والناس على أقسام في ذلك منهم من يسعى فى زوال نعمة المحسود بالبغى عليه بالقول والفعل. ومنهم من يسعي فى نقل ذلك الى نفسه ومنهم من يسعى فى ازالة نعمته عن المحسود فقط نسأل الله العصمة

(٢) فيه تحريم الهجران فوق ثلاثة أيام بالنص. ويباح فى الثلاث. بالمفهوم

١ ـ الفلق ٥
٢ ـ النساء ٥٤

يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان يصد هذا ويصد هذا ، وخيرهما الذى يبدأ بالسلام .

* وبه أنبأنا البيهقى باسناده عن الحسن فى قوله تعالى (من شر حاسد اذا حسد) قال هو أول ذنب كان فى السماء . وعن الأحنف ابن قيس * خمس هن كما أقول، لاراحة لحسود . ولا مروءة لكذوب ولا وفاء لملوك ، ولا حيلة لبخيل . ولا سؤدد لسيىء الخلق

وعن الخليل بن أحمد ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من حاسد ، له نفس دائم ، وعقل هائم . وحزن لازم ، وعن بشر بن الحارث الحافى ، العداوة فى القرابة ، والحسد فى الجيران، والمنفعة فى الاخوان ، وعن المبرد أنه أنشد

عين الحسود عليك الدهر حارسة * تبدى المساوى والاحسان تخفيه
يلقاك بالبشر يبديه مكاشرة * والقلب منكتم فيه الذى فيه
ان الحسود بلا جرم عداوته * وليس يقبل عذراً فى تجنيه

* (الرابع والاربعون) ، تحريم أعراض (١) الناس وما

وحكمة ذلك أن الآدمي مجبول على الغضب ، فسومح بذلك القدر ، ليرجع ويزول ذلك عنه ، وهذا فيمن لم يجن على الدين جناية . وأما من جنى عليه وعصى ربه وارتكب المخالفات . وتلبس بالبدع السيآت . فجاءت الرخصة فى عقوبته بالهجران كالثلاثة المتخلفين عن غزوة تبوك فأمر الشارع بهجرانهم فبقوا خمسين ليلة حتى نزلت توبتهم، والله أعلم

(١) الاعراض جمع عرض بكسر فسكون هو موضع المدح والذم من الانسان سواء كان فى نفسه أو فى سلفه أو فيما يلزمه أمره

يجب من ترك الوقيعة فيها لقوله تعالى (ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة)[١] (ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة)[٢] وغير ذلك من الآيات والاخبار الكثيرة

* كحديث أبى هريرة فى صحيح مسلم * المسلم أخو المسلم لا يسلمه ولا يخذله ، ولا يحقره ، التقوى ههنا ، ويشير الى صدره ثلاث مرات بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه . المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه ، وماله وعرضه

* وحديث أبى ذر فى الصحيح * لا يرمى رجل رجلا بالفسق ولا يرميه بالكفر الا وارتدت عليه ان لم يكن صاحبه كذلك .

* (الخامس والاربعون) ، اخلاص (٢) العمل لله

---

(١) فتأمل فى هذه الآيات وانظر كيف عظم الشارع أمر الوقيعة فى أعراض الناس وتوعد من يحب أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا فضلا عن اشاعته لها بنفسه العذاب المؤلم فى الدنيا والآخرة . ووعد الوعد الغليظ على قذف المحصنات وحكم على القاذف بالتفسيق ورد شهادته على التأبيد الى أن يتوب ، وبالجلد تشديداً عليه ، وتهجيناً لما كان منه ، ولم يجعل للزوج مخرجا من عذاب القذف الا بايجاب اللعن على نفسه ان كان كاذباً فى قوله، كما لم يجعل للمرأة مخرجاً من عذاب القذف الا بايجاب الغضب على نفسها ان كان صادقاً فى قوله ، فهذا يدل على غاظ الذنب في قذف المحصنات وعدم التعرض بسوء المؤمنين والمؤمنات والاحتراز عنه ووجوب التورع فى ذلك

(٢) الاخلاص هو افراد الحق سبحانه وتعالى بالقصد فى الطاعة وتصفية

١ ـ النور ١٩
٢ ـ النور ٢٣

عزوجل ،وترك الرياء، لقوله تعالى (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء) ، (من كان يريد حرث الاخرة (١) نزد له فى حرثه . ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له فى الآخرة من نصيب) ، (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون ، أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون) ، (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً * ولحديث أبى هريرة فى صحيح مسلم ،قال الله عز وجل انا أغنى الشركاء عن الشرك ، فمن عمل لى عملا أشرك فيه غيرى ، فأنا منه برى ، وهو للذى أشرك

الفعل عن ملاحظة المخلوقين ، فالمخلص لا رياء له ، والصادق لا اعجاب له ، ولا يتم الاخلاص الا بالصدق . ولا الصدق الا بالاخلاص . ولا يتمان الا بالصبر

(١) الحرث القاء البذر فى الارض والمراد منه هنا ثمرات الاعمال ونتائجها والمعنى من كان يريد بعمله ثواب الآخرة نضاعف له ثوابه بالواحد عشرة الى سبعمائة فما فوقها. ومن كان يريد باعماله حرث الدنيا أى متاعها وطيباتها نؤته شيئاً منها حسبما قدرناه له بطلبه وارادته،وليس له فى الآخرة من نصيب ، لان همته مقصورة على الدنيا * وما أدق هذا المعنى وألطف هذا التعبير كيف عبر فى جانب طالب الآخرة بالاتيان منها مبالغاً له فيه من غير تحديد وعبر بجانب طالب الدنيا بالشيء اليسير المقدر له مع حرمانه من الثمرات الاخروية التى لا تفنى ولا تبيد . ثم بين في الآية التى بعدها ان من يطلب الدنيا وزينتها يوف اليه عمله فيها مع المبالغة وليس له فى الآخرة الا النار. وحبط ما عمله فى الدنيا من أنواع البر والاحسان اذا وفق لذلك فيها ، نعوذ بالله من الخزلان

١ ـ البينة ١
٢ ـ الشورى ٢٠
٣ ـ هود ١٥ ـ ١٦
٤ ـ الكهف ١١٠

* ولحديث جندب فى الصحيحين من سمّع سمّع الله به ومن يرائى يرائى الله به (١)

* أنبأنى البيهقى باسناده ان أباعمر ، سئل عن الاخلاص ، فقال ما لا يحب أن يحمده عليه الا الله عز وجل ، * وعن سهل بن عبد الله لا يعرف الرياء الا مخلص ، ولا النفاق الا مؤمن ، ولا الجهل الا عالم ، ولا المعصية الا مطيع ،

* عن الربيع بن خثيم كل مالا يبتغى به وجه الله يضمحل ، وعن الجنيد لو ان عبداً أتى بافتقار آدم ، وزهد عيسى ، وجهد أيوب ، وطاعة يحيي ، واستقامة ادريس ، وودّ الخليل ، وخلق الحبيب ، وكان فى قلبه ذرة لغير الله فليس لله فيه حاجة

* وعن زبيد يسرنى ان يكون لى فى كل شئ نية حتى فى الاكل والشرب والنوم (٢) ،

---

(١) الرياء بكسر الراء وتخفيف الياء والمد اظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها فيحمدوا صاحبها والسمعة بضم السين وسكون الميم هى نحو مافي الرياء الا انها تتعلق بحاسة السمع والرياء بحاسة البصر * ومعنى الحديث أن من عمل عملا على غير اخلاص يريد أن يراه الناس ويسمعوه يجازى يوم القيامة على ذلك بأن يشهره الله ويفضحه ويظهر ما كان يبطنه على رؤس الاشهاد نجانا الله واياك من ذلك

(٢) وجه ذلك أن الاكل والشرب والنوم مباح فاذا نوى الانسان بذلك تغذية جسمه . وتقويته ليقوم باداء ما طلب منه من صلاة وصيام . وغير ذلك ، اثيب على ذلك . وصار بمنزلة المندوب وهكذا كان السلف رضى الله عنهم

وعن سيفان كل شئ هالك الاوجهه ، قال ما أريدَ به وجهُه(١)* وعن هلال بن يسار . قال ، قال عيسى بن مريم صلوات الله عليه اذا كان يوم صوم أحدكم فليدهن لحيته ، وليمسح شفتيه ، ويخرج الى الناس حتى كأنه ليس بصائم ، واذا أعطى بيمينه فليخفه عن شماله ، واذا صلى أحدكم فليدل ستر بابه فان الله تعالى يقسم الرزق ،

* وعن ذى النون ، قال بعض العلماء ما أخلص العبد لله الاأحب أن يكون فى حب لايعرف ، * وعن بشر بن الحارث عن الفضيل بن عياض لأن آكل الدنيا بالطبل والمزمار أحب الى من أن آكلها بدين ، * وعن مالك بن أنس ، قال لى استاذى ربيعة الرأى ، يامالك مَن السفلة ؟ قلت من أكل بدينه ، فقال من سفلة السفلة ، قال من أصلح دين غيره بفساد دينه ، قال فصدقني ،

* وعن ابن الاعرابى ، أخسر الخاسرين من أبدى للناس صالح أعماله ، وبارز بالقبيح من هو أقرب اليه من حبل الوريد ، * وعن سيفان يامعشر القراء ارفعوا رءوسكم لا تزيدوا الخشوع على ما فى القلب فقد وضح الطريق ، فاتقوا الله واجملوا فى الطلب ولا تكونوا عيالا على المسلمين ،

* وعن بعض العلماء خوفوا المؤمنين بالله ، والمنافقين بالسلطان ، والمرائين بالناس ،

---

(١) أى كل شىء أريد به وجه الله تعالى فهو باق وثابت وما أريد به غيره تعالى فهو هالك وفان

*(السادس والاربعون)، السرور بالحسنة والاغتمام بالسيئة (١) لحديث جابر بن سمرة عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى سنن أبى داود ،ومن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن

* السابع والاربعون) ، معالجة كل ذنب بالتوبة(٢)

---

(١) السرور ضد الحزن وهو لذة تقع فى القلب بادراك المحبوب ونيل المشتهى فيتولد من ادراكه حالة تسمى سرورا كما ان فقد المحبوب يتولد منه حالة تسمى الحزن والغم ، وسرور العبد بالشيء قدر تعلقه به ومحبته له ورغبته فيه فسرور الشخص بالعلم والايمان ، والاعمال الصالحات، والعاملين بالكتاب والسنة واجماع الامة، دليل على تعظيمها لديه ومحبته لها ورغبته فيها وايثارها على غيرها *واغتمامه بضدها ، دليل على قوة ايمانه ، وشدة يقينه ،وصلابة دينه جعلنا الله منهم

(٢) التوبة هى انابة العبد، ورجوعه الى مولاه .وسلوكه الصراط المستقيم ومجانبته لصراط المغضوب عليهم والضالين ،ولها شروط ثلاثة . الندم على ماسلف عنه فى الماضى . والاقلاع عنه فى الحال . والعزم على أن لا يعود فى المستقبل اليه * وللتوبة الصحيحة المقبولة علامات ، منها لا يزال الخوف مصاحبا له لا يأمن طرفة عين ، ومنها ان يكون بعد التوبة خيرا منه قبلها ومنها انخلاع قلبه وتقطعه ندما وخوفا على قدر عظم الجناية وصغرها ، وانظر كيف وجه المولى تعالى الخطاب لاهل المدينة وفيهم الانصار والمهاجرون الذين افنوا حياتهم فى نصرة الدين واعلاء كلمته . وبذل كل ما فى وسعهم وقد امرهم بالتوبة بعد ايمانهم وصبرهم وهجرتهم وجهادهم، ثم علق الفلاح بالتوبة تعليق المسبب بسببه واتى باداة (لعل) المشعرة بالترجى ايذانا بأنكم اذا تبتم كنتم على رجاء الفلاح ، فلا يرجو الفلاح الا التائبون ، وقد صح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال (يا أيها الناس توبوا الى الله فوالله

لقوله تعالى ، (وتوبوا الى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) [١] ؛ (توبوا الى الله توبة نصوحا) [٢] ، (وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له) [٣] ، الآيات ،

* ولحديث أبي بردة بن أبي موسى الأشعرى عن الأغر المزنى في صحيح مسلم . وسنن أبي داود وغيرهما انه لَيغان . على قلبي (١) وانى لاستغفر الله فى اليوم مائة مرة ،

* (الثامن والاربعون) ، القرابين (٢) وجعلتها الهدى

انى لأتوب اليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة * وكان أصحابه يعدون له فى المجلس الواحد قبل أن يقوم «رب اغفر لى وتب على انك أنت التواب الغفور» مائة مرة ، فانظر أيها العاقل الى حال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وما كان عليه من الاستغفار والتوبة مع عظم منزلته عند مولاه ، وقد أخبره تعالى بان قد غفر له ، ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، على فرض وقوع الذنب منه . أفلايجب على من انغمس فى اللذات وتوحل فى الشهوات وغفل عن الطاعات وامتلأ قلبه ظلمات فوقها ظلمات ، أن يتوب ويستغفر فى الساعة آلافاً ومئات

(١) الغين الغيم يقال غينت السماء تغان اذا أطبق عليها الغيم ، والمراد به هنا ما يغشاه من السهو الذى لايخلو منه البشر لان قلبه أبدا كان مشغولا بالله تعالى فان عرض له وقتاً ما عارض بشرى يشغله من أمور الامة والملة ومصالحهما عد ذلك تقصيرا فيفزع صلى الله عليه وآله وسلم الى الاستغفار ، ويصح أن يكون اظهارا للعبودية والافتقار وملازمة الخشوع ، وشكرا لما أولاه لان خوف الانبياء والملائكة خوف اعظام

(٢) القرابين جمع قربان وهوما يتقرب به الى الله تعالى أما لمخالفة وقعت كالهدى فى الحج أو لنعمة حصلت كالعقيقة للمولود ، وكان قربان الامم السالفة ذبح البقر والغنم والابل ، فخفف المولى عن هذه الامة المباركة . فجعل قربانها تقديمها الطاعات والاعمال الصالحات فضلا منه تعالى ورحمة بهم

١ - النور ٣١
٢ - التحريم ٨
٣ - الزمر ٥٤

والاضحية والعقيقة لقوله تعالى ، (فصل لربك وانحر)[١] . (والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير)[٢] (ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب)[٣] ، الآيات .

* ولحديث انس بن ما لك رضى الله عنه في الصحيحين ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم . كان يضحى (١) بكبشين أقرنين أملحين ، فلقد رأيته يضع رجله فى صفاحهما ويسمى ويكبر . * وفى رواية ولقد رأيته يذبحهما بيده ،

* (التاسع والاربعون) ، طاعة اولى الأمر لقوله تعالى . (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) ، قيل هم أمير السريا ، وقيل هم العلماء ، ويحتمل أن يكون عاماً لهما ، فان كان خاصاً فبأمير السرايا أشبه .

* ولحديث أبى هريرة فى الصحيحين * من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله ، ومن يطع الأمير، فقد أطاعني ، ومن يعص الأمير فقد عصانى (٢)

واكراماً لنبيهم محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم

(١) اعلم ان الاضحية اختلف فى وجوبها وعدمه ، فذهب الجمهور الى انها سنة غير واجبة ، واختلف قولا مالك والشافعي فى ذلك ، وذهب أبوحنيفة والاوزاعي والليث وربيعة وبعض المالكية الى أنها واجبة على الموسر ، وادلة كل وبيان الراجح منها مذكور فى المطولات ارجع اليها لان المقام لا يسعه

(٢) قال الخطابى ، كانت قريش ومن يليهم من العرب لا يعرفون الامارة ولا يطيعون غير رؤساء قبائلهم . فلما ولى فى الاسلام الامراء انكرته نفوسهم

١ - الكوثر ٢
٢ - الحج ٣٦
٣ - الحج ٣٢

* ولحديث أبى ذر فيهما يا أبا ذر اسمع وأطع ولو عبداً جشياً مجدّع الأطراف (١).

* (الخمسون) ، التمسك بما عليه الجماعة لقوله تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا)[١] ،

* ولحديث أبى هريرة فى صحيح مسلم ، من خرج من الطاعة وفارق الجماعة، ثم مات ، مات مِيتة جاهلية (٢) *وحديث عرفجة بن

وامتنع بعضهم من الطاعة، وانما قال لهم صلى الله عليه وسلم هذا القول ليعلمهم ان طاعة الامراء الذين كان يوليهم وجبت عليهم لطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ،ويحثهم على طاعة من يؤمّر عليهم، والانقياد لهم، إذا بعثهم فى السرايا أوولاهم البلاد،فلا يخرجوا عليهم لئلا تفترق الكلمة ويتبدد جمعهم ،ويغتنم الفرصة عدوهم ، وهذا الحكم ليس خاصاً بمن ولاه الشارع بنفسه ،بل هو عام فى كل أمير عدل للمسلمين.واستقام، وقام بالحدود ،ولم يخن الامة ،اللهم اصلح ولاة امورنا ووفقهم للعمل بما جاءت به الشريعة، وجنبهم العادات الاوروبية التى أفسدت الدنيا والدين ، يا أرحم الراحمين

(١) مجدع الاطراف مقطوعها، والمراد اخس العبيد، والمعنى اسمع واطع للامير وان كان دنىء النسب حتى لو كان عبداً اسود مقطوع الاطراف فطاعته واجبة ، وامارة العبد تتصور اذا ولاه بعض الائمة أو اذا تغلب على البلاد بشوكته واتباعه . فطاعته وبقاؤه اميرا مع جمع الكلمة واتحاد القلوب خير من التفرق، والاختلاف عليه .وتشتيت امرهم

(٢) أى ان من خرج من الجماعة الذين قد اتفقوا على طاعة امام، وانتظم به شملهم ،واجتمعت به كلمتهم ، وحاطهم عن عدوهم فميتته منسوبة الى أهل الجهل ، والمراد به من مات على الكفر قبل الاسلام . والله أعلم

١ ـ آل عمران ١٠٣

شريح الجهنى فى مسلم أيضاً،ستكون بعدى هنَاة وهنَاة (١)فمن رأيتموه يفرق امرامة محمد وهى جميع فأقتلوه كائنامن كان من الناس

* (الواحد والخمسون) ،الحكم بين الناس بالعدل. لقوله تعالى . (واذاحكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل) [١] ، (ولا تكن للخائنين خصيما) [٢] ، (واقسطوا ان الله يحب المقسطين) [٣] ، الآيات.

* ولحديث عبد الله بن مسعود فى الصحيحين ، لاحسد الا فى اثنين . رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق ، وآخر آتاه الله حكمة فهو يقضى بها ويعلمها .

* (الثانى والخمسون) ، الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر(٢) لقوله تعالى.(ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون

---

(١) الهنات جمع، هنة وهى كناية عن كل اسم جنس، والمراد بها هنا الفتن والامور الحادثة من شرور وفساد ، دل الحديث على قتال من أراد تفريق كلمة المسلمين وزرع الفساد بينهم وتمزيق جمعهم ، هذا اذا لم يندفع شره الا بقتله ، وفى رواية أخرى فاضربوه بالسيف

فانظر كيف عظم الشارع امر التفريق وأباح دم المفرق وجعله هدرا مع أن الشارع شدد فى قتل النفس واعدامها ، ففى هذا الحكم موعظة بليغة وحكمة بالغة وزاجر عظيم لمن تسول له نفسه الامارة بالسوء فعل ذلك

(٢) اعلم أن الامر بالمعروف والنهى عن المنكرمن أهم الامور واعظمها اذ به قوام الامر وملاكه ، وحفظ الشريعة المطهرة ، وردع المنافق ، وزجر الفاسق وبه يتميز الخبيث عن غيره ، وبه يرتفع البلاء عن المطيع ولا يعم الله الكل بعذاب لانه اذا كثر الخبث عم العقاب الصالح والطالح واذا لم يأخذوا

١ ـ النساء ٥٨
٢ ـ النساء ١٠٥
٣ ـ الحجرات ٩

بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)[١]، (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)[٢]، (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة)[٣] الى قوله (الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر)[٤]. الآيات ،

(لُعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون)[٥] والقرآن مشحون بهما

* ولحديث أبى سعيد فى صحيح مسلم ، من رأى منكم منكرا فليغيره بيده . فان لم يستطع فبلسانه . فان لم يستطع فبقلبه . وذلك اضعف الايمان (١)

على يد الظالم اوشك ان يعمهم الله تعالى بعقاب ، فينبغى لطالب الاخرة، ومحب الشريعة والساعى فى تحصيل رضاء الله عزوجل أن يعتنى بهذا الامر ، فان نفعه عظيم ، لا سيما فى هـذا الزمان الذى كثر فيه الفساد ، وعم التجاهر بالمعاصى وظهرت الزنادقة والملحدون ، وفُقدالآمر بالمعروف والناهى عن المنكر ،لذلك تساهلت العوام وارتكبوا كل موبقة ، وتوسعوا فى كل معصية. حتى عم ذلك الخواص ، وكادت ان ترجع الناس الى ماكانت عليه الجاهلية الاولى ، ولا شك أن الاجر على قدر الشقة وأن الله ناصر أولياءه وهاديهم ، وحافظهم من شر أعدائه . قال الله تعالى (ولينصرن الله من ينصره) وقال تعالى (ومن يعتصم بالله فقد هـدى الى صراط مستقيم) وقال تعالى (والذين جاهـدوا فينا لنهدينهم سبلنا)

(١) أشار النبى صلى الله عليه وآله وسلم بذلك الى صفة النهى ومراتبه وهذا الترتيب على سبيل الوجوب فليس للمنكر ان ينتقل من مرتبة الى اخرى

١ ـ آل عمران ١٠٤
٢ ـ آل عمران ١١٠
٣ ـ التوبة ١١١
٤ ـ التوبة ١١٢
٥ ـ المائدة ٧٨ ـ ٧٩

* وحديث عبد الله بن مسعود فيه أيضاً ، ما من نبي بعثه الله فى امتـه قبلى الا كان له فى أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ، ويقتدون بأمره . ثم انها تخلف من بعدهم خلوف ، يقولون مالا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن . ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل ،

* وفى الصحيحين من حديث سفيان بن عيينة عن الزهرى عن عروة عن زينب بنت أبى سلمة عن حبيبة عن أمها أم حبيبة عن زينب زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، قالت استيقظ النبي صلى الله عليه وسلم من نوم محمراً وجهه ، وهو يقول لا اله الا الله ثلاث مرات ، ويل للعرب (١)

الا اذا عجز عن القيام بها والانكار في القلب ليس بتغيير فى الحقيقة للمنكر ولا ازالة له . ولـكنه هو الذى فى وسع المـكلف ، ثم انه انما يأمر وينهى من كان عالما بما يأمر به وينهى عنـه ، وذلك يختلف باختلاف الشيء فان كان من الواجبات الظاهرة ، والمحرمات المشهورة ، كالصلاة والصيام ، والزكاة والزنا ، والخمر ونحوها ، فـكل المسلمين علماء بها . وان كان من دقائق الاقوال والافعال مما يتعلق بالاجتهاد . لم يكن للعوام مدخل فيه . بل ذلك للعلماء . وينبغى للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر ان يكون امره ونهيه بمعروف ، وبرفق . ليكون أقرب الى تحصيل القبول ، وحصول المطلوب ، لذلك قال الشافعى من وعظ أخاه سرا فقد نصحه وزانه ، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه

(١) كلمة ويل للحزن والهلاك والمشقة من العذاب ، وخص العرب بذلك لانهم كانوا حينئذ معظم من أسلم ، والمراد بالشر ما وقع بعده صلى الله عليه وآله وسلم من قتل عثمان ، ثم توالت الفتن حتى صارت العرب بين الامم كالقصعة

من شر قد اقترب . فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه ، وحلّق حلقة بأصبعيه الابهام والتى تليها ، قالت زينب . فقلت يارسول الله أفنهلك ، وفينا الصالحون ، قال نعم ، اذا كثر الخبث ، .

* وبه أنبأنا البيهقى باسناده عن مالك بن دينار انه قرأ هذه الآية (وكان فى المدينة تسعة رهط يفسدون فى الارض ولا يصلحون)[1] فأما اليوم فى كل قبيلة وحىّ من الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون

* وعنه أيضاً ان الله عز وجل أمر بقرية ان تعذب فضجت الملائكة ، وقالت ان فيهم عبدك فلاناً ، قال أسمعونى منه صيحة فان وجهه لم يتمعر غضباً لمحارمى * وروى ذلك مرفوعاً الى النبى صلى الله عليه وسلم بأسناد ضعيف *

وعنه أيضاً ، اصطلحنا على حب الدنيا فلا يأمر بعضنا بعضاً ولا ينهى بعضنا بعضاً ولا يذرنا الله تعالى على هذا ، فليت شعرى اى عذاب ينزل *
وعن عمر بن عبد العزيز قال كان يقال ان الله عز وجل لا يعذب العامة

بين الاكلة كما جاء فى حديث ، يوشك ان تداعى الامم كما تداعى الاكلة على قصعتها . والمراد بالردم السد الذى بناه ذو القرنين ، ومعنى حلق ألخ جعل الاصبع السبابة فى أصل الابهام وضمهما حتى لم يبق بينهما الا خلل يسير ، وهو لقدر معين من العدد ، وهو اصطلاح للعرب تواضعوه بينهم ليستغنوا به عن التلفظ ، فشبه صلى الله عليه وآله وسلم قدر ما فتح من السد بصفة معروفة عندهم وهذا لا يعارض ما جاء عنه صلى الله عليه وسلم فى حديث ، انا امة لا نحسب ولا نكتب ، لان المنفى الحساب الذى يتعاناه أهل الصناعة من الجمع والضرب وغير ذلك .

١ ـ النمل ٤٨

بذنب الخاصة ، ولكن اذا عُمل المنكر جهاراً فلم ينكروه استحقوا العقوبة كلهم .

* (الثالث والخمسون) ، التعاون على البر والتقوى لقوله تعالى: (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان)

* ولحديث انس بن مالك فى الصحيحين ، انصر أخاك ظالما أو مظلوماً ،فقال رجل يارسول الله انصره مظلوماً . فكيف أنصره ظالماً فقال تمنعه من الظلم فذلك نصرك اياه .

* (الرابع والخمسون) ، الحياء (١) * لحديث سالم بن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فى الصحيحين عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، انه سمع رجلا يعظ أخاه فى الحياء ، فقال دعه فان الحياء من الايمان . * ولحديث عمران بن حصين رضى الله عنه فيهما ، ان الحياء لا يأتي الا بخير * وحديث ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه فيهما ايضا ، كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اشد حياء من العذراء فى خدرها

---

(١) الحياء خلق يبعث على ترك القبائح ويمنع من التفريط فى حق صاحب الحق ، وقد أشار النبى صلى الله عليه وسلم الى كماله فى حديث رواه الترمذى مرفوعاً : استحيوا من الله حق الحيـاء . قالوا انا نستحى يارسول الله . قال ليس ذلك ، ولكن من استحيا من الله حق الحياء . فليحفظ الرأس وماوعى وليحفظ البطن وما حوى ، وليـذكر الموت والبلى . ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا ، فمن فعل ذلك فقـد استحيا من الله حق الحياء . ويختلف قوة وضعفا بحسب حياة القلب وموته، فـكلما كان القلب حيا كان الحياء أتم وعكسه بعكسه .

وكان اذا كره شيئا عرفناه فى وجهه * وحديث ابن مسعود الانصاري فى صحيح البخارى ، ان مما ادرك الناس من كلام النبوة الاولى ، اذا لم تستح فاصنع ما شئت (١)

* (الخامس والخمسون) بر الوالدين . لقوله تعالى،

* (وبالوالدين إحساناً)[١] ، (وقضىٰ ربك ألاّ تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً ، إمّا يبلغَنّ عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أفٍّ ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً ☆ واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا)[٢] الآيات .

* ولحديث عبدالله بن مسعود رضى الله عنه فى الصحيحين ، قال سألت النبي صلى الله عليه وآله وسلم . أى العمل أحب الى الله عزوجل قال الصلاة لوقتها ، قلت ثم أى ، قال بر الوالدين ، قلت ثم أى ، قال الجهاد فى سبيل الله ، قال حدثنى بهن ولو استزدته لزادنى .

* (السادس والخمسون) ، صلة الأرحام (٢) لقوله

---

(١) قوله فاصنع ماشئت . أمر تهديد معناه الخبر، أى ان من لم يستح صنع ما شاء ،فالحياء يمنعه من أن يرتكب أمراً يخل بالمروءة والشرف عادة

(٢) الرحم كل مابينك وبينه نسب سواء كان من ذوى الارحام فى الميراث أم لا ،قال عياض لا خلاف أن صلة الرحم واجبة فى الجملة ،وقطيعتها مصيبة كبيرة ، وللصلة درجات فأدناها ترك المهاجرة ، وصلتها بالكلام ولو بالسلام ويختلف ذلك باختلاف القدرة والحاجة ، فمنها واجب ومنها مستحب فلو وصل بعض الصلة ولم يصل غايتها لا يسمى قاطعاً

١ ـ البقرة ٨٣
٢ ـ الاسراء ٢٣ ـ ٢٤

تعالى : (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا ارحامكم أولئـك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم)[١] ، (والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به ان يوصل ويفسدون فى الارض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار)[٢] ،

*ولحديث انس بن مالك فى الصحيحين ، من أحب أن يبسط له فى رزقه وان ينسأله فى أثره (١) فليصل رحمه * وحديث جبير بن

---

(١) ينسأله فى أثره بضم الياء وسكون النون أى يؤخرله فى أجله وسمى الاجل أثرا لانه يتبع العمر قال زهير .

والمرء ما عاش ممدود له أمل   لاينقضى العمر حتى ينتهى الاثر

وظاهر الحديث يعارض قوله تعالى (فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) وقد جمع العلماء بينهما من وجهين ، أحدهما انهذه الزيادة كناية عن البركة في العمر بسبب التوفيق الى الطاعات وتوسيع وقتـه بما ينفعه فى الآخرة. وصيانته عن تضييعه فى غيرذلك .فصلة الرحم تكون سبباً للتوفيق للطاعة: والصيانةعن المعصية، فيبقى بعده الذكر الجميل بسبب ما تركه بعده من العلم النافع ، أو الصدقة الجارية . أو الخلف الصالح فكانه لم يمت ، وثانيهما ان الزيادة علىحقيقتها ،وذلك بالنسبة الىعلم الملك الموكل بالعمر، وما دلت عليـه الآية فبالنسبة الىسبق علم الله تعالى ،كأن يقال للملك مثـلا ان عمر فلان مائة مثلا ان وصل رحمه ، وخمسون ان قطعها، وقد سبق فى علم الله انه يصل ويقطع فالذى فىعلم الله لا يتقدم ولا يتأخر. والذى فى علم الملك هو الذى يمكن فيه الزيادة والنقص وعليه قوله تعالى ، (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنـده أم الكتاب) فالاول يقال له القضاء المبرم ، والثانى القضاء المعلق والوجه الاول اوجه . وأليق بالمقام . فتنبه لذلك

١ ـ محمد ٢٢ ـ ٢٣
٢ ـ الرعد ٢٥

مطعم فيهما أيضاً عن أبيه · لايدخل الجنة قاطع.يعنى قاطع رحم ، قلت ولا فرق أن يكون براً أو فاجراً .

*(السابع والخمسون) ، حُسن الخُلق(١) ويدخل فيه كظم الغيظ، ولين الجانب، والتواضع ·لقوله تعالى ، (وانك لعلى خلق عظيم)[١] (والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين)[٢] ،

* ولحديث عبد الله بن عمرو فى الصحيحين * ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ، (٢)وقال ان من خياركم أحسنكم أخلاقاً * وفى رواية ، ان من أحبكم إلىّ أحسنكم أخلاقاً ،

* ولحديث عائشة رضى الله عنها فى الصحيحين أيضاً ، انها قالت ما خُير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين الا أخذ أيسرهما مالم

---

(١) الخلق . بذل الندى ، وكف الاذى ، واختيار الفضائل ، وترك الرذائل ،وهو صفة الانبياء صلوات الله عليهم، وخصال الاولياء. قال ابن عباس ومجاهد ، فى تفسير (وانك لعلى خلق عظيم) لعلى دين عظيم لادين أحب الىّ ولا أرضى عندى منه . وهو دين الاسلام، وفى الصحيحين ان هشام بن حكيم سأل عائشة رضى الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ،فقالت كان خلقه القرآن ،يغضب لغضبه ويرضى لرضاه. وقد جُمعت مكارم الاخلاق فى قوله تعالى (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين)وفقنا الله و إياك الى ذلك .

(٢) قوله فاحشاً من الفحش وهو الخروج عن الحد ولا متفحشاً أى متكلفاً الفحش، يعنى ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن الفحش جبلياً له،ولا كسبياً ، وماكان يجزئ بالسيئة سيئة ؟ولكن يعفو ويصفح

١ ـ القلم ٤
٢ ـ آل عمران ١٣٤

يكن اثماً . فان كان اثماً كان ابعد الناس منه . وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه ،الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها .

* وبه أنبأنا أبو بكر البيهقى ، قال ومعنى حسن الخلق سلامة النفس نحو الارفق الأحمد من الأفعال ، وقد يكون ذلك فى ذات الله تعالى . وقد يكون فيما بين الناس . وهو فى ذات الله عز وجل ، أن يكون العبد منشرح الصدر بأوامر الله تعالى ونواهيه، بفعل مافرض عليه، طيب النفس به . وينتهى عماحرم عليه راضياً به غير متضجر منه ويرغب فى نوافل الخير ويترك كثيراً من المباح لوجهه تعالى وتقدس . إذا رأى ان تركه أقرب الى العبودية من، فعله مستبشراً لذلك غير ضجر منه . ولا متعسر به،وهو فى المعاملات بين الناس ، ان يكون سمحا لحقوقه لا يطالب غيره بها ، ولو فيما يجب لغيره عليه منها . فان مرض ولم يعد . أو قدم من سفر فلم يزر . أو سلم فلم يرد عليه . أوضاف فلم يكرم . أوشفع فلم يجب . أو أحسن فلم يشكر . أو دخل على قوم فلم يمكن . أو تكلم فلم ينصت . أو استأذن على صديق فلم يأذن . أو خطب فلم يزوج. أو استمهل الدَين فلم يمهل .أواستنقص منه فلم ينقص وما أشبه ذلك ولم يغضب.ولم يتفكر من حاله . ولم يستشعر فى نفسه انه قد جفى وأوحش وانه لا يقابل كل ذلك . اذا وجد السبيل اليه بمثله بل انه لا يعتد بشيء من ذلك ، ويقابل كلا منه بماهو أحسن وأفضل وأقرب الى البر والتقوى . وأشبه بما يحمد ويرضى ، ثم يكون في ايفاء ما يكون عليه ،كهوفي حفظ ما يكون له، فاذا مرض أخوه المسلم عاده

وان جاء فى شفاعة شفعه ، وان استمهله فى قضاء دين امهله ، وان احتاج منه الى معونته أعانه ، وان استسمحه فى بيع سمح له . ولا ينظر الى أن الذى يعامله كيف كانت معاملتـه اياه فيما خلا . وكيف يعامل الناس ، انما يتخذ الاحسن اماما لنفسـه فينحو نحوه ولا يخالفـه والخلق الحسن قد يكون غريزة وقد يكون مكتسبا (١)

وانما يصح ا كتسابه ممن كان فى غريزته أمثل منـه فهو يضم با كتسابه اليه مايتممه . ومعلوم فى العادات أن ذا الرأى يزداد بمجالسة أولى الاحلام والنهى رأيا . وان العالم يزداد بمخالطة العلماء علما . وكذلك الصالح . والعاقل بمجالسـة الصلحاء والعقلاء . فـلا ينكر أن يكون ذو الخلق الجميل يزداد حسن الخلق بمجالسة أولى الاخلاق الحسنة . وبالله التوفيق .

---

(١) ما ذهب اليه من أن الخلق منه ما هو طبيعى ومنه ما هو كسبي هو الصواب ، وهو رأى الا كثر من الحـكماء والفلاسفة ، ويدل له ماجاء عن النبى صلى الله عليه وسلم ، انه قال لأشج عبد القيس . ان فيك لخلقين يحبهما الله الحلم والاناءة . فقال أخلقين تخلقت بهما أم جبلنى الله عليهـما . فقال بل جبلك الله عليهما . فقال الحمد لله الذى جبلنى على خلقين يحبهما الله ورسوله ، فأفادان من الخلق ما هو طبيعة وجبـلة ، وما هو متكلف ومكتسب ، وكان النبي صلى الله عليه وسـلم ، يقول في دعاء الاستفتاح . اللهم اهدنى لأحسن الاخلاق لا يهدى لأحسنها الاأنت واصرف عنى سيئها لا يصرف عنى سيئها الا أنت » فأفادانه يأتى بطريق الكسب اذا وفق لذلك ، ويكتسب الخلق بالتأديب والتعليم ، والوعظ والارشاد وبمصاحبة الاخيار واولى النهى ، والناس ليسوا فى ذلك سواء فنهم من يقبل التأديب ، ويتحرك الى الفضيلة بسرعة ،

*(الثامن والخمسون) الاحسان الى المماليك، لقوله تعالى (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم ..(١)

* ولحديث المعرور بن سويد فى الصحيحين ، قال رأيت أبا ذر الغفاري رضي الله عنه وعليه حلة ، وعلى غلامه حلة مثلها فسألناه عن ذلك ، فقال انى سابيت رجلا فشكانى الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال لى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . اعيرته بأمه ثم قال ان اخوانكم خولكم (٢) جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يديه فليطعمه مما يأكل ، وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم من العمل ما يغلبهم ، فان كلفتموهم ما يغلبهم فأعينوهم عليه

ومنهم من يقبله ويتحرك الى الفضيلة بابطاء ، ومنهم من لا يتحرك اصلا ، وذلك فيما اذا كان شريراً بالطبع بل يزداد شراً بمخالطة أهل الشر ، والفسوق حمانا الله من ذلك ، وبالله التوفيق

(١) الشاهد فى قوله تعالى (وما ملكت أيمانكم) أى من عبيدكم وامائكم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كثيرا ما يوصى بهم ، فقد اخرج الامام أحمد . والبيهقى . عن أنس ، قال كانت عامة وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين حضره الموت الصلاة وما ملكت أيمانكم حتى جعل يغرغرها فى صدره وما يفيض بها لسانه * وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال أوصيكم بالضعيفين المرأة والمملوك .

١ ـ النساء ٣٦

(٢) الخول الحشم والخدم . واحده خائل يقع على العبد والامة ، وهو مأخوذ من التخويل وهو التمليك ، والمراد بالاخوان اخوة الاسلام .

*(التاسع والخمسون) حق السادة على المماليك ، وهو لزوم العبد سيده ، واقامته حيث يراه له ، ويأمره به ، وطاعته له فيما يطيقه

وفى الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . قال ان العبد اذا نصح لسيده وأحسن عبادة ربه فله أجره مرتين (١)

وفى مسلم من حديث جرير بن عبد الله . ايما عبد ابق فقد برئت منه الذمة * وفى سنن أبى داود من حديثه أيضاً . العبد الآبق لا يقبل الله منه صلاته حتى يرجع الى مواليه :

* (الستون) حقوق الاولاد والاهلين ، وهى قيام الرجل على ولده وأهله ، وتعليمه اياهم من أمور دينهم ما يحتاجون اليه ، لقوله تعالى (قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة)[١]. قال الحسن أى مروهم بطاعة الله وعلموهم الخير ، فقال على ، علموهم أدبوهم

* ولحديث أنس فى صحيح مسلم من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة انا وهو هكذا وضم أصبعيه

(الحادى والستون) مقاربة أهل الدين ، ومودتهم وافشاء السلام بينهم . والمصافحة لهم . ونحو ذلك من أسباب تأكيد

---

(١) قوله اذا نصح لسيده بأن حفظ ماله من الضياع ، وحافظ على عرضه من الخداع ، وخلصه من الخلل والغش ، وحافظ على عبادة ربه ، باقامتها بشروطها ، والمداومة عليها : له أجران ، أجر فى عبادة ربه ، وأجر فى نصح سيده ، الا ان الاجرين مختلفان ، لان طاعة الرب تعالى أوجب من طاعة السيد وآكد

١ ـ التحريم ٦

المودة ، لقوله تعالى (لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها)

* ولحديث أبى هريرة رضى الله عنه فى صحيح مسلم . والذى نفسى بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا . ولا تؤمنوا حتى تحابوا . أولا أدلكم على شيء اذ فعلتموه تحاببتم ، افشو السلام بينكم (١)

وحديث قتادة فى صحيح البخارى ، قال قلت لانس رضى الله عنه كانت المصافحة فى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال نعم

* وحديث أبى هريرة فى مسلم ، ان الله عز وجل يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالى . اليوم أظلهم فى ظلى يوم لا ظل الا ظلى (٢)

---

(١) قال النواوى . السلام أول أسباب التألف ، ومفتاح استجلاب المودة ، وفى افشائه تمكن الفة المسلمين بعضهم لبعض ، واظهار شعارهم المميز لهم من غيرهم من أهل الملل مع مافيه من رياضة النفس ، ولزوم التواضع . واعظام حرمات المسلمين . وقد ذكر البخارى فى صحيحه عن عمار بن ياسر انه قال ، ثلاث من جمعهن فقد جمع الايمان ، الانصاف من نفسك ، وبذل السلام للعالم ، والانفاق من الاقتار ، وهذه الخصلة الحميدة فُقدت فى هذا الزمن من بين المسلمين حتى أصبح من يسلم على من لم يعرفه غريباً ، وكل ذلك من عدم الالتفات نحو الدين والعمل به واستبدال التحية المشروعة بغيرها من الالفاظ الوحشية

(٢) قوله فى ظلى . أى فى ظل عرشى كما جاء التصريح بذلك فى غير رواية مسلم ، وظاهره ظل حقيقى يحفظ المتحابين من الحر والشمس ، ووهج الموقف ، وانفاس الخلق ، وازدحام الناس ، ويحتمل انه كناية عن حفظه من المكاره ، واكرامه وجعله فى كنفه وستره . ومنه قولهم ، السلطان ظل الله فى ارضه .

• (الثانى والستون) ،رد السلام (١) لقوله تعالى (واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها)

• ولحديث أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه . اياكم والجلوس بالطرقات قالوا يارسول الله ما لنا من مجالسنا بد • نتحدث فيها . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أبيتم الا المجلس فأعطوا الطريق حقه، قالوا وما حق الطريق . قال غض البصر ، وكف الاذى ، ورد السلام ،والامر بالمعروف ، والنهى عن المنكر(٢)

---

(١) اعلم ان حكم رد السلام فرض بالاجماع والآية تفيد ذلك ولكن يختلف باختلاف الشخص فان كان السلام على واحد كان الرد فرض عين عليه وان كان على جماعة كان فرض كفاية فى حقهم اذا رد أحدهم سقط الاثم عن الباقين ، وللفقهاء تفاريع كثيرة فى ذلك ، أعرضنا عنها لضيق المقام

(٢) الحديث رواه البخارى ومسلم وغيرهما، وقوله ما لنا بد من مجالسنا انما هو أخبار بالواقع وبيان حاجتهم اليه فرجوا ان يخفف عنهم لذلك . وزاد أبو داود على هذه الخمسة وارشاد ابن السبيل وتشميت العاطس اذا حمد الله وزاد البزار والاعانة على الحمل . وسعيد بن منصور . واغاثة الملهوف . والطبرانى وأعينوا المظلوم . واذكروا الله كثيراً . ويحى بن يعمر فى مرسله واهدوا الضال والترمذى وغيره . وحسن الكلام . وأفشوا السلام فمجموعها أربعة عشرادبا ،والحكمة فى النهى عن الجلوس في الطرقات انه بجلوسه فيها تعرض للفتنة اذ لا تخلو الطرقات من الشهوات ومرور النسوة والفاجر والفاسق ،وانها مجمع الشياطين ، ولربما لا يتمكن من حفظ نفسه من الوقوع فى المكاره والمفاسد ، ففى منعه منها صيانته من ذلك كله ؛ وحفظه ،فرخص لهم الشارع فى ذلك اذا قاموا بحقه

١ ـ النساء ٨٦

* (الثالث والستون) ، عيادة المريض * لحديث البراء بن عازب رضى الله عنه فى الصحيحين ، وسنن أبى داود وغيرها ، أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع ، ونهانا عن سبع ، أمرنا ، بعيادة المرضى ، واتباع الجنائز ، ورد السلام ، وتشميت العاطس ، وابرار القسم ، ونصر المظلوم ، واجابة الداعى ، ونهانا عن حلقة الذهب ، أوقال خاتم الذهب ، أوآنية الذهب والفضة ، والميثرة ، والقسى ، والاستبرق ، والحرير ، والديباج (١)

---

(١) الامر هنا مستعمل في معنييه ، الوجوب والندب ، أما عيادة المريض فسنة بالاجماع . ويستوى فى ذلك القريب والاجنبى ، ومن يعرفه ومن لا يعرفه الا ان القريب ومن يعرفه آكد وافضل من غيرهما لعموم الاحاديث ، واما اتباع الجنائز فكذلك سنة بالاجماع ، واما رد السلام فواجب وقد تقدم ، واما تشميت العاطس فسيأتى الكلام عليه فى بابه ان شاء الله تعالى ؛ وأما ابرار القسم فهو سنة فيما اذا لم يكن فيه مفسدة أو خوف ضرر أو نحو ذلك كما ثبت ان أبا بكر رضى الله عنه لما عبر الرؤيا بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم فقال له صلى الله عليه وسلم ، اصبت بعضاً واخطأت بعضاً . فقال اقسمت عليك يارسول الله لتخبرنى ، فقال له صلى الله عليه وآله وسلم لا تقسم ولم يخبره ، واما نصر المظلوم فمن فروض الكفاية . واما اجابة الداعى فتختلف باختلاف متعلقها ، واما النهي فللتحريم فى الجميع . أما خاتم الذهب فحرام بالاجماع على الرجال . واما آنية الذهب والفضة فيكفى فى تحريمهما ما رواه البخارى ومسلم عن أم سلمة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، الذى يشرب فى اناء الفضة والذهب انما يجرجر فى بطنه نار جهنم ، وفى حديث آخر لهما . لاتشربوا فى آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا فى صحافهما . الحديث وقد

* وحديث ثوبان رضى الله عنه فى صحيح مسلم ، عائد المريض فى خُرفة الجنة حتى يرجع (١): قلت ولا فرق ان يكون برا أو فاجراً لكن ينبسط الى البر وينقبض عن الفاجر

* (الرابع والستون) ، الصلاة على من مات من أهل القبلة (٢) * لحديث أبى هريرة رضى الله عنه فى الصحيحين . حق

تقدم ، واما لبس الحرير ، والقسى ، والديباج ، والميثرة ، والاستبرق . قال النواوى كله حرام سواء لبسه للخيلاء أو غيره ، وانعقد الاجماع على اباحته للنساء وتحريمه على الرجال اه وقد سبق الكلام على ذلك فى بابه فارجع اليه وقول الامام النواوى رضى الله عنه فكله حرام راجع الى لبس الحرير وماعطف عليه لان الحرير اسم جنس يطلق على كل مايسمى حريرا عرفا فيشمل جميع انواعه . وبه صرح هذا الحديث وغيره فان الميثرة تعمل من حرير وغيره كالفراش الصغير ويحشى بقطن أو صوف يجعلها الراكب تحته فوق الجمال كالسرج والقسى بفتح القاف وكسر السين المشددة ثياب مضلعة فيها حرير يؤتى بها من القس وهو قرية على ساحل البحر قريبة من تنيس ، يعنى هى ثياب كتان مخلوط بحرير ، والاستبرق الغليظ من الحرير ، والديباج الرقيق منه فافهم * وليت شعرى من أين أخذ اهل عصرنا حل لبس الحرير والتفرقة بين قليله وكثيره وبين حرير الدودة وحرير الهندى ، ولا يبعد أن يكون تشبههم بالنساء واطاعتهم لمن سول لهم ذلك . ولا تغتر بما سطرته يد اثيمة أو أثبتته صحيفة سوداء ، فان ذلك مخالف لما قد علمت ، والعصمة لله ولرسوله ، حفظنى الله واياك من الزلل

(١) وتمام الحديث فى رواية اخرى ؛ قيل يارسول الله ما خرفة الجنة قال جناها ، أى يؤول به ذلك الى الجنة واجتناء ثمارها

(٢) المراد بأهل القبلة المسلمون ، والصلاة على من مات ثابتة ثبوتا

المسلم على المسلم خمس، رد السلام ، وعيادة المرضى ، وتشميت ، العاطس واتباع الجنائز، واجابة الدعوة * وحديث ثوبان فى صحيح مسلم من صلى على جنازة فله قيراط . ومن شهد دفنها فله قيراطان ، .. القيراط مثل أحد

* (الخامس والستون) ، تشميت العاطس لحديث ابى بردة فى صحيح مسلم ، عن أبى موسى الاشعرى ، اذا عطس أحدكم فحمد الله فشمتوه ، واذا لم يحمد الله فلا تشمتوه (١)

ضروريا من فعله صلى الله عليه وآله وسلم ، وفعل أصحابه . وحكمها فرض كفاية لان الصحابة رضى الله عنهم كانوا يصلون على الميت فى حياته صلى الله عليه وآله وسلم ولا يؤذنونه ، وامتنع صلى الله عليه وسلم من الصلاة على من عليه دين ، وأمر أصحابه بان يصلوا عليه

(١) التشميت بالشين والسين لغتان ، والشين أفصح ، معناه أبعد الله عنك الشماتة، واختلف العلماء فى حكمه ، فذهب أهل الظاهر وبعض المالكية الى أنه فرض عين على كل من سمعه ، والمشهور من مذهب مالك انه فرض كفاية وذهب الشافعى وآخرون الى أنه سنة وأدب ، والحديث صريح الامر بالتشميت اذا حمد العاطس ، وصريح النهى عن تشميته اذا لم يحمده ، وقد جاء كيفية الحمد وكيفية التشميت وجواب العاطس ، فيما أخرجه البخارى من حديث أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه قال اذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله وليقل له أخوه أو صاحبه يرحمك الله وليقل هو يهديكم الله ويصلح بالكم ، وأخرجه ايضا ابو داود وغيره بزيادة، فليقل الحمد لله على كل حال الحديث ، واخرج البخارى فى الادب والطبرانى ، ويقول هو يغفر الله لنا ولكم ، قال مالك والشافعى يتخير بين هذين ، قلت والظاهر انه لا حجر عليه فتارة يقول هذا وتارة يقول ذاك فيكون عمل بالروايات كلها والله الموفق

• (السادس والستون) ، في مباعدة الكفار والمفسدين . والغلظ عليهم (١) لقوله تعالى ، (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شيء الا ان تتقوا منهم تقاة)[١] (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم)[٢] ،

---

(١) هذه الآيات وما شابهها تدل على منع موالاة الكفار . واتخاذهم أولياء واصدقاء من دون المؤمنين يكاشفون بالاسرار الخاصة بمصلحة الدين والاستعانة بهم على المسلمين ، واخضاعهم لسلطتهم ،وان كانوا آباءنا واخواننا فى النسب . لانهم أعداء الله ورسوله ،يعملون على هدم الدين ، وايقاع الفتنة بين المسلمين ونشر الفساد ، وضعف الأفراد ، وفك عرى الامة ،ليستولوا على البلاد ، ويستعبدوا أهلها ، ويشلوا قواها ، ويضربوا عليهم الضرائب الثقيلة ، ويكلفوهم بما لايطيقون ، فيصبح الشعب خاويا على عروشه ، وتحت سلطتهم كالريشة المعلقة فى الهواء يحركها كيف يشاء، ولذلك شدد المولى جل شأنه فى ذلك،وجعل من يفعل ذلك ليس من الله فى شيء ، اى ليس من دينه فتنقطع صلة الايمان التى بينه و بين الله ، فيكون من الكافرين بدليل قوله تعالى فى الآية الاخرى « ومن يتولهم منكم فانه منهم » نعم يجوز موالاتهم لاتقاء الضرر بقدر الحاجة بدليل الاستثناء المذكور فى الآية ، وهى صورية فى الحقيقة لانها للمؤمنين لا عليهم،وأيضايجوز الاستعانة بهم على عدو ما الذي هو من جنسهم فيما لا يمس الدين الحنيف بشيء من تحالف واتفاق ، كما حالف النبي صلى الله عليه وسلم خزاعة وهم على شركهم ، ويدخل فى النهي دخولا اوليا الذين يتجسسون أخبار المسلمين ، من حروب وخدع ونحو ذلك ، وينقلونها الى الاعداء ليصيبوا بها عرض الدنيا،ويتحصلوا على حطامها، يبيعون دينهم وأخرتهم بدنياهم، يستبدلون الحياة الدنيا بالآخرة فما متاع الحياة الدنيا الا قليل، ويل لهم قاتلهم الله أنى يرجعون

١ ـ آل عمران ٢٨
٢ ـ التحريم ٩

(وقاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة)[١] ،
يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة
وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم ان تؤمنوا
بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهاداً فى سبيلى وابتغاء مرضاتى تسرون
اليهم بالمودة)[٢] ،

(يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا آباءكم واخوانكم أولياءان استحبوا
الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون)[٣] الى آخر
الآية التى بعدها وغيرها من الآيات .

* ولحديث أبى هريرة رضى الله عنه فى صحيح مسلم . اذا لقيتم
المشركين فى الطريق فلا تبدوهم بالسلام واضطروهم الى اضيقها ،

* وحديث أبى سعيد رضى الله عنه فى سنن أبي داود لايأكل
طعامك الا تقى ، ولا تصاحب الا مؤمناً .

* (السابع والستون) اكرام الجار (١) لقوله تعالى

---

(١) أقول اكرام الجار والاحسان اليه ، ومواساته عند حاجته أمر
محبوب ، ومأمور به ، وبه جاءت الشرائع ، وقد نص القرآن على ذلك ، ووردت
أحاديث كثيرة في الاحسان الى الجار وعدم أذيته ، والجار عام يشمل المسلم
والكافر والتقى والفاجر ، صديقاً كان أو عدواً ، أجنبياً أو قريباً ، الا ان
بينهم تفاوتاً ، فمن اجتمعت فيه الصفات المحمودة ، والخصال الحميدة ، كان فى
أعلى المراتب ، ومن كان فيه أكثرها فهو تابع له فى المرتبة . وهلم جرا ،
فيعطى كل ذى حق حقه بحسب حاله وباعتبار مقامه ، يدل له ما رواه الطبرانى
والبزار من حديث جابر مرفوعاً . الجيران ثلاثة ، جار له حق ، وهو المشرك ،

١ ـ التوبة ١٢٣
٢ ـ الممتحنة ١
٣ ـ التوبة ٢٣

(وبالوالدين احساناً وبذى القربي واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب)[1]

قيل فى تفسير ذى القربى الجار الملاصق ، والجار الجنب البعيد غير الملاصق ، والصاحب بالجنب الرفيق فى السفر .

وعن ابن عباس . ومجاهد . وقتادة . والكلبي . ومقاتل بن حيان . ومقاتل بن سليمان ، والجار ذى القربي الذى بينك وبينه قرابة ، والجار الجنب الأجنبي عنك ، والصاحب بالجنب ، الرفيق فى السفر ، وزاد مقاتل ابن سليمان ، فقال فى الصاحب بالجنب ، انه الرفيق فى السفر والحضر

له حق الجوار ، وجار له حقان وهو المسلم ، له حق الجوار . وحق الاسلام ، وجار له ثلاثة حقوق . جار مسلم له رحم . له حق الاسلام ، والرحم ، والجوار

* فحفظ حق الجار من الايمان ، والاضرار به من الكبائر ، لقوله صلى الله عليه وسلم فى بعض الروايات ، من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره *

وانظر الى أبناء زماننا كيف منعوا الجار حقه ، واستبدلوا الاكرام بالايذاء ، والاحسان بالاساءة ، حتى أصبح أقرب الناس جوارا ، أشدهم عداوة لجاره وأعظمهم ضرراً ، وأسرعهم تنكيلا به ، وأحرصهم على هتك عرضه ، ولا سيما اذا كان بينه وبين جاره رحم وقرابة فان الايذاء له يزداد ويتعاظم ، وكل ذلك من الجهل بالدين ، وعدم انتشار آداب الاسلام ، وتساهل العالمين بالاحكام نسال الله ان يوفق علماءنا الاعلام ، وأمراءنا الكرام الى استدراك الخطب قبل استفحاله ، وقطع عرقه قبل سريانه ، بنشر التعليم بين المسلمين عامة ، وتخريج وعاظ ومرشدين قادرين على تفهيم العوام أمر دينهم ، وبيان حقوق الافراد والجماعات ، وما ينشأ عن الجهل ، وترك الدين ، وتقليد الاجانب في الامور المخلة ، والمفاسد المؤثرة فى الهيئة الاجتماعية ، من سقوط الامة وانحطاطها ونشوب

[1] ـ النساء ٣٦

* وعن على ، وعبد الله بن مسعود وابراهيم وغيرهم رضى الله عنهم فى الصاحب بالجنب، انها المرأة * وعن سعيد بن جبير فى رواية كذلك، وفى رواية عنه. انه الرفيق الصالح .

* ولحديث عائشة فى الصحيحين. انها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم . يقول مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت انه سيورثه

* وبه أنبأنا البيهقى أبو عبد الله الحافظ فى مراعاة حق الرفيق ثنا أبو العباس الاصم ثنا شعبة بن عثمان التنوحى ثنا محمد بن شمال ثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى . قال . قال : عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ثلاثة لا يكافئهم عني الارب العالمين ، رجل فسح له فى مجلسه ورجل تخطى الحلق والمجالس حتى جلس الىّ ، ورجل ذكر فى الليل ، حاجته (ذاد)(١) فى اهلالها فذلك لا يكافئه عنى الا رب العالمين.

* (الثامن والستون) ، اكرام الضيف (٢) *لحديث أبى

العدو عليها ، وافتراسها ، واستعباده اياها كما هو حاصل الآن ، فيصبح الشعب متعلماً متيقظاً لنفسه متمسكا بحقوقه : محترماً لجاره ورحمه ، مقتدياً بسلفه، عاملا بشريعته ودينه ، ناظراً الى منفعة أخيه ووطنه ، مكباً على رضاء ربه ، متباعدا عما يضر بقومه وابناء جنسه ، متحاشياً الرذائل ، متحليا بالفضائل وغير ذلك من الصفات التى تقدمت .

(١) هكذا الاصل، وانظر وجه ايراد هذا الاثر فى هذا الباب تدبر

(٢) اختلف العلماء فى حكم الضيافة . ذهب الجمهور الى انها سنة ، لانها من مكارم الاخلاق ، وآداب الاسلام وخلق النبيين والصالحين، مستدلين . بحديث ،فليكرم جاره جائزته . والجائزة المنحة والعطية ،وذلك لا يكون الا مع الاختيار * وقوله فليكرم وليحسن يدل على هذا . وتأولوا أحاديث الباب التى ظاهرها الوجوب، بانها كانت فى أول الاسلام . وذهب الليث والامام

شريح العدوى فى الصحيحين . قال سمعت أذناى وأبصرت عيناى حين تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته . قالوا وما جائزته . قال يومه وليلته ، والضيافة ثلاثة أيام فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه وقال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت * وزاد فى رواية فى أوله، من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره .

* (**التاسع والستون**) ، الستر على أصحاب القروف أى الذنوب (١) لقوله تعالى، (ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب اليم فى الدنيا والآخرة) .

أحمد الى ان الضيافة واجبة يوما وليلة، محتجين بقوله صلى الله عليه وسلم . ليلة الضيف حق واجب على كل مسلم * وبحديث عقبة . ان نزلتم بقوم فأمروا لكم بحق الضيف فاقبلوا . وان لم يفعلوا فخذوا منهم حق الضيف الذى ينبغى لهم . واختلف فى وجوبها هل على الحاضر والبادى ، ام على البادى خاصة ، وظاهر الاحاديث العموم ، والله أعلم

(١) اعلم ان الله تعالى ذم من يحب أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا ، والاحاديث فى هذا الباب كثيرة ؛ فقد روى الامام أحمد من حديث عقبة ابن عامر انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول ، من ستر على المؤمن عورته ستره الله يوم القيامة ، وابن ماجه من حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم . قال من ستر عورة أخيه المسلم ستر الله عورته يوم القيامة ومن كشف عورة أخيه المسلم كشف الله عورته حتى يفضحه بها فى بيته * والناس فى ارتكاب الذنوب على ضربين ، الاول من كان مستوراً لا يعرف بشىء من المعاصى والمخالفات، فاذا وقعت منه هفوة أو زلة فانه لا يجوز هتكه ولا كشفها

١ ـ النور ١٩

* ولحديث سالم بن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فى الصحيحين عن أبيه ، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته، ومن فرج عن مؤمن كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة :

* (السبعون) ، الصبر على المصائب وعما تنزع النفس اليه من لذة وشهوة (١) . لقوله تعالى : (واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين .[1]

* عن مجاهد وغيره انه أراد بالصبر الصوم . وقوله: (وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وإنا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون)[2] وغيرها من الآيات .

ولا التحدث بها، لان ذلك غيبة محرمة، وهذا هو الذى وردت فيه النصوص ، يدل له مارواه أبو داود والنسائى من حديث عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال . أقيلوا ذوى الهيئات عثراتهم * الثانى من كان مشتهرا بالمعاصى والمخالفات معلنا بها غير مبال بما ارتكب منها ، ولا بما قيل له هذا الفاجر المعلن . وهذا ليس له غيبة بلا نزاع بين العلماء ، فينبغى البحث عن أمره لتقام عليه الحدود ويتأدب ويتعظ به غيره وينزجر ، فافهم

(١) حقيقة الصبر ، حبس النفس وكفها عن الجزع والسخط ، واللسان عن الشكوى ، والثبات على أحكام الكتاب والسنة ، قال على بن أبى طالب رضى الله عنه ، الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ، فمن لا صبر له لا ايمان له ، كما ان لا جسد لمن لا راس له ، وهو من اعظم الامور وانفعها ، لذلك ذكره المولى تعالى فى القرآن فى نحو تسعين موضعا ، وحكمه الوجوب باجماع الامة ، رزقنى الله واياك الصبر على المكاره

١ ـ البقرة ٤٥
٢ ـ البقرة ١٥٥ ـ ٧

* ولحديث أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه فى الصحيحين.
قال جاء أناس من الانصار فسألوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاعطاهم. قال فجعل لا يسأله أحد منهم الا اعطاه حتى نفد ما عنده ثم قال، حين أنفق كل شئ عنده ما يكون عندنا من خير فلن ندخره عنكم فانه من يستعف يعفه الله: ومن يستغن يغنه الله. ومن يتصبر يصبره الله، ولن يعطوا عطاء خيراً وأوسع من الصبر

* وحديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه فيهما أيضاً. قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يوعك وعكاً شديداً. فقلت انك لتوعك وعك الرجلين (١) فقال: أجل أوعك كما يوعك رجلان منكم. قال. فقلت ذلك بان لك أجرين. قال أجل وما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه الا حط الله به من سيأته كما تحط الشجرة ورقها.

* (الحادى والسبعون)، الزهد وقصر الامل (٢) لقوله

---

(١) الوعك بسكون العين وفتحها الحمى وقيل ألمها وقيل هو ارعاد الحمى وتحريكه اياه وقال صاحب المحكم الوعك الألم يجده الانسان من شدة التعب

(٢) اعلم ان الناس قد أكثروا من الكلام على الزهد ونذكر لك اهمه، قال الامام احمد، الزهد فى الدنيا هو عدم فرحه باقبالها، وحزنه على أدبارها، وقال الجنيد، الزهد خلو القلب عما خلت منه اليد، وقال ابن خفيف، الزهد سلو القلب عن الاسباب ونفض الايدى من الاملاك، والذى اجمع عليه العارفون، ان الزهد سفر القلب من وطن الدنيا، واخذه فى منازل الآخرة، وقد قسم الزهد الامام احمد الى ثلاثة أوجه، الاول ترك الحرام، وهو زهد

تعالى . (فهل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم بغتة فقد جاء اشراطها)

العوام ، والثانى ترك الفضول من الحلال ، وهو زهد الخواص ، والثالث ترك ما يشغل عن الله ، وهو زهد العارفين ، وقد أشار المولى الى مدحه فى القرآن فى غير موضع والى ذم الدنيا والاعراض عنها . قال الله تعالى (ماعندكم ينفد وما عند الله باق) وقال تعالى ((قل متاع الدنيا قليل) وقال (ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا) وقال (اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد) الى قوله (وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور) والاحاديث فى ذلك كثيرة ، منها ما رواه مسلم فى صحيحه عن جابر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مر بالسوق داخلا من بعض العالية والناس كنفيه (أى جنبيه) فمر بجدى اسك ميت فتناوله فاخذ بأذنه ثم قال أيكم يحب ان هذا له بدرهم فقالوا ما نحب انه لنا بشىء وما نصنع به قال أتحبون انه لكم قالوا والله لو كان حياً كان عيباً فيه لانه اسك فكيف وهو ميت فقال فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم * ومعنى اسك صغير الأذنين . فالزهد فى الشىء الاعراض عنه لاستقلاله واحتقاره وارتفاع الهمة عنه ، يقال شىء زهيد أى قليل حقير وليس المراد بالزهد رفض الدنيا واخراجها عن الملك ، يدل له ما رواه الترمذى وابن ماجه عن ابى ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال الزهادة فى الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا اضاعة المال ولكن الزهادة فى الدنيا أن لا تكون بما فى يديك أوثق مما فى يد الله وأن تكون فى ثواب المصيبة اذا أنت أصبت بها ارغب فيها لو انها بقيت لك * وهذا اجمع كلام فى الزهد وأحسنه ، وقد رواه موقوفاً الامام احمد وابن ابى الدنيا . ويشهد له ما ثبت عن سليمان وداود عليهما الصلاة والسلام ، انهما كانا ازهد اهل زمانهما ولهما من المال والملك والنساء ما ليس لغيرهما ، وكان نبينا صلى الله عليه وآله وسلم أزهد البشر على الاطلاق وله تسعة نسوة ، وكان على بن ابى طالب ، وعبد الرحمن بن عوف . والزبير . وعثمان

* ولحديث أنس بن مالك وسهل بن سعد فى الصحيحين . بُعثت أنا والساعة كهاتين وأشار باصبعيه السبابة والوسطى .

* وحديث ابن عباس فى صحيح البخارى . نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ .

* وبه أنبأنا البيهقى :قال أنشدنى أبو عصمة محمد بن أحمد السجستانى بالبصرة لنفسه فى هذا المعنى

أنبأنا خير بنى آدم * وما على أحمد الا البلاغ
الناس مغبونون فى نعمتي * صحة أبدانهم والفراغ

* وحديث أبى سعيد رضى الله عنه فى صحيح مسلم، ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون . فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فان أول فتنة بنى اسرائيل كانت فى النساء (١).

من الزهاد مع مالهم من الاموال والتجارة ،وكان الحسن بن على من الزهاد مع انه اكثر الامة محبة للنساء ونكاحا لهن ، واغناها، وهكذا كان أغلب السلف من التابعين وتابع التابعين رضوان الله عليهم اجمعين ، والله الموفق

(١) وحاصل ذلك ، ان نبى الله موسى عليه الصلاة والسلام لما نزل فى أرض بنى كنعان ، وصل خبره الى قوم بلعام ، وكان يحفظ الاسم الاعظم ومجاب الدعوة وفيه نزل قوله تعالى (وأتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها) الآية ، فذهب قوم بلعام الى بلعام ، وقالوا له ان هذا موسى بن عمران فى بنى اسرائيل قد جاء يخرجنا من بلادنا ، ويقتلنا وانا قومك ، وليس لنا منزل ، وأنت مجاب الدعوة ، فاخرج وادع الله عليهم ، فقال ويلكم نبى الله معه الملائكة والمؤمنون كيف اذهب ادعو عليهم وانا أعلم من الله ما أعلم ، فلم يزالوا به حتى فتنوه . فافتتن ، فركب حمارة له وأراد ان يتوجه الى الجبل

ليدعو على موسى ومن معه، فوقفت ولم تسر به ، فضربها فانطقها المولى تعالى، فقالت ويحـك يا بلعام أين تذهب ، أما ترى الملائكة تردنى ، فلم يرجع عن غيه ، حتى أشرف على رأس الجبل ، فجعل يدعو على موسى وقومه ، ولا يدعو عليهـم بشر الاصرف به لسانه ولايدعو لقومه بخير الا صرف لسانه الى بنى اسرائيل فقال له قومه أتدرى يا بلعام ما تصنع ، انما تدعو لهم وتدعو علينا ، قال فهذا مالا أملك ،هذا شئ قد غلب الله عليه ، واندلع لسانه فوقع على صدره، فقال لهم قد ذهبت الآن منى الدنيا والآخرة ، فلم يبق الا المكر والحيلة ، فسأمكر لكم وأحتال ، جملوا النساء وأعطوهن السلع ثم ارسلوهن الى قوم موسى يبعنها فيهم، ومروهن بان لاتمنع امرأة نفسها من رجل أرادها ، فان زنى منهم واحد كفيتموهم، ففعلوا فلما دخل النساء العسكر مرت امرأة برجل عظيم من بنى اسرائيل فقام اليها فأخذ بيدها حين أعجبه جمالها ، ثم أقبل بها حتى وقف على موسى عليه السلام فقال انى أظنك ستقول هذه حرام عليك ، فقال أجل هى حرام عليك لاتقربها ، قال فو الله لا أطيعك فى هذا ، فدخل بها قبته فوقع عليها ، فارسل الله الطاعون فى بنى اسرائيل ، وكان صاحب أمر موسى عليه السلام غائبا حينئذ ، وكان ذا بسطة فى الخلق ، وقوة فى البطش، فجاء والطاعون يجوس ويحصد فى بنى اسرائيل ، فاخبر الخبر ، فأخذ حربته ، ثم دخل القبة ، وهما متضاجعان . فانتظمهما بحربته ، ثم خرج بهما رافعهما الى السماء ، وجعل يقول اللهم هكذا تفعل بمن يعصيك ، فرفع الطاعون فحسب من هلك من بنى اسرائيل فوجـد قد هلك منهـم سبعون الفاً فى ساعة من النهار،فانظر الى هذه القصة ، واعتبر بما حصل لبلعام الذى أوتى الاسم الاعظم، واجابة الدعوة ، وما نفعه ذلك ، لكونه لم يعمل بعلمـه النافع ، ولم يسلك سبيل الرشاد ، واتخذ علمه وسيلة لخذلان المؤمنين ، وزريعة للتنكيل بهم ، وهكذا كل عالم اذا لم يعمل بعلمه ، واتخذه آلة لاضـلال الناس واكتساب الاموال ،كان وبالا وحجة عليه ، وسود وجهه فى الدنيا ، وقاده الى عذاب شديد فِى الآخرة ، نسأل الله حسن العاقبة

* (الثاني والسبعون) ، الغَيرة وترك المِذاء (١) لقوله تعالى ، (قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة [1]) ، (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن [2]) ،

* ولحديث أبي هريرة فى صحيح البخارى ان الله عز وجل يغار وان المؤمن يغار وغيرة الله ان لايأتى المؤمن ما حرم عز وجل عليه

* وحديث أم سلمة رضى الله عنها فى الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان عندها وفى البيت مخنث (٢) فقال لعبد الله ابن أبى أميــة أخى أم سلمة يا عبد الله ان فتح الله لكم الطائف غداً فانى أدلك على ابنة غَيلان فانها تُقبــل باربع وتدبر بثمان . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يدخلن هؤلاء عليكم

(١) الغيرة بفتح الغين وسكون الياء . قال في النهاية ،هي الحمية والأنفة وقال القاضى فى المشارق هي تغير القلب وهيجان الغضب ، أى عنــد رؤية أوسماع مالا ينبغى ، يقال رجل غيور وأمرأة غيور ،والمذاء بكسر الميم والمد يقال أمذى الرجل وما ذى اذا قاد على أهله ،ويروى المذال من النفاق، باللام وهو ان يقلق الرجل وينزعج عن فراشه الذى يضاجع عليه حليلته ويتحول عنه ليفترشه غيره

(٢) المخنث هو الذى يشبه النساء فى أقواله وأفعاله ، تارة يكون هذا خلقيا وتارة تكلفيا ، والثانى هو المذموم الملعون صاحبـه ، وأما المخنث فى هذا الزمان هو الذى يؤتى ليلاط به ، وقول المخنث تقبـل باربع وتدبر بثمان هو وصف للمرأة ، وحاصله انها سمينـة ولبطنها طيات من السمن من كل ناحية ثنتان ، ولـكل واحدة طرفان ، فاذا أدبرت صارت الاطراف ثمانية ، قال ابن الـكلبى ، قال المخنث بعـد قوله وتدبر بثمان ، مع ثغر كالاقحوان ان

١ - التحريم ٦
٢ - النور ٣١

* وروى عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه قال الغَيرة من الايمان وان المِذاء من النفاق . قال الحليمي هو ان يجمع بين الرجال والنساء ثم يخليهم يماذى بعضهم بعضا وأخذ من المذى وقيل هو ارسال الرجال مع النساء من قوله مذيت الفرس اذا أرسلتها ترعى .

*(الثالث والسبعون) ، الاعراض عن اللغو لقوله تعالى (قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون)[١] ، وقوله . (والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما)[٢] ، وقوله . (واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه)[٣] ،

قعدت تثنت ، وان تكلمت تغنت ، بين رجليها مثل الاناء المكفوف ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع . فقال لقد غلغلت النظر اليها ياعدو الله ثم أجلاه عن المدينة ، واسم ابنة غيلان بادية وقيل بادنة فلما فتح الطائف أسلمت وتزوجها عبد الرحمن بن عوف وولدت له ، ولا يخفى عليك ما حصل من النبى صلى الله عليه وسلم حين سماعه كلام المخنث من الغيرة وهيجان الغضب واجلاه عن المدينة لئلا ينتشر هذا الداء العضال فى الامة ، ويسرى سريان الكلَب بصاحبه ، فهلا يتنبه علماؤنا وأمراؤنا الى ذلك ، ويجلون هذه الطائفة الخبيثة ، ويبعدونها عن البلاد ، ويضربون على أيديهم بسوط من حديد ، فقد انتشر فسادهم وعم ضررهم ، وفسدت أخلاق الامة وكثر المتشبهون بالنساء بسبب ذلك ولم نر احدا من العلماء ، أو الأمراء تكلم بذلك ونشر مقالة أو ألف رسالة فى بيان فساد بقاء هذه الشرذمة القبيحة ، والطائفة المشؤمة على الامة وقد تقدم بيان حكم اللواط فى بابه فارجع اليه .

١ ـ المؤمنون ١ ـ ٣
٢ ـ الفرقان ٧٢
٣ ـ القصص ٥٥

واللغو الباطل الذى لا يعنيه ولا يتصل بقصد صحيح ولا يكون لقائله فيه فائدة وربما كان وبالا عليه

* وفى حديث أبى سلمة عن أبى هريرة ، وعلى بن الحسين عن ابيه عن على رضى الله عنه ، ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قال من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه (١)

* وبه انبأنا البيهقي انبأنا ابو عبد الله الحافظ ثنا الحسن بن محمد ابن اسحاق قال سمعت أبا عثمان الخياط قال سمعت ذا النون يقول . من حب الله عاش * ومن مال الى غيره طاش * والاحمق يغدو ويروح في لاش * والعاقل عن خواطر نفسه فتاش .

*(الرابع والسبعون)، الجود والسخاء (٢) لقوله تعالى .

---

(١) هـذا الحديث أصل عظيم من أصول الآداب ، ومعناه ان من حسن اسـلام المرء تركه مالا تتعلق عنايته به ، ويكون من مقصده ومطلوبه من قول وفعل ، والعناية بالشيء شدة الاهتمام به ، لا انه يترك مالا عناية له به ولا ارادة بحكم الهوى ، وطلب النفس ، بل بحكم الشريعـة والاسلام ، لهـذا جعـله رسول الله صلى الله عليه وسلم من حسن الاسلام ، فاذا حسن اسلام المرء ترك مالا يعنيه من المكروهات ، وفضول المباحات التى لا يحتاج اليها فان هذا كله لا يعنى المسلم ، فعلى العاقل ان لا يسعى الا الى ثلاث ، تزود لمعاد ، أو حرفـة لمعاش ، أو لذة فى غـير محرم ، وان يكون بصيراً بزمانه ، مقبـلا على شأنه ، حافظا للسانه ، خادماً لامته ودينه ، حافظا لحقوق ربه ، مثابرا على النصائح والفوائد ، عاملا على انهاض قومه ، وغير ذلك من الصفات التى ينبغى ان يتصف بها المسلم

(١) الجود والسخاء والكرم بمعنى ، وهو انفاق المال الكثير بسهولة من

(وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين الذين ينفقون فى السراء والضراء)[١] وغيرها من الآيات

النفس فى الامور الجليلة القدر الكثيرة النفع كما ينبغى ، ويقابله البخل وقد أمر به المولى ومدحه فى كتابه المبين ، وعلى لسان رسوله الامين ، صلى الله عليه وسلم وكان نبينا صلى الله عليه وسلم لايوازى فى الكرم والجود ، ولا يبارى وبه وصفه كل من عرفه ، وماسئل قط فقال لا ، لمارواه البخارى فى صحيحه والترمذى وغيرهما عن جابر رضى الله عنه قال ، ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً فقال لا وأنشد حسان

ما قال لا قط الا فى تشهده * لولا التشهد لم تسمع له لا لا

وفى الصحيحين عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال ، كان النبى صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير وأجود مايكون فى رمضان ، وكان أجود بالخير من الريح المرسلة ، وهكذا كانت حاله صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث * وفى صحيح مسلم عن أنس رضى الله عنه ، ان رجلا سأله فاعطاه غنما بين جبلين ، فرجع الى قومه ، وقال أسلموا فان محمدا يعطى عطاء من لا يخشى فاقة ، واعطى غيرواحد مائة من الابل ، وأعطى صفوان بن أمية، مائة ثم مائة ثم مائة وكان مشركا ، فقال أشهد بالله ما طابت بهذا الا نفس نبى واسلم * وردّ على هوازن سباياها وكانوا ستة آلاف نفس مع أموالهم وكانت خمسمائة الف الف ، وحمل اليه صلى الله عليه وسلم تسعون الف درهم فوضعت على حصيرثم قام اليها فقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها ، وجاءه رجل فسأله ، فقال ما عندى شئ ، ولكن ابتع علىّ ، فاذا جاءنا شئ قضيناه ، فقال له عمر رضى الله عنه ، ما كلفك الله مالا تقدرعليه ، فكره صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال رجل من الانصار يارسول الله ، انفق ولا تخف من ذى العرش اقلالا ، فتبسم عليه الصلاة والسلام ، وعرف البشر فى وجهه ، وقال بهذا أمرت ، والخبر بكرمه وجوده لا يحصى فمن البحر حدث ولا حرج

[١] ـ آل عمران ١٣٣ ـ ١٣٤

ولقوله فى عكسه . (إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً☆الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل)[١] . وقوله . (ومن يبخلْ فانما يبخلُ عن نفسه)[٢] وقوله . (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون)[٣] وغيرها من الآيات

* ولحديث ابى هريرة فى الصحيحين ما من يوم يصبح العباد فيه الا ملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقاً خلفا، ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا (١)

---

(١) وقد خرج هذا الحديث أيضاً الامام أحمد فى مسنده عن أبى الدرداء بزيادة ، قال ما من يوم طلعت فيه الشمس الا وبجنبتيها ملكان يناديان يسمعه خلق الله كلهم الا الثقلين ، يا أيها الناس هلموا الى ربكم ، ان ما قل وكفى خير مما كثر وألهى ، ولا غربت شمسه الا وبجنبتيها ملكان يناديان يسمعان أهل الارض الا الثقلين اللهم أعط منفقا خلفا ، وممسكا تلفا ، وكلمة من فى الحديث زائدة ، والمعنى ليس يوم موصوف بهذا الوصف ينزل فيه أحد الا ملكان يقولان كذا ، والخلف بفتح اللام العوض أى عوضك وابدلك بما ذهب منك ، والتعبير بالاعطاء بجانب الممسك للمشاكلة لان التلف ليس بعطية فهو من باب التهكم* فالحديث يدل على استحقاق تلف مال الممسك ، وظاهره الامساك مطلقا ، أى عن الواجبات والمندوبات الا ان الممسك عن المندوبات لا يستحق هذا الدعاء ، لا سيما دعاء الملائكة وهو مجاب ، الا ان يحمل على من غلب عليه البخل* والبخل صفة قبيحة ، وخلق ذميم ، قد اجمعت الكتب السماوية على ذمه ، وحقارة من اتصف به ، وسئل الحسن البصرى عن حقيقة البخل ، قال هو ان يرى الرجل ما أنفقه سرفاً ، وما أمسكه شرفاً اهـ ولذلك يعيش البخيل عيشة الفقراء ويحاسب حساب الاغنياء باعدنا الله واياك عن ذلك

١ ـ النساء ٣٦ ـ ٣٧
٢ ـ محمد ٣٨
٣ ـ الحشر ٩
التغابن ١٦

*(الخامس والسبعون). رُحم الصغير وتوقير الكبير(١)

* لحديث جرير بن عبد الله فى صحيح مسلم . من لا يرحم الناس لا يرحمه الله تعالى .

* وحديث ابى هريرة فى الصحيحين . جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين وأنزل فى الارض جزءاً واحداً فمن ذلك الجزء يتراحم الخلائق حتى يرفع الفرس حافرها عن ولدها خشية ان تصيبه . (٢)

* وحديث عبد الله بن عمرو فى سنن أبي داود ومسلم . من لم يرحم صغيرنا ولم يعرف حق كبيرنا فليس منا .

* وروينا فى الصحاح فى حديث القسامة كبر الكُبر أو الكِبْر الكُبر أي يتكلم أكبركم * وفى حديث الامامة وليؤمكم أكبركم

---

(١) الرحم بالضم الرحمة وهى رقة فى القلب تقتضي التفضل والاحسان ومحلها قلب المؤمن التقى ولا تنزع الا من قلب شقى،قال بعضهم من أمارات الكرم الرحمة ، ومن أمارات اللؤم القسوة .

(٢) اعلم ان رحمة الله لا تحصر ، فالحصر فى مائة على سبيل التمثيل تسهيلا للفهم ، وتقليلا لما عندنا ،وتكثيرا لما عند الله ، ويدل الحديث على ان الرحمة فى الآخرة أكثر من النقمة فيها ، ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام عن ربه غلبت رحمتى غضبى ، وخص الفرس بالذكر لانها أشد الحيوان المألوف الذى يعاين المخاطبون حركته مع ولدها،ولما في الفرس من الخفة والسرعة فى التنقل ومع ذلك تجنب ان يصل الضرر منها الى ولدها * وفى رواية عطاء يتعاطفون وبها يتراحمون وبهذا يعطف الوحش والطير بعضها على بعض .

• (السادس والسبعون) ، اصلاح ذات البين [١] لقوله تعالى . (لا خير فى كثير من نجواهم [٢] الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجراً عظيما) . وقوله ، (انما المؤمنون اخوة فأصلحو بين أخويكم) أى بين كل اثنين منكم .

• ولحديث أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط رضى الله عنه فى الصحيحين ، ليس الكذاب الذى يصلح بين الناس فيقول خيراً وينمى خيراً [٣] قالت ولم أسمعه يرخص فى شىء مما يقول الناس كذباً الا فى ثلاث

---

(١) الاصلاح التوفيق بين الناس ، والصلح اسم بمعنى المصالحة وأصله من الصلاح ضد الفساد ، والصلح أقسام . صلح بين المتغاضبين . ويدخل فيه الزوجان ، وصلح بين الفئة الباغية والعادلة . والصلح فى الجراح ، وصلح المسلم مع الكافر ، وصلح لقطع الخصومات اذا وقعت المزاحمة فى الاملاك أو المشتركات كالشوارع ، والمراد به هنا مايعم الجميع

(٢) النجوى مصدر أو اسم مصدر ، معناه المسارة بالحديث ، أى الكلام الذى يتفرد به الجماعة أو الاثنان سراً ، وهي مظنة الاثم والشر ، يدل له قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر والتقوى) الآية ، لان العادة استحباب اظهار الخير والتحدث به جهراً واخفاء الشر وكتمانه ، وقد جاء فى الحديث ، الاثم ما حاك فى النفس وكرهت أن يطلع عليه الناس

(٣) قوله وينمى خيراً هكذا رواية مسلم بدون أو ، ورواية البخارى هكذا ، فينمى خيراً أو يقول خيراً ، وهو شك من الراوى ، قال ابن الاثير نقلا عن أبى عبيد وابن قتيبة وغيرهما ، يقال نميت الحديث أنميه اذا بلغته على

الحرب والاصلاح بين الناس ، وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها .

* (السابع والسبعون) ان يحب الرجل لاخيه المسلم ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه ويدخل فيه اماطة الاذى عن الطريق المشار اليه .

وجه الاصلاح وطلب الخير ، فاذا بلغته علي وجه الافساد والنميمة قلت نميته بالتشديد اه وعزاه ابن حجر فى الفتح الى الجمهور ، قال الحافظ ، قال العلماء المراد هنا انه يخبر بما علمه من الخير ويسكت عما علمه من الشر ولا يكون ذلك كذباً لان الكذب الاخبار بالشىء على ماهو به وهذا ساكت ولا ينسب لساكت قول ، ولا حجة فيه لمن قال يشترط فى الكذب القصد اليه . لان هـذا ساكت اهـ وقولها ولم أسمعه يرخص الخ هذه زيادة مدرجة فى الحديث من كلام الزهرى بينها مسلم في روايته من طريق يونس عن الزهرى فذكر الحديث قال قال الزهرى الخ،واختلف العلماء فى معنى ذلك على أقوال والذى تميل اليه النفس ويقبله العقل السليم وتشهد له الادلة هو ان هذا ليس من قبيل الكذب المحض بل هو من قبيل التورية واستعمال المعاريض بأن يأتى بكلمات محتملة يفهم المخاطب منها ما يطيب قلبه فاذا سعى فى الاصلاح نقل من هؤلاء الى هؤلاء كذلك وورّى،وكذلك فى الحرب يأتى بألفاظ تحتمل وجهين فيورى بها عن أحد المعنيين ليغتر السامع بأحدهما عن الآخر ، ومن هذا الباب ما رواه الترمذى فى شمائله عن النبى صلى الله عليه وسلم انه مازح عجوزا فقال لها لاتدخل الجنة عجوز ،فاوهمها في ظاهر الامر ان العجائز لايدخلن الجنة أصلا ، وانما أراد انهن لا يدخلن الجنة الا شبابا ، وما جاء عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام وغيره محمول على ذلك ، فتفطن

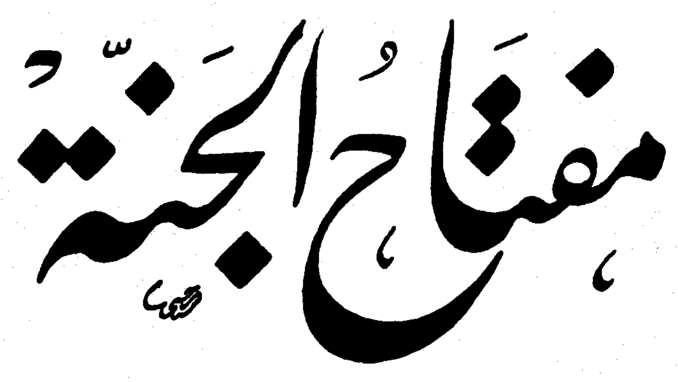
* فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه فى الصحيحين ، الايمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة أفضلها لا اله الا الله وأدناه اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان .

* وحديث أنس فى صحيح البخارى لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه مايحب لنفسه .

* وحديث جرير بن عبد الله فى الصحيحين ، بايعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على اقام الصلاة وايتاء الزكاة والنصح لكل مسلم .

تم الكتاب بحمد الله الملك الوهاب وقد ظهر لنا أغلاط بعد الطبع لاتخفى على القارئ فوضعنا لأهمها جدولا لبيان الخطأ والصواب

صحيفه	سطر	خطأ	صواب
٥	٧	يطعمها	يطعمه
٢٢	٤	ذكاته	زكاته
٢٢	٤	مثل ماله	مثل له ماله
٣٢	٧	فليفعل	فليقل
٤٣	١٣	فان	فلن
٤٦	٨	قلما	قل
٥٥	١	جشياً	حبشياً
٨٨	٦	يرفع	ترفع



مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة

تأليف خاتمة الحفاظ والمجتهدين مولانا الشيخ جلال الدين
السيوطي الشافعي المتوفى سنة ٩١١ تغمده الله برحمته آمين

عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه للمرة الأولى
ادارة الطباعة المنيرية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وبه ثقتي وسلام على عباده الذين اصطفى *

اعلموا يرحمكم الله ان من العلم كهيئة الدواء . ومن الآراء كهيئة الخلاء .لا تذكر إلا عند داعية الضرورة. وان مما فاح ريحه فى هذا الزمان. وكان دارسا بحمد الله تعالى منذ أزمان وهو ان قائلا رافضيا زنديقا أكثر فى كلامه إن السنة النبوية . والاحاديث المروية . زادها الله علوا وشرفا . لا يحتج بها وان الحجة فى القرآن خاصة وأورد على ذلك حديث ما جاءكم عنى من حديث فاعرضوه على القرآن فان وجدتم له أصلا فخذوا به والا فردوه هكذا سمعت هذا الكلام بجملته منه وسمعه منه خلائق غيرى فمنهم من لا يلقي لذلك بالا. ومنهم من لا يعرف أصل هذا الكلام ولا من أين جاء فأردت أن أوضح للناس أصل ذلك. وأبين بطلانه. وانه من أعظم المهالك *

فاعلموا رحمكم الله ان من أنكر كون حديث النبي ﷺ قولا كان أو فعلا بشرطه المعروف فى الاصول حجة كفر وخرج عن دائرة الاسلام وحشر مع اليهود والنصارى أو مع من شاء الله من فرق الكفرة . روى الامام الشافعي رضى الله عنه يوما حديثا وقال انه صحيح فقال له قائل أتقول

به يا أبا عبد الله فاضطرب وقال ياهذا أرأيتنى نصرانيا أرأيتنى خارجا من كنيسة أرأيت فى وسطى زنارا أروى حديثا عن رسول الله ﷺ ولا أقول به *

وأصل هذا الرأى الفاسد أن الزنادقة وطائفة من غلاة الرافضة ذهبوا الى انكار الاحتجاج بالسنة والاقتصار على القرآن وهم فى ذلك مختلفو المقاصد فمنهم من كان يعتقد ان النبوة لعلى وان جبريل عليه السلام اخطأ فى نزوله الى سيد المرسلين ﷺ تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ومنهم من أقر للنبي ﷺ بالنبوة ولكن قال ان الخلافة كانت حقا لعلى فلما عدل بها الصحابة عنه الى أبى بكر رضى الله عنهم أجمعين قال هؤلاء المخذولون لعنهم الله كفروا حيث جاروا وعدلوا بالحق عن مستحقه وكفروا لعنهم الله عليا رضى الله عنه أيضا لعدم طلبه حقه فبنوا على ذلك رد الاحاديث كلها لانها عندهم بزعمهم من رواية قوم كفار فانا لله وإنا اليه راجعون وهذه آراء ما كنت استحل حكايتها لولا مادعت اليه الضرورة من بيان أصل هذا المذهب الفاسد الذى كان الناس فى راحة منه من أعصار *

وقد كان أهل هذا الرأى موجودين بكثرة فى زمن الأئمة الأربعة فمن بعدهم وتصدى الأئمة الأربعة وأصحابهم فى دروسهم ومناظراتهم وتصانيفهم للرد عليهم وسأسوق ان شاء الله تعالى جملة من ذلك والله الموفق *

قال الامام الشافعى رضى الله عنه فى الرسالة ونقله عنه البيهقى فى المدخل قد وضع الله رسوله صلى الله عليه وسلم من دينه وفرضه وكتابه الموضع الذى أبان جل ثناؤه انه جعله علما لدينه بما افترض من طاعته وحرم من معصيته وأبان من فضيلته بما قرن بين الايمان برسوله مع الايمان به فقال تبارك وتعالى (فآمنوا بالله ورسوله) وقال (انما المؤمنون الذين آمنوا

- الاعراف ١٥٨

بالله ورسوله)[١] فجعل كمال ابتداء الايمان الذى ماسواه تبع له الايمان بالله ثم برسوله معه٭قال الشافعى وفرض الله على الناس اتباع وحيه وسنن رسوله فقال فى كتابه (لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين)[٢] مع آى سواها ذكر فيهن الكتاب والحكمة٭قال الشافعى فذكر الله الكتاب وهو القرآن وذكر الحكمة فسمعت من أرضى من أهل العلم بالقرآن يقول الحكمة سنة رسول الله ﷺ وقال (ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتم فى شيء فردوه الى الله والرسول)[٣] فقال بعض أهل العلم أولو الأمر أمراء سرايا رسول الله ﷺ (فان تنازعتم) يعنى اختلفتم فى شيء يعنى والله تعالى أعلم هم وأمراؤهم الذين أمروا بطاعتهم (فردوه الى الله والرسول) يعنى والله تعالى أعلم الى ماقال الله والرسول ثم ساق الكلام الى ان قال فأعلمهم أن طاعة رسول الله ﷺ طاعته فقال (فلاوربك لايؤمنون حتى يحكموك فيماشجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما)[٤] واحتج أيضا فى فرض اتباع أمره بقوله (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أويصيبهم عذاب اليم)[٥] وقوله (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)[٦] وغيرها من الآيات التى دلت على اتباع امره ولزوم طاعته فلا يسع احدا رد أمره لفرض الله طاعة نبيه ٭

قال البيهقى بعد احكامه هذا الفصل :ولولا ثبوت الحجة بالسنة لما قال ﷺ فى خطبته بعد تعليم من شهده امر دينهم « ألا فليبلغ الشاهد منكم

١ ـ النور ٦٢
٢ ـ آل عمران ١٦٤
٣ ـ النساء ٥٩
٤ ـ النساء ٦٥
٥ ـ النور ٦٣
٦ ـ الحشر ٧

الغائب فرب مبلغ أوعى من سامع » ثم أورد حديث « نضر الله امرأ سمع منا حديثا فأداه كما سمعه فرب مبلغ أوعى من سامع » وهذا الحديث متواتر كما سأبينه * قال الشافعى فلما ندب رسول الله ﷺ الى استماع مقالته وحفظها وأدائها دل على أنه لا يأمر أن يؤدى عنه إلا ما تقوم به الحجة على من أدى اليه لأنه إنما يؤدى عنه حلال يؤتى وحرام يجتنب وحد يقام ومال يؤخذ ويعطى ونصيحة فى دين ودنيا *

ثم أورد البيهقى من حديث أبى رافع قال قال رسول الله ﷺ « لا ألفين احدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمرى مما أمرت به أو نهيت عنه يقول لا أدرى ماوجدنا فى كتاب الله اتبعنا » أخرجه أبو داود والحاكم ومن حديث المقدام بن معدى كرب ان النبى ﷺ حرم أشياء يوم خيبر منها الحمار الاهلى وغيره ثم قال رسول الله ﷺ « يوشك أن يقعد الرجل على أريكته يحدث بحديثى فيقول بينى وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه حلالا استحللناه وماوجدنا فيه حراما حرمناه الا وإن ما حرم رسول الله ﷺ مثل ماحرم الله » قال البيهقى وهذا خبر من رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يكون بعده من رد المبتدعة حديثه فوجد تصديقه فيما بعده ثم أخرج البيهقى بسنده عن شبيب بن أبى فضالة المكى أن عمران بن حصين رضى الله عنه ذكر الشفاعة فقال رجل من القوم ياأبا نجيد انكم تحدثونا بأحاديث لم نجد لها أصلا فى القرآن فغضب عمران وقال لرجل قرأت القرآن قال نعم قال فهل وجدت فيه صلاة العشاء أربعا ووجدت المغرب ثلاثا والغداة ركعتين والظهر أربعا والعصر أربعا قال لا قال فعن من أخذتم ذلك ألستم عنا أخذتموه وأخذناه عن رسول الله ﷺ أوجدتم فيه من كل

أربعين شاة شاة وفى كل كذا بعيرا كذا وفى كل كذادرهما كذاقال لاقال فمن من أخذتم ذلك ألستم عنا أخذتموه وأخذناه عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال أوجدتم فى القرآن (وليطوفوا بالبيت العتيق) [1] أوجدتم فيه فطوفوا سبعا واركعوا ركعتين خلف المقام أو وجدتم فى القرآن لا جلب ولاجنب ولا شغار فى الاسلام أما سمعتم الله قال فى كتابه (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) [2] قال عمران فقد أخذنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أشياء ليس لكم بها علم * ثم قال البيهقى والحديث الذى روى فى عرض الحديث على القرآن باطل لايصح وهو ينعكس على نفسه بالبطلان فليس فى القرآن دلالة على عرض الحديث على القرآن انتهى كلام البيهقى فى المدخل الصغير وهو المدخل الى دلائل النبوة وقد ذكر المسألة فى المدخل الكبير وهو المدخل الى السنن بابسط من هذا فقال باب تعليم سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفرض اتباعها قال تعالى (لقدمن الله على المؤمنين) [3] الى قوله (ويعلمهم الكتاب والحكمة) قال الشافعى سمعت من أرضى من أهل العلم بالقرآن يقول الحكمة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم *

ثم أخرج بأسانيده عن الحسن وقتادة ويحى بن أبى كثير انهم قالوا الحكمة فى هذه الآية السنة ثم أورد بسنده عن المقدام بن معدى كرب عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ألا انى أوتيت الكتاب ومثله معه الا انى أوتيت القرآن ومثله الايوشك (١) رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فاحلوه وماوجدتم فيه من حرام فحرموه الا لايحل لكم الحمار الأهلى ولا كل ذى ناب من السباع ولالقطة مال معاهد » الحديث

١ ـ الحج ٢٩
٢ ـ الحشر ٧
٣ ـ آل عمران

(١) أى يسرع ويقرب

ثم أورد من طريق آخر عن المقدام بن معدى كرب قال حرم رسول الله ﷺ أشياء يوم خيبر من الحمار الأهلى وغيره فقال ﷺ « يوشك أن يقعد الرجل منكم على أريكته يحدث بحديثي فيقول بيني و بينكم كتاب الله فما وجدنا فيه حلالا استحللناه وماوجدنا فيه حراما حرمناه وانما حرم رسول الله ﷺ مثل ماحرم الله »

وقال البيهقى باسناد صحيح أخرجه أبوداود فى سننه قلت وأخرجه أيضا الحاكم ثم أورد البيهقى أيضا بسنده عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « انى قد خلفت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما أبدا كتاب الله وسنتى ولن يفترقا حتى يردا على الحوض » أخرجه الحاكم فى المستدرك واورد بسنده عن ابن عباس ان رسول الله ﷺ « خطب الناس فى حجة الوداع فقال ياأيها الناس انى قد تركت فيكم ماان اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً كتاب الله وسنتى » أخرجه الحاكم أيضا وأورد بسنده أيضا عن عروة أن النبى ﷺ خطب فى حجة الوداع فقال « انى قد تركت فيكم ماان اعتصمتم به فلن تضلوا ابدا أمرين اثنين كتاب الله وسنة نبيكم أيها الناس اسمعوا ماأقول لكم تعيشوا به » *وأخرج بسنده عن ابن وهب قال سمعت مالك بن أنس يقول الزم ماقال رسول الله ﷺ فى حجة الوداع « أمران تركتهما فيكم لن تضلوا ماتمسكتم بهما كتاب الله وسنة نبيه ﷺ » * وأخرج بسنده عن العرباض بن سارية قال «صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال قائل يارسول الله كأنها موعظة مودع فماذا تعهد الينا قال أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان تأمر عليكم عبد حبشى كأن رأسه زبيبة فانه من يعش

منكم بعدى فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » قلت هذا الحديث أخرجه أبو داود وابن ماجه والحاكم فى مستدركه * وأخرج بسنده عن عائشة ان رسول الله ﷺ قال ستة لعنهم الله وكل نبى مجاب الدعوة الزائد فى كتاب الله والمكذب بقدر الله المتسلط بالجبروت ليذل بذلك من اعز الله ويعز من اذل الله والمستحل لحرم الله والمستحل من عترتى ماحرم الله والتارك لسنتى قلت أخرجه أيضا الطبرانى والحاكم وصححه * وأخرج بسنده عن ابن عمرو أن النبي ﷺ قال « ان لكل عمل شرة (١) ولكل شرة فترة (٢) فمن كانت فترته الى سنتى فقد اهتدى ومن كانت الى غير ذلك فقد هلك » وأخرج بسنده عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال « من احيى سنتى فقد أحبنى ومن أحبنى كان معى فى الجنة » قلت أخرجه أيضا الترمذى * واخرج بسنده عن أبى هريرة قال قال رسول الله عليه الصلاة والسلام القائم بسنتى عند فساد أمتى له اجر مائة شهيد قلت أخرجه أيضا الطبراني ثم قال البيهقى فى باب بيان وجوه السنة قال الشافعى رضى الله عنه وسنة رسول الله ﷺ من ثلاثة أوجه * أحدها ما انزل الله فيه نص كتاب فسن رسول الله ﷺ بمثل نص الكتاب * والثانى ما انزل الله فيه جملة كتاب فبين عن الله معنى ما اراد بالجملة وأوضح كيف فرضها عاما أو خاصا وكيف أراد أن يأتى به العباد * والثالث ماسن رسول الله ﷺ مما ليس فيه نص كتاب فنهم من قال جعل الله له بما افترض من طاعته وسبق فى علمه من موضعه

---

(١) هى النشاط والرغبة (٢) أى سكون وتقليل

لرضاه ان يبين فيما ليس فيه نص كتاب ومنهم من قال لم يسن سنة قط الا ولها أصل في الكتاب كما كانت سنته كتبيين عدد الصلاة وعملها على أصل جملة فرض الصلاة وكذلك ماسن في البيوع وغيرها من الشرائع لان الله تعالى قال (لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم)[1] وقال (وأحل الله البيع وحرم الربا)[2] فما أحل وحرم فانما بين فيه عن الله كما بين في الصلاة : ومنهم من قال بل جاءت به رسالة الله فاثبتت سنته بفرض الله : ومنهم من قال القى في روعه (١) كل ماسن وسنته الحكمة التي ألقيت في روعه انتهى بلفظه *

ثم أخرج البيهقي بسنده عن عمر بن الخطاب أنه قال على المنبر ياأيها الناس ان الرأى انما كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم مصيبا لان الله تعالى كان يريه وانما هو منا الظن والتكلف * وأخرج بسنده عن الشعبي « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقضي بالقضاء وينزل القرآن بغير ماقضى فيستقبل حكم القرآن ولا يرد قضاءه الأول : واحتج من ذهب الى أنه لم يسن الا بامر الله اما بوحي ينزله عليه فيتلى على الناس أو برسالة ثابتة عن الله أن افعل كذا بقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان في قصة الزاني « لأقضين بينكما بكتاب الله » ثم قضى بالجلد والتغريب وليس التغريب في القرآن : وبما أخرجه الشيخان عن يعلى ابن أمية «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان بالجعرانة (٢) فجاء رجل عليه جبة متضمخ (٣)

١ ـ النساء ٢٩
٢ ـ البقرة ٢٧٥

(١) أى في نفسه وخلده
(٢) هو موضع قريب من مكة وهي في الحل وميقات للاحرام
(٣) التضمخ التلطخ بالطيب وغيره والاكثار منه

بطيب وقد احرم بعمرة فقال يارسول الله كيف ترى فى رجل أحرم بعمرة فى جبة بعد ماتضمخ بطيب فنظر اليه النبى ﷺ ساعة ثم سكت فجاءه الوحى فانزل الله (وأتموا الحج والعمرة لله) ثم سرى (١) عنه فقال ابن الذى سألنى عن العمرة آنفا أما الطيب الذى بك فاغسله ثلاث مرات وأما الجبة فانزعها ثم اصنع فى عمرتك ماتصنع فى حجك »*

ثم اخرج البيهقى بسنده عن طاوس أن عنده كتابا من العقول نزل به الوحى وما فرض رسول الله ﷺ من صدقة وعقول (٢) فانما نزل به الوحى* وأخرج بسنده عن حسان بن عطية قال « كان جبريل عليه السلام ينزل على رسول الله ﷺ بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن يعلمه اياها كما يعلمه القرآن» أخرجه الدارمى * وأخرج بسنده من طريق القاسم بن مخيمرة عن طلحة ابن فضيلة قال « قيل لرسول الله ﷺ فى عام سنة (٣) سعر لنا يارسول الله قال لايسألنى الله عن سنة أحدثتها فيكم لم يأمرنى بها ولكن اسألوا الله من فضله » * وأخرج بسنده عن المطلب بن حنطب « أن رسول الله ﷺ قال ماتركت شيئا مما أمركم الله به الا وقد أمرتكم به ولاتركت شيئا مما نهاكم الله عنه الا وقد نهيتكم عنه وأن الروح الأمين قد نفث فى روعى أنه لن تموت نفس حتى تستوفى رزقها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب » قال الشافعى وليس تعدو السنن كلها واحدا من هذه المعانى التى وضعت باختلاف

١ - البقرة ١٩٦

---

(١) اى زال وكشف (٢) هو جمع عقل وهو الدية واصله ان القاتل كان اذا قتل قتيلا جمع الدية من الابل فعقلها بفناء اولياء المقتول اى شدها فى عقلها ليسلمها اليهم ويقبضوها منه فسميت الدية عقلا بالمصدر اهـ نهاية

(٣) السنة الجدب يقال اخذتهم السنة اذا اجدبوا واقحطوا

من حكيت عنه من أهل العلم وكل ماسن فقد الزمنا الله اتباعه وجعل فى اتباعه طاعته وفى العتو عن اتباعه معصيته التى لم يعذر بها خلقا ولم يجعل له من اتباع سنن نبيه مخرجا *

ثم قال البيهقى باب ماأمر الله به من طاعة رسوله ﷺ والبيان ان طاعته طاعته قال الله تعالى (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما)[١] وقال (من يطع الرسول فقد اطاع الله)[٢] قال الشافعى رضى الله عنه فأعلمهم أن بيعة رسوله بيعته وأن طاعته طاعته فقال (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما)[٣] قال الشافعى نزلت هذه الآية فى رجل خاصم الزبير فى أرض فقضي النبى ﷺ للزبير وهذا القضاء سنة من رسول الله ﷺ لا حكم منصوص فى القرآن * أخرج الشيخان عن عبد الله بن الزبير « أن رجلا من الانصار خاصم الزبير فى شراج الحرة (١) التى يسقون بها النخل فقال الانصارى سرح الماء يمر فأبى عليه الزبير فاختصما الى رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ اسق يازبير ثم ارسل الماء الى جارك فقال الانصارى يارسول الله أن كان ابن عمتك فتلون وجه رسول الله ﷺ فقال يازبير اسق ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر فقال الزبير والله انى لاحسب أن هذه الآية نزلت فى ذلك (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم)

١ - الفتح ١٠
٢ - النساء ٨٠
٣ - النساء ٦٥

(١) الشراج مسيل الماء من الحزن الى السهل واحده شرج . والحرة بفتح الحاء المهملة وتشديد الراء من الارض الصلبة الغليظة التى البستها كلها حجارة سود نخره كانها مطرت والجمع حرات وبالمدينة حرتان حرة واقم وحرة ليلي وقيل فيها اكثر من حرتين والله اعلم

الآية * وأخرج الشيخان عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله » * وأخرج البخاري عن جابر بن عبد الله قال « جاءت ملائكة الى نبي الله ﷺ وهو نائم فقال بعضهم إنه نائم وقال بعضهم إن العين نائمة والقلب يقظان فقالوا إن لصاحبكم هذا مثلا فاضربوا له مثلا فقال بعضهم إنه نائم وقال بعضهم ان العين نائمة والقلب يقظان فقالوا مثله كمثل رجل بنى داراً وجعل فيها مأدبة(١) وبعث داعيا فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة فقالوا أولوها له يفقهها فقال بعضهم انه نائم وقال بعضهم ان العين نائمة والقلب يقظان فقالوا فالدار الجنة والداعي محمد ﷺ فمن أطاع محمدا ﷺ فقد أطاع الله ومن عصى محمدا ﷺ فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس » * وأخرج البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى قالوا يارسول الله ومن يأبى قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى » * قال الشافعي رحمه الله وقال تعالى (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا)[١] الى قوله (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم)[٢] أخرج البيهقي عن سفيان في قوله (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة) قال يطبع الله على قلوبهم : قال الشافعي وأمرهم بأخذ ما آتاهم والانتهاء عما نهاهم عنه فقال (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)[٣] * أخرج الشيخان عن ابن مسعود أنه قال « لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله فبلغ ذلك

١ ـ النور ٦٣
٢ ـ النور ٦٣
٣ ـ الحشر ٧

(١) هي الطعام الذي يصنعه الرجل يدعو اليه الناس

امرأة يقال لها أم يعقوب فجاءت فقالت إنه بلغنى أنك قلت كيت وكيت فقال مالى لاألعن من لعن رسول الله ﷺ وهو فى كتاب الله فقالت لقد قرأت مابين اللوحين فما وجدته قال إن كنت قرأتيه فقد وجدتيه اما قرأت (وماآتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا)[1] قالت بلى قال فانه نهى عنه (١) قال الشافعى وأبان أنه يهدى الى صراط مستقيم فقال (ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم صراط الله)[2] : قال الشافعى وكان فرضه على من عاين رسول الله ﷺ ومن بعده الى يوم القيامة واحدا فى أن على كل طاعته ثم أخرج البيهقى بسنده عن ميمون بن مهران فى قوله[3] (فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول) قالوا الرد الى الله الى كتابه والرد الى الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم اذا قبض الى سنته ثم أورد البيهقى من حديث أبى داود عن أبى رافع قال « قال رسول الله ﷺ لاألفين (٢) أحدكم متكئا على أريكته (٣) يأتيه الامر من أمرى مما أمرت به أونهيت عنه فيقول لاندرى ما وجدنا فى كتاب الله اتبعناه » قال الشافعى وفى هذا تثبيت الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واعلامهم أنه لازم لهم وان لم يجدوا فيه نصا فى كتاب الله *

ثم أورد البيهقى حديث أبى داود أيضا عن العرباض بن سارية قال « نزلنا مع النبى ﷺ خيبر ومعه من معه من أصحابه وكان صاحب خيبر رجلا ماردا منكرا فاقبل إلى النبى ﷺ فقال يامحمد ألكم أن تذبحوا حمرنا وتأكلوا

(١) الواشمات جمع واشمة من الوشم وهو غرز الابرة فى اليد ونحوها ثم ذر النيل عليه والمستوشمات جمع مستوشمة وهى التى تسأل وتطلب ذلك . والمتنمصات جمع متنمصة من التنمص وهو نتف الشعر من الوجه (٢) اى لا اجدن (٣) اى سريره المزين

[1] - الحشر ٧
[2] - الشورى ٥٢ - ٥٣
[3] - النساء ٥٩

ثمرنا وتضربوا نساءنا فغضب النبي ﷺ وقال ياابن عوف اركب فرسك ثم ناد أن اجتمعوا للصلاة فاجتمعوا فصلى بهم النبي عليه الصلاة والسلام ثم قام فقال أيحسب أحدكم متكئا على أريكته لايظن أن الله لم يحرم شيئاً الامافى هذا القرآن الا انى والله قد أمرت ووعظت ونهيت عن أشياء إنها لمثل القرآن أو أكثر وان الله عز وجل لم يحل لكم أن تدخلوا بيوت أهل الكتاب إلا باذن ولاضرب نسائهم ولا أكل ثمارهم اذا اعطوكم الذى عليهم»

ثم قال البيهقى باب بيان بطلان مايحتج به بعض من رد الاخبار من الاخبار التى رواها بعض الضعفاء فى عرض السنة على القرآن * قال الشافعى احتج على بعض من رد الاخبار بما روى أن النبي عليه الصلاة والسلام قال ماجاءكم عنى فاعرضوه على كتاب الله فما وافقه فانا قلته وماخالفه فلم أقله فقلت له ماروى هذا أحد يثبت حديثه فى شيء صغير ولا كبير وانما هى رواية منقطعة عن رجل مجهول ونحن لانقبل مثل هذه الرواية فى شيء *

قال البيهقى اشار الامام الشافعى الى مارواه خالد بن أبى كريمة عن أبى جعفر عن رسول الله عليه الصلاة والسلام أنه دعا اليهود فسألهم فحدثوه حتى كذبوا على عيسى عليه السلام فصعد النبي عليه الصلاة والسلام المنبر فخطب الناس فقال ان الحديث سيفشو عنى فما أتاكم يوافق القرآن فهو عنى وماأتاكم عنى يخالف القرآن فليس عنى قال البيهقى خالد مجهول وأبو جعفر ليس بصحابى فالحديث منقطع * وقال الشافعى وليس يخالف الحديث القرآن ولكن حديث رسول الله ﷺ يبين معنى ماأراد خاصا وعاما وناسخا ومنسوخا ثم يلزم الناس ماسن بفرض الله فمن قبل عن رسول الله عليه الصلاة والسلام فعن الله قبل *

قال البيهقي وقد روى الحديث من أوجه أخر كلها ضعيفة ثم أخرج من طريق ابن وهب عن عمرو بن الحرث عن الأصبغ بن محمد بن أبي منصور أنه بلغه أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال الحديث على ثلاث فايما حديث بلغكم عني تعرفونه بكتاب الله فاقبلوه وايما حديث بلغكم عني لا تجدون في القرآن موضعه ولا تعرفون موضعه فلا تقبلوه وأيما حديث بلغكم عني تقشعر منه جلودكم وتشمئز منه قلوبكم وتجدون في القرآن خلافه فردوه * قال البيهقي وهذه رواية منقطعة عن رجل مجهول ثم أخرج بسنده من طريق عاصم بن أبي النجود عن زر بن حبيش عن علي بن أبي طالب قال قال رسول الله ﷺ انها تكون بعدي رواة يروون عني الحديث فاعرضوا حديثهم على القرآن فما وافق القرآن فحدثوا به وما لم يوافق القرآن فلا تأخذوا به * قال البيهقي قال الدارقطني هذا وهم والصواب عن عاصم عن زيد بن علي منقطعاً (١) قال بسنده من طريق بشر بن نمير عن حسين بن عبدالله عن أبيه عن جده عن علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إنه سيأتي ناس يحدثون عني حديثا فمن حدثكم حديثا يضارع القرآن فأنا قلته ومن حدثكم حديثا لا يضارع القرآن فلم أقله * قال البيهقي هذا اسناد ضعيف لا يحتج بمثله حسين بن عبدالله ابن ضميرة قال فيه ابن معين ليس بشيء وبشر بن نمير ليس بثقة ثم أخرج بسنده من طريق صالح بن موسى عن عبدالعزيز بن رفيع عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سيأتيكم عني

(١) عبارة الدارقطني في سننه هكذا هذا وهم والصواب عن عاصم عن زيد عن علي بن الحسين مرسلا عن النبي ﷺ اهـ .

أحاديث مختلفة فما أتاكم موافقا لكتاب الله وسنتي فهو مني وما أتاكم مخالفا لكتاب الله وسنتي فليس مني * قال البيهقي تفرد به صالح بن موسى الطلحي وهو ضعيف لا يحتج بحديثه قلت ومع ذلك فالحديث لنا لا علينا ألا ترى الى قوله موافقا لكتاب الله وسنتي *

ثم أخرج البيهقي من طريق يحيي بن آدم عن ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا حدثتم عني حديثا تعرفونه ولا تنكرونه قلته أو لم أقله فصدقوا به فاني أقول ما يعرف ولا ينكر واذا حدثتم عني حديثا تنكرونه ولا تعرفونه فلا تصدقوا به فاني لا أقول ما ينكر ولا يعرف * قال البيهقي قال ابن خزيمة في صحة هذا الحديث مقال لم نر في شرق الارض ولا غربها أحدا يعرف خبر ابن أبي ذئب من غير رواية يحيي بن آدم ولا رأيت أحدا من علماء الحديث يثبت هذا عن أبي هريرة * قال البيهقي وهو مختلف على يحيي بن آدم في اسناده ومتنه اختلافا كثيرا يوجب الاضطراب منهم من يذكر أباهريرة ومنهم من لا يذكره ويرسل الحديث ومنهم من يقول في متنه اذا رويتم الحديث عني فاعرضوه على كتاب الله وقال البخاري في تاريخه ذكر أبي هريرة فيه وهم * ثم أخرج البيهقي من طريق الحارث ابن نبهان عن محمد بن عبدالله العرزمي عن عبدالله بن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما بلغكم عني من حديث حسن لم أقله فأنا قلته * قال البيهقي هذا باطل والحارث والعرزمي متروكان وعبدالله بن سعيد عن أبي هريرة مرسل فاحش قال وقد روى عن أبي هريرة ما يضاد بعض هذا *

ثم أخرج من طريق أبي معشر السندي عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « لا الفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الحديث من حديثي فيقول اتل عليّ قرآنا ما أتاكم من خير عني قلته أولم أقله فأنا أقوله وما أتاكم عني من شر فاني لا أقول الشر » قال البيهقي صدر هذا الحديث موافق للأحاديث الصحيحة في قبول الاخبار : وقوله « قلته أولم أقله » في هذه الأحاديث ما لا يليق بكلام النبي ﷺ ولا يشبه القبول *

ثم أخرج من طريق عبد الرحمن بن سلمان بن عمرو مولى المطلب عن أبي الحويرث عن محمد بن جبير بن مطعم «أن رسول الله ﷺ قال ما حدثتم عني مما تعرفون فصدقوا وما حدثتم عني مما تنكرون فلا تصدقوا فاني لا أقول المنكر وليس مني » * قال البيهقي وهذا منقطع قال وأمثل اسناد روى في هذا المعنى ما رواه ربيعة عن عبد الملك بن سعيد بن سويد عن أبي حميد أو أبي أسيد قال « قال رسول الله ﷺ اذا سمعتم الحديث عني تعرفه قلوبكم وتلين له أشعاركم وأبشاركم وترون أنه منكم قريب فأنا أولاكم به واذا سمعتم الحديث عني تنكره قلوبكم وتنفر منه أشعاركم وأبشاركم وترون أنه منكم بعيد فأنا أبعدكم منه » *

ثم أخرج من طريق بكير عن عبد الملك بن سعيد عن ابن عباس بن سهل عن أبي قال « اذا بلغكم عن رسول الله ﷺ ما يعرف وتلين له الجلود فقد يقول النبي ﷺ الخير ولا يقول الا الخير » : قال البيهقي قال البخاري وهذا أصح يعني أصح من رواية من رواه عن أبي حميد أو أبي أسيد وقد رواه ابن لهيعة عن بكير بن الأشج عن عبد الملك بن سعيد عن القاسم بن

سهيل عن أبيّ بن كعب قال ذلك بمعناه فصار الحديث المسند معلولا وعلى الاحوال كلها حديث رسول الله ﷺ الثابت عنه قريب من العقول موافق للأصول لاينكره عقل من عقل عن الله الموضع الذى وضع به رسول الله ﷺ من دينه وما افترض على الناس من طاعته ولاينفر منه قلب من اعتقد تصديقه فيما قال واتباعه فيما حكم به وكما هو جميل حسن من حيث الشرع جميل فى الأخلاق حسن عند أولى الألباب هذا هو المراد بما عسى يصح من الفاظ هذه الأخبار *

ثم أخرج بسنده عن ابن عباس « قال اذا حدثتكم بحديث عن رسول الله ﷺ فلم تجدوا تصديقه فى الكتاب أو هو حسن فى أخلاق الناس فأنا به كاذب » : وأخرج عن على « فاذا حدثتم عن رسول الله ﷺ شيئا فظنوا به الذى هو أهدى والذى هو أهنأ والذى هو اتقى » قلت والمعول عليه فى معنى الحديث المورد أن تثبت ما أشار اليه الامام الشافعي مما سبق أن السنة الثابتة ليست منافرة للقرآن بل معاضدة له وان لم يكن فيه نصّ صريح بلفظها فان النبي ﷺ يفهم من القرآن مالا يفهمه غيره وقد قال لما سئل عن الحمر ؟ « ما أنزل علىّ فيها شيء إلاهذه الآية الفاذة الجامعة فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » فانظر أخذ حكمها من أين : وقال ابن مسعود فيما أخرجه ابن أبى حاتم مامن شيء إلا بين لنا فى القرآن ولكن فهمنا يقصر عن ادراكه فلذلك قال تعالى (لتبين للناس مانزل اليهم)[1] فانظر هذا الكلام من ابن مسعود أحد اجلاء الصحابة وأقدمهم اسلاما *

قال بعضهم السنة شرح للقرآن وقد الف ابن برجان كتابا فى معاضدة السنة للقرآن : أخرج الشافعي والبيهقى من طريق طاوس أن النبى ﷺ

[1] ـ النحل ٤٤

قال « انى لا أحلّ إلا ما أحل الله فى كتابه ولا أحرّم إلا ماحرم الله فى كتابه » قال الشافعي وهذا منقطع وكذلك صنع ﷺ وبذلك أمروا فترض عليه أن يتبع ما أوحي اليه ونشهد أن قد اتبعه ومالم يكن فيه وحي فقد فرض الله فى الوحى اتباع سنته فمن قبل عنه فانما قبل بفرض الله قال الله تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا) قال البيهقى وقوله فى كتابه ان صحت هذه اللفظة فانما أراد فيما أوحي اليه ثم ماأوحي اليه نوعان أحدهما وحي يتلى والآخر وحي لايتلى وقد احتج ابن مسعود من الآية التى احتج بها الشافعى بمثل ما احتج به فى ان من قبل عن رسول الله ﷺ فبكتاب الله قبله فان حكمه فى وجوب اتباعه حكم ماورد به الكتاب ثم أورد الحديث السابق فى لعن الواشمات *

ثم قال البيهقى باب فيما ورد عن الخلفاء الراشدين وغيرهم من الصحابة من الرجوع الى خبره أخرج فيه عن قبيصة بن ذؤيب قال جاءت الجدّة الى أبى بكر الصديق رضى الله عنه لتسأله ميراثها فقال لها أبو بكر مالك فى كتاب الله شيء وما أعلم لك فى سنة نبى الله ﷺ شيئا فارجعي حتى اسأل الناس فسأل الناس فقال له المغيرة بن شعبة حضرت رسول الله ﷺ أعطاها السدس فقال أبو بكر هل معك غيرك فقام محمد بن مسلمة الأنصارى فقال مثل ماقال فانفذه لها أبو بكر * وأخرج عن ابن المسيب أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه « كان يقول الدية للعاقلة ولاترث امرأة من دية زوجها شيئا حتى أخبره الضحاك بن سفيان أن رسول الله ﷺ كتب اليه أن يورث امرأة أشيم الضبابى من ديته فرجع اليه عمر » أخرجه أبو داود : وأخرج عن طاوس أن عمر قال اذكر الله امرأ سمع من النبى ﷺ فى الجنين شيئا

١ - الحشر ٧

فقام حمل بن مالك بن النابغة قال كنت بين جاريتين لى يعنى ضرتين فضربت احداهما الاخرى بمسطح فألقت جنينا ميتاً فقضى فيه رسول الله ﷺ بغرة فقال عمر لولم نسمع هذا لقضينا فيه بغير هـذا ان كدنا تقضى فيه برأينا * وقال البيهقى قال الشافعي قد رجع عمر عما كان يقضى فيه بحديث الضحاك الى أن خالف حكم نفسه وأخبر فى الجنين أنه لولم يسمع هذا لقضى فيه بغيره وقال ان كدنا نقضى فيه برأينا * وأخرج الشيخان من طريق ابن شهاب عن عبد الله بن عامر بن ربيعة أن عمر خرج الى الشام فلما جاء سرغ[1] بلغه أن الوباء قد وقع بالشام فأخبره عبد الرحمن بن عوف أن النبي ﷺ قال اذا سمعتم به بأرض فلا تقـدموا عليه واذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه فرجع عمر من سَرغ : قال ابن شهاب وأخبرنى سالم بن عبد الله ابن عمر أن عمر انما انصرف بالناس من حديث عبد الرحمن بن عوف * وأخرج البخارى عن عائشة قالت لم يكن عمر أخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله ﷺ أخذها من مجوس هجر * وأخرج البيهقى عن زينب بنت كعب بن عجرة أن الفريعة بنت مالك بن سنان وهي أخت أبى سعيد الخدرى أخبرتها أنها جاءت الى رسول الله ﷺ لتسأله أن ترجع الى أهلها فى بنى خدرة فان زوجها خرج فى طلب أعبد له ابقوا حتى اذا كان بطرف القدوم لحقهم فقتلوه فسألت رسول ﷺ أن أرجع الى أهلى فانى لم يتركنى فى مسكن يملكه فقال رسول الله ﷺ امكثى فى بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله قالت فاعتددت فيه أربعة أشهر وعشرا قالت فلما كان عثمان بن عفان أرسل الىّ فسألنى عن ذلك فأخبرته وقضى

(١) هى بفتح الراء وسكونها قرية بوادى تبوك من طريق الشام

به * وأخرج عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال كنت اذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً نفعني الله منه بما شاء أن ينفعني واذا حدثني أحد من أصحابه استحلفته فاذا حلف لي صدقته وانه حدثني أبو بكر وصدق أبو بكر انه سمع رسول الله ﷺ يقول « مامن عبد موقن يذنب ذنباً فيتطهر فيحسن الطهور ويصلي ركعتين ويستغفر الله إلا غفر له » أخرجه أحمد * وأخرج الشيخان عن ابن عباس « ان زيد بن ثابت قال له أتفتي أن تصدر الحائض قبل أن يكون آخر عهدها بالبيت فقال له ابن عباس أما لا فاسأل فلانة الانصارية هل أمرها بذلك رسول الله ﷺ فرجع زيد بن ثابت يضحك ويقول ما أراك إلا قد صدقت » قال الشافعي فسمع زيد النبي ﷺ فلما أفتى ابن عباس بالصدر أنكره عليه فلما أخبر عن رسول الله ﷺ رأى عليه حقاً أن يرجع عن خلاف ابن عباس (١) * وأخرج الشيخان عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس ان نوفا البكالي يزعم ان موسى صاحب الخضر ليس بموسى بني اسرائيل فقال كذب عدو الله أخبرني أبيّ بن كعب قال خطبنا رسول الله ﷺ فذكر حديث موسى والخضر * قال الشافعي ابن عباس مع فقهه وورعه كذب امرأ من المسلمين ونسبه الى عداوة الله لما أخبر به عن

---

(١) كذا الاصل . وعبارة الشافعي في الأم هكذا قال الشافعي رحمه الله تعالى فسمع زيد النهي أن لا يصدر أحد من الحاج حتى يكون آخر عهده بالبيت وكانت الحائض عنده من الحاج الداخلين في ذلك النهي فلما افتاها ابن عباس بالصدر إذ كانت قد زارت البيت بعد النحر انكره عليه زيد فلما أخبره ابن عباس عن المرأة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرها بذلك فسألها فأخبرته فصدق المرأة ورأى أن حقا عليه أن يرجع عن خلاف ابن عباس اه

النبي ﷺ من خلاف قوله * وأخرج البيهقي والحاكم عن هشام بن جبير قال كان طاوس يصلي ركعتين بعد العصر فقال له ابن عباس اتركهما فقال ما أدعهما فقال ابن عباس فانه قد نهى النبي ﷺ عن صلاة بعد العصر ولا أدرى أتعذب أم تؤجر لان الله قال (ما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً أن تكون لهم الخيرة)[١] قال الشافعي فرأى ابن عباس الحجة قائمة على طاوس بخبره عن النبي ﷺ ودله بتلاوة كتاب الله على ان فرضاً عليه أن لا تكون له الخيرة اذا قضى الله ورسوله أمراً * وأخرج مسلم عن ابن عمر قال «كنا نخابر ولا نرى بذلك بأساً حتى زعم رافع ان رسول الله ﷺ نهى عنها فتركناها من أجل ذلك * قال الشافعي فابن عمر قد كان ينتفع بالمخابرة ويراها حلالا ولم يتوسع اذ أخبره الثقة عن رسول الله ﷺ انه نهي عنها أن يخابر بعد خبره * وأخرج البيهقي عن عطاء بن يسار ان معاوية بن أبي سفيان باع سقاية من ذهب أو ورق بأكثر من وزنها فقال له أبو الدرداء «سمعت رسول الله ﷺ نهى عن مثل هذا إلا مثلا بمثل فقال له معاوية ما أرى بأساً فقال أبو الدرداء من يعذرني من معاوية أخبره عن رسول الله ﷺ ويخبرني عن رأيه لاأساكنك بأرض أنت بها * قال الشافعي فرأى أبو الدرداء الحجة تقوم على معاوية بخبره فلما لم ير معاوية ذلك فارق أبو الدرداء الأرض التي هو بها اعظاماً لانه ترك خبر ثقة عن رسول الله ﷺ * قال الشافعي وأخبرنا ان أبا سعيد الخدرى لقي رجلا فاخبره عن رسول الله ﷺ شيئاً فخالفه فقال أبو سعيد والله لاآواني واياك سقف بيت أبداً * قال الشافعي فرأى ان ضيقا على المخبر أن لا يقبل خبره * وأخرج الشيخان عن ابن عمر ان رسول الله ﷺ قال «لا تمنعوا النساء بالليل من

[١] ـ الأحزاب ٣٦

المساجد» فقال بعض بني عبد الله بن عمر والله لا ندعهن يتخذنه دغلا[١] فضرب ابن عمر صدره وقال أحدثك عن رسول الله ﷺ وأنت تقول ما تقول * وأخرج الشيخان عن عبد الله بن بريدة ان عبد الله بن مغفل رأى رجلا يخذف[٢] فنهاه فقال ان رسول الله ﷺ نهى عن الخذف وقال انه لا يرد الصيد ولا ينكأ العدو ولكنه قد يكسر السن ويفقأ العين قال فرآه بعد ذلك يخذف فقال أحدثك عن رسول الله ﷺ ثم تخذف والله لا أكلمك أبداً * وأخرج الشيخان عن عمران بن حصين انه قال قال رسول الله ﷺ « الحياء خير كله فقال بشير بن كعب انا نجد في بعض الكتاب ان منه سكينة ووقاراً ومنه ضعفاً فغضب عمران بن حصين حتى احمرت عيناه وقال أحدثك عن رسول الله ﷺ وتعارض فيه » وفي رواية «وتحدثني عن صحفك» * وأخرج البيهقي والحاكم عن الحسن قال بينما عمران بن الحصين يحدث عن سنة نبينا محمد ﷺ اذ قال له رجل يا أبا نجيد حدثنا بالقرآن فقال له عمران أنت وأصحابك تقرؤن القرآن أكنت تحدثني عن الصلاة وما فيها وحدودها أكنت محدثي عن الزكاة في الذهب والابل والبقر وأصناف المال ولكن قد شهدت وغبت أنت ثم قال فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم في الزكاة كذا وكذا فقال الرجل أحييتني أحياك الله قال الحسن فما مات ذلك الرجل حتى صار من فقهاء المسلمين * قال الشافعي ولا أعلم من الصحابة ولا من التابعين أحدا أخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا قبل خبره وانتهى اليه وأثبت ذلك سنة ثم أخرج عن سالم بن عبد الله « ان عمر بن الخطاب نهى عن الطيب

---

(١) هو في الاصل الشجر الملتف الذي يكمن أهل الفساد فيه

(٢) الخذف هو الرمي بالحصا الصغار بأطراف الاصابع اه لسان

قبل زيارة البيت وبعد الجمرة قال سالم فقالت عائشة طيبت رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى لاحرامه قبل أن يحرم ولحله قبل أن يطوف بالبيت وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحق» * قال الشافعي فترك سالم قول جده عمر فى امامته وعمل بخبر عائشة واعلم من حدثه انه سنة وان سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحق وذلك الذى يجب عليه قال الشافعي وصنع ذلك الذين بعد التابعين والذين لقيناهم كلهم يثبت الاخبار ويجعلها سنة يحمد من تبعها ويعاب من خالفها فمن فارق هذا المذهب كان عندنا مفارق سبيل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل العلم بعدهم الى اليوم وكان من أهل الجهالة انتهى *

هذا الذى سقته من أول الكتاب الى هنا كله تحرير الامام الشافعى رضى الله عنه كلاما واستدلالا بالأحاديث ولقد أتقنه رضى الله عنه وأطنب فيه لداعية الحاجة اليه فى زمنه لما كان يناظره من الزنادقة والرافضة الرادين للأخبار ونقله البيهقى فى كتابه فزاده محاسن كما تقدم بيانه وبقيت آثار ذكرها البيهقى مفرقة فى كتابه فها أنا أذكرها ثم أزيد عليها بما لم يقع فى كلامه ولا فى كلام الشافعى رضى الله عنه * وأخرج البيهقى بسنده عن أيوب السختيانى قال اذا حدثت الرجل بسنة فقال دعنا من هذا وانبئنا عن القرآن فاعلم انه ضال قال الأوزاعى وذلك ان السنة جاءت قاضية على الكتاب ولم يجيء الكتاب قاضيا على السنة * وأخرج عن أيوب قال قال رجل عند مطرف بن عبد الله لا تحدثونا إلا بما فى القرآن فقال مطرف إنا والله ما نريد بالقرآن بدلا ولكنا نريد من هو أعلم بالقرآن منا * وأخرج البخارى عن مروان بن الحكم قال « شهدت عليا وعثمان بين مكة والمدينة

وعثمان ينهى عن المتعة وأن يجمع بينهما فلما رأى ذلك على أهلّ بهما جميعاً فقال لبيك بحجة وعمرة معاً فقال عثمان ترانى أنهي الناس عن شيء وأنت تفعله فقال ما كنت لِأدع سنة رسول الله ﷺ لقول أحد من الناس * » وأخرج مسلم عن سليمان بن يسار « ان أبا هريرة وابن عباس وأبا سلمة ابن عبد الرحمن بن عوف تذاكروا المتوفى عنها الحامل تضع عند وفاة زوجها فقال ابن عباس تعتد آخر الأجلين وقال أبو سلمة بل تحل حين تضع قال أبو هريرة أنا مع ابن أخي فأرسلوا الى أم سلمة زوج النبي ﷺ فقالت قد وضعت سبيعة الأسلمية بعد وفاة زوجها بيسير فاستفتت رسول الله ﷺ فأمرها أن تتزوج * وأخرج البيهقي عن البراء قال « ليس كلنا كان يسمع حديث النبي ﷺ كانت لنا ضيعة وأشغال ولكن كان الناس لم يكونوا يكذبون فيحدث الشاهد الغائب » * وأخرج عن قتادة « ان انسانا حدث بحديث فقال له رجل أسمعت هذا من رسول الله ﷺ قال نعم أوحدثني من لم يكذب والله ما كنا نكذب ولا كنا ندرى ما الكذب » * وأخرج من طريق مالك ان رجاء حدثه ان عبد الله بن عمر كان يتبع أمر رسول الله ﷺ وآثاره وحاله ويهم به حتى كان قد خيف على عقله من اهتمامه بذلك * وأخرج عن الحسن عن سمرة قال حفظت عن رسول الله ﷺ سكتتين سكتة إذا كبّر وسكتة إذا فرغ من قراءة السورة فكتب عمران بن حصين فى ذلك الى أبيّ بن كعب فكتب يصدق سمرة ويقول ان سمرة حفظ الحديث من رسول الله ﷺ * وأخرج عن محمد بن سيرين ان ابن عباس لما أمر بزكاة الفطر أنكر الناس ذلك عليه فأرسل الى سمرة أما علمت ان النبي

صلى الله عليه وسلم أمر بها فقال بلى قال فما منعك ان تعلم أهل البلد * قال البيهقي فابن عباس عاتب سمرة على ترك أعلام أهل البلد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بزكاة الفطر * وأخرج البخاري عن عبد الله بن عمرو « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بلغوا عنى ولو آية وحدثوا عنى ولا تكذبوا علىّ فمن كذب علىّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار * وأخرج البيهقي عن ابن المبارك قال سأل أبو عصمة أبا حنيفة فقال انى سمعت هذه الكتب يعنى الرأى فمن تأمرنى ان أسمع الآثار قال فمن كان عدلا فى هواه إلا الشيعة فان أصل عقدهم تضليل أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قال ومن أتى السلطان طائعاً حتى انقادت له العامة فهذا لا ينبغى أن يكون من أئمة المسلمين قلت هذا الكلام من الامام أبى حنيفة رضى الله عنه فى الشيعة وفاقُ ماقدمته فى الخطبة * وأخرج البيهقي عن حرملة بن يحيى قال سمعت الشافعى يقول ما فى أهل الأهواء قوم أشهد بالزور من الرافضة * وأخرج عن جابر بن عبد الله قال بلغنى حديث عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أسمعه منه فابتعت بعيراً فشددت عليه رحلى ثم سرت اليه شهراً حتى قدمت الشام فاذا هو عبد الله بن أنيس الأنصارى فأتيته فقلت حديث بلغنى عنك انك سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المظالم لم أسمعه فخشيت أن أموت أو تموت قبل أن أسمعه فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الناس عراة غرلا بُهْماً قلنا وما لهم قال ليس معهم شيء فيناديهم نداء يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الملك أنا الديان لاينبغى لأحد من أهل النار أن يدخل النار ولا أحد من أهل الجنة عنده مظلمة حتى أقصه منه ولا ينبغى لأحد من أهل الجنة ان يدخل الجنة وأحد من أهل النار يطلبه بمظلمة حتى أقصه منه حتى اللطمة قلنا كيف وانما نأتى الله عراة غرلا بُهْماً قال

بالحسنات والسيئات أخرجه أحمد والطبراني * وأخرج البيهقي عن عطاء بن أبي رباح قال خرج أبو أيوب الى عقبة بن عامر يسأله عن حديث سمعه من رسول الله ﷺ لم يبق أحد سمعه منه غيره فلما قدم أتى منزل مسلمة بن مخلد الأنصاري وهو أمير مصر فخرج اليه فعانقه ثم قال له ما جاء بك يا أبا أيوب قال حديث سمعته من رسول الله ﷺ في ستر المؤمن فقال نعم سمعت رسول الله ﷺ يقول من ستر مؤمناً في الدنيا على كربته ستره الله يوم القيامة ثم انصرف أبو أيوب الى راحلته فركبها راجعاً الى المدينة فما أدركته جائزة مسلمة إلا بعريش مصر *

وأخرج الشيخان من طريق صالح بن حي قال كنت عند الشعبي فقال له رجل من أهل خراسان إنا نقول بخراسان إن الرجل إذا أعتق أم ولده ثم تزوجها فهو كالذي يهدي البدنة ثم يركبها قال الشعبي أخبرني أبو بردة بن أبي موسى الأشعري عن أبيه عن رسول الله ﷺ قال «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين رجل كانت له أمة فعلمها فأحسن تعليمها، وأدبها فأحسن تأديبها وأعتقها فتزوجها فله أجران والعبد يؤدي حق الله وحق سيده وهو من أهل الكتاب» ثم قال الشعبي للرجل قد أعطيناكها بغير شيء وقد كان الرجل يرحل فيما دونها الى المدينة * وأخرج البيهقي عن سعيد بن المسيب قال إن كنت لأسافر مسيرة الأيام والليالي في الحديث الواحد * وأخرج عن الزهري قال قيل لعروة بن الزبير في قصة ذكرها كذبت فقال عروة ما كذبت ولا أكذب وإن أكذب الكاذبين لمن كذَّبَ الصادقين * وأخرج عن عثمان بن نفيل قال قلت لأحمد بن حنبل إن فلاناً يتكلم في وكيع وعيسى بن يونس وابن المبارك فقال من كذَّبَ أهل الصدق فهو

الكذاب * وأخرج مسلم عن ابن سيرين قال لقد أتى على الناس زمان وما يسأل عن إسناد حديث فلما وقعت الفتنة سئل عن اسناد الحديث فَنُظرَ من كان من أهل السنة أخذ من حديثه ومن كان من أهل البدع ترك حديثه *

وأخرج البيهقي عن مالك قال كان عمر بن عبد العزيز يقول سنّ رسول الله ﷺ وولاة الأمر من بعده سنناً الأخذ بها تصديق لكتاب الله واستكثار لطاعة الله وقوة على دين الله من اهتدى بها فهو مهتد ومن استنصر بها فهو منصور ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين والله تعالى يقول نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً *

وأخرج بسنده عن المزنى أو الربيع قال كنا يوماً عند الشافعي إذ جاء شيخ عليه جبة صوف وعمامة صوف وإزار صوف وفى يده عكاز فقام الشافعي وسوى عليه ثيابه واستوى جالساً وسلم الشيخ وجلس وأخذ الشافعي ينظر الى الشيخ هيبة له إذ قال له الشيخ سل قال إيش الحجة فى دين الله قال كتاب الله قال وماذا قال وسنة رسول الله ﷺ قال وماذا قال اتفاق الأمة قال من أين قلت اتفاق الأمة من كتاب الله قال فتدبر الشافعي ساعة فقال للشافعي قد أجلتك ثلاثة أيام ولياليها فان جئت بحجة من كتاب الله فى الاتفاق وإلا تب الى الله فتغير لون الشافعي ثم أنه ذهب فلم يخرج إلا بعد ثلاثة أيام ولياليهن قال نخرج الينا من اليوم الثالث وقد انتفخ وجهه ويداه ورجلاه وهو مِسقَام فجلس فلم يكن بأسرع إذ جاء الشيخ وسلم وجلس فقال حاجتى فقال الشافعي نعم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم قال الله تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا)[1] لا يصليه

[1] - النساء ١١٥

على خلاف المؤمنين إلا وهو فرض فقال صدقت وقام فذهب فلما ذهب الرجل قال الشافعى قرأت القرآن كل يوم وليلة ثلاث مرات حتى وقعت عليه *

وأخرج البيهقى والدارمى عن معاذ بن جبل قال لما بعثنى رسول الله ﷺ الى اليمن قال لى كيف تقضى ان عرض عليك قضاء قلت أقضى بما فى كتاب الله قال فان لم يكن فى كتاب الله قلت أقضى بما قضى به رسول الله ﷺ قال فان لم يكن قضى به الرسول قلت اجتهد رأيى ولا آلو فضرب صدرى وقال الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله ﷺ لما يرضى رسول الله ﷺ * وأخرجا أيضا والحاكم عن عبيد الله بن أبى يزيد قال رأيت ابن عباس اذا سئل عن الشىء فاذا كان فى كتاب الله قال به فان لم يكن فى كتاب الله وكان عن رسول الله ﷺ قال به فان لم يكن فى كتاب الله ولا عن رسول الله ﷺ وكان عن أبى بكر وعمر قال به وإن لم يكن فى كتاب الله ولا عن رسول الله ﷺ ولا عن أبى بكر وعمر اجتهد رأيه * وأخرج البيهقى عن مالك قال قال ربيعة أنزل الله كتابه على نبيه ﷺ وترك فيه موضعاً لسنة نبيه ﷺ وسن رسول الله ﷺ سنناً وترك فيها موضعاً للرأى * وأخرج عن مسروق قال قال عمر رضى الله عنه ترد الناس من الجهالات الى السنة *

وأخرج الشيخان عن على بن أمية قال قلت لعمر بن الخطاب ليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا وقد أمن الناس فقال عمر عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله ﷺ قال صدقة تصدق بها الله عليكم فاقبلوا صدقته قال العلماء فهموا من الآية انه إذا عدم الخوف كان الأمر فى القصر بخلافه حتى أخبرهم النبى ﷺ بالرخصة فى الحالين معاً * وأخرج البيهقى عن أمية بن عبد الله بن خالد انه قال

لعبد الله بن عمر انا نجد صلاة الحضر وصلاة الخوف فى القرآن ولا نجد صلاة السفر فى القرآن فقال ابن عمر يا ابن أخى ان الله بعث إلينا محمداً ﷺ ولا نعلم شيئاً فانما نفعل كما رأينا محمداً ﷺ يفعل * وأخرج البيهقى عن ابن عمر ان رسول الله ﷺ قال ان أحاديثى ينسخ بعضها بعضاً كنسخ القرآن بعضه بعضاً * وأخرج عن الزبير بن العوام ان النبى ﷺ كان يقول القول ثم يلبث حيناً ثم ينسخه بقول آخر كما ينسخ القرآن بعضه بعضاً *

وأخرج عن مكحول قال القرآن أحوج الى السنة من السنة الى القرآن أخرجه سعيد بن منصور * وأخرج عن يحيى بن أبي كثير قال السنة قاضية على الكتاب وليس الكتاب قاضيا على السنة أخرجه الدارمى وسعيد بن منصور * قال البيهقى ومعنى ذلك ان السنة مع الكتاب أقيمت مقام البيان عن الله كما قال الله وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم لا ان شيئاً من السنن يخالف الكتاب * قلت والحاصل ان معنى احتياج القرآن الى السنة أنها مبينة له ومفصلة لمجملاته لان فيه لوجازته كنوزاً تحتاج الى من يعرف خفايا خباياها فيبرزها وذلك هو المنزل عليه ﷺ وهو معنى كون السنة قاضية عليه وليس القرآن مبيناً للسنة ولا قاضياً عليها لانها بينة بنفسها إذ لم تصل الى حد القرآن فى الاعجاز والايجاز لانها شرح له وشأن الشرح أن يكون أوضح وأبين وأبسط من المشروح والله أعلم * وأخرج البيهقى عن هشام بن يحيى المخزومى ان رجلا من ثقيف أتى عمر بن الخطاب فسأله عن امرأة حاضت وقد كانت زارت البيت ألها أن تنفر قبل أن تطهر فقال لا فقال له الثقفى ان رسول الله ﷺ أفتانى فى مثل هذه المرأة بغير ما أفتيت فقام اليه عمر فضربه بالدرة ويقول لم تستفتونى فى شىء أفتى

فيه رسول الله ﷺ * وأخرج عن ابن خزيمة قال ليس لاحد قول مع رسول الله ﷺ اذا صح الخبر * وأخرج عن يحيى بن آدم قال لا يحتاج مع قول النبي ﷺ الى قول أحد وانما كان يقال سنة النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر ليعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم مات وهو عليها * وأخرج عن مجاهد قال ليس أحد الا يؤخذ من قوله ويترك من قوله إلا النبي صلى الله عليه وسلم * وأخرج عن ابن المبارك قال سمعت أبا حنيفة يقول اذا جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس والعين واذا جاء عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم نختار من قولهم واذا جاء عن التابعين زاحمناهم * وأخرج مسلم عن أبي مسعود الأنصارى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله فان كانوا فى القرآن سواء فاعلمهم بالسنة فان كانوا فى السنة سواء فأقدمهم هجرة * وأخرج عن أبي البحترى قال قيل لعلى بن أبي طالب رضى الله عنه أخبرنا عن ابن مسعود قال علم القرآن والسنة ثم انتهى وكفى به علماً *

وأخرج عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهما أوتيتم من كتاب الله فالعمل به لاعذر لاحد فى تركه فان لم يكن فى كتاب الله فسنة نبي ماضية فان لم يكن سنة نبي فما قال أصحابى ان أصحابى بمنزلة النجوم فى السماء فأيما أخذتم به اهتديتم واختلاف أصحابى لكم رحمة * وأخرج عن على بن أبي طالب رضى الله عنه انه مر على قاض يقضى قال أتعرف الناسخ من المنسوخ قال لا فقال على هلكت وأهلكت * وأخرج مثله عن ابن عباس قال البيهقى قال الشافعي ولا يستدل على الناسخ والمنسوخ فى القرآن الا بخبر عن رسول الله ﷺ أو بوقت يدل على ان أحدهما بعد

الآخر فيعلم ان الآخر هو الناسخ أو يقول من سمع الحديث أو الاجماع قال وأكثر الناسخ فى كتاب الله انما عرف بدلالة سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم * وأخرج عن ابن المبارك انه قيل له متى يفتى الرجل فقال اذا كان عالما بالأثر بصيراً بالرأى * وأخرج عن جندب بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال فى القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ * وأخرج عن ابراهيم التيمى قال أرسل عمر بن الخطاب الى ابن عباس فقال كيف تختلف هذه الأمة وكتابها واحد ونبيها واحد وقبلتها واحدة فقال ابن عباس يا أمير المؤمنين انا أنزل علينا القرآن فقرأناه وعلمنا فيما نزل وانه سيكون بعدنا أقوام يقرؤن القرآن ولا يعرفون فيما نزل فيكون لكل قوم فيه رأى فاذا كان لكل قوم فيه رأى اختلفوا فاذا اختلفوا اقتتلوا أخرجه سعيد بن منصور فى سننه قلت فعرف من هذا وجوب احتياج الناظر فى القرآن الى معرفة أسباب نزوله وأسباب النزول انما تؤخذ من الأحاديث والله أعلم *

وأخرج البيهقى والدارى عن الشعبى قال كتب عمر بن الخطاب الى شريح إذا حضرك أمر لابد منه فانظر ما فى كتاب الله فاقض به فان لم يكن فبما قضى به الرسول صلى الله عليه وسلم فان لم يكن فبما قضى به الصالحون وأئمة العدل فان لم يكن فاجتهد رأيك * وأخرجا أيضا عن ابن مسعود انه قال من ابتلى منكم بقضاء فليقض بما فى كتاب الله فان لم يكن فى كتاب الله فليقض بما قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فان لم يكن في كتاب الله وفى قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فليقض بما قضى به الصالحون فان لم يكن فليجتهد رأيه * وأخرجا أيضا عن ابن عباس قال من أحدث رأيا ليس

في كتاب الله ولم تمض به سنة عن رسول الله ﷺ لم يدر على ما هو منه إذا لقي الله * وأخرج البيهقي عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله ﷺ لن يستكمل مؤمن إيمانه حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به * وأخرج البيهقي واللالكائي في السنة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال إياكم وأصحاب الرأي فإنهم أعداء السنن أعيتهم أحاديث رسول الله ﷺ أن يحفظوها فقالوا بالرأي فضلوا وأضلوا * وأخرج البخاري عن أبي وائل قال لما قدم سهل بن حنيف من صفين أتيناه لنستخبره فقال اتهموا الرأي على الدين فلقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أستطيع أن أرد على رسول الله ﷺ أمره لرددت والله ورسوله أعلم وما وضعنا أسيافنا على عواتقنا في أمر يفظعنا الا سهلن بنا الى أمر نعرفه قبل هذا الأمر ما سددنا عنه خصما الا انفجر علينا خصم ما ندري كيف نأتي اليه * وأخرج البيهقي وأبو يعلى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال يأيها الناس اتهموا الرأي على الدين فلقد رأيتني أرد أمر رسول الله ﷺ برأيي اجتهاداً فوالله ما آلو عن الحق وذلك يوم ابي جندل والكتاب بين يدي رسول الله ﷺ وأهل مكة فقال اكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا ترانا قد صدقناك بما تقول ولكنك تكتب كما كنت تكتب باسمك اللهم فرضي رسول الله ﷺ وأبيت عليهم حتى قال لي رسول الله ﷺ تراني أرضى وتأبى أنت فرضيت * وأخرج البيهقي عن علي رضي الله عنه قال لو كان الدين بالرأي لكان باطن الخفين أحق بالمسح من ظاهرهما ولكن رأيت رسول الله ﷺ يمسح على ظاهرهما * وأخرج عن ابن عمر قال لا يزال الناس على الطريق ما اتبعوا الأثر * وأخرج

عن عروة قال اتباع السنن قوام الدين * وأخرج عن عامر قال انما هلكتم فى حين تركتم الآثار * وأخرج عن ابن سيرين قال كانوا يقولون ما دام على الأثر فهو على الطريق وأخرج عن شريح قال أنا أقتفى الأثر يعنى آثار النبي ﷺ * وأخرج عن الاوزاعي قال اذا بلغك عن رسول الله ﷺ حديث فاياك أن تقول بغيره فان رسول الله ﷺ كان مبلغاً عن الله تعالى * وأخرج عن سفيان الثورى قال انما العلم كله العلم بالآثار *

وأخرج عن عثمان بن عمر قال جاء رجل الى مالك فسأله عن مسألة فقال له قال رسول الله ﷺ كذا وكذا فقال الرجل أرأيت فقال مالك فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم * وأخرج عن ابن وهب قال قال مالك لم يكن من فتيا الناس أن يقال لهم لم قلت هذا كانوا يكتفون بالرواية ويرضون بها * وأخرج عن اسحق بن عيسى قال سمعت مالك بن أنس يعيب الجدال فى الدين ويقول كلما جاءنا رجل أجدل من رجل أردنا أن نرد ماجاء به جبريل عليه السلام الى النبي ﷺ * وأخرج عن ابن المبارك قال ليكن الذى تعتمد عليه الأثر وخذ من الرأى ما يفسر لك الحديث *

وأخرج عن يحيى بن ضريس قال شهدت سفيان وأتاه رجل فقال ماتنقم على أبى حنيفة قال وماله قد سمعته يقول آخذ بكتاب الله فان لم أجد فبسنة رسول الله ﷺ فان لم أجد فى كتاب الله ولا سنة رسوله أخذت بقول أصحابه آخذ بقول من شئت منهم وأدع قول من شئت منهم ولا أخرج من قولهم الى قول غيرهم فاما اذا انتهى الأمر الى ابراهيم والشعبي وابن سيرين والحسن وعطاء وابن المسيب وعدد رجالا فقوم اجتهدوا فأجتهد

كما اجتهدوا * وأخرج عن الربيع قال روى الشافعي يوما حديثا فقال له رجل أتأخذ بهذا يا أبا عبد الله فقال متى ما رويت عن رسول الله ﷺ حديثاً صحيحاً فلم آخذ به فأشهدكم أن عقلي قد ذهب * وأخرج عن الربيع قال سمعت الشافعي يقول اذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ فقولوا بسنة رسول الله ﷺ ودعوا ما قلت * وأخرج عن مجاهد في قوله تعالى (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله) قال الى كتاب الله (والرسول) قال الى سنة رسول الله ﷺ * وأخرج البيهقي والدارمي عن أبي ذر قال « أمرنا رسول الله ﷺ أن لا نغلب على أن نأمر بالمعروف وننهي عن المنكر ونعلم الناس السنن » وأخرج عن عمر بن الخطاب قال تعلموا السنن والفرائض واللحن كما تعلمون القرآن * وأخرج عن ابن مسعود انه قال أيها الناس عليكم بالعلم قبل أن يرفع فان من رفعه ان يقبض أصحابه وإياكم والتبدع والتنطع وعليكم بالعتيق فانه سيكون في آخر هذه الامة اقوام يزعمون أنهم يدعون الى كتاب الله وقد تركوه وراء ظهورهم اخرجه الدارمي * وأخرج عن سليمان التيمي قال كنت انا وأبو عثمان وابو نضرة وأبو مجلز وخالد الأشج نتذاكر الحديث والسنة فقال بعضهم لو قرأنا سورة من القرآن كان أفضل. فقال ابو نضرة كان ابو سعيد الخدري رضي الله عنه يقول مذاكرة الحديث أفضل من قراءة القرآن قلت وهذا كما قال الشافعي رضي الله عنه طلب العلم افضل من صلاة النافلة لأن قراءة القرآن نافلة وحفظ الحديث فرض كفاية والله اعلم * واخرج عن سفيان الثوري قال لا أعلم شيئا من الأعمال أفضل من طلب الحديث لمن حسنت فيه نيته * واخرج عن ابن المبارك قال ما اعلم شيئاً افضل من طلب الحديث لمن اراد به الله عز وجل * واخرج

ـ النساء ٥٩

عن خالد بن يزيد قال حرمة احاديث رسول الله ﷺ كحرمة كتاب الله قال البيهقي وانما اراد في معرفة حقها وتعظيم حرمتها وفرض اتباعها * واخرج عن الشافعي قال كلما رأيت رجلا من أصحاب الحديث فكأنما رأيت رجلا من أصحاب النبي ﷺ *

وأخرج عن اسماعيل بن أبي أويس قال كان مالك اذا أراد أن يحدث توضأ وجلس على صدر فراشه وسرح لحيته وتمكن من جلوسه بوقار وهيبة وحدث فقيل له في ذلك فقال أحب أن أعظم حديث رسول الله ﷺ ولا أحدث الا على طهارة متمكنا وكان يكره أن يحدث في الطريق أو وهو قائم أو مستعجل وقال أحب ان أتفهم ما أحدث به عن رسول الله ﷺ وأخرج عن مالك ان رجلا جاء الى سعيد بن المسيب وهو مريض فسأله عن حديث وهو مضطجع فجلس فحدثه فقال له الرجل وددت أنك لم تتعن فقال له اني كرهت ان احدثك عن رسول الله ﷺ وانا مضطجع * واخرج عن الأعمش انه كان اذا أراد أن يحدث على غير طهر تيمم وقال الأعمش عن ضرار بن مرة قال كانوا يكرهون أن يحدثوا على غير طهر وأخرج عن قتادة قال لقد كان يستحب أن لا تقرأ الأحاديث التي عن النبي ﷺ الا على طهارة * واخرج عن بشر بن الحارث قال سأل رجل ابن المبارك عن حديث وهو يمشي فقال ليس هذا من توقير العلم * وأخرج عن ابن المبارك قال كنت عند مالك وهو يحدث فجاءت عقرب فلدغته [1] ست عشرة مرة ومالك يتغير لونه ويتصبر ولا يقطع حديث رسول الله ﷺ فلما فرغ

---

(١) فلدغته بالدال المهملة والغين المعجمة أي لسعته

من المجلس وتفرق الناس قلت له لقد رأيت منك عجبا قال نعم إنما صبرت إجلالا لحديث رسول الله ﷺ *

وأخرج عن عبد الله بن عمرو قال كنت أكتب كل شيء سمعته من رسول الله ﷺ وأريد حفظه فنهتني قريش وقالوا تكتب كل شيء سمعته من رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الرضى والغضب قال فأمسكت فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال اكتب فوالذي نفسي بيده ماخرج منه إلا حق وأشار بيده الى فمه أخرجه الدارمي والحاكم *

وأخرج عن أبي هريرة أن رجلا من الأنصار شكا الى النبي ﷺ فقال إني أسمع منك الحديث ولا أحفظه فقال استعن بيمينك وأومأ بيده للخط ، أخرجه الترمذي *

وأخرج البيهقي والدارمي عن عبد الله بن دينار أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ أو سنة ماضية فاكتبه فاني قد خفت درس العلم وذهاب أهله * وأخرجا أيضا عن الزهري قال كان من مضى من علمائنا يقولون الاعتصام بالسنة نجاة هذا ما لخصته من كتاب البيهقي من الأحاديث والآثار الدالة على وجوب الاعتصام بالسنة وفرض اتباعها وهذه أحاديث وآثار لم تقع في كتابه *

أخرج الشيخان عن أنس وابن عمر قال قال رسول الله ﷺ « من رغب عن سنتي فليس مني » وأخرج الطبراني في الأوسط عن ابن عباس قال قال النبي ﷺ « اللهم ارحم خلفائي قلنا يا رسول الله ومن خلفاؤك قال الذين يأتون من بعدي يروون أحاديثي ويعلمونها الناس » * وأخرج أبو

نعيم فى الحلية عن ابن عباس قال « قال رسول الله ﷺ من أدى الى أمتى حديثا تقام به سنة أوتثلم به بدعة فله الجنة » * وأخرج أبو يعلى والطبرانى فى الأوسط عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال « قال رسول الله ﷺ من كذب علىّ متعمدا أو ردّ شيئا أمرت به فليتبوأ بيتا فى جهنم » *

وأخرج احمد والبزار والطبرانى عن زيد بن أرقم قال بعث إلىّ عبيد الله بن زياد فأتيته فقال ما أحاديث تحدث بها وترويها عن رسول الله ﷺ لا نجدها فى كتاب الله تحدث أن له حوضاً فى الجنة قال قد حدثناه رسول الله ﷺ ووعدناه * وأخرج الطبرانى فى الكبير عن سلمي قال قال رسول الله ﷺ «من كذب علىّ متعمداً فليتبوأ بيتاً فى النار ومن رد حديثاً بلغه عنى فأنا مخاصمه يوم القيامة فاذا بلغكم عنى حديث فلم تعرفوه فقولوا الله أعلم » وأخرج فى الأوسط عن جابر قال « قال رسول الله ﷺ من بلغه عنى حديث فكذبه فقد كذب ثلاثاً الله ورسوله والذى حدث به » وأخرج أبو يعلى والطبرانى فى الأوسط عن أنس قال « قال رسول الله ﷺ من بلغه عن الله فضيلة فلم يصدق بها لم ينلها » وأخرج أبو يعلى عن جابر ابن عبد الله قال « قال رسول الله ﷺ عسى أن يكذبنى رجل منكم وهو متكئ على أريكته يبلغه الحديث عنى فيقول ماقال رسول الله ﷺ هذا دع هذا وهات ما فى القرآن » هذه طريقة خامسة للحديث فقد تقدم من حديث أبى رافع والمقدام والعرباض بن سارية وأبى هريرة وله طريق سادسة أخرج الطبرانى فى الكبير عن خالد بن الوليد قال « قال رسول الله ﷺ ياخالد أذن فى الناس الصلاة ثم خرج فصلى الهاجرة ثم قام الناس فقال ما أحل أموال المعاهدين بغير حقها يمسى الرجل منكم يقول وهو متكئ

على أريكته ما وجدنا فى كتاب الله من حلال أحللناه وما وجدنا من حرام حرمناه ألا وإنى أحرم عليكم أموال المعاهدين بغير حقها » وطريق سابعة أخرج السلفى فى المنتقى من حديث أبى طاهر الحنائى من طريق حماد بن زيد عن أبى هرون العبدى عن أبى سعيد الخدرى قال « قال رسول الله ﷺ يمسى رجل يكذبنى وهو متكئ يقول ما قال هذا رسول الله ﷺ » *

وأخرج الطبرانى عن أبى حازم عن سهل بن سعد الساعدى أنه كان فى مجلس قومه وهو يحدثهم عن رسول الله ﷺ وبعضهم يقبل على بعض يتحدثون فغضب ثم قال انظر اليهم أحدثهم عن رسول الله ﷺ وبعضهم يقبل على بعض أما والله لأخرجن من بين أظهركم ولا أرجع إليكم أبداً قلت له أين تذهب قال أذهب فأجاهد فى سبيل الله * وأخرج أبو يعلى بسند صحيح عن ابن عباس قال « قال رسول الله ﷺ من قال فى القرآن بغير ما يعلم جاء يوم القيامة ملجماً بلجام من نار » وأخرج الطبرانى فى الكبير عن ابن عباس قال « قال رسول الله ﷺ من مشى إلى سلطان الله فى الأرض ليذله أذل الله رقبته مع ما يدخر له فى الآخرة » قال مسدد وسلطان الله فى الأرض كتاب الله وسنة نبيه ﷺ * وأخرج فى الأوسط عن ابن عمر قال العلم ثلاثة كتاب ناطق وسنة ماضية ولا أدرى * وأخرج أيضاً عن حذيفة بن اليمان قال « قال رسول الله ﷺ سيأتى عليكم زمان لا يكون فيه شىء أعز من ثلاث درهم حلال أو أخ يستأنس به أو سنة يعمل بها » وأخرج احمد عن عمران بن حصين قال نزل القرآن وسن رسول الله ﷺ السنن ثم قال اتبعونا فوالله إن لم تفعلوا تضلوا * وأخرج احمد والبزار عن مجاهد قال كنا مع ابن عمر فى سفر فمر بمكان فحاد عنه

فسئل لم فعلت قال رأيت رسول الله ﷺ فعل هذا ففعلت . وأخرج احمد عن أنس بن سيرين قال كنت مع ابن عمر بعرفات فلما أفاض أفضت معه حتى انتهى الى المضيق دون المأزمين فأناخ فأنخنا ونحن نحسب أنه يريد أن يصلى فقال غلامه الذى يمسك راحلته أنه ليس يريد الصلاة ولكنه ذكر أن النبي ﷺ لما انتهى الى هذا المكان قضى حاجته فهو يحب أن يقضى حاجته وأخرج البزار عن ابن عمر أنه كان يأتي شجرة بين مكة والمدينة فيقيل تحتها ويخبر أن النبي ﷺ كان يفعل ذلك وأخرج هو وأبو يعلى عن زيد بن أسلم قال رأيت ابن عمر محلول الأزرار وقال رأيت النبي ﷺ محلول الأزرار * وأخرج الطبرانى فى الكبير عن عمرو بن شعواء اليافعي قال قال رسول الله ﷺ «سبعة لعنتهم وكل نبي مجاب (الزائد) فى كتاب الله (والمكذب) بقدر الله (والمستحل) حرمة الله (والمستحل) من عترتى ما حرم الله (والتارك) لسنتى (والمستأثر) بالفيء (والمتجبر) بسلطانه ليعز ما أذل الله ويذل ما أعز الله» وأخرج فى الكبير عن ابن عباس قال قال على يارسول الله أرأيت ان عرض لنا أمر لم ينزل فيه قرآن ولم تمض فيه سنة منك قال تجعلونه شورى بين العابدين من المؤمنين ولا تقضونه برأى خاصة* وأخرج فى الأوسط بسند صحيح عن على رضى الله عنه قال قلت لرسول الله ﷺ إن نزل بنا أمر ليس فيه بيان أمر ولا نهي فما تأمرنا فقال تشاوروا الفقهاء والعابدين ولا تجعلونه برأى خاصة* وأخرج فى الأوسط عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله ﷺ « أكثر ما أتخوف على أمتى من بعدى رجل يتأول القرآن يضعه على غير مواضعه» وأخرج احمد والطبرانى عن غضيف بن الحرث الثمالى أن النبي ﷺ قال « ما أحدث قوم بدعة إلا رفع

مثلها من السنة » وأخرج البخارى فى تاريخه والطبرانى عن ابن عباس قال « ما أتى على الناس عام إلا أحدثوا فيه بدعة وأماتوا فيه سنة حتى تحيا البدع وتموت السنن » وأخرج عن معاذ بن جبل قال « قال رسول الله ﷺ من مشى الى صاحب بدعة ليوقره فقد أعان على هدم الاسلام » وأخرج عن الحكم بن عمير الثمالى قال « قال رسول الله ﷺ الامر المفظع والحمل المضلع والشر الذى لا ينقطع إظهار البدع » وأخرج فى الصغير عن أنس قال « قال رسول الله ﷺ تفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة كلهم فى النار إلا واحدة قالوا وما تلك الفرقة قال ما أنا عليه اليوم وأصحابى » وأخرج الحكم من حديث ابن عمرو مثله : وأخرج الدارمى فى مسنده عن عبد الله بن الديلمى قال بلغنى ان أول الدين تركا السنة وأخرج ابن مسعود أنه قال ماسألتمونا عن شىء من كتاب الله نعلمه أخبرناكم به أو سنة من نبى الله ﷺ أخبرناكم به ولا طاقة لنا بما أحدثتم * وأخرج عن أبى سلمة مرسلا « أن النبى ﷺ سئل عن الامر يحدث ليس فى كتاب الله ولا سنته قال ينظر فيه العابدون من المؤمنين » قال وأخرج الدارمى واللالكائى فى السنة عن عمر ابن الخطاب قال سيأتى ناس يجادلونكم بشبهات القرآن فخذوهم بالسنن فان أصحاب السنن أعلم بكتاب الله * وأخرج اللالكائى فى السنة عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال سيأتى قوم يجادلونكم فخذوهم بالسنن فان أصحاب السنن أعلم بكتاب الله * وأخرج ابن سعد فى الطبقات من طريق عكرمة عن ابن عباس أن على بن أبى طالب أرسله الى الخوارج فقال اذهب اليهم فخاصمهم ولا تحاجهم بالقرآن فانه ذو وجوه ولكن خاصمهم بالسنة * وأخرج

من وجه آخر أن ابن عباس قال يا أمير المؤمنين فأنا أعلم بكتاب الله منهم في بيوتنا نزل قال صدقت ولكن القرآن حمال ذو وجوه تقول ويقولون ولكن حاجهم بالسنن فإنهم لن يجدوا عنها محيصاً فخرج اليهم فحاجهم بالسنن فلم يبق بأيديهم حجة * وأخرج سعيد بن منصور عن عمران بن حصين أنهم كانوا يتذاكرون الحديث فقال رجل دعونا من هذا وجيئونا بكتاب الله فقال عمر انك أحمق أتجد في كتاب الله الصلاة مفسرة أتجد في كتاب الله الصيام مفسراً ان القرآن أحكم ذلك والسنة تفسره * وأخرج الدارمي عن المسيب بن رافع قال كانوا اذ نزلت بهم القضية التي ليس فيها من رسول الله ﷺ أثر اجتمعوا لها وأجمعوا فالحق فيما رأوا فالحق فيما رأوا * وأخرج الدارمي عن ميمون بن مهران قال كان أبو بكر رضي الله عنه اذا ورد عليه الخصم نظر في كتاب الله فان وجد فيه ما يقضي به بينهم قضى به وان لم يكن في الكتاب وعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الامر سنة قضى بها فان أعياه خرج فسأل المسلمين وقال أتاني كذا وكذا فهل علمتم أن رسول الله ﷺ قضى في ذلك بقضاء فربما اجتمع اليه النفر كلهم يذكر عن رسول الله ﷺ فيه قضاء فيقول أبو بكر الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ علينا ديننا *

وأخرج عن أبي نضرة قال لما قدم أبو سلمة البصرة أتيته أنا والحسن فقال للحسن أنت الحسن بلغني أنك تفتي برأيك فلا تفت برأيك إلا أن تكون سنة عن رسول الله ﷺ أو كتاب منزل * وأخرج عن جابر بن زيد أن ابن عمر لقيه في الطواف فقال له يا أبا الشعثاء إنك من فقهاء البصرة فلا تفت الا بقرآن ناطق أو سنة ماضية فانك إن فعلت غير ذلك هلكت وأهلكت * وأخرج عن شريح قال انك لن تضل ما أخذت بالأثر *

وأخرج عن الحسن قال ان أهل السنة كانوا أقل الناس فيما مضى وهم أقل الناس فيما بقي الذين لم يذهبوا مع أهل الأتراف في أترافهم ولا مع أهل البدع في بدعهم وصبروا على سنتهم حتى لقوا ربهم* وأخرج عن ابن مسعود قال الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة أخرجه الحاكم وأخرج الدارمي عن عطاء في قوله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم قال أولو العلم والفقه فطاعة الرسول اتباع الكتاب والسنة واخرج عن أبي هريرة قال اني لأجزيء الليل ثلاثة أجزاء ثلث انام وثلث اقوم وثلث اتذكر احاديث رسول الله ﷺ * واخرج عن ابن عباس قال اما تخافون ان تعذبوا ويخسف بكم ان تقولوا قال رسول الله ﷺ وقال فلان واخرج عن عمر بن عبد العزيز انه كتب لارأى لأحد في كتاب الله ولا في سنة سنها رسول الله ﷺ وانما رأى الأمة فيما لم ينزل فيه كتاب ولم تمض به سنة عن رسول الله ﷺ * واخرج عن سعيد بن المسيب انه رأى رجلا يصلي بعد الركعتين يكثر فقال له يا أبا محمد أيعذبني الله على الصلاة قال يعذبك الله بخلاف السنة* واخرج عن خراش بن جبير قال رأيت في المسجد فتى يخذف فقال له ياشيخ لا تخذف فاني سمعت النبي ﷺ نهى عن الخذف فخذف فقال له الشيخ احدثك عن رسول الله ﷺ ثم تخذف والله لا أشهد لك جنازة ولا اعودك في مرض ولا اكلمك ابداً واخرج عن قتادة قال حدث ابن سيرين رجلا بحديث عن النبي ﷺ فقال رجل قال فلان كذا وكذا فقال ابن سيرين احدثك عن النبي ﷺ وتقول قال فلان والله لا اكلمك ابداً ثم قال الدارمي باب تعجيل عقوبة من بلغه عن النبي ﷺ حديث فلم يعظمه ولم يوقره واخرج فيه من طريق العجلاني عن ابي هريرة انه قال

قال رسول الله ﷺ بينما رجل يتبختر فى بردين خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة فقال له فتى وهو فى حلة له ياابا هريرة اهكذا كان يمشى ذلك الفتى الذى خسف به ثم ضرب بيده فعثر عثرة كاد ينكسر منها فقال ابو هريرة للمنخرين والفم انا كفيناك المستهزئين * واخرج عن عبد الرحمن بن حرملة قال جاء رجل الى سعيد بن المسيب يودعه لحج أو عمرة فقال له لا تخرج حتى تصلى فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يخرج بعد النداء من المسجد الا منافق فقال ان أصحابى بالحرة فخرج فلم يزل سعيد مولعاً بذكره حتى أخبر أنه وقع من راحلته فانكسر فخذه * وأخرج البخارى عن أبى ذر أنه قال لو وضعتم الصمصامة على هذه وأشار الى قفاه ثم ظننت أنى أفقد كلمة سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن تجيزوا على لا نفذتها * وأخرج الدارى عن بشر بن عبد الله قال ان كنت لأركب الى مصر من الامصار فى الحديث الواحد لأسمعه * وأخرج عن سعيد بن جبير أنه حدث يوماً بحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم فقال له رجل فى كتاب الله ما يخالف هذا فقال لا أرانى أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعرض فيه بكتاب الله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم بكتاب الله منك هذا ما انتقيته من مسند الدارمى *

وهذه جملة منتقاة من كتاب السنة للالكائي فى هذا المعنى أخرج بسنده عن ابى بن كعب قال اقتصاد فى سنة خير من اجتهاد فى خلاف سنة * واخرج عن ابى الدرداء مثله واخرج عن ابن عباس قال النظر الى الرجل من اهل السنة يدعو اليها وينهي عن البدعة عبادة * واخرج عن ابن عباس قال والله ما أظن على

وجه الارض اليوم احد أحب الى الشيطان هلا كا منى قيل ولم قال انه ليحدث البدعة فى مشرق او مغرب فيحملها الرجل الى فاذا انتهت الى قمعتها بالسنة فترد اليه كما أخرجها * واخرج عن ابى العالية قال عليكم بسنة نبيكم والذى كان عليه اصحابه * واخرج عن الحسن قال لايصلح قول الا بعمل ولا يصلح قول وعمل الا بنية ولا يصلح قول وعمل ونية إلا بالسنة * واخرج عن سعيد بن جبير قال لا يقبل قول إلا بعمل ولا يقبل قول وعمل إلا بنية ولا يقبل قول وعمل ونية الا بموافقة السنة * واخرج عن الحسن قال ياأهل السنة تفرقوا فانكم من أقل الناس * واخرج عن يونس بن عبيد قال ليس شيء أغرب من السنة واغرب منها من لايعرفها * وأخرج عن ايوب قال إنى اخبر بموت الرجل من أهل السنة فكأنى افقد بعض اعضائى * واخرج عنه قال ان من سعادة الحدث والاعجمى ان يوفقهما الله لعالم بالسنة * واخرج عن ابن شوذب قال اول نعمة الله على الشاب إذا نسك ان يؤاخى صاحب سنة يحمله عليها * واخرج عن حماد بن زيد قال كان ايوب يبلغه موت الفتى من اصحاب الحديث فيرى ذلك فيه ويبلغه موت الرجل يذكر بعبادة فما يرى ذلك فيه * وأخرج عن ايوب قال ان الذين يتمنون موت اهل السنة يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم *

وأخرج عن ابن عوف قال ثلاث أحبهن لنفسى ولأصحابى قراءة القرآن والسنة ورجل أقبل على نفسه ولهى عن الناس الا من خير وأخرج عن الاوزاعى تدور مع السنة حيثما دارت * وأخرج عنه قال كان يقال خمس كان عليها أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون باحسان لزوم الجماعة واتباع السنة وعمارة المساجد وتلاوة القرآن والجهاد فى سبيل الله * وأخرج عن

سفيان الثورى قال استوصوا بأهل السنة خيراً فانهم غرباء وأخرج عن
الفضيل بن عياض قال ان لله عباداً يحيي بهم البلاد وهم أصحاب السنة وأخرج
عن أبى بكر عن عياش قال السنة فى الاسلام أعز من الاسلام فى سائر
الاديان * وأخرج عن ابن عوف قال من مات على الاسلام والسنة فله بشير
بكل خير * وأخرج عن الحسن فى قوله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى
يحببكم الله قال فكان علامة حبهم إياه إتباع سنة رسول الله ﷺ * وأخرج
عن ابن عباس فى قوله يوم تبيض وجوه قال وجوه أهل السنة وتسود
وجوه قال وجوه أهل البدع وأخرج عن العلاء بن المسيب عن أبيه قال قال
عبد الله انا نقتدى ولا نبتدى ونتبع ولا نبتدع ولن نضل ما تمسكنا بالأثر *
وأخرج عن شاذ بن يحيي قال ليس طريق أقصد الى الجنة من طريق من
سلك الآثار * وأخرج عن الفضيل بن عياض قال طوبى لمن مات على
الاسلام والسنة واذا كان كذلك فليكثر من قول ماشاء الله كان * وأخرج
عن احمد بن حنبل قال السنة عندنا آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم
والسنة تفسير القرآن وهي دلائل القرآن * وأخرج عن بعض أصحاب
الحديث أنه أنشد

دين النبي محمد أخبار ... نعم المطية للفتى آثار
لا تعدلن عن الحديث وأهله ... فالرأى ليل والحديث نهار
ولربما غلط الفتى أثر الهدى ... والشمس بازغة له أنوار

وهذه جملة منتقاة من كتاب الحجة على تارك المحجة للشيخ نصر
المقدسى أخرج بسنده عن أبى الدرداء قال قال رسول الله ﷺ من غدا أو
راح فى طلب سنة مخافه أن تدرس كان كمن غدا أو راح فى سبيل الله ومن كتم

علماً علمه الله إياه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار * وأخرج عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ظهرت البدع فى أمتى وشتم أصحابى فليظهر العالم علمه فان لم يفعل فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين قيل للوليد بن مسلم ما إظهار العلم قال إظهار السنة * وأخرج عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حفظ على أمتى أربعين حديثاً فيما ينفعهم فى أمر دينهم بعث يوم القيامة من العلماء قلت هذا الحديث له طرق كثيرة * وأخرج من وجه عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من روى عنى أربعين حديثاً من السنة حشر يوم القيامة فى زمرة الانبياء * وأخرج عن البراء بن عازب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم حديثين اثنين ينفع بهما نفسه أو يعلمهما غيره فينتفع بهما كان خيراً من عبادة ستين سنة * وأخرج عن كثير بن عبد الله عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الاسلام بدا غريباً وسيعود غريباً فطوبى للغرباء قيل يارسول الله ومن الغرباء قال الذين يحبون سنتى من بعدى ويعلمونها عباد الله * وأخرج من هذا الطريق مرفوعا من أحيا سنة من سنتى قد أميتت بعدى كان له مثل أجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجرهم شيئاً * وأخرج عن على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حفظ على أمتى أربعين حديثاً من أمر دينها بعثه الله يوم القيامة فقيهاً وكنت له شافعاً وشهيداً *

وأخرج عن أبى الدرداء مرفوعا مثله * وأخرج عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حفظ على أمتى أربعين حديثاً من السنة كنت له شفيعاً يوم القيامة * وأخرج عن على قال قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم ألا أدلكم على الخلفاء منى ومن أصحابى ومن الانبياء قبلى هم حملة
القرآن والاحاديث عنى فى الله ولله * وأخرج عن على رضى الله عنه قال مامن
شىء إلا وعلمه فى القرآن ولكن رأى الرجال يعجز عنه * وأخرج عن
الجنيد قال الطريق مسدود على خلق الله إلا على المتبعين أخبار رسول الله
صلى الله عليه وسلم المقتدين بآثاره قال الله تعالى لقد كان لكم فى رسول الله
أسوة حسنة * وأخرج عن عبد الرحمن بن مهدى قال الرجل الى الحديث
أحوج منه الى الاكل والشرب لان الحديث يفسر القرآن * وأخرج عن
رجل من الصحابة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان فى آخر أمتى قوماً
يعطون من الاجر مثل ما لأولهم ينكرون المنكر ويقاتلون أهل الفتن
فقيل لابراهيم بن موسى من هم قال أهل الحديث يقولون قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم افعلوا كذا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتفعلوا
كذا * وأخرج عن احمد بن حنبل أنه قيل له هل لله ابدال فى الارض قال
نعم قيل من هم قال ان لم يكن أصحاب الحديث هم الابدال فلا أعرف لله
ابدالا * وأخرج عن ابن المبارك انه ذكر حديث لا تزال طائفة من أمتى
ظاهرين على الحق لا يضرهم من ناوأهم حتى تقوم الساعة قال ابن المبارك
هم عندى أصحاب الحديث * وأخرج عن ابن المدينى انه قال فى حديث
لا تزال طائفة هم أهل الحديث والذين يتعاهدون مذهب الرسول صلى الله
عليه وسلم ويذبون عن العلم لولاهم لاهلك الناسَ المعتزلةُ والرافضة والجهمية
وأهل الارجاء والرأى * وأخرج عن ابن مسعود وابى ذر قالا قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من ورائكم أيام صبر فالمتمسك بما أنتم عليه
له أجر خمسين قالوا يارسول الله منا او منهم قال منكم * واخرج مثله من

حديث ابن عمر وأخرج عن أبى الجلد قال يرسل على الناس على رأس كل أربعين سنة شيطان يقال له القمقم فيبتدع لهم بدعة وأخرج عن الامام البخارى قال كنا ثلاثة أو أربعة على باب ابن عبد الله فقال انى لأرجو أن تأويل هذا الحديث لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم أنتم لأن التجار قد شغلوا أنفسهم بالتجارات وأهل الصنعة قد شغلوا أنفسهم بالصناعات والملوك قد شغلوا أنفسهم بالملكة وأنتم تحيون سنة النبي صلى الله عليه وسلم * وأخرج عن ابن وهب قال قال لى مالك بن أنس لا تعارضوا السنة وسلموا لها وأخرج عن كهمس الهمدانى قال من لم يتحقق أن أهل السنة حفظة الدين فانه يعد فى ضعفاء المساكين الذين لا يدينون الله بدين يقول الله لنبيه صلى الله عليه وسلم الله نزل أحسن الحديث ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنى جبريل عن الله * وأخرج عن سفيان الثورى قال الملائكة حراس السماء وأصحاب الحديث حراس الأرض * وأخرج عن وكيع قال لو أن الرجل لم يصب فى الحديث شيئاً إلا أنه يمنعه من الهوى كان قد أصاب فيه وأخرج عن أحمد بن سنان قال كان الوليد الكرابيسى خالى فلما حضرته الوفاة قال لبنيه تعلمون أحداً أعلم بالكلام منى قالوا لا قال فتتهمونى قالوا لا قال فانى أوصيكم أتقبلون قالوا نعم قال عليكم بما عليه أصحاب الحديث فانى رأيت الحق معهم * وأخرج أحمد فى الزهد عن قتادة قال والله ما رغب أحد عن سنة نبيه صلى الله عليه وسلم إلا هلك فعليكم بالسنة وإياكم والبدعة وعليكم بالفقه وإياكم والشبهة * وأخرج الحاكم فى المستدرك عن عبد الرحمن بن ابزى قال لما وقع الناس فى عثمان قلت لأبى

ابن كعب ما المخرج من هذا قال كتاب الله وسنة نبيه ما استبان لكم فاعملوا به وما أشكل عليكم فكلوه الى عالمه وأخرج الحاكم أيضاً عن على ابن أبى طالب أن اناساً أتوه فأثنوا على ابن مسعود فقال أقول فيه ما قالوا وأفضل قرأ القرآن وأحل حلاله وحرم حرامه فقيه فى الدين عالم بالسنة *

وأخرج عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ « غفار غفر الله لها وأسلم سالمها الله اما اني لم أقله ولكن الله قاله »

﴿ وهذه جملة منتقاة من رسالة القشيرى من كلام أهل الطريق فى ذلك ﴾

قال ذو النون المصرى من علامة المحب لله متابعة حبيب الله ﷺ فى أخلاقه وأفعاله وأوامره وسننه * قال أبو سليمان الدارانى ربما يقع فى قلبى النكتة من نكت القوم أياما فلا أقبل منه الا بشاهدين عدلين الكتاب والسنة * وقال أحمد بن أبى الحوارى من عمل عملا بلا اتباع سنة فباطل عمله قال أبو حفص عمر ابن سالم الحداد من لم يزن أفعاله وأحواله فى كل وقت بالكتاب والسنة ولم يتهم خواطره فلا تعدوه فى ديوان الرجال. وقال الجنيد الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لا يقتدى به فى هذا الامر لان علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة وقال أيضاً مذهبنا هذا مشيد بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقال أبو عثمان الحيرى الصحبة مع الله بحسن الأدب ودوام الهيبة والمراقبة والصحبة مع الرسول صلى الله عليه وسلم باتباع سنته ولزوم ظاهر العلم وقال من أمر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن أمر الهوى على نفسه نطق بالبدعة قال الله تعالى وان تطيعوه تهتدوا * ولما احتضر أبو عثمان مزق ابنه أبو بكر قميصه ففتح أبو عثمان عينه وقال

خلاف السنة يابني في الظاهر علامة رياء في الباطن * قال أبو الفوارس شاه
ابن شجاع الكرماني من غض بصره عن المحارم وأمسك نفسه عن الشهوات
وعمر باطنه بدوام المراقبة وظاهره باتباع السنة وعود نفسه أكل الحلال
لم تخطىء له فراسة . وقال أبو العباس أحمد بن سهل بن عطاء الادمى من ألزم
نفسه آداب السنة نور الله قلبه بنور المعرفة ولا مقام أشرف من متابعة
الحبيب في أوامره وأفعاله وأخلاقه * وقال أبو حمزة البغدادى من علم طريق
الحق سهل سلوكه عليه ولادليل على الطريق الى الله الا بمتابعة الرسول
صلى الله عليه وسلم في أحواله وأفعاله وأقواله * وقال إبو اسحق ابراهيم
ابن داود الدق علامة محبة الله ايثار طاعته ومتابعة نبيه صلى الله عليه وسلم *
وقال أبو بكر الطمستانى الطريق واضح والكتاب والسنة قبثم بين أظهرنا
وفضل الصحابة معلوم لسبقهم الى الهجرة ولصحبتهم فمن صحب هذا
الكتاب والسنة وتغرب عن نفسه والخلق وهاجر بقلبه الى الله فهو الصادق
المصيب * وقال أبو القاسم النصرا بادى أصل التصوف ملازمة الكتاب
والسنة وترك الأهواء والبدع وتعظيم حرمات المشائخ ورؤية أعذار الخلق
والمداومة على الأوراد وترك ارتكاب الرخص والتأويلات * وقال الخواص
الصبر الثبات على أحكام الكتاب والسنة * وقال سهل بن عبد الله الفتوة اتباع
السنة قال أبو على الدقاق قصد أبو يزيد البسطامى بعض من يوصف بالولاية
فلما وافى مسجده قعد ينتظر خروجه فخرج الرجل وتنخم في المسجد
فانصرف أبو يزيد ولم يسلم عليه وقال هذا الرجل غير مأمون على أدب من
من آداب رسول الله ﷺ فكيف يكون أميناً على أسرار الحق *

قال أبو حفص أحسن ما يتوسل به العبد الى مولاه دوام الفقر إليه

على جميع الأحوال وملازمة السنة فى جميع الأفعال وطلب القوت من وجه الحلال * وأخرج أبو نعيم فى الحلية عن سهل بن عبد الله قال أصولنا ستة أشياء التمسك بكتاب الله والاقتداء بسنة رسول الله وأكل الحلال وكف الأذى واجتناب الآثام واداء الحقوق . وأخرج عنه قال من كان اقتداؤه بالنبي ﷺ لم يكن فى قلبه اختيار لشيء من الأشياء *

(خاتمة)

أخرج الدينورى فى المجالسة عن عبد الرحمن بن عبد الله الخرفى قال كان بدأ الرافضة أن قوماً من الزنادقة اجتمعوا فقالوا نشتم نبيهم فقال كبيرهم إذاً نقتل فقالوا نشتم أحباءه فانه يقال إذا أردت أن تؤذى جارك فاضرب كلبه ثم تعتزل فتكفرهم فقالوا الصحابة كلهم فى النار إلا علىّ ثم قال كان على هو النبي فأخطأ جبريل*

قال البخارى فى تاريخه عن ابن مسعود قال بعث الله نوحا فما أهلك أمته الا الزنادقة ثم نبي فنبي والله لايهلك هذه الامة الا الزنادقة ورأيت بعض من صنف فى الملل والنحل قسم فرق الرافضة الى اثنتى عشرة فرقة فسمى الفرقة الاولى القائلة بنبوة على العلوية وذكر انهم يقولون علىّ النبي ﷺ ويقولون فى أذانهم أشهد أن عليا رسول الله * والثانية الأموية قالوا ان عليا شريك النبي ﷺ فى النبوة * والثالثة الشاعية قالوا ان عليا وصي رسول الله ﷺ ووليه من بعده وان الصحابة هزأت به وردت أمر الله ورسوله حين تركوا وصيته وبايعوا غيره كذب هؤلاء لعنهم الله ورضى الله عن الصحابة وهذه هى الفرقة الثانية التى أشرت اليها فى الخطبة ونقلنا فى أثناء

الـكتاب كلام أبى حنيفة رضى الله عنه والعجب من هؤلاء حيث ضللوا الصحابة وردوا الاحاديث لانها من رواياتهم وذلك يلزمهم فى القرآن أيضاً لأن الصحابة الذين رووا لنا الحديث هم الذين رووا لنا القرآن فان قبلوه لزمهم قبول الأحاديث اذ الناقل واحد * والرابعة الاسحاقية قالوا النبوة متصلة من لدن آدم الى يوم القيامة ومن يعلم علم أهل البيت والـكتاب فهو نبيّ * والخامسة الناوسية قالوا من فضل أبا بكر وعمر على عليّ فقد كفر * والسادسة الامامية قالوا لاتخلو الارض من امام من ولد الحسين اما ظاهر مكشوف أوباطن موصوف ولا يتعلم العلم من أحد بل يعلمه جبريل فاذا مات بدل مكانه مثله *والسابعة الزيدية قالوا ولد الحسين كلهم أئمة فى الصلوات فما دام يوجد منهم أحدلم تجز الصلاة خلف غيرهم* والثامنة الرجعية قالوا ان عليا وأصحابه كلهم يرجعون الى الدنيا وينتقمون من أعدائه ويسوى لهم الملك فى الدنيا مالم يسو لأحد ويملأ الارض عدلا كما ملئت جوراً * والتاسعة اللاعنة يتدينون بلعن الصحابة لعن الله هذه الفرقة ورضى الله عن أصحاب رسول الله ﷺ * العاشرة السائبة قالوا بالهية عليّ تعالى الله عما يقول المفترون علواً كبيراً * والحادية عشرة الناسخية قالوا بتناسخ الارواح * والثانية عشرة المتربصة يقيمون لهم فى كل عصر رجلا ينسبون له الأمر ويزعمونه المهدى وان من خالفه كفر وقد أوسع صاحب هذا الـكتاب وهو من مشائخ الحافظ أبى الفضل بن ناصر من الرد على كل فرقة فرقة من الـكتاب والسنة وروى فيه بسنده عن أبى سعيد الخدرى قال مثل أصحاب رسول الله ﷺ مثل العيون ودواء العيون ترك مسها * وأخرج بسنده عن ابن وهب قال كنا عند مالك بن أنس نتذاكر السنة فقال مالك السنة سفينة

نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق والأثر الذى أشرنا اليه في الخطبة
عن الشافعى رضى الله عنه أخرجه أبو نعيم فى الحلية بسنده عن الحميدى قال
كنت بمصر فحدث محمد بن ادريس الشافعى بحديث عن رسول الله ﷺ
فقال له رجل يا أبا عبد الله أتأخذ بهذا فقال أرأيتنى خرجت من كنيسة
ترى على زناراً حتى لا أقول به وأخرج عن الربيع بن سليمان قال سأل رجل
الشافعى عن حديث فقال هو صحيح فقال له الرجل فما تقول فارتعد وانتفض
وقال أىّ سماء تظلنى وأى أرض تقلنى اذا رويت عن النبي ﷺ وقلت بغيره
وأخرج عن الربيع قال ذكر الشافعي حديثاً فقال له رجل أتأخذ بالحديث
فقال اشهدوا انى اذا صح عندى الحديث عن رسول الله ﷺ فلم آخذ به
فان عقلى قد ذهب* وأخرج عن ابن الوليد بن أبى الجارود قال الشافعى إذا
صح الحديث عن رسول الله ﷺ وقلت قولا فأنا راجع عن قولى وقائل
بذلك وأخرج عن الزعفرانى قال قال الشافعى اذا وجدتم لرسول الله ﷺ
سنة فاتبعوها ولا تلتفتوا الى قول أحد انتهى والله أعلم

﴿ تم ﴾

تم كتاب مفتاح الجنة فى الاحتجاج بالسنة بعون خالق الانس والجنة
وقد قوبل قبل الطبع على عدة نسخ خطية فجاء ولله الحمد غاية فى الصحة
نسأل الله أن يجعلنا من أهل السنة والجماعة وان يحشرنا تحت لواء سيد
الأمة ﷺ وشرف وكرم وكان تمام طبعه فى شهر رجب المبارك سنة سبع
وأربعين بعد الثلاثمائة وألف هجرية

فتاوى ابن الصلاح

في التفسير والحديث والأصول والعقائد

للامام المحدث الحافظ الأصولى الفقيه أبي عمرو
عثمان بن عبد الرحمن تقى الدين الشهرزورى
المعروف بابن الصلاح المتوفى سنة ٦٤٣ هـ

قوبلت على نسخة كتبت على مايظهر سنة ٧٥٠ تقريباً محفوظة بدار
كتب رواق الأتراك بمصر رقم ١٧٧٦

﴿ ويليها رسالتان ، الأولى فتاوى ابن حجر العسقلانى ،
والثانية منظومة الامام الأخضرى فى التصوف ﴾

عنيت بنشرها وتصحيحها لأول مرة سنة ١٣٤٨
ادارة الطباعة المنيرية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين * والصلاة والسلام على نبينا محمد سيد المرسلين * وعلى آله الأطهار*وأصحابه الأخيار * ومن تبع هديهم الى يوم الدين *

أما بعد فلما كان الامام الحافظ العلامة ابن الصلاح قد بلغ من جلالة القدر وسعة العلم ماهو فى غنى عن التعريف به وكانت فتاويه قدجمعت من الفوائد مالا يستغنى عنه طالب علم أو راغب فى معرفة وهى أربعة أقسام: التفسير، والأصول والعقائد، والحديث، والفقه، فقدعزمنا على طبع الثلاثة الأقسام الأول نظراً لان فائدتها عامة يغترف من فيضها كل راغب فى الافادة والاستفادة ويتناولها أرباب المذاهب على السواء واكتفينا بهذه الفائدة عن القسم الرابع لانحصار فائدته فى مذهب واحد انتشرت فيه المؤلفات الجمة *

وقد صدرنا هذا الكتاب — فتاوى ابن الصلاح — بترجمة موجزة ليطلع القراء على ما كان عليه رحمه الله تعالى *

هو الشيخ أبو عمرو تقى الدين عثمان بن عبد الرحمن بن موسى بن أبى نصر الشهرزورى الشافعى المشهور بابن الصلاح أحد أئمة المسلمين علماً وديناً ، ولد سنة سبع وسبعين وخمسمائة فى شرخان — بفتح الشين المثلثة والخاء المعجمة وبعد الألف نون — قرية من أعمال إربل قريبة من شهرزور ، قرأ الفقه على والده الصلاح ، ثم نقله والده الى الموصل واشتغل بها مدة ويقال انه كرر جميع كتاب المهذب فى مذهب الشافعى لابى إسحق الشيرازى قبل أن يطر شاربه ، ثم انه تولى الاعادة عند الشيخ العلامة عماد الدين امام المنقول والمعقول أبى حامد بن يونس بالموصل أيضا وأقام قليلا ثم سافر الى خراسان فأقام بها زمانا وحصل علم الحديث هناك ، ثم رجع الى الشام وتولى التدريس بالمدرسة الصلاحية فى القدس المنسوبة الى صلاح الدين الأيوبى وأقام بها مدة واشتغل الناس عليه وانتفعوا به ، ثم انتقل الى دمشق وتولى التدريس بالمدرسة الرواحية التى أنشأها الزكى أبو القاسم هبة الله بن عبد الواحد بن رواحة الحموى وهو الذى أنشأ المدرسة الرواحية بحلب أيضا ، ولما بنى

الملك الأشرف ابن الملك العادل ابن أيوب دار الحديث بدمشق فوض تدريسها اليه واشتغل الناس عليه بالحديث ، ثم تولى مدرسة ست الشام زمرد خاتون بنت أيوب وهي شقيقة شمس الدولة توران شاه ابن أيوب الواقعة في داخل البلد قبلي البيمارستان النوري *

قال ابن خلكان كان رحمه الله يقوم بوظائف الجهات الثلاث في غير اخلال بشيء إلا بعذر ضروري لابد منه، وكان أحد فضلاء عصره في التفسير والحديث والفقه وأسماء الرجال وما يتعلق بعلم الحديث ونقل اللغة ، وكانت له مشاركة في فنون عديدة ، وكانت فتاويه مسددة، وكان في العلم والدين على جانب عظيم، وهو أحد مشايخي الذين انتفعت بهم *قدمت عليه في أوائل شوال سنة أثنتين وثلاثين وستمائة وأقمت عنده بدمشق ملازم الاشتغال مدة سنة ونصف *

صنف في علوم الحديث كتابا نافعاً سماه كتاب علوم الحديث واشتهر بمقدمة ابن الصلاح ، وكذلك في مناسك الحج جمع فيه أشياء حسنة يحتاج الناس اليها وهو مبسوط ، وله إشكالات على كتاب الوسيط للغزالي في الفقه الشافعي، وجمع بعض أصحابه فتاويه في مجلد. وهي التي شرعت الادارة في طبع أقسامها الثلاث الأول *

وأعرضنا عن ذكر مشايخه الكثيرين وتلامذته الذين بلغ مشاهيرهم عدداً عظيما اختصاراً للبحث *

كان ابن الصلاح كاسمه عنواناً للصلاح منذ صغره الى أن انتقل من دار الدنيا، فقد نقل السبكي في طبقات الشافعية عن ابن الصلاح أنه قال : مافعلت صغيرة في عمري قط وهذا فضل من الله عظيم أي أنه قال ذلك تحدثا بنعمة الله تعالى (وأما بنعمة ربك فحدث)[1] *

ولم يزل أمره جاريا على السداد والصلاح والاجتهاد في الاشتغال والنفع الى أن توفي يوم الأربعاء وقت الصبح وصلي عليه بعد الظهر وهو الخامس والعشرون من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين وستمائة بدمشق، وازدحم عليه الخلق فصلي عليه بالجامع الأموي وشيعوه الى باب الفرج فصلي عليه بداخله ثانيا ورجع الناس لأجل حصار البلد بالخوارزمية، وخرج به عشرة من تلامذته مشمرين مخاطرين بأنفسهم فدفنوه بطرف مقابر الصوفية وقبره على الطريق في طرفها الغربي ظاهر يزار ويتبرك به اهـ من تاريخ ابن خلكان وتذكرة الحفاظ للذهبي وطبقات الشافعية لتاج الدين السبكي والله أعلم *

إدارة الطباعة المنيرية

[1] ـ الضحى ١١

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم لا إله إلا الله عدة للقائه * ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا * ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير *

الحمد لله رب العالمين * والعاقبة للمتقين * ولا عدوان إلا على الظالمين * والصلاة والسلام الأكملان أبدا على سيد المرسلين وسائر النبيين * وآلهم وصحبهم أجمعين * اللهم ألهمنا رشدنا * وأعذنا من شرور أنفسنا * ومن شر الأشرار وكيد الفجار * وارزقنا طهارة الأسرار ومرافقة الأبرار * وأعذنا من عذاب النار برحمتك يا عزيز يا غفار *

هذه الفتاوى التى صدرت من شيخنا وسيدنا الامام العالم مفتى الشام شيخ الاسلام تقى الدين أبى عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن موسى بن أبى نصر البصرى الشهرزورى المعروف بابن الصلاح * أثابه الله الجنة وغفر له ولهم ولجميع المسلمين آمين *

اعتنى بها و بجمعها على حسب الامكان من تلامذته وأصحابه شيخنا وسيدنا الشيخ الامام الجليل العلامة العالم العامل الزاهد العابد الورع مجموع أنواع المحاسن كمال الدين أبو ابراهيم * إسحق بن أحمد بن سليمان المغربى * ثم المقدسى ثم الدمشقى رضى الله عنه * طلباً للفائدة ورجاء الأجر والثواب * وأسأل الله عز وجل أن ينفع بها إنه قريب مجيب وعلى ذلك قدير * وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب * رتبها الشيخ كمال الدين المذكور على أربعة أقسام * قسم فى شرح آيات من كتاب الله تعالى، وقسم فى شرح أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يتعلق بها من الدقائق ، وقسم ثالث يتعلق بالعقائد والأصول، وقسم رابع فى الفقه على ترتيبه *

﴿ القسم الأول فى شرح آيات من كتاب الله عز وجل ﴾

فمن ذلك ﴿ مسألة ﴾ فى قوله تبارك وتعالى (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها) الى آخر الآية ، قال المستفتى: نحب تفسيرها على الوجه الصحيح بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصحاح أو بما أجمع أهل الحق على صحته ، وقوله تبارك وتعالى (قالوا أضغاث أحلام) ما معنى أضغاث أحلام ؟ * ومن أين يفهم المنام الصالح من المنام الفاسد ؟ *

﴿ أجاب ﴾ رضى الله عنه أما قوله تبارك وتعالى (الله يتوفى الأنفس حين موتها) فتفسيره: الله يقبض الأنفس حين انقضاء أجلها بموت أجسادها والتى لم تمت يقبضها أيضاً عند نومها فيمسك التى قضى عليها بموت أجسادها فلا يردها الى أجسادها و يرسل الأخرى التى لم تقبض بموت أجسادها حتى تعود الى أجسادها الى أن يأتى أجلها المسمى لموتها (ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) * لدلالات للمتفكرين على عظيم قدرة الله سبحانه وتعالى وعلى أمر البعث فان الاستيقاظ بعد النوم شبيه به ، ودليل عليه ، نقل أن فى التوراة : يا ابن آدم كما تنام تموت و كما تستيقظ تبعث فهذا واضح ، والذى يشكل فى ذلك ان النفس المتوفاة فى المنام أهى الروح المتوفاة عند الموت أم هى غيرها فان كانت هى الروح فتوفيها فى النوم يكون بمفارقتها للجسد أم لا ، وقد أعوز الحديث الصحيح والنص الصريح والاجماع أيضا لوقوع الخلاف فيه بين أهل العلم: فمنهم من يرى أن للانسان نفساً تتوفى عند منامه غير النفس التى هى الروح. والروح لا تفارق الجسد عند النوم. و تلك النفس المتوفاة فى النوم هى التى يكون لها التمييز والفهم* وأما الروح فبها تكون الحياة و لا تقبض الا عند الموت و روى هذا المعنى عن ابن عباس رضى الله عنهما * ومنهم من ذهب الى أن النفس التى تتوفى عند النوم هى الروح نفسها، واختلف هؤلاء فى توفيها، فمنهم من يذهب الى أن معنى وفاة الروح بالنوم قبضها عن التصرفات مع بقائها فى الجسد وهذا موافق للاول من وجه ومخالف من وجه وهو قول بعض أهل النظر منا ومن المعتزلة ، ومنهم من ذهب الى أن الروح تتوفى عند النوم بقبضها من الجسد ومفارقتها له وهذا الذى نجيب عنه به وهو الأشبه بظاهر الكتاب والسنة، وقد أخبرنا الشيخ أبو الحسن بن أبى الفتوح النيسابورى قال أخبرنا جدى أبو محمد العباس بن محمد الطوسى عن القاضى أبى سعيد الصرخرادى عن الامام أبى أسحق أحمد بن محمد الثعلبى رحمه الله قال قال المفسرون أرواح الأحياء والأموات تلتقى فى المنام فيتعارف منها ما شاء الله فاذا أراد جميعها الرجوع الى أجسادها

١ ـ الزمر ٤٢
ـ يوسف ٤٤

أمسك الله أرواح الأموات عنده وحبسها وأرسل أرواح الأحياء حتى ترجع الى أجسادها، فلفظ هذا الامام في هذا الشأن يعطى أن هذا قول أكثر أهل العلم بهذا الفن، وعند هذا فيكون الفرق بين القبضين والوفاتين أن الروح في حالة النوم تفارق الجسد على أنها تعود اليه فلا تخرج خروجا تنقطع به العلقة بينها وبين الجسد بل يبقى أثرها الذى هو حياة الجسد باقيا فيه، فأما في حالة الموت فالروح تخرج من الجسد مفارقة له بالكلية فلا تخلف فيه شيئا من أثرها فلذلك تذهب الحياة معها عند الموت دون النوم ثم ان ادراك كيفية ذلك والوقوف على حقيقته متعذر فانه من أمر الروح وقد استأثر بعلمه الجليل تبارك وتعالى فقال تبارك وتعالى (قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا)[1]، وأما قوله تبارك وتعالى (قالوا أضغاث أحلام) فان الأضغاث جمع ضغث وهو الحزمة التى تقبض بالكف من الحشيش ونحوه، والأحلام جمع حلم وهى الرؤيا مطلقا وقد تخص بالرؤيا التى تكون من الشيطان ولما روى في حديث الرؤيا مطلقاً من الله تعالى والحلم من الشيطان، فمعنى الآية أنهم قالوا للملك ان الذى رأيته أحلام مختلطة فلا يصح تأويلها، وقد أفرد بعض المعبرين اصطلاحا لاضغاث أحلام فذكر أن من شأنها أنها لا تدل على الامور المستقبلة وانما تدل على الامور الحاضرة و الماضية ويجمعها أن يكون الرائى خائفا من شيء أو يكون راجيا لشيء. وفي معنى الخوف والرجاء الحزن على شيء والسرور بشيء فاذا نام من اتصف بذلك كذلك رأى في نومه ذلك الشيء بعينه ويكون خاليا من شيء هو محتاج اليه كالجائع والعطشان يرى في نومه كأنه يأكل ويشرب أو يكون ممتلئا من شيء فيرى كأنه ينجسه كالممتلىء من الطعام يرى أنه يقذف وذكر أن هذه الأمور الأربعة مهما سلم الرائى منها فرؤياه لا تكون من أضغاث الاحلام التى لا تعبير لها وهذا الذى ذكره ضابط حسن لو سلم في طرفيه لكن الحصر شديد وما ذكره فغيره من المنامات الفاسدة شاركته في الاندراج في قبيل الاضغاث، وأما سؤاله من أين يفهم المنام الصالح من المنام الفاسد فان للرؤيا الفاسدة أمارات يستدل بها عليها وما تقدم حكايته في شرح أضغاث الأحلام طرف منها، فمنها أن يرى مالا يكون كالمحالات وغيرها مما يعلم أنه لا يوجد بأن يرى الله سبحانه على صفة مستحيلة أو يرى نبيا يعمل عمل الفراعنة أو يرى قولا لا يحل التفوه به، ومن هذا القبيل ما جاء في الحديث الصحيح من أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم «إنى رأيت رأسى قطع وأنا أتبعه» الحديث المعروف، وهذه هى الرؤيا الشيطانية

[1] ١ ـ الاسراء ٨٥

التى ورد الحديث بأنها تحزين من الشيطان أو تلعب منه بالانسان ، ومن هذا النوع الاحتلام فانه من الشيطان ولهذا لا تحتلم الأنبياء ، ومن أمارات الرؤيا الفاسدة أن يكون ما رآه فى النوم قد رآه فى اليقظة وأدركه حسه بعهد قريب قبل نومه وصورته باقية فى خياله فيراها بعينها فى نومه ، ومنها أن يرى ما قد حدثته به نفسه فى اليقظة ويكون مما قد يفكر فيه قبل النوم بمدة قريبة اما مما قد مضى أو من الحاكى أو مما ينتظر المستقبل * ومنها أن يكون ما رآه مناسبا لما هو عليه من تغيير المزاج بأن تغلب عليه الحرارة من الصفراء فيرى فى نومه النيران والشمس المحرقة أو تغلب عليه البرودة فيرى الثلوج أو تغلب عليه الرطوبة فيرى الأمطار والمياه أو تغلب عليه اليبوسة والسوداء فيرى الأشياء المظلمة أو الأهوال والادواء السوداوية فجميع هذه الأنواع فاسدة لاتعبير لها *

فاذا سلم الانسان فى رؤياه من هذه الأمور غلب على الظن صحة رؤياه وتقع العناية بتعبيرها واذا انضم الى ذلك كونه من أهل الصدق والصلاح فرأى الظن بأنها صادقة صالحة ، وفى الحديث الثابت عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم «أصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً» ومن أمارات صدقها من حيث الزمان كونها فى الاسحار لحديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أصدق الرؤيا بالأسحار فكونها عند اقتراب الزمان فى قوله صلى الله عليه وسلم فيما صح عنه «إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المسلم تكذب» واقتراب الزمان قيل هو اعتداله وقت استواء الليل والنهار ويزعم المعبرون أن أصدق الرؤيا ما كان أيام الربيع وقيل اقتراب الزمان قرب قيام الساعة * ومن أمارات صلاحها أن تكون تبشيراً بالثواب على الطاعة أو تحذيراً من المعصية ثم إن القطع على الرؤيا بكونها صالحة لاسبيل اليه وإنما هو غلبة الظن : ونظير ذلك من حال اليقظة الخواطر ومعلوم أن إدراك ماهو منها — مما هو باطل — عن طريق إن نظن إلا ظناً والله أعلم *

(مسألة) قول الله تعالى (اتقوا الله حق تقاته)[1] ماهى الخصال التى إذا فعلها الانسان كان متقياً لله حق تقاته وهل نسخت هذه الآية بقول الله عز وجل (فاتقوا الله ما استطعتم)[2] أم لا *

﴿ الجواب ﴾ لم تنسخها بل فسرتها وحق تقاته أن يطاع فلا يعصى غير أنه إذا تجنب الكبائر ولم يصر على الصغائر وإذا عمل صغيرة يعقبها بالاستغفار كان من جملة المتقين والله أعلم *

﴿ مسألة ﴾ قوله عز وجل (إن تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم)[3]

١ ـ آل عمران ١٠٢
٢ ـ التغابن ١٦
٣ ـ النساء ٣١

الى آخر الآية ما الكبائر والصغائر ؟ وكم المتفق عليه من الكبائر؟ وما الفرق بين الكبائر والصغائر ؟ وهل تحتاج الصغائر الى توبة أم لا ؟ وهل تذهب الصغائر بالصلوات كما جاء في الحديث أم لابد مع ذلك من التوبة . وإذا احتاجت إلى التوبة فما الفرق بينها وبين الكبائر؟ و بماذا يعد المصر على الصغيرة مصراً بفعل الصغيرة مرة واحدة أم مراراً أم بالعزم والنية ؟ فان قلنا بالفعل مراراً فما عدد تلك المرات ؟ *

﴿ أجاب ﴾ رضى الله عنه : قد اختلف الناس في الصغائر والكبائر في وجوه : منهم من نفي الفرق من الأصل وجعل الذنوب كلها كبائر وهو مذهب مطرح والذين أثبتوا الفرق وهم الجماهير اضطربت أقوالهم في تحديد الكبائر وتعديدها وقد قلت في ذلك قولا رجوت أنه صواب وهو أن الكبيرة كل ذنب كبر وعظم عظما يصح معه أن يطلق عليه اسم الكبيرة و وصف بكونه عظيما على الاطلاق فهذا أصل لها عن الصغيرة التي وان كانت كبيرة بالاضافة الى مادونها فليست كبيرة يطلق عليها الوصف بالكبر والعظم إطلاقاً : ثم إن لكبر الكبيرة وعظمها امارات معرفة بها * منها إيجاب الحد ومنها الايعاد عليها بالعذاب بالنار ونحوها في الكتاب والسنة : ومنها وصف فاعلها بالفسق نصاً : ومنها اللعن كما في قوله « لعن الله من غير منار الأرض » في أشباه لذلك لا نحصيها ، وعند هذا يعلم ان عدة الكبائر غير محصورة والله أعلم * وأما الصغائر فقد تمحى من غير توبة بالصلاة وغيرها كما جاء به الكتاب والسنة وذلك أن فاعل الصغيرة لو أتبعها حسنة أو حسنات وهو غافل عن الندم والعزم على عدم العود المشترطين في صحة التوبة لكان ذلك ماحيا لصغيرته ومكفرا لها كما ورد به النص وان لم توجد منه التوبة لعدم ركنها لا لتلبسه باضدادها والمصر على الصغيرة من تلبس باضداد من اضداد التوبة باستمرار العزم على المعاودة أو باستدامة الفعل بحيث يدخل به ذنبه في حيز ما يطلق عليه الوصف ليصير وزنه كبيراً وليس لزمان ذلك وعدده حصر والله أعلم *

﴿ مسألة ﴾ في قوله تعالى (وان ليس للانسان إلا ما سعى)[1] وقد ثبت أن اعمال الابدان لا تنتقل وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم « إذا مات الانسان انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعوله » وقد اختلف في القرآن هل يصل إلى الميت أم لا؟ وكيف يكون الدعاء يصل اليه والقرآن أفضل ؟ *

[1] - النجم ٣٩

﴿ أجاب ﴾ رضى الله عنه هذا قد اختلف فيه وأهل الخير وجدوا البركة في مواصلة

الأموات بالقرآن، وليس الاختلاف فى هذه المسألة كالاختلاف فى الأصول بل هى من مسائل الفروع، وليس نص الآية المذكورة دالا على بطلان قول من قال انه يصل فان المراد به انه لاحق له ولا جزاء إلا فيما يسعى، ولا يدخل ما يتبرع به الغير من قراءة ودعاء وانه لاحق له فى ذلك ولا مجازاة و إنما أعطاه الغير تبرعاً، وكذلك الحديث لا يدل على بطلان قوله فانه فى عمله وهذا من عمل غيره *

﴿مسألة﴾ قوله عز وجل (والذاكرين الله كثيراً والذاكرات)[1] ما هو الذكر؟ وما مقداره الذى يصير به المرء من الذاكرين الله كثيراً؟ وهل قراءة القرآن أفضل من سائر الأذكار من التسبيح و التهليل والتكبير؟ وما معنى الحديث الذى روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من قرأ القرآن فله بكل حرف عشر حسنات؟» مع انا نعلم ذلك بقوله عز وجل (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها)[2] فتخصيص الخبر بقراءة القرآن بكل حرف عشر حسنات لابد له من فائدة، وما الحكمة فى ذلك؟ وأفضل أوقات الذكر ما هى؟ *

﴿أجاب﴾ رضى الله عنه اذا واظبت على الأذكار المذكورة المثبتة صباحاً ومساء فى الأوقات والأحوال المختلفة فى ليلة العيد ونهاره وهى مثبتة فى كتاب (عمل اليوم والليلة) كان من الذاكرين الله كثيراً، وقراءة القرآن أفضل من سائر الأذكار، وقوله له بكل حرف عشر حسنات فيه فائدة زائدة وهى الاعلام بأن الحسنة هنا ليست محصورة فى أن يأتى بالكلمة بكمالها بل تحصل بحرف منها وأفاضل أوقات الأذكار هى الأوقات الشريفة المعروفة اذا اقترنت بالأحوال الصافية *

﴿مسألة﴾ قوله عز وجل (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤن ويمنعون الماعون)[3] من الساهون و المراؤن و الذين يمنعون الماعون؟ وهل اذا فعل إحدى الثلاث كان من أصحاب الويل أم إذا فعل الثلاث؟ *

﴿أجاب﴾ رضى الله عنه الساهون هم الغافلون عن الصلاة التاركون لها و المراؤن من يعمل ما هو طاعة لغير الله أو لله ولغير الله (و الذين يمنعون الماعون) اختلفوا فيه والأظهر أن الماعون مهمات آلات البيت من قدر ومغرفة وفأس وطس

[1] - الأحزاب ٣٥
[2] - الأنعام ١٦٠
[3] - الماعون ٤ - ٧

واشباهها هذا لما كانت الاعارة واجبة وهو ظاهر الآية ثم نسخ ،والأظهر منهما ان استحقاق الويل مخصوص بمن جمع الثلاث والله أعلم .

﴿ مسألة ﴾ قول الله تعالى (فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها ان ذلك لمحيي الموتى[1]) لم أمرنا بالنظر الى الأثر ولم يأمرنا بالنظر الى الرحمة ؟ وهل يجوز لأحد أن يفسر القرآن بما يخطر في نفسه أو يغلب على ظنه من غير نقل عن أحد من المفسرين ومن غير علم بالعربية واللغة ؟

﴿ أجاب ﴾ رضى الله عنه إنما كان ذلك كذلك لان الآية واردة للأمر بالنظر الى المطر الذى (يحيي الأرض بعد موتها) والمطر الذى هذا شأنه وسائر صنوف الانعام آثار الرحمة لا نفس الرحمة فان الرحمة عند المحققين من صفات الذات نحو الارادة ولا سبيل الى النظر اليها ومهما سمي المطر وغيره من وجوه الانعام رحمة فعلى سبيل التجوز والأصل هو الأول، وأما تفسير القرآن ممن هو على الصفة المذكورة فمن كبائر الاثم، ورووا عن ابن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنه قال من قال فى القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار » وفى رواية «من قال فى القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار » خرجه أبو عيسى فى جامعه، وخرج أيضاً عن جندب : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من قال فى القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ» الحديث الأول من حسانها والثانى دونه والمفسر الموصوف قائل فى القرآن قولا لا يستند الى أصل ولا حجة تعتمد وهذا هو القول بالرأى المذموم قائله، وقوله فى الرواية الأخرى «من قال فى القرآن بغير علم» كالمفسر لهذا ونسأل الله العصمة من ذلك ومن سائر ما يسخطه سبحانه وهو سبحانه أعلم .

﴿ مسألة ﴾ قول الله عز وجل (كل من عليها فان ويبقى[2]) والابتداء بما بعده وفى الوقف على (فان) وفيمن قال إنما الوقف على قوله عز وجل (ويبقى) دون قوله (فان) .

﴿ أجاب ﴾ رضى الله عنه الوقف على (ويبقى) مما يجب أن يعاف ويتقى لأنه مع أنه مخالف قول من تناهى الينا قوله من قارئ القرآن العظيم ومقرئيه والعلماء فانه يدفعه الدليل ويأباه لأنه ترك الظاهر الأسبق الى الفهم وقد تقرر أنه غير سائغ الا مستند يقوى قوة يصير به خلاف الظاهر أرجح منه وليس للوقف على يبقى مستند يتنزل هذه المنزلة ولا قريباً منها وقصارى الصائر اليه أن يبين اتجاهه بمعنى أو بمجيئه عن متقدم نقلا واحتماله معنى لا يسوغه مع الأظهر

[1] - الروم ٥٠
[2] - الرحمن ٢٦

غيره ونقله عن متقدم لو يردفي يده لم ينفعه لأنه لا يجوز المدول عن قول الجماهير بمجرد قول وارد ، هذا وأن فيه إثبات تفسير الآية أو نحوه بنمت الشذوذ والقرآن القرآن والجرأة عليه عظيمة وإنما يتوقاها المتقون والله أعلم *

﴿ مسألة ﴾ ماقول أئمة الحديث والتفسير والعلماء بالأيام والسير في البقرة المذكورة في سورة البقرة هل هي أنثى أو ذكر ؟ وفي بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم المسماة بدلدل هل هي أنثى أو ذكر ؟ بينوا ذلك *

﴿ أجاب ﴾ رضي الله عنه كل منهما أنثى لا ذكر ولا نستفيد هذا من هاء التأنيث فيهما فانه يقال : للذكر بقرة و بغلة أيضاً حتى صار بعض الأئمة الشافعيين الى أنه لو أوصى ببقرة أو بغلة جاز إخراج الذكر والأنثى ومن خصص بالأنثى فلغلبة عرف الاستعمال فيها لا أنها في اللغة مخصوصة بالأنثى وإنما استفدنا الأنوثة في المذكورتين من معارف غير ذلك ، أما البقرة ففي آياتها ما يوضح الأنوثة فيها وذلك في غير موضع مما ذكره تبارك وتعالى في صفاتها من ذلك قوله سبحانه وتعالى (عوان بين ذلك)[1] فانه من صفة الانثى النصف وفي التفسير أنها الأنثى التي ولدت بطنا أو بطنين، ومن ذلك قوله تعالى (صفراء فاقع لونها)[2] فانه اذا قيل للذكر بقرة قيل عند الوصف بقرة أصفر لا صفراء وكذلك لا يقال فيه (تسر) بل يسر وفي ذلك غير هذا ، وأما بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم المسماة بدلدل فمن الدليل على أنها كانت انثى ماجاء في خبرها عن موسى بن محمد بن ابراهيم عن أبيه قال كانت دلدل بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم أول بغلة رؤيت في الاسلام أهداها له المقوقس قال الراوي و بقيت حتى كان في زمن معاوية وروى محمد بن سعد بسند له أن إسم بغلة النبي صلى الله عليه وسلم الدلدل وكانت شهباء وكانت بينبع حتى ماتت ثم قال ابن سعد وهو ثقة أخبرنا محمد بن عبدالله الأسدي وقبيصة بن عقبة قالا حدثنا سفيان الثوري عن جعفر عن أبيه قال كانت بغلة النبي صلى الله عليه وسلم تسمى الشهباء وهذا إسناد رجاله آساد ، و بمثل هذا لا يوصف به الذكر وإن أجازوا فيه أن يقال بغلة فلم يجيزوا في صفته وفيما يرجع اليه من الضمائر مثل هذا الذي نراه و بابه ولا التفات في ذلك الى تأنيث اللفظ كما في قولهم طلحة وحمزة فلا يقال طلحة سرتني أو كانت ونحو ذلك ولا حمزة البيضاء بل الأبيض فقط والله أعلم * ثم اذا ضم ما أوردته من أمر

١ - البقرة ٦٨
٢ - البقرة ٦٩

دلدل الى ما رواه البخارى فى صحيحه عن عمرو بن الحارث صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم أخى جويرية بنت الحارث أم المؤمنين وهو أحد الصحابة الذين تفرد البخارى عن مسلم باخراج حديثهم قال «ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته درهما ولا دينارا ولا عبدا ولا أمة ولا شيئا إلا بغلته البيضاء التى كان يركبها وسلاحه وأرضا جعلها لابن السبيل صدقة» ظاهر من ذلك أن بغلته صلى الله عليه وسلم المسماة بدلدل هى التى تسمى البيضاء وكانت تسمى الشهباء، وما ذكره السهيلى صاحب الروض الأنف فى شرح السير من أن المسماة بالبيضاء غير المسماة بدلدل غير مرضى ومعتمد والله أعلم *

﴿ مسألة ﴾ فى قوله سبحانه وتعالى (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم) فعلم الله السابق هو قوله (حتى نعلم المجاهدين منكم) أو هو علم يأتى وسمعت شخصاً يقول فى هذه الآية (حتى نعلم) يتجدد له علم يأتى والحق سبحانه وتعالى له علمان أو علم واحد؟ بين لنا هذا على الوجه الصحيح الذى لا ريب فى الدين *

﴿ أجاب ﴾ رضى الله تعالى عنه الذى قاله الشخص خطأ ولا يتجدد لله علم وانما علمه مختلف متعلقه فتعلق قبل وجود مجاهدتهم بأنه ستوجد مجاهدتهم و بعد وجودها بأنها قد وجدت فاذاً معنى الآية حتى نعلم مجاهدتكم موجودة فنجازيكم عليها والله أعلم *

* القسم الثانى فى شرح أحاديث وردت عن رسول الله ﷺ *

فمن ذلك *(مسألة)* فى قوله صلى الله عليه وسلم «يؤتى بالعالم يوم القيامة فيقال إنما تعلمت ليقال كذا وكذا وقد قيل» الحديث ما معناه الحمل على انه كانت له حسنات غير العلم ؟ فأحبطت نيته فى العلم حسناته وهذا خلاف قوله سبحانه وتعالى (إن الحسنات يذهبن السيئات) أم يحمل على انه لم تكن له حسنة سوى العلم؟ وكذا المجاهد وهذا خلاف الظاهر أم له معنى غير هذين *

﴿ أجاب ﴾ رضى الله عنه هذا فى شخص كان بمثابة لو أخلص فيها فى علمه لنجاه علمه من العذاب الذى وجد مقتضيه فلما لم يخلص نزل به موجب المقتضى لعذابه أو هذا فيمن ترجحت سيئات ريائه بالعلم على حسناته فلم تدفع عنه حسناته عذاب ذنب الرياء فمذب والله أعلم *

﴿ مسألة ﴾ قوله صلى الله عليه وآله وسلم «الصلاة الى الصلاة كفارة لما بينهما والجمعة الى الجمعة كفارة لما بينهما و رمضان الى رمضان كفارة لما بينهما» واذا كانت الصلاة الى الصلاة كفارة لما بينهما فما تكفر الجمعة و رمضان ؟ *

﴿ أجاب ﴾ رضى الله عنه هى كفارات وان لم تصادف شيئاً تكفر بمعنى انها أسباب للتكفير وقد ينتفى عن السبب مسببه لأمر من الأمور ولا يخرجه ذلك عن كونه سبباً ثم جواب آخر وهو أن الصلوات الخمس كفارة للصغائر على ما نطق به الحديث والمرجو أن الكفارة الثانية اذا لم تصادف صغيرة تكفر بعض الكبائر والله أعلم *

(مسألة) فى أن الخبر اذا ورد من جهة الله تعالى لا يتصور وجوده على خلاف المخبر به وهل هو كما أطلق؟ أم ثم فرق بين وعده و وعيده؟ و إذا لم يصح الاطلاق فما الفرق بينهما ؟ وهل يكون فى الفرق أن يقال ان اخلاف الوعد لا يليق بجانبه سبحانه وتعالى والعفو عن الوعيد لائق به أم لا ؟ *

(أجاب) رضى الله عنه نعم :هو على إطلاقه فلا يقع أصلا شىء من أخباره على خلاف مخبره، ومن ذلك الوعد: واما الوعيد فالعفو متطرق اليه وليس ذلك خلفا فى خبره فيه: فان الوعيد مقيد من حيث المعنى بحالة عدم العفو فاذا قال لاعذبن الظالم مثلا فتقديره ان لم أعف أو إلا أن أسامحه أو أتكرم عليه ونحو هذا وهذا القيد عرف من عادة العرب فى ايعاداتها، ومن أخبار الشارع عن ذلك على الجملة والعموم فى مثل قوله صلى الله عليه وسلم فيما رويناه « من وعده الله على عمل ثواباً فهو منجزه له ومن وعده على عمل عقاباً فهو بالخيار ان شاء عذبه وان شاء غفر له » والله أعلم *

(مسألة) روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: « تدخل فقراء أمتى الجنة قبل أغنيائها بنصف يوم » فهل هذا يطلق على الفقير الذى قد جمع بين العلم والعمل؟ أم الفقير الذى قد منع الدنيا ولا حظ له فيها فيكون دخوله الجنة جبراً لقلبه يوم القيامة حيث يتمنى شيئا لا يقدر عليه ؟ وان أطلق على الفقير الذى قد جمع بين العلم والعمل فذلك هو الغنى الأكبر، و ما هو الغنى و الفقير الذى ورد فيهم؟ *

(أجاب) رضى الله عنه، يدخل فى هذا الفقير الذى لا يملك شيئاً و المسكين الذى يملك شيئاً و لكن لا يملك تمام كفايته إذا كانوا مؤمنين غير مرتكبين شيئاً من الكبائر ولا مصرين على شىء من الصغائر و يشترط فى ذلك أن يكونا صابرين على

الفقر والمسكنة راضيين بهما و الله أعلم *

(مسألة) قوله صلى الله عليه وسلم: «خير القرون الذى أنا فيه ثم الذين يلونهم» الحديث: ما الفرق بين هذا و بين قوله صلى الله عليه وسلم على تقدير صحته؟ «أمتى كالغيث لا يدرى أوله خير أم آخره»: وما معنى قوله صلى الله عليه وسلم «للصائم فرحتان؟ فرحة عند إفطاره و فرحة عند لقاء ربه» فالفرحة التى عند افطاره ماهى ؟ كونه يفرح بالأكل والشرب أو فرحه كونه حصلت له عبادة هذا اليوم *

(أجاب) رضى الله عنه أما الحديثان الأولان فلا تناقض بينهما لأن آخر الامة فى الحديث الثانى المضطرب عبارة عن المهدى و عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم و من معهماء و أما فرحة الصائم عند فطره فجائز حملها على الأمرين فرحة النفس بما يتناول ولا محذور فيها. و فرحة بتمام العبادة الفاضلة له :و الله أعلم*

(مسألة) قوله صلى الله عليه وسلم «انها من الطوافين عليكم» على ماذا الحمل؟ وهو أنى نعقله عن الصبيان الصغار من الأولاد الذين لا يمكنهم التحرز منهم كما لا يمكن فى الطوافات للعلة ولو انتفت النجاسة منهم فى محل العفو عنها فى مثله منها*

(أجاب) رضى الله عنه الطوافون الخدم والطوافات الخادمات وأفواه الاطفال التى تغلب نجاستها فالظاهر انها كافواه السنانير فى العفو والله أعلم *

(مسألة) روى أبو عبدالله البخارى وأبو الحسين مسلم رحمهما الله فى صحيحيهما من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه حدثنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق «ان أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله الملك» وذكرنا فى الحديث وفى الحديث الذى انفرد به مسلم باخراجه من حديث أبى سريحة حذيفة بن أسيد الغفارى انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله اليها ملكا فصورها» وذكرنا الحديث* ففى الحديث الأول اشعار بان الله تعالى يرسل الملك بعد مائة وعشرين ليلة وفى الحديث الثانى تصريح بان الملك يبعث بعد أربعين ليلة فكيف الجمع بين هذين الحديثين؟ *

(أجاب) رضى الله عنه حديث حذيفة بن أسيد هذا لم يخرجه البخارى فى كتابه ولعل ذلك لكونه لم يجده ملتئما مع حديث ابن مسعود رضى الله عنهما ووجد حديث

ابن مسعود أقوى وأصح فارتاب بحديث حذيفة الذى مداره على أبي الطفيل عامر ابن واثلة عنه فاعرض عنه فاما مسلم فانه خرج الحديثين معاً فى كتابه فاحوجنا إلى تطلب وجه يلتئمان به ولا يتنافران وقد وجدناه ولله الحمد الأتم، فاقول: الملك يرسل غير مرة الى الرحم يرسل مرة عقيب الأربعين الأولى بدلالة حديث حذيفة بن أسيد بألفاظه فى رواياته المتعددة فيكتب أجله ورزقه وعمله وحاله فى السعادة والشقاوة وغير ذلك ويرسل مرة أخرى عقيب الأربعين الثالثة فينفخ فيه الروح بدلالة حديث ابن مسعود وغيره ثم انه يشكل وراء هذا من حديث حذيفة فى قوله فى بعض رواياته عند ذكر ارسال الملك عقيب الأربعين الأولى «فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال يارب أذكر أم أنثى؟ فيقضى ربك مايشاء ويكتب» الى آخره ومن المعلوم أن هذا التصوير لا يكون فى الأربعين الثانية فانه يكون فيها عاقة وانما يكون هذا التصوير قريبا من نفخ الروح وهكذا روينا ذلك مصرحا به فى بعض روايات حديث حذيفة خارج الصحيح وسبيل الجواب عن هذا الاشكال أن يحمل قوله «فصورها» على معنى فصورها قولا وكتبا لا فعلا أى فذكر تصويرها وكتب ذلك، والدليل على صحة هذا ان جعلها ذكرا أو أنثى يكون مع التصوير المذكور وقد قال فى جعلها ذكرا أو أنثى فيقضى ربك ماشاء ويكتب الملك إلى آخره ويشكل أيضا من حديث ابن مسعود ان البخارى رواه بهذا اللفظ وهو أن خلق أحدكم يجمع فى بطن أمه أربعين يوماً أو أربعين ليلة ثم يكون علقة مثله ثم يكون مضغة مثله ثم يبعث اليه الملك فيؤذن باربع كلمات فيكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح ثم يبعث اليه الملك بحرف ثم يقتضى تأخير كتب الملك الأمور الاربعة الى مابعد الأربعين الثالثة * وحديث حذيفة بن أسيد قاض بتقديم كتب الملك لذلك عقيب الاربعين الاولى وسبيل الخروج عن اشكال ذلك أن يحمل قوله «ثم يبعث اليه الملك فيؤذن فيكتب» معطوفا على قوله «يجمع فى بطن أمه أربعين يوما» متعلقا بهذا لا بالذى يليه قبله وهو قوله ثم يكون مضغة مثله ويكون قوله «ثم يكون علقة مثله ثم يكون مضغة مثله» اعتراضاً وقع بين المعطوف والمعطوف عليه والاعتراض بأمثال ذلك فى كتاب الله تعالى وكلام العرب غير قليل * من ذلك قوله سبحانه وتعالى (فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد فى السموات

والأرض وعشيا وحين تظهرون[١]) فقوله(وعشياً)ليس متعلقا بالذى يليه وهو قوله(وله الحمد فى السموات والارض) ومعطوفا عليه بل متعلقا بما سبق من قوله(وحين تصبحون)وقوله (وله الحمد فى السموات والارض)اعتراض بينهما اذا عرفت هذا فقوله «ثم ينفخ فيه الروح» متصل بقوله« ثم يكون مضغة مثله» لأنه فى شبه التأخير لما ذكرناه فافهم ذلك واعرفه وارعه فانه مشكل عويص جداً ولا أحد نعلمه قدتقدم بحله وقد أوضحته إيضاحا ينشرح صدر الفاهم الآهل والله سبحانه المحمود حقا،وكان الحافظ عياض بن موسى القاضى من المغاربة قد تعرض لذلك مقتصراً على رواية مسلم لحديث ابن مسعود وذلك فيها بحرف الواو لابحرف ثم ولفظها« ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات يكتب رزقه» الى آخره وأجاب بان الواو لاتقتضى ترتيبا وهذا الذى أتى به سهل لايتأتى مثله فى رواية البخارى التى هدانا الله الكريم لشرح معناها ولله الحمد كله وهو أعلم *

﴿ مسألة ﴾ قوله عليه السلام «التائب من الذنب كمن لاذنب له» هل خرج فى الصحيحين أم لا ؟ وهل يصير فى عقيب التوبة كمن لاذنب له ليحكم القاضى برشده فى تزويج ابنته أو موليته؟ أم لابد من اصلاح العمل بعد التوبة إلى مدة معلومة؟ وكيف حكم الله فى ذلك؟ *

﴿أجاب﴾ رضى الله عنه لم يخرج فى الصحاح ولم نجد له اسناداً ثبت بمثله الحديث والتائب يلتحق عند بعض أصحابنا بالمستور من غير توقف على اصلاح العمل فى المدة المعلومة ولا بأس بالعمل بهذا والمستور يلى التزويج ولا يخرج على الخلاف فى الفاسق *

﴿ مسألة ﴾ رجلان تشاجرا فى قوله صلى الله عليه وسلم «ينزل ربكم فى كل ليلة الى سماء الدنيا» الحديث بتمامه فقال أحدهما للآخر الحديث يتأول وقال الآخر بل هو كما جاء ليس فيه تأويل بل ينزل وكذا فى جميع الصفات والآيات والأخبار * وكل واحد يدعى الصحة فى قوله *

﴿ أجاب ﴾ رضى الله عنه الذى عليه الصالحون من السلف والخلف رضى الله عنهم الاقتصار فى ذلك جميعه على الإيمان الحق بها والاعراض عن الخوض فى معانيها مع اعتقاد التقديس المطلق وإنه ليس معناها مانفهم من مثلها فى حق المخلوق والله أعلم *

[١] - الروم ١٧ - ١٨

﴿ مسألة ﴾ فى معنى قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى يرويه أبو هريرة رضى الله عنه وهو قوله « كل مولود يولد على الفطرة » المذكورة وهى فطرة الاسلام أو الفطرة التى هى الخلق والابداع والاختراع *

(أجاب) رضى الله عنه معناه والله أعلم انه يولد غير متلبس بحقيقة الكفر فانه بالاعتقاد ولا وجود له قطعاً فأبواه يهودانه قبل البلوغ من حيث الأحكام تبعاً و بعد البلوغ بتقليده إياهم فى حقيقة الكفر مباشرة منه وملابسة منه للكفر ، وأما ما ورد من أن الشقى من شقى فى بطن أمه فالمراد به ـ أن يكتب الملك عليه ـ اخبار عما يوجد منه اذا باشر الكفر ، وفى قوله « الله أعلم بما كانوا عاملين » إشعار بأنه قد يكتب عليه الشقاء و يحكم به عليه بناء على ما يعلمه الله تعالى منه من أنه لو أحياه الله الى حين يستقل بالايمان والكفر لاختار الكفر وكفر كما جاءت الرواية بذلك مصرحا به فى بعض الأحاديث فيخرج من ذلك انا لا نستلزم الحكم بأن من مات من أطفال المشركين فهو فى الجنة وكذا فى أشباههم من المجانين والله أعلم *

(مسألة) فى معنى قراءة النبى صلى الله عليه وسلم على أبى (لم يكن الذين كفروا)[1] بأمر الله تعالى ما المراد بذلك ؟ وما وجه تخصيص هذه السورة بالذكر ؟ وما الحكمة فى ذلك ؟ *

(أجاب) رضى الله عنه فى ذلك فوائد منها كونه سن بذلك عرض القرآن على من يحفظه و يعرف كما هو المعروف من قراءة القرآن على المقرئ ، ومنها ان أبياً كان موثوقا به فى الأخذ والأداء عنه صلى الله عليه وسلم ففعل ذلك ليؤدى عنه وفيه حض له على التصدير لقراءة القرآن عليه فكان رضى الله عنه بعده صلى الله عليه وسلم رأساً ، وأما تخصيص هذه السورة فمن المعنى فيه أنها مع وجازتها جامعة لأصول وقواعد ومهام عظيمة وكان الوقت يقتضى ترك التطويل والله أعلم *

(مسألة) قول النبى صلى الله عليه وسلم « لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من قعر عدن تسوق الناس الى المحشر » فهل يكون هذا السوق قبل موت الخلق أو بعد خروجهم من الأجداث ؟ *

(أجاب) رضى الله عنه بل قبل موت الخلائق وقوله « لا تقوم الساعة » شاهد بذلك والله أعلم *

[1] ـ البينة ١

(مسألة) فيما روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال: «لعن الله من أكرم غنيا لغناه وأهان فقيراً لفقره» وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال: «لعن الله من أكرم بالغنى وأهان بالفقر» هل يدخل تحت هذا اللعن شيخ يزار يجيه الفقير والغنى وابناء الدولة وهو من ذوى الولايات والتسلط فيتكلف لابناء الدنيا ويحضر للفقير ما يتيسر أم لا؟ *

(أجاب) رضى الله عنه اما أولا فان هذين الحديثين لا نعرفهما من جهة تصح، تقوم بها الحجة، وقد أخرج أبوشجاع شيرويه الهمذانى صاحب الفردوس فيه من حديث أبى ذر الغفارى رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال «لعن الله فقيراً تواضع لغنى من أجل ماله من فعل ذلك منهم فقد ذهب ثلثا دينه» لكن ليس ذلك مما يقع عليه الاعتماد فان صاحب الفردوس جمع فيه بين الصحيح والسقيم وبلغ به الانحلال الى أن أخرج أشياء من الموضوع، ويدانى هذا الحديث فى معناه ماروى من أنه «من تضعضع لغنى ذهب ثلثا دينه» وأخبرت عن أبى الفتوح الشادياخى وغيره قالوا حدثنا الاستاذ أبو القاسم القشيرى قال سمعت الاستاذ أبا على الدقاق يقول فى الخبر «من تواضع لغنى لأجل غناه ذهب ثلثا دينه» وإنما ذلك لان المرء بقلبه ولسانه ونفسه فاذا تواضع لغنى بنفسه ولسانه ذهب ثلثا دينه فان اعتقد فضله بقلبه كما تواضع له بلسانه ذهب دينه كله هذا كلامه*

ثم إنا نعلم ان هذه الأحاديث وإن لم تثبت من حيث الرواية فما تقتضيه من ذم اكرام الغنى لغناه وإهانة الفقير لفقره ثابت صحيح وذلك ان لم ينته فاعله الى فظاعة اللعن وذهاب ثلثى الدين فهو منكر قبيح على الجملة فان فيه تعظيم الدنيا التى هى مجمع الآفات وأم الخبائث ويستلزم ذلك من ضعف قوى التقوى أمراً عظيما لكنها لا تتناول من أكرم الغنى مطلقاً بل من أكرم الغنى لأجل غناه اى كان الباعث له على إكرامه ماعنده من الدنيا واستعظام مااتصف به من الغنى فلا يدخل فى ذلك من أكرم الغنى لمعنى آخر لا يذمه الشرع ويأباه بأن يقصد به حفظ قلب الغنى بأنه ان لم يفعل تأذى او ترغيبه فى اكرام الأضياف او يريد به دفع شره وصيانة نفسه وإياه عن محذور غيبته او توطئته لما يريد ان يأمره به من الخير فهذا وما أشبهه من المقاصد الصحيحة اذا اقترن بفعل ذلك فهو حسن غير مذموم والفاعل له بنية التقرب مأجور غير مأزور وتكلف هذا المذكور لابناء الدنيا اذا كان لشىء من هذه المقاصد المستقيمة فليس من اكرام الغنى لغناه فى شىء وكذلك اقتصاره فى حق الفقير على اختصار ماتيسر اذا كان لكون ذلك

يكفى الفقير و يرضيه من غير أن يقترن به استحقار منه بالفقير و فقره ليس من اهانة الفقير لفقره بسبيل . وقد اخرج أبو داود صاحب السنن فيه عن ميمون بن أبى شبيب «ان عائشة رضى الله عنها مر بها سائل فاعطته كسرة و مر بها رجل عليه ثياب وهيئة فاقعدته فأكل فقيل لها فى ذلك فقالت : امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ننزل الناس منازلهم» فهذا الحديث اصل فى هذا الذى نحن بصدده فليصحح المتحن بذلك مقاصده فيما يأتى منه ومن غيره و يتدبر ففى صحتها صحة اعماله و فى فسادها فسادها و الله الكريم المسؤل توفيقنا و إياه لما يحبه و يرضاه و من يحب والمسلمين آمين آمين وصلى الله على سيدنا محمد و آله أجمعين *

(مسألة) روى عن النبى صلى الله عليه وسلم «ان رجلا من اهل الصفة مات فوجد معه دينار ان فقال النبى صلى الله عليه و سلم كيتان» فما السر فى ذلك و ما المعنى فيه مع ان الدينار ين لاحق فيهما لله تعالى ؟*

(اجاب) رضى الله عنه من الأسباب فى ذلك انه رحمه الله اظهر الفقر وقعد مع الفقراء اهل الصفة الذين لايملكون ديناراً ولا درهما و لم يخرج ديناريه على نفسه و رفقائه و الله اعلم *

(مسألة) سأل سائل الشيخ رحمه الله تعالى وقال ذكرت فى كتابك الذى صنفته فى علوم الحديث فوائد جمة إلا أن فى أوله آو قالوا فى حديث انه غير صحيح فليس ذلك قطعاً بأنه كذب فى نفس الأمر إذ قد يكون صدقاً فى نفس الأمر وانما المراد به انه لم يصح إسناده على الشرط المذكور والله أعلم ، وقد رأينا قد ذكر عن الأئمة انهم قالوا فى الحديث حديث إسناده صحيح ومتنه غير صحيح أو إسناده غير صحيح ومتنه صحيح أو إسناده مجهول ومتنه مجهول أو إسناده صحيح ومتنه صحيح أو إسناده ضعيف ومتنه ضعيف .وأيضاً لهم كتب الموضوعات و يقولون من فلان الى فلان الله أعلم من وضعه فهذا يدل بأنه فى نفس الأمر غير صحيح فان رأى أن يذكر فى شرح هذا ما يشفى به علة الطالب فعل ذلك *

(أجاب) رضى الله عنه الذى يرد من هذا على ذلك قولهم إسناده صحيح ومتنه غير صحيح وجوابه ان فى كلامى احترازاً عنه وذلك فى قولى انه لم يصح إسناده على الشرط

المذكور لان من الشرط المذكور أن لا يكون شاذاً ولا معللا والذى أوردتموه لابد أن يكون فى إسناده شذوذ وعلة تعله ولأجل ذلك لايصح به المتن فان أطلق عليه انه اسناد صحيح فلا بالتفسير الذى ذكرتموه بل بمعنى أن رجال إسناده عدول ثقات هذا فحسب ومابعد هذا لايمس ماذكرته الاقولهم فى بعض الأحاديث انه موضوع، والجواب انه ليس فى الكلام الذى ذكرته انكار لذلك وانما فيه انه لايستفاد ولايفهم من قولهم هذا الحديث غير صحيح اكثر من أنه لم يصح له اسناد على الشرط المذكور وهذا كذلك لان هذا الكلام لايظهر من معناه انه كذب فى نفس الامر احتجنا الى زيادة لفظ مثل ان يقول هو موضوع أو كذب او نحو ذلك والله اعلم، قولى لم يصح اسناده عام اى لم يصح له اسنادما والله اعلم *

﴿مسألة﴾ فى رجل يقرأ الحديث على المحدث ويقول فى كل حديث وبالاسناد حدثنا فلان عن فلان ولايقول قال حدثنا فهل يصح هذا السماع أم لا ؟*

﴿أجاب﴾ رضى الله عنه هذا خطأ من فاعله، واما بطلان السماع به ففيه احتمال والأظهر انه لايبطل من حيث ان حذف القول اختصارا مع كونه مقدراً فى كثير من كتاب الله تعالى وغيره والله أعلم *

﴿مسألة﴾ روى ان النبى صلى الله عليه وسلم مات ودرعه مرهونة عند يهودى على صاع من شعير أو صاعين وانه صلى الله عليه وسلم مات وله حصون وارض فهل هذه الاحاديث صحاح وانه صلى الله عليه وسلم مات وهو فقير؟ بينوا لنا أدلة موته على الفقر والكلمات التى علمها النبى صلى الله عليه وسلم للفقراء ففضلوا على الاغنياء بتلك الكلمات وغيرها من الأحاديث الصحيحة، والذى ذهب من العلماء الى ان الفقير الصابر أعلى من الغنى الشاكر من هو من العلماء؟*

﴿اجاب﴾ رضى الله عنه روى البخارى فى صحيحه باسناده عن عائشة رضى الله عنها قالت توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودى بثلاثين صاعا من شعير وكان له مما افاء الله تبارك وتعالى ارض بخيبر وفدك وغيرهما وكانت معدة لنوائبه ولم تورث منه لقوله صلى الله عليه وسلم «انا لانورث ماتركناه صدقة» وكل هذا صحيح لاتناقض فيه والفقر صفته اللازمة عند موته وقبل ذلك صلى الله عليه وسلم ولايقدح فيه ما كان فى ملكه من اعداده لمصالح المسلمين واخراجه مايحصل عند حصوله ، وحديث

ابى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «يدخل الفقراء الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام» حديث ثابت ،وحديث ابى هريرة رضى الله عنه ايضاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم« أن فقراء المهاجرين اتوه فقالوا ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم فقال وما ذاك قالوا يصلون كما نصلى و يصومون كما نصوم و يتصدقون ولا نتصدق و يعتقون ولا نعتق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أعلمكم شيئا تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ماصنعتم؟ قالوا بلى قال تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين مرة فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا سمع اخواننا أهل الأموال مافعلنا ففعلوا مثله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء» هذا لفظ الحديث فى صحيح مسلم، وأخبرنى بعض الاشياخ بخراسان قال ثنا أبو الفتوح عبد الوهاب بن شاه الصوفى قال أخبرنا الاستاذ أبو القاسم القشيرى قال سمعت أباعلى الدقاق يقول تكلم الناس فى الفقر والغنى أيهما أفضل وعندى أن الأفضل أن يعطى الرجل كفايته ثم يصان فيه والله أعلم *

﴿مسألة﴾ صوم رجب كله هل على صائمه إثم أم له أجر ؟وفى حديث عن النبى صلى الله عليه وسلم يرويه ابن دحية الذى كان بمصر انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان جهنم لتسعر من الحول إلى الحول لصوام رجب» هل صح ذلك أم لا ؟ *

﴿أجاب﴾ رضى الله عنه لا إثم عليه فى ذلك ولم يؤثمه بذلك أحد من علماء الأمة فيما نعلمه بل قال بعض حفاظ الحديث لم يثبت فى فضل صوم رجب حديث أى فضل خاص وهذا لا يوجب زهدا فى صومه مما ورد فى فضل الصوم مطلقا ، والحديث الوارد فى كتاب السنن لأبى داود وغيره فى صوم الأشهر الحرم كاف فى الترغيب فى صومه ،،أما الحديث فى تسعير جهنم لصوامه فغير صحيح ولا تحل روايته والله أعلم *

﴿مسألة﴾ اذا أخبر النبى صلى الله عليه وسلم عن أقوام انهم من أهل الجنة وهم مؤمنون مصدقون بخبره صلى الله عليه وسلم فهل يأمنون المكر لما أخبرهم به من أنهم من أهل الجنة ؟ وسمعنا عن عمر رضى الله عنه انه قال لا آمن مكره و رجلى الواحدة فى الجنة والأخرى برا فهل هذا عن عمر صحيح أم لا ؟ *

﴿ أجاب ﴾ رضى الله عنه هذا القول بعينه عن عمر رضى الله عنه لسنا نصححه بل أصل كونه لم يأمن مكر الله وانه كان شديدما بين يديه ثابت عنه وذلك له وجوه، أحدها انه كان يرى جواز النسخ فى مثل ذلك، وانه روى عنه انه كان يدعو اللهم ان كنت كتبتنى شقياً فامح ذلك واكتبنى سعيداً أو ما معناه هذا، والثانى انه وأمثاله ان أمنوا بكونهم من أهل الجنة فلا يأمنون أهوالا تصيبهم قبل دخول الجنة، الثالث وان كانوا لايجوزون النسخ فى مثل ذلك فقد يجوزون أن يكون ذلك مشروطاً بشرط ولا يوجد منهم وخفى عليهم ذلك الشرط عافانا الله تعالى ※

﴿ مسألة ﴾ أول من يدخل الجنة ان قالوا هم الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه فيدخل كل نبى مع أمته أو الأنبياء كلهم يدخلون الجنة قبل امهم ※

﴿ أجاب ﴾ رضى الله عنه نبينا صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة قبل الجميع والظاهر ان الأنبياء يدخلون قبل الأمم كلها ※

﴿ مسألة ﴾ عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم وعلى نبينا وعلى النبيين وآلهم رأى رجلا يسرق فقال أسرقت؟ فقال كلا والذى لا إله إلا هو قال آمنت بالله وكذبت عينى، وحديث آخر ان بعض الناس أذنب ذنباً فسئل عنه فقال والله الذى لا إله إلا هو مافعلته أو كما قال فقال صلى الله عليه وسلم غفر الله لك ذنبك بصدقك فى قولك لا إله إلا الله ※

﴿ أجاب ﴾ رضى الله عنه كأنه صلى الله عليه وسلم لما وجد السارق ربه تعالى غمرته الهيبة والعظمة حتى أنسته ما استيقنه حالة الابصار وبقى فى صورة من يرى الشىء من بعد ولا يتحققه فاذا نوزع فيه كذب رؤيته وأما الحديث الآخر ففيه إشارة الى أن حسه الصادق فى التوحيد كفر المعصية والله أعلم ※

﴿ مسألة ﴾ الخبر الذى لا يتطرق اليه النسخ والخبر الذى يدخله الأمر فيتطرق اليه النسخ ماهو؟ وما الفرق بين الخبرين ※ ؟

﴿ أجاب ﴾ رضى الله عنه من أمثلة الخبر الذى لا يدخله النسخ قوله تعالى (إن الأبرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم) ومن أمثلة الخبر المشتمل على الأمر قوله صلى الله عليه وسلم «توضئوا مما مست النار» ومن أمثلة ما لا يدخله النسخ فى الخبر فى خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله «شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى» والفرق ان ما فيه الأمر تكليف

فلا يمتنع إسقاطه بالنسخ بخلاف الخبر المحض فان النسخ فيه الخلف فيكون ذلك وقع كذباً والله أعلم *

﴿مسألة﴾ فى الفقير الصابر والغنى الشاكر أيهما أعلى ؟ بينوا ذلك لتحصل معرفتهما والذى لا يجب عليه التكسب ببيان دليله وماهو؟ *

﴿أجاب﴾ رضى الله عنه: هذا باب واسع ومما يحتج به — من فضل الفقير الصابر واياه نختار — حديث دخول الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام؛ ومما يحتج به فى فضل الغنى الشاكر قوله صلى الله عليه وسلم «فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء» وحديث الذكر الذى علمه النبى صلى الله عليه وسلم الفقراء فلما بلغ ذلك الأغنياء شاركوهم فيه ومن قال لا يجب عليه التكسب فدليله انه الآن غير واجد وليس عليه واجب من ذلك فلا يجب عليه التحصيل لتجب عليه النفقة كما لا يجب عليه تحصيل المال لتجب عليه الزكاة والله أعلم *

﴿مسألة﴾ هل ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل قدم نبى من الأنبياء عليهم السلام ولى من أولياء الله تعالى ؟ وسمعنا أن القطب على قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعنا أن فى الأرض سبعة أوتاد وابدال ونقباء ونجباء وكلما مات رجل أقام الله عز وجل عوضه رجلا ولا تزال الوراثة دائمة فى علم الباطن وفى علم الظاهر الى قيام الساعة الأمر على ما ذكر أم لا ؟ *

﴿أجاب﴾ رضى الله عنه لا يثبت هذا الحديث وأما الابدال فأقوى ما رويناه فيهم قول على رضى الله عنه انه بالشام تكون الابدال وأيضاً ماشابههم كالمجمع عليه من علماء المسلمين وصلحائهم ،وأما الأوتاد والنجباء والنقباء فقد ذكرهم بعض مشايخ الطريقة ولا يثبت ذلك ولا تزال طائفة من الأمة ظاهرة على الحق الى أن تقوم الساعة وهم العلماء *

﴿مسألة﴾ هل ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم فى علماء الباطن الذين اقامهم الله تعالى لتربية ارباب الأحول والمقامات الشريفة وليوصلوا المريد الى الله تعالى بقوتهم التى أعطاهم الله تعالى وبدعوتهم المجابة كالجنيد وامثاله من أئمة الطريق المكاشفين الذين لهم الكشف المصون الموافق للشريعة المطهرة هل يجب عليهم ان يشهروا انفسهم بذلك ويتصدوا بالقعود للخلق كما يجب على علماء الشريعة التصدى والقعود للخلق لفوائد المسلمين منهم ام لا ؟ والخضر عليه السلام هل ورد انه حى الى الوقت المعلوم؟ وهل هو ولى او نبى ام لا؟ *

﴿ اجاب ﴾ رضى الله عنه لايجب عليهم ذلك ولايحتمل حالهم وحال الخلق ذلك وفى الشريعة كفاية فيما يرجع الى ارشاد الخلق ، وأما الخضر صلى الله عليه وسلم فهو من الأحياء عند جماهير الخاصة من العلماء والصالحين والعامة معهم فى ذلك وانما شذ بانكار ذلك بعض اهل الحديث وهو صلى الله عليه وعلى نبينا والنبيين وآل كل وسلم نبي واختلفوا فى كونه مرسلا والله اعلم *

﴿ مسألة ﴾ فى الابوة هل يجوز ان يطلق فى الكتاب العزيز والحديث الصحيح الأب من غير صلب وايش الفرق بين آدم أبى البشر وبين ابراهيم الخليل صلى الله عليهما وعلى نبينا والنبيين وآل كل وسلم أب فآدم ابو البشر وابراهيم ابو الايمان أولمعنى آخر؟ ونرى مشايخ الطريقة يسمونهم أبا المريدين فيجب بيان هذا من الكتاب العزيز والحديث الصحيح وايما أعلى الأب او الأخ اوالصاحب؟ نرى الصحابة رضى الله عنهم كانوا اخوة رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث الاسلام والايمان ونراهم خصوا باسم الصاحب بينوا لنا هذا رزقكم الجنة . *

﴿ اجاب ﴾ رضى الله عنه قال الله تعالى (قالوا نعبد إلهك وإله آبائك ابراهيم واسمعيل)[1] واسمعيل من اعمامه لامن آبائه وقال سبحانه وتعالى (ورفع ابويه على العرش)[2] وامه قد كان تقدم وفاتها قالوا والمراد خالته ففى هذا استعمال الابوين من غير ولادة حقيقة وهو مجاز صحيح فى اللسان العربى واجراء ذلك فى النبى صلى الله عليه وسلم والعالم والشيخ والمريد سائغ من حيث اللغة والمعنى واما من حيث الشرع فقد قال سبحانه وتعالى (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم)[3] وفى الحديث الثابت عنه صلى الله عليه وسلم «انما انا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم» فذهب بعض علمائنا الى أنه لايقال فيه صلى الله عليه وسلم انه أبو المؤمنين وان كان يقال فى ازواجه أمهات المؤمنين ، وحجته ماذكرت فعلى هذا فيقال هو مثل الأب او كالأب او بمنزلة أبينا ولايقال هو ابونا او والدنا ومن علمائنا من جوز ، واطلق هذا ايضا وفى ذلك للمحق مجال بحث يطول والأحوط التورع والتحرز عن ذلك، واما الأخ والصاحب فكل واحد منهما أخص من الآخر وأعم فاخ ليس بصاحب وصاحب ليس باخ واذا قابلت بينهما فالاخ اعلى * واما فى حق الصحابة رضى الله عنهم فانما اختير لفظ الصحبة لانها خصيصة لهم وأخوة الاسلام شاملة لهم و لغيرهم، وايضا

١ - البقرة ١٣٣
٢ - يوسف ١٠٠
٣ - الأحزاب ٤٠

فلفظ الصحابة يشعر بالأمرين اخوة الدين والصحبة لانه لا يطلق ذلك فى العرف على الكافر وان صاحبه صلى الله عليه وسلم مدة والله أعلم *

(مسألة) شخص قال من سب الصحابة رضى الله عنهم لا يغفرله وان تاب واحتج بالحديث الذى روى «سب صحابتى ذنب لا يغفر» وقال قال لى الشيخ عندى لا يتوب الله عليه فقيل له ان تاب تاب الله عليه فقال لا يتوب الله عليه فهل يتوب الله عليه ام لا؟*

(اجاب) رضى الله عنه اخطأ هذا القائل ـ فى قوله وفى احتجاجه ـ خطأ فاحشا، أما خطؤه فى قوله فانه نفى مغفرة الله تعالى لهذا المذنب من غير توبته ومع التوبة وهو مخطىء مبتدع فاخطأ وابتدع فى الموضعين، اما اذا لم يتب فلأن السب ذنب دون الشرك وكل ذنب دون الشرك فيجوز أن يغفر الله تعالى لفاعله وان لم يتب إما منه سبحانه ابتداء أو بشفاعة الشافعين او بأن يرزق حظا من الحسنات التى يذهبن السيآت تشهد بذلك دليل النصوص وغيرها ومن قال فى شىء من الذنوب التى هى دون الشرك ان الله تعالى لا يغفر لفاعله فقد تقول على الله بذلك وتعرض لعقابه واما اذا تاب فانه ليس شىء من الذنوب لا توبة منها، وليس هذا باعظم من الشرك ثم لا يقال الشرك لا توبة منه فان اسلام الكافر حاصله التوبة من الشرك واجمعت الأمة على ان الله تعالى لم يجعل فيما خلق ذنبا لا توبة منه اصلا ونصوص الكتاب والسنة متظاهرة على ذلك غير انه ينبغى ان يعلم ان التوبة من ذنب السب لا يكفى فيها توبة السباب فيما بينه و بين الله تعالى فان سب الصحابة رضى الله عنهم ظلم لهم والتوبة من مظالم العباد طريقها البراءة اليهم باحلالهم أو غيره وذلك متعذر فيمن مات ومع هذا فطريق الخلاص غير منسد على التواب من سب الصحابة من وجوه: احدها الاستغفار لهم والدعاء لهم بالرحمة والرضوان لاسيا فى اعقاب الصلوات، الثانى أن يكثر من الأعمال الصالحة حتى يقع بعض حسناته عوضا عن هذه المظلمة و يفضل له مايسعد به ان شاء الله تعالى، الثالث أن يلجأ الى الله تعالى فى أن يضمن عنه تبعاته و يرضى عنه من فضله من ظلمه بالسب وغيره فهو سبحانه و تعالى جدير باجابة دعائه وهذه الوجوه لها أصول مروية: منها حديث حذيفة أنه شكى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذرب لسانه على أهله فقال عاجلا «أين انت عن الاستغفار»؟ أخرجه النسائى وغيره، وحديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه المخرج فى الصحيح فى الشخص الذى قتل مائة نفس ثم تاب وعاجله الموت بين القريتين فليطب هذا

التائب نفساً فان الرحمة واسعة فقد جعل الاستغفار والتوبة فى هذين الحديثين مخلصاً من مظالم العباد وهو خارج على أحد الوجوه المذكورة *وأما خطأ هذا الرجل فى حجته ففى موضعين أيضاً أحدهما أن الحديث الذى ذكره من أحاديث العوام التى لا أصل لها يعرف والثانى (أنه احتج بالشيخ عندى) وهذا من العجائب عند أهل المعرفة فانه لا يخفى على مسلم انه لا حجة فى دين الله سبحانه وتعالى الا فيما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا سبيل الى معرفة ما جاء عنه صلى الله عليه وسلم الا بنقل الثقات من اهل العلم والاخذ عنهم فمن لم يكن من أهل ذلك كان جاهلا وان كان زاهدا فان الزهد لا يجعله نبياً يوحى اليه والقلوب لا يتعرف منها احكام الدين وشرائع الاسلام ومن انتسب الى العلم الذى يزعم انه يطلعه على الصواب و يعنه من الخطأ سألناه عن شىء من احكام القرآن المعلومة والسنن الصحيحة واظهرنا بهذا اخلاله فانه لو كان كما يزعم لم يجهل ذلك وان جهل ذلك فهو بغيره اجهل فليتق الله ربه هذا القائل ولا يقلد دينه من لا علم له ونستغفر الله مما جرى منه غفر الله له ولنا ولجميع المسلمين *

(مسألة) رجل اغتاب رجلا مسلما وجاء اليه وقال له قد اغتبتك وقلت عنك كذا وكذا اجعلنى فى حل فامتنع ان يجعله فى حل . هل هو مخطىء بكونه لم يجعله فى حل؟ وهذا الذى اغتابه بقى عليه تبعة منه أم لا؟*

(اجاب) رضى الله عنه ليس عليه ان يجعله فى حل ولكن حرم نفسه فائدة العفو ومثوبة اسعاف السائل والتبعة باقية على المغتاب و ينبغى أن يكثر من ان يقول اللهم اغفر لى ولمن اغتبته ولمن ظلمته وقد روى فى حديث لا أعلم بقوى اسناده «كفارة الغيبة ان تستغفر لمن اغتبته» وان لم يثبت فله اصل والله أعلم *

(مسألة) فمن اغتاب هل الاستغفار كفارة الغيبة والحديث عنه صلى الله عليه وسلم (كفارة الغيبة ان تستغفر لمن اغتبته) مع أن الحديث غير ثابت وان كان اسناده قويا فهل له اصل فى الكتاب العزيز والحديث الصحيح؟ وهل يجوز اذا كانوا جماعة قد اجتمعوا على الخير و بينهم اخ من الاخوان وطريقته طريقة دريها يجتمع ببعض الاخوان و يقول قد وجهنى اليك يقول لك حدثنى بما عندك ومراده بهذا ان يبصر ما عنده وما يكون ذلك وجهه الا كذب من عنده و يجىء الى المشايخ يمتحنهم و يدخل عليهم بالكذب و يقول أنت شيخى و يقول للآخر أنت شيخى و يخرج من عندهم و يغتابهم و يؤذيهم بلسانه فهل يجوز ان يحذر الناس والمشايخ والاخوان من هذا الرجل؟*

(اجاب) رضى الله عنه الاستغفار لمن اغتبته كفارة ذلك و الحديث وان لم نعرف له اسنادا يثبته فمعناه يثبت بالكتاب والسنة المعتمدة أما الكتاب فقوله تعالى (ان الحسنات يذهبن السيئات)[1] وان كان هذا نزل فى الصلوات فهو عام والعام لايختص بالسبب وقد بين ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ رضى الله عنه «اتبع السيئة الحسنة تمحها» وأما السنة منها هذا، ومنها حديث حذيفة أنه شكى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذرب لسانه على أهله فقال له «اين أنت من الاستغفار »؟ وذرب اللسان على الغير اخو الغيبة فان كلاهما أو كلا منهما جنايات اللسان على الغير ،وأما التحذير من الرجل الموصوف فحسن بشرط أن يكون المقصود نصيحة المحذور وماهو من الاغراض الدينية الصحيحة من غير ان يشوبه غير ذلك مثل أن يقصد التفكه بعرضه أو التشفى منه ونحو هذا والله أعلم*

(مسألة) هل يجوز للانسان ان يقرأ القرآن و يهديه لوالديه ولأقاربه خاصة ولأموات المسلمين عامة؟ وهل تجوز القراءة من البعد والقرب ام على القبر خاصة؟ وهل يجوز للشخص ان يسمع كلام المظلوم على الظالم وهو ان يقول لاخيه اولصديقه ياخى ظلمنى وأخذ من عرضى وشتمنى ذلك الفاعل الصانع و تكلم فى حقه بما لايحل فهل يجوز لى سماعه ام لا ؟*

(اجاب) رضى الله عنه اما هذا القرآن ففيه خلاف بين الفقهاء والذى عليه عمل اكثر الناس تجويز ذلك و ينبغى أن يقول اذا اراد ذلك اللهم أوصل ثواب قراءته لفلان ولمن يريد فيجعله دعاء ولايختلف فى ذلك القرب والبعد وأما سماع كلام المظلوم فى ظالمه فهو فرع على كلام المظلوم فما جاز للمظلوم ان يقول فجائز لغيره سماعه ومالا فلا يجوز الاصغاء اليه والنقل الذى هو جائز للمظلوم مايدعو حاجته اليه على وجه الشكاية أو على وجه الايضاح لكونه قد ظلمه اوعلى وجه آخر من الاحتجاج لنفسه عليه مثل قول أحد المتخاصمين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم لما جعل اليمين على خصمه يارسول الله انه فاجر لا يتورع عن شىء والله أعلم *

﴿ مسألة ﴾ قول لا إله إلا الله فى دفع الوسوسة نافعة هل على ذلك دليل؟*

﴿أجاب﴾ رضى الله عنه قول لا إله إلا الله له اثر بين فى تنوير القلب ولذلك اختاره جماعة من المشايخ لاهل الخلوة وقد علم أن الشيطان الوسواس الخناس اذا ذكر العبد الله تعالى يخنس أى يتأخر و يبعد ولا إله إلا الله فى أول درجات الذكر فانه التوحيد الناصع

[1] ـ هود ١١٤

الباهر والله اعلم *

﴿مسألة﴾ فى رجل يمدح فتفرح نفسه و يذم فتتألم نفسه ورجل اذا مدح بما فيه يكره ذلك فهل هذا الفرح مقبول من النفس فى الشرع أومذموم التقبل له؟ والذى يكره المدح فى نفسه لا يحب ان يمدح فهل هذا موافق فى الشرع؟ *

﴿أجاب﴾ رضى الله عنه هـذا كله يختلف باختلاف مستنده فى السرور والكراهة فاذا سر بالمدح لما دل عليه من انعام الله تعالى عليه بالستر والقبول مع عدم الاعجاب وغيره من الأخلاق المذمومة فلا بأس وكذلك اذا تأذى بالذم كما يتأذى بغيره من أنواع البلاء مع سلامته من السخط ونحوه فلا بأس به واذا كره المدح تخوفا من الفتنة والعجب ونحو ذلك فلا بأس والله أعلم *

(مسألة) فى تحمل المنن بأى شيء تزول مع كون الانسان فقيرا ماله شيء فاذا جاءه شيء من الناس كيف الطريق فيه ان يأخذه ولا يكون عليه منة من اعطاه؟ وعند موت المسلم الذى يرى ربه عند الموت واذا رآه عرفه فى الدار الآخرة بتلك الرؤية الأولية او بطريق اخرى بين لنا هذا بدليل من الكتاب والسنة والاجماع وهل يجوز ان يعطى الله سبحانه لولى من اوليائه انه من اهل الجنة بالهام يلهمه الله سبحانه وتعالى اياه أو بخبر من رسول الله صلى الله عليه وسلم أوطريق آخر؟ بين لنا الطريق واوضح دلالة لاشك فيها ولا ريب، والالهام الذى هو من الله تعالى عرفنا ماهيته فى الانسان كيف هو؟ حتى يعرف *

(أجاب) رضى الله عنه يتفقد حال المعطى فاذا وجده معطيا لله تعالى فاخذه من الله تعالى لا منه وعده مجرد سبب وحقق النظر الى المسبب ذهبت المنة وطاحت ان شاء الله تعالى ، واما رؤية المؤمن ربه تعالى بعد موته فخالف لرؤيته له تبارك وتعالى فى الآخرة فان تلك رؤية البصر من العين الجسدانية بخلاف هذه التى هى ادراك من الروح فحسب والعلم عند الله تعالى، ويجوز أن يعرف المؤمن كونه من اهل الجنة بخبر من الرسول صلى الله عليه وسلم كما فى النفر الذى شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة وهم العشرة . واهل بدر وعائشة ، وثابت بن قيس بن شماس ، وخديجة فى سادة آخرين ، وأما بغير ذلك فكلا وانما يرجو رجاء مرحوم تخوف ،وقد اختلفوا فى أن الولى هل يجوز أن يعرف كونه وليا فنهم من قال يجوز ذلك لكن قال ليس من شرط الولاية سلامة العاقبة فاذن لا يلزم على هـذا من معرفته لكونه وليا معرفته لكونه من أهل الجنـة، وأما الالهام فهو حق خاطر من الحق

سبحانه وتعالى فمن علاماته ان ينشرح له الصدر ولا يعارضه معارض من خاطر آخر والله أعلم*

(مسألة) كلام الصوفيـة فى القرآن كالجنيد وغيره وكان السائل عن هذا منكر ما سمع من ذلك وكان يجالس شيخا من المفتين فجرى ذلك فى مجلسه فابتدأ الشيخ يقال كالمستحسن لكلام الصوفيـة، وقال أيضا هم لا يريدون تفسير القرآن وانما هى معانى يجدونها عنـد التلاوة، وقال أيضا يقولون (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار) قالوا هى النفس * وكان الشيخ المفتى يشرح ذلك و يقول أمرنا بقتال من يلينا لانهم أقرب الينا واقرب شر الى الانسان نفسه، وقال الشيخ أيضا يقولون إنا ارسلنا نوحا إلى قومه يقولون نوح العقل والغرض أنهم يلقى الله عندهم من كلامه ما ينتفعون به هذا قد صدر عن اكابرهم الجم الغفير وانتم بذلك اعلم والسائل هكذا ليس بجاهل وليس عزمه الاعتضاد بما يسمع من الشيخ تقى الدين أيده الله تعالى واحد لا يجهل ان قوله سبحانه وتعالى (قاتلوا الذين يلونكم من الكفار) ليس المراد به النفس وأن المراد ظاهر ومن قال غير ذلك فهو مخطىء *

(أجاب) رضى الله عنـه وحدث عن الامام أبى الحسين الواحدى المفسر رحمه الله تعالى أنه قال صنف ابو عبد الرحمن السلمى حقائق التفسير فان كان قد اعتقد ان ذلك تفسير فقد كفر، وأما أقول الظن بمن يوثق به منهم أنه إذا قال شيأ من أمثال ذلك انه لم يذكره تفسيرا ولا ذهب به مذهب الشرح للكلمة المذكورة من القرآن العظيم فانه لو كان كذلك كانوا قد سلكوا مسالك الباطنية وانما ذلك ذكر منهم لنظير ما ورد به القرآن فان النظير يذكر بالنظير فمن ذلك قال النفس فى الآية المذكورة فكانه قال أمرنا بقتال النفس ومن يلينا من الكفار ومع ذلك فياليتهم لم يتساهلوا فى مثل ذلك لما فيه من الايهام والالتباس والله أعلم*

(مسألة) رجل طلب العلم وهاجر اليه من وطنـه فسمع داعيا الى الزهد فى الدنيا وله نفس جموح وخاف أن لا ينجو من آفات الدنيا مع النفس الامارة بالسوء فما الحيلة فى نجاته؟ وبم يكون العلاج للنفس الجموح؟ وماذا يقرب من الله الزهد أو العلم أو السياحة او العزلة؟*

(اجاب) رضى الله عنه سبيله والله الموفق الهادى ان يزهـد فى الدنيا ولكن زهـد الراشدين العالمين لا زهد الجاهلين فيطلب العلم مخلصا لله تعالى متقربا به اليه ولا يترك السبب الذى يغنيه عن الحاجة الى الناس ولا يعتزل الناس بل يقيم بينهم صابرا على اذاهم مصححا نيتـه فى ذلك فان هـذه طريقة الأنبياء والخلفاء وأئمة المتقين و يجاهد نفسه بالعلم وآدابه وتسديده وتقويمه وليس الطريق الى السـلامة من الآفات الهرب من الناس ولا متابعـة القوم الذين

١ - التوبة ١٢٣

تظاهروا بالفقر والزهد، غير ملتفتين الى الشريعة المطهرة وآدابها بل معرضين عن ذلك وعما شرحناه، معتمدين على خواطرهم، متمسكين برسوم لا أصل لها في الشريعة معتضدين بأحوال لم يأت بها كتاب ولا سنة، زاعمين انهم مع الحقيقة وليس عليهم الوقوف مع الشريعة فان هذا سبيل المغرورين المفتونين وطريق المضلين الدجالين والسالك لمسلكهم قارع لباب الالحاد وهو والجهم عن قريب شهد بما ذكرته اعلام العلوم والمعارف و براهينها والله أعلم*

﴿مسألة﴾ رجل قال ان الله لا يسمع دعاء ملحونا قيل وما الدعاء الملحون؟ قال ان يدعو الانسان بالجزم و يقول بالرفع قال له الآخر بل هو ان يقول يارب قصر عمر فلان اوقتر رزق فلان او خذه فهذا من جملة الدعاء الملحون*

﴿اجاب﴾ رضي الله عنه ليس ما ذكره الثاني من الدعاء الملحون نعم هو من الاعتداء في الدعاء الذي ورد النهي عنه اذا كان قصده بالدعاء على فلان غير صحيح فان كان صحيحاً بان كان في قصر عمره صلاح للمسلمين لظلمه أو نحو ذلك فليس اعتداء ثم ان الدعاء الملحون ممن لا يستطيع غير الملحون لا يقدح في الدعاء و يعذر فيه والله اعلم*

(مسألة) قراءة القرآن بعد صلاة الصبح أفضل أو بعد صلاة المغرب أي الوقتين أفضل؟ *

(اجاب) رضي الله عنه في كل واحد من الوقتين فضل وفي ادراك الأفضل عسر و يظهر أنه بعد صلاة الصبح أفضل لما يرجى ان يلحقه بركة عاصمة له في نهاره الذي هو مظنة تصرفاته وتقلباته والله أعلم *

﴿مسألة﴾ رجل له والد والوالد غير مفتقر اليه في القيام بأموره من انفاق عليه أو مباشرة لخدمة بل لا يمكن ولده من ذلك فأحب الولد الانقطاع الى الله تعالى والتفرغ لعبادته في قرية لعلمه ان مقامه في البلدة لا يسلم فيه من المأثم لمخالطة الناس الا بعشاق يضعف عزمه عن تجشمها ووالده يكره مفارقته و يتألم لها مع ان له أولادا يأنس بهم غير هذا الولد فهل يحل له مخالفة الوالد والانتقال الى القرية بنية طلب سلامة دينه والتفرغ للعبادة أم لا يحل له مخالفته في ذلك؟ وسيتبع هذه المسألة ثلاث مسائل* إحداها لو كان دينه في المقام سالماً لكنه في الانتقال أكثر توفراً على العبادة هل الأولى المقام أو الانتقال مع مخالفة الوالد؟*

﴿المسألة﴾ الثانية لو كان الانتقال لطلب الراحة والتنزه هل له مخالفته في ذلك ام لا؟ هذا كله مع تعهده لوالديه بالزيارة في المسائل المذكورة كلها والسؤال في ذلك عن تعريف المباح والاولى مفصلا*

﴿المسألة﴾ الثالثة تعريف العقوق ماهو ؟*

(أجاب) رضى الله عنه لايحل له ذلك ومخالفة الوالد فى ذلك مع تألمه لها محرمة وعليه الطواعية له فى الاقامة والحالة هذه ثم ليجاهد نفسه فى التصوف مما يحرم دينه بسبب مخالطة الناس فلا يخالط من جانب الطريق المحمودة ولا يجالس من شأنه الغيبة وليكن مع الناس بين المنقبض والمنبسط بلغنا عن الامام الشافعى رضى الله عنه انه قال الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة والانبساط مجلبة لقرناء السوء فكن بين المنقبض والمنبسط وليصحح نيته فى مواتاة والده وطاعته فانهما من أسباب السعادة فى الدارين وثبت فى الحديث الصحيح أن بر الوالدين يقدم على الجهاد فكيف لايقدم على ماذكرناه هذا مع أن مايرجوه فى القرية يناله فى البلدة بحضرة والده ان استمسك وانما هذا خاطر فاسد من عمل الشيطان وتسويله، وقد جاء ان أويسا القرنى فوت صحبة النبى صلى الله عليه وسلم والمسير اليه من اليمن بسبب بره بامه وحمد على ذلك ،وفى هذا جواب المسألة الثانية وايضاح لكون المقام اولى وكذلك المسألة الثالثة فلاتحل مخالفته مع تألمه بها بسبب التنزه أصلا* وأما أن العقوق ماهو فانا قائلون فيه ان العقوق المحرم كل فعل يتأذى به الوالدان اونحوه تأذيا ليس بالهين مع كونه ماليس بمعصية ومخالفته أمرهما فى كل ذلك عقوق وقد أوجب كثير من العلماء طاعتهما فى الشبهات وليس قول من قال من علمائنا يجوزله السفر فى طلب العلم وفى التجارة بغير اذنهما مخالف لماذكرته فان هذا كلام مطلق وفيما ذكرته بيان لتقييد ذلك المطلق

﴿مسألة﴾ رجل تصدق بصدقة التطوع على صلحاء علماء الأمة وسبق الى الآخذ الأخذ من الله تعالى لامن معطى الصدقة فايهما أفضل يد المعطى ام الآخذ؟*

﴿أجاب﴾ رضى الله عنه المعطى عطاء يعده من الله تعالى خير من الآخذ اخذاً يعده من الله وان غفل عن السبب ولحظ السبب فى الجانبين دون الآخر فالأفضل هو الذى وجد فيه ذلك والله أعلم *

﴿القسم الثالث فيما يتعلق بالعقائد والأصول﴾

فمن ذلك *

﴿مسألة﴾ امام الحرمين والامام الغزالى والامام أبواسحق رضى الله عنهم هل بلغ أحد من هؤلاء الأئمة المذكورين درجة الاجتهاد فى المذهب على الاطلاق أم لا؟ وماحقيقة الاجتهاد على المذهب؟ وهل بلغ أحد منهم درجة الاجتهاد على الاطلاق؟*

﴿ اجاب ﴾ رضى الله عنه لم يكن لهم الاجتهاد المطلق وبلغوا الاجتهاد المقيد فى مذهب الشافعى رضى الله عنه ودرجة الاجتهاد المطلق تحصل بتمكنه من تعرف الاحكام الشرعية من ادلتها استدلالا من غير تقليد والاجتهاد المقيد درجة تحصل بالتبحر فى مذهب امام من الأئمة بحيث يتمكن من الحاق مالا ينص عليه ذلك الامام بما نص عليه معتبرا قواعد مذهبه واصوله *

﴿ مسألة ﴾ كتاب من كتب اصول الفقه ليس فيه شئ من علم الكلام ولا منطق ولا مايتعلق بغير أصول الفقه فهل يحرم الاشتغال فيه او يكره وهل يسوغ انكار الاشتغال به وحالته ماذكرسوى ذلك؟*

﴿ اجاب ﴾ رضى الله عنه لا يحرم ولا يكره اذا لم يكن فيه مع ذلك تقرير بدعة أو امالة إلى فلسفة بان يكون مصنفه من أهلها وكلامه فى كتابه فى اصول الفقه يؤثر بحسن كلامه حتى فى الفلسفة كما وقع فى كلام هذا التابع فى عصرنا او نحو هذا وشبهه فاذا سلم عن كل ذلك فالاشتغال به يكون مع صحة العقيدة وكيف لا وهو باب التحقيق فى الفقه وعماده والله أعلم *

(مسألة) ماالفرق بين القياس والاستدلال فانه يتفرع على مايتفرع عليه القياس فان كان مدلول الاسمين واحدا فاوجه تنويع الاسمين؟ وان كان اثنين فحال كل واحد من القياس والاستدلال بحد يحصره *

(أجاب) رضى الله عنه الفرق بين القياس والاستدلال أن القياس يشتمل على أصول وفروع يجمع بينهما بجامع والاستدلال ليس كذلك من اللازم الذى هو مثل قوله تعالى (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا)[1] والله أعلم *

﴿ مسألة ﴾ هل كان داود الظاهرى صاحب المذهب رضى الله عنه ممن يعتد به فى انعقاد الاجماع فى زمانه ام لا؟ وهل كان بحيث اذا حدثت حادثة فى زمانه فخالف فيها وحده يعد خارقا للاجماع وكذلك من لم ير نقض الوضوء بالنوم الا اذا اخبر بخروج الحدث كسعيد بن المسيب وأبى موسى الأشعرى وهل ينعقد الاجماع بدونهم أم لا؟*

(أجاب) رضى الله عنه اما الاعتداد بداود رحمه الله فى الاجماع وفاقا وخلافا مما وقع فيه الاختلاف بين الفقهاء والاصوليين منا ومن غيرنا فذكر الاستاذ الامام أبو اسحق الاسفراينى رحمه الله ان أهل الحق اختلفوا فذهب الجمهور منهم الى أن نفاة القياس لا يبلغون منزلة الاجتهاد ولا يجوز توليهم القضاء وهذا ينفى الاعتداد بداود فى الاجماع ونقل

[1] - الأنبياء ٢٢

صاحبه الاستاذ ابومنصور البغدادى عن ابن على بن ابى هريرة وطائفة من متأخرى الشافعيين انه لااعتبار بخلافه وسائر نفاة القياس فى فروع الفقه لكن يعتبر خلافهم فى الأصوليات، وقال الامام ابو المعالى ابن الجوينى ماذهب اليه ذووالتحقيق انالانعد منكرى القياس من علماء الأمة وحملة الشريعة فانهم اولامباهتون على عبادتهم فيمايثبت استفاضة وتواترا، واايضافان معظم الشريعة صادرة عن الاجتهاد والنصوص لاتفى بالعشر من معشار الشريعة فهؤلاء يلتحقون بالعوام وكيف يدعون مجتهدين ولااجتهاد عندهم؟ وهذا منه نوع افراط، وكان أبو بكر الرازى من أئمة المحققين يذهب فى داود وأضرابه الى نحو هذا المذهب ويغلو فذكر داود فى مقدمة كتابه فى احكام القرآن ومال عليه وقال فيما قال لو تكلم داود فى مسألة حادثة فى عصره وخالف فيها بعض اهل زمانه لم يكن خلافا عليهم قال وكان ينفى حجج العقول ومشهور انه كان يقول بل على المقول: وقال بعد كلام كثير لاجل ذلك لم يعد خلافه احد من الفقهاء ولم يذكروه فى كتبهم فقد انعقد الاجماع على اطراحه وترك الاعتداد به هكذا رأى الرازى فيه وهو كما ترى لايخلو عن نوع من الحيف الذى قد كان منه وكان شديد الميل والعصبية على من خالفه من حيث انه وصف داود فى هذا الموضع من كبائر مما يأباه عنه الثابت المعروف من زهده وتحريه والذى اختاره الاستاذ ابو منصور فى هذا وذكر أنه الصحيح من المذهب انه يعتبر خلافه فى الفقه الذى استقر عليه الامر آخرا فيما هو الأغلب الأعرف من صفو الأئمة المتأخرين من الذين اوردوا مذاهب داود فى اثبات مصنفاتهم المشهورة فى الفروع كالشيخ أبى حامد الاسفراينى وصاحبه المحاملى وغيرهم فانهم قالوا لولا اعتدادهم بخلافه لما اوردوا مذاهبه فى امثال مصنفاتهم هذه لمنافاة موضوعها لذلك، وبهذا أجيب مستخيرا لله تعالى مستعينا مما بناه داود من مذاهبه على أصله فى نفى القياس الجلى ومما اجمع عليه القياسيون من انواعه أو على غيره من أصوله التى قام الدليل القاطع على بطلانها فاتفاق من عداه فى مثله على خلافه اجماع منعقد، وقوله فى مثله مردود خارقا للاجماع وكذلك قوله فى التغوط فى الماء الراكد وتلك المسائل المتسمة فيه بخلافه فى هذا وامثاله غير معتد به لكونه مبنيا على ماتقطع ببطلانه والاجتهاد الواقع على خلاف الدليل القاطع كاجتهاد من ليس من أهل الاجتهاد فى انزالها بمنزلة مالايعتد به وينقض الحكم به وهذا الذى اخترته

يثبت بدليل القول بتحرير تجزء منصب الاجتهاد وقد تقرر جواز ذلك فان العالم قد يكون مجتهدا فى نوع دون غيره والعلم عند الله تعالى :ثم لافرق فيما ذكرناه بين زمانه ومابعده فان المذاهب لاتموت بموت اصحابها، فاما من لم ير نقض وضوء النائم الا اذا اخبر بخروج حدث كأبى موسى الاشعرى وسعيد بن المسيب رضى الله عنهما ان كان سعيد قال كذلك فانه غير معروف عنه فالاجماع لاينعقد مع خلافهما فان أبا موسى احد فقهاء الصحابة من المفتيين فى عصرهم وكان سعيد صدرا فى العلم والفتيا وغيرهما فى ذلك الصدر ويرجح على أجلاء التابعين وكان السؤال عن انعقاد الاجماع فى هذه المسألة خاصة على خلاف هذا القول فعدم انعقاده فيها فى ذلك العصر لازم من هذا واما فيما بعده فقد اجمع على خلافه فمن قال ان الاجماع بعد عصر المختلفين على احد قوليهم اجماع صحيح رافع للخلاف فقد تحقق عنده انعقاد الاجماع فى المسألة على خلاف ذلك القول ومن قال انه لايرفع الخلاف فلا اجماع فى هذه المسألة مطلقا وهذا هو المذهب الصحيح فى ذلك والله أعلم *

(مسألة) جماعة من المسلمين المتنسبين الى أهل العلم والتصوف هل يجوز لهم ان يشتغلوا بتصنيف ابن سينا وان يطالعوا فى كتبه، وهل يجوز لهم ان يعتقدوا أنه كان من العلماء أم لا؟ *

(أجاب) رضى الله عنه لايجوز لهم ذلك ومن فعل ذلك فقد غدر بدينه وتعرض للفتنة العظمى ولم يكن من العلماء بل كان شيطانا من شياطين الانس وكان حيران فى كثير من امره ينشد كثيرا *

ان كنت ادرى فعلى بدنه   من كثرة التخليط انى من أنه

(مسألة) فيمن يشتغل بالمنطق والفلسفة تعلما وتعليما وهل المنطق جملة وتفصيلا مما اباح الشارع تعلمه وتعليمه والصحابة والتابعون والائمة المجتهدون والسلف الصالحون ذكروا ذلك أوأباحوا الاشتغال به أوسوغوا الاشتغال به ام لا؟ وهل يجوز ان تستعمل فى اثبات الأحكام الشرعية الاصطلاحات المنطقية ام لا ؟وهل الاحكام الشرعية مفتقرة الى ذلك فى اثباتها ام لا؟ وما الواجب على من تلبس بتعليمه وتعلمه متظاهرا به؟ ما الذى يجب على سلطان الوقت فى أمره واذا وجد فى بعض البلاد شخص من أهل الفلسفة معروفا بتعليمها واقرائها والتصنيف فيها وهو مدرس فى مدرسة من مدارس العلم فهل يجب على سلطان تلك البلدة عزله وكفاية الناس شره؟*

(أجاب) رضي الله عنه الفلسفة أس السفه والانحلال. ومادة الحيرة والضلال. ومثار الزيغ والزندقة، ومن تفلسف عميت بصيرته عن محاسن الشريعة المطهرة ، المؤيدة بالحجج الظاهرة والبراهين الباهرة، ومن تلبس بها تعلما وتعليما قارنه الخذلان والحرمان، واستحوذ عليه الشيطان، وأى فن أخزى من فن يعمى صاحبه و يظلم قلبه عن نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كلما ذكره الذاكرون وكلما غفل عن ذكره غافل مع انتشار آياته المستبينة ومعجزاته المستنيرة حتى لقد انتدب بعض العلماء لاستقصائها فجمع منها ألف معجزة وعددناه مقصرا اذ فوق ذلك باضعاف لا تحصى فانها ليست محصورة على ما وجد منها فى عصره صلى الله عليه وسلم بل تتجدد بعده صلى الله عليه وسلم على تعاقب العصور وذلك ان كرامات الأولياء من امته واجابات المتوسلين به فى حوائجهم واغاثاتهم عقيب توسلهم به فى شدائدهم براهين له قواطع ومعجزات له سواطع ولا يعدها عاد ولا يحصرها حاد اعاذنا الله من الزيغ عن ملته ، وجعلنا من المهتدين الهادين بهديه وسنته * وأما المنطق فهو مدخل الفلسفة ومدخل الشر شر وليس الاشتغال بتعليمه وتعلمه مما اباحه الشارع ولا استباحه أحد من الصحابة والتابعين والائمة المجتهدين والسلف الصالحين وسائر من يقتدى به من اعلام الامة وساداتها وان كان الامة وقادتها قد برأ الله الجميع من معرة ذلك وادناسه فطهرهم من اوصابه، واما استعمال الاصطلاحات المنطقية فى مباحث الأحكام الشرعية فمن المنكرات المستبشعة والرقاعات المستحدثة وليس بالأحكام الشرعية والحمد لله افتقار الى المنطق اصلا وما يزعمه المنطقى للمنطق من أمر الحد والبرهان فقماقع قد اغنى الله عنها كل صحيح الذهن لاسيما من خدم نظريات العلوم الشرعية ولقد تمت الشريعة وعلومها وخاض فى بحر الحقائق والدقائق علماؤها حيث لا منطق ولا فلسفة ولا فلاسفة ومن زعم انه يشتغل مع نفسه بالمنطق والفلسفة لفائدة يزعمها فقد خدعه الشيطان ومكر به فالواجب على السلطان ان يدفع عن المسلمين شر هؤلاء المياشيم و يخرجهم عن المدارس و يبعدهم و يعاقب على الاشتغال بفنهم و يعرض من ظهر منه اعتقاد عقائد الفلاسفة على السيف أو الاسلام لتخمد نارهم وتمحى آثارها وآثارهم يسر الله ذلك وعجله ومن أوجب هذا الواجب عزل من كان مدرس مدرسة من أهل الفلسفة والتصنيف فيها والاقراء لها ثم سجنه والزامه منزله وان زعم انه غير معتقد لعقائدهم فان حاله يكذبه والطريق فى قلع الشر قلع اصوله وانتصاب مثله مدرسا من العظائم جملة، والله تعالى ولى التوفيق والعصمة وهو أعلم *

﴿ مسألة ﴾ قول بعض المصنفين مستدلا على اثبات القياس بخوض الصحابة رضى الله عنهم فى حوادث جمة واختلافهم فيها وذكر من جملتها مسألة الجد والاخوة قائلا انهم قضوا فيها بقضايا مختلفة وصرحوا فيها بالشبه بالحوصين والخليجين ماوجه الشبه وماضبط اللفظين المشبه بهما وقول بعضهم بلغ الاعلى مراتب الاعيان فليلغ المسلم فيه أعلى مراتب الديون ما المراتب المشار اليها فى اصل القياس وفرعه؟

﴿ أجاب ﴾ رضى الله عنه اما الشبه بالخليجين فمن على رضى الله عنه انه اتى رد القول من اسقط الأخ بالجد فشبه ذلك بواد سال بمائه فانشعبت فيه شعبة ثم انشعبت الشعبة شعبتين فلو سدت احدى هاتين الشعبتين لرجع ماؤها على الشعبة الباقية من الشعبتين وعلى الشعبة التى هى أصلهما فلذلك اذا مات احد الأخوين اخذ ميراثه اخوه الباقى والجد الذى هو اصلهما جميعا، وشبه ذلك زيد بن ثابت رضى الله عنه بشجرة خرج منها غصن ثم خرج من الغصن غصنان ولو قطع احد الغصنين لرجع ماؤه على الغصن الباقى من الغصنين وعلى الغصن الذى هو أصلهما لذلك من خلفه الميت من اخوته مع الجد الذى هو أصلهم فأما ما ذكر من التشبه بالحوصين فوجود فى المستصفى فى أصول الفقه وذلك لا يعرف ولا أراه إلا تصحيفا من الخوطين، والخوط بضم الخاء المنقوطة والطاء المهملة وهو الغصن الناعم فاعلم ذلك والله أعلم، وأما قول القائل بلغ رأس المال الى آخره فهذا دليل يذكر من المنع من السلم الحال وأعلى مراتب الأعيان أن ينضم الى العينية القبض فى مجلس العقد، وأعلى مراتب الديون أن ينضم الى الدينية وصف الأجل ثم انه لا يتوقف صحة العبارة على تبيين الزيادة على مرتبتين فلسنا نتكلفه والله أعلم.

﴿ مسألة ﴾ قال بعضهم عن الامام مالك رضى الله عنه انه جمع بين السنة والحديث.

﴿ أجاب ﴾ رضى الله عنه السنة هنا ضد البدعة وقد يكون الانسان من أهل الحديث وهو مبتدع ومالك رضى الله عنه جمع بين السنتين فكان عالما بالسنة أى الحديث ومعتقد السنة أى كان مذهبه مذهب أهل الحق من غير بدعة والله أعلم.

﴿ مسألة ﴾ فى لفظ الاسلام هل هو مخصوص بهذه الأمة أم يطلق على كل من آمن بنبيه من أمة موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء صلوات الله عليهم وعلى نبينا وتسليمه؟ فاذا جاز إطلاقه على كل من آمن بنبيه من سائر الأمم فهل إطلاقه عليه شرعى أم لغوى؟ من حيث

أنه منقاد مطيع فاذا جاز إطلاقه على كل من آمن بنبيه فى زمن نبيه شرعاً فما فائدة قوله عز وجل (ورضيت لكم الاسلام دينا)[1] إذ كل منهم يسمى مسلما وهل قول القائل فى زمن موسى صلى الله عليه وسلم لا إله إلا الله موسى رسول الله ؟ كقول أحد هذه الأمة لاإله إلا الله محمد رسول الله فى هذا الزمان و يكون لفظه شاملا لها و يسمى كل منهما مسلماً *

﴿ أجاب رضى الله عنه ﴾ بل يطلق على الجميع وهو اسم لكل دين حق لغة وشرعا فقد ورد ذلك بألفاظ راجعة الى هذا فى كتاب الله تعالى ،منها (ورضيت لكم الاسلام دينا) لاينبغى أن يرضاه لغيرهم دينا،وقول القائل فى زمن موسى صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم لاإله إلا الله موسى رسول الله إسلام كمثله الآن والله أعلم *

﴿ مسألة ﴾ فيمن يعتقد أن فى ملك الله تعالى مالا يرضاه ولا يريده فهل هو مخطئ أو مصيب فى هذا القول والاعتقاد أم لا *

﴿ أجاب رضى الله عنه ﴾ أصاب فى قوله يوجد مالا يرضاه تبارك وتعالى مثل الكفر قال الله تعالى(ولا يرضى لعباده الكفر)[2] وضل وابتدع فى قوله انه يوجدمالا يريده بل ذلك محال ، ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن قد فرق بين الرضا والارادة ، ثم مالكم وللخوض فى هذا البحر المغرق عليكم بالعمل ففيه شغل شاغل والله أعلم *

﴿ مسألة ﴾ طائفة يعتقدون ان الحروف التى فى المصحف قديمة والصوت الذى يظهر من الآدمى حالة القراءة قديم كيف يحل هذا ومذهب السلف بخلاف هذا ؟ ومذهب أرباب التأويل بخلاف هذا، والمرادأن يفرق الانسان بين الصفة القديمة والصفة المحدثة حتى لا يتطرق الى النفس والعقل بسببه أن يفضى إلى الضلال أعاذنا الله من ذلك بينوا لنا هذا بالدليل العقلى والدليل الشرعى *

﴿ أجاب ﴾ رضى الله عنه الذى يدين من يقتدى به من السالفين والخالفين واختاره عباد الله الصالحون ان لا يخاض فى صفات الله تعالى بالتكييف ومن ذلك القرآن العزيز فلا يقال: تكلم بكذا وكذا بل يقتصر فيه على ما اقتصر فيه السلف رضى الله عنهم القرآن كلام الله غير مخلوق و يقولون فى كل ماجاء به من المتشابهات : آمنا به مقتصرين على الايمان جملة من غير تفصيل وتكييف و يعتقدون على الجملة ان الله

[1] ـ المائدة ٣
[2] ـ الزمر ٧

سبحانه وتعالى له في كل ذلك ماهو الكمال المطلق من كل وجه و يعرضون عن الخوض خوفا من أن تزل قدم بعد ثبوتها فيهم فاقتدوا تسلموا، والى هذا الطريق رجع كثير من كتاب المتكلمين المصنفين بعدان امتعضوا مما نالهم من آفات الخوض فيها و رد عليك شيء من هذه المسائل فاعتقد فيها لله تعالى ماهو الكمال المطلق والتنزيه المطلق ولا تخض فيما و راءه بحرى الايمان المرسل والتصديق المجمل والله اعلم *

(مسألة) رجل يعتقد ان يزيد بن معاوية رضي الله عنه امر بقتل الحسين بن على رضي الله عنهما واختار ذلك و رضيه طوعا منه لا كرها ويورد في ذلك احاديث مروية عمن قلده ذلك الامر وهو مصر عليه و يسبه و يلعنه على ذلك والمسؤل خطوط السادة العلماء ليكون رادعا له اوحجة له *

(اجاب) رضي الله عنه لم يصح عندنا انه امر بقتله رضي الله عنه والمحفوظ ان الآمر بقتاله المفضي الى قتله كرمه الله انما هو عبيد بن زياد والى العراق اذ ذاك من شأن المؤمنين وان صح انه قتله أوأمر بقتله وقد ورد في الحديث المحفوظ ان لعن المسلم كقتله وقاتل الحسين رضي الله عنه لا يكفر بذلك وانما ارتكب عظيما وانما يكفر بالقتل من قتل نبيا من الانبياء والناس في يزيد ثلاث فرق، فرقة تحبه وتتولاه، وفرقة تسبه وتلعنه، وفرقة متوسطة في ذلك لاتتولاه ولاتلعنه وتسلك به سائر ملوك الاسلام وخلفائهم غير الراشدين في ذلك وشبههم، وهذه الفرقة هي المصيبة ومذهبها هو اللائق بمن يعرف سير الماضين و يعلم قواعد الشريعة الطاهرة جعلنا الله من خيار أهلها آمين *

(مسألة) المبتدع ،والفاسق، والغضب،والغل بين لنا هذا المجموع ؟ *

(أجاب) رضي الله عنه كل مبتدع فاسق وليس كل فاسق مبتدعا والمراد الذي تخرجه بدعته عن الاسلام وهذا لان البدعة فساد في العمل مع سلامة العقيدة والغضب مفارق للغل وما يفترقان فيه أن قد يكون يؤمر به كالغضب على العاصي لله تعالى من أجله والغل لايؤمر به وأيضا فالغل فساد في القلب يتعلق بالغير مثل الحقد والحسد والبغض وإن لم يكن من ذلك الغير سبب عامل به صاحب الغل أثاره عليه وأما الغضب فمن شرطه أن يكون من المغضوب عليه جناية يعدها الذى غضب جناية موجبة لغضبه والله أعلم *

﴿ تمت مجموعة فتاوى العلامة ابن الصلاح والحمد لله و يتلوها فتاوى الحافظ ابن حجر العسقلاني ﴾

الجواب الكافى عن السؤال الخافى . تأليف الشيخ الامام العالم العلامة شيخ الاسلام الحافظ شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلانى المتوفى سنة ٨٥٢ رحمه الله تعالى والمسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم (مايقول) سيدنا ومولانا قاضى القضاة نفع الله المسلمين ببركة علومه فى الميت اذا ألحد فى قبره و غاب عن البصر وجاءه منكر ونكير (هل) يقعدو يسأل او يسأل وهو راقد ؟(وهل)تلبس الروح الجثة كما كانت الحياة ام لا؟ وكيف الحال؟ وبعد السؤال اين تقيم الروح؟(وهل) تقيم على القبر ابداً ام احيانا تصعد وتأتى؟ (وهل) اذا أهيل عليه التراب ولقن من فوق القبر هل يسمع كلام من يلقنه و بينه و بين الميت مسافة بعيدة (وهل) يعلم الميت من يزوره ويفرح بذلك ؟(وهل)اذا جاءه منكر ونكير ماذا يقولان له؟ (وهل) يكشف له فى الحال حتى يرى النبى صلى الله عليه وسلم و يقول له ماتقول فى هذا الرجل؟ (وهل) عذاب القبر على الروح ام على الجثة ام عليهما؟(واذا) ثبت اقامة الروح على القبر اين تكون على اللحد ام على قافية القبر ؟(وهل) يغرس الريحان والجريد على متن القبر ام على قافية اللحد ام كيف الحال؟(واذا) قرأ رجل غريب واهدى تلك القراءة للميت هل يصل من تلك القراءة للميت شىء؟(وهل) للانسان تصرف فى الاعمال كما نقله ابن عبد السلام ام كيف الحال؟(واذا) نقل الميت من مكان الى مكان هل تنتقل روحه الى القبر الثانى ام لا؟ (وهل) اذا دفنت الرقبة فى مكان والجثة فى مكان اين تكون الروح فى المكانين؟ (وهل) للانسان اذا احتضر هل الافضل كثرة الدلجة ام عدمها ؟(وهل) تارك الصلاة ومانع الزكاة وتارك صوم رمضان هل يحبس على جسر من جسور جهنم حتى يؤديها•

(وهل) فى القيامة عمل ام كيف الحال؟ (وما تقول) فى رجل مؤدب اطفال فى فؤاده مرض لا يستطيع أن يقيم بلاحدث اكثر من اداء الفريضة ثم يحدث و لو توضأ كلما أحدث لاستغرق اليوم كله فهل يرخص له أن يمس المصحف لاجل الضرورة ام لا؟ (وهل) الملائكة الكرام الكاتبون يجلسان على قبر الميت و يستغفران له كما رواه الترمذى؟ (وهل) هما الملكان اللذان ذكرهما الله تعالى فى كتابه سائق وشهيد ام غيرهما؟ (وهل) يكون يوم الحشر على كل قدم سبعون الف قدم(١)؟ (وهل) تدنو الشمس من رؤس الخلائق كما قيل؟ (وهل) هذه الأجساد اذا بليت وفنيت واراد الله تعالى اعادتها هل يعيدها كما كانت أو انه يخلق للناس اجساداً أخر غير الأجساد الأولى؟ (وهل) تكون العينان فى الرأس ام فى الوجه؟ (وهل) يكون الخلق كلهم طولا واحدا ام مختلفين كما نحن الآن الوانا ام كيف الحال؟ (وهل) تحشر الناس فى القيامة بشعور أم بغير شعور؟ (وهل) يعرف الناس بعضهم بعضا أم لا؟ (وهل) يميت الله العصاة من هذه الامة إماتة صغرى أم كيف الحال؟ وما حكم الله فى ذلك؟ افتونا مأجورين أثابكم الله الجنة بمنه وكرمه*

قال الشيخ تصفحت الاسئلة والجواب عليها وبالله التوفيق

(اما السؤال الاول) وهو هل يقعدان الميت أم يسألانه وهو راقد (فالجواب) انهما يسألانه وهو قاعد كما جاء فى حديث البراء المشهور وصححه ابو عوانة واخرجه أحمد بن حنبل فى مسنده (واما السؤال الثانى) وهو هل تلبس الروح الجثة كما كانت اولا (فالجواب) نعم لكن ظاهر الحديث انها تحل فى نصفه الأعلى (واما السؤال الثالث) وهو اين تقيم روحه بعد السؤال (فالجواب) ان ارواح المؤمنين فى عليين وارواح الكفار فى سجين ولكل روح اتصال وهو اتصال معنوى لايشبه الاتصال فى الحياة الدنيا بل أشبه شىء به حال النائم انفصالا وشبهه بعضهم بالشمس أى بشعاع الشمس وهذا مجمع ما افترق من الاخبار ان محل الأرواح فى عليين وفى سجين ومن كون أفنية الأرواح عند أفنية قبورهم كما نقله ابن عبد البر عن الجمهور (وأما الرابع) هو هل يسمع الميت التلقين (فالجواب) نعم لوجود الاتصال الذى أشرنا اليه ولا يقاس ذلك على حال الحى اذا

---

(١) لم يجاوب عن هذا السؤال المصنف رحمه الله*

كان فى قمر بئر ردم فانه لايسمع من هو على البئر (واما الخامس) وهوهل يعلم الميت من يزوره (فالجواب) نعم اذ قديعلم اذاأراد الله تعالى ذلك فان الأرواح مأذون لها فى التصريف فتأوى الى محلها فى عليين أوسجين كما جاء فى الحديث الصحيح «ان ارواح الشهداء فى أجواف طيور خضر تسرح فى الجنة» وهوفى الصحيح ،وجاء عن أحمد بن حنبل مثل ذلك فى ارواح المؤمنين ،وفى رواية فى الصحيح «تأوى إلى قناديل تحت العرش» وكل ذلك لايمنع الاتصال الذى تقدم ذكره ومن يستبعد ذلك فسببه قياسه على الشاهد من أحوال الدنيا ،واحوال البرزخ بخلاف ذلك (وأما السادس) وهوهل العذاب على الروح أوالجسد (فالجواب) أنه عليهما لكن حقيقته على الروح ويتألم الجسد مع ذلك ويتنعم مع ذلك لكن لا يظهر أثر ذلك لمن يشاهده من أهل الدنيا حتى لو نبش على الميت لوجد كهيئته يوم وضع (وأما السابع) وهو مايقول منكر ونكير (فالجواب) أنه مصرح به فى حديث البراء الطويل عن أحمد بن حنبل فى مسنده ،وفى حديث أبى هريرة عند ابن حبان (وأما الثامن) وهو هل يكشف له حتى يرى النبي صلى الله عليه وسلم الخ (فالجواب) أن هذا لم يرد فى خبر صحيح وانما ادعاه من لا يحتج به بغير مستند إلا من جهة قوله فى هذا الرجل وان الاشارة بلفظة هذا تكون للحاضر وهذا لامعنى له لانه حاضر فى الذهن (وأما السؤال التاسع) وهو أين مقر الروح فقد تقدم ذكره ،والحاصل أن لها اتصالا معنويا تتألم بتألمه وتتنعم بتنعمه كما قررناه أولا (وأما العاشر) وهو موضع غرس الجريد والريحان (فالجواب) أنه ورد فى الحديث الصحيح مطلقاً فيحصل المقصود بأى موضع غرس فى القبر (وأما الحادى عشر) وهو هل يصل ثواب القراءة للميت ؟فهى مسألة مشهورة وقد كتبت فيها كراسة ،والحاصل أن أكثر المتقدمين من العلماء على الوصول وان المختار الوقف عن الجزم على المسألة مع استحباب عمله والاكثار منه (وأما الثانى عشر) وهو هل للانسان تصرف فى الأعمال كما قاله ابن عبد البر (فجوابه) يعرف من الذى قبله (وأما الثالث عشر) وهو نقل الميت (فالجواب) نعم قد قدمنا أن الروح وان لم تكن داخلة فى جسد الميت لكن لها منه اتصال فالى أى موضع نقل فذلك الاتصال مستمر (وأما الرابع عشر) وهو اذا فرق بين الجسد والرقبة (فالجواب) ان الروح متصلة بكل

منهما ولو فرق بعدد أعضاء الميت فالجواب كذلك (وأما الخامس عشر) وهو هل يشرع فى علاج المحتضر (فالجواب) انه اذا انتهى الى حركة المذبوح فترك العلاج أفضل وإلا فالعلاج مشروع وربك على كل شىء قدير (وأما السادس عشر) وهو حال من أخل بشىء من العبادات هل يقضيها يوم القيامة (فالجواب) أنه لا قضاء هناك بالعقل وإنما قضاؤه أن يؤخذ من نوافل ذلك العمل فيكمل به ما وقع الخلل من فرائضه فان لم يكن له نوافل فمن حسناته من جنس آخر فان لم يكن له حسنات فيطرح عليه بمقدار ما بقى عليه من السيئات إلا أن يعفو الله ويسمح (وأما السابع عشر) فجوابه يعرف من الذى قبله (وأما الثامن عشر) وهو مؤدب الأطفال (فالجواب) أنه يسامح مثله لما ذكر من المشقة ولكن يتيمم فان زمنه أسهل من زمن الوضوء فان استمرت المشقة فلا حرج والله أعلم (وأما التاسع عشر) وهو هل الملكان اللذان يجلسان عند القبر هما الكاتبان كما رواه الترمذى (فالجواب) أن الذى يظهر ان كان الحديث ثابتا أنهما اللذان كانا يكتبان فى الدنيا الأعمال ومنه يخرج الجواب عن السؤال (وأما العشرون) وهما الملكان اللذان قال الله تعالى فيهما (سائق وشهيد) فعنده أنهما هما بخلاف من فسرهما بغيرهما وقد اختلف فى ذلك على أقوال ذكرها الطبرى وغيره (وأما السؤال الحادى والعشرون) وهو هل تدنو الشمس من الرؤس يوم القيامة (فالجواب) نعم هو حق ورد به الحديث الصحيح فوجب الايمان به (وأما الثانى والعشرون) وهو هل فى القيامة شمس (فالجواب) نعم لكن فى الموقف ثم تطرح الشمس والقمر بعد ذلك فى النار اذا انقضى أمد الموقف (وأما الثالث والعشرون) وهو هل يخوض الناس فى العرق (فالجواب) نعم ثبت ذلك فى الحديث الصحيح أن منهم من يلجمه العرق الجاما ومنهم من يصل الى صدره والى ركبتيه وغير ذلك على قدر أعمالهم (وأما الرابع والعشرون) وهو هل تعود الأجساد كما كانت أو لا (فالجواب) نعم ان الذى يعيده الله تعالى هى الأجساد الأولى لا غيرها وهذا هو الصحيح بل الصواب ومن قال غيره عندى فقد أخطأ لمخالفته ظاهر القرآن والحديث (وأما السؤال الخامس والعشرون) وهو محل العينين (فالجواب) أنهما فى الوجه كما كانت فى دار الدنيا وورد أنهما فى الرأس ولكن ظاهر الحديث ان جوابه صلى الله عليه وسلم لأم المؤمنين حيث استعظمت كشف العورات

فأجابها صلى الله عليه وسلم بأن (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) عن النظر الى غيره ففيه إشارة الى أن العينين فى الوجه كما كانت فى الأول والله أعلم (وأما السادس والعشرون) وهو طول الناس فى الموقف (فالجواب) أن كل واحد منهما يكون على مامات عليه وعند دخول الجنة يصيرون طول واحد ففى الحديث يبعث كل عبد على مامات عليه وفى الحديث فى صفات أهل الجنة ما ذكر (وأما السابع والعشرون) وهو هل لهم شعور (فالجواب) نعم يمشون كذلك ثم يدخلون الجنة جردا مردا كما ثبت فى الحديثين المذكورين (واما الثامن والعشرون) وهو هل يميت الله العصاة من هذه الأمة الخ (فالجواب) نعم ثبت ذلك فى الصحيحين بل فى الصحيح أن من يدخل النار من عصاة هذه الأمة يميتهم الله إماتة صغرى ثم يخرجهم بالشفاعة فيلقون فى نهر الحياة حمما ينبتون كما تنبت الحبة فى حميل السيل *

انتهى آخر الأسئلة والأجوبة والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين *

منظومة فى التصوف

للامام العالم العلامة الشيخ عبد الرحمن بن سعيد الأخضرى المغربي رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول راجى رحمة المقتدر المذنب العبد الذليل الأخضرى
بحمد رب العالمين أبتدى ثم صلاته على محمد
ياطالباً علا كمال قدسه وقاصداً الى علاج نفسه
إعلم بأن الجوهر الانسانى وهو الذى يدعونه الروحانى
منشؤه فى العالم العلوى مستودع فى القالب الجسمى
لانه فى الأصل من جنس الملك فصار مركوزاً بعالم الحلك
فهذه الجوهرة النفسيه بالأصل فى الدائرة القدسيه
دائرة التطهير والكمال وعاقها عن ذاك الاتصال
شيآن منهما حجاب ظاهر وباطن فى النفس أى ساتر
فالظاهر العوائد الجسميه والباطن العوائق النفسيه
من شهوة رياسة ودعوى ونزغة الشيطان وهى البلوى
فأول يدعى الحجاب الحسى والثانى يدعى بالحجاب النفسى
فمن يكن لنفسه مكبكباً على هواها لم يزل محتجبا
إذ تحجب المرآة بالصداء عن انطباع صور الأشياء
ومن أجاد الصقل بالمجاهده رقى مقام الكشف والمشاهدة
وصار فى طى النفوس باديا جميع ماكان لها محاذيا
وظهرت خوارق العادات عليه من صقالة المرآة
وعادت الحقيقة النفسيه لأصلها فى الحضرة القدسيه
وطهر القلب من الأدغال إذ حل فى درجة الكمال
لكن أنواع المجاهدات بحسب المقام للسادات
تقواه واستقامة وكشف وذاك مابه القلوب تصفو
فأى من اشد للحزم عرى وضل يرتضى النفوس مؤثرا

حتى إذا صحت سماء القدس بطرد مركوم سحاب الحس
حينئذ تبدو شموس الغيب مشرقة بعرصات القلب
وانطبعت في وسط المرآة صور(١) الأمور والملكوتيات
وازخرفت حدائق القلوب بثمرات الكشف والغيوب
ووابل الأسرار بالقلب انسجم وانفجرت منه ينابيع الحكم
واعلم بأن رتبة الكمال وخارق العادات في المثال
مطوية في النفس طي الحب في أكمامه ظهوره منها يفي
من بعد ارعاد الرعود السائقه ثم انسكاب المعصرات الرائقه
حتى إذا شربت الأشجار وزال عن أغصانها الغبار
ولانت الاعراق بارتوائها وسريان الماء في أرجائها
واهتزت الاغصان بالرياح تهيأ الثمار للقاح
والقصد عند القوم بالرعود قدح رعود الوعد والوعيد
ثم انسكاب مطر الوعظ على بصيرة المرء لكي يمتثلا
حتى يلين قلبه للفكرة وينتفى عنه غبار الغفلة
حتى اذا هبت رياح الحال من خزانة الوعظ عن القلب الفطن
واستخرجت ثمار غصن القلب بزهرها فبعد هذا الخصب
يبدو لقاح العلم والأعمال بقدر ما للقلب من كمال
فبعد ماتحصل اللقاح إذ هب في أرجائها الرياح
وظهر الأزهار في الاغصان وكان الاعتدال في الزمان
وجالت الرياح في الأشجار وسقط الجل من الثمار
حينئذ تنعقد الأزهار وازخرفت بحبها الاشجار
كذاك من بعد لقاح العلم والعمل الازهار عند القوم
وهو ظهور العلم والعبادة على الجوارح مع الزيادة
لان من صح له الاخلاص صح له التحصيل والخلاص
وحكمة تجرى على لسانه وطاعة تجرى على أركانه
وربما هبت على الاعمال ريح الرياء الموبق الرجال
فتحبط الجل من الطاعات وهذه من أعظم الآفات

(١) هو بضم الصاد واسكان الواو للوزن

فالعاملون فى الورى كثير والثابتون عملا يسير
والعقد للاعمال فى الطريقة ثبوتها بالحال والحقيقة
وربما هبت رياح العجب ونحوه فى عرصات القلب
فاسقطت من ذلك الكثيرا وتركت منه زهاً يسيرا
إلا قليلا من عباد الله تمسكوا فيها بحبل الله
الذهمو أهل شهود المنة الطاعنو القطاع بالأسنة
وبعد ان ثبت ذا المقدارا ففى الصلاح يأخذ الثمارا
فان جناها ربها بالشهرة لم يكمل الطيب لتلك الثمرة
وحيث بالحول قد أخفاها تبلغت فى الطيب منتهاها
تمت من بعد كمال الطيب ان صانها بالحفظ والترتيب
بترك الاغترار والأمان ورفع صور محكم البنيان
تزخرفت وحسنت الزاد ونال منها غاية المراد
وان يكن أهملها فتقرب ثمارها كل يد فتخرب
وآل كده إلى الضياع إذ ماله فيه من انتفاع
وهذه طريقة القطاع ماجابها غير فتى شجاع
ماحل منها بسنام الطور إلا امرؤ مؤيد بالنور
واعلم بان طرق التطهير كثيرة عند ذوى التنوير
اقربها نفعا طريق الذكر بسرعة يزيل كل ستر
لكن بشرط الخوف والحضور مع ادكار هيبة المذكور
فمن تلك الغفلة والأمان فى ذكره حجبه الشيطان
وحال بينه وبين ربه بقذفه وساوساً فى قلبه
واحدقت بقلبه غشاوة فلم يذق بالذكر من حلاوه
كم باذل قواه فى الاذكار ولم يجد بالذكر من ثمار
وذاك من وساوس الشيطان يهيج بالغفلة والامان
فعالج الخواطر الرديه بالدفع فهى حجب قويه
هيهات أن يطمع فى الابصار من قلبه فى الهذيان جارى
هل يرتقى بسلم المعالى من قلبه فى عالم الخيال

لن يستقيم القلب للتوجيه ... مادام هـذا الهذيان فيـه
كيف يصح فتح باب القـدس ... مادام فى القلب غبار النفس
لن يصـل العبـد الى مولاه ... مـدة ماليـل الهوى يغشاه
حتى اذا نهـاره تجلى ... بفتح باب الملكوت الأعلى
فاجعل أخى همك هما واحداً ... تـكن لمـا تطلبه مشاهـدا
ومن شروط الذكر ان لا يسقطا ... بعض حروف الاسم أو يفرطا
فى البعض من مناسك الشريعه ... عمـدا فذلك بدعة شنيعـه
والرقص والصراخ والتصفيق ... عمـدا بذكر الله لا يليق
وانما المطلوب فى الاذكار ... لذكر بالخشوع والوقار
وغـير ذا حركة نفسيـه ... الا مـع الغلبـة القويه
فواجب تنزيه ذكر الله ... على اللبيب الذاكر الأواه
عن كل ماتفعله اهل البـدع ... و يقتدى بفعل ار باب الورع
فقد راينا فرقة ان ذكروا ... تبدعوا وربمـا قد كفروا
وصنعوا فى الذكر صنعا منكرا ... صعبا لجاهدهم جهادا أكبرا
خلوا من اسم الله حرف الهاء ... فألحدوا فى اعظم الأسماء
لقـد أتوا والله شيأ إدا ... تخر منه الشـامخات هـدا
والالف المحذوف قبل الهاء ... قـد اسقطوه وهو ذو اخفاء
وغرهم اسقاطه فى الخط ... و كل من يتركه فمخطىء
قد غير والاسم الله جل وعلا ... وزعموا نيل المراتب العـلا
تغرهم مذاقة طبعية ... سببها حركة نفسية
فزعموا ان لهم أسرارا ... وان فى قلوبهم انوارا
وزعموا ان لهم احوالا ... وانهم قد بلغوا الـكمالا
والقوم لا يدرون ماالأحوال ... فـكونها لمثلهم محال
حاشا بساط القدس والـكمال ... تطؤه حوافر الجهال
قد ادعوا من الـكمال منتهى ... يكل عن تحصيله اولو النهى
والجاهلون كالحمير الموكفه ... والعارفون سادة مشرفه
وهل يرى بساحل الأنوار ... من لج فى بحر الظلام سارى

وقال بعض السادة المتبعه في رجز يهجو به المبتدعه
ويذكرون الله بالتغيير ويشطحون الشطح كالحمير
وينبحون النبح كالكلاب طريقهم ليست على الصواب (١)
قلت وشاع امر الاشتباه في المتذاكرين باسم الله
فمن يكن مشتهراً بالذكر فشرطه من خشية وفكر
جرى لسانه على الأذكار ومطرت سحائب الانوار
حتى إذا مزجت الاذكار بالقلب واستنارت الافكار
تأنس القلب بذكر الله وصار طول الدهر غير ساه
حتى اذا استنارت السريرة وانبث معنى الذكر في البصيرة
وغرست في وسط الجنان شجرة تروق كل جان
دائمة الظلال والثمار وتحتها جداول الانهار
وانقطعت علائق الشيطان وطهرت بصيرة الانسان
ونقشت في قلبه علوم وابديت في سره فهوم
ولان قلبه وقد اصابا في القلب نحو الملكوت بابا
فذى من التقى فعال النفس إذ حل في شاطىء وادى القدس
وآنس النور بذاك الوادى يفوز من شجرة المنادى
انك بالواد المقدس طوى فيكتسى من حلل النور رقوى
وربما يزجى به سحابا يفيض من ارجائه شرابا
فيرتمى الصب عليه شربا فيستزيد طربا وحبا
وربما خامره التملى فتعتريه صعقة التجلى
اذ ذاك فليفزع الى الصلاة فانها تفضى الى النجاة
اياه ان يضره الخيال فيزدرى بقلبه الختال
فرب سالك رآى سرابا بقيعة يظنه شرابا
ياجاهلا بمنصب الكمال وطالبا حضيض الانسفال
الست ذا عقل وذا بصيره؟ الم تكن منور السريره؟

---

(١) وفى نسخة زيادة

وليس فيهم من فتى مطيع فلعنة الله على الجميع

حجبت بالعلائق النفسية عن هذه المراتب القدسية
رضيت بالمراتب الخسيسه بجهلك المراتب النفيسه
دوائر الحس عليك مطبقه وحضرة الكمال عنك مغلقه
يامولعا بالعالم الجسمانى وجاهلا بالعالم الروحانى
فكم خدمت الجسم يابطال(١) ولست من خدمته تبالى
هلا خدمت الروح يامغرورا هيهات قد حجبت عنك النورا
ياجاهلا بعالم الارواح حجب(٢) عنك السر بالاشباح
فلو علمت هذه التجاره لم تعتبر من دونها خساره
ياجاهلا بقلبه وماحوى مشتغلا بالشهوات والهوى
لو غصت فى بحرك يامغرورا وجدت فيه لؤلؤا منثورا
ولو تركت العالم الجسمانى لذقت سر العالم الروحانى
وكل مشغول بعالم الجسد فذاك محجوب عن الله الصمد
فلتشتغل بالعالم الروحانى واترك سبيل العالم الجسمانى
واخرق حجاب النفس بعد الجسم ترى الكمال فى بساط العلم
فمن سعى فى خدمة الموضوع فذاك محجوب عن الطلوع
اذ أول السلوك ترك ذلك وبعده يسلك فى المسالك
نعم بقدر القوة النفسيه لم تتصل بالحضرة القدسيه
فابذل قواك فى علاج النفس من كل وصمة بها ولبس
حتى اذا صحت سماء القدس بانسها عن طبقات النفس
فمنده شمس شهود الحق مشرقة على بروج الصدق
هيهات ان يطا(٣) بساط القدس مكبل بشهوات النفس
هيهات ان يطا البساط الأحق كيف ينال السر من لا يصدق
هيهات ان يرقى المقام العاليا من كان للنفس مطيعا باليا
وهل يطأ مساجد الانابه من لم يزل بحدث الجنابه
كيف تفيد الشكل مرآة الصدا ام كيف تمشو مقلة فيها القذى
عجبت من مسافر يشكو الظما وحوله عذب فرات اىما

(١) بطال على وزن حزام بفتح أوله كثير البطالة (٢) بتشديد الجيم (٣) بدون إثبات الهمزة للوزن وكذلك فى البيت الثانى بعده *

ماحل وفد الراصدين مرصدا ورام حزب الواردين موردا
الا باخماص البطون والسفر والصمت والعزلة عن كل البشر
والزهد فى الدنيا وتقصير الامل وفكرة القلب واكثار العمل
والخوف والذكر بكل حال والصبر والقوت من الحلال
وفعل انواع المعاملات وفعل اركان المجاهدات
من بعد تحصيل فروض العين علما واعمالا بغير مين
فأين حال هؤلاء القوم من سوء حال فقراء اليوم؟
قد ادعوا مراتباً جليله والشرع قد تجنبوا سبيله
قد نبذوا شريعة الرسول والقوم قدحادوا عن السبيل
لم يدخلوا دائرة الحقيقة كلا ولا دائرة الطريقة
لم يقتدوا بسيد الأنام فخرجوا عن ملة الاسلام
لم يدخلوا دائرة الشريعه وأولعوا ببدع شنيعه
لم يعملوا بمقتضى الكتاب وسنة الهادى الى الصواب
قد ملكت قلوبهم أوهام فالقوم إبليس لهم إمام
كفاك فى جميعهم خيانه ان اخلطوا الدنى بالديانه
وانتهكوا محارم الشريعه وسلكوا مسالك الخديعه
من كان فى نيل الكمال راجيا وعن شريعة الرسول نائيا
فانه مبلس مفتون أو عقله مخبل مجنون
هذا محال لايصح أبدا لان سيد الورى باب الهدى
وقال بعض السادة الصوفيه مقالة جليلة صفيه
اذا رأيت رجلا يطير او فوق ماء البحر قد يسير
ولم يقف عند حدود الشرع فانه مستدرج و بدعى
واعلم بأن الخارق الروحانى لتابع السنة والقرآن
والفرق بين الافك والصواب يعرف بالسنة والكتاب
والشرع ميزان الأمور كلها وشاهد بفرعها وأصلها
والشرع نور الحق منه قد بدا وانفجرت منه ينابيع الهدى
و قال بعض اولياء الله السالكين لصراط الله
من ادعى مراتب الجمال ولم يقم بأدب الجلال

فارفضه انه الفتى الدجال ليس له التحقيق والكمال
ومن تحلى بحلى المعالى وبحدود الله لم يسال
ففر منه انه الشيطان مخادع ملبس خوان
ياصاح لا تعبأ بهؤلاء ذوى الخنا والزور والاهواء
باؤا بسخط وضلال وقلى لم يبلغوا مراتب المجد الى
ان تنظر البهموت بالعرش يناط اويلج الجمل فى سم الخياط
هذا زمان كثرت فيه البدع واضطربت عليه امواج الخدع
وخسفت شمس الهدى وافلت من بعد ماقد بزغت وكملت
والدين قد تهدمت اركانه والزور طابق الهوى دخانه
وظلمات الزور والبهتان تزخرفت فى جملة الأوطان
لم يبق من دين الهدى إلا اسمه ولا من القرآن إلا رسمه
هيهات قدغاضت ينابيع الهدى وفاض بحر الجهل والزيغ بدا
اين دعاة الدين اهل العلم قد سلفوا والله قبل اليوم
وهاجت الطائفة الدجاجله السالكون للطريق الباطله
وكثرت اهل الدعاوى الكاذبه وصارت البدعة فيهم غالبه
فالقوم إذ زاغوا أزاغ الله قلوبهم فانسلخوا وتاهوا
وجاء فى الحديث عن خير الورى لن يخرج الدجال اعنى الأكبرا
حتى تقوم قبله دجاجله كل يلوذ بطريق باطله
من لم يلج بالمنهج المحمدى باء بسخط الله طول الأمد
هيهات ان يطمع فى نيل الوفا من حادعن شرع النبى المصطفى
فانه هو السراج الأنور وباب حضرة الاله الأكبر
فكل من يرغب عن سنته فليس عند الله من امته
من حاد عن سنته فقد غوى وفى غيابات الضلال قد هوى
والمصطفى خير وسيلة الى إلهنا رب السموات العلى
صلى عليه الله ماهب الصبا وما اليه قلب عاشق صبا
يا ايها المغلول فى سجن الهوى أقبل لما عليه قلبك انطوى
وجد كل الجد فى إصفائه تستخرج المكنوز من ارجائه
ولازم التفويض والانابه فهذه طريقة الصحابه

تأنست قلوبهم بالله   فاخلصوا اوقاتهم لله
واستغرقوا اوقاتهم بالطاعه   على بساط القدس والضراعه
الناس فى جوف الظلام هجعوا   والقوم فيه سجد وركع
حثوا مطايا الحزم فى جوف الدجى   تطلع شمسهم اذ الليل سجا
ففى المناجاة لهم كؤوس   تحيا بها الارواح والنفوس
هم الهداة بهداهم اقتد   الى مراتب الوصول تهتدى
واكشف حجاب السر بالتفريد   بالعالم الاسنى مع التجريد
ترى الغيوب كلها جليه   وترتقى للحضرة العليه
مازال عن مرآته كشف الغطا   من لم يزل فى حسه مشبطا
فأى من أدمن قرع الباب   منقطعا عن جملة الاسباب
فانه يرتقب الفتوحا   حتى يصير صدره مشروحا
من قطع العلائق النفسيه   ولج باب الحضرة القدسيه
فاشدد ازار الحزم والمجاهده   عساك ترقى منبر المشاهده
وقف على باب الكريم باكيا   وكن هناك خائفا وراجيا
معترفا بالذنب والجناية   عساه ان يمن بالهدايه
فليس بالباب الكريم غالقا   اذا توجه المريد صادقا
والصدق والاخلاص فى الامور   شرط به يكون قدح النور
ياعاشقا فى الدرجات العاليه   اعلم بان الصفقات غاليه
مانالها ذو العجز والتوانى   الا بكد النفس والاذعان
فارحل الى المهيمن القدوس   وابن على تزكية النفوس
قد افلحن والله من زكاها   يوما كما قد خاب من دساها
واخرق حجاب السبعة الاطوار   لكى ترى دقائق الاسرار
ترى من السر المصون عجبا   وترتقى فى الدرجات رتبا
وتبصر النفوس مستنيره   جارية فى فلك البصيره
القلب كالمرآة للتجلى   يصفو بها صقالة التخلى
القلب عرش سره الربانى   وحضرة للقرب والتدانى
القلب فهو لوحك المحفوظ   ياأيها القرب الملحوظ
فاقرأ سطور لوحك المكنون   يريك سر أمره المصون

القلب سر الله فى الانسان … وعرشه المحيط بالاكوان
وهو من عرش السماء أكبر … وذاك معنى فى الحديث يذكر
أعنى حديث الوسع للتجلى … فاعرف زمام قلبك الاجل
القلب مشكاة التجليات … مهما خلا من جملة الآفات
القلب كنز من كنوز الله … وفيه باب ملكوت الله
القلب من عجائب الرحمن … أودعه فى عالم الابدان
فالروح باب الحضرة القدسيه … تحجبه العلائق النفسيه
وانما يفتح بالاذكار … لجازم بالليل والنهار
اذا اعتراك سقم فى القلب … فافزع الى الذكر ولذ بالرب
فان تكن لم تنتفع بالذكر … فاندب على نفسك طول الدهر
فاخلع نعال الكون جملة وجى … تكن على طور المناجاة نجى
كيف تنادى للتناجى فى طوى … والقلب تحت قهر سلطان الهوى
لو ذهبت عن الحجا اكداره … لجاء بعد ليله نهاره
فمن رأى بواطن الاوانى … وفهم الاسرار والمعانى
من غير ما كسب له يعانى … فذلك المخصوص بالتدانى
والغيب محجوب عن النفوس … بهذيان العالم المحسوس
لن يستفيد المرء علما بالاله … وفى الحجاء لمة لمن سواه
فان ترد معرفة بالرب … فارغب اليه صادقا بالقلب
ولا تعد غيره موجودا … فتغتدى عن بابه مطرودا
وكن على بصيرة فى الدين … بالعلم والتحقيق واليقين
وكن على حدوده محافظا … وكن لهذا الهذيان رافضا
إذ ذاك فلتفزع الى التخلى … وبعده فافزع الى التجلى
ولازم الذكر بكل حال … وفر من طوارق الخيال
فان تخف شيأ من الأنفاس … فذاك من علامة الافلاس
ولا تزال واقفاً بالباب … وذا كراً للملك الوهاب
حتى ترى الهمة قد تجمعت … وفكرة الانسان قد توسعت
وكل ما يغشاه فى السبيل … من وارد فانقله للدليل
وذكر أهل الفضل والبصائر … بوارق الثلاثة الدوائر

دائرة الاسلام والايمان فوقها دائرة الاحسان
وذاك باللسان والجنان والروح وهو منصب الاحسان
فالقلب ترجمانه اللسان والروح ترجمانه الجنان
فلا يزال باللسان يذكر حتى يصير أبداً لا يفتر
حتى اذا ما استغرق اللسان فيه اليه التفت الجنان
حتى يصير القلب ليس يفتر فيصمت اللسان وهو يذكر
حتى اذا استولى عليه الذكر ولم يكن له عليه صبر
واتسعت دائرة الأفكار وأومضت سواطع الأنوار
توجه القلب الى مولاه ولم يلذ بأحد سواه
ولا يزال ذاكراً بقلبه وجامعاً همته لربه
حتى يصير لفظه منتسخا ويرجع المعنى به مرتسخا
وصار كالغذاء للقلوب كالجسم بالمطعوم والمشروب
فتستفيق الروح من إغمائها إذ بث نور الذكر فى أرجائها
حينئذ تنقدح الأنوار وتظاهر الغيوب والأسرار
وان للحقيقة النفسيه رجوعها للحضرة القدسيه
ولاح أنوار المغيبات وذاك مبدأ المكاشفات
وهاهنا مواقف عظيمه وفتن خطوبها جسيمه
تزل فى خلالها الأقدام وكم تضل عندها الأحلام
فان يقف بها امرؤ منها سلب وعن جميع الدرجات قد حجب
وكم أخى جهل بذاك طردا والله يهدى من يشاء للهدا
فمن يقف لفتن البدايه حجب(١) عن مراتب النهايه
فان يكن مقصوده متحدا ولم يكن ملتفتاً لما بدا
فذاك بالغ الى مقصوده وواقف بين يدى معبوده
فيكشف الحجاب عن بصيرته وتقذف الأنوار فى سريرته
ولا يزال جملة الأوقات يجوب أطوار التجليات
حتى يحل بسنام الطور فينتهى من لحظة السطور
فصار إذ ذاك يناجى ربه فزج فى بحر العلوم قلبه
وفتح الباب له فى قلبه فصار منه آخذاً عن ربه

(١) بتشديد الجيم

فرد نحو مركز البدايه إذ حل فى درجة الولايه
وصار باب الله فى عباده يستخرج الحكمة من فؤاده
وصار وارثاً على الحقيقه ومرشداً لسائر الخليقه
فهذه طريقة الرجال وآل أمرها الى الزوال
وكثر الملبسون فيها وصار ذو البدعة يدعيها
وآأسفاً على الطريق السابله أفسدها الطائفة الدجاجله
قد أحدثوا طريقة بدعيه ورفضوا الطريقة الشرعيه
ياعجباً لرافض الشريعه ويدعى درجة رفيعه
وكيف يرقى سلم الحقيقه مخالفاً لسيد الخليقه
واحسرتا على الطريق المستقيم قد ادعاه كل أفاك أثيم
قد أشرفوا على كهوف الكفر وستروا بدعتهم بالفقر
واتخذوا مشايخاً جهالا لم يعرفوا الحرام والحلالا
لم يقفوا عند حدود الله وسنة الهادى رسول الله
فنفروهم من دعاة الدين اولى التقى والعلم واليقين
فأعرضوا عن سبل الرحمن واتبعوا مسالك الشيطان
وهدموا قواعد الاسلام واعتبروا خرائف الأوهام
وعكسوا حقائق الأمور ونصبوا حبائل الفجور
وجعلوا ملء البطون اصلهم بنوا عليه امرهم وسبلهم
بعداً لقوم ألحدوا فى الدين واشتغلوا بطاعة اللعين
واولعوا بالافك والتلبيس تأسياً بشيخهم إبليس
وا أسفاه على حماة الدين أولى الذكا والعلم والتمكين
آه على طريقة قد ذهبت وهدمت اصولها وقلبت
وهاج إفك المدعين فيها وصار من يطلبها سفيها
آه على طريقة الكمال أفسدها طوائف الضلال
آه على طريق أهل الله آه على طريق حزب الله
طريقة أفسدها اهل البدع فتركت مهجورة لا تتبع
طريقة أفسدها الفجار فكثروا وانتشروا وثاروا
وظهرت فى جملة البلاد طائفة البلع والازدراد

قد أحسن الوالد فى العباره إذ قال قولا صادق الاشاره
فقال فى أولئك الدجاجله مقالة صادقة وعادله
(وزنتهم بالشرع فهو نائى منهم كمثل الأرض والسماء
وزنتهم بمنهج الحقيقه فلم أجد منها لهم دقيقه)
وكان ينميهم الى الدخان فارحمه ياذا الفضل والاحسان
ياويلتا هذا زمان البدع مات به اهل التقى والورع
واحسرتا على الكرام البرره قد أخلفوا بالمدعين الفجره
وجدنى العاذل يوماً باكيا وبحذاة سادتى مناديا
وا أسفا بادوا فمن لى مرشدا فقال جاهلا بأمرى منشدا
يا أيها التائه فى البيداء مالى أراك دائم البكاء؟
أراك نائحاً على الآثار والطلل البالى رسوم الدار
مهلا على نفسك يامسكين أخاف أن يأتيك اليقين
فقلت إنى ياأخى أنوح على فراق سادتى أصبح
قد رحلوا قاطبة وذهبوا طراً وما علمت أين ذهبوا
ولا أزال هكذا مستمسكا عسى دليل القوم يسمع البكا
وإن أمت أموت فى هواهم إذ ليس لى من سادة سواهم
وا أسفا على الرجال الكاملين قد ذهبوا بين العباد خاملين
فستروا بظلمات البدع فلم يبين صادق من مدعى
وذهبوا لله فيمن ذهبا وسكنوا بالفلوات والربا
ومن يرد معرفة بالبدع وما ابتنى عليه أصل المدعى
ففى كتاب شيخنا الزروقى عجائب فائقة الرتوق
ثم صلاة الله كل حين على أجل من أتى بالدين
محمد سلطان أهل الحضرة وآله أجل كل زمرة
فى أربع وأربعين قد نجز من عاشر القرون قل هذاالرجز

﴿ تمت بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

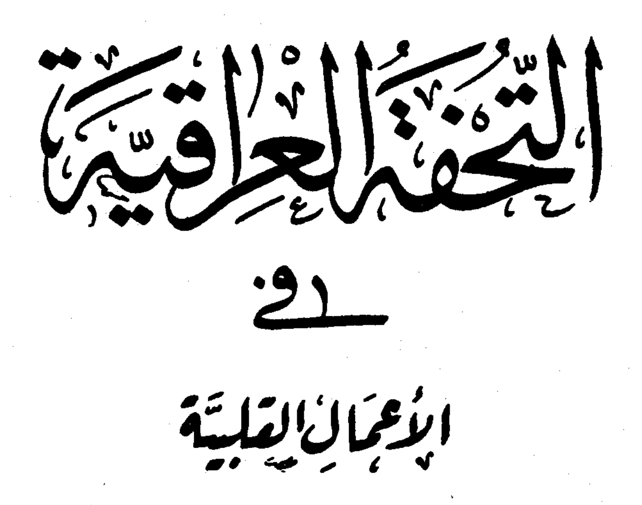
المجاوبة التى بين هارون الرشيد و بين سفيان الثورى

وذكر الامام ابن بليان والغزالى وغيرهما أن الرشيد لما ولى الخلافة زاره العلماء بأسرهم إلا سفيان الثورى فانه لم يأته وكان بينه و بينه صحبة فشق عليه ذلك فكتب اليه الرشيد كتاباً يقول فيه ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ من عبد الله هارون أمير المؤمنين الى أخيه فى الله سفيان بن سعيد الثورى أما بعد يا أخى فقد علمت أن الله آخى بين المؤمنين وقد آخيتك فى الله مؤاخاة لم أصرم فيها حبلك ولم أقطع منها ودك و إنى منطو لك على افضل المحبة وأتم الارادة ولولا هذه القلادة التى قلدنيها الله تعالى لأتيتك ولو حبواً لما أجدلك فى قلبى من المحبة وانه لم يبق أحد من إخوانى واخوانك الا زارنى وهنأنى بما صرت اليه وقد فتحت بيوت الأموال وأعطيتهم المواهب السنية مافرحت به نفسى وقرت به عينى وقد استبطأتك وقد كتبت كتابا منى اليك أعلمك بالشوق الشديد اليك وقد علمت يا أبا عبد الله ماجاء فى فضل زيارة المؤمن ومواصلته فاذا ورد عليك كتابى هذا فالعجل العجل ثم أعطى الكتاب لعباد الطالقانى وامره بايصاله اليه وأن يحصى عليه بسمعه وقلبه دقيق أمره وجليله ليخبره به قال عباد فانطلقت الى الكوفة فوجدت سفيان فى مسجده فلما رآنى على بعد قام وقال أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وأعوذ بك اللهم من طارق يطرق الا بخير قال فنزلت عن فرسى بباب المسجد فقام يصلى ولم يكن وقت صلاة فدخلت وسلمت فما رفع أحد من جلسائه رأسه ، الى قال فبقيت واقفاً ومامنهم أحد يعرض على الجلوس وقد علتنى من هيبتهم الرعدة

فرميت بالكتاب اليه فلما رأى الكتاب ارتعد وتباعد منه كانه حية عرضت له فى محرابه فركع وسجد وسلم وأدخل يده فى كمه وأخذه وقلبه بيده و رماه الى من كان خلفه وقال ليقرأه بعضكم فانى استغفر الله ان أمس شيئاً مسه ظالم بيده قال عباد فمد بعضهم يده اليه وهو يرتعد كانه حية تنهشه ثم قرأه فجعل سفيان يتبسم تبسم المتعجب فلما فرغ من قراءته قال : اقلبوه وا كتبوا للظالم على ظهره . فقيل له يا ابا عبد الله انه خليفة فلو كتبت اليه فى بياض نقى لكان أحسن فقال اكتبوا للظالم فى ظهر كتابه فان كان اكتسبه من حلال فسوف يجزى به وان كان اكتسبه من حرام فسوف يصلى به ولا يبقى شىء مسه ظالم بيده عندنا فيفسد علينا ديننا فقيل له ما نكتب اليه؟ قال اكتبوا اله ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ من العبد الميت سفيان الى العبد المغرور بالآمال هارون الذى سلب حلاوة الايمان ولذة قراءة القرآن أما بعد فانى كتبت اليك أعلمك أنى قد صرمت حبلك وقطعت ودك و إنك قد جعلتنى شاهداً عليك باقرارك على نفسك فى كتابك بما هجمت على بيت مال المسلمين فأنفقته فى غير حقه وأنفذته بغير حكمه ولم ترض بما فعلته وأنت ناء عنى حتى كتبت الى تشهدنى على نفسك فأما أنا فانى قد شهدت عليك أنا و إخوانى الذين حضروا قراءة كتابك وسنؤدى الشهادة غداً بين يدى الله الحكم العدل ياهارون هجمت على بيت مال المسلمين بغير رضاهم هل رضى بفعلك المؤلفة قلوبهم والعاملون عليها فى أرض الله والمجاهدون فى سبيل الله وابن السبيل؟ أم رضى بذلك حملة القرآن وأهل العلم يعنى العاملين؟ أم رضى بفعلك الأيتام والأرامل؟ أم رضى بذلك خلق من رعيتك؟ فشد ياهارون مئزرك وأعد للمسألة جوابا وللبلاء جلبابا واعلم أنك ستقف بين يدى الحكم العدل فاتق الله فى نفسك إذ سلبت حلاوة العلم والزهد ولذة قراءة القرآن ومجالسة الأخيار ورضيت لنفسك أن تكون ظالماً وللظالمين إماما. ياهرون قعدت على السرير ولبست الحرير وأسبلت ستوراً دون بابك وتشبهت بالحجبة برب العالمين، ثم أقعدت أجنادك الظلمة دون بابك وسترك يظلمون الناس ولا ينصفون و يشربون الخمر ويحدون الشارب و يزنون و يحدون الزانى و يسرقون و يقطعون السارق و يقتلون و يقتلون القاتل أفلا كانت هذه الأحكام عليك وعليهم قبل أن يحكموا بها على الناس؟ فكيف بك ياهرون غداً اذا نادى المنادى من قبل الله

أحشر وا الظلمة وأعوانهم فتقدمت بين يدى الله و يداك مغلولتان الى عنقك لا يفكهما إلا عدلك و إنصافك والظالمون حولك وأنت لهم امام أو سائق الى النار ؟ وكأنى بك ياهرون وقد أخذت بضيق الخناق و وردت المساق وأنت ترى حسناتك فى ميزان غيرك وسيئات غيرك فى ميزانك على سيئاتك بلاء على بلاء وظلمة فوق ظلمة فاتق الله ياهرون فى رعيتك واحفظ محمداً صلى الله عليه وآله وسلم فى أمته واعلم أن هذا الأمر لم يصر اليك إلا وهو صائر الى غيرك وكذلك الدنيا تفعل بأهلها واحداً بعد واحد فنهم من تزود زاداً نفعه ومنهم من خسر دنياه وآخرته و إياك ثم إياك أن تكتب الى بعد هذا فانى لا أجيبك والسلام وألقى الكتاب منشوراً من غير طى ولا ختم نأخذته وأقبلت به الى سوق الكوفة وقد وقعت الموعظة بقلبى فناديت ياأهل الكوفة من يشترى رجلا هرب الى الله فأقبلوا إلى بالدراهم والدنانير فقلت لاحاجة لى بالمال ولكن جبة صوف وعباءة قطوانية فأتيت بذلك فنزعت ما كان على من الثياب التى كنت أجالس بها أمير المؤمنين وأقبلت أقود الفرس الذى كان معى الى أن أتيت باب الرشيد حافياً راجلا فهزأ بى من كان على الباب ثم استؤذن لى فلما رآنى على تلك الحالة قام وقعد وجعل يلطم رأسه و وجهه و يدعو بالويل والحرب و يقول انتفع الرسول وخاب المرسل مالى وللدنيا والملك يزول عنى سريعا فألقيت الكتاب اليه مثل مادفع إلى فأقبل يقرؤه ودموعه تنحدر على وجهه وهو يشهق فقال بعض جلسائه ياأمير المؤمنين قد اجترأ عليك سفيان فلو وجهت اليه فأثقلته بالحديد وضيقت عليه السجن لجعلته عبرة لغيره فقال هرون اتركوا سفيان وشأنه ياعبيد الدنيا المغرور من غررتموه والشقى والله حقاً من جالستموه انسفيان أمة وحده ولم يزل كتاب سفيان عند الرشيد يقرؤه دبر كل صلاة و يبكى حتى توفى رحمه الله تعالى *

﴿ تمت ﴾



للشيخ الامام العلامة خاتمة السلف وقدوة الخلف شيخ
الاسلام أبي العباس تقي الدين احمد بن عبد الحليم
المشهور بابن تيمية المتوفي سنة ٧٢٨ هجرية

عنيت بنشرها وتصحيحها ومقابلتها على أصولها للمرة الأولى

إدارة الطباعة المنيرية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذبالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له ونشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ونشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم *

أما بعد فهذه كلمات مختصرة فى أعمال القلوب التي تسمي المقامات والأحوال وهى من اصول الايمان وقواعد الدين مثل محبة الله ورسوله والتوكل على الله واخلاص الدين له والشكر له والصبر على حكمه والخوف منه والرجاء له وما يتبع ذلك اقتضى ذلك بعض من اوجب الله حقه من اهل الايمان واستكتبها وكل منا عجلان *

فأقول هذه الأعمال جميعها واجبة على جميع الخلق المأمورين في الاصل باتفاق ائمة الدين، والناس في هذا على ثلاث درجات كما هم في اعمال الأبدان على ثلاث درجات ظالم لنفسه ومقتصد وسابق بالخيرات فالظالم لنفسه العاصى بترك مأمور وفعل محظور . والمقتصد المؤدى الواجبات والتارك المحرمات . والسابق بالخيرات المتقرب بما يقدر عليه من واجب ومسنون والتارك للمحرم والمكروه وان كان كل من المقتصد والسابق قد يكون له ذنوب تمحى عنه بتوبة والله يحب التوابين ويحب المتطهرين. واما بحسنات ماحية واما بمصائب مكفرة واما بغير ذلك وكل

من الصنفين المقتصدين والسابقين من اولياء الله الذين ذكرهم في كتابه (ألا ان اولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون) فاولياء الله هم المؤمنون المتقون ولكن ذلك ينقسم الى عام وهم المقتصدون وخاص وهم السابقون وان كان السابقون هم أعلى درجات كالأنبياء والصديقين وقد ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم القسمين في الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال «يقول الله من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وماتقرب الي عبدي بمثل اداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب الى بالنوافل حتي احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لاعيذنه وما ترددت عن شيء انا فاعل ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت واكره مساءته ولابد له منه» وأما الظالم لنفسه من اهل الايمان ففيه من ولاية الله بقدر ايمانه وتقواه كما معه من ضد ذلك بقدر فجوره. فالشخص الواحد قد يجتمع فيه الحسنات المقتضية للثواب والسيئات المقتضية للعقاب حتى يمكن ان يثاب ويعاقب وهذا قول اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وائمة الاسلام واهل السنه والجماعة الذين يقولون انه لايخلد في النار من في قلبه مثقال ذرة من ايمان. وأما القائلون بالتخليد كالخوارج والمعتزلة القائلون انه لايخرج من النار من دخلها من أهل القبلة وانه لاشفاعة للرسول ولا لغيره في اهل الكبائر لا قبل دخول النار ولا بعدها فعندهم لا يجتمع في الشخص الواحد ثواب

وعقاب وحسنات وسيئات بل من أثيب لا يعاقب ومن عوقب لم يثب ودلائل هذا الاصل من الكتاب والسنة واجماع الامة كثير ليس هذا موضعه قد بسطناه في موضعه. وينبنى على هذا امور كثيرة ولهذا من كان معه ايمان حقيقى فلا بد ان يكون معه من هذه الأعمال بقدر ايمانه وان كان له ذنوب كما رواه البخارى في صحيحه عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه « ان رجلا كان يسمي حمارا وكان يضحك النبي صلى الله عليه وسلم وكان يشرب الخمر ويجلده النبى صلى الله عليه وسلم فاتى به مرة فقال رجل لعنه الله ما اكثر مايؤتى به الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاتلعنه فانه يحب الله ورسوله » فهذا بين ان المذنب بالشراب وغيره قد يكون محبا لله ورسوله وحب الله ورسوله أوثق عرى الايمان كما ان العابد الزاهد قد يكون لما فى قلبه من بدعة ونفاق مسخوطا عند الله ورسوله من ذلك الوجه كما استفاض فى الصحاح وغيرها من حديث على ابن أبي طالب وأبى سعيد الخدرى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه ذكر الخوارج فقال « يحقر احدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم يقرؤن القرآن لايجاوز حناجرهم يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية ايما لقيتموهم فاقتلوهم فان في قتلهم اجرا عند الله لمن قتلهم لئن ادركتهم لاقتلنهم قتل عاد » وهؤلاء اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع امير المؤمنين على بن ابى طالب بامر النبى صلى الله عليه وسلم. وقال النبي صلى الله عليه وسلم فيهم فى الحديث الصحيح « تمرق مارقة على خير فرقة من المسلمين يقتلهم أدنى الطائفتين » ولهذا قال ائمة المسلمين كسفيان الثورى ان البدعة احب الى ابليس من

المعصية لان البدعة لا يتاب منها والمعصية يتاب منها. ومعنى قولهم ان البدعة لا يتاب منها ان المبتدع الذى يتخذ دينا لم يشرعه الله ورسوله قد زين له سوء عمله فرآه حسنا فهو لا يتوب مادام يراه حسنا لان اول التوبة العلم بان فعله سيء ليتوب منه او انه ترك حسنا مأموراً به امر ايجاب اوامر استحباب ليتوب ويفعله فما دام يري فعله حسنا وهو سيء في نفس الأمر فانه لا يتوب ولكن التوبة ممكنة وواقعة بان يهديه الله ويرشده حتي يتبين له الحق كما هدى سبحانه وتعالى من هدى من الكفار والمنافقين وطوائف أهل البدع والضلال وهذا يكون بان يتبع من الحق ماعلمه فمن عمل بما علم اورثه الله علم مالم يعلم كما قال تعالى (والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم)[1] وقال (ولو انهم فعلوا مايوعظون به لكان خيراً لهم واشد تثبيتا واذا لآتيناهم من لدنا اجراً عظيماً ولهديناهم صراطا مستقيما)[2] وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به)[3] وقال تعالى (الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور)[4] وقال تعالى (قد جاء كم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام)[5] الآية . وشواهد هذا كثيرة في الكتاب والسنة . وكذلك من أعرض عن اتباع الحق الذى يعلمه تبعا لهواه فان ذلك يورثه الجهل والضلال حتى يعمى قلبه عن الحق الواضح كما قال تعالى (فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم)[6] الآية. وقال تعالى (في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا)[7] وقال تعالى (وأقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله وما يشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون ونقلب افئدتهم وأبصارهم)[8]

١ ـ محمد ١٧
٢ ـ النساء ٩٦
٣ ـ الحديد ٢٨
٤ ـ البقرة ٢٥٧
٥ ـ المائدة ١٥ ـ ١٦
٦ ـ الصف ٥
٧ ـ البقرة ١٠
٨ ـ الأنعام ١٠٩ ـ ١١٠

الآية وهذا استفهام نفي وانكار اي وما يدريكم انها اذا جاءت لايؤمنون وانا نقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة على قراءة من قرأ إنها بالكسر تكون جزما بانها اذا جاءت لايؤمنون ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة ولهذا قال من قال من السلف كسعيد بن جبير ان من ثواب الحسنة الحسنة بعدها وان من عقوبة السيئة السيئة بعدها. وقد ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « عليكم بالصدق فان الصدق يهدى الى البر وان البر يهدي الى الجنة ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتي يكتب عند الله صديقا وإياكم والكذب فان الكذب يهدى الى الفجور وان الفجور يهدى الى النار ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا » فاخبر النبى صلى الله عليه وسلم ان الصدق أصل يستلزم البر وان الكذب يستلزم الفجور . وقد قال تعالى (ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفى جحيم[1]) ولهذا كان بعض المشائخ اذا امر متبعيه بالتوبة واحب ان لاينفر ويتعب قلبه أمره بالصدق. ولهذا يكثر فى كلام مشائخ الدين وائمته ذكر الصدق والاخلاص حتي يقولون قل لمن لايصدق لايتبعني ويقولون الصدق سيف الله في الارض ماوضع على شيء الاقطعه ويقول يوسف بن اسباط وغيره ماصدق الله عبد الاصنع له وأمثال هذا كثير. والصدق والاخلاص هما تحقيق الايمان والاسلام فان المظهرين الاسلام ينقسمون الى مؤمن ومنافق فالفارق بين المؤمن والمنافق هو الصدق كما في قوله (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا[2]) الى قوله (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم

١ ـ الانفطار ١٣
٢ ـ الحجرات ١٤

يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون[١]).
وقال تعالى (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون[٢]) فأخبر ان الصادقين في دعوى الايمان هم المؤمنون الذين لم يتعقب ايمانهم به وجاهدوا في سبيله باموالهم وأنفسهم وذلك ان هذا هو العهد المأخوذ على الأولين والآخرين كما قال تعالى (واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصري[٣]) الاية. قال ابن عباس ما بعث الله نبيا الا اخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه وأمره ان يأخذ الميثاق على أمته ليؤمنن به ولينصرنه. وقال تعالى (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوى عزيز[٤]) فذكر تعالى انه انزل الكتاب والميزان وانه انزل الحديد لاجل القيام بالقسط وليعلم الله من ينصره ورسله ولهذا كان قوام الدين بكتاب يهدى وسيف ينصر وكفى بربك هاديا ونصيرا والكتاب والحديد وان اشتركا في الانزال فلا يمنع ان يكون احدهما نزل من حيث لم ينزل الآخر من حيث نزل الكتاب من الله كما قال تعالى (تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم[٥]) وقال تعالى (كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير[٦]) وقال (وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم[٧]) والحديد أنزل من الجبال التي يخلق فيها وكذلك وصف الصادقين في دعوى البر الذى

١ - الحجرات ١٥
٢ - الحشر ٨
٣ - آل عمران ٨١
٤ - الحديد ٢٥
٥ - الزمر ١
٦ - هود ١
٧ - النمل ٦

هو جماع الدين في قوله (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين[١]) الى قوله (اؤلئك الذين صدقوا واؤلئك هم المتقون) واما المنافقون فوصفهم بالكذب فى آيات متعددة كقوله (في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون[٢]) وقوله(اذا جاءك المنافقون قال نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون[٣]) وقال (فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ماوعدوه وبما كانوا يكذبون[٤]) ونحو ذلك من القرآن كثير *

ومما ينبغى أن يعرف ان الصدق والتصديق يكون في الأقوال والاعمال كقول النبى صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث الصحيح « كتب على ابن آدم حظه من الزنا فهو مدرك ذلك لامحالة فالعينان تزنيان وزناهما النظر والاذنان تزنيان وزناهما السمع واليدان تزنيان وزناهما البطش والرجلان تزنيان وزناهما المشى والقلب يتمنى ويشتهى والفرج يصدق ذلك ويكذبه» ويقال حملوا على العدو حملة صادقة اذا كان ارادتهم القتال ثابتة صادقة ويقال فلان صادق الحب والمودة ونحو ذلك . ولهذا يريد بالصادق الصادق في ارادته وقصده وطلبه وهو الصادق في عمله ويريدون الصادق في خبره وكلامه والمنافق ضد المؤمن الصادق وهو الذى يكون كاذبا فى خبره أو كاذبا فى عمله كالمرائى فى عمله . قال الله تعالى (ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراؤن الناس[٥]) الآيتين *

وأما الاخلاص فهو حقيقة الاسلام اذ الاسلام هو الاستسلام

١ - البقرة ١٧٧
٢ - البقرة ١٠
٣ - المنافقون ١
٤ - التوبة ٧٧
٥ - النساء ١٤٢

لله لا لغيره كما قال تعالى (ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان[١]) الآية . فمن لم يستسلم له فقد استكبر ومن استسلم لله ولغيره فقد أشرك وكل من الكبر والشرك ضد الاسلام والاسلام ضد الشرك والكبر . وذلك فى القرآن كثير . ولهذا كان الاسلام شهادة ان لا اله الا الله وهى متضمنة عبادة الله وحده وترك عبادة ماسواه وهو الاسلام العام الذى لا يقبل الله من أحد من الأولين والآخرين دينا سواه كما قال تعالى (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين[٢]) وقال (شهد الله انه لااله الا هو والملائكة واولو العلم قائما بالقسط لااله الا هو العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام[٣]) وهذا الذى ذكرنا مما يبين ان أصل الدين في الحقيقة هو الأمور الباطنة من العلوم والاعمال وان الاعمال الظاهرة لاتنفع بدونها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى رواه احمد فى مسنده «الاسلام علانية والايمان في القلب» ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم « الحلال بين وبين ذلك امور مشتبهات لايعلمهن كثير من الناس فمن اتقي الشبهات استبرأ لعرضه ودينه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعى يرعى حول الحمي يوشك ان يقع فيه الاوان لكل ملك حمي الاوان حمى الله محارمه الاوان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسدلها سائر الجسد وهى القلب» وعن ابى هريرة قال « القلب ملك والأعضاء جنوده فاذا طاب الملك طابت جنوده واذا خبث خبثت جنوده »

١ ـ الزمر ٢٩
٢ ـ آل عمران ٨٥
٣ ـ آل عمران ١٨ ـ ١٩

فصل

وهـذه الاعمال الباطنة كمحبة الله والاخلاص له والتوكل عليه والرضاعنه ونحو ذلك كلها مأمور بها في حق الخاصة والعامة لا يكون تركها محمودا في حال واحد وان ارتقى مقامه وأما الحزن فلم يأمر الله به ولا رسوله بل قد نهى عنه في مواضع وان تعلق امر الدين به كقوله تعالى (ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين)[1] وقوله (ولا تحزن عليهم ولاتك في ضيق مما يمكرون)[2] وقوله (اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا)[3] وقوله (ولا يحزنك قولهم)[4] وقوله (لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم)[5] وأمثال ذلك كثيرة. وذلك انه لا يجلب منفعة ولا يدفع مضرة ولا فائدة فيه ومالافائدة فيه لايأمر الله به نعم لايأثم صاحبه اذا لم يقترن بحزنه محرم كما يحزن على المصائب كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم « ان الله لا يؤاخذ على دمع العين ولا حزن القلب ولكن يؤاخذ على هذا ويرحم واشار بيده الى لسانه وقال تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول الامايرضى الرب » ومنه قوله تعالى (فتولى عنهم وقال يا أسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم) وقد يقترن بالحزن مايثاب صاحبه عليه ويحمد عليه ويكون محمودامن تلك الجهة لا من جهة الحزن كالحزين على مصيبة في دينه وعلى مصائب المسلمين عموما فهذا يثاب على ما في قلبه من حب الخير وبغض الشر وتوابع ذلك ولكن الحزن على ذلك اذا أفضى الى ترك مأمور من الصبر والجهاد وجلب منفعة ودفع مضرة منهى عنها والا كان حسب صاحبه رفع الاثم عنه من

١ - آل عمران ١٣٩
٢ - النحل ١٢٧
٣ - التوبة ٤٠
٤ - يونس ٦٥
٥ - الحديد ٢٣

جهة الحزن واما ان افضى الى ضعف القلب واشتغاله به عن فعل ما امر الله ورسوله به كان مذموما عليه من تلك الجهة وان كان محمودا من جهة أخرى. واما المحبة والتوكل والاخلاص له ونحو ذلك فهذه كلها خير محض وهى حسنة محبوبة في حق كل النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ومن قال ان هــذه المقامات تكون للعامة دون الخاصة فقد غلط في ذلك ان اراد خروج الخــاصة عنها فان هذه لايخرج عنهــا مؤمن قط وانما يخرج عنها كافر ومنافق. وقد تكلم بعضهم بكلام بين غلط فيه (١) وانه تقصير في تحقيق هذه المقامات من مدة وليس هذا موضعه ولكن هذه المقامات ينقسم الناس فيها الى خصوص وعموم فللخاصة خاصها وللعامة عامهــا مثال ذلك ان هؤلاء قالوا ان التوكل مناضلة عن النفس في طلب القوت والخاص لايناضل عن نفسه وقالوا المتوكل يطلب بتوكله امرا من الامور والعارف يشهد الأمور بفروعهــا منهــا فلا يطلب شيئا فيقال اما الأول فان التوكل اعم من المتوكل فى مصالح الدنيا فان المتوكل يتوكل على الله في صلاح قلبه ودينه وحفظ لسانه وارادته وهذا اهم الأمور اليه ولهذا يناجى ربه فى كل صلاة بقوله (اياك نعبد واياك نستعين)[١] كمــا في قوله (فاعبــده وتوكل عليه)[٢] وقوله (عليــه توكلت واليه أنيب)[٣] فهو قد جمع بين العبادة والتوكل فى عــدة مواضع لان هذين يجمعان الدين كله ولهذا قال من قال من السلف ان الله جمع الكتب المنزلة في القرآن وجمع علم القرآن في المفصل وجمــع علم المفصل في فاتحة الكتاب وجمع علم فاتحة الكتاب فى قوله

١ ـ الفاتحة ٤
٢ ـ هود ١٢٣
٣ ـ هود ٨٨

(١) هكذا الاصل فليتأمل فيه والمعنى من حيث هو ظاهر

(اياك نعبد واياك نستعين) وهاتان الكلمتان الجامعتان اللتان للرب والعبد كما في الحديث الصحيح الذى في صحيح مسلم عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال « يقول الله سبحانه قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين نصفها لى ونصفها لعبدى ولعبدي ما سأل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول العبد الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدنى عبدى يقول العبد الرحمن الرحيم يقول الله اثنى على عبدى يقول العبد مالك يوم الدين يقول الله مجدنى عبدى يقول العبد اياك نعبد واياك نستعين يقول الله فهذه الآية بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل يقول العبد اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين يقول الله فهؤلاء لعبدى ولعبدى ما سأل » فالرب سبحانه له نصف الثناء والخير والعبد له نصف الدعاء والطلب وهاتان جامعتان ما للرب سبحانه وما للعبد فاياك نعبد للرب واياك نستعين للعبد وفي الصحيحين عن معاذ رضى الله عنه قال (كنت رديفا للنبى صلى الله عليه وسلم على حمار فقال يا معاذ اتدري ما حق الله على العباد قلت الله ورسوله أعلم قال حق الله على العباد ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وحق العباد على الله ان لا يعذب من لا يشرك به» والعبادة هى الغاية التي خلق الله لها العباد من جهة امر الله ومحبته ورضاه كما قال تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون)[1] وبها ارسل الرسل وانزل الكتب وهي اسم يجمع كمال الحب ونهايته وكمال الحب لله ونهايته فالحب الخلى عن ذل والذل الخلى عن حب لا يكون عبادة وانما العبادة ما يجمع كمال الامرين ولهذا كانت العباد

١ - الذاريات ٥٦

لا تصلح الا لله وهى وان كانت منفعتها للعبد والله غنى عنها فهى له من جهة محبته لها ورضاه بها ولهذا كان الله اشد فرحا بتوبة العبد من الفاقد لراحلته عليها طعامـه وشرابه في الارض دوية مهلكة اذا نام آيسا منها ثم استيقظ فوجدها فالله أشد فرحا بتوبة عبده من هـذا براحلته وهذا يتعلق به أمور جليلة قد بسطناها وشرحناها في غير هـذا الموضع والتوكل والاستعانة للعبد لانه هو الوسيلة والطريق الذى ينال به مقصوده ومطلوبه من العبـادة فالاستعانة كالدعاء والمسئلة. وقد روى الطبرانى في كتاب الدعاء عن النبى صلى الله عليـه وسلم قال « يقول الله يا ابن آدم انما هى اربع واحدة لى وواحدة لك وواحدة بيى وبينك وواحدة بينك وبين خلقى فاما التي لى فتعبدنى لا تشرك بى شيئا واما التى هى لك فعملك اجازيك به احوج ما تكون اليه واما التى بينى وبينك فمنك الدعاء وعلىّ الاجابة واما التى بينك وبين خلقى فأت للناس ما تحب أن يأتوا اليك وكون هذا لله وهذا للعبـد هو اعتبار تعلق المحبة والرضاء ابتداء فان العبد ابتداء يحب ويريد مايراه ملائما له والله تعالى يحب ويرضى ماهو الغاية المقصودة في رضاه وحبه الوسيلة تبعا لذلك والا فـكل مأمور به فمنفعته عائدة على العبد وكل ذلك يحبه الله ويرضاه وعلى هذا فالذى ظن أن التوكل من المقامات العامة ظن أن التوكل لا يطلب به الا حظوظ الدنيا وهو غلط بل التوكل في الامور الدينية أعظم. وأيضا التوكل في الامور الدينيـة التى لا تتم الواجبات والمستحبات الا بها والزاهد فيها زاهد فيما يحبه الله ويأمر به ويرضاه والزهد المشروع هو ترك الرغبة فيما لا ينفع في الدار الآخرة وهو

فضول المباح التى لا يستعان بها على طاعة الله كما أن الورع المشروع هو ترك ماقد يضر في الدار الآخرة وهو ترك المحرمات والشبهات التى لا يستلزم تركها ترك ما فعله أرجح منها كالواجبات فاماما ينفع في الدار الآخره بنفسه أو على ما ينفع فى الدار الآخرة فالزهد فيه ليس من الدين بل صاحبه داخل في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين)[١] كما ان الاشتغال بفضول المباحاة هو ضد الزهد المشروع فان اشتغل بها عن واجب أو فعل محرم كان عاصيا والا كان منقوصا عن درجة المقربين الى درجة المقتصدين وأيضا فالتوكل هو محبوب لله مرضى مأمور به دائما وما كان محبوبا لله مرضيا مأمورا به دائما لا يكون من فعل المقتصدين دون المقربين فهذه ثلاثة أجوبة عن قولهم المتوكل لا يطلب حظوظه ✡

وأما قولهم الأمور قدفرغ منها فهذا نظير ماقاله بعضهم في الدعاء انه لاحاجة اليه لان المطلوب ان كان مقدراً فلاحاجة اليه وان لم يكن مقدرا لم ينفع وهذا القول من أفسد الاقوال شرعا وعقلا وكذلك قول من قال التوكل والدعاء لا تجلب به منفعة ولا يدفع به مضرة وانما هو عبادة محضة وان حقيقة التوكل بمنزلة حقيقة التفويض المحض وهذا وان كان قاله طائفة من المشائخ فهو غلط أيضا وكذلك قول من قال الدعاء انما هو عبادة محضة فهذه الاقوال وما أشبهها يجمعها أصل واحد وهو أن هؤلاء ظنوا ان كون الأمور مقدرة مقضية يمنع أن يتوقف على أسباب مقدرة أيضا تكون من العبد ولم يعلموا ان الله سبحانه يقدر الامور ويقضيها بالأسباب التى جعلها معلقة بها من أفعال العباد وغير أفعالهم ولهذا كان طور قولهم

[١] - المائدة ٨٧

يوجب تعطيل الاعمال بالكاية وقدسئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن هذا مرات فأجاب عنه كما أخرجاه في الصحيحين عن عمران بن حصين قال «قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعلم أهل الجنة من أهل النار قال نعم قالوا ففيم العمل قال كل ميسر لما خلق له» وفي الصحيحين عن على بن ابى طالب قال «كنا في جنازة فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس ومعه محضرة فجعل ينكت بالمحصرة في الارض ثم رفع رأسه وقال ما من نفس منفوسة الاوقد كتب مكانها من النار أو الجنة الاوقد كتبت شقية او سعيدة قال فقال رجل من القوم يانبي الله افلا نمكث على كتابنا وندع العمل فمن كان من اهل السعادة ليكونن الى السعادة ومن كان من اهل الشقاوة ليكونن الى الشقاوة قال اعملوا فكل ميسر لما خلق لهاأما اهل السعادة فييسرون للسعادة واما اهل الشقاوة فييسرون للشقاوة ثم قال نبي الله صلى الله عليه وسلم (فأمامن أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأمامن بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى)» أخرجه الجماعة فى الصحاح والسنن والمسانيد. وروى الترمذي «أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم سئل فقيل يا رسول الله أرأيت أدوية نتداوى بها ورقى نسترقى بها وتقى نتقيها أترد من قدر الله شيئا فقال هي من قدر الله» وقد جاء هذا المعنى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في عدة أحاديث فبين صلى الله عليه وآله وسلم أن تقدم العلم والكتاب بالسعيد والشقى لا ينافى أن تكون سعادة هذا بالاعمال الصالحة وشقاوة هذا بالأعمال السيئة فانه سبحانه يعلم الأمور على ما هي عليه وكذلك يكتبها فهو يعلم

أن السعيد يسعد بالأعمال الصالحة والشقي يشقى بالاعمال السيئة فمن كان سعيداً ييسر للاعمال الصالحة التى تقتضى السعادة ومن كان شقياً ييسر للاعمال السيئة التي تقتضي الشقاوة كلاهما ميسر لما خلق له وهو ما يصير اليه من مشيئة الله العامة الكونـية التى ذكرها الله سبحانه في كتابه في قوله تعالى (ولايزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم[١]) وأما ما خلقوا له من محبة الله ورضاه وهو إرادته الدينية وأمر بموجباتها فذلك مذكورة في قوله « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون[٢] » والله سبحانه قد بين في كتابه في كل واحدة من الكلمات والأمر والارادة والاذن والـكتاب والحـكم والقضاء والتحريم ونحو ذلك مما هو دينى موافقة لمحبة الله ورضاه وأمره الشرعي وما هو كونى موافق لمشيئته الكونية مثال ذلك انه قال في الأمر الدينى (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى[٣]) وقال تعالى (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها[٤]) ونحو ذلك. وقال فى الكونى (انما أمره اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون[٥]) وكذلك قوله (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول[٦]) على احدى الاقوال في هذه الآية وقال في الارادة الدينية (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر[٧]) يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم[٨]) (مايريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم[٩]) وقال في الارادات الكونية (ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل مايريد[١٠]) وقال (فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء[١١]) وقال نوح عليه السلام (ولاينفعكم

١ - هود ١١٨ - ١١٩
٢ - الذاريات ٥٦
٣ - النحل ٩٠
٤ - النساء ٥٨
٥ - يس ٨٢
٦ - الاسراء ١٦
٧ - البقرة ١٨٥
٨ - النساء ٢٦
٩ - المائدة ٦
١٠ - البقرة ٢٥٣
١١ - الأنعام ١٢٥

نصحي ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم)[١] وقال (انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون)[٢] وقال في الاذن الديني (ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبأذن الله)[٣] وقال في الكوني (وما هم بضارين به من أحد الا بإذن الله)[٤] وقال في القضاء الديني (وقضى ربك الا تعبدوا الا إياه)[٥] أى أمر. وقال في الكونى (فقضاهن سبع سموات في يومين)[٦] وقال في الحكم الديني (أحلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم غير محلى الصيد وأنتم حرم ان الله يحكم ما يريد)[٧] وقال (ذلكم حكم الله يحكم بينكم)[٨] وقال في الكونى عن ابن يعقوب (فلن أبرح الارض حتى يأذن لى أبى أو يحكم الله لى وهو خير الحاكمين)[٩] وقال (قال رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ماتصفون)[١٠] وقال في التحريم الدينى (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير)[١١] (حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم)[١٢] الآية * وقال فى التحريم الكونى (فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الارض)[١٣] وقال فى الكلمات الدينية (واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن)[١٤] وقال في الكونية (وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا)[١٥] ومنه قوله صلى الله عليه وسلم المستفيض عنه من وجوه في الصحاح والسنن والمسانيد انه كان يقول « أعوذ بكلمات الله التامات التى لايجاوزهن بر ولا فاجر » ومن المعلوم أن هذا هو الكونى الذى لايخرج منه شيء عن مشيئته وتكوينه وأما الكلمات الدينية فقد خالفها الكفار بمعصيته *

والمقصود هنا أنه صلى الله عليه وسلم بين أن العواقب التي خلق لها الناس سعادة وشقاوة ييسرون لها بالاعمال التي يصيرون بها الى ذلك

١ ـ هود ٣٤
٢ ـ يس ٨٢
٣ ـ الحشر ٥
٤ ـ البقرة ١٠٢
٥ ـ الاسراء ٢٣
٦ ـ فصلت ١٢
٧ ـ المائدة ١
٨ ـ الممتحنة ١٠
٩ ـ يوسف ٨٠
١٠ ـ الأنبياء ١١٢
١١ ـ المائدة ٣
١٢ ـ النساء ٢٣
١٣ ـ المائدة ٢٦
١٤ ـ البقرة ١٢٤
١٥ ـ الاعراف ١٣٧

كما أن سائر المخلوقات كذلك فهو سبحانه خلق الولد وسائر الحيوان في الارحام بما يقدره من اجتماع الابوين على النكاح واجتماع المائين في الرحم فلو قال الانسان أنا أتوكل ولا أطأ زوجتي فان كان قد قضى لى بولد والا لم يوجد ولا حاجة الى وطء كان أحمق بخلاف ما اذا وطئ وعزل الماء فان عزل الماء لا يمنع انعقاد الولد اذا شاء الله اذ قد يخرج بغير اختياره وقد ثبت فى الصحيح عن أبى سعيد الخدرى قال « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بنى المصطلق فاصبنا سرايا من العرب فاشتهينا النساء واشتدت علينا العزبة وأحببنا العزل فسألنا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماعليكم الا تفعلوا فان الله قد كتب ما هو خالق الى يوم القيامة » وفي صحيح مسلم عن جابر « أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان لى جارية هى خادمتنا وسانيتنا في النخل وأنا أطوف عليها وأكره أن تحمل فقال اعزل عنها إن شئت فانه سيأتيها ما قدر لها » وهذا مع أن الله سبحانه قادر على ما قد فعله من خلق الانسان من غير أبوين كما خلق آدم ومن خلقه من أب فقط كما خلق حواء من ضلع آدم القصير ومن خلقه من أم فقط كما خلق المسيح ابن مريم عليه السلام لكن خلق ذلك بأسباب أخرى غير معتادة وهذا الموضع وان كان انما يجحده الزنادقة المعطلون للشرائع فقد وقع في كثير من (١) وكثير من المشائخ المعظمين يسترسل أحدهم مع القدر غير محقق لما أمر به ونهى عنه ويجعل ذلك من باب التفويض والتوكل وتجرى مع الحقيقة القدرية ويحسب أن قول القائل ينبغى للعبد أن يكون مع الله

(١) هكذا النسخة ولعله فى كثير منهم

كالميت بين يدى الناس يتضمن ترك العمل با لأمر والنهى حتى يترك ما أمر به ويفعل مانهى عنه وحتى يضعف عنده النور والفرقان الذى يفرق به بين ما أمر الله به وأحبه وأرضاه وبين ما نهى عنه وأبغضه وسخطه فيسوى بين ما فرق الله بينه قال تعالى (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون[١]) وقال تعالى (أفنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون[٢]) وقال تعالى (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض أم نجعل المتقين كالفجار[٣]) وقال تعالى (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون[٤]) وقال تعالى « وما يستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الاحياء ولا الأموات ان الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور[٥] » وأمثال ذلك حتي يفضى الامر بغلاتهم الى عدم التمييز بين الامر بالمأمور النبوى الالهى الفرقاني الشرعى الذى دل عليه الكتاب والسنة وبين ما يكون في الوجوه من الأحوال التى تجرى على أيدى الكفار والفجار فيشهدون وجه الجمع من جهة الجمع بقضاء الله وقدره وربوبيته وارادته العامة وأنه داخل في ملكه ولا يشهدون وجه الفرق الذي فرق الله به بين أوليائه وأعدائه والابرار والفجار والمؤمنين والكافرين وأهل الطاعة الذين أطاعوا أمره الدينى و أهل المعصية الذين عصوا هذا الامر ويشهدون في ذلك بكلمات مجملة نقلت عن بعض الاشياخ أو ببعض غلطات بعضهم وهذا أصل عظيم من أعظم ما يجب الاعتناء به علي أهل طريق الله السالكين سبيل ارادة الذين يريدون وجهه

١ ـ الجاثية ٢١
٢ ـ القلم ٣٥ ـ ٣٦
٣ ـ صٓ ٢٨
٤ ـ الزمر ٩
٥ ـ فاطر ١٩ ـ ٢٢

فانه قد دخل بسبب اهمال ذلك على طوائف منهم من الكفر والفسوق والعصيان مالا يعلمه الا الله حتى يصيروا معاونين على البغي والعدوان للمسلطين في الأرض من اهل الظلم والعلو الذين يتوجهون بقلوبهم في معاونة من يهوونه من اهل العلو في الارض والفساد ظانين أنهم اذا كانت لهم احوال اثروابها في ذلك من اولياء الله فان القلوب لها من التأثير اعظم مما للابدان لكن ان كانت صالحة كان تأثيرها صالحا وان كانت فاسدة كان تأثيرها فاسدا فالاحوال يكون تأثيرها محبوباً لله تارة ومكروها لله أخرى وقد تكلم الفقهاء على وجوب القود على من يقتل بغيره فى الباطن حيث يجب القود في ذلك ويستشهدون ببواطنهم وقلوبهم الأمر الكونى ويعدون مجرد خرق العادة لاحدهم بكشف لهم أو بتأثير يوافق ارادته هوكرامة من الله له ولايعلمون انه في الحقيقة اهانة وان الكرامة لزوم الاستقامة وان الله لم يكرم عبده بكرامة اعظم من موافقته فيما يحبه ويرضاه وهو طاعته وطاعة رسوله وموالاة اوليائه ومعاداة اعدائه وهؤلاءهم اولياء الله الذين قال الله فيهم (ألا ان اولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون)[1] فان كانوا موافقين له فيما اوجبه عليهم فهم من المقتصدين وان كانوا موافقين فيما اوجبه واحبه فهم من المقربين مع ان كل واجب محبوب وليس كل محبوب واجبا واما ما يبتلى الله به عبده من الشر بخرق العادة او بغيرها اوبالضراء فليس ذلك لاجل كرامة العبد على ربه ولاهوانه عليه بل قد يسعد بها اقوام اذا اطاعوه في ذلك وقد يشقى بها قوم اذا عصوه في ذلك. قال الله تعالى (فأما الانسان اذا ماابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمن وأما

١ - يونس ٦٢

اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى اهانن كلا)[١] ولهذا كان الناس في هذه الامور على ثلاثة أقسام . قسم ترتفع درجاتهم بخرق العادة اذا استعملوها في مطاعة . وقوم يتعرضون بها لعذاب الله اذا استعملوه فى معصية الله كبلعام وغيره . وقوم تكون في حقهم بمنزلة المباحات والقسم الاول هم المؤمنون حقا المتبعون لنبيهم سيد ولد آدم الذى انما كانت خوارقه لحجة يقيم بها دين الله اولحاجة يستعين بها على طاعة الله ولكثرة الغلط في هذا الاصل نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاسترسال مع القدر بدون الحرص على فعل المأمور الذي ينفع العبد فروى مسلم في صحيحه عن أبى هريرة قال «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ماينفعك واستعن بالله ولا تعجزن وان أصابك شيء فلا تقل لو أنى فعلت كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فان لو تفتح عمل الشيطان» وفي سنن أبى داود «أن رجلين اختصما الى النبى صلى الله عليه وسلم فقضى على أحدهما فقال المقضى عليه حسبى الله ونعم الوكيل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يلوم على العجز ولكن عليك بالكيس فاذا غلبك أمر فقل حسبى الله ونعم الوكيل » فأمر النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن أن يحرص على ما ينفعه وأن يستعين با لله وهذا مطابق لقوله (اياك نعبد واياك نستعين)[٢] وقوله (فاعبده وتوكل عليه)[٣] فان الحرص على ما ينفع العبد هو طاعة الله وعبادته اذ النافع له هو طاعة الله ولا شيء أنفع له من ذلك وكل ما يستعان به على الطاعة فهو طاعة وان كان من جنس المباح: قال النبى صلي الله عليه وسلم في الحديث

[١] - الفجر ١٥ - ١٦
[٢] - الفاتحة ٤
[٣] - هود ١٢٣

الصحيح لسعد « انك لن تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله الا ازددت بها درجة ورفعة حتى اللقمة تضعها في في امرأتك » فأخبر النبي صلي الله عليه وسلم أن الله يلوم على العجز الذى ضد الكيس وهو التفريط فيما يؤمن بفعله فان ذلك ينافي القدرة المقارنة للفعل وان كان لا ينافى القدرة المقدمة التي هى مناط الامر والنهى فان الاستطاعة التى توجب الفعل وتكون مقارنة له لاتصلح الا للمقدور ها كما ذكرها في قوله (ماكانوا يستطيعون السمع)[١] وقوله (وكانوا لايستطيعون سمعا)[٢] وأما الاستطاعة التى يتعلق بها الامر والنهي فتلك قد يقترن بها الفعل وقد لايقترن كما في قوله (ولله علي الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا)[٣] وقوله صلي الله عليه وسلم لعمر « أن صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنبك »

فهذا الموضع قد انقسم الناس فيه على أربعة أقسام قوم ينظرون الى جانب الأمر والنهي والعبادة والطاعة شاهدين لالوهيته سبحانه الذى أمروا أن يعبدوه ولا ينظروا الى جانب القضاء والقدر والتوكل والاستعانة وهو حال كثير من المتفقهة المتعبدة فهم مع حسن قصدهم وتعظيمهم لحرمات الله واشعاره يغلب عليهم الضعف والعجز والخذلان والاستعانة بالله والتوكل عليه واللجاء اليه والدعاء له هى التى تقوى العبد وتيسر عليه الأمور ولهذا قال بعض السلف من سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله. وفي الصحيحين عن عبد الله ابن عمرو « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صفته فى التوراة انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ

١ ـ هود ٢٠
٢ ـ الكهف ١٠١
٣ ـ آل عمران ٩٧

ولا غليظ ولا صحاب فى الاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يجزى بالسيئة الحسنة ويغفر ولن أقبضه حتي أقيم به الملة العوجاء فأفتح بك أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا بأن يقولوا لا اله الا الله» ولهذا روى أن حملة العرش انما أطاقوا حمل العرش بقولهم لا حول ولا قوة الا بالله. وفي الصحيحين عن النبى صلي الله عليه وسلم «انها كنز من كنوز الجنة» قال تعالى (ومن يتوكل علي الله فهو حسبه)[1] وقال تعالى (الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل)[2] الى قوله (فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين)[3] وفي صحيح البخارى عن ابن عبـاس في قوله (وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) قالها ابراهيم الخليل حين القى في النار وقالها محمد حين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم ☆

وقسم ثان يشهدون ربوبية الحق وافتقارهم اليه ويستعينون بها على أهوائهم وأذواقهم غير ناظرين الى حقيقة أمره ونهيه ورضاه وغضبه ومحبته وهذا حال كثير من المتفقرة والمتصوفة ولهذا كثيرا ما يعملون على الاحوال التي يتصرفون بها في الوجود لا يقصدون ما يرضى الرب ويحبه وكثيرا ما يغلطون فيظنون أن معصيته هى مرضاته فيعودون الى تعطيل الامر والنهي ويسمون هذا حقيقة ويظنون أن هذه الحقيقة الأمرية الدينية هى التي تحوى مرضات الرب ومحبته وأمره ونهيه ظاهرا وباطنا وهؤلاء كثيرا ما يسلبون أحوالهم وقد يعودون الى نوع من المعاصي والفسوق بل كثير منهم يرتد عن الاسلام لان العاقبة للتقوى ومن لم يقف عند أمر الله ونهيه فليس من المتقين فهم يقعون فى بعض ما وقع المشركون فيه تارة من بدعة

[1] ـ الطلاق ٣
[2] ـ آل عمران ١٧٣
[3] ـ آل عمران ١٧٥

يظنونها شرعة وتارة في الاحتجاج بالقدر على الأمر والله تعالى لما ذكر ماذم به المشركين في ســـورة الانعام ذكر ماابتدعوه فى الدين وجعلوه شرعة كما قال تعالى (وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل ان الله لا يأمر بالفحشاء[١]) وقد ذمهم على ان حرموا مالم يحرمه الله وان شرعوا مالم يشرعه الله وذكر احتجاجهم بالقدر فى قوله (لو شاء الله ماأشركنا ولا اباؤنا ولا حـــرمنا من شيء[٢]) ونظيرها في النحل ويس والزخرف وهؤلاء يكون فيهم شبهة في هذا وهذا ✿

وأما القسم الثالث وهو من أعرض عن عبادة الله واستعانته به فهؤلاء شر الاقسام ✿

والقسم الرابع هو القسم المحمود وهو حال الذين حققوا اياك نعبد واياك نستعين[٣]) وقوله (فاعبده وتوكل عليه[٤]) فاستعانوا به على طاعته وشهدوا انه الههم الذى لايجوز ان يعبد الا اياه وطاعة رسوله وانه ربهم الذى ليس لهم من دونه ولى ولاشفيع وانه (مايفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده[٥] وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الاهو وان يردك بخير فلا راد لفضله[٦] (قل افرأيتم ماتدعون من دون الله ان ارادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته[٧]) ولهذا قال طائفة من العلماء الالتفات الى الاسباب شرك فى التوحيد ومحو الاسباب ان تكون اسبابا نقص في العقل والاعراض عن الاسباب بالكلية قدح فى الشرع وانما التوكل المأمور به مايجتمع فيه مقتضى التوحيد والعقل والشرع فقد بين ان من ظن التوكل من مقامات عامة اهل الطريق فقد غلط غلطا شديدا وان كان من اعيان المشائخ كصاحب علل المقامات

١ - الاعراف ٢٨
٢ - الأنعام ١٤٨
٣ - الفاتحة ٤
٤ - هود ١٢٣
٥ - فاطر ٢
٦ - يونس ١٠٧
٧ - الزمر ٣٨

وهو من اجل المشائخ واخذ ذلك عنه صاحب محاسن المجالس وأظهر ضعف حجته فمن قال ذلك ان المطلوب به حظ العامة فقط وظنه انه لافائدة له فى تحصيل المقصود وهذه حال من جعل الدعاء كذلك وذلك بمنزلة من جعل الاعمال المأمور بها كذلك لمن اشتغل بالتوكل على مايجب عليه من الأسباب التى هي عبادة الله وطاعة مأمور بها فان غلط هذا من ترك الاسباب المأمور بها التي هى داخلة في قوله (فاعبده وتوكل عليه)[1] كغلط الاول فى ترك التوكل المأمور به الذى هو داخل في قوله (فاعبده وتوكل عليه) لكن يقال من كان توكله على الله ودعاؤه له هو فى حصول مباحات فهو من العامة وان كان في حصول مستحبات وواجبات فهو من الخاصة كما ان من دعاه وتوكل عليه في حصول محرمات فهو ظالم لنفسه ومن اعرض عن التوكل فهو عاص لله ورسوله بل خارج عن حقيقة الايمان فكيف يكون هذا المقام للخاصة . قال الله تعالى (وقال موسى ياقوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين)[2] وقال تعالى (ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده)[3] وقال (وعلى الله فليتوكل المؤمنون)[4] وقال تعالى (قل افرأيتم ماتدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره)[5] الى قوله (قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون)[6] وقد ذكر الله هذه الكلمة حسبي الله في جلب المنفعة تارة وفى دفع المضرة أخرى فالاولى قوله (ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله)[7] الآية. والثانية قوله « الذين قال لهم الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل»[8] وفي قوله

١ ـ هود ١٢٣
ـ يونس ٨٤
ـ آل عمران ١٦٠
ـ آل عمران ١٢٢
ـ الزمر ٣٨
ـ الزمر ٣٨
ـ التوبة ٥٩
ـ آل عمران ١٧٣

وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله[١]) وقوله (ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله)[٢] الآية يتضمن الامر بالرضا والتوكل والرضاء والتوكل يكتنفان المقدور فالتوكل قبل وقوعه والرضاء بعد وقوعه ولهذا كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول فى الصلاة « اللهم بعلمك الغيب وبقدرتك على الخلق احينى ما علمت الحياة خيرا لى وتوفنى اذا كانت الوفاة خيرا لى اللهم انى أسألك خشيتك في الغيب والشهادة وأسألك كلمة الحق في الغضب والرضا واسألك القصد فى الفقر والغنى واسألك نعيما لا ينفد واسألك قرة عين لاتنقطع اللهم انى اسألك الرضاء بعد القضاء واسألك برد العيش بعد الموت واسألك لذة النظر الى وجهك والشوق الى لقائك من غير ضراء مضرة ولافتنة مضلة اللهم زينا بزينة الايمان واجعلنا هداة مهتدين» رواه احمد والنسائى من حديث عمار بن ياسر * وأما مايكون قبل القضاء فهو عزم على الرضا لاحقيقة للرضا ولهذا كان طائفة من المشائخ يعزمون على الرضا قبل وقوع البلاء فاذا وقع انفسخت عزائمهم كما يقع نحو ذلك في الصبر وغيره كما قال تعالى (ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون[٣])وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص[٤]) نزلت هذه الآية لما قالوا لو علمنا أى الاعمال أحب الى الله لعملناه فأنزل الله آية الجهاد فكره من كرهه ولهذا كره للمرء أن يتعرض للبلاء بأن يوجب على نفسه ما لا يوجبه الشارع عليه بالعهد والنذر ونحو ذلك أو يطلب ولاية أو يقدم على بلد فيه طاعون

١ ـ الأنفال ٦٢
٢ ـ التوبة ٥٩
٣ ـ آل عمران ٤٣
٤ ـ الصف ٢ ـ ٤

كما ثبت في الصحيحين من غير وجه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن النذر وقال « انه لايأتى بخير وإنما يستخرج به من البخيل » وثبت عنه في الصحيحين أنه قال لعبد الرحمن بن سمرة « لا تسأل الامارة فانك إن اعطيتها عن مسألة وكلت اليها وان أعطيتها من غير مسألة أعنت عليها واذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذى هو خير وكفر عن يمينك» وثبت عنه في الصحيحين أنه قال في الطاعون « اذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه واذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها » وثبت في الصحيحين أنه قال « لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية ولكن اذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف» وأمثال ذلك مما يقتضى أن الانسان لاينبغى له أن يسعى فيما يوجب عليه أشياء فيبخل بالوفاء كما يفعل كثير ممن يعاهد الله عهوداً على أمور . وغالب هؤلاء يبتلون بنقض العهود. وينبغى أن الانسان اذا ابتلى فعليه أن يصبر ويثبت ولا يكل حتى يكون من الرجال الموفين القائمين بالواجبات. ولا بد فى جميع ذلك من الصبر . ولهذا كان الصبر واجباً باتفاق المسلمين على أداء الواجبات وترك المحظورات . ويدخل في ذلك الصبر على المصائب عن أن يخرج ، والصبر عن اتباع أهواء النفس فيما نهى الله عنه . وقد ذكر الله الصبر في كتابه في أكثر من تسعين موضعاً وقرنه بالصلاة في قوله (واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين[١] ✲ واستعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين[٢]) وقوله (وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل[٣]) الى قوله (واصبر فان الله لايضيع أجر المحسنين[٤] ✲ فاصبر على مايقولون وسبح

١ ـ البقرة ٤٥
٢ ـ البقرة ١٥٣
٣ ـ هود ١١٤
٤ ـ هود ١١٥

بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها[1] ☆ فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك[2]) الآية . وجعل الامامة فى الدين موروثة عن الصبر واليقين بقوله (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون[3]) فان الدين كله علم بالحق وعمل به فالعمل به لابد فيه من الصبر بل وطلب علمه يحتاج الى الصبر كما قال معاذ بن جبل عليكم بالعلم فان طلبه لله عبادة ومعرفته خشية والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة ومذاكرته تسبيح به يعرف الله ويعبد به يمجد ويوحد يرفع الله بالعلم اقواما يجعلهم للناس قادة وائمة يهتدون بهم وينتهون الى رأيهم. فجعل البحث عن العلم من الجهاد ولابد في الجهاد من الصبر ولهذا قال تعالى (والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتوصوا بالحق وتواصوا بالصبر[4]) وقال تعالى (واذ كر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب اولى الايدي والابصار[5]) فالعلم النافع هو اصل الهدى والعمل بالحق هو الرشاد وضد الاول هو الضلال وضد الثانى هو الغى والضلال العمل بغير علم والغى اتباع الهوى . قال تعالى (والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وماغوى[6]) فلا ينال الهدي الا بالعلم ولا ينال الرشاد الا بالصبر ولهذا قال على ألا ان الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد فاذا انقطع الرأس بان الجسد ثم رفع صوته فقال ألا لا ايمان لمن لا صبر له ☆

واما الرضا فقد تنازع العلماء والمشائخ من اصحاب الامام احمد وغيرهم في الرضاء بالقضاء هل هو واجب أو مستحب على قولين فعلى الاول يكون من اعمال المقتصدين وعلى الثانى يكون من اعمال المقربين قال عمر بن عبد العزيز الرضاء عزيز ولكن معول المؤمن. وقد روي

١ ـ طه ١٣٠
٢ ـ غافر ٥٥
٣ ـ السجدة ٢٤
٤ ـ العصر ١ ـ ٣
٥ ـ صٓ ٤٥
٦ ـ النجم ١ ـ ٢

عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لابن عباس « ان استطعت ان تعمل لله بالرضا مع اليقين فافعل فان لم تستطع فان في الصبر على ماتكره خيراً كثيراً . ولهذا لم يجيء في القرآن الا مدح الراضين لاايجاب ذلك وهذا في الرضا فيما يفعله الرب بعبده من المصائب كالمرض والفقر والزلزال كما قال تعالى (والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس)[1] وقال (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا)[2] فالبأساء في الاموال والضراء في الابدان والزلزال في القلوب. وأما الرضا بما أمر الله به فأصله واجب وهومن الايمان كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث « ذاق طعم الايمان من رضى بالله رباً وبالاسلام ديناً وبمحمد نبياً » وهو من توابع المحبة كما سنذكره ان شاء الله تعالى . وقال (فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليماً)[3] وقال تعالى (ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله)[4] الآية. وقال تعالى (ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم)[5] وقال (وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم الا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون)[6] ومن النوع الأول ما رواه احمد والترمذي وغيرهما عن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من سعادة ابن آدم استخارته لله ورضاه بما قسم الله له . ومن شقاوة ابن آدم تركه استخارته لله وسخطه بما يقسم الله له » وأما الرضا بالمنهيات من الكفر والفسوق والعصيان فأكثر العلماء يقولون لا يشرع الرضا بها اذ

١ ـ البقرة ١٧٧
٢ ـ البقرة ٢١٤
٣ ـ النساء ٦٥
٤ ـ التوبة ٥٩
٥ ـ محمد ٢٨
٦ ـ التوبة ٥٤

هى كما لا تشرع محبتها فان الله سبحانه لا يرضاها ولا يحبها وان كان قدرها وقضاها كما قال سبحانه (والله لا يحب الفساد)[١] وقال تعالى (ولا يرضى لعباده الكفر)[٢] بل يسخطها كما قال تعالى (ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم)[٣] وقالت طائفة ترضى من جهة كونها مضافة الى الله خلقاً وتسخط من جهة كونها مضافة الى العبد فعلا وكسباً . وهذا لاينافى الذى قبله بل هما يعودان الى أصل واحد وهو سبحانه قدر الاشياء لحكمة فهي لاعتبار تلك الحكمة محبوبة مرضية وقد تكون في نفسها مكروهة ومسخوطة . اذ الشيء الواحد يجتمع فيه وصفان يحب من أحدهما ويكره من الآخر كما في الحديث الصحيح « ماترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدى المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه » وأما من قال بالرضاء بالقضاء الذى هو وصف الله وفعله لابالمقتضى الذى هو مفعوله فهو خروج منه عن مقصود الكلام . فان الكلام ليس بالرضاء فيما يقوم بذات الرب تعالى من صفاته وأفعاله وانما الكلام فى الرضاء بمفعولاته ، والكلام فيما يتعلق بهذا قد بيناه في غير هذا الموضع .

والرضاء وان كان من أعمال القلوب فكماله هو الحمد ، حتى أن بعضهم فسر الحمد بالرضاء . ولهذا جاء في الكتاب والسنة حمد الله على كل حال وذلك يتضمن بمقضياته . وفى الحديث « أول من يدعى الى الجنة الحمادون الذين يحمدون الله في السراء والضراء » وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم « أنه كان اذا اتاه الامر يسره قال الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات واذا أتاه الامر الذى يسوءه قال الحمد لله على كل حال » وفي مسند

١ ـ البقرة ٢٠٥
٢ ـ الزمر ٧
٣ ـ محمد ٢٨

الامام احمد عن أبى موسى الاشعرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « اذا قبض ولد العبد يقول الله لملائكته أقبضتم ولد عبدى فيقولون نعم فيقول أقبضتم ثمرة فؤاده فيقولون نعم فيقول ماذا قال فيقولون حمدك واسترجعك فيقول ابنوا لعبدى بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد » ونبينا صلى الله عليه وسلم هو صاحب لواء الحمد، وأمته هم الحمادون الذين يحمدون الله على السراء والضراء. والرضا والحمد على الضراء يوجبه شاهدان. أحدهما علم العبد بأن الله سبحانه مستوجب لذلك مستحق له لنفسه فانه أحسن كل شىء خلقه وأتقن كل شىء وهو العليم الحكيم الخبير الرحيم. والثانى علمه بأن اختيار الله لعبده المؤمن خير من اختياره لنفسه كما روى مسلم في صحيحه وغيره عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « والذى نفسى بيده لا يقضى الله للمؤمن قضاء الا كان خيراً له وليس ذلك الا للمؤمن ان أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وان اصابته ضراء فصبر فكان خيراً له » فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم ان كل قضاء يقضيه الله للمؤمن الذى يصبر على البلاء ويشكر على السراء فهو خير له. قال تعالى (ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور)[1] وذكرها فى أربعة مواضع من كتابه. فأما من لا يصبر على البلاء، ولا يشكر على الرخاء فلا يلزم أن يكون القضاء خيراً له. ولهذا أجبت من أورد على هذا بما يقضى على المؤمن من المعاصى بجوابين: أحدهما: ان هذا انما يتناول ما أصاب العبد لا ما فعله العبد كما في قوله (ما أصابك من حسنة فمن الله)[2] أى من سراء (وما أصابك من سيئة فمن نفسك) أى من ضراء. وكقوله (وبلوناهم

١ ـ الشورى ٣٣
٢ ـ النساء ٧٩

بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون[١]) أي بالسراء والضراء كما قال (ونبلوكم بالشر والخير فتنة[٢]) وقال (ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها[٣]) يراد بها المسار والمضار ، ويراد بها الطاعات والمعاصى . والجواب الثانى أن هذا في حق المؤمن الصبار الشكور . والذنوب تنقص الايمان ، فاذا تاب العبد أحبه الله وقد ترتفع درجته بالتوبة . قال بعض السلف كان داود بعد التوبة خيراً منه قبل الخطيئة فمن قضى له بالتوبة كان كما قال سعيد بن جبير ان العبد ليعمل الحسنة فيدخل بها النار ، وان العبد ليعمل السيئة فيدخل بها الجنة . وذلك أنه يعمل الحسنة فتكون نصب عينه ويعجب بها ويعمل السيئة فتكون نصب عينه فيستغفر الله ويتوب اليه منها . وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « الأعمال بالخواتيم » والمؤمن اذا فعل سيئة فان عقوبته تندفع عنه بعشرة أسباب . أن يتوب فيتوب الله عليه فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له ، أو يستغفر فيغفر له ، أو يعمل حسنات تمحوها فان الحسنات يذهبن السيئات ، أو يدعو له اخوانه المؤمنون ويشفعون له حيا وميتاً ، أو يهدون له من ثواب أعمالهم لينفعه الله به ، أو يشفع فيه نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، أو يبتليه في الدنيا بمصائب تكفر عنه . أو يبتليه في البرزخ والصعقة فيكفر بها عنه ؛ أو يبتليه في عرصات القيامة من أهوالها بما يكفر عنه ؛ أو يرحمه أرحم الراحمين فمن أخطأته هذه العشرة فلا يلومن الا نفسه كما قال تعالى فيما يروي عنه رسوله « ياعبادي انما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم اياها فمن وجد خيراً فليحمد الله

١ - الاعراف ١٦٨
٢ - الأنبياء ٣٥
٣ - آل عمران ١٢٠

ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ الا نفسه » فان كان المؤمن يعلم أن القضاء خير اذا كان صباراً شكوراً وكان قد استخار الله وعلم أن من سعادة ابن آدم استخارته لله ورضاه بما قسم له كان قد رضى بما هو خير له. وفي الحديث الصحيح عن على قال « ان الله يقضى بالقضاء فمن رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط » ففى هذا الحديث الرضا والاستخارة فالرضا بعدالقضاء والاستخارة قبل القضاء وهذا أكمل من الرضا والصبر فلهذا ذكر في ذاك الرضا وفى هذا الصبر م اذا كان القضاء مع الصبر خيرا له فكيف مع الرضا ولهذا جاء في الحديث« المصاب من حرم الثواب » فالأثر الذى رواه الشافعي فى مسنده « أن النبى صلى الله عليه وسلم لما مات سمعوا قائلا يقول يا آل بيت رسول الله ان فى الله عزاء من كل مصيبة وخلفا من كل هالك ودركا من كل فائت فبالله فثقوا واياه فارجوا فان المصاب من حرم الثواب) ولهذا لم نؤمر بالحزن المنافى للرضا قط مع أنه لا فائدة فيه فقد يكون مضرة لكنه يعفى عنه اذا لم يقترن به ما يكرهه الله لكن البكاء على الميت على وجه الرحمة حسن مستحب وذلك لا ينافى الرضا بخلاف البكاء عليه لفوات حظه منه وبهذا نعرف معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم لما بكى على الميت وقال «ان هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده وانما يرحم الله من عباده الرحماء» وان هذا ليس كبكاء من يبكى لحظه لا لرحمة الميت وأن الفضيل بن عياض لما مات ابنه على فضحك وقال رأيت ان الله قضى فأحببت أن أرضى بما قضى الله به حاله حال حسن بالنسبة الى أهل الجزع . وأما رحمة الميت مع الرضا

بالقضاء وحمد الله كحال النبي صلى الله عليه وسلم فهذا أكمل. قال تعالى (ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة) فذكر سبحانه التواصي بالصبر والرحمة ☆

والناس أربعة أقسام. منهم من يكون فيه صبر بقسوة ومنهم من يكون فيه رحمة بجزع. ومنهم من يكون فيه القسوة والجزع والمؤمن المحمود الذى يصبر على مايصيبه ويرحم الناس. وقد فطن طائفة من المصنفين في هذا الباب أن الرضا عن الله من توابع المحبة له وهذ انما يتوجه على المأخذ الاول وهو الرضا عنه لاستحقاقه ذلك بنفسه مع قطع العبد النظر عن حظه بخلاف المأخذ الثانى وهو الرضا لعمله بأن المقضى خير له ثم ان المحبة متعلقة به والرضا متعلق بقضائه لكن قد يقال في تقرير ما قال هذا المصنف ونحوه أن المحبة لله نوعان محبة له نفسه ومحبة لما منّهم من الاحسان وكذلك الحمد له نوعان حمد له على مايستحقه بنفسه وحمد على احسانه لعبده فالنوعان للرضا كالنوعين للمحبة. وأما الرضا به وبدينه وبرسوله فذلك من حظ المحبة ولهذا ذكر النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا » وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ومن كان يحب المرء لا يحبه الا لله ومن كان يكره أن يرجع الى الكفر بعد اذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار »(١)

١ ـ البلد ١٧

(١) فسرت الحلاوة هنا فى الحديث بمعانى كثيرة فأقربها ماقاله الترمذى أن معناها

وهذا مما يبين من الكلام على المحبة فنقول ✡

فصل

محبة الله بل محبة الله ورسوله من أعظم واجبات الايمان وأكبر أصوله وأجل قواعده بل هي كل عمل من أعمال الايمان والدين كما أن التصديق أصل كل قول من أقوال الايمان والدين فان كل حركة في الوجود انما تصدر عن محبة إما عن محبة محمودة أو عن محبة مذمومة كما قد بسطنا ذلك في قاعدة المحبة من القواعد الكبار فجميع الأعمال الايمانية الدينية لا تصدر الا عن المحبة المحمودة وأصل المحبة المحمودة هي محبة الله سبحانه وتعالى إذ العمل الصادر عن محبة مذمومة عند الله لا يكون عملا صالحا بل جميع الاعمال الايمانية الدينية لا تصدر الا عن محبه الله فان الله تعالى لا يقبل من العمل الا ما أريد به وجهه كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « يقول الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملا

استلذاذ الطاعات وتحمل المشاق في الدين وايثار ذلك على أعراض الدنيا. ومحبة العبد لله تعالى بفعل طاعته وترك مخالفته وكذلك محبة رسول الله صلى الله عليه آله وسلم وقوله «وجد» أي أصاب فلذلك اكتفى بمفعول واحد وهو قوله حلاوة الايمان . ومعنى أنقذه الله خلصه ونجاه * والحكمة في كون حلاوة الايمان في هذه الاشياء الثلاثة أن هذه الامور هي عنوان كمال الايمان المحصل لتلك اللذة لانه لا يتم ايمان امرىء حتى يتمكن في نفسه أن المنعم بالذات هو الله سبحانه وتعالى ولا معطى ولا مانع سواه وما عداه تعالى وسائط لا نفع له ولا ضرر . وأن الرسول عليه الصلاة والسلام هو الشفوق العطوف الساعي في صلاح شأنه وذلك يقتضي أن يتوجه بكليته نحوه ولا يحب ما يحبه الا لكونه وسطا بينه وبين الله تعالى وأن يتيقن أن جملة ما أوعدو وعد حق تيقنا يخيل اليه الموعود كالواقع نسأل الله التوفيق والهداية الى الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والصالحين . والله أعلم

فأشرك فيــه غيري فانا منــه بريء وهو كله للذي أشرك) وثبت في الصحيح حديث الثــلاثة الذين هم أول من تسعر بهم النار « القارىء المرائى والمجاهد المرائى والمتصدق المرائى» بل اخــلاص الدين لله هو الدين الذى لا يقبل الله سواه فهو الذى بعث به الاولين والآخرين من الرسل وأنزل به جميع الــكتب واتفق عليه أئمة أهل الايمان وهذا هو خلاصة الدعوة النبوية وهو قطب القرآن الذى تدور عليه رحاه قال تعالى (تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم)[1] ✡ (انا أنزلنا اليك الــكتاب بالحق فاعبــد الله مخلصا له الدين)[2] (ألا لله الدين الخالص)[3] والسورة كلها عامتها فى هــذا المعنى في قوله (قل انى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وأمرت لان أكون أول المسلمين)[4] الى قوله (قل الله أعبد مخلصا له دينى)[5] الى قوله (أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه)[6] الى قوله (قل أفرأيتم ماتدعون من دون الله ان أرادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره)[7] الآية. الى قوله (أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون)[8] (واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لايؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون)[9] الى قوله (قل أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون)[10] الى قوله (بل الله فاعبد وكن من الشاكرين)[11] وقال تعالى فيما قصــه من قصة آدم وأبليس أنه قال (فبعزتك لاغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين)[12] وقال تعالى (ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين)[13] وقال (انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على

١ - الزمر ١
٢ - الزمر ٢
٣ - الزمر ٣
٤ - الزمر ١١ - ١٢
٥ - الزمر ١٤
٦ - الزمر ٣٦
٧ - الزمر ٣٨
٨ - الزمر ٤٣ - ٤٤
٩ - الزمر ٤٥
١٠ - الزمر ٦٤
١١ - الزمر ٦٦
١٢ - ص ٨٣
١٣ - الحجر ٤٢

الذين يتولونه والذين هم به مشركون)[١] فبين أن سلطان الشيطان واغواءه انما هو لغير المخلصين ولهذا قال فى قصة يوسف (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين)[٢] وأتباع الشيطان هم أصحاب النار كما قال تعالى (لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين)[٣] وقد قال سبحانه (ان الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء)[٤] وهذه الآية في حق من لم يتب ولهذا خصص الشرك وقبل ما سواه بالمشيئة فانه لايغفر الشرك لمن لم يتب منه ومادونه يغفره لمن يشاء. وأما قوله (قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا)[٥] فتلك في حق التائبين ولهذا عم وأطلق وسياق الآية يبين ذلك مع سبب نزولها وقد أخبر سبحانه أن الاولين والآخرين انما أمروا بذلك فى غير موضع كالسورة التى قرأها النبى صلى الله عليه وسلم لما أمره أن يقرأ عليه قراءة إبلاغ وإسماع خصوصه فقال (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء)[٦] الآية وهذا حقيقة قول لااله إلا الله وبذلك بعث جميع الرسل قال الله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون »[٧] وقال (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون »[٨] وقال تعالى (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)[٩] وجميع الأنبياء افتتحوا دعوتهم بهذا الاصل كما قال نوح عليه السلام « اعبدوا الله ما لكم من اله غيره »[١٠] وكذلك هود وصالح وشعيب عليهم السلام وغيرهم كل يقول اعبدوا الله ما لكم من إله غيره

١ ـ النحل ٩٩ ـ ١٠٠
٢ ـ يوسف ٢٤
٣ ـ صٓ ٨٥
٤ ـ النساء ١١٦
٥ ـ الزمر ٥٣
٦ ـ البينة ٤ ـ ٥
٧ ـ الأنبياء ٢٥
٨ ـ الزخرف ٤٥
٩ ـ النحل ٣٦
١٠ ـ الاعراف ٥٩

لاسيما أفضلا الرسل الذين اتخذ الله كلاهما خليلا ابراهيم ومحمدا عليهما السلام فان هذا الاصل بينه الله بهما وأيدهما فيه وأنشره بهما فابراهيم هو الامام الذى قال الله فيه « انى جاعلك للناس إماما »[1] وفى ذريته جعل النبوة والكتاب والرسل فأهل هذه النبوة والرسالة هم الذين بارك الله عليهم قال سبحانه «واذ قال ابراهيم لابيه وقومه انني براء مما تعبدون الا الذى فطرني فانه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون)[2] فهذه الكلمة هى كلمة الاخلاص لله وهى البراءة من كل معبود الا من الخالق الذى فطرنا كما قال صاحب يس (ومالى لاأعبد الذى فطرني واليه ترجعون ءأتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون »[3] وقال تعالى فى قصته بعد أن ذكر ما يبين ضلال من اتخذ بعض الكواكب ربا يعبده من دون الله قال «فلما أفلت قال يا قوم انى برىء مما تشركون انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين »[4] الى قوله (ولا تخافون انكم أشركتم بالله مالم ينزل به عليكم سلطانا)[5] وقال ابراهيم الخليل عليه السلام (أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الاقدمون فانهم عدولى الا رب العالمين الذى خلقنى فهو يهدين والذي هو يطعمنى ويسقين واذا مرضت فهو يشفين)[6] وقوله تعالى (قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم»[7] الآية ونبينا صلى الله عليه وسلم هو الذى أقام الله به الدين الخالص لله دين التوحيد وقمع به المشركين من كان مشركا في الاصل من الذين كفروا من أهل الكتب وقال صلى الله عليه وسلم

١ ـ البقرة ١٢٤
٢ ـ الزخرف ٢٦ ـ ...
٣ ـ يس ٢٢ ـ ٢٣
٤ ـ الأنعام ٧٨ ـ ٧٩
٥ ـ الأنعام ٨١
٦ ـ الشعراء ٧٥ ـ ...
٧ ـ المتحنة ٤

فيما رواه الامام وغيره[١] « بعثت بالسيف بين يدى الساعة حتى يعبد الله وحده لاشريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذل والصغار على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم » وقد تقدم بعض ماانزل الله من الآيات المتضمنة للتوحيد فقال تعالى (والصافات صفا)[١] الى قوله (ان الهكم لواحد)[٢] الى قوله (انهم كانوا اذا قيل لهم لااله الا الله يستكبرون ويقولون أئنا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون بل جاء بالحق وصدق المرسلين)[٣] الى قوله (اولئك لهم رزق معلوم فواكه وهم مكرمون)[٤] الى ماذكره من قصص الانبياء في التوحيد واخلاص الدين لله الى قوله (سبحان الله عما يصفون الا عباد الله المخلصين)[٥] وقال تعالى (ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا الا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله)[٦] وفي الجملة فهذا الأصل فى سورة الأنعام والأعراف والنور وطسم وحم وسورة المفصل وغير ذلك من السور المكية وكثير من السور المدنية كثير ظاهر فهو اصل الأصول وقاعدة الدين حتى في سورتى الاخلاص قل ياأيها الكافرون وقل هو الله احد. وهاتان السورتان كان النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ بهما في ركعتى التطوع كركعتى الطواف وسنة الفجر وهما متضمنتان للتوحيد فاما قل ياأيها الكافرون فهى متضمنة للتوحيد العملى الارادي وهو اخلاص الدين لله بالقصد والارادة وهو الذى يتكلم به مشائخ التصوف غالبا. وأما سورة قل هو الله احد فمتضمنة للتوحيد القولى العملى كما ثبت في الصحيحين عن عائشة « ان رجلا كان

١ ـ الصافات ١
٢ ـ الصافات ٤
٣ ـ الصافات ٣٥ ـ ٣٧
٤ ـ الصافات ٤١ ـ ٤٢
٥ ـ الصافات ١٥٩ ـ ١٦٠
٦ ـ النساء ١٤٥ ـ ١٤٦

(١) الحديث رواه الامام احمد فى مسنده وابو يعلى والطبرانى فى الكبير عن ابن عمر

يقرأ قل هو الله احـد في صلاته فقال النبي صلى الله عليه وسلم سلوه لم يفعل ذلك فقال لانها صفـة الرحمن فانا احبهـا فقال اخبروه ان الله يحبه» ولهذا تضمنت هذه السورة من وصف الله سبحانه وتعالى الذى جاء بنفي قول أهل التعطيل واهل التمثيل ماصارت به هي الاصل المعتمد فى مسائل الذات كما قد بسطنا ذلك في غير هذا الموضع وذكرنا اعتماد الائمة عليها على ماتضمنته في تفسير الأحد كما جاء تفسيره عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين وما دل على ذلك من الدلائل لكن المقصود هنا هو التوحيد العملى وهو إخلاص الدين لله وان كان احـد النوعين مرتبطاً بالآخر فلا يوجد احد من أهل التعطيل الجهمية واهل التمثيل المشبهة الا وفيه نوع من الشرك العملي اذا اصل قولهم فيه شرك وتسوية بين الله وبين خلقه او بينه وبين المعدومات كما يسوى المعطلة بينه وبين المعدومات في الصفات السلبية التى لاتستلزم مدحا ولا ثبوت كمال أو يسوون بينه وبين الناقص من الموجودات في صفات النقص وكما يثبتون اذا اثبتوا هم [1] ومن ضاهاهم من الممثلة مساواة بينه وبين المخلوقات في حقائقها حتي يعبدوها فيعدلون عن ربهم ويجعلون له أندادا ويشبهون المخلوق برب العالمين واليهود كثيرا مايعدلون الخالق بالمخلوق ويمثلونه به حتى يصفوا الله بالعجز والفقر والبخل ونحو ذلك من النقائص التى يجب تنزيهه عنهـا وهى من صفات خلقه والنصاري يعدلون المخـلوق بالخالق حتي جعلوا في المخـلوق من نعوت الربوبية وصفات الالهية ويجوزون له مالا يصلح الا للخالق سبحانه وتعالى عما

(١) هكذا الاصل تأمل

يقول الظالمون علوا كبيرا والله سبحانه وتعالى قد أمرنا بالانابة في قوله (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين[1]) وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون» وفى هذه الامة من فيه شبه من هؤلاء وهؤلاء كما قال النبى صلى الله عليه وسلم «لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا يارسول الله اليهود والنصاري قال فمن» (١) والحديث فى الصحيحين فاذا كان أصل العمل الدينى هو اخلاص الدين لله وهو ارادة الله وحده فالشيء المراد لنفسه المحبوب لذاته وهذا كمال المحبة لكن أكثر ماجاء المطلوب مسمى باسم العبادة كقوله (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون[2]) وقوله (ياأيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم[3]) وأمثال هذا والعبادة تتضمن كمال الحب ونهايته وكمال الذل ونهايته فالمحبوب الذى لايعظم ولا يذل له لا يكون معبودا والمعظم الذى لايعظم لايكون معبوداً ولهذا قال تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا

(١) السنن بفتح السين السبيل والمنهاج وروى بضمها . والقذة جمعها قذذ ريش السهم أى كما تقدر كل واحدة منهما على قدر صاحبتها وتقطع يضرب مثلا للشيئين يستويان ولا يتفاوتان . والجحر بضم الجيم كل شيء يحتفره الهوام والسباع لانفسها . والضب هودويبة . وتخصيص جحر الضب بالذكر لشدة ضيقه ورداءته ومع ذلك فانهم لاقتفائهم آثارهم واتباعهم طرائقهم لو دخلوا في مثل هذا الضيق الرديء لوافقوهم على ذلك وانظر مابلغ هذا التشبيه والتمثيل. وقد وقع ماأخبر به صلى الله عليه وآله وسلم فتجد اكثر المسلمين المنهمكين فى شهوات فروجهم وبطونهم لايتلذذون الا اذا قلدوا الأجنبي في كل فعل قبيح وعمل مضر. وقوله «فمن» هو بفتح الفاء والميم وسكون النون استفهام على وجه الانكار أى ليس المراد غيرهم والله أعلم

[1] الفاتحة ٦ ـ ٧
[2] الذاريات ٥٦
[3] البقرة ٢١

أشد حبا لله)[١] منهم ومن آباءهم لان المؤمنين أعلم بالله والحب يتبع العلم وان المؤمنين جعلوا جميع حبهم لله وحده وأولئك جعلوا بعض حبهم له وأشركوا بينه وبين الأنداد في الحب ومعلوم ان ذلك أفضل . قال الله تعالى (ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا)[٢] الآية . واسم المحبة فيه اطلاق وعموم فان المؤمن يحب الله ويحب رسله وأنبياءه وعباده المؤمنين وان كان ذلك من محبة الله وان كانت المحبة التى لله لايستحقها غيره فلهذا جاءت محبة الله مذكورة بما يختص به سبحانه من العبادة والانابة اليه والتقبل له ونحو ذلك فكل هذه الأسماء تتضمن محبة الله سبحانه وتعالى ثم انه كما بين ان محبته أصل الدين فقد بين ان كمال الدين بكمالها ونقصه بنقصها فان النبى صلى الله عليه وسلم قال « رأس الأمر الاسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله» فاخبر ان الجهاد ذروة سنام العمل وهو أعلاه وأشرفه. وقد قال تعالى (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله)[٣] الى قوله (أجر عظيم)[٤] والنصوص في فضائل الجهاد وأهله كثيرة . وقد ثبت انه أفضل ماتطوع به العبد. والجهاد لازم المحبة الكاملة. قال تعالى (قل ان كان اباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم)[٥] الآية . وقال تعالى فى صفة المحبين المحبوبين (ياأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم)[٦] فان المحبة مستلزمة للجهاد ولان المحب يحب

١ ـ البقرة ١٦٥
٢ ـ الزمر ٢٩
٣ ـ التوبة ١٩
٤ ـ التوبة ٢٢
٥ ـ التوبة ٢٤
٦ ـ المائدة ٥٤

ما يحب محبوبه ويبغض مايبغض محبوبه ويوالى من يوالى محبوبه ويعادى من يعاديه ويرضى لرضاه ويغضب لغضبه ويأمر بما يأمر به وينهى عما ينهى عنه فهو موافق في ذلك وهؤلاء هم الذين يرضى الرب لرضاهم ويغضب لغضبهم اذ هم انما يرضون لرضاه ويغضبون لما يغضب له كما قال النبى صلى الله عليه وسلم لابى بكر في طائفة فيهم صهيب وبلال « لعلك أغضبتهم لان كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك فقال لهم ياأخوتى هل أغضبتكم قالوا لايغفر الله لك ياأبا بكر » وكان قد مر بهم أبو سفيان ابن حرب فقالوا ماأخذت السيوف مأخذها فقال لهم أبوبكر أتقولون هذا لسيد قريش وذكر أبو بكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال له ماتقدم لان أولئك انما قالوا ذلك غضبا لله لكمال ماعندهم من الموالاة لله ورسوله والمعاداة لاعدائه ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح فيما يروى عن ربه «لايزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها فبى يسمع وبى يبصر وبى يبطش وبي يمشى ولئن سألني لاعطينه ولئن استعاذنى لاعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددى عن قبض نفس عبدى المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته ولابد له منه» فبين انه يتردد لان التردد تعارض ارادتين وهو سبحانه يحب مايحب عبده ويكره مايكرهه وهو يكره الموت فهو يكرهه كما قال وانا أكره مساءته وهو سبحانه قد قضي بالموت فهو يريد ان يموت فسمى ذلك ترددا ثم بين انه لابد من وقوع ذلك وهذا اتحاد فى المحبوب والمرضى المأمور به والمبغض المكروه المنهى عنه

وقد يقال انه اتحاد نوعى وصفي وليس ذلك اتحاد النوعين فان ذلك ممتنع والقائل به كافر وهو قول النصارى والغالية من الرافضة والنساك كالحلاجية ونحوهم وهو الاتحاد المقيد في شى بعينه · وأما الاتحاد المطلق الذى هو قول أهل وحدة الوجود والذين يزعمون ان وجود المخلوق هو عين وجود الخالق فهذا تعطيل للصانع وجحود له وهو جامع لكل شرك فكما ان الاتحاد نوعان فكذلك الحلول نوعان قوم يقولون بالحلول المقيد فى بعض الأشخاص وقوم يقولون بحلوله في كل شيء وهم الجهمية الذين يقولون ان ذات الله في كل مكان . وقد يقع لبعض المعطلين من أهل الفناء في المحبة أنه يغيب بمحبوبه عن نفسه وحبه ويغيب بمذكوره عن ذكره وبمعروفه عن معرفته وبموجوده عن وجوده حتى لا يشهد الا بمحبوبه فيظن في زوال تمييزه ونقص عقله وسكره انه هو محبوبه كما قيل ان محبوبا وقع في اليم فالقى المحب نفسه خلفه فقال أنا وقعت فانت ما الذى أوقعك فقال غبت بك عنى فظننت انك أنا فلا ريب ان هذا خطأ وضلال لكن ان كان هذا لقوة المحبة والذكر من غير أن يحصل عن سبب محظور زال به عقله كان معذوراً فى زواله فلا يكون مؤاخذا بما يصدر منه من الكلام فى هذه الحال التي زال فيها عقله بغير سبب محظور كما قيل فى عقلاء المجانية انهم قوم آتاهم الله عقولا وأحوالا فسلب عقولهم وأبقى أحوالهم وأسقط ما فرض بما سلب وأما اذا كان السبب الذى به زوال العقل محظورا لم يكن السكران معذورا وان كان لايحكم بكفره في أصح القولين كما لا يقع طلاقه في اصح القولين وأن كان الزرع في (١) مشهور قد بسطنا

---

(١) هكذا الاصل فينظر

الكلام فى هذا وفيمن يسلم له حاله ومن لا يسلم في قاعدة ذلك وبكل حال فالفناء الذى يفضى بصاحبه الى مثل هـذا حال ناقص وان كان صاحبه غير مـكلف ولهذا لم يرد مثل هذا على الصحابة الذين هم أفضل الأمة ولا على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وان كان لهـؤلاء في صعق موسى نوع تعلق وانما حدث زوال العقل عند الواردات الالهية على بعض التابعين ومن بعدهم وان كانت المحبة تامة موافقة لمحبة المحبوب فى محبوبه ومكروهه في هذه الأمة وولايته وعداوته فمن المعلوم ان من أحب الله المحبة الواجبة فلا بد أن يبغض اعداءه ولا بد ان يحب مايحبه من جهـادهم كما قال تعالى (ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص [1]) والمحب التام لا يؤثر فيه لوم اللائم وعذل العاذل بل ذلك يعرفه بملازمة المحبة كما قد أكثر الشعراء في ذلك وهؤلاء هم اهل الملام المحمود وهم الذين لا يخافون من يلومهم على ما يحب الله ويرضاه من جهاد اعدائه فان الملام على ذلك كثير واما الملام على فعل ما يكرهه الله أو ترك ما أحبه فهو لوم بحق بحق وليس من ذلك المحمود الصبر على هذا الملام بل الرجوع الى الحق خير من التمادى فى الباطل وبهذا يحصل الفرق بين اللامة على مايحبه الله ورسوله ولا يخافون لومة لائم في ذلك وبين الملامية الذين يفعلون ما يبغضه الله ورسوله ويصبرون على الملام في ذلك ☆

فصل

واذا كانت المحبة اصل كل عمل دينى فالخوف والرجاء وغيرهما يستلزم المحبة ويرجع اليها فان الراجي الطامع انما يطمع فيما يحبه لا فيما يبغضه

[1] ـ الصف ٤

والخائف يفر من الخوف لينال المحبوب. قال تعالى (أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه)[١] الآية. وقال (ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله)[٢] ورحمته اسم جامع لكل خير. وعذابه اسم لكل شر. ودار الرحمة الخالصة هى الجنة ودار العذاب الخالص هى النار وأما الدنيا فدار استدراج فالرجاء وإن تعلق بدخول الجنة فالجنة اسم جامع لكل نعيم وأعلاه النظر الى وجه الله كما في صحيح مسلم عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب عن النبى صلى الله عليه وسلم قال «اذا دخل اهل الجنة الجنة نادى مناد يا اهل الجنة ان لكم عند الله موعدا يريد ان ينجزكموه فيقولون ما هو ألم تبيض وجوهنا ألم تثقل موازيننا وتدخلنا الجنة وتنجينا من النار قال فيكشف الحجاب فينظرون اليه فما أعطاهم شيئاً أحب اليهم من النظر اليه» وهو الزيادة ومن هنا يتبين زوال الاشتباه في قول من قال ما عبدتك شوقا الى جنتك ولا خوفا من نارك وانما عبدتك شوقا الى رؤيتك فان هذا القائل ظن هو ومن تابعه ان الجنة لا يدخل فى مسماها الا الأكل والشرب واللباس والنكاح والسماع ونحو ذلك مما فيه التمتع بالمخلوقات كما يوافق على ذلك من ينكر رؤية الله من الجهمية أو من يقر بها ويزعم انه لا يمتع في نفس رؤية الله كما يقوله طائفة من المتفقهة فهؤلاء متفقون على ان مسمى الجنة والآخره لا يدخل فيه الا التمتع بالمخلوقات ولهذا قال بعض من غلط من المشائخ لما سمع قوله (منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة)[٣] قال فأين من يريد الله وقال آخر (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم واموالهم بأن لهم الجنة)[٤] قال اذا كانت النفوس والاموال

١ ـ الاسراء ٥٧
٢ ـ البقرة ٢١٨
٣ ـ آل عمران ١٥٢
٤ ـ التوبة ١١١

بالجنة فاين الناظر و ن اليه وكل هذا لظنهم ان الجنة لا يدخل فيها النظر والتحقيق ان الجنة هي الدار الجامعة لكل نعيم وأعلى ما فيها النظر الى وجه الله وهو من النعيم الذى ينالونه فى الجنة كما أخبرت به النصوص وكذلك أهل النار وانهم محجوبون عن ربهم يدخلون النار مع أن هذا قائل القول اذا كان عارفا نما يقول فانما قصده انك لولم تخلق نار او تخلق جنة لكان يجب ان تعبد ويجب التقرب اليك كما قال عمر رضى الله عنه نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه أى هو لم يعصه ولو لم يخفه فان اجلاله وا كرامه لله يمنعه من معصيته. والراجى الخائف اذا تعلق خوفه ورجاؤه بالتعذب باحتجاب الرب عنه والتنعم بتجليه فمعلوم ان هذا من أنواع محبته له فالمحبة هى اوجبت محبته بالتجلى والخوف من الاحتجاب .

وان تعلق خوفه ورجاؤه بالتعذب بمخلوق والتنعم به فهذا انما يطلب ذلك بعبادة الله محبته لله وحدها أحلى من كل محبة ولهذا يكون اشتغال أهل الجنة بذلك أعظم من كل شيء كما في الحديث ان اهل الجنة يلهمون التسبيح كما تلهمون وهو يبين غاية نفعهم بذكر الله ومحبته. فالخوف من التعذب بمخلوق والرجاء له يسوقه الى محبة الله التي هي الاصل وهذا كله ينبنى على اصل المحبة فيقال قدنطق الكتاب والسنه بمحبة العباد المؤمنين كما في قوله (والذين آمنوا أشد حبا لله)[1] وقوله (يحبهم ويحبونه)[2] وقوله (أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله)[3] وفى الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما وان يحب المرء لايحبه الا لله وأن يكره ان يرجع في الكفر بعد ان أنقذه الله منه كما يكره أن يلقي في

١ ـ البقرة ١٦٥
٢ ـ المائدة ٥٤
٣ ـ التوبة ٢٤

النار » بل محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبت بمحبة الله كما في قوله (أحب اليكم من الله ورسوله)[١] وكما فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال «والذى نفسى بيده لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ولده ووالده والناس أجمعين» وفي صحيح البخاري عن عمر بن الخطاب انه قال «والله يارسول الله لانت أحب الى من كل شيء الا من نفسي فقال لا ياعمر حتى أكون أحب اليك من نفسك فقال والله لانت أحب الى من نفسى» وكذلك محبة صحابته وقرابته كما في الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال «آية الايمان حب الأنصار وآية النفاق بغض الانصار» وقال «لايبغض الأنصار رجل يؤمن بالله واليوم الآخر» وقال على رضى الله عنه «انه لعهد النبي الامى الى ان لا يحبنى الا مؤمن ولا يبغضني الا منافق» وفي السنن انه قال للعباس «والذى نفسى بيده لايدخلون الجنة حتى يحبونكم لله ولقرابتى» يعنى بنى هاشم وقد روى حديث عن ابن عباس مرفوعا انه قال «احبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبونى بحب الله وأحبوا اهل بيتى لاجلى»(١) ✡

وأما محبة الرب لعبده فقال تعالى (واتخذ الله ابراهيم خليلا)[٢] وقال تعالى (يحبهم ويحبونه)[٣] وقال (وأحسنوا ان الله يحب المحسنين)[٤] (وأقسطوا ان الله يحب المقسطين)[٥] (فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين)[٦] (فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين)[٧] (ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص)[٨] (بلى من أوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين)[٩] وأما محبة الاعمال التي يحبها الله

١ ـ التوبة ٢٤
٢ ـ النساء ١٢٥
٣ ـ المائدة ٥٤
٤ ـ البقرة ١٩٥
٥ ـ الحجرات ٩
٦ ـ التوبة ٤
٧ ـ التوبة ٧
٨ ـ الصف ٤
٩ ـ آل عمران ٧٦

(١) الحديث رواه الترمذى والحاكم

الواجباب والمستحبات الظاهرة والباطنة فكثيرة معروفة وكذلك حبهم لله وهم المؤمنون أولياء الله المتقون وهذه المحبة كما نطق بها الكتاب والسنة والذى عليه سلف الامة وأئمتها وأهل السنة والحديث وجميع مشائخ الدين وأئمة التصوف أن الله محبوب لذاته محبة حقيقه بل هى اكمل محبة فانها كما قال تعالى (والذين آمنوا أشد حبا لله) وكذلك هو سبحانه يحب ما يحب عباده المؤمنون وماهو فى الله محبة حقيقة. وأنكر الجهمية حقيقة المحبة من الطرفين زعما منهم أن المحبة لاتكون الا مناسبة بين المحب والمحبوب وأنه لامناسبة بين القديم والمحدث توجب محبته وقاسوا به المحبة وكان أول من أحدث هذا في الاسلام الجعد بن درهم فى أوائل المائة الثالثة فضحى به خالد بن عبدالله القشيرى أمير العراق والمشرق بواسط خطب الناس يوم الاضحى فقال أيها الناس ضحوا يقبل الله ضحاياكم فانى مضح بالجعد بن درهم أنه زعم أن الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما ثم نزل فذبحه فكأنه قد أخذ هذا المذهب عن الجعد بن صفوان فأظهره عليه واليه أضيف قول الجهمية فقتله مسلم بن أحوز أمير خراسان بها ثم نقل ذلك الى المعتزلة عمرو بن عبيد وأظهر قولهم في زمن الخليفة الملقب بالمأمون حتى أمتحن أئمة الاسلام ودعوا الى الموافقة لهم على ذلك . وأصل هذا مأخوذ عن المشركين والصابئة من البراهمة والمتفلسفة ومبتدعة أهل الكتاب الذين يزعمون أن الرب ليس له ثبوتية أصلا وهؤلاء هم أعداء ابراهيم الخليل عليه السلام وهم يعبدون الكواكب ويبنون الهياكل في المعقول والنجوم وغيرهما وهم ينكرون في الحقيقة أن يكون ابراهيم خليلا وموسى كليما وأن الخلة

١ - البقرة ١٦٥

هى كمال المحبة المستغرقة للحب كما قيل .

قد تخللت مسلك الروح منى ✿ وبذا سمى الخليل خليــلا

ويشهد لهذا ما ثبت في الصحيح عن أبى سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «لو كنت متخذا من أهل الارض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولـكن صاحبكم خليل الله» يعني نفسه. وفي رواية «انى أبرأ الى كل خليل من خلته ولو كنت متخذا من أهل الارض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا» وفى رواية «ان الله اتخذنى خليــلا كما اتخذ ابراهيم خليلا» فبين صلى الله عليه وسلم أنه لا يصلح له أن يتخذ من المخلوقين خليلا وأنه لو يكون ذلك لـكان أحق الناس بها أبا بكر الصديق رضى الله عنه مع أنه صلى الله عليه وسلم قد وصف نفسه بأنه يحب أشخاصا كما قال لمعاذ «انى لأحبك» وكذلك قوله للانصار وكان زيد بن حارثة حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك ابنه أسامة حبه وأمثال ذلك✿ وقال عمرو ابن العاص «أي الناس أحب اليك قال عائشة قال فمن الرجال قال أبوها». وقال لفاطمة رضى الله عنها «ألا تحبين ما احب قالت بلى قال فاحبي عائشة» وقال للحسن «اللهم انى أحبه فأحبه وأحب من يحبه. وأمثال هذا كثير فوصف نفسه بمحبة الاشخاص وقال «انى ابرأ الى كل خليل من خلته ولو كنت متخذا من أهل الارض خليلا لا تخذت أبا بكر خليلا» فعلم أن الخلة أخص من مطلق المحبــة بحيث هى من كمالها وتخللها المحب يكون المحبوب بها محبوبا لذاته لا لشيء آخر والمحبوب لشيء غيره هو موجب في المحبــة عن ذلك الغير (١) ومن كمالها لاتقبل الشركة المتزاحمــة

(١) هكذا الاصل ولم يكن لدينا غير هذه النسخة وهي سقيمة جداً فتنبه

لتخللها الحب ففيها كمال التوحيد وكمال الحب * ومن الخلة أيضا تنافي المزاحمة وتقدم الغير بحيث يكون المحبوب محبوبا لذاته لا يزاحمه فيها غيره وهذه محبة لا تصلح الا لله فلا يجوز ان يشركه غيره فيما يستحقه وهو محبوب لذاته وكل مايحب غيره اذا كان محبوبا بحق فانما يحب لاجله وكل ما أحب لغيره فمحبته باطلة في الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ماكان لله تعالى. فاذا كانت الخلة كذلك فمن المعلوم ان من انكر ان يكون الله محبوبا لذاته ينكر مخاللته. وكذلك ايضا ان انكر محبته لاحد من عباده فقد انكر ان يتخذه خليلا بحيث يحب الرب العبد على الكمل ما يصلح للعبادة . وكذلك تكليمه لموسى انكروه لانكارهم ان يكون به صفة من الصفات او فعل من الافعال فكما ينكرون ان يتصف بحياة او قدرة أو علم او ان يستوى أو أن يجيء فكذلك ينكرون ان يتكلم او يكلم فهذا حقيقة قولهم (كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم)[1] لكن لما كان الاسلام ظاهرا والقرآن متلوا لا يمكن جحده لمن اظهر الاسلام أخذوا يلحدون في اسماء الله ويحرفون الكلم عن مواضعه فتأولوا محبة العباد له بمجرد محبتهم لطاعته والتقرب اليه وهذا جهل عظيم فان التقرب اليه تابع لمحبته وفرع عليه فمن لا يحب الشيء لا يمكن ان يحب التقرب اليه اذ التقرب وسيلة ومحبة الوسيلة تبع لمحبة المقصود فيمتنع ان تكون الوسيلة الى المحبوب دون الشيء المقصود بالوسيلة. وكذلك العبادة والطاعة اذا قيل في المطاع المعبود ان هذا يحب طاعته وعبادته فان محبته ذلك تبع لمحبته والا فمن لا يحب لا يحب طاعته وعبادته ومن كان لا يعمل لغيره الا لعوض يناله منه او لدفع عقوبة فانه يكون معاوضا له او مفتديا منه

١ ـ البقرة ١١٨

ولايكون محبا له .ولايقال ان هذايحبه.وتفسير ذلك محبته طاعته وعبادته فان محبة المقصود ان استلزمت محبة الوسيلة أو غير محبة المقصود عن[1] محبة الوسيلة فان ذلك يقتضى ان يعبر بلفظين محبة العوض والسلامة عن محبة العمل أما محبة الله فلا تعلق لها بمجرد محبة العوض الا ترى ان من استأجر اجيرا بعوض لا يقال ان الاجير يحبه بمجرد ذلك بل قد يستأجر الرجل من لا يحبه بحال بل من يبغضه وكذلك من افتدى نفسه بعمل من عذاب معذب لا يقال انه يحبه بل يكون مبغضا له فعلم أن ما وصف الله به من عباده المؤمنين من أنهم يحبونه يمتنع ان يكون معناه مجرد محبة العمل الذى ينالون به بعض الأغراض المحبوبة من غير ان يكون ربهم محبوبا لا يحب اصلا . وأيضا فلفظ العبادة متضمن للمحبة مع الذل كما تقدم ولهذا كانت محبة القلب للبشر على طبقات . احدها العلاقة فهو تعلق القلب بالمحبوب. ثم الصبابة وهو انصباب القلب اليه. ثم الغرام وهو الحب اللازم. ثم العشق وآخر المراتب هو التيم وهو التعبد للمحبوب والمتيم المعبود وتيم الله عبد الله فان المحب يبقي ذاكرا معبداً مذللا لمحبوبه وايضا فاسم الانابة اليه يقتضى المحبة ايضا وما أشبه ذلك من الاسماء كما تقدم وايضا فلو كان الذى قالوه حقا لكان ذلك مجازا لما فيه من الحذف والاضمار والمجاز لا يطلق الا بقرينة تبين المراد ومعلوم ان في كتاب الله وسنة رسوله ما ينفى أن يكون الله محبوبا وان لا يكون محبوبا الا بالأعمال في الدلالة المتصلة ولا المنفصلة ولا في العقل أيضا فمن علامات المجاز صحة اطلاق نفسه فيجب ان

(١) هكذا الاصل والمعنى ظاهر الا ان التركيب ركيك

يصح اطلاق القول بان الله لا يحب ولا يحب كما اطلق امامهم الجعد بن درهم ان الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما وان هذا ممتنع باجماع المسلمين فعلم دلالة الاجماع على ان هذا ليس اجماعا بل هي حقيقة وايضا فقد فرق بين محبته ومحبة العمل له في قوله (احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله) كما فرق بين محبته ومحبة رسوله في قوله (أحب اليكم من الله ورسوله) فلو كان المراد بمحبته ليس محبة الاصل لكان هذا تكريرا ومن باب الخاص على العام وكلاهما على خلاف ظاهر الكلام الذي لا يجوز المصير اليه الا بدلالة تبين المراد. وكما ان محبته لا يجوز ان تفسر بمحبة رسوله فكذلك لا يجوز تفسيرها بمجرد محبة العمل وان كانت محبته تستلزم محبة رسوله ومحبة العمل له وايضا فالتعبير بمحبة الشيء عن مجرد محبة طاعته لا عن محبة نفسه امر لا يعرف في اللغة حقيقة ولا مجازا فحمل الكلام عليه تحريف محض. وقد قررنا في موضع من القواعد الكبار انه لا يجوز ان يكون غير الله محبوبا مراداً لذاته كما لا يجوز ان يكون غير الله موجودا بذاته بل لا رب الا الله ولا اله غيره والاله هو المعبود الذي يستحق ان يحب لذاته ويعظم لذاته كمال المحبة والتعظيم وكل مولود يولد على الفطرة فانه سبحانه فطر القلوب على ان ليس في محبوباتها ومراداتها ما تطمئن اليه الا الله وحده وان كل ما أحبه المحبوب فطعوم وملبوس ومنظور وملموس يحب من نفسه وان قلبه يطلب سواه ويحب أمراً غيره يتأله ويصمد اليه ويرى مايشبهه من هذه الاجناس ولهذا قال الله تعالى في كتابه (ألا بذكر الله تطمئن القلوب)[2] وفي الصحيح عن عياض بن حمار عن النبي صلى الله عليه وسلم عن الله قال «اني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين وحرمت

١ ـ التوبة ٢٤
٢ ـ الرعد ٢٨

عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم ان يشركوا بى ما لم أنزل به سلطانا» كما في الصحيحين عن أبي هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم «انه قال كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيهامن جدعاء ثم يقول ابو هريرة اقرؤا ان شئتم فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم» وايضا فكل مافطرت القلوب على محبته من نعوت الكمال فالله هو المستحق لكل الكمال وكل مافي غيره من محبوب فهو منه سبحانه وتعالى فهو المستحق لان يحب على الحقيقة والكمال وانكار محبة العبد لربه هو في الحقيقة انكار ان يكون الها معبودا كما ان انكار محبته لعبده يستلزم انكار مشيئته وهو يستلزم انكار كونه ربا خالقا فصار انكارها مستلزما لانكار كونه رب العالمين ولكونه اله العالمين وهذا قول اهل التعطيل والجحود ولهذا اتفقت الأمتان قبلنا على ماعندهم من أمور وأحكام موسى وعيسى ان أعظم الوصية التي أتانا بها موسى أن تحب الله بكل قلبك وعقلك وهو حقيقة الحنيفية التى هي ملة ابراهيم التى هي أصل في التوراة والانجيل والقرآن وانكار ذلك هو مأخوذ من مقال الصابئين أعداء ابراهيم الخليل ومن وافقهم على ذلك من متفلسف أو متكلم أو متفقه أخذ عن هؤلاء وظهر ذلك في القرامطة الباطنية من الاسماعيلية ولهذا قال الخليل امام الحنفاء (أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فانهم عدو لى الا رب العالمين)[١] وقال أيضا (لا أحب الآفلين)[٢] وقال تعالى (يوم لاينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم)[٣] وهو السليم من الشرك. وأما قولهم انه لامناسبة بين المحدث والقديم توجب محبته له ويمنعه بالنظر اليه فهذا

١ ـ الشعراء ٧٥ ـ ٧٧
٢ ـ الأنعام ٧٦
٣ ـ الشعراء ٨٨ ـ ٨٩

الكلام مجمل فان أرادوا بالمناسبة أنه ليس بوالد فهذا حق وان أرادوا أنه ليس بينهما من المناسبة ما بين الناكح والمنكوح والآكل والمأكول ونحو ذلك فهذا أيضا حق وان أرادوا نه لا مناسبة بينهما توجب أن يكون أحدهما محباً عابداً والآخر معبوداً محبوباً فهذا هو رأس المسألة والاحتجاج به مصادرة على المطلوب ويكفى في ذلك المنع. ثم يقال بل لا مناسبة تقتضي المحبة الكاملة الا المناسبة التي بين المخلوق والخالق الذى لا اله غيره الذى هو في السماء اله وفي الأرض اله وله المثل الأعلى في السموات والأرض. وحقيقة قول هؤلاء أنهم جحدوا كون الله معبودا في الحقيقة ولهذا وافق على هذه المسألة طوائف من الصوفية المتكلمين الذين ينكرون أن يكون الله محبا في الحقيقة فأقروا بكونه محبوبا ومنعوا كونه محبا لأنهم تصوفوا مع ما كانوا عليه من قول أولئك المتكلمة فأخذوا عن الصوفية مذهبهم في المحبة فأما محبة الرب عبده فهم لها أشد إنكارا. ومنكروها قسمان. قسم يتأولونها بنفس المعقولات التى يحبها العبد فيجعلون محبته نفس خلقه وقسم يجعلونها نفس ارادته لتلك المعقولات وقد بسطنا الكلام في ذلك في قواعد الصفات والقدر فليس هذا موضعها. ومن المعلوم أنه قد دل الكتاب والسنة واتفاق الامة على أن الله يحب ويرضي ما أمر بفعله من واجب ومستحب وان لم يكن ذلك موجوداً على أنه قد يريد وجود أمور يبغضها من الاعيان والافعال كالفسق والكفر وقد قال الله تعالى(والله لايحب الفساد)[1] وقال تعالى(ولا يرضى لعباده الكفر)[2] والمقصود هنا انما هو في ذكر محبة الله ☆

وقد تبين أن ذلك هو أصل أعمال الايمان ولم يتبين بين

١ - البقرة ٢٠٥
٢ - الزمر ٧

أحد من سلف الامة من الصحابة والتابعين لهم باحسان نزاع فى ذلك وكانوا يحركون هذه المحبة بما شرع الله أن يحرك به من أنواع العبادات الشرعية كالعرفان الايماني والسماع الفرقانى، قال تعالى (وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان) الى آخر السورة، ثم انه لما طال الأمد صار فى طوائف المتكلمة من المعتزلة وغيرهم من ينكر هذه المحبة. وصار فى بعض المتصوفة من ينكر ان يطلب تحريكها بانواع من سماع الحديث كالتغيير (١) وسماع المكاء والتصدية فيسمعون من الاقوال والأشعار ما فيه تحريك جنس الحب الذى يحرك من كل قلب ما فيه من الحب بحيث يصلح لمحب الأوتار والغلمان والاخوان والأوطان والمردان والنسوان كما يصلح لمحب الرحمان ولكن كان الذين يحضرونه من الشيوخ يشترطون له المكان والامكان والخلان وربما اشترطوا له الشيخ يحرس به من الشيطان ثم توسع فى ذلك غيرهم حتى خرجوا فى ذلك الى نوع من المعاصى بل الى نوع من الفسوق بل خرج فيه طوائف الى الكفر الصريح بحيث يتواجدون على انواع من الاشعار التى فيها الكفر والالحاد مما هو من أعظم أنواع الفساد وينتج ذلك لهم من الاحوال بحسبه كما ينتج لعباد المشركين وأهل الكتاب عباداتهم بحسبها والذى عليه محققوا المشائخ انه كما قال الجنيد رحمه الله فمن تكلف السماع فتن به ومن صادفه استراح به ومنع ذلك أنه لا يشرع الاجتماع لهذا السماع المحدث ولا يؤمر به ولا يتخذ دينا

١ - الشورى ٥٢

---

(١) ذكر الحافظ ابو الفرج ابن الجوزى في كتابه تلبيس ابليس ان المغيرة قوم يغيرون ذكر الله بدعاء وتضرع وقد سموا ما يطربون فيه من الشعر في ذكر الله عزوجل تغيرا . وقال كان الشافعي يكره التغيير اه وفى تركيب الكلام هنا من الخفاء ما يتنبه له

وقربة وأن القرب والعبادات انما تؤخذ عن الرسل صلوات الله وسلامه عليهم فكما انه لاحرام الا ما حرمه الله لادين الا ماشرعه الله . قال الله تعالى (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله)[1] ولهذا قال (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم)[2] فجعل محبتهم لله موجبة لمتابعة رسوله وجعل متابعة رسوله موجبة لمحبة الله لهم قال أبي ابن كعب رضى الله عنه عليكم بالسبيل والسنة فانه ما من عبد على السبيل والسنة ذكر الله فاقشعر جلده من مخافة الله الا تحاتت خطاياه كما يتحات الورق اليابس عن الشجرة وما من عبد على السبيل والسنة ذكر الله خاليا ففاضت عيناه من مخافة الله الا لم تمسه النار ابدا وان اقتصادا فى سبيل وسنة خير من اجتهاد في غير سبيل وسنة فاحرصوا ان تكون اعمالكم اقتصادا واجتهادا على منهاج الانبياء وسنتهم وهذا مبسوط في غير هذا الموضع فلو كان هذا مما يؤمر به ويستحب وتصلح به القلوب للمعبود والمحبوب لكان ذلك مما دلت الأدلة الشرعية عليه ومن المعلوم انه لم يكن في القرون الثلاثة المفضلة التى قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم «خير القرون قرنى الذى بعثت فيه ثم الذى يلونهم ثم الذى يلونهم» لافي الحجاز ولا في الشام ولا في اليمن ولا فى العراق ولا في مصر ولا في خراسان احد من اهل الخير والدين يجمع على السماع المبتدع لصلاح القلوب ولهذا كرهه الامام احمد وغيره وعده الشافعى من احداث الزنادقة حين قال خلفت ببغداد شيئا أحدثه الزنادقة يسمونه التغبير يصدون به الناس عن القرآن. وأما مالا يقصده الانسان من الاستماع لايترتب عليه نهى ولاذم باتفاق الائمة ولهذا انما

١ - الشورى ٢١
٢ - آل عمران ٣١

(م ٨ التحفة)

يترتب الذم والمدح على الاستماع لا على السماع فالمستمع للقرآن يثاب عليه والسامع له من غير قصد لا يثاب على ذلك اذ الاعمال بالنيات. وكذلك ماينهى عن استماعه من الملاهي لو سمعه السامع بدون قصد لم يضره ذلك فلو استمع السامع بيتا يناسب بعض حاله تحرك ساكنه المحمود وازعج قاطنه المحبوب او بمثل ذلك ونحو ذلك لم يكن ذلك مما ينهى عنه وان كان المحمود الحسن حركة قلبه التي يحبها الله ورسوله الى التي تتضمن فعل مايحبه الله وترك مايكرهه كالذى اجتاز ببيت فسمع قائلا يقول * كل يوم تتلون * غير هذا بك أجمل * فاخذ منه اشارة تناسب حاله فان الاشارة من باب القياس والاعتبار وضرب الامثال ومسألة السماع كبيرة منتشرة قد تكلمنا عليها في غير هذا الموضع والمقصود ههنا ان المقاصد المطلوبة للمريدين تحصل بالسماع الايماني القرآني النبوي الديني الشرعي الذى هو سماع النبيين وسماع العالمين وسماع العارفين وسماع المؤمنين. قال الله تعالى (أولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم)[1] الى قوله (اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكيا)[2] وقال تعالى (ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجداً)[3] الى قوله (ويزيدهم خشوعا)[4] وقال تعالى (واذا سمعوا ماانزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق)[5] وقال تعالى (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا)[6] الآية وقال تعالى (الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم)[7] الآية وكما مدح المقبلين على هذا السماع فقد ذم المعرضين عنه في مثل قوله (ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا)[8] الى قوله (واذا

١ - مريم ٥٨
٢ - مريم ٥٨
٣ - الاسراء ١٠٧
٤ - الاسراء ١٠٩
٥ - المائدة ٨٣
٦ - الأنفال ٢
٧ - الزمر ٢٣
٨ - لقمان ٦

تتلى عليه اياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها)[1] الآية. وقال تعالى (والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا)[2] وقال تعالى (ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم)[3] الآية. وقال تعالى (وقال الذين كفروا لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون)[4] وقال تعالى (فمالهم عن التذكرة معرضين كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة)[5] ومثل هذا كثير فى القرآن وهذا سماع سلف الأمة واكابر مشائخها وائمتها كالصحابة والتابعين ومن بعدهم من المشائخ كابراهيم بن أدهم والفضيل بن عياض وابى سليمان الدارانى ومعروف الكرخى ويوسف بن أسباط وحذيفة المرعشى وامثال هؤلاء. وكان عمر بن الخطاب يقول لابى موسى الأشعرى ياابا موسي ذكرنا ربنا فيقرأ وهم يسمعون ويبكون. وكان أصحاب محمد اذا اجتمعوا امروا واحدا منهم ان يقرأ القرآن والباقى يستمعون. وقد ثبت في الصحيح «ان النبى صلى الله عليه وسلم مر بابى موسى الاشعرى وهو يقرأ فجعل يستمع لقراءته وقال لقد أوتى هذا مزمارا من مزامير داود فقال مررت بك البارحة وأنت تقرأ فجعلت استمع لقراءتك فقال لوعلمت انك تسمع لحبرته لك تحبيرا» اى لحسنته لك تحسينا وقال «زينوا القرآن باصواتكم» وقال «الله اشد اذنا الى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة الى قينته» اذنا اى استماعا كقوله (وأذنت لربها وحقت)[6] اى استمعت وقال صلى الله عليه وسلم «ما اذن الله لشىء ما اذن لنبى حسن الصوت يتغني بالقرآن يجهر به» وقال «ليس منا من لم يتغن بالقرآن» ولهذا السماع من المواجيد العظيمة والأذواق الكريمة ومزيد المعارف والأحوال الجسيمة مالا يسعه خطاب ولا يحويه كتاب كما ان في تدبر القرآن وتدبر بيانه تفهمه من مزيد العلم

١ ـ لقمان ٧
٢ ـ الفرقان ٧٣
٣ ـ الأنفال ٢٣
٤ ـ فصلت ٢٦
٥ ـ المدثر ٤٩ ـ ٥٠
٦ ـ الانشقاق ٢

والايمان مالا يحيط به بيان. ومما ينبغي التفطن له ان الله سبحانه قال في كتابه (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)[1] قال طائفة من السلف ادعى قوم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم انهم يحبون الله فانزل الله هذه الآية (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) الآية. فبين سبحانه ان محبته توجب اتباع الرسول وان اتباع الرسول يوجب محبة الله للعبد وهذه محبة امتحن الله بها أهل دعوى محبة الله فان هذا الباب يكثر فيه الدعاوى والاشتباه ولهذا يروى عن ذي النون المصري انهم تكلموا في مسئلة المحبة عنده فقال اسكتوا عن هذه المحبة لاتسمعها النفوس فتدعيها. وقال بعضهم من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق ومن عبد الله بالخوف وحده فهو خارجي ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجيء ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد. وذلك لان مجرد دعواه تنبسط النفوس فيه حتى يتسع في اهوائها اذا لم يدعها وادعى الخشية لله حتى قالت النصارى (نحن ابناء الله واحباؤه)[2] ويوجد في مدعي المحبة من مخالفة الشريعة مالا يوجد في اهل الخشية ولهذا قرن الخشية بها في قوله (هذا ماتوعدون لكل اواب حفيظ من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود)[3] وقال تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) فاتباع سنة رسوله صلى الله عليه وسلم واتباع شريعته باطنا وظاهرا هي توجب محبة الله كما ان الجهاد في سبيله وموالاة اوليائه ومعاداة اعدائه هو حقيقتها كما في الحديث «أوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله» وفي الحديث «من احب لله وابغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل المحبة» وكثير من يدعي المحبة وهو أبعد من غيره عن اتباع السنة وعن

١ - آل عمران ٣١
٢ - المائدة ١٨
٣ - ق ٣٢ - ٣٤

الأمر بالمعروف وعن النهى عن المنكر والجهاد في سبيل الله ويدعى مع ذلك كمال طريق المحبة من غيره لزعمه ان طريق المحبة لله ليس فيه غيرة ولا غضب لله وهذا خلاف مادل عليه الكتاب والسنة ولهذا في الحديث المأثور «يقول الله تعالى يوم القيمة أين المتحابون بجلالى اليوم أظلهم فى ظلى يوم لاظل الاظلى» فقوله اين المتحابون بجلال الله تنبيه على ما في قلوبهم من اجلال الله وتعظيمه والتحاب فيه وبذلك يكونون حافظين لحدوده دون الذين لايحفظون حدوده لضعف الايمان في قلوبهم وهؤلاء الذين جاء فيهم الحديث «حقت محبتى للمتحابين في وحقت محبتي للمتجالسين في وحقت محبتى للمتزاورين في وحقت محبتي للمتباذلين في» والاحاديث في المتحابين لله كثيرة وفي الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم من حديث أبى هريرة «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لاظل الا ظله شاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه معلق بالمسجد اذا خرج منه حتى يرجع اليه ورجلان تحابا في الله واجتمعا وتفرقا عليه ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لاتعلم شماله ما انفقت يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ورجل دعته امرأة ذات نسب وجمال فقال انى اخاف الله رب العالمين» وأصل المحبة هو معرفة الله سبحانه وتعالى ولها أصلان احدهما وهو الذى يقال له محبة العامة لاجل احسانه الى عباده وهذه المحبة على هذا الاصل لاينكرها احد فان القلوب مجبولة على حب من أحسن اليها وبغض من اساء اليها والله سبحانه هو المنعم المحسن على عبده بالحقيقة فانه المتفضل بجميع النعم وان جرت بواسطة اذ هو ميسر الوسائط ومسبب الأسباب لكن هذه المحبة اذا لم تجذب القلب الى محبة الله نفسه فما احب العبد في الحقيقة

الا نفسه وهذا ليس بمذموم بل محمود. وهذه المحبة هى المشار اليه بقوله «احبوا الله لما يغذوكم به من نعمه واحبونى لحب الله واحبوا أهلى بحبي» والمقتصر على هذه المحبة هو لم يعرف من جهة الله ان يحبه الا الاحسان اليه وهذا كما قالوا ان الحمد لله على نوعين. حمد هو شكر وذلك لا يكون الا على نعمه. وحمد هو ثناء عليه وهو مما يستحقه لنفسه سبحانه فكذلك الحب فان الأصل الثانى هو محبته لما هو أهل هذا حب من عرف من الله ما يستحق ان يحب لاجله وما من وجه من الوجوه التى يعرف بها مما دلت اسماؤه وصفاته الا وهو يستحق المحبة الكاملة من ذلك الوجه حتي جميع مفعولاته اذ كل نعمة منه فضل وكل نقمة منه عدل ولهذا استحق ان يكون محمودا على كل حال وهذا أعلى وأكمل وهذا حب الخاصة وهؤلاء هم الذين يطلبون لذة النظر الى وجهه الكريم ويتلذذون بذكره ومناجاته ويكون ذلك لهم أعظم من الماء للسمك لو انقطعوا عن ذلك لوجدوا من الألم ما لا يطيقون وهم السابقون كما فى صحيح مسلم عن أبى هريرة قال «مر النبى صلى الله عليه وسلم بجبل يقال له جمدان فقال سيروا هذا جمدان سبق المفردون قالوا يارسول الله من المفردون قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات» وفي رواية أخرى قال (المستهترون بذكر الله يضع الذكر عنهم أثقالهم فيأتون يوم القيامة وهم خفافا» وفي حديث هارون بن عسرة عن أبيه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال «قال موسي يارب أى عبادك أحبّ اليك قال الذى يذكرنى ولا ينسانى قال أى عبادك أعلم قال الذى يطلب علم الناس الى علمه ليجد كلمة تدل على هدى أو ترده عن ردى قال أي عبادك أحكم

قال الذي يحكم على نفسه كالذى يحكم على غيره ويحكم لغيره كما يحكم لنفسه » فذكر في هذا الحب والعلم والعدل وذلك جماع الخير ومما ينبغى التفطن له أنه لا يجوز أن يظن فى باب محبة الله تعالى ما يظن في محبة غيره مما هو من جنس التجنى والهجر والقطيعة لغير سبب ونحو ذلك مما قد يغلط فيه طوائف من الناس حتي يتمثلون فى حبه بجنس ما يتمثلون به في حب من يصد ويقطع بغير ذنب أو يبعد من يتقرب اليه وان غلط في ذلك من غلط من المتمثلين في رسائلهم حتى يكون مضمون كلامهم اقامة الحجة على الله بل لله الحجة البالغة .وقد ثبت في الصحيحين عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « يقول الله تعالى من ذكرنى فى نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرنى فى ملأ ذكرته في ملأ خير منه ومن تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا ومن تقرب الى ذراعا تقربت اليه باعا ومن أتاني يمشى أتيته هرولة » وفي بعض الآثار يقول الله تعالى « أهل ذكرى أهل مجالسى وأهل شكري أهل زيارتى وأهل طاعتى أهل كرامتى وأهل معصيتي لا أيسهم من رحمتى وان تابوا فانا حبيبهم لان الله يحب التوابين وان لم يتوبوا فانا طبيبهم ابتليهم بالمصائب حتي اطهرهم من المعائب وقد قال تعالى (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما)[1] قيل الظلم أن يحمل عليه سيئات غيره والهضم أن ينقص من حسنات نفسه. وقال تعالى (وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون)[2] وفي الحديث الصحيح عن أبى ذر رضى الله عنه قال « يقول الله تعالى يا عبادى انى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا يا عبادى كلكم ضال الا من هديته فاستهدوني اهدكم

١ ـ طه ١١٢
٢ ـ النحل ١١٨

ياعبادى عبادى كلكم جائع الا من اطعمته فاستطعموني اطعمكم يا عبادى كلكم عار الا من كسوته فاستكسونى أكسكم ياعبادى انكم تذنبون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب ولا أبالى فاستغفرونى أغفر لكم ياعبادى انكم لم تبلغوا ضرى فتضرونى ولن تبلغوا نفعى فتنفعوني ياعبادى لو ان أولكم وآخركم وأنسكم وجنكم كانوا على اتقى قلب رجل منكم مازاد ذلك في ملكي شيئا ياعبادى لو ان أولكم وآخركم وأنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم مانقص ذلك من ملكي شيئا ياعبادى انما هى أعمالكم احصيها لكم ثم اوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه » وما رواه البخارى عن شداد بن اوس « قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الاستغفار ان يقول العبد اللهم انت ربى لا اله الا أنت خلقتني وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر ماصنعت ابوء لك بنعمتك على وابوء بذنبى فاغفر لي فانه لايغفر الذنوب الا انت من قالها اذا اصبح موقنا بها فمات في يومه دخل الجنة ومن قالها اذا أمسى موقنا بها فمات من ليلته دخل الجنة» فالعبد دائما بين نعمة من الله يحتاج فيها الى شكر وذنب منه يحتاج فيه الى الاستغفار وكل من هذين من الأمور اللازمة للعبد دائما فانه لايزال يتقلب فى نعم من الله وآلائه ولايزال محتاجا الى التوبة والاستغفار ولهذا كان سيد ولد آدم وامام المتقين يستغفر فى جميع الاحوال . وقال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي راوه البخارى «ايها الناس توبوا الى ربكم فانى أتوب الى الله في اليوم مائة مرة » وقال عبد الله بن عمر « كنا نعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد يقول رب اغفرلى وتب على انك

أنت التواب الرحيم مائة مرة » وقال « اني لاستغفر الله وأتوب اليه في اليوم اثنين وسعين مرة» وفي صحيح مسلم « انه قال انه ليغان على قلبي واني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة» ولهذا شرع الاستغفار في خواتيم الأعمال. قال تعالى (والمستغفرين بالأسحار)[1] وفي الصحيح « ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثا وقال اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام » وقال تعالى (فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام)[2] الى قوله (واستغفروا الله ان الله غفور رحيم)[3] وقد أمر الله نبيه بعد ان بلغ الرسالة وجاهد في الله حق جهاده وأتى بما أمر الله به مما لم يصل اليه عمره فقال (اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا)[4] ولهذا كان قوام الدين بالتوحيد والاستغفار كما قال الله تعالى (الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير الاتعبدوا الا الله انني لكم منه نذير وبشير وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسناً)[5] الآية. وقال تعالى (فاستقيموا اليه واستغفروه)[6] وقال تعالى (فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات)[7] ولهذا جاء في الحديث « يقول الشيطان اهلكت الناس بالذنوب وأهلكوني بلا اله الا الله والاستغفار » وقال يونس (لا إله الا انت سبحانك اني كنت من الظلمين) وكان النبي صلى الله عليه وسلم « اذا ركب دابته يحمد الله ثم يكبر ثلاثاً ويقول لا اله الا أنت ظلمت نفسي فاغفرلي » وكفارة المجلس التي كان يختم بها المجلس والوضوء « سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا أنت استغفرك وأتوب اليك » والله أعلم وصلى الله على محمد وسلم .

تمت الرسالة والحمد لله

١ - آل عمران ١٧
٢ - البقرة ١٩٨
٣ - البقرة ١٩٩
٤ - النصر ١ - ٣
٥ - هود ١ - ٣
٦ - فصلت ٦
٧ - محمد ١٩

قد نبهت غير مرة أصحاب المطابع على خطئهم الناشيء من عدم الاعتناء والمبالاة في صنعتهم فلذلك لا يخلو كتاب أو رسالة من وقوع خطأ فيه .

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٥	٩	وزادهم	زادهم
٨	١٠	صادقت	صادقة
٩	٩	وأولو	وأولوا
٩	١٤	بين وبين	بين والخرام بين
١٢	٢١	العباد	العبادة
١٤	٧	المباحاة	المباحات
٢١	٣	مطاعة	طاعة
٢٤	٣	واذ	وا ذا
٢٥	٢٠	الناس قد	الناس ان الناس قد
٣٣	١١	فائث	فأت
٤٧	٤	هذا قائل القول	قائل هذا القول
٤٨	١٧	يحت	يجب
٥٧	٧	السييل	السبيل
٥٨	١٥	ويزيديهم	ويزيدهم
٥٩	١٤	لجبرتهالك تجبيراً	لحبرتهالك تحبيراً
٦٠	٢٠	ق	في
٦٣	١٤	وان تابوا	ان تابوا

